القدّيس افرام السرياني

مقالات روحيّة وخشوعيّة

www.christianlib.com

٢٠٠٧

دير مار ميخائيل
بقعاتا ـ نهر بسكنتا

القدّيس افرام السرياني

مقالات روحيّة وخشوعيّة

تعريب

الأب افرام كرياكوس

٢٠٠٧

دير مار ميخائيل

القدّيس افرام السرياني

مقالات روحيّة وخشوعيّة

تعريب

الأب افرام كرياكوس

طبعة ثانية

٢٠٠٧

القدّيس
افرام
السرياني

المقدّمة

للمترجم

من دخولي إلى الدير في الجبل المقدّس في ١٩ أيلول ١٩٨١ قال لي الأب الروحي Geronda: «إن كنتَ تريد أن تكتسب توبةً، حسًّا روحيًّا وقلبًا خاشعًا متواضعًا طالعْ إلى جانب الكتاب المقدّس وصلاتك كتابات القدّيس إفرام السرياني أعني مقالاته الروحيّة. وللحال سلّمني الكتابَ الذي أمامكم معرّبًا.

لا أُخفي عليكم أنني عشقتُ كتابات هذا القدّيس إلى حدّ أن الأب الروحي برثانيوس، ملاحظًا ذلك، دعاني «إفرام» في أوان الاسكيم الكبير في ١٦ (٣) تشرين الأوّل ١٩٨٣ بعد أن كنتُ ميشال (ميخائيل)، غيرَ عالم آنذاك أن الربّ سوف يُرسلني إلى دير مار ميخائيل حيث أقيم حاليًا.

وها أنا أوفي نذرًا لي قديمًا بتعريب الكتاب بعد إصدار مختاراتٍ له من قبل منشورات النور ١٩٨٨ ومطرانية اللاذقيّة بالتعاون مع الشماس اسبيرو جبّور ١٩٩٤.

***

القديس إفرام السرياني هو من الآباء القدّيسين الكبار معلّمي المسكونة الذين لمعوا في القرن الرابع الميلادي. المعلومات الموثوقة عن حياته محدودة جدًا. يبدو، حسب بعض المراجع،

انه ولد من عائلة فقيرة سنة ٣٠٣م وبعد أن ترهّب اكتسب ثقافة واسعة ورُسم شماسًا على يد أسقف مدينة نصّيبين يعقوب الذي عيّنه مسؤولًا عن المدرسة اللاهوتيّة هناك حتى سنة ٣٦٣م، سنة سقوط المدينة بأيدي الفرس وتاريخ موت الامبراطور يوليانوس الجاحد. في نصيبين بدأ يكتب أناشيده الشهيرة المعروفة بالنصيبيّة.

أكثر ما نعرفه مأخوذ من كتاباته ومن المديح الذي كتبه القدّيس غريغوريوس النيصصي له. امتدحه أيضًا مؤرّخا القرن الخامس ثيوذورتس وسوزومينوس. شهد له القدّيس باسيليوس الكبير والقدّيس يوحنا الذهبي الفم وغيرهم من الآباء اللاحقين، منهم القدّيس فوتيوس الكبير الذي كان يعتبره معلّم المسكونة الالهي.

عاش في منطقة مسيحية عريقة في شمال شرقي سوريا حول مدينتي نصيبين والرها حيث انتشر عدد كبير من الأماكن المقدّسة الزاهرة برفات القدّيسين. وعرفنا مدرسة لاهوتية كبيرة في مدينة الرها، أورفا اليوم أو ايدسا قديمًا، حيث كان القدّيس يعظ ويعلّم. كانت مدينة ايدسا مركزًا ثقافيًا وإداريًا في الامبراطوريّة الرومانية، تقع على طريق أنطاكية والهند. أمضى فيها القدّيس بقيّة حياته ٣٦٣-٣٧٣ وذلك في دير بالقرب منها حيث أنشأ مدرسة لاهوتيّة شهيرة. كما عمل أيضًا إلى جانب الأساقفة كشمّاس وواعظ.

وكان الشعب في تلك المنطقة يتكلّم السريانيّة. وقد عكف البار على قراءة الكتاب المقدّس منذ صغره وحَوَت كتاباته تفاسير ومواعظ عديدة باللغة السريانيّة تشمل تقريبًا كل أسفار الكتاب المقدّس. يشهد على ذلك القدّيس غريغوريوس النيصصي الذي كتب

مديحًا شهيرًا له يعتبر ، كما ذكرنا ، مصدرًا رئيسيًا لسيرة حياته . وقد وصلنا جزء ضئيل من مؤلفاته، وهو عبارة عن ستة أجزاء[١] . ثلاثة منها باليونانيّة واللاتينيّة وثلاثة أخرى بالسريانيّة واللاتينيّة .

أمّا شرح الكتاب المقدّس فتتضمّنه الأجزاء الأخيرة . وقد شهد كثير من الآباء عن أهمية مؤلفاته إلى حدّ أنها كانت تُقرأ في الكنيسة بعد تلاوة الكتاب المقدّس[٢] .

كلمة إفرام تعني خصب ممّا يميّز حياته الداخليّة والخارجيّة . لم تمنعه اللغة من أن يصبح مشهورًا في الشرق والغرب حتى في حياته إذ لنا أكثر من دليل أن قسمًا كبيرًا من مؤلفاته ترجم في القرن الرابع إلى اليونانيّة واللاتينيّة .

يمكن أن يقال بدون تردّد إنه قبل كل شيء «قدّيس التوبة» . والتوبة عنده مرتبطة بالصلاة والتخشّع والدموع ، بالمحبة والتواضع ، بالدينونة خاصّة .

هو الذي قال إن الكنيسة هي جماعةُ التائبين إلى الله . هذه الدموع معروفة في الكنيسة ، من خلال خبرة الحياة في المسيح ، بالدموع المفرِّحة . الصفات المذكورة أعلاه مُلخّصة في القنداق الخاص بالقدّيس . ليست صفات تدعو إلى اليأس والحزن (بدون رجاء) ومرض نفسيّ ، هذا لأنها مشبعة بثمار الروح القدس ألا وهي المحبة ، التواضع ، الحنان ، الفرح ، الشكر والتمجيد . ممّا يعكس شخصيّة متوازنة ومستنيرة .

---

(١) طبعة روما سنة ١٧٢٢ على يد بطرس مبارك ويوسف السمعاني وعوّاد السمعاني .

(٢) يذكر ذلك القدّيس يرونموس .

والصلاة الخشوعيّة التي بقيت حيّة في الليتورجيا والمعروفة «بصلاة التوبة» للقدّيس إفرام السرياني برهان قاطع على ذلك :

« أيها الرب وسيّد حياتي أعتقني من روح البطالة والفضول وحب الرئاسة والكلام البطّال ، وأنعم عليّ أنا عبدك الخاطئ بروح العفّة واتّضاع الفكر والصبر والمحبة ، نعم يا ملكي وإلهي هبْ لي أن أعرف ذنوبي وعيوبي وأن لا أدين أخوتي لأنك مبارك إلى الدهر . آمين » .

اتّصف القدّيس أيضًا بفضيلة المحبّة لله والقريب حتى قيل عنه إنه خلال المجاعة التي حلّت في مدينة الرها ، قبل وفاته ، أخذ على عاتقه حملات توزيع القمح على الفقراء وإغاثتهم . كما يُقال إنه مات متأثّرًا من وباء الطاعون الذي انتشر في ذلك الوقت . أمّا عمله في أحد الأفران فقد حصل ، حسب بعض المراجع ، عند انتقاله إلى مدينة الرها سنة ٣٦٣، وعمل لحاجة معيشته كمهاجر .

وكانت دموعه سيلًا غير منقطع مع تواضع بليغ . تمتع بمواهب وفضائل عديدة جعلت منه أبًا لكل المسكونة : منها موهبة التعليم وأيضًا موهبة الشعر إذ ان غالبيّة مؤلفاته نظمت شعرًا . وكانت غاية القدّيس إفرام من نظمه الشعر الديني تعليم الناس حقائق الإيمان بنوع سهل ومشوّق . بقيت مخطوطات عن أعماله تعود إلى القرون الخامس والسادس والسابع .

وقد عرفت باكرًا في اللغة اليونانيّة مؤلفاته النسكيّة التي هي بمثابة تعاليم روحيّة للرهبان الذين عرفهم وعاش فيما بينهم . وهي تصلح لإنسان كل عصر ، وخاصّة لانساننا اليوم ، إذ إنها تدعوه للعودة إلى الله قبل فوات الأوان وقبل حلول ساعة الموت المفاجئة والحساب والدينونة . وهو يؤكد في أكثر من موضع أن

الدعوة موجّهة للشباب والشيوخ على السواء وانه بعد الموت لا مجال للتوبة.

يلاحظ أيضًا ارتباط تعاليمه الروحية بالكتاب المقدّس إذ يورد الآيات بتصرّف في سياق كلامه شهادة على ما يقول. أي أنه يورد معنى الآية بتعبير وكلمات أخرى. هذا لأن آباءنا كانوا يعرفون الكتاب عن ظهر قلب مع العلم أن حياتهم كانت بمثابة كتاب وانجيل حيّ.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن القدّيس إفرام السرياني ظهر في عصره مدافعًا حادًّا عن الإيمان الأرثوذكسي القويم ضدّ الهرطقات المنتشرة آنذاك في عصره وأهمّها الأريوسيّة التي تنكر ألوهيّة المسيح ومساواته للآب على مثال بدعة شهود يهوه الخطرة اليوم، معيدة هكذا المسيحيّة إلى اليهوديّة. وقد استعمل أسلوب أعدائه في الدفاع عن الإيمان وإيضاحه. فأخذ ينظم الأناشيد العقائديّة التي يتكلّم فيها عن سرّ الخلاص بيسوع المسيح ربّنا وإلهنا ومخلّصنا.

***

أشكر الله على نعمته في معرفة هذا القدّيس كما أشكر كلَّ من ساهم في إخراج هذا الكتاب إلى النور، أخصّ بالذكر الأخت سميرة خوري التي تعبت في تنقيح اللغة. فبشفاعة القدّيس إفرام ألّهمّ ارحمنا وخلّصنا. آمين.

الأب افرام كرياكوس
رئيس الدير
عيد القدّيس اسبيريدون العجائبي
في ١٢ ك١ ٢٠٠٣

الشَّرقُ المَسيحيّ القَديْم

حياة القدّيس افرام السرياني (*)

(٣٠٣-٣٧٣)

الأب أفرام العجيب هو من بلاد سوريا . وُلد في بلدة نصيبين من منطقة ما بين النهرين حوالي سنة ٣٠٣ ميلادية أي في عهد الملك ديوكليسيانوس . كان والداه قد اعتنقا الديانة المسيحية معترفين بجرأة بإيمانهما بيسوع المسيح . تسلّمه منذ نعومة أظافره أسقف المدينة وأرشده بعناية عارفًا طبيعة الصبي الصالحة . كان البار منذ صغره فاضلًا . يتجنب أحاديث رفاقه المؤذية ولا يستخدم وقته باطلًا بل كان يطالع دائمًا الكتب الشريفة جاهدًا ودارسًا إياها باستمرار حتى أنه كان يشعر بحلاوة ينطبق عليها قول النبي : « ما أحلى كلامك في حلقي أشهى من العسل هو في فمي » (مز ١١٨:١٠٣) .

على هذا النحو اكتسب المغبوط **الفضائل** كلّها : الصوم ، السهر ، افتراش الأرض ، الصلاح ، عدم القنية ، الوداعة وما إلى ذلك من الفضائل الأخرى . وبصورة واضحة التواضع الثابت غير المنتهك والذي يُهلك الشياطين ويميتهم .

(*) كتب سيرة حياته القدّيس سمعان المترجم الذي عاش في القسطنطينية في أواخر القرن التاسع . والذي كتب سير عدد كبير من القدّيسين موجودة في مجموعة MIGNE الشهيرة . تعيّد له الكنيسة في ٩ تشرين الثاني .

اكتسب ثقافة واسعة وأصبح معلّمًا حكيمًا كما يبدو من مؤلفاته العجيبة التي ترشدنا إلى اليوم بنصائحها ، بمشوراتها وعظاتها . هكذا وبواسطته نُرشَد إلى الإيمان القويم . وننهض ناشطين لعمل الفضيلة خاصة في مضمار **محبة الله والقريب** ، المحبة الثمينة لديه جدًا والمتمثلة بالمسيح . هذه المحبة التي اجتهد أبونا البار الحبيب في تحقيقها حتى أنه اكتسب إعجاب الجميع .

ساعة رحيله لمعاينة وجه ربّه اعترف بذلك وقال : « في حياتي كلّها لم أهن الله ولم يصدر عن شفتي كلام طائش لم أسئ أبدًا إلى أيّ من المؤمنين كما أنني لم أتشاجر قط مع أحد منهم » هذه الفضائل كلّها هي بمثابة انجازات عظيمة ومدهشة : كانت الدموع تترقرق من عينيه دومًا حتى أنه أهرق نهرًا خلاصيًا من الدموع طيلة حياته .

وكانت التنهدات الصادرة من أعماق القلب تتبع الدموع وكأنّ نارًا تخرج من أحشائه . والمرء يتثبت من كل ذلك من خلال مؤلفاته المثيرة للتخشع والتي كثيرًا ما تحدّث فيها عن **مجيء المسيح الثاني** ، أو حضوره الثاني ، وعن **الدينونة** العادلة الرهيبة . وهو يطبع في أذهاننا الرعدة أمام ذلك اليوم الرهيب ، مُدينًا نفسه ومتحسرًا عليها غاية الحسرة .

* * *

● في إيدسا :

بعد أن راودته تلك الأفكار ، ابتعد البار هاربًا من صخب الحياة ملتجئًا إلى البرّية يسير من مكان إلى آخر يفيد ويستفيد . عند سقوط بلدة نصيبين في أيدي الفرس انتقل بوحي من الروح القدس من وطنه واتجه إلى مدينة ايدسّا الشهيرة جدًا ليسجد لرفات القدّيسين فيها وليلتقي بإنسان فاضل متكلم يستفيد منه .

صلى لهذه الغاية فيما هو خارج المدينة قال: «أيها الرب يسوع المسيح سيّدي، أعطني أن أصادف في ايدسا إنسانًا يحدّثني بما تستفيد به نفسي».

ومن ثم دخل المدينة منتظرًا من سيصادف في الطريق. وإذ بامرأة زانية تظهر أمامه مزيّنة بطريقة مغرية. وكان هذا انطلاقًا من مشيئة الله الذي يدبّر الأمور وذلك بطريقة سرّية لا تفسّر. وإذ شاهد المنظر تعجّب البار وحزن لهذا الحدث الذي جاء خلاف ما كان ينتظر. أمّا المرأة فقد وقفت أمامه وراحت تحدّق فيه طويلاً. قال لها القدّيس من أجل أن يثير حياءها: «كيف تتجرئين يا إمرأة وتنظرين إليّ بوقاحة، ألا تخجلين من نفسك؟» فأجابت قائلة: «لست مذنبة إذ أنظر إليك أنا التي قد خرجت من جنبك حين أبدعني الربّ. أما أنت فيجدر بك أن تحدّق في الارض التي منها خرجت خاصة انك راهب تعتبر ذاتك ميتًا حسب الجسد. فعليك إذًا ألّا تحدّق مطلقًا في الوجوه».

عند سماع البار لهذه الأقوال اعترف شاكرًا إياها لأنها بالحقيقة تفوّهت ثم مجّد الله لأنه استجاب له وأفاده.

دخل البار المدينة وحلّ في أحد البيوت لبضعة أيام. ووُجدت في جيرته امرأة غيرُ محتشمة كانت تشاهد القدّيس من خلال نافذتها. وفيما هو في أحد الأيام يعدّ الطعام فتحت النافذة وابتدرته قائلة: «بارك ايها الأب» فأجابها القدّيس بصوت متواضع «ليباركك الرب». عندها راحت تضحك بوقاحة وقالت: «ان نقصك شيء من الطعام أُعطيك اياه». فأجاب البار: «ما ينقصني هو ثلاثة أحجار وقليل من الطين لأسدّ بها النافذة حتى لا تعودي تسببين لي الازعاج». أما تلك فلم تخجل بل اعترفت أمامه بالحقيقة قائلة: «لقد حييتك بلطف لأنني راغبة في لقياك ومجامعتك وأنت تتعالى وتتكلّم على سد النوافذ؟» قالت هذا وغيره مدفوعة من الشيطان للايقاع بالقدّيس الشريف والعفيف. لكنها كانت تحاول أبدًا إثارته وإغراءه بأقوال شيطانية أما هو فكان دومًا يجيبها بكلام

خلاصي مفيد للنفس. أخيرًا، وبعد أن عاين ولمس وقاحتها، قال: «إن كنت راغبة في لقياي فلنذهب حيث أريد أنا» عندها ظنّت المرأة أن لديه مكانًا ضيّقًا مناسبًا لاقتراف الخطيئة. قالت فرحة: «لنذهب حيث تشاء». أجاب القدّيس: «حسنًا سنذهب إلى وسط المدينة» اردفت وقالت: «ألا تخجل من الناس الذين سيهزأون بنا».

وبعد أن أوصلها البار حيث يريد محاربًا اياها بالسلاح نفسه أجاب: «تخجلين من الناس يا شقية ولا تخافين الله الذي يرى أعمالنا كلها أكان ذلك في الخفية أم في العلن. وهو الذي سيعاقبنا العقاب الأبدي الشديد فيما نحن نستسلم لمتع الخطيئة». هكذا وبمعونة الله استطاع الأب الحكيم أن يصطاد تلك المرأة فأدخل في نفسها مخافة الله إلى حد أنها تابت عن خطاياها كلها. عندها سقطت دامعة عند قدمي البار تطلب المغفرة وسألته التعليم والإرشاد للسير في دروب الخلاص. أمّا البار فتقبّل توبتها ونصحها بألّا تعود مطلقًا إلى حياتها السابقة بل تتصرف بعفة كاملة وتبتعد عن الافكار الرديئة والأعمال الباطلة. ثم أدخلها إلى الدير وقضت البقية من حياتها برضى الله وخلصت.

وهكذا استفاد افرام الإلهي من المرأة الأولى الزانية التي شاهدها في الطريق أمّا المرأة الثانية فقد أفادها جالبًا لها الخلاص بعون الله.

* * *

● في قيصرية:

بعد مغادرة إيدسا توجه إلى جبل قريب متنسكًا فيه فترة من الزمن[1]. ثم

(١) تذكر مصادر أخرى أنه أمضى بقية حياته ٣٦٣-٣٧٣ في دير بالقرب من إيدسا حيث أنشأ مدرسة لاهوتية شهيرة.

توجه إلى قيصرية الكبادوك للقاء القدّيس باسيليوس الكبير مصدر العقائد والمجاهد في التقوى. عندما رآه افرام الآلهي راح يمدحه لأنه، بحسّه النبوي، رأى حمامة لامعة كالشمس واقفة على كتف باسيليوس تهمس في أذنه كلامًا آلهيًا فيما هو يرشد الشعب بما تمليه عليه. هذه الحمامة عينها أظهرت للقدّيس باسيليوس وجود افرام. فعرفه عندها بوحي من الروح. التقى القدّيسان وتمتّعا باللقاء طويلًا[٢]. ويُقال أن القدّيس باسيليوس الكبير شرطن البار افرام شماسًا أو كاهنًا[٣]. وأغلب الظن أن القدّيس افرام لم يقبل إلّا رتبةَ الشموسية ذلك من أجل أن يتفرغ لدراسة الكتاب المقدّس والتأليف.

● التعليم :

تقبّل البار من الله موهبة التعليم ونمّاها بشتى الوسائل من أجل إفادة نفوس الكثيرين. وقد اعترف بذلك شخصيًا عندما تكلّم على إحدى الرؤى التي شاهدها وهو بعد صغير قال: « رأيت كرمة تحمل عنبًا كثيرًا نبتت في لساني وخرجت من فمي باسطة أغصانها وغطت وجه الأرض كلها. وكانت الطيور تعشش فيها وكلّما أكلت من العنب ازداد العنب » هذا ما ذكره البار عن نفسه. أما أولئك الذين أُهلوا لمعاينة الأسرار الإلهية فقد رأوا أشياء كثيرة. أحدهم قال إنه رأى رهطًا من الملائكة ينحدرون من العلى حاملين مخطوطة كتابية. وكانوا يتساءلون: « من هو الأهل ليأخذ هذا الكتاب؟ راح أحدهم يذكر اسمًا والآخر اسمًا آخر من اسماء الأشخاص المعروفين بمحبة الله. وفي نهاية المطاف اتفق الملائكة على أن البار أفرام وحده يستحق تسلم الكتاب حينئذ وضعوه بين يديه. وكانت هذه نهاية الرؤيا.

---

(٢) بخصوص لقائه مع القديس باسيليوس أنظر إلى الملحق.

(٣) من المرجّح أن يكون أسقف نصيبين يعقوب هو الذي رسمه شماسًا.

عندها نهض الرجل صاحب الرؤيا مرتعدًا وتوجه إلى الكنيسة فشاهد البار أفرام يعلّم الشعب بأقواله العسلية ، عندها كشف رؤيته للآخرين . ومنذ تلك الساعة أخذت نعمة الله تفيض على القدّيس إلى حد أن مجاري كثيرة من المعاني كانت تصل إلى لسانه وهو ينقلها إلى الآخرين تعليمًا بسرعة وبسهولة فائقة ، كأن الكلمات مدوّنة أمامه . حتى أن اللسان لم يكن باستطاعته أن ينقل ما يولّده الفكر بمثل هذه السرعة .

● الفضائل الأخرى :

كان البار يتمتع **بعطية الدموع** الخلاصية . يسهر في الليل مستفيدًا من الهدوء ويصلي مانحًا اجفانه القليل من النعاس الذي يكفي فقط لحفظ جسده من الانهيار نتيجة الأتعاب والآلام وافتراش الأرض والتقشفات المتنوعة . كان يتمتع بشكل خاص **بعدم القنية** والفقر الطوعي ولم يسبقه أحد في هذا النوع من الفضيلة . وقد اعترف بنفسه ساعة انتقاله من هذه الحياة قال : « لم يقتنِ افرام لا فضة ولا ذهبًا لا كيسًا ولا عصا ولا أي شيء أرضي آخر سوى رغبته في السماويات وذلك منذ أن سمع كلام الرب في الانجيل لتلاميذه الرسل بألا يقتنوا شيئًا أرضيًا ». وهذا الكلام الثقة جاء على لسانه بالذات . لقد حافظ على كلام الانجيل إلى حد بعيد . واجتهد في التشبه بالسيّد مخلصنا وبتلاميذه .

بلغ حدًّا من **التواضع** والبساطة انه كان يأكل خبزه مع الرماد ويشرب الماء ممزوجًا بدموعه . لم يكتف بطرد الذين كانوا يمدحونه بل كان يعاديهم ، مثله في ذلك مثل من يبغض الذي يستهزئ به أو يضحك منه . وعليك أن تراه كيف يَحمَرّ وجهه خجلًا ويتساقط العرق منه لشدّة تأثّره بالمديح .

لم يمتلك هذا التواضع في حياته فحسب بل في ساعة رحيله من هذه الدنيا أمر بألا يرتل له بعد رقاده أية ترتيلة ، ولم ينظم له مديح ولا يدفن بسبانٍ جديدة ولا يضجع في قبر خاص به بل أن يلفّ بثياب رثّة ويوضع في قبر الغرباء . لأنه

كما قال كان قد تعاهد مع الله بأن يُدفن مع الغرباء كونه غريبًا وراحلًا عن هذه الأرض نظير آبائه .

عُرف البار أيضًا **بضيافته ورحمته للفقراء** . يعطي ما عنده بلا حساب وعندما لم يكن لديه شيء ، وهذا ما يحصل في غالب الأحيان ، كان يعزّي الغرباء والمساكين بأقواله الخلاصية . وبحكمته كان يحث الأغنياء على فتح خزائنهم لإعانة المعوزين . كان باستطاعته تليين كل نفس ، تعزية كل حزين وتهدئة كل غاضب . كانت رؤية وجهه فقط كافية لجلب التخشع إلى القلوب .

● دفاعه عن الإيمان القويم :

أمّا بالنسبة للعقيدة فكان غيورًا جدًا ومناضلًا شجاعًا في سبيل الايمان القويم . وهاكم الحادثة التي ابتكرها من أجل صيانة المؤمنين من الهرطقة .

في تلك الأيام كان أبوليناريوس قد أبدع هرطقات عديدة مشوهًا عقائد الكنيسة القويمة . وفي سبيل ذلك ألّف هذا الأخير كتابين من أجل محاربة المؤمنين في الوقت المناسب . صادف امرأة تؤيده في افكاره وفي ميوله الدينية أيضًا . وسلّم إلى هذه المرأة كتابيه الشهيرين من أجل أن تحافظ عليهما من السرقة . فعلم بذلك الأب أفرام وأخذ يتردد على تلك المرأة متظاهرًا بشركته مع أبوليناريوس في البدعة وجالبًا إليها بركات البرّية وعندما اكتسب ثقتها بهذه الطريقة طلب منها الكتب ليطالعها زاعمًا أنه يريد التدرّب على محاربة الهراطقة . فأخذت المرأة بالحيلة وسلمته الكتابين مع وعد بأن يعيدهما في اليوم التالي .

أخذ البار الكتب وشرع يطالع ، إلّا أن ضيق الوقت دفع لابتداع الوسيلة التالية : ألصق صفحات الكتابين كلّها بعضها بالبعض الآخر ورقة ورقة بواسطة صمغ متين . حتى بات الكتاب قطعة واحدة لا تتجزأ . أمّا الغلاف الخارجي فبدا كما كان من قبل . وهكذا اعادهما إلى المرأة التي ، لجهلها ، وضعتهما جانبًا

دون أن تحاول فتحهما. بعد مرور فترة من الزمن دعا البار الارثوذكسيين لعقد مجمع وفتح نقاشًا مع أبوليناريوس من أجل الوصول إلى الحقيقة. وحضر أبوليناريوس الذي كان قد شاخ جدًا ولم يستطع التكلّم طويلًا. قال بما أنني لا أستطيع المناقشة علنًا فقد دونت أفكاري في كتابين ثمينين من أجل أن يعرضا على مسامعكما في المجمع. هذان الكتابان يعبّران عما يمكن أن أقوله. وحاول أن يفتح الكتاب الأول فلم يفلح لأن الأوراق كانت ملصقة كما ذكر. وتناول الكتاب الثاني ولكن بدون جدوى. فحزن للغاية وخجل من نفسه أمام الحاضرين إلى حد أنه انسحب من المجمع خازيًا. وحيث أنه لم يستطع تحمّل شقائه مرض ومات. وهكذا تخلّص المؤمنون من أفكاره المشوّهة. أما هو فقد نال الجزاء الذي كان يستحقه.

● رقاده:

هذه هي غيرة البار في سبيل العقيدة القويمة، وهكذا كانت نفسه مزينة بالفضائل حتى أنه يستحق بأن يدعى نبع مجارٍ عديدة أو حقلًا مفروشًا بأزهار متنوعة أو سماء أخرى مزروعة بكواكب لامعة أو فردوسًا كعدن لا يذبل أبدًا مليئًا دائمًا بالاشجار المثمرة. ثماره طيبة لا تفسد ولا تعمل فيها الحية الشريرة عدوة خلاصنا.

لنتكلم الآن على رقاده. ولنذكر هنا شيئًا واحدًا كافيًا بأن يبيّن كم كانت نفسه ملأى بالنعمة الإلهية. وإنّ البار كما ذكرنا سابقًا كان قد أمر بأن لا يشيّع بألبسة فاخرة. وقد ردّد ذلك ساعة وفاته. مؤكّدًا أنه إن حدث وهيّأ أحد لباسًا فليعطه لذي حاجة. وبالفعل كان واحد من المقربين قد هيأ له لباسًا براقًا. حزن عند سماع الوصية وخاب أمله. وفكر بألا يهب الثوب كما تفرض الوصية بل أن يعطي الفقراء ما يعادل ثمنه مالًا. وما إن فكر بهذا حتى نال العقاب الواجب. تملّكه الشيطان فسقط أرضًا أمام سرير القدّيس يرتجف ويزبد وكان

منظره رهيبًا . أمّا البار ، وبوحي من الروح ، عرف حالته التي هي ثمرة الخطيئة . فأقامه للحال ووضع يديه على رأسه وبعد أن صلّى أخرج الشيطان وشفاه . لكنه عاد ونبهه بأن يحترم الوصية بحرفيتها .

وبعد هذه المعجزة ختم البار حياته كما أرشد الحاضرين إلى عمل الفضيلة وباركهم ثم أسلم روحه بين يدي الله بسلام . وذلك في السنة ٣٧٣ راقدًا في المساكن الأبدية التي تنتظر أمثاله بيسوع المسيح ربنا الذي يليق له كل مجد وإكرام وسجود مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين . آمين .

لقاء القدّيسين باسيليوس وافرام

عن السنكسار ١ك٢

● **ملحق :**

في ذلك الوقت كان البار أفرام ناسكًا في البرّية . وإذ سمع الكثير عن عجائب القدّيس باسيليوس ، توسّل إلى الله من أجل أن يكشف له وجه ذلك القدّيس . فشاهد عندئذ عمودًا ناريًا منصوبًا حتى السماء وسمع صوتًا يقول أفرام ! أفرام ! كما تشاهد الآن العمود الناري هكذا هو باسيليوس الكبير .

عندئذ وبدون مماطلة اتخذ له مترجمًا يتقن اليونانية والسريانية وذهب برفقته إلى قيصرية كبادوكيا . كان حينئذ عيد الظهور . فدخل الكنيسة ورأى القدّيس باسيليوس لابسًا حلّة برّاقة ، فاخرة وهو يقيم الخدمة الإلهية بدالة كبيرة . فأنزل اللوم على نفسه وقال للمترجم : « لقد تحمّلنا مشقة السفر باطلًا يا أخي ! لأن هذا الإنسان الذي أشاهده هكذا محاطًا بالمجد لا يطابق الصورة التي رأيتها سابقًا » وفي الوقت نفسه علم القدّيس باسيليوس بواسطة الروح القدس بمجيء البار افرام فنادى شماسًا وقال له : اذهب إلى باب الكنيسة الغربي ، ترى راهبين واقفين الواحد بدون لحية طويل القامة نحيلًا والثاني ذا لحية سوداء . قلْ للذي بدون لحية بأن يتقدم إلى الهيكل لأن الأسقف يدعوه .

ذهب الشماس وشق بصعوبة طريقه وسط الجمهور ونقل كلام القدّيس إلى البار افرام . فأجابه هذا الأخير عن طريق المترجم : « حتمًا قد أخطأ سيّدك في التقدير لأنه كيف عرفنا الأسقف ونحن غرباء مجهولون ؟» ولما عاد الشماس

ونقل هذا الكلام لرئيس الكهنة قال له القدّيس باسيليوس : اذهب وقلْ له أيضًا : « سيّدي افرام تعال إلى الهيكل الشريف لأن رئيس الكهنة يدعوك » . فذهب الشماس مرّة ثانية كما أمر وبعد أن قبّل طرف رجليه نقل للبار كلام القدّيس. فأدى له البار افرام عند ذلك مطانية « سجدة » وقال له : « حقًا أن باسيليوس الكبير عمود ناريّ وإني أتوسّل إليه ان يكلّمنا على حدة في الغرفة الداخلية ». وعند نهاية الخدمة الإلهية أرسل القدّيس باسيليوس يطلبه وبعد أن عانقه تبادل معه كلامًا روحيًا إلهيًا وسأل إن كان لديه حاجة مخفية في قلبه ليعبّر عنها صراحةً .

فقال البار افرام عندئذٍ بواسطة المترجم : « اطلب منك خدمةً يا رجل الله . لأنني أعرف جيدًا أنك مهما طلبتَ من الله يستجيب لك أرجوك إذًا أن تطلب منه أن أتكلّم اليونانية لأنني أجهلها تمامًا ». فأجابه القدّيس : « إن حاجتك تفوق قدرتي أيها الأب الوقور ومعلّم البريّة . لكن بما أنك أبديت رغبتك عن إيمان فلنصلّ معًا إلى الله وهو القادر أن يحقق رغبتك . لأنه كما يقول النبي داود : « يستجيب لمشيئة خائفيه ويستمع لطلبتهم ويخلّصهم » . فانتصب الرجلان القدّيسان عندئذ معًا وأخذا يصليان طويلًا وبعدها قال القدّيس باسيليوس بصوت مرتفع « نعمة الروح القدس معك تكلّم اليونانية » فانفتح فم البار افرام وأخذ يتكلّم اللغة اليونانية على غرار باسيليوس والمسيحيين الآخرين ويُقال إن القدّيس باسيليوس رسم بعدها البار افرام كاهنًا والمترجم شماسًا .

على كل حال بقي البار افرام ثلاثة أيام لدى القدّيس وانتفع كثيرًا من تعليمه : وعاد بعدها إلى البريّة شاكرًا الله وممجدًا اياه .

شهادة في القدّيس افرام السرياني

خطاب مدائحي

للقدّيس غريغوريوس النيصصي

● لماذا المديح :

دفعني مثل السراج اليوم لكي أتكلّم ، بعد أن حلّ لساني من رباط الصمت الذي كان يكبله . إنه ينقّي دروب المعاني ويبسطها ، يمهّد الطريق أمام عربة الكلام المزينة لتسرع كما في شارع واسع ذلك عند كرازته : « لا يوقدون سراجًا ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة ليضيء لجميع من في البيت » (متى ٥:١٥) ويتابع المثل باسطًا معناه الأخير : « فليضيء نوركم هكذا قدام الناس ليروا أعمالكم الصالحة » (متى ٥:١٦) .

وهنا أسأل : ألا نخطئ إن أبدينا حياء أو جزعًا تجاه ما يدفعنا إليه الرب مشجّعًا ايانا ؟ فهو الذي أضاء حياة القدّيس كمصباح كليّ الضياء وأبهى من الشمس . إنها الحياة التي سوف أعرضها الآن . فالرب إذًا لا يريد أن نخفيها تحت مكيال الصمت بل يود أن نبرزها على قمة مشرقة لتنير هكذا جميع أولئك الذي يضلّون في هذا العالم ، والذين يعاينون يمجّدون الآب السماوي .

إننا ، وفقًا لما سبق ، سنعصى أمر الله إن احترمنا وصية القدّيس في عدم التحدّث عن سيرته . لا بد أن نبدأ مديحنا من هذه النقطة بالذات مع أن ذكرها سيرد في آخر المقال . ومن ناحية أخرى يدرك كل واحد منا ، حين يميّز الأمور

جيّدًا ، أن هذا المانع لا يحول دون المديح الذي به نتوّج ذاك الذي هرب من كل مجد بشريّ . إنه مانع لا يعيق ، ووصية تدفع جميع المعجبين به أن يتصرفوا عكس ما جاء فيها عوض ان تأسرهم .

وهكذا فإن محاولته تحريم المديح عن طريق الوصية ، تصبح حافزًا لنا للاشادة به ، ذلك أن كل فضيلة من فضائله مدعاة لمديح خاص . فقدّيسنا لم يرد المدح لأن رغبته كانت في أن يكون صالحًا فحسب . إذًا فهو مستوجب للمديح حتى ولو لم يفعل أي شيء آخر .

نحن من جهتنا ننطلق من هذه النقطة بالذات ، ولنا كل القناعة بأننا لا نقوم بعمل لا فائدة منه . فنحن لا نخاطر على درب وعرٍ بل نسلك طريقًا ملوكية[1] لأننا نعتقد أن القدّيس لم يمنع أولئك الذين يودّون مدحه لو لم يُدرك أنه مستحق للمديح . ومن لا يمتلكه العجب في حياته إثر إنجازات كبيرة لا يوصي بأن يُنسى بعد مماته .

ويمكننا أن نضيف إلى ذلك أن بولس الرسول ، كاروز النعمة الإلهية ورفيق الكنيسة العروس ، فم المسيح ، لم يفقد صفته الرسولية حين قال : « لست أهلًا لأن أدعى رسولًا » (١ كور ٩:١٥) بل اكتسب **بتواضعه** هذا مجدًا فائقًا . هكذا حين ارتأى هذا الأب العظيم الذي نتكلّم عنه أنه لا يستحق المديح أظهر بالطريقة نفسها أنه فائق الاستحقاق .

إن تتويج عشّاق الفضيلة قانون في كنيستنا ، لأنهم عايشوها في أشكالها المختلفة ويتقدمهم أولئك الذين ارتقوا إلى المرتفعات الروحية **بالتواضع** وفقًا لكلام الرب : « من اتضع ارتفع » (لوقا ١٨:١٤) . لذا يجب أن لا يُنتقد أولئك الذين يبرزون فضائل القدّيس المتوشح بالله ويعرضون حياته بجلاء كتمثال تذكاري حي .

(١) الطريق الملوكية هي الطريق المعبّدة السالكة .

سوف يُدرك المستمع الحكيم حقيقة هذه الأقوال عندما يتأمل لاحقًا فضائل القدّيس المتنوّعة. وسنعرض الآن هذه الفضائل كإكليل منقوش بالذهب مرصّع بحجارة كريمة متنوعة هدية غالية للكنيسة عروس المسيح. إن الكنيسة تفرح بمثل هذه الهدايا حين تقيم كل سنة ذكرى أبنائها القدّيسين. وكيف لا تفرح الكنيسة الأم الآن وقد حان يوم تكريم القدّيس افرام.

● ماذا نمدح فيه:

سأسير قدمًا في مدح القدّيس. هذا البار الذي تتناقل اسمه شفاه المسيحيين جميعًا هو القدّيس أفرام السرياني. إنني لا أخجل من أصله بل اعتزّ اعتزازًا فائقًا بحياته وسأسبّح القدّيس افرام الذي من خلال سيرته المنيرة وتعليمه شع في الأرض كلها، هو الذي أضحى معروفًا في العالم كلّه والقليلون الذين يجهلونه يجهلون، بالقدر نفسه، القدّيس باسيليوس منارة الكنيسة العظيمة. **القدّيس افرام هو بالحقيقة فرات الكنيسة الروحي** يروي أرجاءها بغزارة ويجعل زرع الإيمان يثمر مئة ضعف. هو كرمة الله الكثيرة الثمر التي تُعطي بفضل تعاليمها عنبًا زكيًا وتفرّح المسيحيين بغنى المحبة الإلهية. هو المدبر الصالح والأمين للنعمة الإلهية الذي يغذّي عبيد الله بأقوال الفضيلة، كل حسب حاجته، ويرشد بمهارة كبيرة عائلة الله الروحية.

نحن بغنى، على ما أعتقد، عن الحديث عن أصله وموطنه ومجد عائلته ومولده وتربيته ونموه ومواهبه الجسدية وإمكانياته وجميع الحسنات التي يسجلها أهل العالم كمنطلق للمديح. لقد تعلّمنا أن لا نمدح الرجال الإلهيين انطلاقًا مما ذكرنا لأننا إنما نمدح انطلاقًا من أشياء صنعها هو بالذات في حياته وتعليمه، هذه الأعمال التي تساهم في تمجيد شخصه. فالمديح اذًا يليق فقط بانجازاتنا الشخصية والجوائز إنما تعود للأعمال الخاصة والطوعية. أمّا بالنسبة للأمور

الأخرى المذكورة فالحكم من خلالها غير منطقي والمديح انطلاقًا منها غير مناسب .

ومن ناحية أخرى كيف يقبل أن يمدح لأصله ذاك الذي ازدرى بتحدره العائلي الشريف ورغب في أن يكون ابنًا لله منشغلًا بالمواضيع السامية ؟ كيف يكرم من أجل موطنه ذاك الذي يعتبر أنه غريب في الأرض كلّها معرضًا عن الأمور المادية كما عن عدوّ طلبًا للغبطة الأبدية ؟ كيف يفرح لمجد عائلته أو أجداده ذاك الذي تغلّب على كل ضعف جسدي ؟ ذاك الذي كان يحمل رداء نفسه (أي جسده) ثقلًا يعيقه في طرق الفضيلة الشاقة ؟ وبصورة عامة كيف يقبل المديح من أجل المنشأ والبيئة ذاك الذي منذ طفولته نشأ على دراسة الكتب المقدسة ؟ هذا كان الذي يرتشف من مياه النعمة التي لا تنضب إلى أن وصل إلى ملء قامة المسيح وفقًا لقول الرسول (أفسس ٤:١٣) .

وإذ نعلم أن أبانا العظيم لن يفرح لمثل هذه المدائح العالمية سنحاول أن نشيد بجهاداته الخاصة قدر المستطاع لأن الكلام لا يستطيع أن يتخطى قدرته التعبيرية . سنتكلم إذًا انطلاقًا من القدرة المحدودة التي نملكها بحيث لا يستوقف الصمت شوقنا من جهة ولا نحيد عن الطريق الملوكية التي سلكها اباؤنا من جهة أخرى .

ماذا نختار من حياة القدّيس لننطلق في مديحنا . نقترح العمل والثوريّا وما يتبعها من فضائل مختلفة : الايمان ، الرجاء ، المحبة ، التقوى ، دراسة الكتب المقدّسة ، طهارة النفس والجسد ، الدموع التي لا تنضب ، حياة البريّة ، التنقل من مكان إلى آخر ، تجنب الأذى ، التعليم المستمر ، الصلاة بلا انقطاع ، الصوم بلا قياس ، الاحسان الفائق الطبيعة ، الغيرة الإلهية أمام محاربي الإيمان القويم وبكلمة جميع السمات الفريدة التي تميّز رجل الله .

بهذه المدائح يتزين بارّنا . إنه يوافقني في كل ما ذكرت ويدرك حسناته جيّدًا . اقوالنا هذه تسرّه لأنها لا تعود بالفائدة عليه بل علينا نحن : لأن ذكر

اسمه يحرّك دافع الفضيلة في النفوس الغيورة . ما أوردناه لن نأخذه عن الآخرين بل نجمعه منه بالذات ومن خلال اقواله ومثلنا في هذا مثل النحلة التي ترشف عبير أزهار كثيرة . نعتقد يقينًا أن كلامنا هذا لا يؤلم قدّيسنا بالكليّة لأنه لم يعد يجزع من شيطان التكبر الرديء الذي تغلّب على الكثيرين حتى في نهاية مطاف جهاداتهم . وهو الآن قد أدرك شواطئ الأبدية الأمينة بعيدًا عن دوامة الحياة الحاضرة وعواصفها . لنبدأ الكلام إذا عن كل إنجازات القدّيس التي وردت سابقًا . وسنبيّن من خلال ما ذكرنا كم يستحق الإعجاب وكذلك إلى أي علو روحي ارتقى .

الفضائل الكبرى :

كان البار افرام **قويم الإيمان** . لا يخطئ أبدًا في أمور العقيدة ، كما نستنتج من كتاباته ومن رأي الكنيسة فيه . كان يرفض على حدّ سواء وبالطريقة نفسها كلًّا من بلبلة سباليوس[١] الحمقاء ومن هرطقة آريوس المتطرّفة بشأن الألوهة . فقد وقف ثابتًا إلى جانب العقائد القويمة مميزًا الأقانيم بحسب العدد وموحدًا إياها بحسب الجوهر في ثالوث واحد كليّ القداسة وغير مختلط .

هكذا فإنه لم يكن يشارك لا دينونة اليهود في نقصان الألوهة ولا هوسَ الوثنيين في كثرة الالوهة . لم يعانِ من مرض هؤلاء الذين يشوّهون عقيدة الثالوث غير المدرك .

لقد حارب أيضًا عقيدة ابوليناريوس[٢] الحمقاء إلى حدّ استئصالها من نفس كل مسيحي . وكذلك سدّ أفواه الأنوميّين[٣] اللامتساوي الجوهر ، بحجج

(١) كان يعتقد ان الآب والابن والروح القدس ما هي إلا ظاهر لإله واحد . هو من ليبيا .
(٢) كان يعلّم أن الرب يسوع كان إلهًا تامًا لا انسانًا تامًا . هو من لاذقية سوريا .
(٣) كانوا يعتقدون أن الابن غير متساوٍ في الجوهر مع الآب . هم آريوسيّون متطرّفون .

عديدة وشواهد كتابية. وهكذا ترك لنا أقوال تعاليمه الإلهية كمرشد غال وأكيد. إن أراد أحدٌ أن يتعرّف على هزيمة نوفاتو[٤] القاضية، فلينظر إلى أي حال انتهى إليه عراكه مع القدّيس أفرام. سوف يدرك من خلال هذا الصراع، أن قدرة معلّمنا الكبيرة في الحجج تشبه قوّة الملاكم الشجاع الذي يصارع صَبيًّا هزيلًا مائعًا. وقدّيسنا لم يتصدّ بالايمان القويم لزؤان الهراطقة الذي زرعه الشيطان الشرير في ذلك العصر أو في العصور السابقة فحسب بل تصدّى لما يمكن أن يبذره الشيطان الشرير من هرطقات لاحقة بفضل رؤياه النبوية. كل ذلك يظهر في كتاباته النثرية والشعرية كلها. هكذا فإنّ ابن الحقيقة لم يضل قط عن الحقيقة.

كان الله رجاءه الوحيد الذي منه تفيض الهبات الصالحة المرجوّة للمستحقين. لقد اعتاد أن يردد الآية المزمورية التي شغلت حياته قولًا وفعلًا: «عليه اتكل قلبي فنُصرت» (مزمور ٢٧:٧)، «أما المتوكل على الرب فالرحمة تحيط به» (مزمور ٣٢:١٠). ثقته غير المتزعزعة بالله جعلته شبيهًا بجبل صهيون. من هنا فإنّ قدّيسنا يستحق التطويب حسب تعليم الأقوال النبويّة: «طوبى للرجل المتكل على الرب» (مزمور ٣٩:٥) وارميا يقول: «مبارك الرجل الذي يتكل على الرب ويكون الرب رجاءه. فيكون كالعود المغروس على المياه الذي يلقي جذوره في الرطوبة» (ارميا ١٧:٧-٨). ويضيف أشعيا: «الرب ملكنا، الرب منقذنا وهو الذي يخلصنا» (اش ٣٣:٢٢). «هوذا الله مخلصي فأثق به ولا أفزع» (اش ١٢:٢). وبولس الرسول يشجعنا بقوله: «لنتمسك بوعد الرجاء لأن الذي وعد أمين» (عب ١٠:٢٣) كان البار يغتذي من رجاء السماء الإلهي هذا ويزدري بالخيرات العالمية كلّها متطلّعًا باشتياق عميق إلى المجد الأبدي.

(٤) كانوا يعتقدون أنهم وحدهم أنقياء طاهرون في الأخلاق والإيمان.

لقد نمّى المتوشح بالله بجدّية **محبّته لله والقريب** فقبل أن يغادر العالم قال الكلمات التالية التي أذكرها ، هذه الكلمات التي تعطي البرهان الأفضل على محبته : « في حياتي كلها لم أهن الله ، لم يصدر عن شفتي كلام طائش لم أسيء مطلقًا لأي من المؤمنين كما إني لم أتشاجر قط مع أي منهم » يا له من لسان مغبوط ! لقد تجرأت أن تتكلم على هذا النحو الذي يليق فقط بسيرة الملائكة ، بحياة سلامية منزهة عن المادة . أمّا بالنسبة لنا نحن الحاملين الثقل الجسدي . فتبدو أقوالك غريبة ، فائقة الطبيعة ، صعبة التحقيق . إن اجتهد أي منّا في تحرّي حياة المجاهدين ابتغاء للفضيلة لن يجد مثل هذا النموذج في المحبة الصافية العادمة العيب التي ارتقى إليها قدّيسنا(٥) . وبما أن المحبة هي أعظم الفضائل فإن القدّيس افرام المغبوط قد اكتسبها أكثر من أي شخص آخر . وحيث أن كل واحد منا سيُجازى على أعماله فإننا ننتهي منطقيًا إلى ما يمكن للآخرين استنتاجه حتى لا ندخل في المقارنة بين الآباء . إن غاية ما نرمي إليه ليست المقارنة بل من أجل أن يدرك الكثيرون إلى اية درجة من سلم الفضائل وصل قدّيسنا أو بالأحرى معلم المسكونة بأسرها .

عندما حاول اكتساب الحكمة الحقيقية ربح معها التقوى وفقًا لقول أيّوب : « إن خشية الربّ هي الحكمة » (أيوب ٢٨:٢٨) . هكذا فإنه من خلال حياة التُقى صعد مثل بولس إلى السماء الثالثة وأُهل لأن يكتسب في الكنيسة ذكرًا لا يزول ومجدًا أبديًا .

اشتعل فيه لهيب **دراسة الكتاب المقدّس** بمصباح داود الذي يقول : « في تأملي اشتعلت نارًا » (مزمور ٣٨:٤) وأخذه العشق الإلهي في سبيل الرؤى الإلهية . بشوقه للدراسة والتأمل ارتفع كلهيب سماوي . لقد طالع العهد القديم والعهد الجديد ونفذ إلى المعاني الإلهية أكثر من أي شخص آخر .

---

(٥) لقد أبدع البار في الأوقات الحرجة ، فعندما ضرب الجوع مدينة إيدسا رتّب مستشفى بثلاث مئة سرير لمعاينة المصابين .

شرح بدقة الكتاب كلّه من سفر التكوين حتى آخر سفر من عهد النعمة ونقل إلى النور أعماق الحقائق الإلهية غير المدركة متخذًا الروح القدس مرشدًا منيرًا. لكنه لم يرتشف فقط من الكأس الروحي بكامله، كأس الحكمة التي روى بها الآخرين، بل اقتبل في الوقت نفسه ما كان مفيدًا من كتابات الحكمة العالمية. إن قدّيسنا طالع التراث الأدبي واطلع على أبعاد معانيه وكان يطرح جانبًا ما كان غير نافع ويزين كل شيء بدقة نظريًا كان أم عمليًا ومثله في ذلك مثل التاجر الحاذق.

لقد توصل إلى اكتساب **طهارة نفسية وجسدية** إلى حد فائق لا يمكن للطبيعة البشرية أن تصل إليه، إنه على الأرجح قد تجاوز الطبيعة البشرية لأن مثل هذه الطهارة ليست من انجاز البشر بل هي هبة النعمة الإلهية. لم يسمح لنفسه أن تميل عن سيادة الأفكار القويمة الصافية. كان كملك روحي يتحكّم بقواه النفسية ويشع ببهاء كلي بحضوره الجسدي. هذا ما تبين لنا من تحوّل تلك المرأة الخاطئة التي كان الشرير يستخدمها كسمّ للخطيئة ولخداع القدّيس المستنير بالله. لقد فشل الشرير في مبتغاه فشلًا ذريعًا حيث أن المرأة نفسها انقلبت عليه. فإرشادات القدّيس وتوصياته مع قدرة كلامه الإلهي جعلتها تنقلب رأسًا على عقب وتقوّم حياتها وتصير عفيفة طاهرة نقية بعد أن كانت عاهرة، دنسة وفاسدة[٦].

● فيض من النعم:

الدموع: تكتنفني الدموع عندما أريد التكلّم عن مجرى دموعه غير المنقطع. لا يستطيع أحد من المتكلمين أن يجتاز بحر دموعه دون أن

---

(٦) تظاهر البار بأنه قد استجاب لتملّقات المرأة. فدعاها إلى وسط المدينة. فقالت: «هناك أخجل من الناس». فأجابها: «أرى أنك تخجلين من الناس أيّتها الشقية! فلماذا لا تخجلين من الله؟» وهكذا بنصائحه جذبها إلى الإحساس بالتوبة.

يدمع . كما يبدو للناس طبيعيًا أن يتنفسوا وبصورة مستمرة كذلك هو الحال مع البار افرام فدموعه لا تنقطع . لا يوجد نهار ، ليل ، نصف ليل ، ساعة أو حتى لحظة تجف فيها عينه الساهرة . كان يبكي بصورة مستمرة لخطايا الناس أجمعين تارة وطورًا لخطاياه . وكانت مجاري دموعه تنهمر متدفقة مع تنهدات نفسه . أو بالأحرى كان تسارع دموعه يجرّ التنهدات . كانت دموعه تولّد التنهدات وتنهداته تجلب الدموع . أمّا السبب فقليل من الناس يعرفه . لم يفصل الزمن بينهما لأن الدموع كانت تتبع التنهدات والتنهدات تتبع الدموع وكل هذا شكّل حلقة لا نتبين فيها بداية ولا سببًا لكلّ من أجزائها .

أمّا الذي يغتذي من كتاباته فيميّز كل ذلك تمامًا . سيرى القدّيس يبكي ليس فقط حين يتحدث عن التوبة والسيرة الفاضلة بل حين يقرأ الخطب المدائحية التي اعتاد أكثر الخطباء أن يعبّروا فيها عن فرح زائد . فقدّيسنا يبدو أينما وجد فائضًا بالدموع والتنهدات . أمّا هبة التخشع فكانت تُغنيه بصورة مستمرة ، لذلك كان حتى اليوم ولم يزل يحث الذين يسمعون كلامه على العودة إلى الحياة القويمة .

من هو ذاك الإنسان المتصلّب والقاسي القلب الذي يسمع كلامه ولا يلين ولا يحزن لخطاياه تاركًا قساوة طبعه ؟ أم اية نفس بربرية أو أي شخص وحشي التصرف يسمع تعليمه المفيد للنفس ولا يصير للتوّ صالحًا ، وديعًا وفاضلًا ؟ منْ منَ الذين ينشدون فرح الملذات المادية تاركين الدموع جانبًا إذا أنصت لكلامه لا يحزن ويبكي متذكّرًا الجزاء الآتي ؟ إنهم « يذيبون الحجر » هكذا يقول المثل الشعبي في الذين ينجزون أعمالًا خارقة . وقد يُبيّن من الخبرة أن ما كان مستحيلًا تحقق فعلًا . ذلك أن افرام الإلهي كان باستطاعته تليين النفوس القاسية غير المطواعة صونًا لها من الخطيئة وطاعة لناموس الله .

من ذا الذي يقرأ حديثه **عن التواضع** ولا يبغض الانانية في الحال ؟ ومن ذا الذي يتأمل في كلماته **عن المحبة** ولا يسرع معرّضًا نفسه للخطر في سبيل المحبة

أيضًا ؟ ومن ذا الذي يقرأ أقواله **في البتولية** ولا يجدها في سبيل المثول أمام الله طاهرًا نفسًا وجسدًا ؟ ومن ذا الذي يطالع حديثه **عن الدينونة الآتية** أي مجيء المسيح الثاني لا يرى نفسه منذ الآن أمام ذلك المنبر منتظرًا ، برعدة ، قرار الحاكم الأخير ؟.

هكذا فإن قدّيسنا المشهور والنبي الفائق ، يصور محكمة الله العتيدة بشكل لا يترك فيه أمرًا مجهولًا فلا يبقى لنا إلّا أن نرى تحقيقه .

● في إيدسا وقيصريّة :

كانت رؤى الدينونة الآتية تهزّ دومًا أعماق القدّيس المغبوط . لذلك نراه يهرب من العالم ومن المسائل العالمية مترنمًا مع المزمور : « ها أنذا أبتعد هاربًا وآوي إلى البريّة » (مز ٥٤ :٨) . كان يوجّه اهتمامه فقط لنفسه ولله ، وهكذا يتقدم في اكتساب الفضائل . كان يعلم يقينًا أن حياة البريّة تحرر الراغب فيها من صخب العالم الباطل ، تجعله « كليم الملائكة » عن طريق السكينة وترفع ذهنه باستمرار إلى الرؤى الإلهية .

ومع هذا لم يُظهر أية مقاومة أو عصيان عندما كان الروح القدس يرسله من مكان إلى آخر لمنفعة الكثيرين . كان طائعًا لأوامر الله بصورة قاطعة أرشدته الوصية الإلهية ، كما حصل مع ابراهيم ، فغادر وطنه(٧) وجاء إلى إيديسا(٨) لقد قادته إرادة الله إلى إيديسا لأنه لا يصلح أن تختفي مثل هذه الشمس وقتًا طويلًا تحت الأرض دون أن تنير الآخرين . جاء البار إلى المدينة لغرضين أولهما السجود لمقدساتها وثانيهما للقاء أي رجل حكيم يأخذ منه أو يعطيه ثمارًا روحية .

---

(٧) وطنه نصيبين يبدو أن القديس غادرها عند سقوط المدينة في أيدي الفرس .

(٨) كانت إيدسا مدينة مهمة ومركزًا اداريًا وثقافيًا . أمضى فيها القديس آخر سني حياته ٣٦٣-٣٧٣. وساهم بلمعان في مدرستها اللاهوتية الشهيرة . إسم المدينة اليوم « أورفا » .

على هذا الرجاء، كما يروي، وصل إلى المدينة ودخلها. لكنه عوض أن يصادف إنسانًا روحيًا كما كان يرغب، التقى بامرأة خاطئة فامتلكه حزن عميق لهذه الصدفة غير المتوقعة. أمّا هذه الأخيرة فما ان رأته حتى أخذت تتبعه بثبات. فقال لها الحكيم عندئذ: «قولي لي يا امرأة لماذا تنظرين إليّ هكذا»؟ فأجابت: «ان أنظر إليك أمرٌ طبيعي فالمرأة جُبلت من الرجل. أمّا أنت فعليك أن تنظر إلى تراب الأرض الذي منه جُبلتَ». عند سماع الحكيم لهذه الأقوال غير المتوقعة، أخذه العجب واعترف بانه استفاد جدًا. فحصد عندئذ قدرة الله غير المدركة التي تمنحنا ما ننتظره حتى في الاشياء التي لا رجاء لنا فيها.

غادر إيدسا وجاء إلى قيصرية كبادوكية بإرشاد من الروح القدس. هناك التقى بالقدّيس باسيليوس الكبير فم الكنيسة وعندليب العقائد الإلهية الذهبي. وشرع يمدحه لأنه بواسطة عين نفسه الرؤيوية الثاقبة شاهد حمامةً قائمة على كتف القدّيس باسيليوس الأيمن تملي عليه الأقوال التعليمية وهو بدوره ينقلها إلى الشعب. هذه الحمامة الإلهية نفسها كشفت للقدّيس باسيليوس عن وصول البار افرام فالتقى به وعرفه فأُهّلا معًا للتنعم باللقاء الذي تمّ بينهما. وهكذا لم يكن سفر البار الشاق إلى قيصرية دون جدوى.

● موهبة التعليم

كانت طهارة حياته الجسدية تساعده على تجنب الأمور المؤذية وتعلّمه كيف يميز الخير ويُحفظ من الشر. كيف يتقبل الأفكار الحقّة الصافية والنافعة لاختيار الخير والملائمة للتعليم خاصة. وحيث أن الله قد أعطاه وزنة التعليم بصورة سخية كان يشعر بواجب نشره على مائدة قلوب الآخرين.

ويكشف عن ذلك بنفسه فيقول إنه ما إن اجتاز طراوة الطفولة حتى شاهد في رؤيا خفية كرمة كثيرة الثمر تنبت من لسانه وكبرت الكرمة إلى حدّ ملأت

فيه الأرض . وكانت طيور السماء كلّها تأتي كي تغتذي منها وتشبع وبينما كان الجميع يأكلون منها كانت تمتلئ بالعنب أكثر فأكثر .

ومما يثبت أن هذه الرؤيا تنطبق على البار شهادة أحد الآباء الرائين حين قال إنه شاهد جمهرة من الملائكة تنزل من السماء وتحمل بيديها كتابًا مدوّنًا من الداخل والخارج والملائكة المنتمون إلى تلك الطغمة الإلهية كانوا يقولون فيما بينهم : « منْ يا ترى أهل ليحمل بيديه هذا الكتاب ؟» . بعضهم قالوا بأن واحدًا من القدّيسين المعروفين آنذاك هو المستحق أمّا البعض الآخر فسمّى شخصًا آخر . لكن بعد الفحص والتدقيق أجمع الملائكة على القول التالي : « جميع الذين ذُكروا قدّيسون وعبيد لله . لكنهم لا يستحقون تسلّم هذا الكتاب » وبعد أن أتي على ذكر الكثير من القدّيسين دون أن يجدوا فيهم الأهلية المطلوبة ، اتفقوا أخيرًا ، على القول : « **إن أفرام وحده يستيطع تسلّم هذا الكتاب** » .

ويروى عن الذي شاهد الملائكة الإلهيين ما يلي : « في ليلة الرؤيا استيقظ وجاء إلى الكنيسة فسمع هناك البار أفرام يعظ ويعلّم بأقوال غزيرة ملأى بالنعمة . فتأمل عند ذلك بالرؤيا التي شاهدها قبلًا ومجّد الله وهو معجب بهذه الهبة الاستثنائية الممنوحة للقدّيس عبر الكلام » .

لقد وُهب البار حكمة غنية إلى حد أن فمه كان يشبه نبعًا لا ينضب وفي مجرى افكاره لم تكن صعوبة اللغة هي التي تحدّ من تدفّق النبع بل كثافة الصور المرئية . كان بمقدور لسانه نقل أفكار شخص آخر لكنه لم يستطع أن ينقل تأملاته السماوية الخاصة . لذلك وكما يقال كان يتوسل إلى الله لأن يمسك عنه عطية الأفكار الغزيرة والمختارة . وذلك حين قال : « **هدّئ عني يا رب أمواج نعمتك** » . قدّم هذه الصلاة المتناقضة لأن لسانه كان يحوي بحرًا شاسعًا من التعليم لا يمكنه التعبير عن أمواجه المتراكمة . لم تكن أوتاره الصوتية قادرة على تلبيته حتى ولو عملت بقوة فائقة . ما من شيء كان يوقف كرازته سوى

الصلاة . هذه الأخيرة كان يقطعها الوعظ كما تقطع الدموع صلاته . وهكذا يبدو لنا أن كلمات البار المشغولة بأمور الله تنتمي إلى « الكلمة » أو قل بالأحرى إن الكلمة هو الذي كان يرشدها .

● الجهادات الكبرى :

لقد أمات شهوات الجسد وملذاته وأخضعه لسيادة الفكر عن **طريق الإمساك** وضبطه عن **طريق الصوم** فأضحى ميتًا بالنسبة للأمور غير المرغوب فيها ، نشيطًا بالنسبة لما ينفع النفس ويخلّصها . الليالي أيضًا مع ضلالة أحلامها لم توقف سيره نحو الفضيلة . كانت الليالي والنهارات **تمرّ وهو ساهر** لأنه كان يحرص دومًا على أن لا يقبض عليه سيّد الظلام في النوم . كان ينام قليلًا بقدر يكفيه للاستمرار في الحياة ولا تنهار معه قواه الطبيعية حتى لا يدفع بنفسه إلى الموت . كان يتغلب على النوم ويطرده من أجفانه بوسائل عدّة منها افتراش الأرض والقساوة وكل أنواع التقشف الجسدي . وبهذه الطريقة كان يُقصي عنه شهوة النوم بسهولة .

لقد اكتسب فضيلة **عدم القنية (الفقر)** إلى حدّ أنه شابه الرسل الإلهيين ولا يخطئ ابدًا من يدعوه نموذجًا لعدم القنية . ولنا شهادة على ذلك صوته المغبوط والعذب الذي بقي لنا مرشدًا لعدم القنية . قال القدّيس حين اقتربت ساعة رحيله إلى السماء : « لم تكن لأفرام محفظة ولا عصا ولا كيس على الاطلاق . ولم أمتلك طيلة حياتي فضة أو ذهبًا أو أي شيء آخر ، ذلك أنني سمعتُ الملك السماوي يقول لتلاميذه أن لا يقتنوا شيئًا على الأرض . لذلك لم أرغب بأي شيء . كان يزدري بالمجد والمال ويرغب فقط بالعلويّات ، فظهر هكذا أهلًا لمرتبة الرسل » .

أيلزمنا براهين **على تواضعه** ومواعظُه كلها وكتاباته تكرز بهذه الفضيلة التي مارسها بنفسه بصورة فائقة . ومن ناحية أخرى كيف يمكنه أن يطأ بقدميه صخرة التكبر أو التعالي وهو الذي كان يلتمس الدموع بالدموع ؟ هذا الذي بأكله الخشن والعديم الطعم كان بمقدوره أن يردّد مع المزمور : « لقد أكلت الرماد مثل

الخبز ومزجت شرابي بدموعي » (مزمور ١٠١:١٠). **لقد كان القدّيس يبتعد عن كل مجد بشري.**

كان البار افرام عند سماعه لكلمات المديح يتألم وتتغيّر سحنته وينحني إلى الأرض ويتصبب العرق منه ويصمت صمتًا رهيبًا وكان الحياء يقطع لسانه حتى أنه عندما دنا وقت مغادرته العالم للانتقال إلى الحياة الأبدية حرّم مديحه بعد موته تحريمًا كلّيًا. قال في وصية تركها: « لا ترنموا لافرام ترانيم الجناز ولا تمدحوه ولا تدفنوه بسبان فاخرة ولا تحفروا لجسده قبرًا خاصًا لأنني اتفقت مع الله أن استريح في قبر الغرباء ». « **غريبٌ أنا** ونزيلٌ في الأرض كجميع آبائي » (مزمور ١٣:٣٨). ولنا في حياته شواهد عدة على هذه الفضيلة وغيرها من الفضائل.

إن الواقع يبرزه معلمًا **للإحسان** ومشاركًا للآخرين في آلامهم. لم يكن باستطاعته أن يقدم شيئًا للفقراء لأنه لم يملك أي شيء، ولكنه مارس الإحسان حين أوعز للآخرين بممارسة هذه الفضيلة وحثهم دائمًا عليها. كلامه بحد ذاته كان مفتاحًا إلهيًا يفتح بواسطته خزائن الأغنياء ليعطي للفقراء حاجاتهم. ومجرّد رؤيته بشكله الملائكي وبساطته وعذوبته وصلاحه يشكل دافعًا يخلق عند قساة القلوب شعورًا بالرحمة ومشاركة الآخرين آلامهم.

● محاربة الهراطقة:

ربما اعتقد أحد عند سماعه عن هذه الانجازات العديدة أن البار لم يتعمّق في العقائد اللاهوتية لأنه ربما قال في نفسه: متى يجد قدّيسنا الفرصة المؤاتية للتعمّق في العقائد وهو منكب على ممارسة هذه الكثرة من الفضائل؟ لكن رجل الله لم يكن ليدرس العقيدة دراسة مجرّدة وسطحية ولم يكتف بإحدى المعارف المؤهلة للتعليم والإرشاد، لكنه عكف على دراسة عقائد الكنيسة مع تعاليم الهراطقة بصورة منتظمة وشاملة. وقد تناقلت الشفاه هذا الحدث الذي وصل إلينا وفيه يظهر كم كان غيورًا في البحث عن الحقيقة.

إن أبوليناريوس الهزيل العقل أو بالأحرى عديمه الذي أدخل بدعًا مختلفة ابتدع أيضًا تعليمًا كافرًا ودوّنه في كتابين. ولضمانة أكثر سلّمه إلى إمرأة كانت، وكما يشاع عنها، تستجيب لرغباته الدنيئة. لما علم القدّيس افرام بوجود هذه الكتب، تظاهر بالهرطقة عن حكمة. جاء إلى المرأة التي كانت تحفظ تلك الكتب فوهم ايّاها انه ينقل إليها بركات من البرّية وربما لجأ إلى وسائل أخرى. وبعدها طلب منها الاطلاع على كتابات المعلم للافادة كما ادعى وذلك من أجل مواجهة الهراطقة أي الأرثوذكسيين. هذه المرأة انطلت عليها الحيلة وظنت أنه من اتباع أبوليناريوس. أعطته الكتب مع وعد بإعادتها بسرعة. عندها وعلى مثال يعقوب الذي خدع الجاحد عيسو، عرف قدّيسنا العظيم بواكير أفكار أبوليناريوس الشريرة وظفر بكثير من الحكمة. إليكم ما فعل: ألصق الكتب بعضها بالبعض الآخر ورقة ورقة داهنًا إياها بالصُمْغ فأضحى الكتاب قطعة واحدة لا تتجزّأ وبعد أن أتمّ العملية أعاد الكتابين إلى المرأة. وهذه الأخيرة لجهلها وجدت الشكل الخارجي سليمًا فلم تبحث عما كان في الداخل.

بعد ايام قليلة استدعى القدّيس افرام بعض المؤمنين الارثوذكسيين لعقد نقاش عام مع أبوليناريوس الجاحد. فلبى هذا الأخير الدعوة واثقًا بما يحوي الكتابان. جاء في الموعد المقرر لكنه رفض أن يتكلم بنفسه لأن العجز كان قد أدركه. فاقترح أن يؤتى بكتبه للردّ على الآخرين مقاوميه. عندها جاء المؤيدون وهم فخورون بها وحاول الجاحد فتحها ولكن دون جدوى وذلك بسبب اللصاق القوي فتغيرت عند ذلك ملامح وجهه من شدة الخجل والحياء واهتز كيانه لما حصل وانسحب كيفيًا من المجلس. وبعد هذه الحادثة المخجلة وقع في ألم وحزن جعلاه يمرض ويشرف على الموت.

هكذا كانت غيرة الأب المعلم افرام في سبيل الإيمان القويم. كان يظهر الوداعة واللين عندما كانت الأمور بسيطة لا تحتاج إلى مواجهة ولكن عندما يحدق الخطر بالإيمان كانت تظهر عليه علامات القسوة والشدة. كانت حكمته تملي عليه تصرفه

وفقًا للظروف . هذه الغيرة الإلهية لم تكن بأقل من أصوامه ودموعه وصلواته المستمرّة بل على العكس من ذلك فقد فاقتها في أحايين كثيرة . ذلك أن الجهادات المذكورة تضمن الفائدة لممارسيها أمّا الغيرة في الدفاع عن الإيمان فكانت ضرورة لمنفعة الكثيرين . الصياد الماهر يُعرف في صراعه مع الوحوش وقائد السفينة القدير في تحدّيه الرياح المقاومة والطبيب الناجح في مواجهته الأمراض الصعبة والجندي الشجاع في تصدّيه لهجمات العدوّ ، أمّا الغيور على الإيمان فيُعْرف جيّدًا في محاولته تخليص نفسه والآخرين من تهديد الهراطقة .

● على خطى آباء العهد القديم الكبار :

لم توجد فضيلة مارسها الأقدمون لم يكتسبها القدّيس افرام . كانت نفسه تشبه نبعًا تتدفق منه مياه من كل نوع كلّها منفعة وحلاوة ومتعة . كما أنها تشبه حقلًا مزهرًا تفوح من أزهاره الألفين رائحة زكية . إنها تشبه سماء على الأرض مزينة بنجوم مختلفة وفردوسًا كأنه فردوسُ عدن مفروشًا بأشجار كثيرة العدد جميلة ومثمرة ، فردوسًا لا تستطيع أن تستوطن فيه الحيّة الشريرة بسبب غربة الإنسان . كانت نفسه المغبوطة تشبه أيضًا كل ما هو جميل وممتع تزيّنت به الطبيعة بسخاء . ذلك أن أبانا كانت تفيض عنه الفضائل . لقد قضى هذا الرجل العجيب حياته كلها في اكتساب الفضائل .

كاهن[٩] اقتدى بذبيحة هبيل البار الأول ، هذه الذبيحة المرضية لله لكنه لم يقدم للرب ذبائح حيوانية مع شحوم حيّة بل ذبيحة غير دموية . إنها العبادة الناطقة[١٠] المشتعلة بلهيب حياته الظاهرة . لقد فاز في اتباع البار هبيل إلى حدّ انه

(٩) كان القديس معروفًا كشماس كنيسة إيدسا لكن يبدو أنه اضطر في أواخر حياته أن يصير كاهنًا ويشهد لذلك كل من أمفلوخيوس أيقونية والمرنم كبريانوس الراهب . أمّا المؤرّخ سوزومينوس فهو يشهد عن شموسيته .

(١٠) أي القداس الإلهي .

لم يدع الشرير يميته بل خلص ظافرًا من مكائده البغيضة للإنسان واجتاز الخطر فوصل إلى الحياة الأبدية على مثال هبيل.

دفعته الغيرة للاقتداء **بأخنوخ** في رجاء الله. لذلك لم يتجه بنفسه فقط نحو الله بل حث الكثيرين على الاتكال عليه معه. لم يبتغِ انتقالًا غريبًا من الأرض إلى السماء على مثال أخنوخ بل ارتقى إلى المرتفعات الروحية عن طريق الانسلاخ عن الماديات. لم يقتد **بنوح** في انقاذ البعض من ابناء جنسه في السفينة الخشبية، بل حاول أن يصون نفسه من كل الجوانب كي تعبر بحر هذا العمر الهائج دون أذيّة ودون أن تفقد حمل الفضائل.

تشبه **بابراهيم*** في الكثير من الأمور، في الايمان والوداعة وفي محبّته لله وفي هربه من العالم الذي جعله يتخلّى عن وطنه ومحبة أقربائه. قدم القدّيس جسده الخاص ذبيحة لله طوعية ومقبولة وذلك بإماتته كل شهوة جسدية. كان يُذبح **كاسحق*** طوعًا وبسلام دون تدخل من أبيه. إن البار كان يُضحّي بنفسه ذبيحة لله كل يوم كما فعل الرسل. وجسده كان المحرقة. أمّا نفسه فكانت حيّة وبالقرب من الله كما هي الآن. كل ذلك بفضل ضحية جسده الطاهرة التي تذكرنا بكبش ذبيحة اسحق.

تشبه **بيعقوب*** لأنه ظفر بالجاحد عيسو الذي يمثل مبتدعي الهرطقات واتخذ من عقائد الكنيسة السليمة أساسًا. لم يعاين سلّمًا ممدودة من الأرض إلى السماء بل عمودًا ناريًا يصل إلى السماء ويكشفُ له عمق الأسرار الإلهية. وتشبه أيضًا بيعقوب في توزيعه البركات على تلاميذه كما فعل هذا الأخير مع أولاده الأثني عشر ساعة وفاته. تشبه **بيوسف*** كثيرًا في طهارة جسده وفي نقله الكلمة الإلهية تمامًا كما فعل هذا الأخير في توزيعه القمح المصري.

كان على مثال **موسى*** في كل شيء بل فاقه لأنه هرب هو أيضًا من فرعون العقلي أي الشرير، **عاش في البرية وعاين الله** عن طريق الرؤيا السرّية. صنع

العجائب وقاد شعبه كمعلّم حكيم . دحر المصريين أي الهرطقة المرّة المنبوذة فاجتاز المؤمنون بأمان . غرّق جنود فرعون أي نظريات الهراطقة الملحدين . هزم العماليق . أخذ من الله شرعة الارثوذكسية وسلّمها لنا جميعًا . لم يعاين كموسى أيقونة خيمة الشهادة بل صورة الدينونة والمجازاة الرهيبة . أرشد الكاهن إلى الكمال فشرّع في الكهنوت . «أخرج مياهًا من الصخرة» حين جعل قلوبًا متحجرة تذرف دموع التخشع . كان يغتذي من المنّ السماوي مقدّمًا للجميع كلام محبّة تشدد كل نفس وتطلقها نحو الله وخبزًا سرّيًا ينزل من لدن الله لخلاصنا . كما أنه اغتذى من السلوى معلّمًا ايانا أن نرتقي إلى السماوات بذكر الله حتى نعاين المجد الإلهي .

وكجميع الآباء القدامى حقّق القدّيس انجازات ظافرة . فكما شق **يشوع بن نون*** مياه الأردن كذلك فعل القدّيس حين جعل الأغنياء يبسطون اليد في عمل الإحسان . لم يعطِ للشعب أرض الميعاد ميراثًا بل ملكوت السموات العلوي . وعلى مثال صموئيل كرّس نفسه لله منذ الصغر وأصغى للصوت الإلهي **وكإيليا*** أخزى كهنة الأوثان المعادية وأنزل النار غير الهيولية مرات لا تحصى على المائدة المقدّسة . لم يرتفع بخفة كإيليا في عربة الفضائل النارية بل أضحى فارسًا سماويًا . مثل **أليشع** أغنى نفسه بنعمة الروح القدس المضاعفة . وعلى مثال سائر الأنبياء أُهّل مرات عديدة **لمعاينة الله** .

وإن تجرأنا في الكلام جعلناه أيضًا إلى جانب «أعظم المولودين من النساء» و«وسيط عهد الناموس والنعمة» لأنه على مثال **يوحنا المعمدان** عاش في البرية . تقبل هو أيضًا وصيّة الله فأصبح كارزًا بالتوبة وحث الناس على الاعتراف بخطاياهم . صبر على كثير من التجارب المختلفة كما فعل **بولس الرسول** «الاناء المختار» ولم يتهامل في زرع بذار التوبة كبولس زارع بذار الإيمان .

لماذا يا ترى نلجأ للمقارنة مع الآباء وأعمال القدّيس تنتشر إلى الآن في

المسكونة كلّها ؟ لا جدوى من كثرة الكلام عندما تظهر الأعمال . الاستعانة بفن الكلام تضعف من زينة الفضائل لأنها تظهرها غير قادرة على الشهادة عن طريق الأعمال .

* المراجع الكتابية :

- ذبيحة هبيل : تكوين ٤:٤.

- إيمان اخنوخ : تكوين ٢٤:٥ وعبرانيين ٥:١١.

- قصة نوح : تكوين ٨/٧/٦.

- قصة ابراهيم : تكوين ١٢ حتى ٢٣.

- ذبيحة اسحق : تكوين ٢٢.

- يعقوب ينتشل بركة أبيه تكوين ٢٧.

- قصة يوسف : تكوين ٤٣/٤٢/٣٩/٣٧ حتى ٤٧.

- قصة موسى :

* معاينة الله : في العليقة خروج ٣/ على الجبل خروج ٢٤/ وجهًا لوجه خر ٣٣.

* غرق المصريين واجتياز اسرائيل خروج ١٤.

* المن والسلوى خروج ١٦.

* اخراج ماء من الصخرة ومحاربة عماليق خروج ١٧.

- عبور الأردن بقيادة سفر يشوع[٣].

- قصّة إيليا :

* مقتل أنبياء البعل ٣ ملوك ١٨.

* معاينة الله ٣ ملوك ١٩.

* ارتفاعه حيًا إلى السماء ٤ ملوك ١١:٢.

● **رقاده :**

يجدر بنا الآن وكمن يرتشف شرابًا لذيذًا أن نضيف كلمة في ذكرنا للعجيبة الاستثنائية التي حصلت، كما يروي، عند رقاده.

بينما كان الأب المتوشح بالله يتهيأ للرحيل إلى السماء أوصى الحاضرين إلّا يكفنوا جسده بسبان فاخرة. وإن كان أحد من التلاميذ الأخصاء قد فكر في مثل هذه السباني فليتخلَّ عن تحقيق مبتغاه وليعطِ للفقراء ما كان قد خصصه لدفني. هكذا قال القدّيس. وكان بين الحاضرين تلميذ قد هيّأ لباسًا ثمينًا يلف به جسد افرام الإلهي. فما إن سمع بممانعة القدّيس حتى حزن وفكّر بألّا يعطي اللباس للفقراء بل أن يقدّم لهم مالًا قدر ثمنه. وللحال دخل فيه الروح الشرير فحصد نتيجة عدم طاعته. فأخذ يهتز ويتمرّغ ويزبد أمام سرير القدّيس. فقال له رجل الله المحبوب: أي عصيان ارتكبت حتى وصلتَ إلى هذه الحالة؟» ومن ثم وبأمر من البار انتصب ورغم ظلمة عقله الشيطانية كشف عن فكره الخفي. وما إن اعترف حتى شفاه القدّيس افرام من مرضه واضعًا يديه المقدّستين على رأسه ومصلّيًا ثم قال له: عليك أن تطبّق وعد الطاعة الذي سبق وقطعته.

بعد حثّه الحاضرين على الفضائل ونصحهم كما يتضح من مقاله الأخير وبعد هذه المعجزة التي حصلت رقد بالرب ووصل برضى إلى الشاطئ الأمين للملكوت الأبدي.

أين يليق لنفسه أن تستريح سوى في المساكن السماوية حيث مراتب الملائكة، جوق الأنبياء، عروش الرسل، فرح الشهداء، ابتهاج الأبرار، بهاء المعلّمين، احتفال الأبكار ولحن المعيّدين النقي. في تلك الخيرات التي كان الملائكة يشتهونها في ذلك المكان المقدس استقرت نفس ابينا المغبوط والدائم الذكر. هذه النفس المقدّسة الجزيلة الطوبى. واعتقد أنه عند صعود نفسه إلى السماء سوف ترافقها فضائل حياته. كل واحدة سوف تظهر لك تلك الجمالات

التي لم تُرَ ولا يستطيع أحد أن يتكلّم عنها . سوف تأتي المحبة عروس الفضائل وتقول لها : « أنظري أيها النفس المحبوبة ماذا هيأت لك من الحسنات » . فتتنعم عند ذلك بهذه الأقوال . ثم يأتي التواضع ويقول : « أنظري أيتها النفس التي يشتهيها الله ، واذهبي إلى مكان الراحة الذي ضمنته لك » وهكذا فإنّ كل فضيلة سوف تظهر الجوائز المعدّة للذين استحقوها بعملهم . يا لها من رحلة مشتهاة وسعيدة الذكر ! موت لا يحتاج لدموع ! انفصال يجعلنا نتحد مع ما نشتهيه ! انتقال لا يندم عليه صاحبه ! جنازة لا تستدعي الحزن لأن عجائب حياة القدّيس تبقى تعزية لنا .

إن موت بعض الناس يكون مصدر دموع للآخرين . أمّا موت القدّيسين فهو موسم فرح وابتهاج لأنه ليس موتًا بل انتقال إلى الخيرات الفضلى .

● **خلاصة :**

لقد تجرّأنا في تقديم المدائح بمثابة هدية لك يا فخر الآباء ومعلم المسكونة . أنت لست بحاجة إليها لأنه كيف يمكن للكلام أن يفي بتعظيمك وهو لا يستطيع أن يدرك مستواك في المديح ؟ لقد قيلت هذه المدائح لفائدتنا الخاصة لأن تعظيم القدّيسين يدفعنا بقوة نحو العلويّات .

أمور كثيرة دفعتني أيها القدّيس للتكلّم بجرأة عنك : مواهبك المتنوّعة ، حياتك . تعليمك حتى أضحيت مشهورًا في العالم كله . ثمة دافع يحثني على امتداحك هو تلك الحادثة العجيبة الخلاصية التي حصلت مع أحد الاشخاص الحاملين اسمك . كان هذا الإنسان قد اسره البرابرة وابعد فترة عن وطنه . كان يشتاق للعودة ولكنه لم يعرف سبيلًا مناسبًا للهرب . عندها بادر إليك مستفيدًا من معونتك العجيبة . سأل وأعلم عن الطريق المنقذة إياه ولم يشفق في تحقيق آماله . كانت الطريق مسدودة وأمام قمّة الخطر وانتظار الموت صرخ : « **يا قدّيس الله افرام أعنّي !** » وللحال اجتاز الطريق بأمان . أبعد الخوف عنه . ووجد

الخلاص غير المنتظر . هكذا حفظ بعنايتك الخاصة . ووصل إلى بلده بصورة غير متوقعة .

ونحن أيضًا سنحاول مدحك بشفاه غير طاهرة . فإن نجحت المحاولة فالفضل يعود إليك وكذلك الشكر . وإن فشلت فالفشل يعود إليك ذلك انك كنت دائمًا تتهرّب من المدائح ناشدًا التواضع في حياتك وكأنك تمنع الذين يودّون امتداحك حتى بعد موتك .

لقد اتممنا الواجب في كلتا الحالتين ونعرف يقينًا أنك لن تزدري بنا نحن الذين نحبّ آباءنا حبًا فائقًا . لكن سوف تتقبّل تقدمتنا كتمتمات الأطفال . أما أنت فاذكرنا جميعًا على المذبح السماوي حين تشترك في الخدمة مع الملائكة في الثالوث مبدأ الحياة والقداسة وتوسّل يا أبانا من أجل غفران الخطايا حتى نتمتع بالحياة الأبدية في المسيح يسوع ربّنا الذي له المجد مع ابيه الذي لا بدء له وروحه الإلهي المحيي الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين .

* * *

دعوة إلى التخشّع وعدم التهاون

تعالوا أيها الإخوة كلّكم اسمعوا مشورتي أنا أفرامَ الخاطئَ عديمَ الإصلاح، إذْ قد أتى ذلك اليومُ الرهيب والمُرعب فيما نحن، أيّها الأحبّاء، نتشتّتُ دون أن ننتبه إلى هذا الزمن القصير ونهتمّ باسترحام الله. ها إنّ الأيّامَ والأشهر والسنين تعبر كالمنام وكظلّ مسائي وحضورُ المسيح العظيم يأتي بسرعة. ذلك اليوم يكون رهيبًا للخطأة وللّذين لا يريدون أن يُتمّوا مشيئةَ الله ويخلصوا. أرجوكم إذًا يا إخوتي الأوفياء أن لا تهتمّوا للأمور الأرضيّة. كلُّ شيء يعبر، كلُّ شيء يغيب ولا شيءَ يُفيدنا في تلك الساعة سوى الأعمال الصالحة التي عملناها. ذلك أن كلَّ واحد مزمعٌ أن يَمْثُلَ بأعماله وأقواله أمام منبر القاضي الرهيب.

طبعًا ذلك القاضي الديّان رهيبٌ إذ إن القلبَ يرتعد والأحشاءَ تتبدّل عندما تُكشف الأعمال والأفكار تُستفحص مع الأقوال. هناك خوفٌ عظيمٌ، رعدةٌ كبيرةٌ أيها الإخوة أصدقائي! من لا يرتعب إذ ذاك، من لا يبكي وينتحب بعد أن تُكشفَ الأعمالُ الصائرةُ في الخفية والظلام؟ عودوا إلى أنفسكم يا إخوتي وافهموا ما أقول:

كلُّ رغبة لديكم سوف تُلاقي أجرَها. ها أمامكم مثلٌ من الطبيعة: الأشجارُ المثمرة في الوقت المناسب تُعطي من جوفها أوراقًا وأثمارًا. لا تثمر الأشجارُ من الخارج بل من الداخل وبأمر الله، كلُّ واحدة بحسب نوعها. هكذا في ذلك اليوم الرهيب تُظهر أجسادُ البشر كلُّها ما فعلته من صالح أو رديءٍ وتُبرزها أمام منبر الحاكم الرهيب. العملُ الصالح يظهر كثمرٍ طيّب لذيذ والأقوالُ كأوراقٍ حسنةِ المنظر. القدّيسون يُثمرون ثمرًا جيّدًا والشهداءُ يُطلعون فخرَ صبرهم على

العذابات والجلدات، النسّاكُ تقشّفَهم، إمساكهم، سهرَهم وصلاتَهم. أمّا الخطأة، الجاحدون فيُثمرون ثمرًا رديئًا عفنًا (فيَبدون مخذولين، باكين ومتوجّعين) في النار التي لا تنطفئ...

في الحقيقة رهيبةً تكون، أيها الإخوة، تلك المحاكمة لأنّ كلّ شيء يظهر بدون شهادةٍ: الأعمالُ، الأقوالُ، الأفكارُ والأذكار. هناك تحضر ألوفٌ وربواتٌ من الملائكة ورؤساءُ الملائكة، الشيروبيم والسيرافيم، الصدّيقون والقدّيسون، والأنبياءُ والرسل. لماذا إذًا نتهامل أيّها الاخوة الأحبّاء؟ الوقتُ قريبٌ حين تُمتحن وتُظهر الخفيّاتُ كلّها. **لو عرفنا ما ينتظرنا لبكينا ليلًا نهارًا** متوسّلين إلى الله ليحرّرنا من ذلك الخزي والظلام الأبدي. ذلك لأن فمَ الخاطئ يُسدُّ أمام المنبر الرهيب؛ الخليقةُ كلّها مع صافات الملائكة القدّيسين ترتعد من حضور الديّان المجيد.

ماذا يمكن لنا أن نقول، أيها الإخوة، في يوم الدينونة إن تهاملنا في الزمن الحاضر؟ هو طويل الأناة ويدعونا كلنّا إلى ملكوته. لكنه يريد أن نُعطي جوابًا **عن تهاوننا** خلال هذا الزمن العابر القصير. سوف يقول لنا: لقد تجسّدتُ من أجلكم، وسلكتُ على الأرض من أجلكم، ضُربتُ من أجلكم، صُلبتُ وعُلّقتُ على خشبة من أجلكم؛ من أجلكم أنتم الترابيين سُقيتُ خلًّا فدعوتكم إخوتي وقدّمتُكم إلى الآب وأرسلتُ الروحَ القدسَ إليكم. ماذا عليّ أن أفعل أكثر من ذلك لخلاصكم؟ فقط لا أودّ أن أغصبَ إرادتكم حتى لا يكون خلاصكم ملزمًا. قولوا أيها الخطأة المائتون بالطبيعة ماذا قدّمتم لي أنا السيّد مقابل ما فعلتُ أنا لكم؟ ها قد أعددتُ الملكوتَ والحياة، الراحة والفرح وكذلك الهلاكَ الأبديَّ في الظلمة الخارجيّة. كلّ واحد يمكن له أن يسيرَ حيث يريد لأنه حرّ بإرادته.

لنعدّ كلّنا ونسجدْ له معًا ونبكِ أمام الربّ الذي خلقنا، ونقول له: يا سيّد كلّ ذلك قد كابدتَه كإله. أمّا نحن الخطأة فقد نسينا رأفتك الغزيرة. ماذا

يُعطيك إذًا جنسُ البشر الخاطئ أنت الإله غيرُ المدرك ، الصالح والرؤوف الذي أنار بنعمته المسكونةَ كلّها ؟ أنتَ الذي أنرتَ عينيْ الأعمى منذ مولده أنرْ عينيْ قلبنا لكي نحبّك أيها السيّد ونُتمّم بعزمٍ مشيئاتك . ها إنّ كأسَ جسدك ودمك مليءٌ نورًا وحياةً . امنحنا حكمةً واستنارةً لكي نأتي إليه بشوق وقداسة فتُغفر خطايانا ولا نُدان . لأن الذي يقترب من الأسرار الإلهيّة بدون استحقاق يدين نفسه لأنه لم يتنقَّ ليقتبلَ الملك في خدره الخاص . نفسنا عروسٌ طاهرٌ للعريس غيرِ المائت . والعرسُ كامنٌ في الأسرار المقدّسة التي تؤكل وتُشرب في النفس الطاهرة . انتبه إذًا لحفظ خدرِك بلا عيبٍ على الدوام . واجتهد في تقبّل العريس السماوي ، المسيح والملك حتى في يوم مجيئه يُسكنك قريبًا من الآب نفسه ويمدحك أمام رؤساء الملائكة القدّيسين ويُدخلك إلى الفردوس بمجد عظيم وفرح . ماذا يطلب الله أيها الأخ ، سوى خلاصِك ؟ **إن تهاونتَ** ولم تردْ أن تخلصَ وتسيرَ في سبل الله القويمة وتتمّم وصاياه ، إذ ذاك تقضي على نفسِك وتُخرجها من الخدر السماوي . **ألم يبذل الله القدّوس ابنه من أجلك وأنت أيّها الشقيّ لا ترحم نفسَك ؟**

انهض إذًا قليلًا من النوم أيّها **الإنسانُ المتهاون !** افتح فمَك وتوسّل إليه . تضرّع باستمرار وابكِ . اهربْ من الجُبن . **أحبب الوداعة وارغب في الإمساك . جاهدْ في الهدوء ومارس الترتيل . أحبب الله من كلّ نفسك كما أحبّك** . كن هيكلًا لله فيسكن فيك العليّ . لأن النفس التي تحوي الله تضبح هيكلًا للإله القدّوس الطاهر . إذًا عندما يسكن الربُّ في النفس تبتهج الملائكة السماويّون ويجتهدون في اختيار النفس لأنها تخصّ السيّد .

طوبى للإنسان الذي أحبّك من كلّ نفسه . ازدرِ بالعالم وبما فيه حتى تقتني السيّدَ وحده ، اللؤلؤةَ الجميلة ، كنزَ الحياة . إذًا إن أحبَّ الإنسانُ الله بصدق ، لا يكون بعدها ذهنُه على الأرض بل في السماء لكي يحظى بمن أحبّ . من هناك يفرح من هناك يستنير من هناك يتغذّى ، من حلاوته ومحبّته . . .

الرسول بولس الذي ذاق تلك المحبّة يصرخ ويقول :

« لا موتٌ ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قُوّات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبّة الله التي في المسيح يسوع ربّنا » (رو ٨:٣٨-٣٩) .

محبّة الله نارٌ لا تموت ، تزدري بالأرضيّات ، كما يعلّمنا الشهداء القدّيسون الذين ذاقوها وارتووا منها . **محبّة الله رباطٌ ناعم** وسيفٌ ذو حدّين لا يمكن أن ينفكّ . لقد قطع الطغاةُ أعضاءَ القدّيسين لكنهم لم يستطيعوا أن يفصلوهم عن محبّة المسيح . يا له من رباطٍ ناعم (رباط محبّة الله) ، لا السيف قطعه ولا النار أطفأتها . . . من لا يعجب من ذلك ، من لا يتشوّق إلى مثل هذه المحبّة ؟ لقد منح الله المحبّة هذه إلى كنيسته حتى تتزيّن دائمًا بها . هي عربونُ الله في النفس ، عمودُها وأساسُها . هي (**محبّة الله**) التي جلبت إلى الأرض ابنَ الله الوحيد . بها فُتح الفردوس ، بها قُيّد القويُّ ، بها أصبحت النفسُ عروسًا للختن غير المائت لكي ينظرَ كما في مرآةٍ جماله وحسنَه . لقد تألّم الختنُ الطاهر من أجل تلك المحبّة » لذلك كلّ الذين يؤمنون به بالحق ويريدون أن يصبحوا ورثاءه ، عليهم أن يذوقوا العذابات والشدائد على مثاله . كما أن المخلّص مات على الصليب وغلب مُميتًا الخطيئة بإنكاره للجسد ومحطّمًا قوى العدوّ ومسمّرًا سلطته على الصليب أمام مشهد الكلّ ، هكذا ونحن أيضًا علينا أن نحتمل كلّ ثورة وشدّة من قِبَل الشرّير بشجاعة وحتى الموت لكي ننتصر عليه بالإيمان ، بالصبر والرجاء بالربّ .

بعد هذه الخبرة نُضحي أهلًا للخلاص فنحفظ قداسةَ الروح ونُصبح ورثاءَ الحياةِ الأبديّة . **إذ إنه في الجهاد الروحي تتمّ الغلبةُ على العدوّ عن طريق الآلام والموت** . إن تألّمنا ومتنا من أجل الربّ نتغلّب على العدوّ بسرعة . لذلك لا تحسبوا التجاربَ والشدائدَ قاسيةً وغير محتمَلة . هي مناسبة للهدف المنشود إذ علينا أن نصبر على كل ثورة للعدوّ ناظرين دائمًا بأعيننا إلى موت الربّ الطوعي .

وكما قال الربّ علينا أن نحمل صليبنا كلّ يوم ، أي معاناة الموت ، ونتبعه . هكذا نحتمل كلَّ شدّة ظاهرةٍ أم غيرِ ظاهرة . لأنه إن أردنا الموتَ من أجل الربّ وذهب شوقُنا إليه ، علينا أن نصبرَ بفرح على شتى التجارب والأحزان . نحن نحسب الأحزانَ هذه ثقيلةً لأننا غيرُ صبورين ولا ننظر بأعيننا دائمًا إلى موت الرب . . . محبّة المسيح تظهر من خلال تحمّل الأحزان كلّها وبشجاعة . لنتوسّل إذًا إلى الربّ ليعطينا الحكمةَ لمعرفة مشيئته فنتمّمها بكلّ صبر وطول أناة ، بالفرح الذي يمنحه إيّانا الربّ في سبيل تقويتنا وإرضائه على الدوام فنصبح أهلًا للتمتّع بالخلاص الأبدي بربّنا يسوع المسيح الذي يليق له المجد والقدرة إلى دهر الداهرين . آمين .

في التخشّع

بارك يا أب

أنت الاله الوحيد الذي يمنحُ كل خير، ينبوعُ الأشفية وكنزُ الرأفات. الصالحُ وحده والاله الكثيرُ التحنن الذي يمنح دائمًا خيرًا للذين يتوسّلون إليه.

● أشفيةُ الرب

بما أني أتقبّل أنا أيضًا كل يوم أشفيةً لا حدّ لها مع خيرات كثيرة، لذلك أبتهل إليك أيها المسيح بلا خوف كونك إلهًا منزهًا عن الشر، أن ترسلَ إليّ نعمتك المعتادة لكي تجمعَ ذهني وتداوي أيضًا جراحاتي الخفيّة. لأن التشتت والتخيلات تُفتّح دائمًا جراحاتِ نفسي المضمّدة.

أنت يا طويل الأناة الذي يَشفي دائمًا عن طريق نعمته ورأفاته طبّب أمراضي الكثيرةَ أنا الخاطئ.

أمّا من جهتي يا سيّد فلا أستطيع أبدًا أن أكافئك على كل الأدوية الشافية التي أخذتها لأن إحساناتك هي غيرُ محدودة ولا تنفد ولا تستطيع لا السماء ولا الأرض أن تقدم لك من أجلها الجزاء الواجب. إن أشفية صلاحك السماوية هي رأفاتك الغزيرة ولا يمكن أن تُباع لأنها لا تُثمّن.

● عطية الدموع

لكنك أنت يا مخلّصُ تمنحها **عن طريق الدموع** وتعطيها للجميع عن طريق البكاء المرّ.

من لا يعجب إذًا، من لا يندهش، من لا يبارك تحنن صلاحك الكثير يا مخلّص نفوسنا؟ لأنك سررتَ أن تتقبّل دموعًا عوضًا عن الاجرة من أجل أدويتك. يا لقدرة الدموع. لقد تجرّأتم ودخلتم السماءَ بمثل هذه الدالة الكثيرة!

يا لها من قدرة كبيرة! مراتب الملائكة كلّها مع جميع القوّات السماوية تتهلّل دائمًا بوجودكم.

يا لها من قدرة الدموع. ان أرادتْ تمكّنتْ من المثولِ بفرحٍ أمام العرش المتعالي المقدّس الذي للسيّد الطاهر. يا لها من قدرة جزيلة. كيف بطرفة عين ترتفعون طائرين إلى السماء وتحصلون من الله على طلباتكم كلّها! لأنه يستجيب لكم فرحًا ويسامحكم.

أعطني إذًا أيها السيّد، لي أنا غير المستحق، دموعًا في كل لحظة وقدرة حتى يستنيرَ قلبي بصلاة طاهرة ويسكبَ ينابيع دموعٍ بعذوبة على الدوام لكي تُمحى بقليل من الدموع دينونتي الكبيرة الرهيبة ولكي تنطفئ بقليل من النوح النارُ الشاعلة. لأنه إن بكيت هنا سوف أخلص هناك من النار غير المنطفئة. لأنه في كل آن أُغضب أيها السيد طولَ أناتك وخطيئتي أمامي في كل حين.

● نعمة الرب ورأفته

إن طيبةَ صبرك عليّ تَغلب اعوجاجَ قلبي. لأن الطيورَ أيضًا برأفة كبيرة تُطعم فراخها وإذا ابتعدت الفراخ عنها لا تتخلى عن أولادها لأنها مغلوبة من أحشائها الوالديّة نفسها.

ان كانت طيور السماء تُظهر مثل هذه الرأفة كم بالأحرى يا سيّد لا يَغلب تحنّنك الخاص نعمتَك في سبيل أن ترحمَ الذين يصبون إليك ؟

وكذلك الأمّ التي يزدريها ولدُها لا تضطرب في قلبها وترفضه لأنها مغلوبةٌ من أحشائها بالذات . ان كانت هذه تُغلب من أحشائها كم بالأحرى نعمة محبتك للبشر يا سيّد لا تغلبها أحشاؤك الذاتية لكي تُخلّص وترحم المتشوقين إليك ؟

● الشرير

بما أن العدوّ الوقح يسود عليّ ويقلقني دائمًا ، أودّ أن أصرخ بدموع ليلًا ونهارًا من أجل رأفتك حتى تنجّيني من هجماته . لأنه مَنْ يستطيع أن يتحمّل مكائد الشرير ان ابتعدَتْ عنه نعمتُك ؟ إن نفسي تحزنني في كل وقت بالأقوال والأفعال . وقدرتك أيها المسيح التي زجَرَت أمواجَ البحر[١] يمكن لها أن تزجر العدوَّ لكي يبتعدَ عني أنا عبدك . لأنه في كل لحظة يجدّد مكائده ويجتهد في التسلّط على فكري مبعدًا إياي عن دراسة الأقوال الإلهيّة وعذوبتها .

أَرسِل يا سيّد بسرعة نعمتك حتى تطردَ من المبتهل إليك التنين الكبير مع كل أفكاره العدائيّة الشرّيرة . إن مَثلَ انجيلك[٢] يا سيّد سوف يُقنعك : لقد قلتَ إنه في مدينة ما هناك قاضٍ لا يخاف الله ولا يخشى إنسانًا البتة . في تلك المدينة أرملةٌ فقيرةٌ تتوسّل إليه في كل حين قائلة : أَنصفني من ظالمي .

أمّا هو فلم يسمعْ لها وقتًا طويلًا ولم يرأفْ بتلك المرأة الحزينة . لكن **صبرَ الأرملة** استطاع أن يقوّم نفسَ ذلك القاضي العديم الرأفة .

لقد أتت الأرملة إلى القاضي غير الرحوم لكي ينصفها من ظالمها بينما أنا آتي

---

(١) متى ٨:٢٦ تسكين العاصفة .

(٢) **مثل القاضي الظالم لوقا ١٨:١–٨.**

إلى سيّدي الرحوم الصالح الطويل الأناة الذي له القدرة على السماء وعلى الأرض لكي يستمع بسرعة لصلاة بكائي .

فمه قدّوس إلهي لأن الله المبارك غير الكاذب كما قلتَ يا مخلّص يتحنّن بسرعة وينصف كل الذين يرجونه ليلًا ونهارًا . إذًا يا سيّد لا تتأخّر عن إنصافي بل نجّني من العدوّ وأَرشدني إلى الطريق الصالح حتى أتغلّب بنعمتك على الشرير وأباركَك أنت وحدَك وأمجّدكَ يا رؤوف الذي يريد خلاص البشر أجمعين .

ابتهال

خطئتُ إلى السماء وأمامك ، أيها الرب الإله الضابط الكل ولستُ بعدُ مستحقًّا أن أُدعى ابنك[1] ولا أن أتطلّع إلى علوّ السماء وأراه بسبب كثرة ظلمي ولا أن أسمّي اسمك بشفتيّ الدنستين . لأني أصبحت غير مستحق لا للسماء ولا للأرض وأغضبتك أنت أيها السيّد الصالح .

أبتهل إليك أيها الرب ، لا تطرحني من أمام وجهك[2] ولا تبتعد عني لكي لا أضيع . لأنه إن لم تحفظني نعمتك لَبثُّ ضائعًا كالغبار أمام الريح[3] وكأني لم أُوجَد في الحياة هذه . لأنه بعدما تركتُ دربك لم أعد أشاهد ولا يومًا صالحًا ومن بين خطاياي ذلك النهار الذي يبدو صالحًا لكنه يطفح مرارةً .

من الآن أرجو نعمتك لأنها سوف تقوّيني لأهتمّ بخلاصي . والآن أجثو لك وأبتهل إليك لكي تُغيثني أنا الذي ضللتُ عن طريق عدلك . اسكب عليّ كثرة رأفاتك كما فعلتَ للابن الشاطر[4] لأني أذللتُ حياتي عائشًا في تبذير غنى نعمتك . إرحمني يا إلهي ولا تحقد عليّ بسبب فساد حياتي . ارأفْ بي كما رأفت بالزانية[5] والعشار[6] واللص[7] . لأن هؤلاء عندما كانوا على الأرض

---

(١) لوقا ١٥:١٨-١٩.

(٢) مز ٥٠:١٣.

(٣) مز ٣٤:٥ أشعيا ١٧:١٣/٢٩:٥.

(٤) لوقا ١٥:٢٠.

(٥) لوقا ٧:٤٨.

(٦) لوقا ٥:٢٧

(٧) لوقا ٢٣:٤٣.

رفضهم الجميع أما أنت يا ربّ فقد تقبّلتهم وجعلتهم ساكني نعيم فردوسك.

تقبّل توبتي أنا عبدك الخاطئ لأنّي أنا أيضًا قد رفضني الجميع. لأنك جئتَ يا رب لكي تدعو إلى التوبة لا الصدّيقين بل الخطأة(٨) لأنه ينبغي لك المجد إلى دهر الداهرين. آمين.

(٨) لوقا ٥:٣٢.

عن النفس عندما يجرّبها العدوّ
كيف يجب أن تصلّي بدموع إلى الله

نفسٌ حزينة تأتي إليك أيها السيّد القدّوس وتكلّمك بدموع عن العدوّ المُفسد وتسجد لك بتواضع كلّي وتطلب إليك بسبب العدوّ الذي يحزنها .

أَصغِ اليها سريعًا لأنها تأتي إليك بجرأة وافتقدها حثيثًا لأنها تلتجئ إليك برغبة . إن صرفتَ وجهك عنها وهي حزينة سوف تَضيع . وان تأخّرتَ عن الاصغاء إليها تتضايق وتهلك . بينما إذا افتقدتَها برأفاتك وجئتَ لمعونتها تعود إلى الوجود . إن تطلّعت إليها تخلص وان أصغيت إليها تتقوّى . إعتني بها بغيرة لأنها خطيبتك والذي خطبها إليك هو الرسول بولس الذي قال :

« إني أغار عليكم غيرة الله لأني خطبتكم لرجل واحد لأقدّم عذراء عفيفة للمسيح » (٢ كور ١١:٢) .

لا تصرف وجهك عنها حتى لا يعتقد العدوّ أنك أعطيتها ورقة طلاق وأردت تخليتها .

* * *

● **النعمة الإلهيّة**

أرشدني أيّها السيّد برأفاتك ولا تسلّمني إلى أيدي المُفسد . لقد جمعتُ أفكاري كلّها من كل جانب ولا أجد ما أقدّمه إليك من صلاح سوى أني لا

أعرف آخر سواك . **نعمةُ أشفيتك** لا تعدّ وتَشفي جميع الذين يأتون إليك ، لأن جراحاتي كثيرًا ما تشفيها رأفاتك وتعود إلى قيحها بسبب تهاملي .

الآن وأنا في صحّة جيّدة نسيت الطبيب فنسيني هو في مرضي . إني أعلم ان خطاياي تتعبك وتغضبك ولا أجهل أنك ترحمني ولا أنسى انك تساعدني بتحننك . لأن الأم الحنونة وان ازدراها ولدها لا تحتمل أن تصرف وجهها عنه . لأن أحشاءها نفسها تغلبها . ان كانت هذه تتصرّف بمثل هذه الطريقة تجاه ولدها فكم بالأحرى رأفتك تجاه جبلتك ؟ ان الطيور تفتح أحشاءها لفراخها . تفتقدها في كل آن وتجلب لها الغذاء وتتعب من أجل إطعامها لأنها مغلوبة من أحشائها . ان كانت الحيوانات غير الناطقة رؤوفة إلى هذا الحدّ كم بالأحرى نعمتك لا تغلبها أحشاؤها أكثر بكثير من أجل رحمة المتقدّمين إليها والطالبين إياها بالحقيقة ؟

ها هو الينبوع الفائض بالمياه يروي بسخاء جميع المتقدّمين إليه ولا يحتاج إلى مديح البشر . فلا يمتدح من يَروي عطش الآخرين مجانًا بل يُمتدح من يمجّدك بسبب إحسان نعمتك . فهو يصوّر اتساع محيط رأفاتك . إنك تغذّي القوّات السماويّة بسخاء وتدبّر كل نسمة على الأرض . لا تحتاج إلى مدح الخليقة وتمجيدها لأنك ممجّد في جوهر عظمتك وكبر مجدك .

● عودة الخاطئ – محبّة الله

إن محبّتك ترغب في خلاصنا ، تتنازل إلينا ونحن نمجّدها من أجل خلاصنا . نبقى ثابتين فيها وهي تعيننا . إني واثقٌ بمحبّة نعمتك . إنها تشدّد وتتقبّل كل من يأتي إليها . وأنت أيها السيّد تعرف مسبقًا وتميّز الذي يأتي إليك طارحًا وراءَه كل اهتمام دنيويّ . قبل أن يصل إلى بابك تفتح له . قبل أن يجثو ليتوسّل إليك تمدّ يدك لتتقبّله قبل أن يسكبَ الدموع تبسط عليه رأفاتك . قبل أن يعترف بخطاياه تغفر له . لا تدينه . لا تقول له «أين ضيّعتَ زمن حياتك ؟

كيف أمضيتَ وقتك ؟ » . لا تبحثْ عن كمية خطاياه . لا تتذكّر الغضب الذي سببه لك تهاملهُ . لا توبّخه على ازدرائه لاحساناتك . تعرف من قبل تواضعه ، بكاءه واستعدادَ قلبه لذلك تصرخ :

« أخرجوا الحلّة الأولى وألبسوه . . . وقدّموا العجلَ المسمّن واذبحوه فنأكل ونفرح » (**لوقا ١٥:٢٢-٢٣**) .

ليلتئم الملائكة ويفرحوا لوجود الابن الضال ولعودة الوارث الذي تاه . كمثل تاجر يعود إلى وطنه بغنى كثير هكذا تتقبّل نعمتك الخاطئ الذي يأتي إليها من كل نفسه . لأنك تُسرّ في رؤية الدموع وتتعطّش للتوبة وتفرح لحماس أولئك الذين يصبون إليها .

● أَسرعْ إلى معونتي وخلّصني

إذًا وعلى هذا النحو أظهرْ لي أنا أيضًا رحمتك الغزيرة وحرّرني من ضراوة الشرير . لأنه بعد أن جرّحني ينتصب أمامي ويستهزئَ بي . وكما حصل في البحر (**متى ٨:٢٤-٢٦**) اقترب التلاميذ وأيقظوك وبصوت فمك المبارك توقّفت عاصفة الريح وهدأ اضطراب الأمواج . كذلك استمع الآن إلى دموعي فانها توقظك نهارًا وليلًا . لقد حاول الأطبّاء طيلة اثني عشر سنة ساهرين ولم يقدروا أن يشفوا المرأة النازفة الدم بل على العكس سبّبوا لها وجعًا إضافيًا . كل ما لم يستطع هؤلاء أن يفعلوه أنت قدّمته لها وكل ما أثخنوه فيها من جراح أنت داويته وبدون تعب . قدّمته لها بمثابة هديّة . قدّمت لها العلاج . لأن المرأة وهي تظنّ أنها لا تلاحظ اقتربَتْ سرًّا ولمست طرف ثوبك . اقتربت دون أن تلمس جسدك القدّوس . لكن ثوبك شفاها وحرّرها كاملًا من الأطبّاء كلهم (**أنظر إلى مرقس ٥:٢٥-٢٩**) .

حرّر نفسي الحزينة من الخجل ومن تعيير العدوّ الذي يحزنني أيها الطبيب

الرؤوف . أظهر على أعضائي حكمتك الكثيرة واجعل جراحاتي غير مدنّسة ، واسبغ عليها جمال الفضيلة . وليُكرز بنعمتك الإلهيّة لأنها خلّصتني . أيها الحملُ بلا خطيئة الذي ذبح من أجل خلاص المسكونة وجلب السلام على الأرض وفي السماء ، لا تبتعد عني كوني اقتربتُ منك بدون خجل ولا تقلْ لي « ماذا عانيتَ من أجلي » . في ذلك اليوم الرهيب سوف تقول لنا نحن الخطأة « أتعلمون ماذا كابدتُ من أجلكم ؟ بينما كنتُ غير منظور أصبحتُ منظورًا من أجلكم . بينما كنتُ غير مائت حُكم عليّ بالموت من أجلكم . بينما كنتُ بلا خطيئة قبلتُ اللطمات من أجلكم . وهكذا بينما كانوا يصلبونني لم أغضب وبينما يستهزئوا بي لم ألعن . أنا السيّد ، بينما كنتُ غريبًا عن الخطايا وعن كل الإتهامات التي تحمّلتها من أجلكم . أمّا أنتم إذْ كنتم مذنبين ماذا كابدتم من أجلي ؟

لذلك كلّه أقول لا مبرّر لنا على الاطلاق .

تذكّر يا ربّ أنك كابدتَ كل ذلك من أجلنا ، بسبب رأفتك وطيبتك وعدالتك لا بسبب أعمالنا الحسنة . لأنه كما سلّمت نفسك من أجلنا أنت القدّوس البريء من العيب ، هكذا أنت الآن أيها السيّد لم تتغيّر رأفةُ ألوهيّتك التي تتوافق مع طبيعتك الإلهيّة أمّا نحن فكنّا جاحدين وأشرار والآن نحن خطأة وضعفاء . هذه الهديّة التي قدّمتها آنذاك بداعي رأفتك بينما كنّا جاحدين ، لا تنزعها الآن عنّا ونحن خطأة ضعفاء . هذا حتى آخر حياتنا .

* * *

● العدوّ الرهيب

أنا نفسٌ شقيّة أصرخ إليك أيّها السيّد بلا انقطاع . وأضطرّ في سبيل مواجهة العدوّ إلى التوسّل إليك . أنظر يا سيّد وكن ملجأي واطرد عني اللصوص ، لأنهم

يقلقونني في كل ساعة دون ادراكي ، يخدعونني دون علمي ، يجعلونني أشرد ممّا يبعد عني التخشّع ، يضعوا أمامي العثرات أمام مخاطبتك . هذا لأنهم يعرفون تمامًا أنه إن صرختُ إليك بدموع ونحيب لن تتخلّى عني . ويلي كم هو العدوّ رهيب في جهادي ! لكنني مغبوط إذ لي مخلّص ومؤازر عظيم في كفاحي . الحيّة الملكيّة رهيبة في طلعتها وفي سمّها هكذا يكون الشيطان أيضًا . إنه أشرّ منها على الجهتين في الحرب وفي الوقاحة .

لكن أنتِ أيتها القوّة المقدّسة التي ابتلعت العصيَّ المتحوّلة إلى حيّات (**خروج ٧:١٢**) ، أنتِ ازجري هكذا الشيطان لأنه يأتي بوقاحة ، هذه الوقاحة التي تنقلب ذخيرة للذين يصبرون . والحزن الآتي من تهديداته يُخفي وراءه التطويب (**يعقوب ١:١٢**) .

لأن فرح هذه الحياة كلّه كآبة بينما الحزن والتنهّد ينتج عنهما فرحٌ وحياةٌ أبدية .

● نعمة الأشفية

أيها السيّد ، أنا كنتُ دائمًا ضعيفًا ولم أزل . لكن نعمتك كانت ولم تزل تفتقدني وتشفيني . وبالرغم من ذلك كلّه أتهامل في تجاوبي . ان أشفية نعمتك لا تثمّن ، أنت تقدّمها مجانًا ، **تمنحها عن طريق الدموع** . امنحني أنا أيضًا عن طريق الدموع الأشفية لنفسي .

● الحياةُ عراكٌ

من الواضح أن الحياة هذه تشبه عراكًا متواصلًا وأن الشيطان يحارب الجميع . البعض طبعًا يغلبونه ويدوسون عليه وآخرون يغلبهم ويدوس عليهم . البعض يطرحونه ويستهزئون به وآخرون يطرحهم هو ويستهزئ بهم . البعض ينالون إكليل الظفر من جرّاء الحرب وآخرون يفشلون . البعض بمرارة العراك

يكتسبون حلاوة الحياة الأبديّة وآخرون بحلاوته الكاذبة وميوعته يلقون مرارة الهلاك الأبدي. البعض بفقرهم الكلّي يغلبونه وآخرون يغلبهم بكثرة المقتنيات. أولئك الذين يتوقون إلى الله من كل قلوبهم لا يواجهون قوّة عند العدوّ أما الذين يرغبون في العالم فيستصعبون الحرب ولا يتحمّلونها.

● تطويبات

طوبى للذين يحبّون الله ويزدرون بكلّ شيء في سبيل محبّته. طوبى للذين يسكبون الدموع ليلًا نهارًا من أجل أن يخلصوا من الغضب الآتي. طوبى للذين يتواضعون باختيارهم لأنهم سوف يُرفعون هناك. طوبى لذوي الامساك لأن نعيم الفردوس ينتظرهم. طوبى للذين أثخنوا أجسادهم بالسهرانيّات والنسك لأنه قد تهيأت لهم بهجة الفردوس. طوبى للذين أصبحوا بإرادتهم هيكلًا للروح القدس لأنهم سوف يجلسون عن اليمين. طوبى للذين اقتنوا محبّة الله في نفوسهم لأنهم سوف يُدعون أصدقاء السيّد. طوبى للذين صلبوا أنفسهم لأن اهتمامهم كان دائمًا أمام الله. طوبى للذين منطقوا أوساطهم بالحق (أفسس ٦:١٤) والذين لديهم مصابيح موقدة منتظرين عريسهم متى يعود من العرس (لوقا ١٢:٣٥-٣٦).

طوبى للذي اكتسب بأعين ذهنه رؤية الخيرات المنتظرة والهلاك الأبدي، الذي تعب بغيرة كبيرة ليحظى بالخيرات الأبديّة، هو الذي أمام عينيه باستمرار تلكَ الساعة الرهيبة (مجيء الرب الثاني)، الذي يسعى جهده كلّه في إرضاء الله طالما هناك وقت. طوبى للذي صار على الأرض شبه ملاك ليفرح في ذلك اليوم مع الملائكة.

* * *

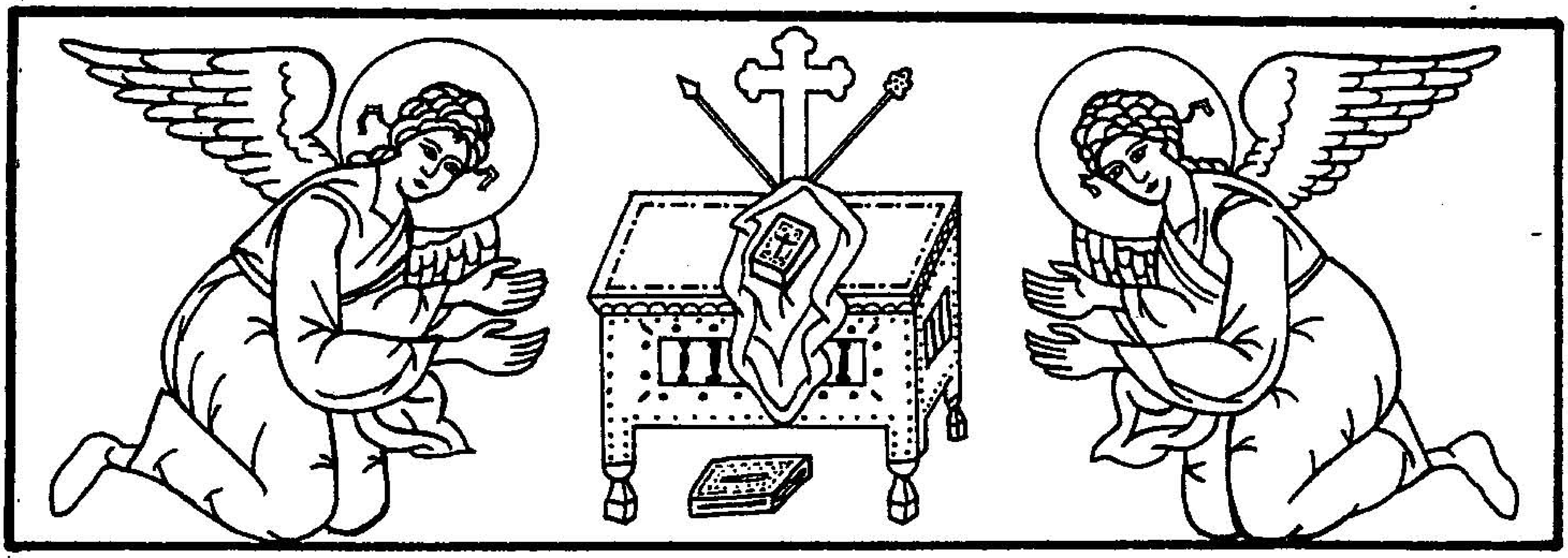

صلاة ابتهالية

-١-

يا ربّ ذكرت تلك الساعة . فأسأل جودك أن لا تسلمني إلى أيدي أعدائي . لئلا يفتخروا ويصرفوا بأسنانهم علي قائلين : لقد وقعتَ في أيدينا وأُسلمتَ إلينا ، **فلا تنسني رحمتك يا رب** ولا تجازني على حسب خطيئتي ولا تصرف وجهك عني . يا رب آتني رحمة لأسلك طريقك بلا لوم . يا رب اقبل تضرّعي من أجل رحمتك لا من أجل برّي . خلّص نفسي الحزينة من الموت . يا رب ، اذكرني فإني وإن كنت قد خطئت كثيرًا وجُرحتُ جراحات الموت ، لم أبتغِ سواك ولم أبسط يديّ إلى إله غريب . يا رب أنت قلت : « اسالوا تعطوا ، أطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم » (متى ٧:٧).

يا رب نقّني قبل الموت من كل خطيئة ولا ترفض دعائي لأنني لست مستحقًا أن أقف بين يديك ولا أن أرفع يدي اليك لأن قلبي غير نقي ونفسي قذرة بالخطيئة . يا رب ثبت قلبي برسومك **ووطد قدمي على صخرة التوبة** . أيها القدوس ، إن صلاحك يقوى على الشر الذي فيّ ونور نعمتك يبدّد الظلمة التي فيّ . فكما فتحتَ عينيّ المولود أعمى افتح وأنر عيني قلبي وكما طهّرت الأبرص بكلمتك طهر نفسي من أوساخها . يا رب ، لتكن نعمتك فيّ مثل النار فتحرق جميع الأفكار

الدنسة التي تباغتني . لأنك أنت وحدك رحيم وأنت وحدك الفرح الحقيقي الذي لا يدنو منه كدر . أنت الحياة الحقيقية التي لا تفنى إلى الأبد . ايها الرؤوف ، إني ألقي أمامك نفسي أنا المستوجب كل عقوبة والمستحق كل عذاب ملتمسًا منك أن تعفو عني وان لا تسلمني إلى أعدائي فيهزأوا بي . أيها الرب الرحيم الذي لا يحقد على من خطئ اليه ، شدّد أعضائي التي أوهنتها الخطيئة ، أحيِ نفسي التي أماتتها المعصية ، أنر عقلي الذي أظلمته الرغبة الأرضية والشهوة الرديئة وخلصني من كل عمل سوء لأن لك القوة إلى الأبد . آمين .

***

-٢-

إعتراف وابتهال إلى الله

يا رب اشفني فإنك أنت الطبيب وحدك . أبرئ سقم نفسي وأضئ بصيرتي وطيّب قلبي وأصلحه بملح الحياة . أنت تعلم وحدك أنني مثل ارض لا ماء فيها فقد عطشت اليك نفسي وصبا اليك قلبي والذي يحبك أنت تشبعه من نعمتك . أرسل نعمتك سريعًا لاغاثتي فانها تُشبع جوعي وتروي عطشي . اليك اشتاق ظامئًا الى نورك الحقيقي أيها السيد الذي لا يشبع منه من يحبّه حقًا . يا معطي النور اسمع طلبتي وأقطر على قلبي نقطة واحدة من نعمتك فيتأجج في فؤادي **لهيب مجيئك كالنار** في الغابة فتلتهم كل ما تجده من الشوك والعوسج اللذين هما الأفكار الخبيثة . أجزل لي العطاء بسخاء كما يليق بالإله المعطي الانسان وكثّر هباتك كما يليق بك . أيها الأب الصالح وإن كنت أنا خائبًا فانك أنت ملك الملوك . يا من ملأت الأواني من بركتك املأ عقلي من نعمتك . يا من أشبع خمسة آلاف من خمسة أرغفة أشبع فقري من صلاحك . أيها المتعطف على الناس أجب عبدك إلى سؤله متعطفًا عليه .

ان الهواء يتباهى بمجدك والطيور تشدو الأنغام صادحة بحكمتك الجزيلة . وها هي ذي الأرض كلّها لابسة حلّة الأزهار الملّونة التي نسجت بغير أيد بشرية وتبتهج معيّدة عيدين أحدهما من أجل ابنها البكر آدم لأنه قد حيي والآخر من أجل سيدها الذي شرّفها بوطئه اياها . والبحر يزداد تموّجًا من كرمك ويتغنى بجلالك للذين يسلكونه . ان نعمتك قد جرأتني على أن أتكلم أمامك والشوق الذي قد اعتراني يحملني على أن أتقدم اليك فإن كانت الحية قتول البشر أعطيت منذ الزمان القديم أن تتقدم فتفتح فاها قدامك فكم الأجدر بعبدك التائق اليك ان يفتح فمه لتبجيل جلالك ومدح عظمتك . أيها القابل فلسي الأرملة تقبّل طلب عبدك وأجب سؤالي لأصير هيكلًا لنعمتك فتسكن فيّ وتعلّمني أن أرضيها . هي تقرع ذهني بلحن خاشع وتملأني سرورًا وبهجة وتكبح عواهني كبح اللجام لئلا تضل وتخطأ اليك فتخرج من نورك المجيد . يا رب أنصت لي واستجب طلبتي التي هي أن أدعى إلى ملكوتك . فإني كنت نجسًا فطهرت وجاهلًا فارعويت وغير نجيب فنجبت . يا سيدي أهلني لأن أدخل في عداد مختاريك الذين أرضوك بأعمالهم وهم يتنعمون في ملكوتك . أولئك يشفعون اليك ويتضرعون اليك من أجلي فتستجيب طلبهم وتخلصني بصلواتهم فارفع اليك الشكر لأنك أحببت سؤلهم ورئفت بي ولم تهمل طلبي . أنت يا رب قلت بنبيّك : « افتح فمك فاملأه » . فها هوذا عبدك قد فتح فمه وقلبه فاملأهما فأباركك كل حين . **أيها الاب الحنون أمطر على قلبي غيث نعمتك** فانه كما لا تستطيع الارض المزروعة أن تربي الثمار من تلقاء ذاتها ما لم يفتقدها جودك وغيثك هكذا لا يستطيع قلبي أن يحفظ ما يرضيك ولا ان يثمر ثمرة العدل الا بنعمتك .

هوذا الحصاد قد آن أوانه والنباتات والأشجار تشتاق إلى أن تتكلل بهالات الأزهار . فليسقط ندى نعمتك ونير عقلي ويتوجه بالأزهار الروحية أي الطاعة والتواضع والصبر والمحبة . ماذا أقول الآن وصلاتي ضعيفة ومآثمي عظيمة وخطاياي تلدغني واسقامي تتمرّد علي؟ فيا من فتح عيني الأعمى افتح

عيني عقلي لكي أتأمل في جمالك كل حين . ويا من فتح فم الاتان افتح فمي لتمجيدك وتسبيح عزتك ويا من كبح البحر بكلمته اكبح قلبي بنعمتك لئلا يميل يمنة أو يسرة عن جمالك . يا من منح ماء في البرية للشعب الجاحد جوده ، امنح نفسي تخشعًا وعيني دموعًا فأبكي ليل نهار على أيام حياتي التي مضت . يا رب لتدن طلبتي اليك وانلني نصيبًا من زرع قداستك لكي أقرب لك حزمًا مملوءة خشوعًا وأشكر ساجدًا لمعطي الخيرات . اصغِ إلى صلاة عبدك بشفاعة قدّيسيك يا من لا يزال مباركًا إلى دهر الدهور آمين .

-٣-

يا الله . يا الله . أنا المسكين بخطاياي الدنس بآثامي النجس بقبح أفعالي العاجز عن وفاء فروضك الضال عن طريق سننك الغارق في بحر السيئات فلتدركني رحمتك وتلطف بي رأفتك . انني حزين بسبب أعمالي الماضية وحزين على خطاياي التي تبت عنها وليس لي عمل صالح الاقيك به . فلتشبعني رحمتك فإن توكلي انما هو على كثرة تحننك . يا رب خلّصني من خطيئتي التي علت فوق رأسي . امح ما تقدم وتأخر من ذميم أفعالي . ارحمني يا إلهي وانظر إليّ واستجب لي أنا الخاطئ . وكما قبلت اللهم توبة داود النبي ورفعته إلى كرسيه بعد سقطته واستجبت حزقيا الملك ومنحته طول العمر واستجبت دعاء أنبيائك ورسلك الأطهار ، استجب دعائي واقبل اعترافي وتضرّعي وتوبتي بين يديك لكي تدخلني إلى فردوسك بالفرح والسرور الدائم إلى الأبد . آمين .

-٤-

يا الله . يا الله . يا الله . انا لست مستحقًا أن أرفع نظري اليك بسبب كثرة الذنوب والسيئات التي ارتكبتها . فلا تخيّب رجائي برحمتك . استرني تحت

كنفك الحصين ظلني بظلك الظليل ولا ترمني في أيدي الأشرار والظالمين ونجني من الجبابرة. قوّ عزمي وثبت قدمي في طاعتك واختم عمري بآخرة صالحة. نجني من **موت الخطيئة** واجعلني من الذين فازوا بالحياة الدائمة.

أنت قلت في انجيلك المقدس: «تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والمثقلين وأنا أريحكم» (**متى ١١:٢٨**). وأنت القائل أيضًا: «اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم» (**متى ٧:٧**).

فأنا أسألك يا رب أن تمنحني **توبة صادقة وايمانًا مستقيمًا** لكي أحظى بك في دار النعيم إلى دهر الدهور. آمين.

***

ـ٥ـ

الويل لي أنا الخاطئ المسكين الحزين الكسلان النائم الغافل المتراخي المتواني عن خلاص نفسي الذي وصل إلى سيرة رديئة كهذه. ها ان اخواني قد تزينوا بالفضائل وهم يرضون الله حقًا وأنا عريان منها أذهب إلى الظلمة. في الغد أندم على الأفعال التي أرتكبتها وفي الليلة المقبلة أفعل أشر منها. فالرب منحني حياة وعافية وأنا أصرفها في اسخاط الذي خلقني. فحتى متى أتهاون ولا أعرف ضعفي وإلى متى أقاوم الذي خلقني وأناصب أوامره وقد أطعت المحال الخبيث حتى جعلني عارًا للملائكة والناس وجذبني وراء مشورته النجسة. فإنه أشار علي أن أتبع هواه مرّة واحدة فتبعته أنا مرارا ولا أحد يعرف ذلك. فها هوذا الخرق الصغير قد غدا هوة عظيمة حتى انه لا يمكنني أن أقاوم نار شهوته الخبيثة. لقد أظلم ذهني بالأفكار القذرة وأمال عقلي إلى حب الخطيئة. فإلى من التفت لاستبكيه علي أنا الشقي. فإنّ العدوّ قد أوقفني مجردًا عريانًا من قبل وهنتي وكسلي وحلّ نسكي من أجل مرض معدتي الشرهة ونهمي وجعلني استنكف

من السهر في الليالي لإقامة الصلاة . لقد غرس في قلبي محبّة المال والحرص وجفف دمعي وغلّظ عقلي وكرّه إلى عيني الطاعة التي في المسيح وجعلني متوانيًا حسودًا مغتابًا محبًا للفخر . منعني أن أرى الخشبة التي في عيني وجعلني أنظر إلى القذى الذي في عين أخي وأدينه وأغواني أن أكتم السرائر الرديئة التي في قلبي وعلمني أن أكون متكبرًا غضوبًا حقودًا وجعلني شرهًا سكيرًا محبًّا للذّة وصيرني متذمّرًا سؤومًا شرس الأخلاق فتانًا أفتخر وأتسلى بالقراءة والترتيل أصلي ولا أدرك ماذا أقول ولا افهم ما أتلو ولا أذوق ما أقرأ . وقد وعظني مرارًا كثيرة قوم صالحون فكنت أكابر ولا أسمع وعظهم الصالح مقتبلًا نصحهم كالأسنّة . فينبلني اذ ذاك العدوّ فتجرحني سهامه المسنونة في كل حين . وأنا المسكين المغلوب أطاوعه في كل شيء وأخضع لعبوديته . ربي وإلهي بيسوع المسيح ابن الله الحي الأزلي خلصني من نيره وفكّني من أسره . آمين .

* * *

-٦-

حتى متى لا أرجع إلى ذاتي وعقلي وأسأل مولاي أن يهب لي توبة نصوحًا حقيقية بلا رجوع إلى الخطيئة ؟ وعلى من أعتمد اذا بقيت مسخطًا لخالقي ؟ وإلى متى أتصرف في الشرور وأجحد نعمة من يسترني ؟ فالواجب علي الآن هو أن أهرب من الشيطان ومن أفعاله الخبيثة الرديئة فانه مبغض الناس وقتولهم منذ القديم ولا يشفق حتى على من يطيعه بل يسوقه إلى الهلاك ، وأن ألجأ إلى الله الحي القيوم الأزلي المتعطف على بني البشر ، وأنهج طريق الخلاص وأتوكل على من خلقني ولا أقطع رجائي لأن خالقي جزيل التحنن والرحمة وفائق الصلاح . فإن كان العدو قد جرحني فيا رب أشفِ أنت سقمي برأفتك وانشلني من بين يديه لئلا يجعلني طعامًا للطيور ومأدبة للوحوش . أني أسجد الآن بين يديك يا ملك المجد معترفًا أمامك

بخطاياي وذنوبي وآثامي يا عليمًا بكل شيء وفاحص القلوب والكلى . فاغفر لي جميع ما خطئت به اليك فإن رأفتك عظيمة فلا مانع يمنعني من الدخول اليك ولا باب يردني عن المثول بين يديك ولا حاجب يصدني عن الوصول اليك لأنك تستقبل في كل وقت من يقبل اليك . أنت تحب الناس وتريد أن يخلص جميع الخلق ويهدوا طريق الحق . أنت محب للبشر غير حقود عليم بما في ضمير الانسان التائب وقبل ان يفتح فمه تقول له : سلْ فتعطى اطلب فتجد اقرعْ فيفتح لك ، ارجع عن الخطيئة وتبْ الي توبة صادقة نصوحًا تكنْ مقبولًا لدي مثل الأنبياء . يا رب أنت تقول وللحين يكون ما تقول . فها هوذا المخلع قد قام بأمرك فحمل سريره وذهب إلى بيته . وقد قلت للأبرص أتشاء أن تطهر فقال نعم يا سيدي وللوقت طهُر من برصه . دعوت من القبر العازر الذي كان قد مات منذ أربعة أيام فخرج حيًا . قلت للخاطئة : « مغفورة لك خطاياك » **(لوقا ٧:٤٨)** فخرجت من بين يديك طاهرة . فيا أيها الرب الحنون الرؤوف الغفور القدير ، قد خطئت إلى السماء والأرض وأمامك ولست مستحقًا بعد أن أقف أمامك ولا أن أدعى لك عبدًا ولا أن أذكر اسمك المجيد بشفتي الخاطئتين اللتين قد اسخطتاك مرارًا كثيرة . يا ربّ أسألك متضرعًا ان لا تطرحني من أمام وجهك وأن لا تبتعد عني لئلا أهلك لأنك وحدك عوني ونصرتي ولو لم تسندني يدك لكنت قد هلكت قبل الآن وصرت كالهباء أمام الريح كمن لم يكن في هذا العالم حيث لم أجد يومًا صالحًا منذ تركت طريقك . فإني أسألك منذ الآن متضرّعًا إلى رحمتك أن تعينني وتؤيدني لأعنى بأمر خلاصي . وأرغب اليك ساجدًا في ان تعضدني انا الضال عن الطريق المستقيم . اسكب عليّ رأفتك الغزيرة كما سكبتها على الصالحين لأني قد هتكت سيرتي وبددت كنز نعمتك . ارحمني يا رب ولا تسخط علي من جرّاء أفعالي الشريرة كما لم تسخط على الزانية والعشار . وارأف بي كما رئفت باللص الذي يئس من كل شيء فعضدته أنت وطهرته وأسكنته الفردوس . تبْ علي أنا المسكين فإني أكثر خطأ من هؤلاء جميعًا . هم رجعوا اليك رجوعًا ثابتًا بلا مرد وتابوا اليك توبة نصوحًا وأما أنا

الغبي ففعلت مثل الكلب الذي يقيء ثم يعود إلى قيئه يلحسه . إني أسألك الآن يا رب أن تتوب عليّ يا قابل التائبين وآتني من لدنك **توبة صادقة** لأني كدت أسقط تحت وقر خطاياي . أنت يا رب لم تأتِ لتدعو الصديقين بل الخطأة إلى التوبة . فانظر الي يا مرشد الضالين ومنير المظلمين وامنحني أنا الضال أن أسير سيرة غير ملومة واقمني ايها القاضي العادل عن يمينك في يوم الدين ولك ينبغي المجد إلى دهر الدهور . آمين.

* * *

-٧-

يا ترى أين يكون مسكني أنا الخاطئ في ذلك العالم الأخير بعد انقضاء عمري وانصرافي من ههنا ؟ وأين يكون نصيبي . أفي العمق أم في العلى ، أفي الراحة والسعادة أم في القلق والشقاء ، أفي الظلمة أم في النور ، أفي النعيم أم في النار ؟ كيف يكون جزائي وأنا مصرّ حتى الآن على التواني والكسل والأفكار الخبيثة فضلًا عمّا ارتكبته من الذنوب في عمري كلّه . وليس لي توبة نصوح ولا بكاء ولا تنهد ولا شيء آخر من الافعال الصالحة . الويل لي . كيف أمضي إلى تلك الظلمة القصوى وإلى تلك النار المؤبدة وإلى ذلك العذاب الدائم فلا راحة من العذاب لمن ينطلق إلى هناك ، حيث نار لا تطفأ ودود لا يموت وعمق هوة مظلمة وبكاء دائم وصريف الأسنان المتواصل وشدائد لا نهاية لها . وليس بعد الموت حيلة ولا وسيلة ولا حرفة تنقذ من هو مثلي من العذاب . الويل لي فإني قد استحققت ذلك العذاب الدائم الذي لا انقضاء له ، اذ قد أعرضت عن الصلاة وانثنيت إلى اللهو واحتقرت الذين هم أعظم مني قدرًا وصبوت إلى الاستبداد برأيي . أبغضت القناعة وأحببت الشراهة والنهم . كرهت التهجد ورغبت في النوم . اشمأززت من الطهارة وعكفت على الفحشاء . أنفت من

الطاعة وملت إلى الغضب والعصيان والسخط والحقد . مقت السكوت والصلاة ووددتُ اللعن والحلف . أضربت عن الدرس والتأمل وانصرفت وراء الضحك والمزاح والطرب والهذر . كرهت الفقر وأحببت كثرة المقتنى . مقت التنسك والتعب ومقتُ التنعم والشبق وامتلاء البطن . آثرت البطالة على العمل . أفسدت المحبة الأخوية وسعيت في الفتن والمشاجرات . استثقلت التوجع والحزن والبكاء والتمست الفرح والارتياح . سعيت للمدح والمجد الباطل والفخر ولم أحتمل هزءًا وتعييرًا من أجل الرب . وآسفاه على حالي ، انني لم أحفظ محبة الله وخشيته وقد أبغضت الأفكار السماوية وعكفت على الامور الأرضية . الويل لي من ذلك الوقت . فإني مزمع أن أقف بغير دالة فماذا عساني أن أفعل في تلك الساعة الشديدة الصعبة المفزعة التي لا مناص منها ؟ أنا أطرق إلى الأرض صامتًا من أجل خزيي وخجلي . بيد أن وجع قلبي يضطرني إلى أن أتكلم . وقد نسيت الآلام التي انتابتني بسبب رخاوتي . يا سيدي يسوع المسيح الهي ومخلصي من أجل محبتك لجنس البشر لا تؤاخذني بكثرة خطاياي . خلصني على حسب تحننك ورحمتك الغريزة لأنك أتيت من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزلت من السماء وتجسدت من جنسنا وصرت انسانًا مثلنا ولم تتغيّر عظمة لاهوتك واحتملت بإرادتك الآلام ، والجلد والصلب والموت من أجل خلاصنا .

الويل ثم الويل لي أنا الشقي . الويل ثم الويل لي أنا الخاطئ فإني صرفت عمري في الذنوب والآثام والرذائل . فماذا أقول وماذا أصنع ؟ أنت يا رب تعرف ضعفي وميلي إلى آلام الخطيئة . فاغفر لي يا ملكْي وإلهي . واغفر لي من أجل اسمك القدوس . خلصني أنا المسكين غير المستحق الخلاص وأنقذني من الهوة التي هويت اليها . من لا يبكي علي أنا التعيس ؟ اليك أتضرع يا سيدي ملتمسًا بجسارة ولجاجة أن تترحم على جبلتي وضعفي . فإني لا أقطع رجائي منك ولو متّ ألف موتة كل يوم . ارحمني يا رب ارحمني لأجل عظيم رحمتك وصلوات والدتك وأنبيائك ورسلك وشهدائك وملائكتك وسائر الذين أرضوك ويرضونك

لان لك القدرة والعزة والسلطان والجبروت والمجد والشكر والتسبيح مع أبيك الصالح والروح القدس المساوي لكما في الجوهر إلى أبد الآبدين آمين .

* * *

-٨-

يا من بكى العازر ذارفًا عليه الدموع أبرئ أوجاعي بأوجاعك واشف جروحي بجروحك ونقّ دمي بدمك الثمين . أمزج بجسمي رائحة جسمك المحيي . حلّ نفسي من المرارة التي سقاني اياها الشيطان بالمرارة التي سقاك اياها الأعداء . قوّ جسدي بجسدك الذي مدّ على خشبة الصليب واجذب اليك عقلي الذي جذبه الشيطان إلى أسفل . وبرأسك الذي أحنيته على الصليب ارفع رأسي الذي شدخه المصارع . وبتسمير يديك المقدستين انشلني اليك من هوة الهلاك كما وعد فمك القدوس . بوجهك الذي قبل اللطم والبصاق زيّن وجهي الذي تدنس بالاثم . وبنفسك التي أسلمتها إلى الآب على الصليب اهدني اليك منعمًا . يا رب إني بليد الفؤاد وليس لي قلب وَجِعٌ متخشع يسألك ولا توبة ولا ندامة تردّ الأولاد إلى نصيب الميراث ولا لي دموع غزيرة . لقد أظلم عقلي في العالميات فلا يستطيع ان يتجه اليك بانعطاف . وقد برد قلبي بكثرة المحن فلا يستطيع أن يُحمى بالدموع مضطربًا بمحبتك . فأعطني يا سيدي يسوع المسيح ، يا كثير الصلاح قلبًا وجعًا وتوبة كاملة لأخرج بكلية قلبي في طلبك . فبدونك أنا عديم كل خير . يا مخلصي الحنون جدد فيّ صورة مثالك بحق نعمة الآب التي بك أتت من حضنه . أنا قد تركتك فلا تتركني انت . أنا خرجت عليك فاخرج أنت في طلبي وادخلني إلى ديارك . عدني مع غنم رعيتك المختارة أنلني معهم حظًا من رؤيا سرائرك الإلهية التي مسكنها القلب الطاهر الذي تظهر فيه استعلاناتك الباطنة تسلية وعزاء ايها المسيح الهنا ومخلصنا . آمين .

الميمر الأوّل

رسالة الى يوحنا الراهب في الصبر، وعدم الانخداع بفكر ابتغاء السياحة، وفي العفة.

● ضرورة المشورة:

لقد وعظنا ثيوذورس التقي عظاتٍ عديدة كيلا ينتقل من موضعه فلم نتمكن من إقناعه، بل قال: إن أثرتَ ان تعينني وتكون مخلّصَ نفسي بعد الله، فأرسلني الى ديرك. فأجبته: إني فوّضت الاهتمام بالدير الى الأخ يوحنا، ولا يمكنني أن آمر أحدًا بالسكن فيه بدون رأيه. فقد فعلت فعلًا حميدًا بقبولك الاخ الآتي ذكره. لأنه حين عاد الينا اخبرنا بالعطف الذي حبوه به. فإنه ينبغي ان يكون أمثال هؤلاء مُكرّمين لديك، هؤلاء الذين أحبّوا الرب أكثر من الأب، والام، والاخوة، والأخوات، والزوجة، والأولاد، والأنسباء، والأصدقاء. فلقد صنعتَ حسنًا اذ جعلت نفسك قدوة في الأعمال الحسنة، ولا سيّما أنك صرتَ مثالًا للاخوة والساكنين معك على غرار ما فعل المسيح حين اصعد تلاميذه الى سموّ التواضع، فقال: «لأني أعطيتكم قدوة حتى انكم كما صنعت انا بكم تصنعون أنتم أيضًا» (يو ١٣:١٥)، لكي يُقنع الفعلُ الذين لا يقنعهم القول. والقدّيس بولس الرسول يعظنا قائلًا: «فأسألكم أن تقتدوا بي كما أقتدي أنا بالمسيح» (١ كور ٤:١٦). فلا تتهاونوا أنتم في الخدمة الروحية. ولا تتقاعسوا عن صلواتكم لعلة الاهتمام بالحاجات الجسدية. فإن اقوال الرب اذًا دُرست ورنمت دائمًا تغذي النفس وتحفظها. تقوّي الجسد وتؤدّبه وتطرد الشياطين، وتهزمهم وتجعل في النفس سكينة عظيمة.

أمّا للذين بدأوا بأعمال تفوق طاقتهم فسقطوا في معاطب لا نهاية لها ، أريد أن أذكر كلمات الرسول بولس : « أوصي كل من فيكم أن لا يسمو بعقله فوق ما ينبغي ، بل أن يتعقل تعقل الحكمة » (رو ١٢:٣) . ولم يسمعوا للحكيم القائل : « لا تكن صدّيقًا بافراط ولا تكن حكيمًا فوق ما ينبغي » (جا ٧:١٧) . لانه اتفق في هذه الايام ان قومًا من الاخوة غادروا قلاليهم ومضوا الى الأرض الجرداء التي لا ماء فيها ولا ثمر لها ، فزجّوا أنفسهم فيها . مع ان الآباء والأخوة وعظوهم عظات كثيرة فلم يذعنوا لرأيهم بل قالوا : نحن سنكون سواحًا . فلما انطلقوا الى البرّية الجرداء جدًا ووعوا أنهم مقصورون على الأرض غير المسلوكة طفقوا يستصعبون الأمر جدًا .

ثم حاولوا ان يعودوا الى الأرض المسكونة فلم يستطيعوا الخروج من البرّية القاسية جدًا لأن وجودهم في داخلها لم يكن بالأمر الهين . فتضايقوا اذ ذاك بسبب عدم الأكل وبسبب العطش والحرّ واستلقوا على قفّيهم والنفس ذابلة .

وكان تدبير من العناية الإلهية ان صادفهم قوم في حالة النزاع فاركبوهم دوابهم وأتوا بهم الى الأمكنة الآهلة . فتوفيت طائفة منهم وأكل الطير والوحوش أجسامهم . والذين نجوا لبثوا مريضين مدة طويلة . وعند ذلك أدركوا بالخبرة ان عليهم ألّا يعملوا شيئًا بدون استشارة .

فكثيرون اذًا اقتادهم فكر العظمة فذهبوا الى أرض قفر وسببوا لأنفسهم موتًا قسريًا . وآخرون لم يؤثروا ان يخدموا مشابهيهم في النفس فسقطوا في هذا العطب . وآخرون لم يرضوا بأن يعملوا بأيديهم فأصابهم العطب . وكذلك آخرون اذ هزئ بهم فكر الارتضاء بالذات وسمحوا بالمجد الباطل ورغبوا في اقتناص اطراءات السامعين على صيرورتهم سواحًا لم يفتكروا في الاتعاب التي تدهمهم ، فألقوا بأنفسهم في هذه المعاطب نفسها .

فالآن ينبغي ، ايها الحبيب ، ان لا ننقاد لافكارنا بدون تمييز[١] . فإننا نحتاج كثيرًا الى ان يعرف كل منّا امكانياته وأن يتضع لقريبه بمحبة الله . واذا شعر أحد انه قد أتقن الفضيلة وضبط الهوى وسيطر على الشهوات فلا يثق هذا بذاته لئلا ينطبق عليه القول المكتوب :

« ان الملك الجسور يسقط في المساوئ وملاك النور ينجّيه »[٢] .

● في التواضع :

ربما يعترض أحدكم من الآباء قد اتقنوا هذه الفضيلة في البرية ؟ فيلزم ان نوضح لكم هذه الشهادة من أخبار سير الآباء القدّيسين وكيف أنهم لم يعملوا شيئًا ماعبثًا وجزافًا . فقد روي عن **مكاريوس** الراهب انه قال :

بينما كنت جالسًا في حجرتي بالاسقيط باغتتني الافكار قائلة : إمضِ الى داخل البرية ، وافهم ماذا تعاين هناك . فلبثت محاربًا هذا الفكر مدة خمس سنين خاشيًا من ان يكون من الشياطين .

فتأمل فهم الرجل ! انه لم ينقد ولم يتبع الفكر ، بل لبث يمحّصه صائمًا ساهرًا ومصليًا ليعرف أهو من الشياطين أم لا ؟ فنحن اذا خطر لنا الفكر ونحن مقيمون ننفر ونستوحش . وليس فقط أننا لانفحصه مصلّين بتوجع ، بل اذا

---

(١) في « بستان الرهبان » قصص مماثلة . وكذلك في « السلم إلى الله » . في أقوال الشيوخ جاء : « ان رأيت شابا يصعد إلى السماء بمطلق ارادته الذاتية ، فامسك برجله وألقه على الأرض ، لأن ذلك بلا قيمة له » . وفي أقوالهم طعن كثير في الإرادة الخاصة . فالخضوع للشيوخ الحكماء الفطناء المحنكين المختبرين ضرورة ملحّة لا مفرّ منها للراغبين في السلوك المتزن . وروى كاسيانوس عن الشيخ يوحنا الذي كان راعيًا لدير كبير وجمهرة من الاخوة انه قال في أواخره وهو يئنّ : « لم أصنع قط إرادتي الخاصة ، ولم أعلّم أحدًا ما لم أفعله أوّلًا (S.C.n.109, p 237 وأقوال الشيوخ ٥ في مين ٦٥:٢٤٥. وانظر سيسوي ٤٥) .

(٢) أفرام يميل مثل باسيليوس والسلمي إلى الدير المشترك .

وعظنا آخرون لا نقتنع ولا نخضع لرأيهم ، لذلك يسبينا المعاند بسهولة . ثم انه لما توطّد الفكر واستمر لدى الراهب مكاريوس خرج الى البرية فصادف هناك بحيرة ماء في وسطها جزيرة . أتت نعام البرية لتشرب منها . رأى وسطها رجلين عاريين . وبعد ان فاوض بعضهم بعضًا قال لهما مكاريوس الراهب :

كيف يمكنني أن أصير راهبًا ؟ فقالا له : ان لم يزهد أحد في العالم وأشياء العالم كلها متجرّدًا منها لا يستطيع أن يكون راهبًا . فقال لهما :

« أنا ضعيف ولا استطيع أن أكون مثلكما » فقالا له : ان لم يمكنك ان تكون مثلنا فأقم في قلايتك وابكِ على خطاياك . يا لعظمة تواضع الانسان الالهي ويا لسمو فهم النفس الخاشعة . لم يجعل نفسه مستحقًا للأمر ، بل قال لهما : أنا ضعيف ولا أستطيع أن أكون مثلكما . فنحن لم يقم في وجهنا اضطهاد ولا اضطهدنا أحد ونسلك في التهجم والاعتداد بالنفس منذ مبادئ سيرتنا . ونبدأ بأفعال تفوق طاقاتنا كمجرّبين للرب الاله ، الأمر لمخيف جدًا . الويل للانسان المتوكل على قوته ونسكه وعلى ذكائه دون أن يكون اتكاله على الله لان منه وحده العزّة والقوة .

اذا فحصنا سيرة القدّيس انطونيوس الراهب نجده صانعًا كل افعاله بإعلان الهي . الم يقم في دير ، ألم يحتاج الى ملابس ، ألم يأكل خبزًا ، الم يعمل بيديه ، الم يكن له تلاميذ كفنوه ودفنوه عند موته ؟ وليس انطونيوس المغبوط وحده الذي سار هذه السيرة بل سائر الآباء الذين تمم الله بواسطتهم آيات وأشفية . لانهم كانوا كالمصابيح البهية مشرقين بالفضائل . فلنقتف نحن يا أحبائي سيرتهم ومذهبهم ولنسلك في الطريق الملوكية غير حائدين الى ميامنها أو الى مياسرها .فلنثابر على السكوت ، والصوم ، والسهر ، والصلاة ، والدموع ، والصلوات الجامعة ، وعمل اليد ، ومخاطبة الآباء القدّيسين ، وإطاعة الحق ، والاستماع الى الكتب الإلهية لئلا يتحوّل فكرنا الى أرض بور تنبت فيها الاهواء .

ولنهيء أنفسنا لنستحق تناول الاسرار المقدّسة الطاهرة ، لكي ننقي أنفسنا من الافكار الدنسة المتولدة فيها ويسكن الرب فينا فينقذنا من الخبث . وقبل هذه كلّها ، فلنحفظ المحبة الصادقة بعضنا لبعض وللجميع . فبسبب القريب ننال الحظ الشرير والحظ الصالح . لان القائل صادق هو : « انكم كلما فعلتم ذلك بأحد اخوتي الصغار فبي فعلتموه » (متى ٢٥ : ٤٠) . وقد قال يسوع للذين لا رحمة لديهم : « انكم كلما لم تفعلوا ذلك بأحد هؤلاء الصغار فبي لم تفعلوه » (متى ٢٥ : ٤٥) .

كان القدماء يذبحون عجولًا وكباشًا وخرافًا لا عيب فيها ونقية ويقدمونها ضحية . فلنقرّب نحن جسدنا للرب بالروح القدس (رو ١٢ : ١) ولا نَصمْه بالافعال المحظورة ولا ندنسه بفكر ما لئلا تكون ضحيتنا غير مقبولة . أمّا الحال التي يجب أن نقتني بها القداسة فهي حال الذين لهم عقل العين المستيقظة وذكر الله الذي تضيء أشعته كل قلب .

● في العفّة :

أما العاجزون عن التمسك بهذا الفكر فيحتاجون الى النماذج والرسوم ليقتنوا أثر هذه الفضيلة ويتقنوها . فليكن رسمنا مثل هذا : ان الذين يتسابقون في الحرب التي تنشب في العالم ، ترسم لهم صور على الحيطان والالواح تمثل فيها رواية الحرب كيف ان بعضهم استشهدوا وبعضهم وقعوا جرحى ، وكيف ان قومًا قد هربوا ويلحق بهم قوم يمتشقون سيوفهم ويحْصدون مصارعيهم كحصاد السنابل . وهذه الاشياء تصنع ليتمثل بها الصائرون اليها فيما بعد ولذكر فضل السابقين بالنسبة الى من بارزهم في الحرب . وقد رسم كثيرون جهاد القدّيسين في هياكل الصلوات(٣) ليقتدي به متوطد القلب وليتفرج عليه الناظرون اليه . وبما

---

(٣) الأيقونات كانت تزين الكنائس في أيام أفرام .

ان سيرتنا مزمعة ان تكتب وتصور وتنصب على علوّ شاهق ليعاينها الجميع فاحرصوا بل فلنحرص على ان نتقن الفضيلة لئلا يرسم في ايقونتنا شيء مزموم وغير ملائم . فإنه مستقبح بالحقيقة ان يبصر الواحد في ايقونة رجلًا يكلم امرأة عاهرة .

ولا سيما اذا كان من المظنون فيهم أنهم لابسو التدبير الحسن . فإن كان ذكر مع ذكر على رأي القائل ذكورهم يعملون الفحشاء بذكور ، فمن ، يا ترى : يجرأ على معاينة تلك الايقونة . لانه يجب ان يهرب المرء من المنظر . فإننا نعلم يقينًا ان عذابًا لا يحتمل سيحل بمن يوجد في مثل هذا الهوان . فلنهتم بأن نجعل وضع الرواية التي تصف أخبارنا ، واتقانها حسنين وممدوحين يستنهضان من ينظر جمالها الى اتقان الصالحات . فلا يصور فيها شيء رديء النوع ولا نوع لا يمت الى الفضيلة بصلة لأن الرواية المتعلقة بأهل صادوم ماثلةً مثولًا لا يضمحل تخبر بكيفية إحاطة اولئك المتكالبين على الشهوة بمنزل لوط الصدّيق الى ان ضربوا بالعمى ، واحترقوا بالمطر الناري ، وصاروا رمادًا هم وأرضهم التي ارتكبوا عليها الفحشاء (تك ١٩). فهذه الرواية ، كأيقونة ، توعب خوفًا . وضعها الإله خالقنا في ضمير كل واحد منّا حتى اذا ما نظرنا الى مثل ذلك المثال الرادع نرتدع عن الافعال الطالحة . فأمّا الذين يغمضون عيونهم عن تلك الرواية التي اقامت لنا عظة فأولئك يسقطون بسهولة في هوّة اللذات .

فأنت ، اذًا ، ليكن ناظر ذهنك مقترنًا بمثل هذه المعاينة لكي تصدم بالخوف الأهواءْ النجسة وتجعل الأهواء المضطرمة تبتلع بانتظار السخط عليها لان منْ يتصور ذلك الرجل الذي يبعثه الله لا يجزع . وينقبض ذهنه ان لم يكن يستعمل هذه المعاينة بهذيذ قلب رائد .

أما انا المتواني فإني لما نصبت في ذهني تلك الرواية تنهدت ووضعت رأسي بين ركبتي لما تصورت جزي تلك النار والأرض نفسها مضطرمة ومملوءة جميعها

كبريتًا ودخانًا وقاطنوها قد ذابوا كالشمع . ترى اما تستطيع نماذج وحوادث المصابين في الماضي أن تحرّك النفس الصخرية وتذيبها وتلينها ؟ فلنتفرس باستمرار في هذه الرواية منذ الآن . بل فلنتأملها بغير فتور لكي نهرب ونفلت من اختبار النقمات الآتي ذكرها بواسطة الحرص على الاشياء المفضلة . لان التواني ينشئ عدم الخشية ومنهما كليهما تنشأ العادة (الرديئة) . والذين يسقطون في عادة الشر يعثر انتشالهم منها . فهم جانحون كل حين الى افساد الثمر الروحاني .

وينبغي أيضًا أن نحضر ذكر يوسف كأنه في أيقونة وننعم النظر في أمره كيف ان المصرية جذبته وأمسكت بثوبه وكيف ان محب الله ترك رداءه وهرب من ارتكاب ما هو دنس[٤].

ولنعاين في ذهننا كفي أيقونة الشيخين اللذين كانا في بابل كيف انهما دعوا سوسنة المغبوطة[٥] الى ارتكاب الفعل الشنيع فاستعملت هي فكرًا مؤمنًا شجاعًا فحطمتهما . فلنجاهد نحن بشجاعة هكذا ولاسيما أننا نؤمن انه ليس خفيّ إلّا سيظهر (مرقص ٤:٢٢) . وذلك لكي يُثنى علينا بثناء الفضيلة والمديح ونكون مع الممدوحين لا مع المذمومين . فأمّا للذين يلتمسون معرفة كيف يتصرّف الاخوة فيما بينهم ويسترضون الاله الحقيقي فاذا صليتم من اجلنا رسمنا لكم أخيرًا ، بمؤازرة النعمة لنا ، كل ما يمكن قوله في هذا الباب . وليكن بيننا وبينكم على مدى الحياة ، الربُ الممطر سرورًا ، وقداسة ، وسلامًا ، ورجاء صالحًا على الذين يتبعونه بالحقيقة . قبّل عني الاخوة الذين معك . يقبلك الاخوة الذين ههنا والمجد لله دائمًا .

---

(٤) تكوين ٣٧ - ٥٠.

(٥) دانيال ١٣.

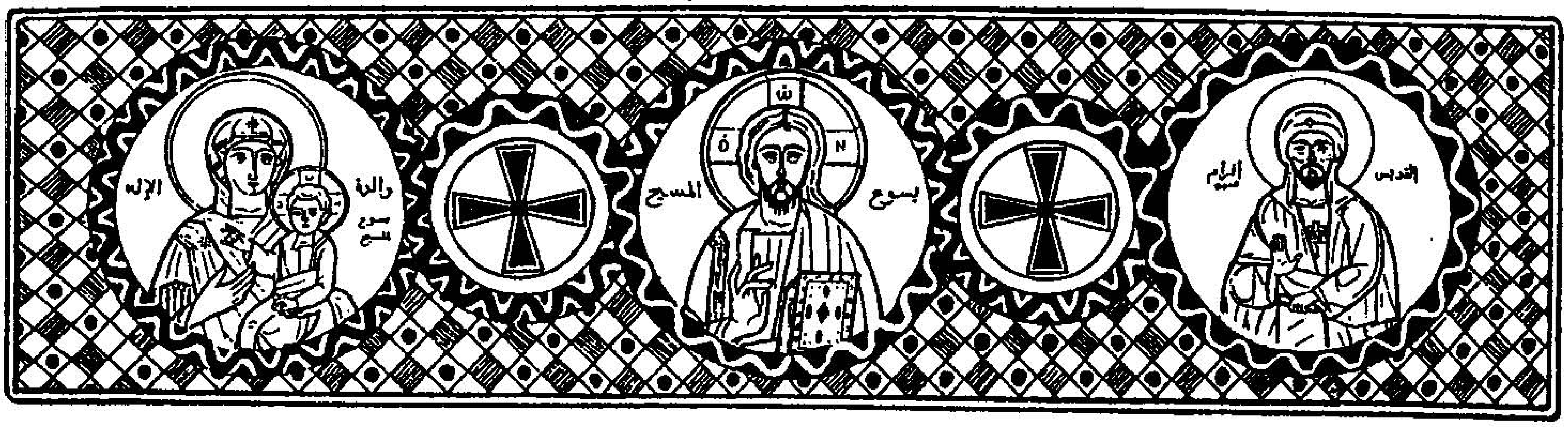

الميمر الثاني

توبيخ لذاته : إعتراف

يا اخوتي ، تألّموا معي وليكن لكم تحنّن ورأفات . فإنّ الكتاب لم يقل باطلًا : « الاخ أمنع من مدينة محصنة » (أمثال ١٨:١٩) ، لأنه قوي كقوة المملكة المتوطدة ، ويقول أيضًا :

« اعترفوا بعضكم بزلاتكم وصلّوا بعضكم لاجل بعض لكي تبرأوا » (يعقوب ٥:١٦) . يا من إصطفاكم الله ، اقبلوا توسّلًا ممن عاهد الله أن يرضيه فكذب على خالقه ، وذلك لكيما أنجو بطلبتكم من الخطايا المحيطة بي ، وأصير معافى ، وأنهض من سرير الخطيئة المفسدة . فإني منذ طفولتي قد صرت إناء رديئًا مرفوضًا . والآن اذ أسمع بالدينونة ، أتهاون بما ان خطاياي وجرائمي تفوق الملء .

إني أعظ الآخرين ان يبتعدوا عن الأشياء غير النافعة ، وإياها افعل مضاعفًا . ويلي في اي يأس وقعت ؟ ويلي في اي خزي حصلت ؟ ويلي الآن ! إن باطني ليس كظاهري . فلهذا ، ان لم تشرق علي رأفات الله سريعًا فلا رجاء لي في أعمالي ، ولا رجاء واحدًا للخلاص . فإني أتكلّم عن الطهارة وأفكر في الفجور . أنشئ أقوالًا في عدم الهوى والهذيذ في الاهواء النجسة موجود فِيَّ ليل نهار . فأي اعتذار لي ؟ ويلي أي فحص قد أُعِدَّ لي ؟ بالحقيقة إني ارتدي زي الديانة

الحسنة لا قوّتها (٢ تيمو ٣:٥) . بأي وجه أتقدّم الى الرب الإله العارف مكنونات القلوب ؟ أنا دَيّن بمثل هذه المساوئ وأجزع أن اقف في الصلاة لئلا تنحدر عليّ نار من السماء فتبيدني . فإنه ان كان الذين قدّموا في البرية نارًا غريبة قد خرجت من لدن نار فأحرقتهم (لا ١٠:١-٢) فماذا أتوقع أنا المثقل بهذا المقدار العظيم من الذنوب ؟

أأقطع رجائي من خلاصي ؟ حاشا . فهذا هو ما يحرص عليه العدوّ . فإذا انحدر أحد الى اليأس يستولي الشيطان عليه . فأنا لا أيأس من نفسي لأني أثق برأفات الله وبتوسلاتكم . فلا تكفوا اذًا عن التضرّع الى المتعطف عليّ لكي يعتق قلبي من عبودية الاهواء الشائنة . فقد عمي قلبي ، واستحال فكري الحسن التدين ، وأظلم ذهني ، وصرت مثل الكلب العائد الى قيئه (٢ بطرس ٢:٢٢) فما ذهني بنقي ، ولا لي دموع في صلاتي . اذا تنهدت نشف ماء وجهي من الخزي . اقرع صدري الذي هو خزانة الاهواء المهلكة . لك المجد أيها المحتمل الكل . لك المجد أيها الطويل الاناة . لك المجد أيها المتأني على البشر . لك المجد أيها المتعطّف على الناس . لك المجد أيها الصالح . لك السبح أيها الحكيم وحدك . لك المجد أيها المحسن الى النفوس والاجساد . لك المجد أيها المشرق الشمس على الاشرار والصالحين والممطر على الابرار والظالمين (متى ٥:٤٥) . لك المجد يا فادي الامم كافة والطبيعة البشرية كلّها كانسان واحد . لك المجد يا فادي طيور السماء والوحوش والدواب والبرايا المائتة كمن يغذّي عصفورًا صغيرًا واحدًا . فإنّ البرايا كافة اياك ترجو لترزقها طعامها في حينه (مزمور ٣:٢٧) . فإنّ قدرتك العظيمة ورأفتك مسبغتان على أعمالك جميعها .

فلهذا أطلب اليك ، يا الله ، ان لا تطرحني مع القائلين : « يا رب ولا يعملون إرادتك » (متى ٧:٢١) : بشفاعة جميع الذين أرضوك ، لأنك أنت تعرف الهوى المكتوم فيّ ، وأنت الخبير العالِم بجراحات نفسي . إشفني يا رب فأبرأ . جاهدوا معي في الصلوات . يا أخوة طالبين الرحمة من صلاح الله .

ونفسي المرة بسبب الخطايا حلّوها بالكرمة الحقيقية التي أغصانها لكم . أعطوا العطشان من ينبوع الحياة الذي قد أهلتم لخدمته . أنيروا قلبي ، يا من صرتم أبناء النور . ارشدوني ، أنا الضال ، الى طريق الحياة ، يا من قد ثبتم فيها . أدخلوني من الباب الضيّق الملوكي (متى ٧:١٣) كما يدخل السيد عبده يا من صرتم وارثين الملك . فإن قلبي قد انسكب . فلعل رأفات الله تدركني بتوسلكم قبل أن أجذب مع فاعلي الاثم . وهناك تنكشف علانية جميع المفعولات في الظلمة .

فماذا يصيبني اذا رآني مدينًا الذين يقولون الآن إنني بلا عيب؟ تركت الصناعة الروحية ، وخضعت للاهواء . لا أؤثر ان أعلم ، إنما اشاء أن أعلّم . لا أؤثر أن أطيع ، إنما أشاء أن أطاع. لا أختار التعب إنما أؤثر أن أتعب . لا اريد أن أعمل ، إنما اشاء أن أحضِ على العمل . لا أؤثر أن أكرِّم ، إنّما أود أن أُكرَّم . لا أؤثر أن أُعيَّر . لا أريد أن أُحتقَر انا اشاء أن أحتقِر . لا أؤثر أن يُتكبر علي إنما اشاء أن أتكبر . لا أختار أن أُوبَّخ انما أشاء أن أوبِّخ . لا اريد أن أَرحَم إنما أطلب أن أُرحَم . لا اشاء أن أُنتهَر ، انما أؤثر أن أنتهِر . لا أؤثر أن أُظلَم انما أَشاء ان أَغتاب . لا أشاء أن أُمسَك انما أؤثر ان أمسك . حكيم في الوعظ وغير حكيم في العمل .

أقول ما يجب أن يُعمل وأعمل ما لا ينبغي أن يقال . من ذا لا يبكي علي . أيها الابرار والصديقون ، ابكوا علي أنا الذي استولت عليه الاهواء .

أيها الابرار والصديقون ومحبو النور ومبغضو الظلمة ، ابكو علي أنا الذي أحب أعمال الظلمة لا أعمال النور . أيها المختَبرون ، ابكوا على المنفي غير المختبِر . ايها الرُحماء والودعاء ، ابكوا علي أنا غير الرحيم والغضوب . أيها الصابرون على كل مذمة ، ابكو على الغريق في الآثام . يا محبو الخير ومبغضو الشر ابكوا علي انا الذي ترك العالم بالزي فقط . يا مرضيي الله ، ابكوا على مُرضي الناس . يا مقتني المحبة التامة ، أبكوا على الذي أحبّ قريبه بالاقوال وابغضه بالافعال .

أيها المهتمون بأنفسكم ، ابكوا على المفتش عن الاشياء الغريبة . يا مقتني

الصبر ابكوا على غير الصبور والعادم المثمر . ايها المتعطشون الى الادب والتعليم ، ابكوا على فاقد الأدب والمرفوض . أيها المتقدّمون الى الله بلا خجل ، ابكوا علي أنا غير المستحق أن اتفرس وأنظر الى علو السماء .

أيها المقتنون وداعة موسى ، أبكوا علي أنا الذي أضعتها باختياري . أيها الحائزون على عفة يوسف ، ابكوا عليّ انا الذي دفعها وطرحها . أيها المحبون امساك دانيال ، ابكوا عليَّ انا الصائر غريبًا عنه .

يا من أحرزتم عدم القنية الذي حازه الرسل ، ابكوا على المتعبد لها كثيرًا . أيها المؤمنون والراسخو القلب لدى الرب ، ابكوا على ضعيف النفس والجبان المنفي . با محبي النوح ومقصيي الضحك ، ابكوا على محب الضحك ومبغض النوح . يا من قد حفظتم هيكل الله بلا دنس ، ابكوا علي أنا الذي قد دنسته وقذّرته . يا من يتذكرون الفراق والطريق التي لا بدّ منها ، ابكوا على غير المتذكّر وغير المتهيء لهذا السفر . يا من قد رُسمت في اذهانهم الدينونة التي بعد الموت ، ابكوا على المعترف بانه يذكرها ويفعل ضدّها . ايها الوارثون لملكوت السماء ، ابكوا على الوارث لجهنم النار . ويلي انا الذي لم يترك عضوًا سالمًا من الخطيئة أو حاسة لم يفسدها وأنا غير مبال بذلك .

يا اخوتي ، ها قد كشفتُ لكم كلوم نفسي فلا تتوانوا في أمري ، أنا المتألم . لكن أطلبوا الى الطبيب من اجل السقيم ، الى الراعي من اجل الخروف ، الى الملك من اجل الأسير ، الى الحياة من أجل المائت ، لكي أنال الخلاص من الخطايا المحيطة بي بيسوع المسيح ربنا ويرسل نعمته ويعضدُ نفسي السريعة الانزلاق . فإني أستعد لمقاومة الأهواء وفي عراكي معها يشل الثعبان المحتال باللذة قوة نفسي ويقيدني ماسورًا بها . وأنشط أيضًا في انقاذ المحترق فتلفحني حرارة النار وتجذبني الى وسط لهيبها ، أغدو طالبًا خلاص الغريق ولكن لفقداني الدربة أغرق معه .

أرغب أن أصير طبيبًا للهوى بينما قد استولى علي شخصيًا . وعوضًا عن

الشفاء يجرحني أنا المريض . أنا لم أزل أعمى ، ومع هذا أروم أن ارشد العميان . فلذلك أنا محتاج الى صلوات كثيرة لكي أعرف قدرتي لتظللني نعمة المسيح ، وتضيء قلبي المظلم ، وتسكن فيَّ معرفة الهية عوضًا عن جهل . فإنه لا تعسر على الله كلمة ما . فهو منح شعبه مسلكًا في البحر غير المسلوك . هو أمطر عليهم المنّ (خز ١٦:٤) ومن السماء بعث اليهم بالسلوى كرمل البحر (عد ١١:٣١) . ومن صخرة صلدة منح العطاش ماءً (خر ١٧:٦) . بصلاحه خلّص الواقع بين اللصوص . (يا ليت صلاحه يخلصني أنا ايضًا الواقع في خطايا كثيرة كمكبل من جرى التكبّر ! فليس لي دالة لدى فاحص القلوب والكلى ولا يستطيع أن يشفي وجع نفسي أحد سواه ، هو العالم باعماق القلب . كم من مرّة أقمت في ذاتي حدودًا بيني وبين الخطيئة المحطمة للشريعة (وبين) المعاندين الذين من النتائج المضادة يحرّكون الخواطر للحرب ! فغيّر ذهني التخوم وهدم الحيطان إذ لم تكن للتخوم قوّة تصونها في خشية من هو أفضل من الجميع ، ولأن الحيطان انما تؤسس على التوبة الخالصة .

فلذلك اقرع الآن ليفتح لي (متى ٧:٧) واستمر في الطلب حتى انال المطلوب . لقد وهبتني خيراتك ، وأما انا فقد قابلتها بالمساوئ . أمهلني أنا القاسي فلست أطلب عفوًا عن كلمات باطلة ، بل انما أطلب الى خيريتك صفحًا عن أعمالي التي لا برَّ فيها . يا ربّ ، جرّدني من كل فعل خبيث قبل ان يدركني الانقضاء ، لكي أجد نعمة لديك في ساعة الوفاة اذ ليس في الهاوية من يشكرك .

يا ربّ ، خلّص نفسي من الخوف ، وبيّض حلّتي القذرة من أجل رأفتك وصلاحك لكي اذا ما سربلتني انا غير المستحق بالبياض أؤهل لملكوت سماواتك ، واذا ما حصلت في السرور الذي لا ينقرض أقول :

المجد لمن خلص من فم الاسد نفسًا مغمومة ، وجعلها في جنّة النعيم لأنه بك يليق ايها الكلي قدسه ، المجد والعزة والاكرام الى ابد الدهور . آمين .

اعتراف وتوبيخ النفس

تعطّفوا عليّ أيها الاخوة إن كان في أحشائكم رأفة . ألم يذكر الكتاب ببساطة في سفر الأمثال ما يلي : «أخ يساعده أخوه يصبح كمدينة شاهقة حصينة والاثنان معًا كمملكة ذات اساسات متينة » (أمثال ١٨:١٩)[١]. ويقول الرسول يعقوب أيضًا : « اعترفوا بعضكم لبعض بخطاياكم وصلّوا من أجل بعضكم بعضًا لكي تشفوا » (يعقوب ٥:١٦) . تقبّلوا اذًا مني يا مختاري الله من يعدكم بأن يسير في رضى الله مع انه قد ظهر كاذبًا أمام جابله حتى انني بطلباتكم أخلص من خطاياي التي تكبلني وأنهض معافى من سرير الخطيئة المفسدة للنفس لأنني منذ صغري أضحيت اناء فارغًا لا قيمة له . والآن وقد سمعت عن الدينونة الآتية ازدري بها وكأنني لم أرتكب أيّ خطأ أو جريمة . أرشد الآخرين ليبتعدوا عن الأمور غير النافعة وأنا نفسي غارق فيها وبصورة مضاعفة .

ويلي في أية دينونة وقعت ؟ في أي خزي أضحيت ؟ الويل لي لأن خفاياي ليست كظواهري . لذلك إن لم تتداركني سريعًا رأفات الله لن يبقى لي أي رجاء خلاص . أتحدث عن الطهارة وفكر الزنى لم أقصه عني . أتكلم عن اللاهوى وهاجس الأهواء المعادية لا يفارق تأملي ليل نهار . الويل لي أي دفاع أعطي ؟ أي حكم سأنال ؟ إنني بالحقيقة مزين بمظهر التقوى لا بفعلها . بأي وجه أتراءى أمام الرب الإله العارف خفايا قلبي . انني وأنا المجرم بأهوائي الكثيرة أجزع من الوقوف للصلاة لئلا تنزل نار من السماء وتحرقني . إن الرب قد أحرق أبناء هارون ناداب

(١) المرجع مأخوذ من الطبعة السبعينية من الكتاب المقدّس العهد القديم Lxx.

وأبيود فأنزل عليهما نارًا من السماء لأنهما قدّما له في الصحراء تقدمة نار غريبة . فماذا أنتظر إذًا أنا المحاط بمثل هذا الثقل من الزلّات ؟

ماذا أفعل إذًا ؟ أأفقد الرجاء من خلاصي ؟ حاشا ! ذلك أن العدوّ يحرّض الانسان ويدفعه إلى اليأس وهكذا يسيطر عليه . أمّا أنا فلا أيأس لأن لي رجاء في رأفات الله وفي شفاعاتكم ، فتوسلوا دومًا إلى الإله المحب البشر من أجل أن يحرّر قلبي من عبودية الأهواء الشنيعة . لقد فسد قلبي وتشوّه فكري وأظلم عقلي . صرت أعود كالكلب إلى قيئه . وليس في ذهني نقاوة ولا دموع في عيني ابّان الصلاة . إن تنهدت عبس وجهي المخزي . لأقرع اذًا صدري محط الأهواء ! المجد لك أنت يا من تحملني ! المجد لك يا طويل الأناة ! المجد لك يا عديم الشر ! المجد لك أيها الصالح ! المجد لك أيها الحكيم ! المجد لك أيها المحسن إلى نفوسنا وأجسادنا ! المجد لك يا مشرق الشمس على الصالحين والأشرار والممطر الخيرات على العادلين والظالمين ! المجد لك يا من تطعم الأمم كلّها كمن يطعم انسانًا واحدًا ! المجد لك يا مغذي طيور السماء والوحوش والزحافات والحيوانات البشرية كمن يغذي عصفورًا صغيرًا واحدًا . الكلّ يتطلعون اليك من أجل أن تعطيهم المأكل المناسب . قدرتك عظيمة ورأفاتك ظاهرة في كل أعمالك يا ربّ . من أجل ذلك أطلب منك ان لا تقصني وتحصني مع الذين يقولون لك يا رب يا رب ولا يتمّمون مشيئتك بشفاعات جميع الذين أرضوك أيها العارف أهواء نفسي . يا رب أيها العارف جراح نفسي إشفني لأنني أريد أن أتعافى . أيها الاخوة جاهدوا معي في صلواتكم . استمطروا رحمة من لدن صلاحه . قطّروا حلاوة في نفسي التي مرمرتها خطاياي . أنتم أغصان الكرمة الحقيقية فارووا نفسي من معين الحياة . لقد ولدتم أبناء للنور فأنيروا قلبي وأرشدوني أنا الضال إلى سبل الحياة التي ثبتم فيها . أنتم وارثو الملكوت فأدخلوني الباب الملوكي كما يُدخل السيّد عبده الخاص لأن قلبي لا **يقوى** على الحراك . لتتداركني رأفات الله بتوسلاتكم قبل ان **يسوقني فاعلو** الاثم . هناك ستكشف الأعمال التي صنعت

في الخفية وفي العلن فأي خزي سيعتريني عندما سأدان أمام الذين يظنونني بلا عيب .

لقد تخلّيتُ عن الجهاد الروحي وخضعت للأهواء . لا أريد أن أعرف وأنا أرشد الآخرين . لا أريد أن أطيع وأنا أسعى لإخضاع الآخرين . لا أريد أن أتعب وأنا أحمّل الآخرين المشقات . لا أريد أن أعمل وأنا أراقب أعمال الآخرين . لا أريد أن أكرّم أحدًا وأنا أدعو الآخرين إلى تكريمي . لا أريد أن أُذَلّ وأنا أذُلّ الآخرين ، لا أريد أن أُغتاب وأنا أمارس النميمة . لا أريد أن أعرف فضائل الغير وأنا أنتظر من الكل المديح . لا أريد أن يمجّد الآخرون وأنا أسعى إلى أن أتمجّد . لا أريد أن أستعبَد وأنا استعبد الآخرين . أبدو حكيمًا في إرشاد الغير اما انا فلا أفعل . ما يجب أن لا يُعمل اياه أعمل وما يجب أن لا يُقال اياه اقول . من لا يودّ أن يرثي لنفسي وأنا على هذه الحال !

أرثوا لي أيها الأبرار والصديقون انا القابع في الآثام . أرثوا لي أنتم الذي أحببتم النور وأبغضتم الظلمة بينما أحببت أنا أعمال الظلمة وابتعدت عن أعمال النور . ارثو لي يا ذوي الخبرة الحسنة انا العديم الخبرة . ارثوا لي أيها الرحماء والمتحننون أنا الشقي الممرمر . ارثوا لي يا عديمي اللوم أنا الغارق في الآثام . أرثوا لي يا محبّي الصلاح ومبغضي الشر أنا المحبّ للأعمال الشريرة والمبغض للصالحات . ارثوا لي يا ممارسي الحياة الفاضلة انا السالك في السيرة الملائكية في الشكل فقط . يا من يرضون الله ارثوا لي انا المرضي ذاته . يا من امتلكتم المحبة الكاملة ارثوا لي أنا الذي يحبّ قريبه بالكلام فقط ويبغضه بالأعمال . يا من اهتممتم بخلاص نفوسكم ارثوا لي انا المهتم بنفوس الآخرين والناسي نفسي . يا من صبرتم وأثمرتم بالله ارثوا لي أنا العديم الصبر والثمر . يا من رغبتم في تأديب ذواتكم وتعليمها أرثوا لي أنا العاصي البطال . يا من طلبتم من الله بدالة ارثوا لي انا غير المستحق لأن أنظر إلى علوّ السماء . يا من اكتسبتم وداعة موسى أرثوا لي انا الذي فقدتها بإرادتي . ايها الحاصلون على عفّة يوسف

أرثوا لي أنا الذي نبذتها . يا من سررتم بإمساك دانيال ارثوا لي أنا الذي حرمت منه طوعًا . يا من حصلتم على صبر أيّوب أرثوا لي أنا الغريب عنه . أيها العديمو القنية كالرسل أرثوا لي أنا البعيد عنها جدًا . يا من آمنتم ووثقتم بثبات في الرب أرثوا لي أنا الغارق في الشك والجبن وعدم الخبرة . يا محبّي النوح ، يا حافظي هيكل الله طاهرًا ارثوا لي أنا الذي دنّسه . يا ذاكري انفصال النفس والموت المحتّم أرثوا لي أنا الذي لا أذكره يا مالكي ذكر الموت والدينونة في ذهنهم(٢) أرثو لي أنا المعترف به والعامل بعكس ما ينطوي عليه . يا وارثي ملكوت السماوات أرثوا لي أنا المستحق نار جهنّم . **ويلي لأن الخطيئة لم تدعْ فيّ أيّ عضوٍ سليمًا ، ولا أية حاسة بلا فساد .**

يا اخوة النهاية على الابواب ها قد بيّنت لكم جراحات نفسي فلا تنسوني اذًا انا الشقي لكن توسّلوا إلى الطبيب من أجل المريض ، إلى الراعي من أجل الخروف إلى الملك من أجل الأسير ، إلى الحياة من أجل المائت . حتى أجد بربنا يسوع المسيح الخلاص على خطاياي التي تتسلّط عليّ . فيرسل حينئذ نعمته ويمسك بنفسي المنزلقة لأني على استعداد لمقاومة الأهواء . انني يا اخوة أتصارع معها والشيطان يأتي بألاعيبه الشريرة ليشل حيويّة نفسي عن طريق اللذات . فأضحي أسيرًا لها . ثم أعود وأجاهد في سبيل التخلّص من الحريق لكن النار تجتذبني مرة أخرى . وأسارع لانقاذ الغريق الغارق في أمواج الخطيئة فأغرق انا معه بسبب عدم خبرتي .

أريد أن أصير طبيبًا للأهواء وها أنا رازح تحت وطأتها . عوض أن أطبّب المريض أوبّخه . أنا أعمى وأودّ أن أقود عميانًا . لذلك ألتمس أن تقام الصلوات من أجلي حتى أعود إلى نفسي وتظلّلني نعمة الله وتنير قلبي المظلم فتسكن فيه النعمة الإلهية ذلك ان لا شيء مستحيل عند الله . هو الذي مكّن شعبه ان يجتاز

---

(٢) في النوس ، مركز الكيان عند الإنسان ، مركز الفكر والقلب .

البحر الذي يستحيل عبوره ، وهو الذي أمطر عليهم المنّ وأرسل لهم السلوى مثل رمل البحر ، هو الذي روّى العطش ماءً من صخرة صمّاء . هو الذي بصلاحه أنقذ الساقط في أيدي اللصوص . فليترأف عليّ بصلاحه أنا الواقع في الخطايا والموثوق كالأسير في الكراهية . فكيف يمكنني أن أمثل أمام ذلك الذي يفحص القلوب والكلى . لا أحد يستطيع أن يشفي ألم نفسي سواك أنت يا من تعرف أعماق قلبي .

كم عاهدت نفسي وشيّدت أسوارًا بيني وبين الخطيئة الأثيمة . لكن ذهني خرق الحدود وانهدمت الأسوار . ذلك ان العهود لم تكن مثبّتة على **مخافة** الله القدير والأسوار لم تكن مشيّدة على **توبة صادقة** . لذلك أعود الآن واقرع من أجل أن يفتح لي . أداوم على الابتهال علّي أحظى بالاستجابة لتوسّلي . أطلب منك الرحمة يا رب رغم وقاحتي . أنت تمنح الصالحات يا مخلص . وأنا آتي بأعمال شريرة . أصبر عليّ بطول أناتك أنا المعوجّ . أنا لا أنشد غفرانًا لأقوال باطلة فحسب بل غفران خطايا أعمالي الرديئة . فاغفر لي يا رب وحررني من كل عمل شرير قبل أن تدركني النهاية وبذلك أجد نعمة من لدنك في ساعة الموت اذ من يعترف لك في الجحيم يا رب ؟ خلّص يا رب نفسي من الخوف الآتي ونقّ برأفاتك وصلاحك لباسي المدنّس . حتى أصير أهلًا لملكوتك المضيء أنا غير المستحق . واذ أصل إلى الفرح الذي لا يوصف أهتف : المجد لك يا من أنقذ نفسي الشقيّة من فم الأسد ووضعها في فردوس النعيم لأنه لك أيها الكليّ القداسة ينبغي المجد إلى كل الدهور . آمين .

دعوة أخرى إلى التخشع !

تعالي إلى التخشع ، ايتها النفس ، تعالي إلى التخشع من أجل كل الخيرات التي نلتها من الله ! تعالي إلى التخشع من أجل السيئات التي فعلتها ! تعالي إلى التخشع لكل ما صبر عليه الله من أجلك ! تعالي إلى التخشع وتوبي كيلا تسلّمي إلى الظلمة الخارجية ! توبي ، أيتها النفس الشقية ، كيلا تخزي أمام منبر المسيح الرهيب !

ويلي أنا الخاطئ الذي دنّس طهارة قلبه بسبب عدم شجاعتي ! فإن تهاوني وكسلي أظلما دالة قلبي . إن الشهوة الرذيلة تأمرني كما يأمر السيّدُ العبدَ ، وأنا أطيع حالًا كالطفل ، تضلّني وأنا شاكر ! من يرثي لي أو يستغيث من أجلي ؟ وحده مخلّصي الكلّي الصلاح يفتقدني أنا اليائس .

ويلي أنا الخاطئ لأني تجرّحتُ وحدي ! ويلي لأنك ، يا سيّد ، قد جبلتني طاهرًا بينما أنا بسبب تهاوني ، تمرّغت في الخطايا وتلطخت ! كنت مساويًا للملائكة في الكرامة فأذللت نفسي . لقد تكاثرت آثامي ، يا رب ، قد تكاثرت ولا تحصى كثرتها . كيف أستطيع أن أبتهل اليك ، يا مخلصي ، وفمي ممتلئ من المآثم ، كيف أستطيع أن أسبّحك بضميري المدنّس ؟ كيف أستطيع أن أحبّك وأنا ممتلئ بغضًا ؟ كيف يمكن للحقيقة أن تسكن فيّ وأنا أتسلّح بالكذب ؟ كيف

أستطيع أن أتوسّل إليك وأنا لم أحفظ وصاياك ؟ لكن أنت غير الكاذب لا تعرض عني أنا الشقي ، لا ترفضني أنا المرذول ، لا تتركني أنا اليائس ! لأن عدوي يفرح فرحًا جزيلًا متى شاهدني يائسًا كذلك ليأسرني بواسطة انعدام الرجاء . لكن أنت بشفقتك لا تخزِ رجائي ، بل انتشلني من أنيابه وخداعه ومن كل قوة ثائرة عليّ .

لذلك أرجو من كل الذين يعذبهم ضميرهم بسبب خطاياهم أن لا ييأسوا ولا يفرحهم عدوهم ، بل أن يُقبلوا بلا خوف نحو الله ، أن يبكوا أمامه . وأن لا يفقدوا الرجاء **لأن الرب يُسَرُّ كثيرًا بالتائبين** . ويتقبل بفرح دعوتهم اليه ، لأنه يقول على لسان هوشع : « بعد كل هذا عد إليّ » . وأيضًا بواسطة الانجيلي متى : « تعالوا الي ، يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وأنا أريحكم » (متى ١١:٢٨).

***

إذًا : لا تيأس أبدًا ولو خطئت . كما يقول بولس : هو يستجيب للطالبين اياه (عبرانيين ١١:٦) أما الذين يجحدونه ولا يتوبون فهو يبتعد عنهم . ولكن كيف يستطيع المرء أن يطلبه ويجده ؟

أولًا وقبل كل شيء عليه أن يحفظ المحبة للاخوة لأن الانجيلي يوحنا يقول « الله محبّة » (١ يو ٤:٨و١٦) . إن كان عنده محبّة ، فعنده الله ، وان كان لديه التواضع فهو شبيه بالله . كل من تكبّر يفترق عن المسيح ، وكل من صبر يتشبه بالله . كل من تذمّر يبتعد عن المسيح وكل من خضع لرئيسه يتشبه بالملائكة . كل من عاكس سيّده يصاحب الشيطان . إن أحبَّ الواحد الحقيقة يصير بالواقع صديق المسيح ، والذي يكره أخاه يبغضه الله . والذي يزرع الفُرقة بين أخ وأخ يُدان مع الشيطان ؛ أما الذي يتألم مع أخيه فيرث المسيح . الذي يزدري الخاطئ يدين نفسه . أما الذي يحزن ويتألم معه فيطهّر نفسه الخاصة .

كل من شهّر أخطاءَ أخوته يدنس نفسه ، بينما الذي يسعى بشفقة لإخفائها فمثل هذا يُحفظ في يوم الغضب . من تكبّر وتعظّم كونه يعيش في الفضيلة فهذا قد اضاع أتعابه الخاصة ولا يأخذ أجرًا ، أما الذي يسعى وراء إخفاء إنجازاته ، **عن طريق التواضع** ، فمثل هذا يرفعه الرب ويجازيه خيرًا . كل من افتخر بتقدّمه يسقط ، وكل من تذلّل وصغّر نفسه يرتفع إلى علوّ شاهق . كل من احتدّ وغضب يستحق الدينونة ولا يعاشره المسيح . أما الذي يبقى وديعًا ليّنًا فيصبح محطًا للروح القدس . كل من ازدرى أخاه الخاطئ يضلّ ويجهل، أما الذي تشاطره المحبّة فهو بالحقيقة فاضل . كل من ازدرى أخًا غريبًا يتغرّب عنه الله . والذي يقبله بمحبة يقبله الله .

الذي يُسرّ بالأملاك والمباني يتعرّى من الخيرات الأبدية ، أما الذي يجاهد في سبيل الروحيّات فيتذوّق حسنًا حلاوة الخيرات الأبدية . الذي يتحلّى بالألبسة الفاخرة يتعرّى من اللباس الإلهي ، بينما الذي يتستّر بملابس عادية يتوق إلى ارتداء الثوب الروحي . الذي يتهاون في أوان الصلاة والتراتيل ولا ينتبه يُغضب الله ! أما الذي يسعى بحماس واجتهاد إلى التراتيل فهو شريك الروح القدس . كل من لم يهتم بقراءة الكتاب المقدّس ولم يطالعه بشوق هو شجرة غير مثمرة أما الذي يفتّش عنه بغيرة فهو يضاعف الثمر « مثل شجرة مغروسة على مجاري الحياة » .

كل من يلجأ إلى النوم مستريحًا في « السهرانيّات » فمن الواضح أن مثل هذا إنسانٌ جسدي لا روحي . أما الذي يَغصب نفسه على السهر بحماس فمثل هذا يطلب المسيح بشوق . كل من يتكلّم كثيرًا وباطلًا يُضحي مرذولًا من قبل الله ومن الناس ؛ أما الذي يضبط نفسه بالصمت فهو يمجد الله ويحبّه كثيرون . كل من امتلك من الاخوة أكثر مما يحتاج اليه ولا يعطي الفقير لا يكون قدّيسًا ... أما الذي يعطي المحتاج فهو يرث ملكوت السماوات .

كل من كان قويًا متمتعًا بصحة جيّدة فتعالى على المرضى والمتواضعين كان ملعونًا من قبل الله ، فيسمعه قائلًا : « كل من رفع نفسه اتّضع » (لو ١٤:١١،١٨:١٤) . أما الذي يساعد ويشارك ألم الآخر فهو يسمع الرب يقول له : « كل ما فعلتم باخوتي هؤلاء الصغار فبي قد فعلتموه » (متى ٢٥:٤٠) . كل من أزعج اخوته خالفًا الواحد بالآخر تزدريه الملائكة والناس . أما الذي يهدّئ روع الغاضبين والمحزونين فسوف يدعى ابن الله .

كل من أهمل الصوم وانصرف لاشباع شهوات جسده لا يكون نقيًا ولا طاهرًا ؛ أما الذي يبقى صائمًا فهو يلازم النباهة والعفة والطهارة . كل من يفرح بكثرة المآكل فهو عبد لشراهة البطن . أما الذي يلاصق الامساك فهو يسود على أهوائه وأفكاره السيّئة . كل من يسرّ ويبتهج بمجالسة ومكالمة النساء فهو عبد للشهوات الخبيثة ويعذّب ضميره ؛ أما الذي يتجنب مثل هذه ويبتعد عن مثل هذه العادات فيعيش بسلام وبضمير نقي .

الذي يسر بأناقة الجسد ويتّكل على ذلك فهذا لا يتكرس لله بل يتسلى وتلعب به الافكار . الذي يبتعد عن أقربائه بالجسد دون أن يختلف معهم فهذا بالحقيقة قد نزع عنه العالميات لكي يتعبد لله .

كل من تذمّر على تنفيذ الأوامر خسر بوضوح أجرة الطاعة . أما الذي يلبي الأمر بحماس فهو يحفظ جمال نفسه براقًا . الذي يقاوم ويدين من ينصحه فهذا يبتعد عن المسيح ولا يتعلّم شيئًا .

بمثل هذه التأملات علينا ، أيها الاخوة ، أن نهذّب نفوسنا ، أن نجاهد وأن نتيقظ لئلا نفقد الخيرات الابدية بسبب أهواء الجسد . ويلي ! كم من النعم مهيأة لنا ولا نجاهد في سبيل التمتع بها ، ولا نهتم بل على العكس نفضّل الحاضرات ، الوقتيات ، الأمور غير الثابتة ولا نذكر الباقيات . يا لها من جهالة ! يا لها من ضلال العدو ! ويلي ! أي عقاب هلاكٍ يهيّأ للخطأة العائشين في الاهمال . ومع

هذا لا نخاف ، لا نرتعد ، بل نعدّ هذه الأقوال ثرثرة فارغة ونفرح بأهواء الجسد . هذا لأننا قد ارتبطنا بشهواتنا كبسلاسل حديديّة . ولا يجاهد أحد لكي يتحرر منها ، بل ينشرح صدره وهو مقيد بها . يا لها من مكائد شريرة يحيكها الشيطان الخبيث ! كيف استطاع أن يظلم أذهاننا لكي نهتم بكل ما هو معاكس ونفضّل ما يؤذينا على الخيرات المستقبلية .

تعالوا أيها الاخوة ! تعالوا أيها الآباء ! تعالوا يا عبيد المسيح ! لنهرع إلى تخشع القلب ، لنبكِ أمامه ليلًا نهارًا ، لنتذكر تلك الساعة ، لنبكِ بتخشّع . لنتذكّر كيف أن الصدّيقين سوف يشرقون كالشمس ، أما الخطأة فيحترقون . لنكتسب غيرة في الأعمال الصالحة . لنشدّد أنفسنا بمحبّة في مخافة الله لكي نحظى بالخيرات المستقبلة . تعالوا نسجد بتخشع قلب وبساطة . لأن الله صالح وشفوق وهو يخلّص التائبين . لنبتهل اليه اذًا لكي يدخلنا إلى ملكوته لانه يليق به المجد إلى الابد . آمين .

(ميمر فيه نُبَذ) في الفضائل والرذائل

١ – أطوِّب حياتكم ، يا محبي المسيح ، لان لها دالة حسنة . وأولول على سيرتي لانها فاسدة وغير مجدية . أغبطكم ، يا خدام المسيح المخلصين ، لانكم جعلتم انفسكم أحباء له وللملائكة بفضل سيرتكم القويمة . أما من أحد ينوح علي لاني أغظته بأعمالي الشريرة ؟ مغبوطون انتم ، يا من ورثتم الفردوس بسيرتكم النقية ومحبتكم التي لا تُقاس . اني متعجب من انكم لم تعجزوا عن قطع مسافة مثل هذه الطريق من أجل ما يوافق أنفسكم . والأعجب من ذلك انكم اتيتم الى حقير ومشجوب بسبب خطاياه تسألونه كلام منفعة . فأنا مستغرب كيف اتيتم انتم الشباعى الى المضنى جوعًا ، والحائزين على الندى الروحي إلى المضنى عطشًا ، انتم المالكين لحلاوة الفضائل الى المتمرمر بالخطايا ، والاغنياء الى الفقير ، انتم الحكماء الى الأميّ ، والاطهار الى الدنس ، انتم الاصحاء الى ذي الضمير السقيم ، والمرضين لله الى مسخِطه ، انتم الاحرار الى الماسور ، والمهتمين بالخلاص الى المتواني . لانكم انتم العجيبون في الفضائل وأنا الفقير بسبب جهلي . فقد حويتم الحمية ، ومن ثم أرضيتم الله ، أما انا فاني أُدان بسبب سلوكي المشوش وإهمالي .

أنتم بالاعمال الحسنة والطهارة الشريفة صرتم طيبًا للمسيح ، وانا بتراخيّ وتوانيّ حصلت منتنا بكليتي .

لقد أتيتم إليَّ انا الذي لم ينفع نفسه ففعلتم حسنًا بذلك ، مريدين ان تعضدوا رخاوتي ، وتجعلوا نفسي المتوانية مهتمة حريصة ، وتؤيدوا صغر نفسي لانكم كاملون . وبما انكم التمستم بتواضع ان تقتبسوا مني انا الناقص كلام منفعة ، وأمرتموني بذلك مريدين ان أوبخ سيرتي وأكشف عيبها ، وأن أتكلم لأجل جني ثمر المنفعة ، فأنا خازٍ لانني ان بدأت أشير عليكم فإنما أدين نفسي . وإن طفقت أوبخ آخرين فإنما لا أثلب ذاتي . وبالحق يقال لي ما قيل للمخلص : « ايها الطبيب اشف نفسك » (لو ٤:٣٢) . حتى ان الرب نفسه مخلّص الجميع قد قال : « مهما قالوا لكم فاحفظوه واعملوا به واما مثل أعمالهم فلا تعملوا » (مت ٢٣:٣) . لذلك وإن كنت دنسًا ، انما أعرف ان أشير برأي قويم . ولهذا السبب ، اذا تأملت هذه السيرة الملائكية اغبّط كل من له باع طويلة فيها . لانه من ذا الذي لا يغبّط الناهج نهجًا قويمًا مرضيًا والسالك في الطهارة لاجل الخيرات المعدة التي لا تعد ولا تحصى ؟ ومن لا ينوح على من يسير سيرة توان ويلقى خارج الملكوت السماوي لاتفه الاسباب ويخرج من ذلك الخدر بسبب انسحابه من طريق الخير ؟

٢ - في التقوى - مغبوط هو المتقي الرب . مغبوط من له مخافة الله في نفسه . فمثل ذلك يغبّطه او يطوّبه الروح القدس جهارًا . فانه قال : « طوبى للرجل الذي يتقي الرب » (١١١:١) . فإن المتقي الرب حقيقة سيكون ناجيًا من جميع حيل العدو . **من فيه مخافة الرب يغلب بسهولة مكايد العدو** الرديء الصنعة كافة . لانه لا يستطيع ان يأخذ عليه مأخذًا من المآخذ ، وذلك بما ان ذاك لا يقبل لذة البشرة ، بسبب التقوى . المتقي الرب لا يتنزه هنا وهناك لانه يترقب سيده لئلا « يأتي بغتة فيجده متوانيًا » (مرقص ١٣:٣٧) فيشطره الى شطرين . من فيه تقوى الله لا يهمل اهتمامه لانه يتيقظ دائمًا . المتقي الرب لا يعطي ذاته نومًا بلا حساب لانه يسهر منتظرًا مجيء ربه (لو ١٢:٣٦) . الخائف من الله لا يجازف لئلا يغيظ سيده . ومن يخشَ لا يتهاون لانه يهتم في كل حين بمقتناه

الروحي لئلا يتندم . الخائف دائمًا يختبر الافعال المرضية للرب ويستعد لها لكي يمدحه يسوع متى جاء ، لان تقوى الله تسبب خيرات وافرة لاصحابها .

٣- في عدم التقوى – اما من ليست فيه مخافة الله فهو سريع الوقوع في مكايد العدو والمحّال يتنزه ويجازف في افعاله . ينام بلا همّ ويتوانى في اعماله يصير هائجًا باللذات ويقبل كل سيء مطرب لانه لا يخشى مجيء الرب (٢ تس ٢ :١) . يتباهى باللذات ويسر بالراحات . يهرب من الشتائم ويرفض التوبيخ بينما يصافح الكبرياء . سيجيء ربه ويجده سالكًا فيه لا يرضيه فيشطره الى شطرين ويرسله الى الظلمة المؤبدة . فمن لا يولول على من هو كذلك ؟

٤- في المحبة . مغبوط هو ذاك الانسان المحب لله فانه قد حوى في داخله الله . لان الله محبة . من يثبت في المحبة فقد ثبت في الله والله فيه (١ يو ٤ :١٦) . من له المحبة يغلب بالله كل شيء لان المحبة الكاملة تنفي المخافة الى خارج (١ يو ٤ :١٨) . من عنده المحبة لا يرفض أحدًا صغيرًا كان أو كبيرًا شريفًا أو عاطلًا فقيرًا أو موسرًا بل يصير موطئ للجميع . يحتمل العوارض كافة ويصبر على النوائب جميعها .

من فيه محبة لا يترفع على احد ، ولا يتشامخ ، ولا يغتاب احدًا بل يعرض عن الثلابين ، لا يسلك بغش ، ولا يعرقل اخاه ، لا يغار ولا يحسد ، لا ينافس ولا يسر بسقوط الاخرين ، لا يشجب من يهفو بل يرثي له ويعضده ، لا يعرض عن أخيه في شدته بل يغيثه ويموت معه . من فيه المحبة يعمل بمشيئة الله وهو تلميذ حقيقي له ، لان سيدنا الصالح قال : « بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي اذا كنتم تحبون بعضكم بعضًا » (يو ١٣ :٣٥) . لا يعمل شيئًا لنفسه أبدًا ، ولا يدّعي بملكية شيء بالاستقلال بل كل ماله مُشاع بين الجميع . لا يعتبر احدًا غريبًا بل يحسب الجميع اهله وانسباءه لا يغتاظ ولا يتشامخ ، لا يحتدّ ولا يفرح بالظلم (١ كو ١٣ :٦) . لا يلبث في الكذب ولا يعتبر احدًا عدوًا له سوى المحّال

وحده ، يصبر في المحن جميعًا ويتعطف بحلم . فمغبوط اذًا من فيه المحبة . ان المسافر بها الى الله يعرف وليّه ويقتبله في احضانه وسيُفتدى كالملائكة . سيملك مع المسيح . العامل بالمحبة التي من أجلها جاء الإله الكلمة الى الارض وبها فتح لنا الفردوس وأعطى الجميع ان يرتقوا الى السماء . لقد كنّا اعداء الله فصالحنا بها . فصوابًا قلنا : « ان المحبة هي الله ، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه » (يوحنا الاولى ٤:١٦ ويراجع الاصحاح ١٣ من كورنثوس الاولى) .

٥- **في من لا محبة فيهم** : المبتعد عن المحبة هو شقي ومشؤوم الحظ يقضي ايامه كالذي في حلم . فمن لا ينوح على ذلك الانسان البعيد عن الله والفاقد النور والمتصرف في الظلمة ؟ لانّ من ليست فيه محبة الله هو عدوه . وصدق القائل : « كل من يبغض اخاه فهو قاتل » (١ يو ٣:٢٥) . في الظلمة يسلك وهو السريع السقوط في كل خطيئة بما انه يغضب بحدة ويغتاظ فورًا ويتوقد غضبًا لحينه . فهو يفرح بظلم الآخرين ولا يتألم مع من يهفو ، لا يمد يده للواقع ... من أخطأ ولا يعضد المتزعزع هو مظلم الذهن وصديق المحّال مبتكر كل شر ومستنبط الخصومات ، صديق المشمئزين ومعاشر الثلابين مشاور الشاتمين ومؤازر الحاسدين . المتكبر اناء التعظم وبالاختصار ان من لا يقتني المحبة هو أداة المحّال يتيه في كل طريق ولا يعلم انه في الظلمة سالك .

٦- في طول الروح . الطويل الروح يكون دائمًا في فرح وابتهاج لانه اتكل على الرب وارتجاه . هو في منجاة من الغضب لانه يصبر على النوائب كافة . لا يتوقد سخطًا بسرعة ، ولا ينتهي الى الشتيمة . كما انه لا يتحرك بسرعة نحو الاقوال الفارغة . اذ ظُلم لا يحزن لا يقاوم مقاوميه بل يلبث في كل امر ثابتًا لا يؤخذ بالخداع بسهولة ، ولا يجنح الى المخاصمة . يفرح في الاحزان ويتوطد في كل عمل صالح ويتودد الى من يحسده اذا أمر لا يجاوب ، ولا يقطب وجهه كل حين ، ويشفي نفسه بطول اناته .

٧- في من لا طول روح فيه ـــ هو مقفر من الصبر ينقلب سريعًا . وهو متهيء للمخاصمة . ان شتم يشتم ، وان ظلم ينتقم . هو ماهر في المخاصمات الفارغة ومضطرب الاقوال والافعال كالورقة التي تهزها الرياح . لا يثبت في كلامه وينتقل بحدة من هذا الى ذاك . لاثبات فيه اذ ينقلب بسرعة . لا يقتني دموعًا ، ويعاشر الخبيث . يُكثر من اللّوم ويؤازر الظالم . لا يحفظ سرًا . هو متهيء لتلفيق الكلام فمن يكون أشقى منه ؟

٨- **في الصبر** : مغبوط هو من قد اكتسب الصبر لان في الصبر الرجاء والرجاء لا يخزي (رو ٥:٤-٥) . فمغبوط ومثلث السعادة هو الصبر لان « **من يصبر الى المنتهى يخلص** » (مت ٢٢:١٠ و٢٤:١٣ ومرقص ١٣:٣) . فهل هناك أجلّ من هذا الموعد ؟ لان الله منعم على الصابرين . وليس الصبر فضيلة منفردة ، بل يُطلب في فضائل كثيرة ، لانه ملتصق بكل فضيلة . فيفرح في الاحزان ، ويجعل مختبره في الشدائد . يستبشر في المحن ويهيء للطاعة .

هو بهيّ في طول الروح ومتكامل في المحبة . يبارك في الشتائم ، ويسالم في المخاصمات . هو شجاع في السكوت وبلا عجز في الترنيم ، متجلد في الاصوام وصبور في الصلوات ، غير ملوم في الاعمال ، ومستقيم في الاجوبة ، ذو قناعة حسنة في الترنيم ، ومهتم بالسيرة الحميدة ، فرح في الخدمات ، ومغتبط بسيرته ، أنيس في مجمع الاخوة ، ومستند في المشورات ، طويل البال في الاسهار ، وحريص في الاهتمام بالغرباء . معتن بالمرضى وسبّاق في مرافقة المبهظين (أي المثقلين بالاعمال) ، منتبه لكي يفهم ، ومجتمع القوة في كل أمر . من فيه الصبر ففيه الرجاء . ومن هو هكذا فقد تزيَّن بكل عمل صالح . ولذا يهتف الى الرب بدالة حسنة : « ايام رجوت يا رب ، وانت تجيب ايها السيد الهي » (مز ٢٧:١٦) .

٩- **نافد الصبر** : شقيّ ومنكود الطالع من لا يكتسب الصبر والويل بحق

لمن لا صبر فيه ، لان الرياح تحمله كالورقة . ومن هو مثله لا يحتمل شيئًا ، بل يكون خائر النفس في الغموم وسريع الوقوع في المخاصمات متذمرًا في مواقف الصبر ، ومجاوبًا في نظام الطاعة ، متوانيًا في الصلوات ومنحلّ القوة في الاسهار ومقطب الوجه في الاصوام ، ومتراخ في الحمية ، عاجزًا في الوسائل ، ورديء الفعل في الاعمال . لا يُغلَب في الخبث . هو شجاع في حرب الكلام وواهن القوة في السكوت . يقاوم المرتاحين وينافس الناجحين حسدًا . يتكبد الخسائر الباهظة ، ولا يمكنه الالتصاق بالفضيلة لاننا بالصبر نسابق في الجهاد أمامنا (عب ١٢:١) . ففاقد الصبر لا أمل له بالصبر ، لذلك اتضرع الى نافدي الصبر مثلي ان يكتسبوا الصبر لكي يخلصوا .

١٠- **في عدم السخط والغضب** : طوبى للانسان الذي لا يسرع الى الغيظ ولا يقبل غضبًا فانه يكون في السلام كل حين وقد أقصى عنه روح الغضبة الساخطة ونجا من الحرب والاضطراب . فانه يكون هادئ الروح كل حين ومسرور الوجه . لا يغضب سريعًا . لا يهيج من الكلام الفارغ بينما يجري العدل والصدق . يلقي القبض بسهولة على المتخاصمين ، ويحتمل دون مشقة اللاذعين بالسنتهم . لا يفرح بالمخاصمات ، ولا يرتكب ظلمًا ، لانه يبدو متودّدًا الى الجميع غير غضوب . لا يُسَرّ بحرب الكلام ، ولا يقترف جورًا . فهذا لا تهدمه الامراض لانه صحيح المزاج دائمًا ويُسَرُّ بالمسالمة ، ويتوطد في طول الروح . من لا يقبل سريعًا روح الاحتداد يصرُ مسكنا للروح القدس ومن لايحتد يغبط الروح القدس وهو يستطيع ان يكون وديعًا ويمكنه ان يكون له محبة وصبر وتواضع . الفاقد الغضب قد تزين بكل عمل صالح ويحبه المسيح . من طرد عنه دائمًا روح السخط والغضب يكون جسمه وعقله ونفسه معافاة صحيحةفي كل حين .

١١- **في الاحتداد** : اما من يستولي عليه دائمًا الاحتداد ويسخط سريعًا ، وربما لأتفه الاسباب فسيسمع الرسول يعقوب قائلًا : « **ان غضب الرجل لا يعمل بر الله** » (يع ١:٢٠) . فالمغلوب بمثل هذه الاهواء هو بالحقيقة شقي

ومنكود الطالع . لان الغضوب يقتل نفسه كما قيل ، لانه يتصرف دائمًا في الاضطراب مقفرًا من الهدوء وهو غريب عن السلام حتى انه يكون فاقد الصحة ، لان جسمه يذوب كل حين ، ونفسه مغمومة ، وبشرته ضامرة ، ولونه باهت ، وذهنه متقلب وعقله سقيم ، وافكاره تفيض كالنهر ، يمقت الجميع ولا يحلّيه طول الروح والمحبة . يقلق سريعًا من الأقوال الفارغة ويثير الخصومات لاتفه الاسباب . يزجّ نفسه حيث لا تكون حاجة الى ذلك ، ويسمح لذاته بالبغض . يفرح بكثرة الأحاديث ، ويبتعد من الأمور التي لا توافق هواه بشتى أنواع الشتائم . يضيق ذرعًا بالوداعة . هو مقدام في الاشياء الخبيثة . فمن لا ينوح على مثل هذا لانه مرفوض لدى الله والناس ؟ إنّ المحتد يقع في كل أمر رديء . لذا عليه ان يتجنب ويحذر الاحتداد .

١٢- **في الوداعة** : مغبوط هو الوديع لان الرب المخلّص قد ضمن له ملكوت السموات ، اذ قال : « طوبى للودعاء فانهم يرثون الارض » (مت ٥:٤) . لذا أسرعوا الى اتقان هذه الفضيلة فاصنعوا واحرصوا بكل قوتكم ان لا يصير احد غير وارث الارض المذكورة ولا يبكي بكاء مرًا متندمًا . بادروا الى الوداعة . أما سمعتم ما قال عنها أشعياء النبي بالروح القدس ؟ فاحذروا يا اخوتي ان يخيب أحدكم من هذا التطويب ومن الفرح والابتهاج اللذين لا يقدّران . فإنّ الوديع قد تزين بكل عمل صالح . إن شُبَّ يفرح وان أُحزِنَ يشكر . يُسكِّن بمحبة غيظ الغضوبين ، ويلبث في حين المخاصمة ثابتًا هادئًا . يبتهج ولا يفسد بالكبرياء - يفرح بالتواضع . لا يستعلي ذهنه بما أحكمه من الفضائل . لا يتبختر . يسكت في خضوع كلي لدى الجميع . يتعبد متهيئًا لكل عمل صالح . هو نجيب في كل شيء يمدحه ، ومنزه عن الرياء ومبتعد عن الخبث . لا يتعبد للغش ، ولا يخضع للحسد . يمقت اللائمين ويُعرِض عن المغتابين . يا أخوة ، الوداعة مغبوطة فإن الجميع يعلّونها .

١٣- **في الخبث** : يجب أن يُنتَحب ويُناح على من لا وداعة فيهم ، بل هم

متّحدون بالخبث ، لان قضاء رهيبًا أعدَّ لهم لان الخبث يُستأصل . وإلهنا قد ندد بمثل هؤلاء قائلًا : « الرجل الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر » (لو ٦:٤٥) . وذلك لان الشيطان الخبيث قاس عات . ولذا احذروا ان يصاب أحدكم بهذا الهوى فيسبب المذمة لنفسه . الخبيث لا يسالم أحدًا ابدًا ، بل يلبث دائمًا في الاضطراب ، يستوعب غضبًا وغشًا وسخطًا . يتذمر ويشادّ في كل وقت ، يغار ويحسد دائمًا . يقسو وينتهر كل حين . يجاوب . يأتمر ويعود الى المشاورة . يعمل السوء ، يعاهد وينكث (بالعهد) ، يحبّ وينصب الشراك . يرفض المجيدين ويلوم الناجحين . يفقه العظات ويعاكس الأخوة . يهزأ بطويلي الاناة . يرائي الغرباء . يذم الواحد لدى الآخر . يضادّ كل واحد من الاخوة . يثير الخصومات والغيظ . يعين على المجازاة بالشر . يهيء السأم ويتلذذ بالاغتياب . ينقاد للسب . هو شجاع في الهذر (أي تكثير الكلام) ، ونشيط في التخلّص بكلامه ، ساعٍ أول في الشغب ، وفاتر في الترنيم ، منحلّ القوة في الصوم وفاقد القدرة في كلّ عمل صالح . فمثل هذا مستحق ان يُناح عليه كثيرًا . فلذلك اتضرع اليكم يا اخوتي ان تحتموا من الخبث[1].

١٤- **في الصدق** : طوبى لمن تقوم سيرته على الصدق ولم يقع في الكذب . مغبوط ومثلث الغبطة من اجرى الصدق فإن الله صادق (رو ٣:٤) ومنزه عن الكذب (تي ١:٢) . من ذا لا يطوب حافظ الصدق بما انه قد شابه الله ؟ لان الصادق هو دائمًا وحقيقة حسن الارضاء لله ، ونافع لجميع الناس ، أنيس بين الاخوة ومستقيم في كل امر . لا يحابي بالوجوه ، ولا يُسَرُّ بها . لا يحكم حكمًا جائرًا ، ولا يطلب مرتبة أو كرامة . لا يغفل عن حقير محتاج . في الرسائل لا يغش وفي العلم يستقيم ويُخلص في العمل . انه مكرم في جسد

---

(١) قال بولس : « لا بخمير السوء والخبث ، بل بفطير الخلوص والحق » (١ كورة : ٨) . الأصل اليوناني « الخبث » هو مصدر « الشرير » في لو ٦: ٤٥ أعلاه وفي « لكن نجنا من الشرير » . الخبث خمير فساد يخمّر النفس كلّها بالاعوجاج والمكر .

التآخي المشترك . لن يعرف غشًا ، ولن يحب رياء . هو مزين بكل عمل صالح ومستبشر بكل فضيلة . فمغبوط اذًا من يخدم الصدق دائمًا .

١٥- في الكذب : شقي وسيء الحظ من يستمر في أي لون من ألوان الكذب ، لأن المحّال هو كذوب منذ البدء (يو ٨:٤٤) . ومن يستمر على الكذب فلا دالة له ، لانه محتقر عند الله والناس . هو غير ناجح في اي عمل مهما كان ، وغير موفق في اي رسالة مهما كانت . في الدير سخط وغضب . وهو في مجتمع الاخوة الاشتراكي كالصدأ عن الحديد ، لان له قلبًا قلقًا فلا يحتمل الاستماع إلى الاسرار الخاصة بل يشهرها بسهولة . ويتطاول بلسانه على الحسني الوقوف . يخلُّ بالأمر ويتنصل من تبعته . لا يلفظ كلامًا بدون قسم (اي حلف) . ويظن أنه بكثرة كلامه يصدَّق . فالكذوب كثير الحيل ومتعدد الاحوال . لن يكون جرح أفحش ضررًا من الكذب ، ولا عار أشهر خزيًا منه لأنه مرفوض لدى الجميع ، وسخرية عند جماعة الاخوة . لذا احذروا ان تدمنوا الكذب[٢] .

١٦- في الطاعة : مغبوط من يحوز ملك الطاعة الحقيقية المنزهة عن الرياء . فانه يشبه معلمنا الصالح الذي أطاع حتى الموت (٢:٨) . الطائع مشابه له . سينال الميراث مثله . من عنده طاعة يتحد بالجميع بفضل المحبة . ويقتني ثروةً عظيمة . المطواع يرضي الجميع ويمدحه ويعظمه الجميع . يرتفع وينجح سريعًا . يُنتهر فلا يجاوب . يؤمن بالله بصدق . يُزجر فلا يسخط . هو متهيئ لكل عمل صالح . لا ينحط الى الاحتداد بسهولة . ان سمع كلامًا غير لائق لا ينزعج منه لا يضطرم غضبه في الشتائم ، ويُسَرُّ بالاحزان ، ويشكر في الغموم. لا ينتقل من موضوع الى آخر ، ولا يستبدل ديرًا بدير . اذا وُعظ لا يحرد . يثبت في المكان الذي دعي اليه . لا يتمسك بالضجر ، ولا يحتقر الأب . لا يستخف بالاخ ، ولا

(٢) هنا القدّيس أفرام يرفض الكذب جملةً وتفصيلًا .

يميل الى الطواف حول الدير . لا يسر بالراحات ، ولا يستطيب الاماكن ، ولا يطرب بالأهوية .

يثبت في المكان الذي دعي اليه ، واما ثمار الطاعة فهي بالحقيقة كثيرة . ولذا فمغبوط من قد اكتسبها .

١٧- في التذمر والتمرد : شقي من لم يكتسب الطاعة بل التذمر ، لان التذمر في الدير ضربة قاضية وشك في المعيشة المشتركة ، انقلاب المحبة ، والعدول عن الالفة ، وتكدير صفو السلام . المتذمر ، اذ أمر يجاوب . وهو غير نافع في الاعمال . لا تكون له نعمة البتة بما انه يكون عاجزًا . لان الكسل مقترن بالتذمر ، وكل كسلان يسقط في الاسواء كما قيل . ان أرسل في حاجة يدّعي ان الاسد في الطريق (أم ١٣:٢٦) ، والفيلة في الشوارع . يبتكر الحجج دائمًا . ان طلب منه عمل يتذمر ، وفي الحال يجعل الآخرين يعدلون عنه سائلًا : الى أين مصير هذا ولم هذا وذاك ؟

وليس الامر موافقًا ههنا ان ارسل في الطريق . يحتج ان فيه مشقة . ان أقيم الى الترنيم يغضب ، وان أوقظ للسهر يتعلل بوجع في معدته ورأسه ، ان وعظته يجيبك : « عظ نفسك وأنا يكون ما يريده لي الله » . ان علمته شيئًا قال : « يا ليتك تعلم ما أعلمه أنا . لا يصنع شيئًا وحده ان لم يجذب آخر معه . جميع أعماله غير نافعة ، وكل فضيلة له غير منتظمة . يسر بالراحات ، ولا يفرح في الشقاء ، يتلذذ بالموائد ويرفض الصوم . المتذمر والكسلان متقنان المشاجرة (أي المخاصمة) واستنباط الاقوال ذات المكر العظيم . ولا يُغلبان في الهذر ، ويثلبان وينمّان بالواحد لدى الآخر . المتذمر شحيح في بذل الاحسان وغير متهيء لاستقبال الغرباء ، مراءٍ في المحبة ومقدام في البغضاء ، لذا لا نتذمر في طريق الخضوع ولا نشاجر ولا نبرر أقوالنا مبرهنين عليها كأنها أوفر علمًا من سوانا .

١٨- في من ليس فيه غيرة ولا حسد : الغيرة والحسد مرتبطان ببعضهما

بعضًا . وطوبى لمن لم يخضع لهما . وان وُجد أحدهما في احد فكلاهما يكون حالًا فيه حقيقة . مغبوط من لم يسقط فيهما ولا جرحه احدهما ، لان من يغار من اخيه في الظلمة يُدان مع المحّال ومن يغار فهو مغلوب وفيه البغض والعداوة ويغمه نجاح الآخرين . اما من لا غيرة له ولا حسد فيه فلا يغتم ابدًا بنجاح الآخرين . لا يضطرب اذا كُرِّمَ آخر ولا يكتئب اذا رُفع شأن آخر ، لانه يحسب الجماعة مُقدَّمين عليه . يقدِّم الجميع في الاكرام على نفسه ويحسب ذاته غير مستحق وآخر الجميع ويشعر ان الجماعة أعظم وافضل منه . لا يتطلب إكرامًا لذاته « يفرح مع الفرحين » (رو ١٢:١٥) . لا ينشيء ابدًا فخرًا لنفسه ، ويعاون الناجحين ، ويسر بالسالكين حسنًا . يمدح أصحاب السيرة القويمة . اذا أبصر أخًا يباشر عملًا لا يعوقه بل يعطيه بعظاته جناحين ليرتفع الى العلاء . ان رأى آخر في راحة فلا يثلبه بل يمدحه . ان أبصر أخًا قد خطئ فلا يعنّفه بل يردعه باستقامة . ان أبصر أخًا مغتاظًا فلا يحنق عليه بل يُسكِّن غيظه بمحبة ويسير معه في طريق السلام . ان أبصر أحدًا مغمومًا فلا يغفل عنه بل يتألم معه ويعزيه بأقوال مفيدة . إن رأى انسانًا أميًا يسعى في تعليمه وإرشاده الى ما يوافقه . إن شاهد غبيًا يدله بدون حسد الى أفضل الامور . ان أبصر أحدًا نائمًا في أوان الترنيم يوقظه بحرص . باختصار : انه لا يغتم بل يفرح بنجاح قريبه وعلوّ مكانته .

١٩- في الحسود والغيور : شقي هو من جَرحه الحسد والغيرة لانه شريك المحّال الذي دخل به الموت الى العالم فانه يكون معاندًا للجميع ، لا يؤثر ان يعلو عليه احد . يستخف بالنجباء وينصب المعاثر في طريق السالكين حسنًا . يذم السائرين سيرة قويمة ، ويرذل الحسن النطق ينسب العُجَب الى الصائم وحب شهر الذات الى النشيط في الترنيم ، والشراهة الى مباشر الخدمة ، وحب التباهي الى المجتهد في الاعمال ، والكسل الى محب التعب في تنقيب الكتب ، والمكر الى مجيد الترنيم . الحسود لا يفرح أبدًا بنجاح رفيقه ان رأى متوانيًا فلا يحثه على

العمل بل يحضه على التمادي في الشر أن أبصر أحدًا نائمًا في وقت الصلاة فلا يوقظه بل يدعه في سكون أعمق .

ان شاهد أخًا مرتاحًا يثلبه . ان أخذه في هفوة يعزِّره (أي يوبخه بعنف) أمام الجميع . تبًا للحسود ، فإنّ قلبه سقيم بالغموم كل حين ، ولون وجهه ممتقع ، وقوته خائرة . وهو شرس مع الجميع وعدوهم .

يرائي الجميع ، ويبتكر أصناف الغش ، ويحابي بالوجوه . يعاهد اليوم فلانًا وغدًا آخر . يتقلب في علاقته بالجميع ، ويطاوع كل واحد في رأيه . ثم بعد قليل يذم الجماعة ويقود هذا الى ذاك ويقيّد كل واحد بالآخر[٣]. **فالحسد والغيرة سم زعاف** ، لان الوقيعة والبغض والقتل تتولد منهما . اهربوا من الحسد يا جنود السيرة السماوية . واقصوا عنكم الغيرة والحسد لئلا تدانوا مع المحّال .

٢٠ - في الشتم : مغبوط ومثلث الغبطة من لم يؤذ لسانه بشتم الآخرين ، ولم يدنس قلبه بلسانه بل يدرك أنّا جميعًا خاضعون للزجر . مغبوط من لم يلتذّ بشتم الآخرين بل يكره هذا الهوى لأن من لم يشتم رفيقَه فقد حفظ ذاته بلا عيب ومثل هذا لا يقف عثرة ولا يتدنس . من يهرب من روح الشتم فقد حفظ نفسه من توالي الأسواء وغلب موكب الشياطين . من لم يكن ذا لسان شتّام فقد اقتنى كنزًا لا يسلب . من لا يميل الى شتم آخرين فقد هرب من قتل الاخ . ففي الحقيقة ان هذا قد عرف ذاته انه انسان جسداني وقد حفظ ذاته غير متدنس .

من لم يكن مع الشتّامين يستوطن مع الملائكة . من يُدِنْ الشتم من لسانه ومسمعيه فقد امتلأ من ترياق المحبة . من لم يدنس فمه بأنواع الشتم فيطيب فمه بأثمار الروح القدس فمغبوط في الحقيقة وسعيد ايضًا من قد حفظ نفسه من الشتم .

٢١ - الشتّامون : من قد اعتاد واستلذ ان يشتم آخرين فقد اشتهر بانه

(٣) بعبارة أخرى عامية هو «فِتَنْجي يفتن بين الناس» .

فريسة المثالب التي يشتم بها . لان من يشتم رفيقه انما يدين نفسه بما أنه هو ايضًا ذو جسد ومتشبك بشباك العالم . في الشتام هاتان الرذيلتان الوقيعة والبغض . ولذا فهو يُدان كمقاتل الناس وفاقد التحنن والرحمة . وأما من فيه مخافة الله دائمًا فقلبه نقي ولا يُسَرّ بأن يشتم الآخرين ولا يتلذذ بالخفيات الغريبة ، ولا يرتاح لسقطة الآخرين . ومن قد اعتاد الشتم فهو مستحق بالحقيقة لان يُناح ويُنتحب عليه . ولقد عدد الرسول الاعمال الشائنة قال : « لا الشتامون ، ولا الخطفة ، يرثون ملكوت الله » (١ كو ٦-١٠) .

٢٢- في الحمية والصوم : مغبوط حقًا ومثلث الغبطة من قد حفظ الصوم ، لانه بالحقيقة فضيلة عظيمة القدر . وهو أنواع : **١**- صوم اللسان بأن لا يزلّ بكثرة الكلام الفارغ ولا يشتم ، بأن لا يسبّ ولا يلعن ولا يتفوه بالكلام الباطل ، بأن لا يثلب أحدًا أمام آخر ولا يكيد له ولا يفشي الاسرار ، وبأن لا يتعرض لما ليس من شأنه . **٢**- صوم الاذن بأن لا يلعن أحدًا عند سماعه الباطل . **٣**- صوم العينين بأن يغضّ الطرف فلا يتفرس ولا يتأمل في المناظر الخلابة وفي ما ينبغي ان لا ينظر فيه مليًا . **٤**- الصوم عن الغضب بأن يكظم غيظه فلا يستشط غيظًا بسرعة . **٥**- الصوم عن حب الشرف بأن يقهر المجد الباطل فلا يهتمّ بشرف ولا يطلب مكانة رفيعة ولا يستعلي ذهنه ، بأن لا يبتغي الأعالي ولا يتشامخ ، ولا يتخيل المدائح . **٦**- صوم الذهن بأن يعذب الافكار بمخافة الله لئلا تتنازل أو تتلذذ بفكر خادع مثير للاضطرام الداخلي . **٧- الصوم عن الاطعمة** بأن يحتمي منها فلا يتطلب أغذية تفيض عن الحاجة ولا ألوانًا من الطعام باهظة الثمن ، وبأن لا يأكل قبل أوان الطعام أو قبل ساعته المعينة ، ولا يتعبد لروح شراهة البطن ولا يتضلع (اي يمتلئ) من الاطعمة الفاخرة أو يشتهي طعامًا أثمن أو لونًا آخر . **٨**- الصوم عن الاشربة بأن يحتمي منها فلا يُجرِّب بشرب النبيذ أو التلذذ بالخمور ، وبأن لا يشرب المسكرات أو يتطلب أفضل المشروبات وملذات الممزوجات المصنوعة ، وبأن لا يشرب بدون اعتدال في الشرب لا في الخمر

فقط، بل في الماء أيضًا، ان كان ذلك ممكنًا. **٩- الصوم عن الشهوة واللذة** الرديئة بأن يضبط الحس فلا يقع في شرك الشهوات العارضة له ولا ينحني ليقبل الافكار التي تُخْطر الهوى على البال، بأن لا يتلذذ كأنه يرتكب بذلك الفاحشة المكروهة وبأن لا يعمل مشيئة الجسد، بل ان يلجمه بتقوى الله. لان الصائم الحقيقي هو ذاك الذي يشتري الخيرات التي لا توصف وإليها يشرئب عقله. هذه تدفع الشهوة وترفض الزنى كشيء مرذول. هو لا يُسَرُّ بمرأى النساء ولا يطرب لمنظر الاجسام، ولا يجذب بتأمل المحاسن. لا يتلذذ بالتسميات المستلذة، ولا ينخدع بالكلمات المعسولة ولا ينزلق في عشرة النساء(٤) ولا سيما الزانيات منهن. ولا يتمادى في حديث مع النساء. الصائم الحقيقي الشجاع يصون ذاته. واذ يُضحي في سلام لا يُقدَّر(٥)، يقهر كل فكر ويكبح كل شهوة وذلك باشتهاء الافضل تائقًا الى الدهر الآتي.

٢٣- في الاسراف أي فقدان الاعتدال: اما غير الصائم فتستولي عليه بسهولة كل فاحشة. هو محب للذة. يستلذ بالكلام الفارغ والكثير، ويطرب للأحاديث البطالة والوان الفرح(٦) والخلاعة. يتباهى بلذة الاطعمة ويتقوى بمرأى الاكل الكثير والشراب الوافر. يتمتع باللذة الباطنية، وينحني بلذاته لقبول الافكار ويشتهي التشرف، ويتصور الكرامة كأنه صار فيها. يتباهى بأحاديث النساء. ويسقط في شهوة الزنى. لا يرفض تأمل الالوان، ويبتهج برؤية الوجوه. يسخر من صنع المعروف، ويسترخي في محادثات النساء المضحكة. يتخيَّل

---

(٤) المحظور هو «الانخلاع» فعشرة الجنسين مقيّدة بالحشمة والأدب والاعتدال ومخافة الله. نؤمن بالمساواة والاخاء الروحي وتكفر برخاوة غير المنضبطين، والمخنثين، والمتملقين، والمغوين الماكرين المغرضين الذين يفتنون الجنس الآخر كما فتن الشيطان حواء.

(٥) باسيليوس قال إن الصوم يطفئ الحروب.

(٦) الدنيويّة المبتذلة. أما الفرح السماوي فيمنحنا اياه الروح القدس. بولس قال مرارًا «افرحوا» (فيلبي...).

صور تقاطيع الوجوه، ويحفظ ذكرها. يكرر تصوّر وجوه النساء في مخيلته وحركات الايدي وملامسة الاجسام ومعانقة الاعضاء، ويتذكر كلام الاهواء والضحك (الضحكات) الخادعة وغمزات العيون ولبس الثياب، الوان الاجسام والحدثات المثيرات للشهوات، تلذذ الجسم وحركات المشي، ساعات وأوقات الاحاديث وكل الاشياء التي تقتاده الى اللذة. هذا المحب للذة يعيد تصورها في ذهنه وتخيلها في أفكاره. ان سمع قراءة عن اللذة يقطب وجهه وان شاهد اجتماع اباء مفيدًا يحيد عنهم. ان رأى الاباء يكتئب، وان سمع عن الصوم ينتحب. لا يفرح بطائفة الاخوة. ان أبصر امرأة تنبسط اسارير وجهه، ويسارع في الخدمة بنشاط، ويبدو حينئذ نشيطًا في الترنيم ومقتدرًا على المرح والخلاعة ومتفننا في ابتكار الوان الضحك. فعجبًا كيف امكنه ان يظهر ذاته للنساء الحسناوات بهيًا ومطربًا ويبدو مقطبًا ومريضًا في ألوان الصمت؟ ... **فلنتمسك بالصوم لان الصائم مغبوط**. الفَطِن هو من يدرب ذاته على كل فضيلة، ويحرص على ان يشرق في اعمال الصلاح والبر. مغبوط هو من لم يعمل في الدنيا شيئًا لا يرضي الله بل قد خدمه بخلوص نية، وصنع أعماله في النور، ولم يغلبه أي فكر يشير بمشورات باطلة. فماذا أعمل انا المجرد من كل فضيلة؟ لن اتبع واحدة منها بل قد أفنيت حياتي في صنع الشرور كافة.

انه سيتم بي المقول: «انهم يحملون أحمالًا ثقيلة شاقة الحمل ويجعلونها على مناكب الناس ولا يريدون ان يحركوها باحدى أصابعهم» (مت ٢٣:٤). فلهذا أتضرع الى محبتكم جميعًا يا مباركي المسيح ومشاركي الفردوس ان تحرصوا جميعكم على استرضاء المسيح الذي جنّدكم لخدمته فلا يُطرح احدكم كمن قد تهاون ان كان قد تقاعس يا من هم تحت نير الله، احذروا ان تعملوا مشيئات الجسد، لكي لا تكونوا بلا أعذار أمام ذلك المنبر الرهيب حيث تصير مجازاة كل أحد على ما فعل من عمل صالح أو طالح. فالويل لي في ذلك الحين، فإني مزمع ان أقف بلا دالة. فماذا اعمل في تلك الساعة بالشدة التي لا

مناص منها . فمغبوطون حينئذ جميع الذين يمثلون امام الحاكم بدالة ، المزمعون أن يتناولوا من يد الرب المجازاة المقدسة . الويل وقتئذ لمن يخزون بسبب أمر حقير تافه ، لانه اي اعتذار يكون لمن يُشكى بسبب ايثاره التشرف والمباهاة او التعظم او المعصية أو التمرد أو شراهة البطن او التطاول على الآخرين او الهذر ، او بسبب التآمر او الضلال او الحسد او المماحكة او الغيظ او الشتم او الظلم ؟

حقًا ، اي اعتذار لمن سيُشكي بسبب هذه الامور الحقيرة ، وأية فائدة او لذة تكون لك من هذه ؟

فلذلك اتضرع إليكم ، يا اخوتي ، الا تعملوا سببًا لان يدان احدكم من اجل هذه . لاني اعلم انكم ممسكون عن الخطايا الكبرى وقد قهرتموها . ولكن كل واحد منكم يحتقر هذه ظانًا انه لن يُفحص عنها متوهمًا انها اشياء حقيرة . وهكذا يقيدكم المحال اذ يجعل كل واحد منكم يحتقر هذه كأنها ليست شيئًا .

لكن احرصوا ان تكتفوا بهذه ، بل ان تحفظوا انفسكم بكل احتراس لتتشرّفوا مع المسيح لان له المجد الى الابد . صلواتكم .

آمين .

في المحبّة

طوبى لمن يقتني محبّة الله ، لأنه يحوي في ذاته الله نفسه . « لأن الله محبّة ومن يثبت في المحبّة يثبت في الله والله فيه » (١ يو ١٤ :١٦) الذي يقتني المحبّة يتغلّب على كل شيء مع الله . لا يخاف « لأن المحبة تطرد الخوف خارجًا » (١ يو ٤:١٨) لا ينفر من أحد عظيمًا كان ، مجيدًا أم بلا مجد ، غنيًّا أم فقيرًا ، بل يصير نفاية أمام كل الناس ، يتقبّل كلّ شيء ، « يصبر على كلّ شيء » (١ كور ١٣:٧) . الّذي يحبّ لا يتعالى على أحد ، لا يدّعي ، لا يتكلّم على أحد بل يبتعد عن ذوي النميمة . الذي يحبّ لا يسير بغشّ ، لا يزاحم أخاه ولا يُزاحَم . لا يحسد ، لا يفتري على أحد ولا يفرح لأخطاء الآخرين . لا يذمّ المذنب بل يحزن له ويعينه . لا يهمل أخاه المحتاج بل يساعده ويشاركه في عوزه .

من يحبّ يصنع مشيئة الله فيكون تلميذًا له . لأن السيّد نفسه قال : « من هذا يَعرف الجميع أنكم تلاميذي إن أحببتم بعضكم بعضًا » (يو ١٣:٣٥) من يُحبّ لا يعتبر ولا يقول إن هنالك شيئًا خاصًا به بل ما عنده هو مشترك مع الآخرين . من يحبّ لا يستغرب أحدًا بل يعتبر الكلّ عائلته . من يحبّ لا يغضب ، لا يدّعي ، لا يفرح بالظلم ، لا يلجأ إلى الأكاذيب ولا عدوّ له سوى الشيطان .

يصبر على كلّ شيء يتحلّى بالفضيلة . طوبى للذي يقتني المحبة ويبتعد عن العالم مصحوبًا بها من أجل الربّ لأنه يعرف صاحبه ويودّ أن يتقبّله في أحضانه . يريد أن يُحصى مع المسيح العامل بالمحبّة لأن بالمحبّة جاء الله على الأرض ، بها فتح الفردوس ، بها ظهر لنا سلّمًا إلى السماء ، بها تصالحنا معه

بعدما كنّا له أعداء . يجدر بنا إذًا أن نقول : « **إن الله محبّة ومن يثبت في المحبّة يثبت في الله** » .

أمّا الذي يبتعد عن المحبّة فهو مسكين وشقيّ . من لا يتحسّر على حاله ؟ إنه يبتعد عن الله نفسه . يفقد النور ويسلك في الظلمة . الحق أقول لكم أيّها الاخوة إن الذي لا يقتني محبّة المسيح هو عدوّ له . لأن المسيح نفسه وهو لا يكذب ، قال : « الذي يبغض أخاه هو قاتل ، ويسلك في الظلمة ويُستعبد بسهولة لكلّ خطيئة » لأن الذي ليس عنده محبّة يغضب بحدّة وتسود عليه الكراهية . الذي ليس له محبّة يفرح بالظلم . الذي يرزح تحت وطأته الآخرون لا يشارك ألم الخاطئ . لا يمدّ يده إلى الساقط أرضًا . لا يرشد الضال . لا يشدّد المتزعزعين . الذي ليس له محبّة معطوب العقل ، صديقٌ للشيطان يبحث عن كلّ شرّ . يسبّب النزاعات والشتائم . يرافق أصحاب النميمة ، يشاطر ذوي الشتيمة يؤيّد المفسدين ، يعمل من أجل الكبرياء يصبح إناءً للتعظّم . هو جهاز كامل للعدوّ يضلّ في كل مسلك ضيّق ولا يعلم أنه يمشي في الظلمة .

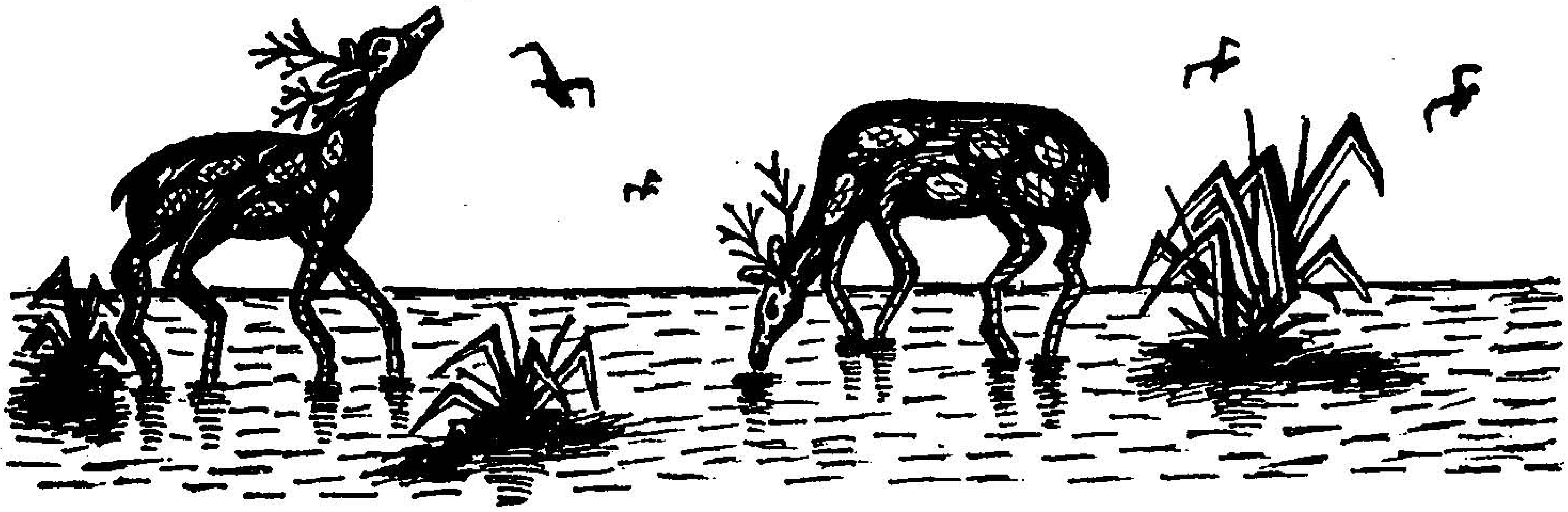

كَما يَشتاقُ الأَيّلُ إلى يَنابيعِ المياهْ ... كَذلِكَ تَشتاقُ نَفسي إليكَ يا اللّه

الميمر الرابع

دعوة إلى التخشّع والتوبة

● دعوة الى التخشّع والتوبة :

تعالوا يا أحبائي يا رعية الآب المختارة ، ويا جند المسيح الموسومين ، تعالوا لننال حياةً أبديةً ، وهلموا لنتبع خلاص نفوسنا . املأوا عيونكم دموعًا فتتفتح فورًا عيونُ ذهنكم . تعالوا جميعًا الأغنياء والفقراء ، ايها الرؤساء والمرؤوسون ، أيها الشيوخ والشباب ، ايها الأبناء والبنات ، ويا جميع المريدين أن يُفتدوا من التعاذيب الخالدة ويصيروا وارثين لملكوت السماوات .

فلنتضرّعْ مع داود النبي إلى الرب الرحيم قائلين : « اكشف عن عيني فأبصرَ معجزاتٍ من شريعتك » (مز ١١٨:١٨) ، « وأنر عينيّ لئلا أنام نومة الموت » (مز ١٢:٣) . ولنهتف كما هتف الأعميان : « ارحمنا ، يا رب يا ابن داود » . وإذا ما رجانا قومٌ لنسكت فلنزْدَدْ صراخًا ، ولا نضجر إلى أن يفتح يسوع معطي النور أعين قلوبنا (متى ٢٠:٣٠) .

تقدموا إلى المسيح ، أدنوا منه ، تأملوا فيه ، واستنيروا ولا تخزَ وجوهكم (مز ٣٣:٥) . وليكن لنا رأي سديد وشوق إلى الملكوت والفردوس . للحال استهينوا

بأمور هذا الدهر، وجدّوا، فالساعة الآن هي الحادية عشرة، وأسرعوا لئلا يُغلق الباب دونكم، فقد اقترب المساء الذي يوافي معطي الأجرة بمجد عظيم «ليكافئ كل أحد بحسب أعماله» (رومية ٢:٦). **ولنتبْ، يا أخوة، ما دام لنا وقت.** فقد سمعتم قول المسيح: «هكذا يكون فرحٌ عند ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب». (لوقا ١٥:١٠). ايها الخاطئ، لماذا تتوانى ولماذا تيأس إذا كان يصير في السماء فرحٌ إن تبتَ؟ فمن تخاف؟ الملائكة يفرحون، أفتتوانى أنت؟ رئيس الملائكة هو الكارز بالتوبة، أترهب بعد؟ الثالوث الطاهر، الذي لا يسعه مكان والمسجود له هو يدعوك، أفتتنهّد بعد؟ فلا تشعر بحلاوة الإهتمام بهذا العالم لئلا تمرمرنا النار الخالدة والدود الذي لا ينام.

● يوم الحساب:

فلنبكِ هنا قليلًا لئلا نبكي هناك بكاءً مؤبّدًا إذا ما عُذّبنا. احذروا أن يتقاعس أحدكم فإن مجيء المسيح يكون بغتةً كالبرق. في تلك الساعة يحمل كل واحد وقر نفسه، ويحصد كل واحد ما زرعه. سيقف كل واحد بخوف ورعب منتظرًا أن يسمع القضاء من الله. فلِمَ نضطجع بعدُ ولا نستعد؟ لماذا لا نهتم بالحجج التي نعتذر بها ما دام لنا وقت؟ لِمَ نستهين بالكتب المقدسة وبكلمات المسيح.

أفتظنون أن أقواله وأقوال القدّيسين والأنبياء لا تديننا في ذلك اليوم؟ قد سمعتم ما قاله الرب لتلاميذه: «من يسمع منكم فقد سمع مني، ومن احتقركم فقد احتقرني، ومن احتقرني فقد احتقر الذي أرسلني» (لوقا ١٠:١٦). «من رذلني ولم يقبل أقوالي فله من يدينه. **الكلمة التي نطقتُ بها هي تدينه في اليوم الأخير» (يوحنا ١٢:٤٨)**. وما قاله في مكان آخر: «السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول» (متى ٢٤:٣٥).

● **التوبة قبل الانقضاء :**

فهلمّ إذًا ، يا اخوتي ، قبل مجيء ذلك اليوم الرهيب لنلقِ أنفسنا في لجة رأفات الله . فقد سبق له أن دعانا قائلًا : « تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والمثقلين وأنا أريحكم » (متى ١١:٢٨) . فالوادُّ الناس والمحتمل البشر يدعو الجميع في كل حين . المتحنّن والطويل الأناة على الجميع « يريد أن جميع الناس يخلصون » (١ تيمو ٢:٤) . هو لا يدعو المختصين به ، بل الجميع قائلًا : « تعالوا اليّ جميعكم فإني لا أُخرج خارجًا من يقبل اليّ » (يو ٦:٣٧) . من هو الذي يقبل اليّ ؟ هو الذي عنده وصاياي ويحفظها ويسمع قولي ويؤمن بي وبمن أرسلني .

مغبوط هو من يسمع قوله ويحفظه ، وشقيّ هو من يخالفه لأن ذلك الكلام سيدينه في اليوم الأخير ، كما كتب : « إن الوقوع في يدي الله الحي أمر هائل » (عب ١٠:٣١) فتبْ ، أيها الأخ ، ولا تقنطْ ، تبْ ، أيها الخاطئ ، وأنت واثق وناظر إلى تعطف المسيح القائل :

« إني لم آتِ لأدعو صدّيقين بل خطأة إلى التوبة » (لو ٥:٣٢) . تب لئلا تخجل أمام الموقف الرهيب حيث يقف برعدة ألوف ألوف وربواتٌ من الملائكة ورؤساء الملائكة ، وحيث تصير الاشياء المكتومة ظاهرة ، وتُفتح الكتب ، ويميز الرب بعضًا من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء (متى ٢٥:٣٢) . فتفتح الكنوز ، ويتمتع بها الصديقون . حينئذ طوبى للذين جاعوا وعطشوا إلى البر فإنهم سيشبعون هناك (متى ٥:٦) وويلٌ للمشبَعين فإنهم سيجوعون ويعطشون (لو ٦:٢٥) وطوبى لمن افتقروا وبكوا فإنهم سيضحكون ويفرحون ، وويلٌ للضاحكين الآن فإنهم سينوحون ويبكون بلا فتور (لوقا ٦:٢٥) . طوبى لمن رَحموا فإنهم سيُرْحمون (متى ٥:٧) . وويل للذين لا رحمة عندهم .

* * *

● نصائح أخرى في التوبة :

فلنحرص إذًا على أن نخلص غير ناظرين إلى المتوانين والمتنعّمين فإنهم يجفّون سريعًا كالحشيش . ولا نحبنَّ هذا الدهر فإنه يعرقل سير الذين يحبونه . يُطرب ساعة واحدة ويرسل الانسان الى العذاب عاريًا . أسمع قول يوحنا الانجيلي المتكلم في اللاهوت : « لا تحبوا العالم ولا ما في العالم . لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العين وتعظّم المعيشة ... **والعالم يمضي وشهوته وأما من يعمل بمشيئة الله فإنه يبقى الى الأبد** » (١ يوحنا ٢:١٥-١٧) .

واسمع قول الرب : « ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ » (متى ١٦:٢٦) وهذا القول يديننا في اليوم الأخير . فلِمَ تتوانى يا شقي ؟ أما علمتَ أن كل واحد سيؤدي حسابًا لله عن نفسه ؟ (رو ١٤:١٢) . أما تأكّد لك ان كل واحد إنما يحصد ما قد زرع ؟ وكل واحد سيحمل حمله (غلا ٦:٨و٥) . وبما ان لك وقتًا بعد فبدّد وسقَ خطاياك ، فإن الإله المتعطف على الناس يدعوك قائلًا : « تعالوا إليّ يا جميع المثقلين » (متى ١١:٢٨) . وإذ يأمر بذلك فلا ييأس أحد ، ولا يتجاسر أحد على القول : إني لم أخطأ . لأن من يقول إني لم أخطأ هو أعمى وأشقى الناس كافة ، لأن يوحنا الانجيلي يقول : « إن قلنا ان ليس فينا خطيئة فإنما نُضل أنفسنا وليس الحق فينا . نجعله كاذبًا ولا تكون كلمته فينا » (١ يوحنا ١:٨-١٠) .

فالحاجة ماسة إذًا الى الدموع لغسل إرادتنا قائلين ومرنمين مع داود الصدّيق : « تغسلني فأبيض أكثر من الثلج » (مز ٥٠:٩) . « في كل ليلة أغمر سريري بدموعي وأميع بها فراشي » (مز ٦:٦) . هذا خطئ ليلة واحدة فبكى كل ليلة . فلذلك ظهر سعيدًا ، لان النبي سبق فأبصر القائل : « طوبى لكم أيها الباكون الآن فإنكم ستضحكون » (لو ٦:٢١) . فلا نتقْ إلى مثل هذه الرذائل ، ولا نُطرب بمطربات العالم ، ولا نشتهِ غنى هذا العالم . أبغضْ الشبابَ المتنعم

والزينات والوشاء. أمقتِ التلوينات بالأصباغ، والتصفيق، والتزيين، والتبختر، والأغاني الشيطانية، المعارف والصفارات وتحلية الأيدي، والأصوات غير المنظّمة والوحشية. إن هذه كلها بذار الشيطان. قد سمعتم قول الرسول: «فأوصيكم وأرشدكم وأناشدكم في الرب أن لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك الأمم ببطل بصائرهم الذين أظلم فهمهم وتغربوا عن حياة الرب» (أفسس ٤:١٧-١٨).

● المعمودية:

وبما أننا قد تركنا أعمال الماضي فلا نعد إلى الأشياء السالفة لنعملها ثانية. لقد رفضنا الشيطان ووافقنا المسيح لحضور شهود كثيرين. فانظر إلى من وافقتَ وعاهدتَ، ولا تستهنْ به. واعرفْ أن ملائكةً دوّنوا في تلك الساعة أقوالك وعهودَك وخضوعك، وخبأتْها في السماوات إلى يوم الدينونة الرهيب. أما تخشَ وترتعد لذلك؟ إذًا ستُحضر الملائكة في يوم الدينونة الصك الذي عليك وكلمات فمك امام المقام الرهيب حيث يقف الملائكة مرتعدين. وحينئذ تسمع الصوت: «أيها العبد الشرير من فمك أدينك» (لوقا ١٩:٢٢). أرحم نفسك، ولا تزدرِ بها. أفتحْ عينيك وأبصر كيف أن قومًا كثيرين يجاهدون ويحرصون على أن يخلصوا، وكيف يُجهدون أنفسهم في كل عمل صالح ويحفظون أنفسهم من الحسد والسأم والبغض والضحك والزنى والتنعم والخصومة، وكيف أنهم قد أحبوا الطريق الضيقة ويسهرون صائمين باكين أشقياء وقد أعدّوا مصابيحهم بهيةً، وكيف أن فمهم يسبح كل حين ويمجد العريس الذي لا يموت، وان عيونهم تتأمل جماله ونفوسهم مبتهجة برؤيته.

* * *

● **مجيء المسيح والدينونة (متى ٢٥) :**

انه قد اقترب ولا يبطئ لأنه آتٍ ليُفرّح الذين يحبونه ، ويعزّي الذين ناحوا وبكوا لا على المائت وخسارة الأموال الوقتية بل لأجل الخطيئة السهل ارتكابها والملكوت الذي لا نهاية له ونعيم الفردوس البهج الذي أخرجنا منه لما خالفنا وصية الله ، ويعود اليه الآن النائحون والباكون . إنه يأتي ليكلّل الذين جاهدوا حسنًا والذين أحبوا الطريق الضيقة الحرجة ، ويرحم الرحيمين ويطرب المتمسكين من أجله ، ويشبع بالخيرات الذين جاعوا وعطشوا من أجله ، ولينير مكتومات الظلمة ، ويظهر أفكار القلوب . وباختصار هو يأتي ليكافئ كل واحد بحسب أعماله (رو ٢: ٦) . فيخرج الى استقباله بدالة أصحاب المصابيح البهية مبتهجين واثقين بأن مصابيحهم لا تنطفئ . حينئذ اذا رأيت ذاتك في غم عظيم وخيبة مرّة وشدة لا تطاق وشاهدت مصباحك ينطفئ تقول : يا للخزي والخجل ، يا اخوتي : أقرضوني قليلًا من الزيت فقد انطفأ مصباحي . فيجيبونك قائلين : لعله لا يكفي لنا ولك ، فالأحرى أن تذهب إلى الباعة وتبتاع لك (متى ٢٥:٩) فتمضي بحزن وتوجّع وتنهّد مرّ باكيًا فلا تجد أبدًا زيتًا فتشتري . لأن موسم الحياة قد انقضى ، وانصرف الفقراء الجالسون على أبواب الكنائس ليبيعوا الزيت هناك ، فتتضايق متحيرًا وتقول باكيًا فلا تجد أبدًا زيتًا فتشتري . لأن موسم الحياة قد انقضى ، وانصرف الفقراء الجالسون على أبواب الكنائس ليبيعوا الزيت هناك ، فتتضايق متحيرًا وتقول باكيًا ومنتحبًا : أمضي فأقرع باب المسيح .

وإذا أتيت تقرع يجيبك العريس من الداخل : الحق الحق أقول لك إني لا أعرفك (متى ٢٥:١٢) . « أبعد عني يا فاعل الإثم » (لوقا ١٣:٢٧) . ما رحمتَ ، فلن تُرحَم . ما سمعتَ صوت الفقراء فلن اسمع أنا صوتك . كنت تسمع كتبي المقدسة فتضحك . حللتَ أوامري وأوامر أنبيائي ورسلي . قتلتَ بشرتك ودنستها ، وأوعبت فمكَ سأمًا وثلبًا ، وعملتَ مشيئات الشيطان ، واطّرحتَ مشيئاتي وابغضتَ قريبك . وبعد هذا كله تتضرّع الآن لكي تدخل الى

حيث لم تُرسلْ شيئًا ، لا دموعًا ولا بكاءً ولا صومًا ولا سهرًا ولا تسبيحًا ولا بتولية ولا صبرًا ولا صدقة . وذاك إنما هو مسكنٌ للذين تمسكنوا من اجلي ، هذه مملكة للرحيمين . هذا فرحٌ للنائحين . هذا سرورٌ للحزانى والتائبين . هذه راحة للساهرين والصائمين . هذه الحياةُ للأرامل ولليتامى . ههنا يفرح الذين جاعوا وعطشوا فرحًا مؤبدًا وقد كُتب : « ما لم تره عين ولا سمعت به اذن ولا خَطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه » (١ كور ٢ :٩) .

وقد سمعت الرب يقول : « لا تخافوا ممَّن يقتل الجسد » (متى ١٠ :٢٨) . ويقول هذا في فصل آخر : « طوبى لكم إذا اضطهدوكم من أجلي » (متى ٥ :١١) ولهذا يقول الرسول : « لا تضلّوا فإن الله لا يُستهزأ به . والانسان إنما يحصد ما زرع . فالذي يزرع في جسده فمن الجسد يحصد الفساد ، والذي يزرع في الروح يحصد الحياة الأبدية » (غلا ٦ :٧-٨) ، « لأنّ الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالترنيم » (مز ١٢٥ :٥) . فأنتم يا أحبائي قوّموا قلوبكم ومهّدوها لقبول بشارة الانجيل . ولا يخنقْ قلوبكم الاهتمام العظيم بالعالم . **فلنسعَ لأجل الحاجة لا للتنعم** . ارتضوا بالقوت الكافي . فإن تعبكم سيكون عظيمًا ان ابتغيتم التنعّم والاستكثار . « **ما الحاجة إلا إلى واحد** » (لوقا ١٠ :٤٢) ، كما قال الرب .

هذا السرور هو للحزانى وللتائبين . هذه الراحة هي للساهرين والصائمين . هذه الحياة لليتامى والأرامل . ههنا يفرح الذين جاعوا وعطشوا فرحًا مؤبدًا : « فأنت قد نلتَ خيراتك في حياتك » (لوقا ١٦ :٣٥) . « اذهب عني الى النار الأبدية » (متى ٢٥ :٤١) .

وأثناء وقوفك هناك يبلغ مسامعك صوت الفرح والابتهاج وتعرف صوت رفقائك فردًا فردًا . حينذاك تتنهّد باستمرار قائلًا : ويلي أنا الشقي كيف عُدِمتُ هذا المجد ومُيِّزتُ من رفقائي ؟ لقد كنتُ معهم طيلة حياتي ، والآن قد انفصلتُ عنهم . في الحقيقة لقد أصابني ذلك بعدل لأن أولئك يُحرمون من الأغذية

وغيرها وأنا كنت أسرع الى الأغذية والأعشبة. أولئك كانوا يرنمون وأنا كنت أصمتُ، ويصلّون وأنا أتنزّه، يضعون ذواتهم وأنا أتكبّر، ويستهينون بذواتهم وأنا أتزيّن، ويبكون وأنا أضحك. فلهذا هم يتهجون، والآن أنا أنتحب، ويُسَرُّون وأنا أبكي. يملكون مع المسيح إلى الدهور التي لا نهاية لها وأنا أرسَل مع معاندي المسيح الى النار الخالدة.

الآن علمتَ أن كل واحد يأخذ بحسب أعماله، ولكنك لا تنتفع بهذه الاقوال لأن ليست هناك منفعة من التوبة والندامة. لأجل هذا توصينا الكتب المقدسة بأن الحظوظ الصالحة التي أعدها الله للذين يحبونه لم ترها عين ولا سمعت بها أُذن ولا خطرت على قلب بشر (١ كور ٢:٩).

* * *

● غذاء النفس:

أنتم يا أحبائي قوّموا قلوبكم ومهدوها لقبول بشارة الانجيل، ولا تخنق قلوبكم اهتمامت العالم الكثيرة. فلنطلب ما هو ضروري لا ما هو للتنعّم. «إنما الحاجة إلى واحد» (لوقا ١٠:٤٢) كما قال الرب. وليس شيء أعلى قدرًا من النفس، فلنهتمّ ونستعدّ كل يوم لأجلها ولا نغني زماننا في الاهتمام بالجسد. لكن إذا جاع الجسد وطلب طعامًا فتذكر أنت أن النفس تطلب حاجتها أيضًا. وكما أن الجسد لا يستطيع أن يحيا بدون أن يستعمل الخبز، كذلك النفس تكون مائتة إن لم تغتذِ بالحكمة الروحانية. لأن الإنسان من نفس وجسد. لذا قال المخلص: «ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة من عند الرب» (متى ٤:٤). فأنت كوكيل حكيم (لوقا ١٢:٤٢) أعطِ إذًا النفس أغذيةَ النفس، وامنح الجسد أغذية الجسد، ولا تدع نفسك تموت. لكن غذّها بالأقوال، بالمزامير والتسابيح، بالترنيمات الروحية، وبقراءة الكتب الإلهية، بالأصوام

والأسهار، بالصلوات والعبرات، بالرجاء والهذيذ في الخيرات المنتظرة.

فمن يزرع في جسده التمتعَ بالعالم والتنعّم والأغذية فمن جسده يحصد الفساد، ومن يزرع في الروح صلاة وسهرًا وصومًا فمن الروح يحصد الحياة الأبدية (غلا ٦:٨).

لنضع أمام أعيننا كل حين الآتي ليدين الأحياء والأموات، ولنتذكّر دائمًا الحياة الخالدة والملكوت الذي لا يفنى والتصرف مع الملائكة والعيش مع المسيح. تذكر أن ليس في العالم سوى الدموع والتعييرات، المثالب والأتعاب، الأمراض والشيخوخة، الخطايا والموت. فلا تحب العالم. تذكّر القائل «صلّوا بلا انقطاع» (١ تساه: ١٧). ما دام لنا وقت للتوبة فلنداوِ بالعبرات ما اجترمناه وأثمنا به. فوقت التوبة قليل وملكوت السماوات لا نهاية له.

نحن نطوّب القدّيسين ونتوق الى أكاليلهم ولكننا لا نشاء أن نتشبّه بهم في جهادهم. أتظنون أنهم كللوا بغير أتعاب وأحزان؟ أتريد أن تسمع شيئًا عن أية راحة كانت في هذا العالم للقدّيسين؟ [إقرأ الاصحاح ١١ من الرسالة الى العبرانيين الاعداد ٣٣-٤٠ والاصحاح ٦ من كورنثس الثانية ٤-١٠] لقد كانوا في وسط هذه الشدائد، في سرور عظيم وكابدوها وأشباهها بما أن نظرهم كان متجهًا نحو الخيرات المعدّة في السماوات.

● **خلاصة:**

إن ذكر اسم الله يطرد الشياطين. وأنت إذا شئتَ ان تنجو من العذاب الخالد فليرنم لسانك وليُصلِّ عقلك حينما تتحرك يدك لتعمل. لا تشمئز من أحد البتة. ويلٌ لمن لا شريعة له. فإذا استضاء العالم كله يبقى هو مظلمًا. الويل للمفتري فإن لسانه سينعقد، وعذرًا لن يجد أمام القاضي. الويل للمستكبر فإنَّ ثروته تهرب والنار تقبله. الويل للمتواني فإنه سيطلب الزمان الذي اضاعه سدى فلا

يجده . الويل لمحب الزنى فإنه قد دنس الحلّةَ العرسية وسيخرج بخزي من العرس الملوكي . الويل للثلاب والسكير فإنهما سيرتّبان مع القتلة ويعذبان مع الزناة . الويل لمن يتنعم زمانًا قليلًا فإنه سيُطلب للذبح كالخروف . الويل للمرائي فإن الراعي سيُنكره والذئب سيحفظه .

الطوبى لمن يسلك الطريق الضيق فإنه سيدخل السماء لابسًا الأكاليل . الطوبى لمن سيرته حسنة وعقله متواضع فانه قد تشبّه بالمسيح وسيجلس معه . مغبوط من قد صنع الى الفقراء احسانات كثيرة فإنه سيجد كثيرين ينتصرون له اذا ما حوكم . الطوبى لمن يكلّف نفسه العناء في كل شيء لان الغاصبين يختطفون ملكوت السماوات (متى ١١:١٢) . لنعزّ ذواتنا ونعظها وليُنزه الواحد منا نفس الآخر . ليكن حديثنا عن الدينونة وعن اعتذارنا أمام منبر الرب .

● ذكر الموت والدينونة

إن كنتم تعملون عملًا ما أو تمشون أو تتناولون الطعام أو في مضاجعكم أو في أي شغل آخر فاهتموا في كل حين بالدينونة وبمجيء الحاكم العادل . وتذكروا هذا في قلوبكم ، وليقل بعضكم لبعض : ترى كيف هي الظلمة البرّانية ، والنار التي لا تطفأ ، والدود الذي لا يموت وصريف الاسنان ؟ (متى ٨:١٢) . فليخاطب بعضكم بعضًا بهذه كل حين ليلًا ونهارًا . **فمن يذكر الموت دائمًا لا يخطأ كثيرًا .**

يا أحبّائي ، لنبتهل بقلب متوجع وبدموع تنهّد من أجل أن لا نخيب من سماع ذلك الصوت المغبوط . لنتجرّد من التنّعم الذي ههنا لننال هناك فرح الفردوس ونعيمه . ولنبك ههنا قليلًا لنضحك هناك . لنجعْ لنشبعَ هناك . ولندخل من الباب الضيّق ، والطريق الحرج (متى ٧:١٤) لنمشيَ هناك في الطريق الواسعة . فلنصغِ الى ذواتنا ، ولنسمعِ الرب القائل اتبعوني (متى ٤:١٩) . ولنتركْ كل شيء ونتبعه وحده (متى ٩:٢٧) . فله المجد والقدرة مع الآب والروح القدس الى أبد الدهور . آمين .

في التوبة

الربُّ الذي نزل إلى الأرض من حُضن الله الآب (يو ١:١٨) وأصبح لنا طريقَ خلاص ، يعلّمنا عن التوبة بصوته الإلهي المبارك قائلًا : لم آتِ لأدعوَ أبرارًا بل خطأةً إلى التوبة » (متى ٩:١٣) وأيضًا « لا يحتاج الأصحاءُ إلى طبيب بل المرضى » (مر ٢:١٧) .

إن أنا أقول ذلك فلا تُصغِ إليّ البتة . أمّا إن كان الربُّ يسوع يتكلّم فلِما تزدري بقوله وتُهمل حياتك ؟ إن كنتَ تشعر بجراح في داخلك من جرّاء الأفكار والأعمال ، لماذا لا تبالي لجراحك الخفيّة ؟ لماذا تخشى الطبيب ؟ ليس هو بوحش ولا برجلٍ قاسٍ عديمِ الرحمة . لا يستخدمُ السكّين كما ولا يستخدم دواءً مرًّا مُحرقًا . **يداوي فقط بالكلمة** . إن أردت أن تأتيَ إليه فهو مليء بالخيرات ، مليء بالرحمة . لقد أتى من أجلك من حضن الآب . تجسّد من أجلك لكي تأتيَ إليه بدون خوف . صار إنسانًا من أجلك لكي يُداويك من جراحاتك ، بمحبّة كبيرة وبصلاح كلّي يدعوك إلى جانبه .

إقتربْ إليه تتعالج بسهولة . إرمِ عنك ثقلَ الخطايا . قدّم الصلاةَ وضعْ دموعًا على الجزء المهترئ . هذا الطبيبُ سماوي . كونه صالحًا يداوي الجراحَ بالدموع والتنهّدات . اقتربْ من الطبيب الصالح ذارفًا الدموع كأفضل الأدوية . لأن الطبيبَ السماوي هكذا يشاء : **أن يداويَ الإنسانُ نفسَه عن طريق دموعه** وهكذا يخلص . لأن مثل هذا الدواء لا يفعل أكثر من الحاجة كما ولا يثير الجراح بل يشفيها للحال . ينتظر الطبيبُ دموعك . لا تخفْ . إكشف له عن جرحك مقدّمًا دواء الدموع والتنهّدات .

ها إن باب التوبة قد انفتح. أَسرع قبل أن ينغلق. الربّ لا يحتملُ لا مبالاتِك ولا يُطيق تهاملك. لماذا تزدري إلى هذا الحدّ بحياتك أيها الشقيّ؟ أيوجدُ أسمى من حياتك أيها الإنسان؟ أنت لا تعرف الساعة التي فيها يغلق الطبيبُ الباب على عيادته.

اقتربْ أرجوك اقتربْ. أَسرعْ. إن فعلتَ سوف تجعل المصافات الملائكيّة تفرح لتوبتك. الشمسُ تميل إلى المغيب وهو ينتظر من أجلك حتى تُدركَ منزلك الدائم (يو ١٤:٢). إلى متى تحتمل عدوّك الغاش متبّعًا بغير خجل إرادته؟ يريد هو أن يَرميك في النار. هذه هي مهمّته. هذه هي تقدمته للذين يحبّونه. يستغلّ الشهوات الرديئة. يحارب الناسَ كلّهم فيقود إلى اليأس الذين يسيرون وراءه.

يُقسّي القلب، يُجفّف الدموع حتى لا يحسَّ الخاطئُ بالتخشّع. اهربْ منه أيها الإنسان وازدري بخداعه. إكره الشرّير وتجنّب الخدّاع. هو قاتلُ البشر من بدء الخليقة (يو ٨:٤٤) حتى النهاية. أهرب منه أيها الإنسان حتى لا يقتلك. إسمع أيها الحبيبُ الصوت المغبوط الذي ينادي كلّ يوم.

« تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. إحملوا نيري عليكم وتعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لنفوسكم » (متى ١١:٢٨-٣٠).

في كلّ يوم يكلّمك الربّ ويعدك بالحياة. تعالَ إليه ولا تخفْ. الربّ صالح ولا يحتاج إلى شيء. لا يطلب منك حسابًا لأيّة خطيئة. هو ملجأ ليسترَ الواحدُ نفسَه من الشرور كلّها. يداوي الجراح، يمنح الحياة بغزارة لأنه صالح. يتقبّل بسهولة أولئك الذين يتوسّلون إليه راكعين لأنه إله عظيم. يعرف مسبقًا أفكارنا كلّها. عندما يُقبل الواحد إليها لكي يتداوى، يرى الله قلبَه واستعداده. إن كان للواحد فكرٌ صالح ثابت، الله بداعي صلاحه يستعلن للحال للذين يطلبونه. قبل أن يرفع الإنسانُ نظره إلى الله يقول له « أنا هنا ». قبل أن يقترب إليه الإنسانُ

يفتح كنزه أمام الطالب ويُدفق عليه من خيراته الوافرة. قبل أن يصلّي يجد الرحمة لأن محبّة الله هكذا تشاء للذين يقتربون إليه عن صدق. لا يتأخّر في الإجابة كما ولا يدين الخاطئ الذي يقترب إليه ويلومه قائلًا:

«لماذا خدمتَ العدوّ وقتًا طويلًا مزدريًا بكلمتي أنا سيّدك؟» لا يفحص كمّيّةَ الوقت الذي انقضى بل فقط التواضع. **الربّ يرى دموعَ وتنهّدات الذي يأتي إليه ساجدًا**. هو سابق المعرفة كإله وجابلنا. يغفر للحال عن خطايانا كلّها، عن أخطاء أفكارنا وأعمالنا ويأمر بأن يأتوا «بالحلّة الأولى» (لوقا ١٥:٢٢) وأيضًا في يده اليمنى الخاتم. يأمر ملائكته كلّهم أن يفرحوا معه لعودة الخاطئ.

طوبى لنا بالفعل نحن البشر، لأنه لدينا مثل هذا الربُّ الطيّبُ الحبيبُ، عديم الشرّ، صالحٌ رحوم، طويلُ الأناة يسامح على الدوام عصيانَنا إن شئنا نحن. نراه دومًا يحثّنا على التوبة وفي الوقت نفسه يُطيل أناته علينا. نراه يقدّم لنا خيراته كلَّها في هذه الحياة كما في الحياة الأخرى إن شئنا ذلك. تعالوا إذًا نتوسّل إليه طالما لدينا الوقت ونحن في هذه الحياة. يمكن لنا أن نتوسّل إليه على الدوام ونجعلَه يميل إلينا بصلواتنا. من السهل لنا أن نطلبَ المسامحة والوقت بعد مناسبٌ لننشد رأفته. لنسكبَ العبرات طالما الوقت سانحٌ ليتقبّلَ دموعَنا حتى لا نبكي بدون جدوى عندما نرحل إلى الحياة الثانية **لأنه هناك لا تنفع الدموعُ أبدًا**. بقدر ما نحن نشاء بقدر ما يسامح الله الصالح. لأنه يسمعنا عندما نتوسّل إليه ويسامحنا في هذه الحياة عندما نبتهل إليه. يمحو خطايانا عندما نتصرّف بحكمة.

في هذه الحياة هناك تعزية أمّا في تلك فمحاكمة. هنا يوجد طول أناة أمّا هناك فتقرير. هنا تنازل أمّا هناك فشدّة. هنا إمكانية التحرّك بمشيئتنا أمّا هناك فحكم قاطع لا رجوعَ فيه... هنا تمتّعٌ أمّا هناك فعذاب. هنا طمع أمّا هناك

فعذاب . هنا ضحك أمّا هناك فنوحٌ وبكاء . هنا تهاملٌ أمّا هناك فهلاك . هنا حقدٌ وكراهية أمّا هناك فنارٌ أبديّة . هنا تجميل أمّا هناك فتأنيب . هنا تفاخر أمّا هناك فإذلال . هنا الخطفُ أمّا هناك فصريرُ الأسنان . هنا الألبسةُ الفاخرة أمّا هناك فظلامٌ وسواد . هنا لا مبالاة أمّا هناك فخطايا لا تُغفر .

● دعوةٌ إلى التوبة

طالما نعرف كلّ ذلك أيها الإخوة الأحبّاء فلماذا نهمل خلاصنا ؟ لا يتعلّقنّ أيها الاخوة فكرُنا بهذه الحياة . ولا نشعرنّ بالإمتنان بمحبّة الأرضيّات حتى لا نذوقَ المرارة في الحياة الأخرى . لماذا نُبدي كراهيةً دون أن نريد التداوي بقليل من الدموع في هذا الوقت الحاضر العابر ، عن طريق التوبة التي بها يغفر الله عن زلّاتنا كلّها ؟ وابكِ قليلًا هنا حتى لا تبكيَ هناك أبديًّا وسط الظلمة البرّانية . كن هنا حكيمًا حتى لا تُرمى هناك في النار التي لا تنطفئ . من الذي سوف يرثي لنا ؟ **إن كنّا نزدري بالحياة نهوى الموت** . تفكّر أيها الأخ الصّدوق واختر ما يناسب نفسك . ما الذي يمنعك أن تبكي هنا على خطاياك وتتوسّل إلى الربّ من أجل التوبة بدل أن تبكي هناك وسط النار دون أية فائدة ؟

لأن لك هنا بعض الفرصة لتكسب الدموع وتنال التعزية . بينما هناك حتى مع الدموع تذهب إلى الهلاك وإلى عقاب العبد الشرّير (متى ١٨:٢٤) . سدّد هنا جزءًا من دينك متوسّلًا للربّ حتى يغفر موجبات نفسك . إن كنتَ لا تريد أن تستوفي هنا ولو جزءًا قُليلًا من ديونك فعليك في الحياة الأخرى أن تدفع ديونك كلّها بالعذاب الكثير . أقول ذلك كلّه أيّها الإخوة الأحبّاء جوابًا لرغبتكم ، لا لأني طاهرٌ في حياتي كوني عشتُ في العفاف ، لكن بدافع ألم قلبي عندما أفكّر بما ينتظرني . . . أنا دنسٌ بالحقيقة ، جاحد في حياتي في الأفكار والأعمال . لا أرى في نفسي شيئًا صالحًا بل على العكس أُخطئ بإرادتي .

أتوجّه إليكم بهذه الكلمات لأن قلبي يتحسّر باستمرار بسبب الحزن والخوف أمام دينونة الربّ الرهيبة. نعتقد أننا سوف نعيش هذه الحياةَ الباطلة أبديًّا بينما هي تعبر مع كلّ ما فيها. سوف نُجيب أيها الأحبّاء عن كلّ ما فعلناه كوننا عرفنا الصلاح وعملنا الشرّ. ازدرينا بمحبّة الله وملكوته مفضّلين الأرضَ وموجوداتها. الفضة والذهب لا يخلّصاننا من نار الهلاك الرهيبة. الألبسة ومحبّة اللذة في تلك الحياة ستكون سببًا لهلاكنا. الأخ هناك لا يُخلّص أخاه ولا الأب يستطيع أن يُنجّي ابنَه. كلّ واحد ينتصب في مرتبته الخاصة في الحياة الأبديّة أو في نار الهلاك.

هناك قدّيسون كثيرون يتعرّون بملء إرادتهم من هذه الحياة وموجوداتها مع الرجاء الصالح الناتج عن تطبيق الوصايا. لأنهم يؤمنون أنهم سوف يتمتّعون بخيرات الله في فردوس النعيم لأنهم رغبوا في المسيح، **فضّلوه على كلّ الأمور الفانية**. لذلك يتهلّلون كلّ يوم «في الله»، يستنيرون «في المسيح» ويفرحون على الدوام «بالروح القدس». الثالوث القدوس يفرح من أجلهم. وكذلك فردوس النعيم. في الحقيقة هم دائمًا جديرون بالمديح، ممجّدون مطوّبون. الملائكة مع الناس يطوّبونهم لأنهم فضّلوا محبّة الله على العالم كلّه. لذلك الله القدّوس العادل والحقيقي يمنحهم بمثابة هدية مجدًا عظيمًا: **أن يشاهدوه على الدوام بفرح الملائكة القدّيسين**. رغب الكثيرون في الأرض وفي الفانيات وكان فكرهم ملتصقًا على الدوام بالفاسدات وكحيوانات غير ناطقة كانوا يغذّون جسدهم بالأطعمة وكأنّ هذه الحياةَ أزلية.

ماذا تعمل أنت أيها الإنسان عائشًا كالحيوان غير الناطق؟ لقد أبدعك الله لتكون إنسانًا عاقلًا مميّزًا الخير عن الشرّ، ما يفيد النفس عمّا يضرّها. لا تتشبّه بالبهائم التي لا عقلَ لها (مز ٤٩: ١٢، ٤٨: ١٣) بسبب عدم تمييزك. انتبه أيها الإنسان قليلًا وعدْ إلى نفسك واعلم كعاقل **أن الله العليّ جاء من السماء من أجلك ليرفعك من الأرض إلى السماء**. دُعيت إلى عرس الحمل السماوي لماذا

تُظهر ازدراءً؟ كيف تذهب إلى العرس دون لباس لائق. ألا تمسك بمصباحك شاعلًا وإلّا كيف تدخل إلى العرس؟ سوف تسمع الصوتَ الرهيب:

«يا صاحب كيف دخلتَ إلى هنا وليس عليك لباسُ العرس؟» (متى ١٢:٢٢) ويقول الملك لعبيده: «اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجيّة» (متى ١٣:٢٢).

تُرى ألا تخف كلّ هذا؟ ألا ترتعد أيها الإنسان لأنّ مجيء العريس قد اقترب. ألا تعلم أن كلّ شيء قد تهيّأ والبوق السماوي ينتظر الأمر؟ ماذا تعمل آنذاك، في تلك الساعة إن لم تستعدّ؟ التطويب يكون للّذين يستحقّونه. البوق السماوي يدوّي بصوته من السماء.

«انتصبوا يا أحبّاء المسيح لقد أتى الملك السماوي لكي يعطيكم الراحة والفرح في الحياة الأبدية أجرةً لتعبكم. انتصبوا وشاهدوا المسيح الملك، العريس السماوي الذي اشتهيتمونه... لأنه من اشتياقكم إليه صرتم عابرين على الأرض. قوموا وشاهدوا المُلكَ المعدّ لكم. قوموا شاهدوا المسيح الذي رغبتموه، قوموا وشاهدوا الربّ الذي لا يشبع أحدٌ من رؤيته وقد أحببتمونه، الذي من أجله كابدتم الأحزان. تعبتم من أجله. تعالوا الآن وشاهدوا بدالة كبيرة الربَّ نفسه وافرحوا معه الفرح الذي لا يوصف ولا يستطيع أحد أن ينتزعه منكم (يو ٢٢:١٦). تعالوا تمتّعوا «بما لم تره عين ولا سمعت به أذن ولم يخطر على بال انسان» (١ كور ٩:٢). لأن القدّيسين يُخطفون وسط السحب المنيرة (١ تسا ١٧:٤) للقائه. يطير الصدّيقون كعبيد الله المستحقين عاليًا في الهواء وسط المجد غير الموصوف ليروا العريس السماوي غيرَ المائت. مَنْ الذي هو جدير أن يُخطف في تلك الساعة على السحب ليلاقي المسيح في فرح كبير؟ العبيد المستحقون كلّهم يُخطفون بمجدٍ بينما الجاحدون ينتظرون على الأرض خازين. الفرح والتطويب يتبع أولئك الذين أظهروا عزمًا طيّبًا هنا على الأرض. أمّا الخطأة

فيلاقون العقابَ والخزيَ . طوبى للذي اهتمّ في هذه الحياة أن يكون مستحقًّا في تلك الساعة وشقيٌّ هو الذي لم يتهيّأ لتلك الساعة . السحابُ يخطف القدّيسين كلّهم وينْقلهم من الأرض إلى السماء ، بينما الخطأة يذهبون إلى النار .

مَنْ الذي سوف يندّي رأسي بالماء ؟ من الذي سوف يعطي لعينيّ دموعًا مهراقة على الدوام ؟ طالما الوقت بعد حاضر ليرى الله دموعي ، بكيتُ ليلًا نهارًا متوسّلًا إلى الله حتى لا أكون دون استحقاق في ساعة مجيئه وحتى لا أسمع صوت المسيح السيّد الرهيب :

« اذهبْ عني يا فاعلَ الإثم (متى ٧:٢٣) لأني لا أعرفك » (لو ١٣:٢٥) .

الله العليّ الأزلي وحده منحني أنا الخاطئ رأفاته الغزيرة في تلك الساعة حتى لا يظهر جحودي أمام الملائكة ، رؤساء الملائكة ، الأنبياء ، الرسل ، الصدّيقين والقدّيسين . بل على العكس خلّصْني أنا الجاحد بنعمتك الإلهيّة وبرأفاتك وضعْني في فردوس النعيم مع الصدّيقين . تقبّل أيّها السيّد طلبتي بشفاعات قدّيسيك الذين أرضوك منذ الدهر . لأن لك أيها المسيح يليق المجد إلى الأبد . آمين .

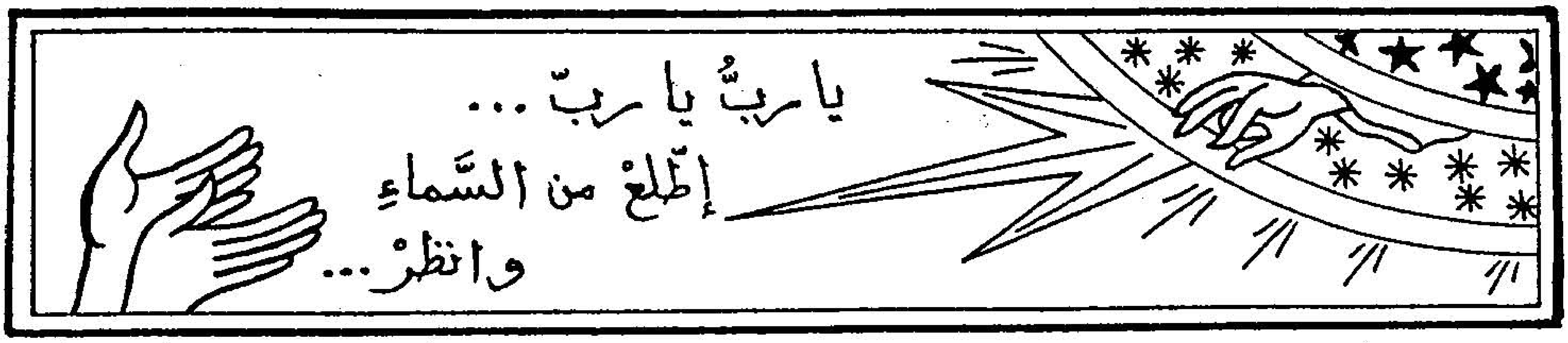

في الصبر

من أراد أن يرضي الله ويُدعى ابنًا له ومولودًا من الروح القدس ويصير بالتالي وارثًا الملكوت عليه وقبل كل شيء أن يتحلّى بالصبر وطول الاناة . وعليه أيضًا أن يتحمل وبشجاعة الأحزان والضيقات ، جسدية كانت كالأمراض والأهواء وما اليها ، أم نفسية كالتعييرات والشتائم والأحزان المختلفة وغير المنتظرة . هذه الأحزان التي تسببها الأرواح الشريرة لنفسه حتى تمنعه من الرسوّ في ميناء الحياة الأبدية وتنشئ عنده بالتالي التراخي والاهمال ونفاذ الصبر . الله يسمح بهذا كله ويدع النفس تجرّب بأحزان مختلفة فيعرف بذلك الذين يحبّونه من كل نفوسهم والذين يحتملون تجارب الشيطان دون أن يفقدوا رجاءهم به . هؤلاء ينتظرون الخلاص دومًا عن طريق النعمة بايمان وصِبر كبيرين ويتغلبون بذلك على التجارب كلّها ويصبحون ورثة للملكوت .

ينبغي اذًا يا نفس أن تتبعي قول الرب أي أن تحملي صليبه كل يوم . هكذا تستعدين لتحمّل كل تجربة ظاهرة كانت أم خفية من أجل المسيح ربّنا . وعليكِ يا نفسُ أن تضعي رجاءك على الله دومًا لأن كل شيء انما خاضع لسلطانه . تفهّمي وانظري كيف مرّ الآباء والأجداد والأنبياء والرسل والشهداء عبر طريق الأحزان هذه واستطاعوا ان يرضوا الله . ذلك انهم احتملوا وبشجاعة كل تجربة

وضيق وكانوا له في الأحزان شاكرين . لقد احتملوا كل هذا لأنهم كانوا يرجون التمتع بالأجر المناسب على حدّ تعبير الكتاب والرسل : « يا بنيّ ان أقبلت على خدمة الرب هيّء نفسك لتحمّل التجارب ، قوّم قلبك وكن صبورًا » و« إن كنتم بلا تأديب صرتم أولاد زنى لا بنين » و« مهما حدث لك في هذا العالم تقبله على أنه خيرات عالمًا ان لا شيء يتم بدون معرفة الله ».

يقول الرب : « طوبى لكم اذا عيّروكم واضطهدوكم وقالوا عليكم كل كلمة سوء من أجلي كاذبين . افرحوا وتهلّلوا فإن أجركم عظيم في السماوات » ويقول أيضًا :

« طوبى للمضطهدين من أجل البرّ لأن لهم ملكوت السماوات » فالاضطهاد الظاهر إنّما يأتي من الناس **والخفي من الأرواح الشريرة** التي تحارب النفس والمحبة لله وتجلب لها الأحزان المختلفة لتمنعها من دخول الحياة الأبدية . غير ان النفس وفي الوقت عينه تُختبر وتُعرف فإن كانت محبّة لله في الحقيقة تحتمل بالتالي كل ضيق وتتوقع الخلاص عن طريق النعمة . فلتكن كل نفس على صبر ورجاء قبل كل شيء . هكذا يمكنها التغلّب على كل ثائرة وعلى كل حزن يأتي من الشرير . والله على أيّ حال لا يسمح لأن تجرّب النفس الواضعة رجاءها عليه إلى حدّ اليأس كما أنه لا يسمح بأن تسلّم لأحزان لا تقوى على احتمالها . لذلك يقول الرسول : « أمين هو الذي لا يشاء ان يجعلنا نجرّب فوق طاقتنا ويجد مع التجربة مخرجًا وهكذا نستطيع الإحتمال » . **(١ كور ١٠:١٣).**

النفس لا تجرّب بالقدر الذي يريده الشرير بل بالقدر الذي يسمح به الله . يكفيها اذًا ان تحتمل بشجاعة وتضع على الإيمان رجاءها متوقعة العون والنصرة من لدن الله الذي لا يدعها دون حماية . فإن جاهدت بإيمان ورجاء مثابرة على طلب العون من لدنه تعالى نجّاها الربّ وبسرعة فائقة من كل حزن يتسلّط عليها . فالله وحده يعرف كم يجب ان تجرّب ويسمح بالقدر الملائم . يكفيها اذًا

ان تظلّ متمسكة بموقفها حتى النهاية وعندها لن تخزى على حدّ تعبير الرسول القائل : « الشدّة تولّد الصبر والصبر الرجاء أمّا الرجاء فلا يخزي صاحبه » (٢ كور ٦:٤) . ويقول الرسول أيضًا : « ... كخدّام الله في صبر كثير في أحزان في شدائد في ضيقات في ضربات وفي سجون » . أمّا الرب فيقول : « امّا الذي يصبر إلى المنتهى فذاك يخلص (مر ١٣:١٣) ويقول في موضع آخر : « بصبركم تقتنون أنفسكم » (لوقا ٢١:١٩) و « من الذي وضع ثقته على الرب وخزي أمامه أم من الذي ثبت في كلامه وبقي بلا عون أم من دعاه ولم يستجب له » .

إن كان قليل الفهم يستطيع أن يعرف قدرة الحيوان على حمل الأثقال ولا يحمّله بالتالي ما لا يقوى عليه ، وإن كان صانع الفخار يضع الآنية المجبولة في الأتون وهو مدرك كم من الوقت ينبغي أن تبقى في النار لتنضج فكم بالأحرى الله الذي لا تقاس حكمته ولا يسبر إدراكه ، يعرف ما هي التجارب والمحن التي تحتاج اليها النفوس التي تبتغي مرضاته والتأهل للحياة الأبدية . وحيث أن القنّب ان لم يدق طويلًا لا يصبح خيوطًا رفيعة وبقدر ما يُدق يضحي أكثر طواعية كذلك هو الحال مع النفس المحبّة لله التي إن احتملت التجارب العديدة وصبرت بشجاعة على الشدائد أصبحت أكثر طواعية للعمل الروحي وتأهلت في النهاية لميراث الملكوت السماوي . وحيث ان الآنية المجبولة حديثًا إن لم توضع في النار لا يستطيع الإنسان استخدامها وحيث ان الطفل لا يقوى على أعمال يقوم بها الكبار كالبناء والنكش والزرع كذلك هو الحال مع النفوس التي ان لم تُختبر من الأرواح الشريرة ومن الأحزان التي تنشئ الصبر لا تؤهل لملكوت السماوات . وكما يقول الكتاب : « ان كنتم بلا تأديب صرتم أولاد زنى لا بنين » .

الأحزان والتجارب نافعة للإنسان لأنها تجعل النفس مُختبرة وثابتة وبخاصة ان احتملتها بشجاعة وكانت لها ثقة بالله تامة متوقّعة بإيمان غير متزعزع خلاص الرب ورحمته . لقد احتمل القدّيسون عذابات كثيرة وتمسكوا باعترافهم بالرب حتى الموت . كما أنهم اختُبروا وتأهلوا لنيلِ إكليل البرّ . ومنهم من احتملوا المزيد

من العذابات الرهيبة فتمتّعوا بمزيد من المجد وبدا له خاصة أمام الله . أمّا الذين جزعوا من الأحزان والضربات ولم يبقوا على اعترافهم القويم حتى النهاية رُذلوا ههنا في يوم الدينونة . حال النفوس ايضًا هي كحال القدّيسين . فإن اختُبرت النفس من الأرواح الشريرة بتجارب وأحزان متنوعة وصبرت عليها بشجاعة متوقّعة الخلاص والأجر نالت من الرب اكليل البر . أمّا النفس التي انكمشت على نفسها بدافع الخوف والجزع ولم تحتمل المخاوف والمحن بل لجأت إلى الإهمال وعدم الصبر وفقدان الرجاء مبتعدة عن الطريق القويم وغير متوقعة إلى النهاية رحمة الله كيف يمكنها حينئذ ان تتمتع بالحياة الأبدية ؟ كل نفس اذًا تحتاج حتى الموت إلى الصبر وطول الأناة من أجل الرب الذي مات من أجلنا وهكذا تتأهل للملكوت السماوي . وجميع الذين يريدون ان يتحرروا من الجحيم الأبدي الذي هو عقاب للخطأة ويتأهلوا للملكوت السماوي فما عليهم الّا أن يعانوا من شدائد الجحيم أعني تجارب الشرير . فإن صبروا حتى المنتهى متوقعين بايمان رحمة الرب نالوا الخلاص من التجارب والمحن وتأهلوا عن طريق النعمة لشركة الروح القدس وتحرروا من الجحيم وورثوا ملكوت السماوات(*) .

* * *

إذ قد أعطانا الرب غير الكاذب مثل هذا الرجاء ومثل هذه الوعود فلنصبر بشجاعة على كل ثائرة وعلى كل حزن يأتي من الشرير لنرث الحياة الأبدية . ذلك أن كل حزن نحتمله من أجل الرب حتى ولو كان شديدًا هو كلا شيء أمام الحياة الأبدية التي وُعدنا بها . ولنصبر أيضًا كي نتقدّس بالروح الذي ينحدر على النفوس الصابرة ونتحرر من ظلام السيئات وكل ما ينتج عن كثرة خطايانا

(*) هذه هي الطريق الضيق التي حدّدها الرب ، الطريق الضيق والشاق التي تؤدي إلى الحياة الأبدية كما هو مكتوب : « من أجل ذلك قليلون هم الذين يسلكونها » (متى ٧:١٤) .

لذلك يقول الرسول : « عندما ندين يؤدّبنا الرب حتى لا نُدان من العالم (الشرير) » . ويقول أيضًا : « ان آلام هذا الدهر لا يمكن أن تقارن مع المجد المتوقع إعلانه لنا » . عندما نكون في العالم مأخوذين بأمور العيش لا نعاني ولا نواجه أحزانًا كهذه . انما هنا حيث أتينا لنرضي الرب يثير الشرير في وجهنا التجارب والمحن . أنظر اذًا يا أخي كيف تتألم أنت من أجل الرب . الشرير هو الذي يحسدنا ويحاول أن يبعدنا عن طريق الحياة ويجبرنا على التواني والإهمال حتى لا نرضي الله ونخلص . عندما يثور علينا الشرير ويجدنا ثابتين في عزمنا يخزى كثيرًا وتتحطم ألاعيبه لأننا حائزون معونة المسيح الذي يعطينا الصبر عندما نحزن ونضع رجاءنا عليه . فلنكن كالسندان لا نبدي عند ضربات التجارب ايًّا من علامات الرخاوة والإهمال واللامبالاة . لنتغلّب على العدوّ بالصبر لأن الرب انما اجتاز الآلام بالصبر واحتمل الضربات والتعيير ، الاضطهاد والهزء البصق وأخيرًا عقاب الموت المهين على الصليب . لقد احتمل الرب كل هذا من أجل خلاصنا وكان لنا نموذجًا نتعلم منه كيف يجب أن نتصرف .

ترى بماذا يتفاخر المهملون والكسالى واللامبالون ؟ بإهمالهم أم بكسلهم أم بهلاك نفوسهم يتفاخرون ؟ الويل الويل لهم لأنهم توانوا ! أمّا أنتم أيها الأصدقاء فتعالوا نجاهد ونرتمِ على قدميّ الرب ونبكِ ونسجد له بحماس حتى يمنحنا استنارة النفس .

أرأيتم أساليب العدوّ الشرير الذي يضع أمامنا العثرات والمزالق وما يؤذي : كثرة التملك والانغماس في الامور العالمية أعني اللذة الجسدية وأمل العيش المديد والجزع من الاضطهاد والتهامل في الصلاة والنوم عند الترتيل والراحة الجسدية . كلما اجتهد الشيطان في العمل كلما تهاملنا وتكاسلنا . وكلما نصب الفخاخ لنا كلّما أبدينا عدم مبالاة غير مدركين أن أيامنا قد فنيت وان الرب الذي يدين الأحياء والأموات حان وقت مجيئه بمجد وقوّة وبهاء ليجازي كلامنا حسب أعماله . أخشى ما أخشاه ايها الاخوة أن يتمّ فينا قول الربّ : « كثيرون سوف

يأتون من المشارق والمغارب ويجلسون مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السماوات امّا انتم فستُطردون خارجًا » .

أتوسّل اليك أيها المسيح يا نور الحق المولود من الآب ويا ضياء أقنومه ، أنت أيها الجالس عن يمين عظمة الله ، أيها الابن غير المدرك ، أيها المسيح الذي لا يُسبر غوره ، أيها الإله غير المدرك يا فخر المحبّين وفرحهم ، اقبلني في ملكوتك انا الخاطئ ولا تجازني حسب أعمالي بل برحمتك خلصني لأنك مبارك وممجّد إلى الأبد . آمين .

من أجلِ اسمكَ ، صَبرتُ لكَ يا ربُّ

الميمر الثالث

في هدم الكبرياء

باطل كل نسك ، كل صوم ، كلُ طاعة ، كلُ هجر للمقتنيات ، كل غزارة تعليم ، اذا كان فاقدًا تواضع الرأي . فكما أن التواضع هو بدء وكمال الصالحات ، كذلك التعاظم بالفكر هو بدء الشرور ونهايتها . وهذا الروح النجس متعدد الأنواع والصور . ولذا فهو يجتهد في ان يتسلّط على الجميع كما انه ينتصب فخًا لكل ذي مهنة . فالحكيم يتكبّر بالحكمة والقوي بالقوة ، والغني بثروته ، والمليح الوجه بجماله ، والخطيب بخطابته ، والحسن الصوت بحسن صوته ، والحاذق في صنعته بحذقه ، والحسن التصرّف بحسن تصرفه . وكذلك ما يطرأ من تجارب للروحانيين : فهو يمتحن المتواضع بالطاعة اي يجعله يفتخر بطاعته ، والممسك بالامساك ، والصامت بالصمت ، والعديم المقتنيات بهجر القنية ، والمتعلّم بسرعة تعلّمه ، والمتخشّع بحسن التخشع ، والعالم بالعلم . **فالمعرفة الحقيقية مقترنة بالتواضع .**

ان روح الكبرياء حريص على ان يزرع في الجميع زؤانه . ان الرب قد عرف رداءة هذا الهوى وأنه يُفسد أي انسان كائنًا ما كان عمله اذا ما تأصّل فيه . لذلك أعطانا التواضع سلاحًا عليه قائلًا : « **اذا فعلتم جميع ما أُمرتم به فقولوا اننا عبيد بطالون انما فعلنا ما كان يجب علينا فعله** » (**لوقا ١٧ : ١٠**) فلِمَ نستدعي الى نفوسنا الخفّة وفساد الذهن مع ان الرسول يقول : « إنِ ظن أحد أنه شيء وهو ليس بشيء فقد غرَّ نفسه . فليختبر كل واحد عمله وحينئذ يكون افتخاره من جهة نفسه لا من جهة غيره » (غلا ٦ : ٣-٤) ولِمَ نخادع ذاتنا

ويفتخر بعضنا على بعض بانه شريف من أشراف العالم فنحتقر الأدنى ؟ ان الرب يعلم بأن الحظوظ الرفيعة عند الناس مرفوضة لدى الله . أو لِمَ نتعالى على الأضعف فينا لكوننا مُمسكين اي صائمين ؟ أو لِمَ نتعظم ، لكوننا صامتين ، على المجاهدين في الخدمة ؟ ان ابن البشر لم يأتِ ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فداء عن كثيرين (متى ٢٠:٢٨) . فإنه ينبغي في كل أمر أن يُقصى التكبّر بالفكر .

ألأننا جالسون في مكان هادئ نتشامخ ؟ ولكن ماذا ينفعنا المكان ان لم نكن نعمل بتواضع ؟ فالرسول يقول : « ونحن غير ناظرين الى الاشياء التي ترى ، بل الى التي لا ترى . لان التي ترى وقتية وأما التي لا ترى فأبدية » (٢ كور ٤:١٨) . أم لاننا نسكن في جبّ أو مغارة ننتفخ ؟ فهذه علامات الموت وعدم الاهتمام بالأمور الأرضية . فلا يكن ما اخترته لذاتك سبيلًا لنهج الفضيلة دربًا للسقوط في الكبرياء .

● مثال الانبياء

اننا نحتاج الى ان نمتلك التواضع بقوّة . أأنت موسر ومقتن حدود السرّ ؟ لكنك لم تبلغ ما كان عليه ابراهيم الذي قال عن ذاته : « أنا تراب ورماد » (تكوين ١٨:٢٧) . أفوّض إليك أمر الاهتمام بالشعب ؟ فموسى قد تقلّد منصب رعاية الشعب وكان كليم الله ومعاين مجد الرب . ومع ذلك فلم يترفّع قلبُه ولم يتوان في اقتناء التواضع . وشهد الكتاب المقدس له قائلًا : « وكان موسى رجلًا حليمًا جدًا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الارض » (العدد ١٢:٣) . أأنت جميل الوجه ، شديد البأس وحامل التاج ؟ ولكنك لم تبلغ ما كان عليه داود الملك الذي وضع نفسه قائلًا : « **أنا دودة لا إنسان** ، عارٌ عند البشر ورذالة في الشعب » (**مزمور ٢١:٧**) . أأنت ذو معرفة وحكمة وإمساك ؟ ولكنك لم تبلغ ما كان عليه الفتيان الثلاثة ودانيال النبي . أما أحدهم فقال : « لك ، ايها السيّد ، البر ولنا خزي الوجوه كما في هذا اليوم لرجال يهوذا .. لأجل تعدّيهم

الذي تعدّوا عليك . فلنا ، ايها السيّد ، خزيُ الوجوه ولملوكنا ورؤسائنا وآبائنا لأنّا خطئنا اليك » (دانيال ٧:٨) . وأمّا الفتيان الثلاثة فقالوا : « وقد أجريت أحكام حقّ في كل ما جلبته علينا وعلى مدينة آبائنا المقدسة اورشليم . لانك بالحقّ والإنصاف جلبت هذا كله علينا من أجل خطايانا . قد خطئنا وأثمنا وابتعدنا عنك وأذنبنا في كل شيء... لكن اقبلنا اقبلنا لانسحاق نفوسنا وتواضع أرواحنا » (دانيال ٣:٢٨-٢٩-٣٩).

فإذا كان الصدّيقون قد عبّروا عن تواضع كهذا فكم يجب علينا نحن الخطأة أن نتواضع اكثر ، لأن لمن يترفّع ويتكبر بفكره ذهنَ الجسد كما قال الرسول : « لانكم ان عشتم بحسب الجسد تموتون ، وأمّا إن أمتم بالروح أعمال الجسد فتحيون » (رومية ١٣:٨) . ومن لم يقتن الفضيلة أولًا فلا يستطيع أن يضبط الأهواء . أو ما سمعت عمّا قاساه الرسول بولس (٢ كور ١١) ؟ ومع هذا كلّه فقد وضع ذاته قائلًا « لست بشيء » (كور ١٢ :١١) ، لكي يقصي التشامخ .

من يتشامخ يشبه من يعيّر الله بفضائله وهو مرذول ، ولذا آثر الرب المعتني بحياتنا ان يجعلنا غرباء عن هذا الهوى المفسد ، فعلّم قائلًا : « اذا فعلتم ما أمرتم به فقولوا إنّا عبيد بطالون ، انما فعلنا ما كان يجب علينا أن نفعله » (لوقا ١٠:١٧) . والرب لم يعلّمنا التواضع فقط ، بل أرشدنا الى اتّضاع الفكر اذ ائتزر بمنديل **وغسل أرجل التلاميذ (يوحنا ١٣)** . ولذا قال : « تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والمثقلين وأنا أريحكم احملوا نيري عليكم **وتعلّموا مني فإني وديع ومتواضع القلب** ، فتجدوا راحة لانفسكم لان نيري ليّنٌ وحملي خفيف » (متى ١١:٢٨-٣٢) . واذا ما وافتك المحزنات على خلاف ما تنوي وصبرت عليها كأنك كنت تترقّبها فاعلم أنك قد بلغت قياس إنسان ذي فضيلة ومتواضع .

ألك الإيمان كلّه ؟ أَثبت لنا ذلك . أرنا المعجزات والآيات . أقم الموتى بصلاتك . افتح أعين العميان . أخرج الشياطين . طهّر البرص . أشف المقعدين .

امشِ على الماء كما تمشي على اليابسة . حوّل الماء الى خمر . أشبع بصلواتك جموعًا كثيرة من خمسة أرغفة وسمكتين ، لأن القائل صادقٌ هو : « الحق الحق أقول لكم : « إنّ من يؤمن بي يعمل الأعمال التي أعملها أنا ويعمل أعظم منها » . (يوحنا ١٤:١٢) . ولكن قد يعترض معترض قائلًا ؛ اذا لم يعمل أحد تلك الأعمال والأفعال اللائقة بالله أفما له من رجاء خلاص؟ طبعًا لنا رجاء خلاص ، وان لم نفعل تلك الاعمال ، وذلك ان اعترفنا بضعفنا وقلة ايماننا . فإنّ الضعيف انما يلتمس رحمة لا تعظمًا . فإن كنا الى الرحمة محتاجين وإياها نطلب فنحن بحاجة الى التواضع ، لكي نجذب به الينا رأفات الله . فانه قد كتب : « هو الذي ذكرنا في مذلتنا وخلّصنا من مضايقينا (مز ١٣٥:٢٤٣٢٤). « واتّضعت فخلّصني » (مز ١١٤:٦).

لا نترك في النفس المتواضعة أثرًا للأشياء التي يمقتها الله ، لانه **في النفس المتواضعة يسكن الآب والابن والروح القدس** . فانه كتب : « اية شركة بين البر والاثم ؟ وأية مخالطة للنور مع الظلمة ؟ ! وأي ائتلاف للمسيح مع بليعال ؟ وأي حظٍ للمؤمن مع الكافر؟ واي وفاق لهيكل الله مع الاوثان ؟ فإنّكم هيكل الله الحيّ كما قال الله : « إني أسكن فيهم وأسير فيما بينهم وأكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا . فلذلك اخرجوا من بينهم واعتزلوا ، يقول الرب ولا تمسوا النجس فاقبلكم ، وأكون لكم أبًا وتكونون أنتم لي بنين وبنات يقول الرب القدير ... واذ لنا هذه المواعد ، ايها الاحباء ، فلنطهّر أنفسنا من كل أدناس الجسد والروح مكمّلين القداسة في مخافة الله » (٢ كور ٦:١٤-و٧:١) . فإذا اجتهدت اذًا في ان تعتزل من الأمور العالمية وتبتعد عن مصاعب العالم الشرير ، فجاهد جهادًا متواصلًا بحذر ضدّ مشاركة روح الكبرياء النجس ، وذلك لكي يقبلك الرب فإنه بالحقيقة : « كل مترفع القلب رجس عند الربّ » (أمثال ١٦:٥) .

أما تخطر على بالك تلك النار التي أنت مزمعٌ أن تعبر فيها ؟ فإذا عبرنا ،

اذًا ، في تلك النار وظهرنا أنقياء بلا معاب فحينئذٍ نعرف ذاتنا مَنْ نحن . فإن ذاك اليوم سيُظهر عملَ كل واحد على ما كتب وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو (١ كور ٣:١٣) . فلنتضرّع الى الربّ بتذلّل عظيم لكي ينقذنا من الخوف المنتظر ويؤهلنا لذلك الاختطاف حين « يُختطف الصدّيقون جميعًا في السحب ليلاقوا المسيح في الجو » (١ تسا ٤:١٦) ، ويجعلنا نرث ملكوت السماوات مع الودعاء والمتواضعين . وأمّا للمتكبرين والمستكبرين بفكرهم فويل لان لهم أتونَ النار اذ في الكبرياء يسكن القائل (أي روح ابليس) « إني بقوّة يدي عملتُ وبحكمتي لأني بصيرٌ فنقلتُ تخومَ الشعوب ، ونهبتُ ذخائرهم ، وأنزلتُ الجالسين على العروش كما يفعل ذو بطشٍ » (اشعيا ١٠:١٣) . لكن الرب « سيّد الجنود يرسلُ على سِمانه هُزالًا ويُضرم تحت مجده ضرامًا كضرام النار » (اشعيا ١٠:١٦) .

فلنهرب اذًا من الكبرياء بما أن الرب يبغضها ، ولنأتِ الى تواضع الذهن الذي به ارضى جمهور الصديقين الربّ . **فإن تواضع الذهن قربانٌ عظيم** ، وشرفٌ كبيرٌ ، ونجاح باهر ، وكرامة عظيمة للذين اقتنوه . فالتكبّر بالفكر حطّ قدر ذلك الفريسي ، أمّا العشار فارتفع بتواضع ذهنه . ومعه فليؤهلنا الرب للحظ الذي لا يفنى .

الميمر السابع

في البتولية

● الإنسان هيكل الله :

ان بولس الرسول يعلّمنا جميعًا عن بتولية النفس وطهارتها ويحسب رتبة البتولية أفضل وأغلى من رتبة الحياة في العالم ، لأنه قال : « ان غير المتزوج يهتم فيما للرب وأما المتزوج فيهتم للعالم كيف يرضي امرأته » (١ كو ٧:٣٢-٣٣) . فذلك الاهتمام يؤدي إلى العذاب وأمّا هذا فيؤدي إلى الحياة الخالدة .

فالطوبى لمن يهتم بأن يرضي الله ويصون جسده طاهرًا ليصيرَ هيكلًا مقدّسًا وطاهرًا للمسيح الملك . أيها الانسان انك باختيارك قد صرتَ هيكلًا لله لا عن إلزامٍ وإكراه بل عن رغبة ونشاط . واذ صرتَ إنسانًا للإله العلي عرفتَ بتدقيق ان روح الله يسكن في الهيكل (١ كو ٦:١٩-٢٠) . فإن كان طاهرًا نقيًا يقدّسه (روح الله) لكي يكون استعماله مرضيًا لسيّده . اسمع ما أقوله لك واطبعه في ذهنك : تمنطق وتدرّع بالإيمان النقي الخالص والرجاء والمحبة ، وقف كالرجل الشهم حافظًا هيكل الله من جميع الأفكار القذرة والنجسة التي زرعها العدوّ . ابذل كل جهدك مراقبًا على الدوام تجارب العدوّ لأنها تتوالى باستمرار لتجد

انسانًا مسترخيًا لكي تُفسد جسده فلا يرغب فيما بعد أن يستمع لسيّده . فاحذر ان تؤوي تجارب العدوّ عندك . أتجهل من هم المحاربون الخبثاء ومؤوو الافكار الدنسة والشهوات الرديئة ، والغضب والاضطرابات والسخط والمماحكات والعبودية للأهواء ؟ إنهم المجرّبون الاشرار الذين لا يكفّون عن الشرّ ولا يشبعون منه . واذا غُلبوا يُعيدون الكرّة دائمًا . لأن أصل الشهوة واقع فاقتلع أرومات الشهوة لئلا تتجذّر وتثبت فإذا اجتزتها ربوات من المرّات تثبت بالقدر عينه مضاعفًا ان لم تقلع الارومات تمامًا . جاهد حسنًا لتكون هيكلًا لله لا دنس ولا عيب فيه . ان هيأتَ هيكلك لله فالاله القدوس يعطيك لراحتك عوضًا عنه فردوس النعيم . صرْ بانتصارك على العدوّ أي الافكار والاهواء الدنسة حافظًا الهيكل المقدّس ليكون بهيًا لله ومقبولًا قبولًا حسنًا . انتبه لذاتك لئلا تُدخل وتقتبل في الهيكل عوضًا عن السيد الاقدس الطاهر ، العدوَّ النجس فيفسد هيكلك بوقاحته . فإنه وقح لا يخجل تنتهره مرارًا كثيرة وتطرده خارجًا . أما هو فيلاكم بوقاحة ويزاحم ويدخل . وأما الله فإنّه غير سقيم بل طاهر قدوس لا يبتعد إنما أنت تطرده . فإذا أدخلتَ الدنس صرفتَ القدوس . ابغضتَ الملك واحببت المارد . ابتعدت من الحياة وتمرّغتَ في الحمأة ، وفقدتَ النور واشتركتَ في الظلمة . بسبب تراخيك أسلمتَ ذاتك الى العدوّ النجس .

ان الإله القدوس رضي بأن يسكن في هيكلك على الدوام وأما أنت فأحزنت السيّد الصالح الرب الذي لا يُشبع منه والتائق الى ان يُعطيك ملكه لأن الله يسكن في الصائرين هياكل طاهرة لا عيب فيها . فإن وددت ان يسكن الله دائمًا في هيكل جسدك كل أيامك التي تعيشها على الارض فهو يُسكنك ويريحك في فردوسه ، في النور الذي لا يوصف والحياة التي لا تموت الى ابد الدهور في فرح عظيم .

● الطهارة وعمل الفضائل :

أتراني قد سمعتُ بهذا وقرأته : « ان يومًا واحدًا في ديارك خيرٌ لي من ألف »

(مز ٨٣:١١) . افتح قلبك وارتض ان تشتاق الى الله كل ايام حياتك . انه حلاوة واستنارة وفرح دائم فإن صبوت دائمًا الى الاشتياق الى الله يسكن هذا فيك الى الأبد . الله غيور وطاهر قدوس يقيم في نفوس الذين يتقونه ويصنع مراد الذين يحبونه . أتود أن تكون طاهرًا لا عيب فيه ، اذًا ارسم ايقونته دائمًا في قلبك . وأعني بأيقونة الله لا تلك المرسومة بالأصابع على صحيفة او خلافها بل تلك الملونة في النفس على منوال باهرٍ بالأعمال الحسنة والأصوام ، بالحميات والإمساك وإجراء أعمال الفضائل السنيّة ، والأسهار والصلوات . فأصباغ صورة السيد السماوي هي مباشرة الفضائل والأفكار النقيّة والتجرّد من الأرضيّات مع الطهارة والوداعة . بدون الجهاد[1] لا يُكلّل أحد في العالم وفي الطريقة النسكية لا يمكن أن ينال أحد الأكاليل التي لا تذبل والحياة الخالدة بدون صبر واجتهاد .

لأن هذا العالم يشبه حربًا دائمة . فالمجاهدون الكاملون يبرزون الى الساحة بدون خوف وذلك بفضل وداعتهم . أما المتراخون والخبثاء فيفرّون بسبب رخاوتهم من كل جهة . فالمجاهدون الكاملون النساك وذوو الحمية والامساك لهم أمام أعينهم نعيم الفردوس متوقعين كل حين ان يتمتعوا فيه بجميع الخيرات في النور المؤبّد والحياة التي لا تموت . أتود أن تجاهد وتظهر كاملًا ؟ إذًا البس الفضائل دائمًا كالثوب . واذا ارتديت فضيلة فجاهد باستمرار كيلا تُنزع منك . أرهب الخمر لئلا تفضحك وتعريك من الفضائل . أما عُرّي نوح الرجل الصدّيق الذي قال الكتاب فيه هذا : « أما نوح فنال حظوة في عيني الرب ... كان نوح رجلًا صدّيقًا كاملًا في أجياله وسلك نوح مع الله » (تك ٦:٨-٩) . فقليل من

(١) لا فضائل بدون جهاد . توقف كاسيانوس ويوحنا السلميّ عند مسألة « العفة الطبيعية » عاجزين عن تفسيرها . انما لاحظا عجز أصحابها عن التقدّم . اليوم نفهمها على ضوء التحليل النفسي : طاقاتهم غائرة بسبب كبت لم يولّد مرضًا نفسيًّا وصراعًا في اللاشعور . الراهب عملاق يصارع أهواءه وغرائزه كفدائي يستشهد كل لحظة . انما بحذق و« حربقة » ودهاء . فإن تطرّف أنهك قواه وصرعه الشيطان وعاد عاجزًا – مثل العفيفين بالطبيعة – عن الجهاد .

الخمر غلبه لما نام وكشف جسده في نومه (تك ٩:٢١) مع أنه كان قد غلب في زمان الطوفان وصار رئيس آباء الامم . والخمر هي أيضًا التي استرقّت لوطا البار في نومه لان أبنتيه وجدتا حبليين منه بخلاف الطبيعة (تك ١٩:٣٢...) .

اذًا الخمر لم تشفق على الابرار والصدّيقين . فكم احراها ان تتغلّب عليك أنت الحقير أيها الشاب . **ارهب الخمرَ دائمًا** لأن النبيذ لا يشفق البتة على الجسم ، بل يضرم فيه نار الشهوة الرديئة . فلا يسترخِ جسمكَ بتأثيره لئلا تقتنصك الافكار الشريرة وصنم الخطيئة نفسها في هذيذ الفكر الرديء لأنك اذا دنوتَ فامسكتَ بهذا الصنم والضلال والدراسة ، وصرتَ تناجيها وتفعلها وتتخيّل صورها ، وتكثر من مناجاتها تحلو لك دراستها فتحل قيود فكرك وتُغلب أنت غلبة لا قيامة لها ، وتخطأ خطايا ظاهرة ، فيشاهدك الناظرون اليك كأنك في الوداعة كاملٌ ظاهرًا بينما تكون معذّبًا في ضميرك داخلًا ، وتندم دائمًا ، وتحزن باستمرار ، لان للانسان ضميرًا موبّخًا .

وهذا طبع الشهوة الرديئة المألوف أن يتبع الحزن آثارها فور اجراء عاداتها . إن وجهه يُرى وداعة في الظاهر بينما هو في الداخل بلا دالة له امام الله . من لا يبكي وينوح ويحزن اذًا ؟ يتراخى الفكر في داخله فيخطأ هو إلى الله عمدًا ، وتُطرد منه الموهبة السماوية أعني الطهارة والبتولية .

لأن الإله العلي يقيم في هيكل الجسم ما دام هذا مقدّسًا وطاهرًا . فإن فسد الهيكل وتدنّس يغادره السيد للحين ، فيدخل الدنس ويستوطن هناك بدلًا من النور السماوي الاقدس (١ كور ٣:١٦-١٧)[٢] . تدخل لذة الشهوة الرديئة وتدنّسه كل حين . فمن هو ذاك الذي بدون أن يذرف الدموع يخطر بباله هذه جميعها ، أي : ان الاله القدوس ابتعد من الهيكل وسكنته الشهوة الرديئة ؟ انك

(٢) «أما تعلمون انكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم . ان كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأن هيكل الله مقدّس الذي أنتم هو» .

لن ترتوي من الدموع والتنهدات ان فكرت بهذا : من أُقصي ومن اين والى أين سقط ومَن رفاقه ؟

من غلب في الجهاد بسبب رخاوة وفتور منه اذ رأى آخر غالبًا في ميدان الصراع مشهورًا بالاكاليل والرايات مظفّرًا تمدحه وتحيط به الجماعة ، حينئذ تحوط به ندامة مؤلمة تعذّبه بحزن عميق ، فيقول في نفسه : لماذا أغذي الفكر الشرير في لحظة واحدة وفررتُ من ميدان الجهاد ؟ فها الذين أتموا الجهاد في مجد وأنا اختفي بخجل . وهذا عينه يجري في يوم المجازاة . فالمسترخون الخطأة اذ يشاهدون الصدّيقين والابرار في فرح عظيم بالفردوس ... ويشاهدون أنفسهم في النار التي لا تُطفأ والظلمة الحالكة تحيط بهم ندامة عظيمة مرهبة .

لذا أطلب اليك يا أخي المحبوب أن تصير مشابهًا للآباء السالكين في البتولية الطاهرة والنسك ، في الصلاة والصوم . أحبب النسك وتقْ الى الصلاة التي هي مخاطبة السيّد لان كل صلاة مقدّسة ونقية تخاطب السيّد . ان صلاة المشتاقين كليًّا الى الله ترتقي الى السماء باستمرار وبفرح عظيم ويبتهج بها الملائكة ورؤساء الملائكة ويرفعونها الى عرش السيادة الاقدس . حينئذ يكون السرور اذ يقدّمون لله صلوات الصدّيقين .

فاحرص إذًا ان تقتدي بسيرة الآباء القدّيسين . اسلك في منهجهم وانسك مثلهم . انسك بالعقل والروح ، بالجسد والزيّ ، بالطعام واللسان ، وبالامساك عن الضحك لتظهر في كل شيء مجاهدًا كاملًا . اذا قمتَ تصلّي الى الله فصلِّ في خشية ورعب نابذًا من قلبك وذهنك الاهتمام بالأرضيات كافة . صرْ بكليتك ملاكًا سماويًا في أوان الصلاة ، **وجاهد لكي تكون صلاتك مقدسة ونقية بلا** دنس ولا عيب حتى اذا ما شاهدها الملائكة ورؤساء الملائكة يستقبلونها جميعًا فرحين ، ويقربونها الى عرش السيد الطاهر الاقدس . كن في اوان الصلاة ماثلًا امام الله كالشيروبيم والسيرافيم . ادرس هذه الأقوال وترنم بها بخشية وبهجة

فإنها تذيق النفس أغذية روحية، وتحلّيها من مرارة العالم الباطل، وتخفف عنها وطأة الاهتمامات الارضية والامور الوقتية، واحرص ان تحفظ جميع ما سمعت[٣].

(٣) أمّا في ما يختصّ بالزواج فلا ينقص أفرام من قيمته. فهذا أيضًا سر مقدّس ينجزه الروح القدس على يد كاهن بين مؤمنين يتراضيان على العيش المشترك الطاهر حتى الموت، ويتّحدان بجسد الرب ودمه اللذين يوثقان روابطهما. أما الزواج المدني فلا يعقده الروح القدس.
ورفض الزواج الكنسي هو رفض لسرّ مقدّس.

مقالة نسكيّة

الألم الذي أشعر به يضطرّني على الكلام وعدم استحقاقي يفرض عليّ الصمتَ . آلام قلبي تجعلني أصرخ وخطاياي تأمرني بعدم التكلّم .

يُضغط عليّ من الميلين والأنسب أن أتكلّم حتى أستريحَ من وجع قلبي . لأن نفسي تتألّم وعيناي تطلبان الدموع . ترى ! من يُدفق على رأسي ماءً وعلى عينيّ ينبوعَ دموع (إرميا ٩:١) حتى أبكي نهارًا وليلًا على جراحات نفسي وعلى رخاوة التعليم الحاصل في أيّامنا كم نفسي مليئةٌ بالجراح ولا تُدرك ذلك ؟ لأن تكبّرها لا يُخوّلها أن ترى جراحَها فتشفى .

التعليم الوحيد كان يُعطى في أيّام آبائنا لأن هؤلاء لمعوا كالأنوار في كلّ الأرض عائشين فيها كما بين الأشواك أي بين الهراطقة والناس الجاحدين على غرار الحجارة الجزيلة الثمن واللآلئ النادرة . لقد أصبح أعداؤهم نفسهم متشبّهين بهم (بأولئك الآباء) بسبب حياتهم النقيّة .

أيُّ إنسان لا يشعر بالتخشّع عندما يرى تواضعَهم ، عندما يرى وداعتهم وصمتهم فلا يبقى مندهشًا ؟ أيُّ إنسان محبٌّ للمال عندما يرى عدمَ تملّكهم ، لن يكره العالم ؟ وأيُّ واحدٍ خاطفٍ متعجرف عندما يرى تعقّلَهم ، لا يعود إلى وقارِه ؟ أيُّ زان أو دنس عندما يراهم منتصبين للصلاة ، لا يصيرُ للحال عفيفًا طاهرًا ؟ أيُّ غضوبٍ عندما يلتقي بهم لا يتحوّل إلى الوداعة ؟

لقد جاهد الآباءُ ههنا وهناك يفرحون لأن الله مجّدهم والناسُ تشدّدوا بفضيلتهم . أمّا تعليمنا إذا ابتعد عن الطرق القويمة ، فهو يسير فيما بين منحدرات ومهاوي لأنه لا يوجد إنسانٌ بعيد عن الأمور المادية ليُرضي الله . كما لا يوجد

إنسانٌ مطيع لكي يربحَ الحياةَ الأبدية . ليس أحد وديع ومتواضع وهادئ ، يبتعد عن الوقاحة ويصبر على التفاهات . على العكس كلّهم غضوبون مقاومون ، كلّهم أشرار متعالون يهتمّون كثيرًا بلباسهم .

كلّهم محبّون للمجد الباطل ، محبّون للمال . لأن الذي يأتي لكي يتعلّم ، يُعلّم قبل أن يتعلّم ، يُشرّع قبل أن يعرف الشريعة ، يتفلسف قبل أن يستوعب . قبل أن يخضعَ يفرض الطاعة على الآخرين ، قبل أن يتبع أوامرَ غيره يأمر . . .

إن كان كبيرًا في السنّ يأمر بجرأةٍ . إن كان شابًا يعترض . إن كان غنيًا يطلب مسبقًا الإكرام . إن كان فقيرًا يطلب المساعدة ليترفّه . إن كان عاملًا يعتني بأنامله لتصبح ناعمةً .

تُرى من لا يبكي على تعليمنا ؟ نحن أنكرنا العالم ونفتكر بعدُ بالأرضيّات . الفلّاحون ازدروا بالأرض والظانون أنفسَهم روحيين تعلّقوا بها . ألا تعرف إلى أين دُعينا ولماذا جئنا أيها الأحباء؟ دُعينا إلى الإمساك ومع ذلك نشتهي المآكلَ الشهية . دُعينا إلى التعرّي ومع ذلك نتنازع حول الألبسة . دُعينا إلى الطاعة والوداعة ومع ذلك نغضب ونخاصم . نقرأ ولا نفهم ماذا نقرأ . نسمع ولا ندع الكلامَ يدخل أذنينا . إن وُجد أحد منّا أمام جريمة تتغيّر سحنةُ وجهه ويرتعش قلبه . لكن عندما يقرأ عن الرسل كيف رُجموا وقتلوا يعتبر كلامَهم باطلًا . لماذا أتكلّم على الأنبياء والرسل؟ نسمع أن الله الكلمة رُفع على الصليب من أجل خطايانا ومات ومع ذلك نضحك ونبقى لا مبالين . الشمس بما أنها لم تُطق تسليمَ السيّد أظلمت ، أمّا نحن لا نريد أن نتحوّل عن قتام شرّنا . لنطهّر أنفسنا أيها الأحبّاء لكي يسكن الله فينا ، ونحظى بتحقيق وعوده . لا نستهزئ باسمه القدّوس الذي ندعوه لإغاثتنا . **فلا يُجدّف على اسم إلهنا بسببنا** . لنرثِ لحالنا **ولنُدركْ أن اسمنا يوازي اسم المسيح . هو دُعي المسيح ونحن مسيحيين . الله هو روح ونحن فلنصرْ روحيين . لأنه حيث روح الربّ هناك الحرّية** (٢ كور

١٧:٣) لنسعَ لتحقيق هذه الحرّية . لنفتكر لأية حياة أهّلنا . لنفهم جيّدًا أنه دعانا إلى أفراحِه . لنحبّ كما هو أحبّنا . لنشتهيه حتى يمجّدنا . انتبهوا لأنفسكم حتى لا نُدان لأمرين يوم الدينونة . اعتزلنا العالم ، قصدنا البرّية ونفتكرُ بعدُ بالأمور العالمية ، ازدرينا بالماديّات ونحمل بعدُ همّها . نهرب من الجسديّات وفي الوقت نفسه نطلبها .

***

● أيام نوح

أخشى أن يأتي علينا ذلك اليوم ونوجد عراةً أشقياء غيرَ مهيّئين فندين أنفسنا . هكذا حصل مع الذين كانوا في أيّام نوح (تك ٦:٧...) كانوا يأكلون ويشربون ، ويزوّجون ويتزوّجون ، يشترون ويبيعون حتى جاء الطوفان وهلكوا كلّهم . كان الحدث مرعبًا بالحقيقة أيها الإخوة أن يرى الناسُ الوحوش الضارية تتجمّع في مكان واحد . تأتي الأفيال من الهند ومن فارس تختلط مع الخراف والجداء دون أن يتأذى أحد بالكلّية . تأتي أيضًا الزحافات والطيور وتربض حول السفينة وهكذا لمدّة أيام . يهيّئ نوح السفينة على عجل ويصوّت « توبوا » ! ومع ذلك لم يرتدعوا . كانوا يشاهدون التجمّع العجيب الحاصل للأحصنة مع الحيوانات المفترسة ومع ذلك لم يرتدّوا ولم يتخشّعوا لكي يخلصوا !

لنخشَ نحن أيضًا أيها الأحبّاء حتى لا نعاني الشيءَ نفسه لأن ما كُتب قد تمّ لاحقًا . العلامات الظاهرة قد وجدت تحقيقها ولم تبقَ سوى علامات عدوّنا المسيح الدجّال : Antichrist. لأنه في نهاية الملك الروماني يتمّ كلّ شيء . من يريد أن يخلص فليُسرع ، من يرغب في دخول ملكوت الله فلا يكنْ غيرَ مبالٍ . من يريد أن يهرب من جهنّم النار فليجاهد شرعيًا ومن يريد أن لا يُرمى مع الدود الذي لا ينام ، فليكن منتبهًا صاحيًا . من يريد أن يرتفع فليتواضع ومن

يريد أن يتعزّى فلينخْ . كلّ من يريد أن يدخل الخدر ويشعر بنعمته فليتخذ مصباحًا شاعلًا وزيتًا في أوعيته . من ينتظر برجاء الإتكاء على مائدة العرس فليحصلْ على اللباس اللائق (متى ٢٢:١١ و١٣) .

مدينَةُ الملك مليئة بهجةً وفرحًا ، مليئةٌ بالنور . وللذين يسكنون فيها تُفيض حلاوةً مع حياة أبدية . إن رغب أحدٌ أن يكون مواطن الملكوت فليَغصبْ « خطواته » لأن النهار شارفٌ على النهاية ولا يعرف أحد ما سوف يلاقيه في الطريق . . . هكذا كما مع مسافر يعرف طولَ الطريق فيقف وينام عند اقتراب المساء وبعد أن يستفيق يرى النهارَ على نهايته وما أن يبدأ بالسير من جديد حتى تأتي السحب فجأة ، البرد والرعد والبرق وأحزان من كلّ جهة . لا يعود يُدرك الهدف ولا يقدر أن يعود إلى الوراء . هكذا نحن أيضًا إن أبدينا لامبالاة في أوان التوبة سوف نعاني الشيءَ نفسه لأننا غرباء عابرون (عب ١١:١٣) .

مقالة نسكيّة (تابع)

لنهتمّ أيها الإخوة بالدخول إلى مدينتنا إلى وطننا بغنًى. نحن تجّار روحيّون. نطلب الجوهرة الجزيلةَ الثمن التي هي المسيح مخلّصنا، فخزُنا وكنزٌ لا يفنى. فلنكسبْه بجدّ كثير. مغبوط ومثلّثُ الغبطة ذاك الذي اقتناه كنزًا له.

ألا تعلمون أيها الإخوة أننا أغصانُ الكرمة الحقيقيّة (يو ١٥:١) التي هي الربّ؟ انتبهوا إذًا حتى لا يبقى أحدٌ بلا ثمر، لأن آبَ الحقيقة هو الفلّاح. يفلح كرمه ويعتني بالذين يحملون الثمارَ لكي يثمروا بازدياد. أمّا عادمو الثمر فيقطعهم ويرميهم خارجًا ليحترقوا في النار. انتبهوا إذًا إلى أنفسكم حتى لا تصيروا بلا ثمر وتُقطعوا وتُرموا في النار.

نحن أيضًا الزرع الجيّد الذي زرعه خالقُ السماءِ والأرض، المسيحُ السيّد. ها قد أتى الحصاد منتظرًا أمرَ السيّد. انتبهوا ألّا تكونوا زؤانًا يُربط ويُلقى في النار (متى ١٣:٣٠). ألا تفهموا يا إخوتي انه علينا أن نعبرَ هذا البحر. التجار الحكماء يسهرون على تجارتهم ويتمسّكون بالكنز جيّدًا في يديهم متأهّبين عند هبوب الريح لعبور بحر هذه الحياة والوصول إلى ميناء الأبديّة.

أمّا أنا والذين على شاكلتي لا مبالون ومشتّتون فنخاف من هبوب الريح ربّما يجدنا غيرَ متهيّئين فنُربط ونُلقى في السفينة جانبًا نبكي على أيام تهاوننا وفي الوقت نفسه نرى الآخرين يفرحون ونحن في الحزن والألم. لأنه في ذلك الميناء يفتخر كلّ واحد بغناه الخاص وبتجارته الذاتية.

أيها الأحبّاء إني أخاف ربّما تطردني أهواءُ جسدي خارج الخدر. هذا لأننا اعتنينا فقط بالمظهر الخارجي لأن الشكلَ الخارجي يكشف عن القلب وعن

الفكر. محبّة اللباسِ والمظهرِ الجميل تبيّن أننا عراة من ذلك المجد السماوي طالما نحن مشدودون إلى الأرضيّات، نرغب في المجد الباطل. تذوّق المآكل الشهيّة يدلّ على أننا عبيد لشهوة البطن والكسل يكشف عن التهاون. كما أنّ محبّتنا للمقتنيات تبيّن أننا لا نرغب في المسيح. الحسد يدلّ على أن المحبّة غائبة عنّا والاهتمام الكثير بنظافة الوجه والرجلين يدلّ على أننا بعدُ عبيدٌ لأهواء الجسد.

من اللسان يتكلّم القلب. ما يشتهيه القلب يدرسه اللسان. عن طريق الشفتين نكشف عن هواجس قلبنا. عند فتح أفواهنا يتدفّق الكلام بلا تمييز ويُخطف ما في القلب. لأن الفم لا يحفظ مكنونات القلب الخفيّة فيسرقها بينما القلب يظنّ انه مختبئ لا يتردّد أن يروي ما فيه فيفضحه الفم.

ارتضاؤنا بالادانة دليلٌ على أننا ممتلئون كراهيةً. فلا ينخدعنّ أحدنا بالتقوى الخارجيّة... بالمعاشرة ينفضح كذب التقوى. إن أردتَ أن تعرف استعدادات قلبك اقترب من فمك تعرف الأشياء التي يهتمّ بها القلب: هل تهمّه الأرضيّات أم السماويّات، الروحيّات أم الجسديّات، اللذّة أم الإمساك القنية أم عدم القنية، التواضع أم التعالي، المحبّة أم الكراهية. لأنه «من فضلة القلب يتكلّم الفم» (متى ١٢:٣٤-٣٥ ولوقا ٦:٤٥). من هنا أن اهتمام اللسان يكشف عن رغبات القلب: هل يرغب في المسيح أم في أمور هذه الحياة؟ النفس غير المنظورة تظهر بأعمال الجسد حسنة أم سيئة. طبعًا هي بطبيعتها حسنة لكنها تصبح شرّيرة بداعي تفضيلها الإرادي للشرّ.

ربّ واحد يقول إن أهوائي طبيعيّة والذين يخدمونها لا مسؤوليةً عليهم. انتبه لنفسك ألّا تدين خليقة الله الصالح لأنه خلق كلّ شيء حسنًا (تك ١:٣١) وزيّن الطبيعة بكلّ خير. إن جاع أحدٌ لا يلام عندما يأكل باعتدال لأنه يجوع بحتسب الطبيعة. إن عطش أحد لا يلام عندما يشرب بحسب حاجاته. إن نام أحد لا يلام أيضًا عندما ينام باعتدال ولا يُفرِط في نومه ويتكاسل فيغلب طبيعته

بافراط النوم لأن الطبيعة والعادة يعملان من الجهتين : تكشف الطبيعة عن عبوديّة الإنسان بينما العادةُ تكشف عن إرادته[1] والإنسان مكوّن من الإثنين (الطبيعة والإرادة) . إرادة الإنسان حرّة على مثال الفلّاح الذي يُطعّم الأشجار بطعوم صالحة ورديئة . كذلك الإرادة تطعّم طبيعتنا بعادات صالحة أو سيّئة كما تشاء .

بعادات سيّئة كالتالي : عن طريق الجوع تُدخل شراهةَ البطن ، بالعطش تُدخل الإفراط بالشرب ، بالنوم تُدخل الكسل ، بالنظر تُدخل الفكرَ الرديء . أمّا العادات الصالحة والفضائل فتصير كالتالي : بالطعام تُدخل الإمساك ، بالعطش الصبر ، بالنوم السهر وبالنظر العفّة . إرادتنا هي إذًا كالفلّاح تقتلع العادات السيّئة بطرفة عين وتُدخل في طبيعتنا العادات الحسنة .

أرضيّةُ عملنا هي الطبيعة والفلّاح هو الإرادة . الكتب المقدّسة هي بمثابة المعلّمين والمرشدين الذين يدرّبون فلّاحنا : أيّة عادات سيّئة عليه أن يقتلعها وأيّة فضائل عليه أن يغرسَها . حتى ولو كان الفلّاح نبيهًا ومجتهدًا ، بدون التدرّب على الكتب المقدّسة يبقى عديم القوّة والفلاح . لأن وصايا الكتب الإلهيّة تعطيه فهمًا وقوّة ، تقدّم له فضائل حسنة كطعوم من أغصانها لكي يطعّم بها الطبيعة الإنسانيّة . تُعطي إيمانًا لغير المؤمن ، رجاءً لليائس ، محبّة للكارِه ، معرفة للجاهل ، استعدادًا ونشاطًا للمتهاون ، مجدًا لعديم المجد ، أزليةً للطبيعة المائتة وطبيعة إلهية للطبيعة البشريّة . إن أراد فلّاحنا بداعي تسرّعه أن يترك المعلّم ومرشده أعني الكتب الإلهيّة يسقط في ضلال ويلجأ إلى أفكار شرّيرة ويكتسب عاداتٍ غريبةً ويطعّم طبيعته بغرسات خارجة عن طبيعتها الأصليّة . أعني عدمَ الإيمان والجهالة والكراهية ، الحسد والتكبّر ، حبّ المجد الباطل وشراهةَ البطن ، الخصامَ والمجادلة وغيرَها . عندما يترك صاحبَ الشريعة يتركه هذا الأخير . لكن إن تاب وأدان نفسه يجثو على قدمي صاحب الشريعة ويقول : « أخطأت فغادرتك » . في

---

(١) في الأصل proairécis التي تعني الارادة ، النيّة أو التفضيل الإرادي .

اللحظة ذاتها يتقبّله السيد بمحبّته للبشر ويُعطيه فهمًا وقوّة لكي يفلح من جديد طبيعته ، ويقتلع العادات السيّئة ويزرع بدلًا منها الفضائل الحسنة . بل وأكثر من ذلك يقدّم له أكاليل ومدائح . على سبيل المثال يجوع بحسب طبيعته لكنه يصوم في الوقت نفسه . يعطش وفي الوقت نفسه يصبر ، يشتهي ومع ذلك يعيش في عفّة ، يُثقَّل بالنعاس ويُجرَّب بالتراخي ومع ذلك يسهر غاصبًا نفسه لكي يُسبّحَ الله . هكذا يتكلّل لأنه غلب طبيعته واكتسب الفضائل .

* * *

مقالة نسكيّة (تابع)

المجد لمحبّته للبشر، المجد لصلاحه والسجود لرأفته. ترى من هو الأب الرؤوف إلى هذا الحدّ؟ من هو الأب الرحوم؟ الأب المحبّ جدًّا مثل سيّدنا الذي بذل نفسه من أجلنا نحن عبيده؟ قدّم كلّ شيء ووزّع بما يفيض. يشفي جراحات نفوسنا ويطيل أناته عندما نخالف وصاياه. يريدنا وارثين لملكوته. يريد أيضًا أن تُمتدح إرادتنا لأنها تكون هكذا جديرة بمعالجة أمراض النفس السهلة من تلقاء ذاتها لأن الأمراض الثقيلة والصعبة الشفاء يعالجها هو بنفسه. يشفي جراحات الانسان الشرّير فيفتح هذا الأخير فمه ليمجّده. يغفر خطايا الخاطئ لينهض بنشاط. يستمع إلى ضعيف الإيمان ويستجيب بسرعة لحاجاته حتى لا يسقط. يقدّم للذين يواظبون على قرع باب رحمته بصبر الشفاءَ والأجر معًا. كان يمكن له أن يشفي جراحات نفوسنا كلّها ويحوّلنا لنصير صالحين لكنه لا يريد ذلك حتى لا تُحرم إرادتنا الذاتية (النيّة) من المدائح. نحن نتهامل في استدعاء اسمه من أجل مساعدتنا وحمايتنا بينما هو يحبّنا ويرحمنا. حرّرنا وأنار عيون قلبنا. أعطانا المعرفة لألوهيّته، أعطانا أيضًا أن نذوق حلاوتَه حتى نبتغيه باستمرار. طوبى للذي ذاق محبّته وجعل نفسه مستعدًّا ليمتلئ دائمًا من المحبّة هذه . . .

أيها الأحبّاء مَنْ لا يودّ أن يكون له مثل هذا السيّد؟ مَنْ لا يسجد ولا يمجّد صلاحه؟ كيف نجيب في أوان الدينونة على إهمالنا؟ أنقول له لم نسمعه، لم نعرفه ولم نتعلّم؟ ماذا كان عليه أن يفعل ولم يفعله؟ ألم ينزل من علوّ ألوهيّته الذي لا قياس له ومن حضن الآب المبارك ليأتي إلينا نحن البشر؟ كان إلهًا غير

منظور ألم يتراءى لنا ؟ كان نارًا أبديّة ألم يصرْ إنسانًا من أجلنا ؟ ألم يُلطم (متى ٢٦:٦٧) ألم يحرّرنا ؟ يا للعجب والحدث الرهيب ! كيف أن يدًا ترابية تصفع خالق السماء والأرض؟ أمّا نحن التعساء الأشقياء الترابيين المائتين فلا نحتمل بعضنا بعضًا ولا بكلمة . هو غير مائت . دُفنَ لكي يقيمنا معه . حرّرنا من العدوّ وأعطانا السلطان لندوسه . هل استغثنا به مرّة ولم يستمع إلينا؟ هل قرعنا بابَ رحمته ولم يفتحْ لنا؟ إن حدث وتأخّر مرّة هذا لكي يزيد أجرنا .

لماذا أنكرت العالم أيها الحبيب ، إن كنت بعد تسعى وراء الراحة العالميّة . بدل التعرّي تسعى وراء اللباس . بدل العطش تسعى وراء شرب الخمر . دُعيت إلى الحرب وتريد أن تواجه الأعداء بلا أسلحة بدل السهر تغرق في النوم . بدل البكاء والنحيب تستسلم للضحك . بدل المحبّة تكره أخاك . أنت خاضع للطاعة وتعترض . دُعيت لوراثة الملكوت وتتفكّر بعد في الأرضيّات منتقلًا من مكان إلى مكان . بدل التواضع والوداعة تملك الوقاحة والتكبّر . ماذا ستجيب الديّان في ذلك اليوم؟ (متى ٢٥:٣٥) . هل تجسر القول : « إني تواضعت من أجلك . صرتُ فقيرًا وعشتُ في التعرّي والجوع والعطش لأني أحببتك من كلّ قلبي وأحببتُ قريبي كنفسي »؟ تذكّر أن كلامك وأفكارك كلّها تُسجّل وسوف يعيّرك ضميرك إن تكلّمت بالكذب ألا تعلم أن الخليقة كلّها سوف تنتصب برعدة وخوف أمام المنبر الرهيب . ألوف ألوف وربوات ربوات من الملائكة سوف يحيطون به وأنت بالكذب قائلًا « إني تحمّلت ذلك كلّه من أجلك » انتبه ألّا تعاقَب بشدّة بسبب أعمالك الشرّيرة وكلامك الكاذب !

استيقظ إذًا من نومك وعد إلى نفسك . أُنفضْ عنك أفكارَك وانظر كيف أن النهار يدنو إلى المغيب . لاحظ كيف أن اخوتنا الذين كانوا يكلّموننا في الأمس ليسوا معنا اليوم بل ذهبوا إلى ربّهم ليقدّم كلّ واحد منهم حصيلة تجارته . . . لاحظ أيضًا كيف أن اليوم السابق قد مضى واليوم الحاضر يمضي كظلّ أوان العصر . افحص جيّدًا عملَك الروحي هل يسير وفقًا لمشيئة الله . تعبر أيّامنا كمثل

رياضي يركض بسرعة . طوبى للذي أتقن عمله الروحي ولم يضيّع وقته بل جمع مكسبًا للحياة الأبديّة .

لكن أنت أيها الحبيب لماذا تتهامل ، لماذا تسكر بالضجر وكأنه خمرٌ ؟ لماذا تجعل نفسك تضطرب ؟ أتستطيع أن تنشئ مسكنًا دائمًا في هذه الحياة ؟ كما بمسافرَيْن إلتقيا في الطريق بينما كان كلّ واحد منهما عائدًا إلى بيته . لكن الليل فاجأهما فبقيا في بيت على الطريق . عند طلوع النهار انفصل الواحد عن الآخر . هكذا هو الحال معنا في هذه الحياة . لأن الحياة هذه تشبه ذلكَ البيت العابر ننفصل عنه لنعد إلى مسكننا الدائم عالمين جيّدًا ما ينتظرنا . هذا لأننا نعرف جيّدًا ما قد تركنا من غنى أمْ فقر ، من سلام أم نزاع .

هل أرسلنا قبل قليل شيئًا إلى السماء أعني **الصلاة** ، **الدموع** ، **السهر** ، **الترتيل مع خشوع وإمساك مع تواضع وإنكار الأمور الدنيويّة مع محبّة صادقة وشوق كبير للمسيح** . إن كنّا قد أرسلنا كلّ هذا من قبلُ نغادر الحياة هذه بشجاعة لكي نستريح . لكن إن لم نُرسل قبلًا شيئًا من هذا القبيل فلما نُغضب قريبنا في البيت طالما سوف ننفصل عنه في الصباح ؟ لماذا نتكبّر ونتعالى ، لماذا نحزن لمغادرتنا البيت العابر ؟ لماذا نفتكر باللباس والرداء والطعام ؟ يمنح الله الحيوانات غير العاقلة طعامها ويحرمك أنت الذي تمجّده ؟ ينتظرك لتصير وارثًا لملكوته وتهتمّ باللباس والرداء ؟ لقد أمتّ نفسك وأنكرت العالم ، لماذا تفتكر بعدُ بالأرضيّات ؟ لماذا تُغضب الطبيب ولا تريد أن تشفى ، وفي وقت المعاينة تُخفي جراحك وتدينه لأنه لم يشفيك ؟ أعطاك فرصة وأنت لاَ تبالي . لماذا تدين صاحبَ الناموس إن سمح بالموت وأنت تعيش **بلا مبالاة** . أتقول للموت « أتركني قليلًا حتى أتوب » ؟

إسهرْ أيها الحبيب وأيضًا أقول لك اسهرْ لأن تلك الساعة سوف تأتي كالفخ . عندها تعتريك الدهشة وتقول : كيف أمضيت عمري بالتشتت

والكسل ؟ لكن ما الفائدة لهذا التفكير طالما في أوان الموت لن يُسمح لك البقاء ههنا . انتبه إذًا لما يُقال . أنصتْ إلى كلمات السيّد إن كنتَ تؤمن به . فقد قال : سوف نُعطي جوابًا لكل كلمة بطّالة (متى ١٢:٣٦) . يكفيك هذا القول إن كنتَ صاحيًا وإلّا تشبه قسطلًا يتقبّل المياه دون أن يدري أن المياه تجري فيه .

ترى من لا يرثي لحالنا ، من لا يبكي ويحزن ؟ من لا يندهش لأن سيّد الكون بحضوره الشخصي مع عبيده الأنبياء والرسل يكرز وينادي ولا يوجد إنسان يسمع . ما هي كرازته ؟ يقول إن العرس جاهز (متى ٢٢:٨ و٤) ومسمّناتي قد ذُبحت . يجلس العريس بمجد وعظمة في خدره يقتبل بفرح الداخلين . قد فُتح الباب والخدّام يسرعون قبل أن يُقفل اركضوا حتى لا تبقوا خارجًا ولا من يُدخلكم إلى العرس . ليس من إنسان يفهم ولا من إنسان يُبدي اهتمامًا . فقد ربط كسل العالم واهتماماته فكرَنا كما بسلاسل . ننسخ الكتب الإلهيّة جيّدًا ونقرأها لكننا لا نريد أن نصغي إليها لأننا لا نريد أن نعمل بوصاياها . ترى من الذي يخوض سَفَرًا بعيدًا دون مؤونة كما نريد أن نفعل عند مغادرتنا العالم ؟

طوبى للذي يغادر إلى الربّ بجرأة ماسكًا في يديه مؤونة غيرَ ناقصة . العذارى العشر تنام (متى ٢٥:٥) والعبيد يتاجرون (لوقا ١٩:١٣) منتظرين عودة سيّدهم لأنهم يعرفون أن بقبضته الملكوت ، يأتي بقدرة عظيمة وبمجد عظيم ليكلّل عبيده الذين تاجروا حسنًا ويقضي على أولئك الذين رفضوا سيادته . عند نصف الليل والنوم يسود على الطبيعة البشريّة فجأة يأتي صراخ من السماء ورعود رهيبة وبروق مخيفة مرافَقة بالزلازل فيرتعد النائمون ويراجع كلّ واحد حساباته . يتذكّر أعماله الحسنة والسيئة . الذين عملوا السيئات يقرعون على صدورهم وهم على الفراش لأنه لا وجود لمكان يهربون إليه أو يختبئون فيه . لا مجال للتوبة عمّا فعلوا . الأرض تتزلزل والرعود تثير الخوف والبروق ترعب والظلمة الدامسة تسود عليهم . هكذا وفي تلك اللحظة المفاجئة كمثل البرق ترتعد الأرض كلّها . لأن

البوق سوف يصوّت من السماء. سيقيم الراقدين (١ تسا ٤:١٦) منذ الدهر. سوف تتزعزع السماوات مع القوّات التي فيها (متى ٢٤:٢٩) الأرض كلّها كمثل البحر سوف تستشيط خوفًا من حضوره المجيد لأن نارًا رهيبة تسبق مجيئه، نارًا تطهّر الأرض من الآثام التي دنّستها. سوف يفتح الجحيم أبوابه الدهريّة ويُقضى على الموت. والجسد الترابي الذي للطبيعة البشريّة عند صوت البوق سوف يحيا من جديد. والمدهش أن يرى الواحد كيف في الجحيم بلحظة واحدة، كما تتحرّك الأسماك في البحر، يتحرّك جمع كبير من العظام البشريّة مفتش كلّ واحد منها عن هيكله الخاص.

سوف يقوم البشر ويصرخ الكلّ ويقولون:

«المجد للذي جمعنا وأقامنا بمحبّته للبشر». عندها يفرح الصدّيقون مع الأبرار. ويكسب النسّاك راحة لأتعابهم كما يُكلّل الشهداء والرسل والأنبياء. طوبى للذي يؤهّل لرؤية تلك الساعة، كيف يُخطف القدّيسون (١ تسا ٤:١٧) على السحب ليلاقوا العريس غيرَ المائت. أولئك الذين أحبّوه وجاهدوا للعمل بوصاياه. بقدر ما وسّع كلّ واحد أجنحته يسمو إلى العلاء. بقدر ما طهّر فكره في هذه الحياة يرى مجدَ الله. بقدر ما أحبّ يُشبع محبّته. في تلك الساعة يندهش آدم نفسه مشاهدًا أحداثًا عجيبة كيف أتى منه مثل هذا العدد من الأجيال. سوف يمجّد الله الخالق بازدياد. كيف من طبيعة واحدة ورثوا ملكوت السماوات . . .

للإله الحقيقي وحده ينبغي المجدُ أيها الأحباء! تذكّرت تلك الساعةَ وارتعدتُ. نظرتُ إلى تلك الدينونة الرهيبة وخفتُ. نظرت أيضًا إلى الفرح الكائن في الفردوس. وبعد أن تنهّدتُ بكيتُ حتى لم يعد لي قدرة على البكاء لأني أمضيتُ عمري في التشتّت وعدم مبالاة وملأتُ سنين حياتي بالأفكار الدنسة. كيف سرقوها مني؟ لا أدري. ضاعت أيّامي وتكاثرت آثامي. الويلُ

لي ، الويلُ لي يا أحبّائي ! كيف أواجه الخزيَ في تلك الساعة ؟ عندما يحضر حواليّ معارفي كلّهم . الذين كانوا يحسبون أني أنتمي إلى طغمة الأتقياء (طغمة الرهبان) . كانوا يطوّبونني بينما كنتُ في الداخل مليئًا بالجحود والدنس . كنتُ قد نسيتُ الربَّ الذي يفحص القلوبَ والكلى (مز ٧ : ١٠) . في الواقع هناك يكمن الخزي ، هناك يكمن الشقاء .

أيها الصالح المحبّ البشر استحلف رأفاتك حتى لا تجعلني عن المياسر مع الجداء الذين أَغضبوك ولا تقول « لا أعرفك » . بل أعطني برأفتك نوحًا دائمًا وتخشّعًا وتواضعًا في قلبي . طهّرني حتى أُصبحَ إناءً لنعمتك المقدّسة . أقرع باستمرار على باب رحمتك مع أني خاطئ وجاحد . أسير في طريقك مع أني شرّير وفاسد .

أيها الأحبّاء أتوسّل إلى عزمكم المشترك حتى تهتمّوا في إرضاء الله طالما الوقت سانحٌ . ابكوا أمامه ليلًا نهارًا في صلاتكم وترتيلكم حتى يخلّصكم من ذلك النوح الأبدي ، من صرير الأسنان ، من نار جهنّم ، من الدود الذي لا يموت ، ويمنحكم ملكوته في الحياة الأبدية . هناك ينتفي الألم والحزن والتنهّد . حين لا نعود بحاجة إلى الدموع والتوبة . حيث لا يوجد خوفٌ ورعب ولا فساد ولا عدوّ مقاوم . حيث لا يوجد غضب وغيظ ولا كره وعداوة . بل على العكس فرح دائم ، بهجة وتهليل ومائدة ملآنة بالخيرات التي هيّأها الله للذين يحبّونه . طوبى للذي يُعطى أن يشترك في تلك المائدة وشقيٌّ ذاك الذي يُحرم منها .

أتوسّل إليكم أيها الأحبّاء . أَظهروا لي محبّتكم وتوسّطوا من أجلي إلى ابن الله الوحيد الصالح والمحبّ البشر حتى يُظهر لي محبّته ويخلّصني من كثرة آثامي ويسكنني حول مظالّكم في بستان الفردوس المبارك لكي أكون بجواركم أنتمْ وارثيه . أنتم أبناء أحبّاء وأنا مثل كلب مزدرى به أَلتقتُ من فتات مائدتكم حتى

يتمّ ما كُتب : « والكلاب أيضًا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها » (متى ١٥:٢٧) . نعم أيها الأحبّاء دعوا صلواتكم تنصبّ عليّ وتعالوا نهتمّ بحياتنا لأن كلّ شيء يمضي كالظلّ . لنبغض العالم وما في العالم مع الاهتمام الجسدي فلا يكون لنا اهتمام سوى بخلاصنا . كما قال ربّنا :

« ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عنْ نفسه » (مر ٨:٣٦ ومتى ١٦:٢٦) .

* * *

أيها الإخوة نحن تجّار روحيّون . نشبه التجّار الذين يهتمّون بالخيرات الماديّة . كلّ يوم يحسب التاجر الربح والخسارة . إن وجد خسارة يفكّر كيف يُصلحها . وهكذا أنت أيها الحبيب ، إنتبه كلّ يوم ، صباحًا ومساءً ، إنتبه بدقّة إلى عملك التجاري . في المساء عُدْ إلى قلبك واحسبْ وقلْ لنفسك :

« هل أغضبتُ الله في شيء ؟ هل تكلّمت كلامًا باطلًا ؟ هل أظهرتُ عدم مبالاة ؟ هل أغضبتُ أخي أو أدنتُ أحدًا ؟ هل كان فمي يرتّل وفكري شاردًا في خيال الإهتمامات العالميّة ؟ هل جاءتني شهوةٌ جسدية وقبلتها بسرور ؟ . . .» إن خسرتَ في هذه كلّها فكّر كيف تصلح نفسك . تنهّد وابكِ حتى لا تقع من جديد .

في الصباح أيضًا فكّر وقلْ : « تُرى كيف أمضيتُ الليل ؟ هل أجريتُ فيه عملي الروحي ؟ هل بقيت نفسي ساهرةً فيه مع جسدي ؟ هل سكبتْ عيناي الدموع ؟ هل غرقتُ في النوم عند السجود ؟ هل جاءتني أفكار شرّيرة وقبلتها بسرور ؟ » إن حصل هذا كلّه أنظر كيف تعالج نفسك . ضعْ حارسًا لقلبك حتى لا تعود إليها . إن اهتمّيت بذلك تنقذ عملَك الروحي ، تُرضي ربّك وتنتفع .

انتبه أيضًا ألّا تُعرّضْ نفسك للكسل **لأن الخراب هو سيادة الكسل** . تشبّه

بالنحلة وانظر إلى عملها السرّي، كيف من الأزهار المختلفة تجمع ثمر عملها. وجّه انتباهك إلى الجبلة الضعيفة هذه لأن إن اجتمع حكماء الأرض كلّهم وفلاسفةُ العالم لن يستطيعوا أن يصنعوا حكمتها، كيف من الأزهار تبني «قلاليها» وتدفن نسلها وبعد أن تُعطيهم حياة تأمرهم مثل قائد الجيش. ينتبه هؤلاء لأوامرها ويطيرون إلى الخارج. يعملون ويملؤون القلالي (أفير النحل) بالأطعمة من العسل اللذيذ. عندما يرى الإنسان الحكيم أتعابَ النحلة يمجّد الله الخالق متعجّبًا كيف أنه في جبلة صغيرة وضع مثل هذه الحكمة العظيمة!

هكذا أنت أيضًا تشبّه بها واجمع من الكتب الإلهيّة غنًى وكنزًا لا يفنى وأرسله إلى السماء. لأن رؤساء الأرض عندما يريدون أن يذهبوا إلى أماكن بعيدة، يرسلون أوّلًا عبيدهم مع غناهم حتى يذهبون ويستريحون في مكان مهيّء مسبقًا. وهكذا أنت أيها الحبيب أرسلْ من قبلُ غناك إلى السماء حتى يقبلوك في المساكن الأبديّة، مساكن القدّيسين. لا تبدي عدمَ مبالاة في الزمن الحاضر حتى لا تندم في الدهور التي لا نهاية لها. اسمع الربّ يقول:

«في العالم سيكون لكم ضيق» (يو ١٦:٣٣) ويقول أيضًا: «بصبركم تقتنون نفوسكم» (لوقا ٢١:١٩).

إن كنت ترغب بالتمتع الجسدي بسبب كسلك وتهاملك، إن أردتَ أن تهرب من شدائد هذه الحياة ومن الصبر وتنفر من نير المسيح الجميل الحلو كونه ثقيلًا، حينئذ تسلّم نفسك إلى الخراب ومَنْ حينئذ يرحمك؟ أنت تغتال نفسك فمَنْ يحزن عليك؟ عليك بالحقيقة أن تتخذ أسلحة المسيح وتحارب العدوّ... إن كنت تفتخر في حياتك هذه يصبح رجاؤك باطلًا وصلاتك لله لا نفعَ لها. تطلب الراحة هنا والحياة الأبدية هناك؟ إن كنتَ تسعى وراء العابرات، يكون الزاني والسارق أفضل منك... لأنك ازدريت بالنور وأحببتَ الظلام. تركت ملكوت السماوات ورغبت بالأرضيّات والأمور الوقتيّة. خشيتَ أن يهمل الله

أتعابك في حين أنّه يقوّيك ويقدّم لك نعمته ويعطي قلبك تخشّعًا . . . لماذا إذًا يحرمك أجر دموعك ؟ ألم يقل :

« اسألوا تُعطوا . اطلبوا تجدوا إقرعوا يُفتح لكم » (متى ٧:٧ لوقا ١١:٩) أيكون كاذبًا ؟ حاشا ! إذهب يا شقي مَنْ الذي خدعك ؟ إنه الشيطان الماقت الخير . همّه أن لا يخلص أحدٌ . لذلك عدْ إلى صوابك ولا تزدرِ بنفسك . افتح عيني ذهنك وانظر إلى الذين حولك . كيف يجاهدون ويمسكون بمصابيحهم . يسبّحون بفمهم العريس الأزلي ويمجّدونه . أعينهم موجّهة إلى حسنه ونفسهم تبتهج وتتهلّل . إفهمْ أن الوقت يقترب ولن يتأخر . سيأتي فجأة ليمنح الفرح للذين ينتظرونه . سيُسمع الصوت « ها هو الختن يأتي » (متى ٢٥:٦) ويذهب الذين معه بفرح ومصابيحهم شاعلة ولباسهم لائق . يسمعون صوته يقول : « تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعدّ لكم منذ إنشاء العالم » (متى ٢٥:٣٤) . عندما تسمع الصوت تقول لهم :

يا إخوتي أعطوني قليلًا من الزيت لأن مصباحي ينطفئ وتسمع الجواب : « لعلّه لا يكفي لنا ولك . اذهب إلى الباعة وابتع لك » (متى ٢٥:٨-٩) . تذهب نادمًا دون أن تجد من يبيعك . لأن الأرض كلّها سوف ترتعد من مجده كما ترتعد مياه البحر . فتحزن قائلًا سأذهب وأقرع الباب من جديد . . . فتسمع الصوت يقول لك : « الحق «قول لك إني لا أعرفك . إذهب عني يا فاعل الإثم » . وبينما أنت هناك ، تسمع من الداخل أصوات الابتهاج وتقول « ويلي أنا الشقي كيف حُرمتُ من مجد إخوتي ، كيف حُرمت من رفقتهم . طيلة حياتي كنتُ معهم والآن فُصلت عنهم . إني أتألّم بعدلٍ . هم تعفّفوا وأنا كنتُ لا مباليًا . هم كانوا يرتّلون وأنا كنت مشتتًا . كانوا يواظبون بحماس على السجدات وأنا نائم . كانوا يصلّون وأنا أفتكر . كانوا يتواضعون وأنا أتكبّر . كانوا يذلّلون أنفسهم وأنا أهتمّ بنفسي . لذلك الآن يفرحون وأنا أحزن . يتهلّلون وأنا أبكي . إنتبه قليلًا أيها الشقي ولاحظ محبّة الله للبشر . لا تكنْ غيرَ مبالٍ

لخلاصك. اطلبه فهو يسرع لإنقاذك. قدّم له يُعطيك أضعافًا. « إن كان الكتاب العديم النفس يصرخ بحروفه ويعود بالنفع لصاحبه، كم بالأحرى الإله الصالح يُحسن للذين يطلبونه! الورقة مع كلماتها تُعطي ربحًا فوق ربح وكنز نعمة الله يضاعف أجرة المصلّين وتوسّلهم.

لا تتكاسل ولا يتسلّط عليك اهتمامٌ دنيويّ، لا تستسلم لليأس. لأن الله الرحيم ينتظرك ويحفظك مع كلّ الذين يشتهونه من كلّ قلبهم. اذهب إلى جانبه دون خجل واسقط على قدميه. تنهّدْ ابكِ وقلْ: « يا ربّي ومخلّصي لا تتركني لأنك أنت وحدك بدون خطيئة. إحفظني من ظلمة خطاياي حتى لا أغرق فيها إلى الدهر (مز ٦٨:١٥). أنقذني من فم العدوّ لأنه « كأسد زائر يجول ملتمسًا من يبتلعه » (١ بطر ٥:٨) ضع قوّتك وخلّصني (مز ٧٩:٣). أرسل بروقك وشتّت قوّته (مز ١٤٣:٦) ليخف ويتلاشى من حضور وجهك. لأنه ضعيف أمامك، لأنه يرى علامة نعمتك (الصليب) ويخافك ويبتعد مخجولًا. الآن يا سيّد خلّصني لأني التجأتُ إليك.

إن كنت تصلّي هكذا وتتوسّل إليه وتستغيث به من كلّ قلبك، يرسل نعمته لمساعدتك فيتحقق مرادك. أيها الحبيب، إقترب منه ولا تكن غيرَ مبالٍ ولا تتمثّل بي أنا المتقاعس. لأن خزيي يكفيني: أقول ولا أعمل، أُرشد ولا أعقل. أنت على العكس اقتدي بالآباء الكاملين الروحيين واتبع قانونهم.

لا ترنو إلى العلاء أكثر من قدرتك لأنك لا تستطيع أن تصل إليه. كما لا تغرق في التفاهات حتى لا يضيع أجرك. لا تعتني بجسدك حتى لا تقوم الحرب ضدّك ولا تغوص في الملذّات الجسديّة حتى لا تؤذي نفسك وتُحدرها إلى أسافل الأرض. لأنه إن برّرت نفسك وأتممتَ شهوات جسدك، تدع نفسك بلا معونة وتسير فيما بين الأهوية وتتقبّل كلّ فكر دنس وتهاجرك العفّة.

من جهة ثانية إن أتعبت جسدك فوق طاقته يثقّل على نفسك فتضعف

ويتسلّط عليها الضجر. فتصبح متكاسلًا في التسبيح والصلاة والطاعة الحسنة. **استخدم نفسك باعتدال** وبمقدارٍ مناسب. قلْ لي ألم تشاهد سبق الخيل، ألم تشاهد المركب في البحر؟ لأن إن جعلت خيلك تركض فوق القياس تخور قوّتها وإن لجمتها فوق القياس تتهوّر وترمي براكبها أرضًا. هكذا أيضًا يجري مع المركب السائر في البحر إن حمّلته أكثر من طاقته يغرق من كثرة الحمولة وإن أبحر بدون حمولة تلعب الرياح به بسهولة.

هكذا هو الحال مع الجسد والنفس. إن قسوت عليها بما يفوق القياس تسقط في التجارب والمخاطر المذكورة أعلاه. لذلك من الحكمة أن تبدأ بعمل وتتمّه وتشكر الله. هكذا تكون مفيدًا لنفسك وللقريب.

* * *

أيها النسّاك الكاملون أنتم قطيع المسيح المبارك، كواكب المسكونة المنيرة، ملح الأرض الذين أحبّوا على الأرض السيرة الملائكيّة. جهادكم هو لفترة عابرة أمّا أجركم ومدحكم فهو أبديّ. تعبكم لزمن قليل أمّا راحتكم وكمالكم فلا يعروه مساء. بقدر ما تجاهدون بحماس تتقدّمون في الفضيلة، فيستشيط عدوّكم غضبًا محاولًا إقامة عراقيل مختلفة ضدّكم. انتبهوا لأنفسكم من مكائده. لأنه بدون جهاد لن تحصلوا على الأكاليل وإن تهامل الواحد ولم يعتمد على نعمة الله لإعانته فليحسب نفسه سببَ هلاكه لا نعمة الله. على مثال اليدين أمام أطعمة متنوّعة الأشكال ألا يبسطها الواحد ليتناول النعم المعروضة أمامه؟ هكذا يكون الحال مع راهب لديه خبرة نعمة الله ولا يبالي في طلب معونتها ولا يريد أن يتمتّع بحلاوتها.

يشبه الراهب جنديًا يذهب إلى الحرب ويصون جسده من كلّ جانب عن طريق الدرع، يسهر حتى الغلبة ويجتهد مستعدًا دائمًا للحرب المفاجئة حتى لا

يكون بدون حماية . هكذا **والراهب إن أهمل نفسه يقوى العدوّ عليه** لأن هذا الأخير يملؤه بالأفكار الدنسة يتقبّلها بامتنان أعني أفكار الكبرياء والمجد الباطل ، النميمة والإدانة ، الشراهة والغرق في النوم ويقوده هذا كلّه إلى اليأس والخطيئة . لكن إن سهر بشكل متواصل يستجلب نعمة الله ، يحميه الله ويكون مرضيًا لديه ويصبح مستحقًّا للمديح والسبح .

عندما ينظر أحد في المرآة ، يشاهدُ وفي الوقت نفسه يشاهَد . **كذلك النعمة** حين تسكن في داخل الإنسان وتجد راحةً ، تمجّد الإنسان وتتمجّد . بدون معونتها لا يستطيع القلبُ أن يعين نفسه ولا يمتلك القوّةَ ليكسب خشوعًا حتى يعترف إلى الربّ كما يجب . فيبقى بدونها فقيرًا محرومًا من الحسنات ، مأخوذًا بالأفكار الدنسة مثل قوق البرّية الجاثي على السطح الخرب (مزمور ١٠١:٦-٧)[١] .

إذًا عمل الإنسان أن يطلب معونة النعمة حتى تأتي وتنير ذهنه وبعد تطهيره تسكن فيه وتعينه فيكتسب عن طريقها كلّ فضيلة . **بعد أن يستنير الذهن ، يستطيع أن يدرك جمال الحياة المستقبلة** ، فتُصبح له النعمة الإلهيّة حصنًا وسورًا تحفظه في الحياة الحاضرة من أجل الحياة المستقبلة . أدرْ مسمعك إليّ أيها الحبيب فأصرْ لك مشيرًا من أجل الصالحات إن رغبتَ في الحياة الأبديّة وبتطويب الربّ .

أجبني لماذا تغسل وجهك أليس لترضي قريبك ؟ إذًا أنت لا تزدري بالكلّية بأهواء جسدك بل تكون عبدًا لها . إن شئتَ أن تغسل وجهك فاغسله بالدموع والنحيب حتى يستطيع بالمجد أمام الله والملائكة القدّيسين . لأن الوجه الذي تغسله الدموع يتألّق جمالًا عديمَ الفساد . ربّما تقول إنك تخجل من الإحمرار إن كنت لا تغسل وجهك . إعلم أن عدم الاغتسال إن اقترن بقلب نقي يلمع أكثر من الشمس أمام الله والقوّات الملائكيّة المقدّسة .

لماذا تَضحك بلا انتباه ؟ يجتذبك الهزء وأنت عليك أن تبكي . لم ترغب

---

(١) يقول القديس سلوان : «بدون النعمة الإنسان ترابٌ وخطايا».

في تطوبيات الربّ (متى ٥:٤) لذلك لا تخاف من عقوباته . من يُمتحن يستطيع أن يعظ عديمي الخبرة .

التاجر الذي وقع بين اللصوص يعلّم المسافرين من أجل أمانتهم . كوني إذًا قد امتُحنت أتوجّه إلى حكمتكَ . بداعي رخاوتي اضطررت أن أشدّ قليلًا على نفسي . لكن التهاون أعادني إلى حيث كنتُ .

لذلك أنصحك أيها **القطيع الصغير** (**لوقا ١٢:٣٢-٤٠**) أن لا تحرم نفسك من مجد الله بسبب الأهواء الجسديّة ولذّة العيش ولا تغادر الفرح غير الفاسد وبهجة العرس . إعلم أن تعب النسك وقتيّ مثل النوم أمّا راحة المكافأة فأبديّة لا توصف . انتبه إلى نفسك حتى لا تخسر الإثنين وتعاقب من الجهتين . بل على العكس حاول أن تكتسب الفضيلة الكاملة المزيّنة بكلّ شيء يحبّه الله . إن اكتسبت هذه الفضيلة لن تغضب الله أبدًا ولن تؤذي قريبك . مثل هذه الفضيلة مذهلة لأنها تحتوي في داخلها على الفضائل المتنوّعة كلّها . . . تشبه نسرًا كبيرًا محلّقًا وجد فريسة فأغار عليها ليخطفها لكنه علق بأحد أظافره فأشلّت قوّته كلّها . جسده كلّه خارج الفخ ومع ذلك بقي مأسورًا .

كذلك إن علقت الفضيلة هذه بأحد الأمور الأرضيّة تضعف وتضمحلّ . لا تعود تستطيع أن تحلّق عاليًا لأنها مرتبطة بعمل أرضيّ . من لا يقتني دموعًا ليذهبْ ويبكي ! والذي يعوذه تخشّعًا ليعتزلْ ويتنهّد ! أعجب لماذا لم تقدر الفضيلة أن تعاين الملكَ بالرغم من صعودها إلى السماء ووصولها إلى أعتاب الملكوت ؟ ماذا أقصد بذلك أيها الحبيب ؟ لقد استطاع البعض أن يحصلوا على هذه الفضيلة بأتعاب كثيرة . وزيّنوها بالزينات المتنوّعة لكن كونهم تعلّقوا بأمور أرضيّة ضاعوا ووُجدوا خارج الملكوت السماوي .

افحصْ إذًا نفسك ، ربّما كنت معلّقًا باحدى الاهتمامات الأرضيّة فسلّمت نفسك للعدوّ وقضيت على مثل هذه الفضيلة العظيمة التي اكتسبتها بعد أتعاب

كثيرة . من جهة ثانية لا تمنعها من الصعود إلى السماء والمثول خجلة أمام العريس . أعطِ لها الجرأة لكي تدخل بصورة قويّة شجاعة جسورة فرحةً طالبةً أجرها . ما العجب بذلك كلّه ؟ تشبه أسد قُيّد بشعرة صغيرة (**أي باهتمام أرضي**) فهدئ وتواضع . هكذا يكون مع الفضيلة التامة . إستفقْ أيها الحبيب واقطع مثل هذه الشعرة الطفيفة حتى لا يُستهزأ بك كما حصل مع شمشون الإنسان القدير (قضاة ١٥:١٤-١٥ و١٩) الذي بفكّ حيوان قتل ألوفًا بلحظة واحدة . لقد نسب الظفر هذا إلى الله وحوّلت الصلاة الفكّ إلى ينبوع ماء . لقد أنجز مثل هذه الأشياء العظيمة ثم سلّم نفسه إلى الأعداء بسبب جهالته فقُطع شعره (قضاة ١٦:١٧) وقُيّدت قدرته العظيمة كلّها . وأنت انتبه حتى لا تأسر فضيلتك بأي شقاء أرضي . على العكس حرّرها من كلّ شيء يؤذيها وأرسلها من قبلُ إلى السماء . كما فعل ذاك الذي غاص في أعماق البحر ليجد اللؤلؤة الثمينة فما إن وجدها حتى صعد بها إلى السطح ونزل إلى الشاطئ غنيًّا بها . كذلك إن كنتَ عاريًا من الأدناس المعيشيّة لابسًا لباس الفضيلة ومزيّنًا بها ، ابقَ ساهرًا ليلًا نهارًا حتى لا تكون عاريًا من الفضيلة . لأن النفس التي اكتسبتها لا يمسّها شرّ . لا جوع ولا عري ولا ضجر ولا مرض ولا فقر ولا اضطهاد أو أية تجربة شيطانيّة . لأنها إن كانت ساهرة ومنتبهة تصيّرها التجارب هذه أقوى وتكلّل لأنها تتقدّم باستمرار كما يشاء الله وتتمجّد لا يستطيع الموت أن يؤذيها بل على العكس عندما تخرج من الجسد تقتبلها الملائكة بفرح في السماوات وتقودها إلى أب الأنوار . المجد والعزّة لله المحبّ البشر وحده .

***

أبتهل إلى صلاحك . إشفِ جراحات نفسي . وأنر عينيْ قلبي حتى أدرك تصميمك الخلاصي الذي أتممته من أجلي . لقد جهل ذهني فأصلحه بملح نعمتك (كولسي ٤:٦) . ماذا أقول لك أيضًا يا إلهي العارف بكل شيء مسبقًا ،

الفاحص القلوب والأفكار؟ أنت وحدك تعرف كيف نفسي تعطش إليك كأرض لا تُمطر وأن قلبي يشتهيك (مز ١:٤١) لأن الذي يحبّك باستمرار تروّيه نعمتك. وكما سمعتني دائمًا هكذا الآن لا ترذل طلبتي. لأن ذهني كأسير يتوسّل إليك وحدك المخلّص الحقيقي. أرسل عليه نعمتك لكي تسدّ جوعه وتروي عطشه. لأني أرغب وأعطش إليك أنت النور الحقيقي ومانح الخلاص. امنح لي طلبتي واقطر في قلبي نقطة من محبتك حتى تشتعل كاللهيب داخل قلبي وتُحرق الأشواك والعلّيق، التي هي الأفكار الشريرة. امنحها بغزارة كما يليق بالله المحب البشر وبابن صالح لآب صالح. إن خطئت وما أزال أخطأ كترابي وابن التراب، لكن أنت الذي ملأ الأجران خمرًا ببركتك (يو ٧:٢) أطفئ عطشي وسدّ جوعي أنت الذي أشبعت خمسة آلاف رجلًا بخمسة خبزات (متى ١٩:١٤) أيها المحب البشر الصالح. أنت الذي قبلتَ فلسيْ الأرملة ومدحتها (لوقا ٢:٢١-٤) تقبّل طلبة عبدك وأعطني ما أطلبه **حتى أصبح هيكلًا لنعمتك**. هذه تسكن فيّ فتلجم ذهني حتى لا أضلّ وأخطئ أمامك وأُطرد خارج نورك. بل على العكس أُدعى لميراث ملكوتك بعد أن أقدّم أعمالًا كلّها خشوع واعتراف بشفاعات جميع قدّيسيك. أصغِ إلى طلبتي أنت المبارك إلى دهر الداهرين آمين.

* * *

فلنكن إذًا ساهرين في هذا الوقت القصير ولنجاهد في هذه الساعة الحادية عشر لأن المساء يقترب ويأتي الربّ الديّان بمجد ليجازي كلّ واحد بحسب أعماله (متى ٨:٢٠).

انتبهوا ربّما يُظهر الواحد منكم تهاونًا بعد إنجازه شيئًا فيخسر أجر المخلّص. **يشبه الراهب حقلًا** مبذورًا ينمو بفعل أمطار عديدة ويثمر ثمرًا مُبهجًا وعندما ينضج الثمر يهتمّ الفلّاح بازدياد حتى لا يأتي البرَد ويُهلك حقله. وفي وقت

الحصاد عندما ينال الفلّاح أجره، يجمع محاصيلَه في مخزنه ويفرح شاكرًا الربّ. هكذا الراهب عندما يكون في هذا الجسد، عليه أن يهتمّ بالحياة الأبديّة مجاهدًا في النسك وعمل الفضائل حتى آخر ساعة من حياته... بعد إتمام سعيه ينقل إلى السماء ثمر أتعابه على مثال الفلّاح الذي يفرح ويبتهج مع الملائكة.

فلا يتكاسل أحد ويخاف من التجارب بل ليساعد القويّ الضعفاء وليعزّي صاحب العزم ضعيف النفس وليوقظ الساهر ذاك الذي يثقله النعاس. ليرشد الثابتُ قريبه المتقلقل وليشدّد العفيف اللامبالي. هكذا **ليتعب كلّ واحد من أجل الآخر بنفس واحدة** ويظفر هكذا بالعدوّ. فنمجّد الله وتفرح الملائكة فنساهم عن طريق المسيح في بناء أولئك الذين يشاهدوننا ويسمعوننا.

* * *

● الراهب

لأنه كما هو مصفّ الملائكةَ القدّيسين هكذا تكون كثرة الرهبان الذين يوجّهون أنظارهم باستمرار نحو الله. وكما أن العسل مع الشهد في فمنا كذلك الأخ مع قريبه عندما يسيران في المحبّة.

كما يكون الماء البارد في أوان الحرّ الشديد، بالنسبة للعطشان، هكذا يكون كلام التعزية للأخ في أوان الشدّة. كما يسند الواحد الآخر بيده ويُنهضه من سقطته هكذا يُنهض كلام الإرشاد النفس المتهاونة واللامبالية. كما يكون الزرع الجيّد في الأرض الغنيّة هكذا يكون الفكر الصالح في وسط نفس الراهب. كما يكون الرباط الوثيق في البناء هكذا يكون طولُ الأناة في قلب الراهب في وقت التسبيح. كما يكون الحمل الثقيل على الإنسان الضعيف الجسم هكذا يكون

نعاس الراهب واهتمامه بالعالم. كما في الأشواك والعلّيق في الزرع الجيّد هكذا تكون الأفكار الشرّيرة في نفس الراهب. كما تكون الدملة العديمة الشفاء هكذا تكون الكراهية في قلب الراهب. كما يخرّب السوسُ الخشب هكذا تهدم العداوة قلب الراهب. كما يأكل العث الثياب هكذا يدنّس الكلام السيّء نفس الراهب. كما تبقى الشجرة العالية والجميلة غير مثمرة هكذا الراهب المتعالي يظهر بدون فضيلة. كما تكون الثمرة الجميلة خارجيًا والعفنة في الداخل هكذا يكون الراهب الذي يغتاب قريبه. كما يرمي الواحد حجرًا في ينبوع ماء صافٍ فيضطرب هكذا يكون الراهب عندما يعتريه الغضب فيزعج قلب قريبه (أمثال ١٥:١) كما يقلع الواحد شجرة مثمرة لينصبها في مكان آخر ويقضي على ثمارها فتذبل أوراقها هكذا يكون الراهب الذي يدع مكان جهاده (ديرَه) وينتقل إلى مكان آخر. كما يكون بناء قائم بلا أساس حجريّ هكذا يكون الراهب العديم الصبر. كما يقف الواحدُ قرب الملك ويكلّمه وما إن سمع صوت رفيقه حتى يغادر الملك ليكلّم رفيقه هكذا يكون الراهب عندما يتكلّم خلال الترتيل.

لنفهم أيّها الأحباء قرب من نحن واقفون. كما أن الملائكة تقف في التسبيح أمام الخالق هكذا علينا أن نقف أمامه خلال التسبيح. فلا نقف بأجسادنا وذهننا متشتّت. كما يكون المركب في وسط أمواج هكذا يكون الراهب في أمور العيش.

لنجمع أفكارنا حتى يكون لنا افتخار أمام الله ونصبر على تجارب عدوّنا ونتمجّد. هكذا يكون الراهب الصابر في التجارب **يفتخر في اللاقنية والتواضع والبساطة** التي تمجّده أمام الله والملائكة. **يفتخر بالهدوء والسهر مرافقة بالخشوع والدموع**. وأيضًا يفتخر بمحبّته لله من كلّ قلبه ومحبّة قريبه كنفسه. يفتخر بإمساكه مرافقًا بعفّة اللسان، عندما تنسجم الأعمال مع الأقوال، عندما يبقى ثابتًا في ديره مكان جهاده، مكان توبته.

الويلُ لي ، أيها الأحبّاء ، لأني صرت كآلة الفخّار تمتلئ وتفرغ دون أن تنتفع من الريح هكذا أسرد فضائل خراف المسيح ولا أتعلّم منها شيئًا . المجد لعظمته وصلاحه .

* * *

أيها الاخوة ، إن كان أحد منكم تجتذبه الأفكار العدائيّة الدنسة فلا يتهامل ويسلّم نفسه إلى اليأس بل ليُمسك بقلبه أمام الله ويتنهّد بدموع ويقول :

« إنهض أيها الربّ وانظر إلى خطيئتي ، يا ربّي وإلهي ، وتعالَ إلى معونتي . أحكم فيّ يا ربّ وفقًا لعدلك . أنا صنع يديك لماذا تتركني (مز ٢١:١) وتبتعد عني ؟ لماذا تصرف وجهك عن عبدك (مز ٤٣:٢٥) وتنسى تواضعي ؟ لأن العدوّ قد اضطهد نفسي وأذلّ إلى التراب حياتي (مز ١٤٢:٣) . سقطتُ في حمأة عميقة ولم يوجد لي مكان ثابت فلتمسك بي يدك حتى لا أضيع » .

ثابر على هذا كلّه واطلب على الدوام معونته . للحال يرسل الله المحبّ البشر نعمته الإلهيّة إلى قلبك فيعزّيك محرّرًا إيّاك من الحرب ، من أتعابها وآلامها . فلا نتهامل ونكن غيرَ مبالين بداعي الكسل والشر ، طالما لدينا مثل هذا السيّد الرؤوف . لأنه طالما نحن في هذه الحياة يترأف ، يخلّص ويغفر الخطايا . مَنْ لا يندهش كيف بقليل من الدموع ، حتى في الساعة الحادية عشر ، يغفر جمًّا من الخطايا . ويشفي مانحًا أجرَ دموعنا . لأن هذا هو سبيل نعمته . بعد الشفاء يُعطي أجرًا كبيرًا .

لنسعَ أيها الإخوة من أجل العلاج لأنه في هذه الحياة يرأف ويرحم بنعمته . بينما في تلك الحياة لا يرحم ولا يرأف ، بل يحكم ويجازي حسب أعمالنا . في تلك الحياة ظهر ابراهيم للغني بلا شفقة (لوقا ١٦:٢٥) كان يتوسّل من أجل صدوم (تك ١٨:٢٥) لكنه لم يتوسّل من أجل خاطئ واحد لكي يرحمه الله .

لذلك لا نتعلّق بالأمور الأرضيّة بل لنتشبّه بالآباء القدّيسين ولا نظهرنّ بغير سيرتهم حتى لا نُحرم من مجدهم بل على العكس لنجتهد حتى نتكلّل مع الكاملين. وإلّا على الأقلّ لنُمدح معهم. طوبى للذي جاهد ليُكلل مع الكاملين. وشقي هو الذي لا يُمتدح حتى مع الآخرين. طوبى للذي استحق أن يأخذ الإكليل ويرث نصيب القدّيسين ويسمع الصوت القائل:

«تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعدّ لكم منذ إنشاء العالم» (متى ٣٤:٢٥). ماذا نجيب أيها الاخوة ان تهاملنا؟ الإنسان العلماني رُبّ يكون له جواب لأنه اختلط بالعالم. أمّا نحن فماذا نقول؟ أخشى أن الذين يمدحوننا في هذه الحياة يضحكون علينا في تلك. فلا نفرحنّ لكسلنا ولا نهتمّ بالعالميّات حتى لا نذوق المرّ والنار المؤبدة والدود الذي لا ينام. لنستيقظ قليلًا ونبكِ حتى نخلص من النار الأبدية. ألا تصدّقون قول المخلّص (متى ٢٧:٢٤) (لوقا ١٧:٢٤): يكون مجيئه فجأة مثل البرق. لنخشَ أن يجدنا غيرَ مستعدّين. حينذاك ندين أنفسنا على التهامل ولكن بدون جدوى ثقوا أيها الأحباء بأقوالي هي الساعة الأخيرة. أنظروا ألّا يتحقّق قول النبي:

«الويل للذين يشتهون يوم الربّ» (عاموص ١٨:٥). انتبهوا لأنفسكم حتى لا توجدوا كالعبد عند مجيئ سيّده مأخوذًا في ملذّاته فجعل نصيبه مع المرائين وقطّعه (متى ٥١:٢٤).

أمّا نحن فلنمجّده دون خجل من جرى أعمالنا الخاطئة حتي يخلّصنا من ظلمة الهلاك ومن صرير الأسنان ويجعلنا أهلًا لملكوته.

● صلاة ابتهاليّة

أبتهل إليك أيها المسيح مخلّص العالم. أنظر إليّ وخلّصني من كثرة خطاياي. جهلت كلّ الإحسانات التي فعلتها لي منذ شبابي. لأنه بينما كنتُ

جاهلًا، جعلتني إناءً مملوءًا معرفةً وحكمة. وقعت عليّ نعمتك الغزيرة وأشبعت جوعي وأروت عطشي. أنارت ذهني المظلم وجمعت أفكاري من التشتّت. الآن أسجد وأتوسّل إلى محبّتك للبشر التي لا توصف معترفًا بضعفي. أبعد عني أمواج تلك الضلالة واحفظني منها في تلك الساعة بمحبّتك للبشر. لا تغضب عليّ يا كلّي الصلاح. لأني لم أحتمل تيّاراتها فتصرّفت بوقاحة. أنت ختم جوهر الآب وضياء مجده (عب ١:٣) أبعدني عنها. لأنها كالنار تُحرق فكري وقلبي. امنحني نعمتك كهدية في تلك الحياة وخلّصني في ملكوتك، ساكنًا في قلبي في يوم حضورك مع أبيك المبارك. نعم **أيها المسيح أنت المانح الحياةَ وحدك**، تمّم طلبتي واستر خطاياي عن معارفي متذكّرًا الدموع التي سكبتها أمام شهدائك القدّيسين حتى تتحنّن عليّ في تلك الساعة الرهيبة. نعم أيها السيّد أظهر لي أنا الخاطئ محبتك للبشر التي لا توصف واجعلني شريكًا لذاك اللص (لوقا ٢٣:٤٣) الذي بكلمة أصبح وارثًا للفردوس. ضعني في داخله حتى أرى أين اختبأ آدم (تك ٣:١٠) لكي أقدّم مجدًا لمحبّتك للبشر لأنك اقتبلت دموعي ومحوتَ خطاياي كلّها، وفقًا لوعدك (مز ٥٥:٩). هكذا يتخاذل عدوّي عندما يراني في مكان الحياة الذي هيّأته لي رأفتك، فيصير العدوّ مظلمًا بسبب شرّه لأنه فشل في محاولته لإنزالي إلى الجحيم بسبب خطاياي. نعم أيها السيّد المحبّ البشر والعديم الخطأ وحده، أرسل بغزارة صلاحك غير الموصوف كهدية لي ولكلّ الذين يحبّونك لكي أسجد لمجدك في ملكوتك. حتى إذا تمتعنا بفرحك نقول لجمال وجهك:

المجد للآب الذي خلقنا، المجد للابن الذي خلّصنا والمجد للروح القدس الذي جدّدنا إلى الدهور التي لا نهاية لها. آمين.

من أجل إصلاح الذين يعيشون في الأهواء ويسعون وراء الإكرام والمديح

إني أرتعدُ يا إخوتي وقلبي يتحسّر من الحزن بسبب النبي القائل: «أنظروا أيها المتهاونون وتعجّبوا واهلكوا . . .» (حبقوق ١:٥؛ أع ١٣:٤١).

هذا أوّلًا بسبب عدم تأدّبي لأني صرتُ معبرًا لكلّ خطيئة، ولأن العدوّ قد قيد بشدّة أعضائي كلّها بالخطيئة. كان عليّ بالأحرى أن أبكي وأنوح على نفسي بسبب خزيي **وبعدها أفحص ما يتعلّق بالآخرين**. كان عليّ أوّلًا أن أُخرج الخشبةَ من عيني وبعدها أنظر القذى التي في عين الآخرين (متى ٧:٣ لوقا ٦:٤١).

لكن التهاونَ الحاصل في أيامنا يجعلني أغور عميقًا في الحزن، لأني أرى ضعفَ التعليم الحاضر، ولا أستطيع أن أحتمل وفق قول النبي:

«رأيتُ الجهلاءَ فمقتُّهم» (مز ١١٨:١٥٨).

أيَّ جهاز لم يستخدمْه العدوّ ضدّنا أو أيّةَ مكيدة خادعة لم يَسُدْ بها علينا؟ من لا ينوح على المصائب التي تلاحقنا؟ لكن انتبهوا، أرجوكم، لكلماتي أنتم الذين اقتبلتم الحياةَ الرهبانية، وارتعدوا، لأننا، وإن كنّا نحمل الإسكيمَ الرهباني، إلّا أننا نشارك العدوَّ في شرّه.

إسكيمنا ملائكيّ ، أمّا طريقَ عيشنا فعالميّ . هل الملائكة في السماء يعيشون في الخصام والغيرة كما نراها اليوم فيما بين الرهبان ؟ لقد تجذّر فيما بينهم الحسد والفساد والنميمة . في الواقع يزرع الشيطان ، وبطرق مختلفة ، سمومَه في كلّ واحد منّا ، ويقضي بفنٍّ على كلّ واحد . الواحد يصوم ، لكنه يغار وينمّ . الآخر يضبط نفسه من الشهوة والثرثرة ، لكنه واقع في التكبّر . آخر أيضًا يمارس السهرانية ، لكنه غارق في النميمة . آخر أيضًا ابتعد عن النميمة ، لكنه يعاني من التذمّر وعدم الطاعة . آخر يضبط نفسه من المآكل ، لكنه يتباهى ويفتخر ويستعلي . آخر يصبر على الصلوات ، لكنه مغلوبٌ على أمره من الغضب . . .

كل واحد يُمسكه الشرّ بطرق مختلفة ، ولا يوجد من يعي ضعفه وشرّه . لذلك يحلّ الخصام والخلاف فيما بين الرهبان . من لا يرتعد لذلك ؟ من لا يحزن على ذلك ؟ كيف انحرفنا عن السلوك الرهباني القويم ؟ لقد تركنا العالم ، لكننا نفكّر عالميًا . تركنا القنيةَ ، لكننا لا نتخلّى عن الخلافات . تركنا بيوتنا ، لكننا غارقون في الهموم . ليس لنا غنى ، لكننا لا نبتعد عن التفاخر . تركنا الزواج ، لكننا لم نتخلَّ عن الشهوة . نتواضع ظاهريًا ، لكنّ أنفسَنا تسعى وراء الإكرام والمديح . ظاهريًا نحن بلا قنية ، لكن الطمعَ يسودنا . بالكلام نمتنع ، لكن بالذهن نتعلّق وبكلّ شيء .

* * *

من ذا الذي لا يُرثي لحالنا ولتعليمنا ؟ يعجب الواحد من أعمال الرهبان وبخاصة الشباب والمبتدئين : لم يُنكروا بعدُ العالمَ حتى بدأوا ينتفخون ويتشامخون . لم يتلقّوا بعد دروسهم الأولى حتى بدأوا يُرشدون الآخرين . لم يروا بعدُ المداخلَ حتى بدأوا يَتبحّرون في الأعماق . لم يعبروا بعد العتبة حتى أخذوا يتطايرون في السحب . لم يذوقوا بعدُ النسكَ حتى أخذوا يتسلّحون بالمجد

الباطل . لم يسمعوا بعدُ صوتَ التأديب حتى بدأوا يؤنّبون الآخرين . لم ينخرطوا بعدُ في الأخوية حتى باتوا يأمرون . لم يدخلوا بعدُ بابَ الدير حتى أخذوا يعترضون ويحكمون ويغضبون . ولماذا أطيل الكلامَ سدًى ؟ كثيرة هي عاداتهم السيّئة هذه . لا يوجد من يستشعر . لا يوجد من يتنكّر لخصاله الرديئة ، من أجل الله ، ومن أجل أن يقدّم نفسه خادمًا للإخوة عن طريق الطاعة . بعكس ذلك ، وعن طريق التوبيخ ، يرى من المناسب أن يعارض . إنْ أمروه يجعل نفسه آمرًا . لا يُبدي حماسًا في الأعمال الصالحة ، بل يعتاد الأشياء الباطلة . لم يقضِ بعدُ ثلاثة أيام في الدير حتى بدأ يخاصم من شاخ في الحياة الرهبانية . هذا لأنه **لا يريد أن يُطيع** ، لا يريد أن يخضع ويقطع مشيئته فيفتّش عن الألاعيب والحيل . . . بدل الطاعة ينتقد ويأمر ويؤنّب ويغضب ويثور . . .

يُقال له « إفعل هذا يا أخي » ، فيُجيب « لا أفعله إن لم يأتِ معي ذاك » . « إنه مستغرقٌ في قراءة الكتاب المقدّس » « وأنا عليّ أن أطالع » . ويقول أيضًا :

« فلان يستريح ؛ عليّ أنا أيضًا أن أستريح . . . هذا الأخ ذهب ليلاقي الآباء ؛ يجب أن أذهب أنا أيضًا . هذا الأخ نال الإكرام ؛ يجب أن أناله أنا أيضًا . هذا الأخ حصل على مِثْل هذا المقام والمسؤولية ؛ لِم لم أحصل عليهما أنا أيضًا ؟ » .

وغيرها من رجوليّات الشباب . . . هذا هو تواضع المبتدئين . هذه هي أتعابهم . بهذا كلّه يسعون إلى الملكوت جاهلين أنهم يدفعون بأنفسهم إلى الهلاك ويصيرون أعداءَ لله .

* * *

هذا التصرّف كلّه يُظهر أننا لم نترك بعدُ سلوكنا الدنيويّ الخارجي . ظاهريًّا تركنا العالمَ ، لكن في الواقع بقي اهتمامنا عالميًا ولا دفاعَ لنا . نحن بالإسكيم

رهبان، لكن بحسب الاستعداد الداخلي بقينا قساةً لا إنسانيين. بالإسكيم متواضعون، لكن في النيّة مؤذُون. في الشكل مؤمنون، لكن في الواقع كافرون. في الشكل محبّون، لكن في الواقع أعداء. في الشكل أصدقاء، وفي الواقع حاقدون. في الشكل صائمون، لكن في الداخل لصوص. في الشكل أعفّاء، في القلب فاسقون. في الظاهر هادئون، لكن في الداخل نحلمُ. في الشكل ودعاء، لكن في الواقع متشامخون. في الشكل أعزّاء، لكن في الواقع وقحون. في الظاهر مرشِدون، لكن في الواقع غشّاشون. في الظاهر أبرياء، لكن في الواقع رهيبون. في الظاهر لا نحسد، بل في الواقع كلّنا غيرة وفساد. في الظاهر نساعد، أمّا في الواقع فخائنون . . .

* * *

ما هو السبب الذي جعلَنا نكون هكذا؟ **هذا لأنه ليس لنا تواضع حقيقيّ**. ليس خوفُ الله عندنا ونصب أعيننا. نزدري ونستخفّ بوصية المخلّص. بكلمة الربّ توطّدت السموات (مز ٣٢:٦)، وأمّا نحن فلا نتقبّلها حتى نظيرَ كلمتِنا. ذلك الفمُ الرهيبُ غيرُ المدرك المرعبُ تفوّه وقال:

«مَنْ أراد أن يصيرَ فيكم عظيمًا يكون لكم خادمًا» (مر ١٠:٤٣). ونحن قبل أن ندخلَ أبوابَ الإسكيم الرهباني نتواقح ونتكبّر بعضُنا على بعض ويؤذي بعضُنا بعضًا. نعتبر أنفسنا حكماء، رؤساء، مثقّفين كلّنا، معلّمين وأوّلين، فلا يُقنعنا حتى الرسول القائل: «لو كان كلّ الجسد سمعًا فأين الشمّ؟» (١ كور ١٢:١٧). لو كنّا كلّنا أوّلين، كلّنا رؤساء، كيف يكون تنوّع أمر الله؟ ربّما يُقنعكم القول التالي:

«لا يأخذ أحد هذه الكرامة بنفسه بل المدعوّ من الله» (عب ٥:٤)، أو القول الآخر: «لا تكونوا معلّمين كثيرين يا إخوتي» (يعقوب ٣:١). لذلك

عيّن الله رئاساتٍ وسلاطينَ (تيطس ٣:١) لأنّهم ولو كانوا كلّهم في السموات عديمي الفساد والموت، كونَهم أرواحًا خادمة، إلّا أن الله لم يَسُرَّه أن ينتموا إلى طغمةٍ واحدة، بل فيما بين الخدّام الإلهيين العادمي الموت أَمَرَ اللهُ أن يوجد رؤساءُ وسلاطينُ ولا يتخطّى الواحد منهم مرتبتَه. طالما صاروا بترتيب وتنوّع، لماذا نحن نختلف بعد في ما بيننا؟ ملائكةٌ ورؤساء ملائكةٍ لا يَعْصَوْن أوامر الله، ونحن نستعبد بعضُنا بعضًا، نريد أن نتخطّى بعضُنا بعضًا ونستعجل في أذيةِ أو استضعافِ بعضِنا بعضًا، كأننا نُنجز هكذا شيئًا كبيرًا هامًا. يا لها من جهالة في الذهن تجعلنا لا نُصغي إلى قول الرسول:

«ما دُعي كلٌّ واحد فيه أيها الإخوة فليلبثْ في ذلك مع الله (١ كور ٧:٢٤).

ماذا جرى حتى لم نعدْ نخافُ أبدًا الربَّ الذي قال: «كلّ من أُعطي كثيرًا يُطلب منه كثيرٌ» (لوقا ١٢:٤٨). هكذا، وبهذه الطريقة، يُكتسب التواضع. فلا نعيشنّ غيرَ مبالين، دون خوف الله، وكأننا لن نسمع الحكمَ الرهيب ولن نعطيَ جوابًا على أعمالنا. أرجوكم أيها الإخوة الأحبّاء، ألّا تعيشوا هكذا، حتى لا نُصبح عثرةً للذين هم في الخارج، فلا نزيدنّ خطايا على خطايانا، فيجدَّف بسببنا على الإسكيم الرهبانيّ، لأن تلك الساعةَ الرهيبةَ سوف تأتي ولن تتأخر حين سنحاسَبُ ونكون بلا دفاع. ماذا يمكننا أن نقول حينئذ؟ ماذا كان على الربّ أن يفعلَ، ولم يفعلْه لنا؟ ألم نرَ كلمةَ اللهِ نفسَه متواضعًا آخذًا صورةَ عبدٍ (في ٢:٦) لكي نكونَ نحن أيضًا وضيعين؟ ألم نرَ وجهه غيرَ الموصوف يُهزأ به ويُبصق عليه (متى ٢٦:٦٧، ٢٧:٣، مر ١٤:٦٥، لوقا ٢٢:٦٤) لكي لا نغضبَ كثيرًا عندما يحتقروننا؟ ألم نرَ ظهره يُجلدُ حتى نُطيعَ نحن بدورنا مَن هم أعلى منا؟ ألم نرَ كيف لطموا وجهه الذي يَنظر إلى الأرض فيجعلُها ترتعد (مز ١٠٣:٣٢) حتى لا نكونَ نحن أيضًا وحوشًا نفترس بعضُنا البعض؟ ألم نسمعْه يقول: «أنا لا أفعل شيئًا من عندي» (يو ٨:٢٨) حتى لا نكون نحن

أنانيين مكتفين بأنفسنا؟ ألم نسمعه يقول أيضًا: «أنا أُطيع ولا أقاوم» (إش ٥٠:٥) حتى لا نتذمّر ونعترض؟ ألم نسمعه يقول «تعلّموا مني أنا الوديع والمتواضع القلب» (متى ١١:٢٩) حتى نكون نحن أيضًا ودعاء متواضعين لا أناسًا يفسدون ويؤذون بعضُهم بعضًا (غلا ٥:١٥)؟

يوم الحساب قريب، فماذا نقول؟ ماذا نجيب؟

أرجوكم أيها الإخوة لا تفعلوا هكذا. حتى لا نُطرد من الغبطة الأبدية بداعي أهوائنا الجسدية، حتى لا نخسر المجد الأبدي بداعي إكرام عابر واحد، حتى لا نُدان في الجحيم الرهيب، جحيم النار، بسبب خصام، غيرة أو نميمة. إن كنتَ تريد أن تخلصَ بدون ريب لماذا تلاحظ قريبك على الدوام؟ إن كنتَ قد دخلتَ الطريق وحملتَ النير لماذا تبدّل رأيك؟ وإلّا كيف يظهر ثمر طاعتك؟ تشجّع أيها الحبيب، تشجّع لأنه لا المراكز ولا الإكرام، لا صدور المآدب والمقامات، لا الرئاسة ولا المجد يدخلونك ملكوت السموات ويمنحونك غفران الخطايا.

كلّ هذا لا ينجّي من الهلاك بل بالأحرى يهلك. بينما التواضع والطاعة، المحبّة والصبر وطول الأناة، الأمور هذه هي التي تنجّي الإنسان. لا نستطيع أن نتقدّم ونخلص سوى عن **طريق التشبه بربّنا في كلّ شيء**.

ألم تسمعوا من قال:

«لم آتِ لأُخدم بل لأَخدم» (متى ٢٠:٢٨).

وأيضًا «جئتُ ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني» (يو ٦:٣٨) وأيضًا:

«فمن يرفع نفسه يتّضع ومن يضع نفسه يرتفع» (**متى ٢٣:١٢** لوقا ١٤:١١).

ألم تسمعوا من قال أيضًا :

« طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات » (متى ٥:٣) .

ألم تسمعوا القول :

« جلستَ وتقوّلتَ على أخيك وعيّرتَ ابن أمّك » وأن الرب يعد قائلًا :

« لكنّني سأوبّخك وأنصب ذنوبك أمامك » (مز ٤٩:٢٠-٢١)

وأيضًا :

« إن الذي يُبغض أخاه فهو في الظلمة » (١ يو ٢:١١) ألم تسمعوا أن الشيطان سقط من السموات بسبب تكبّره (**أش ١٤:١٣-١٥**) وكيف أنه سقط من مجده العظيم بسبب معاندته لله ؟ كيف أن مريم أخت موسى بسبب قول رديء امتلأت برصًا . ولماذا أمام هذه الأمثال كلّها نسدّ آذاننا كالحيّات السامّة ؟ لا أعني فقط الآذان الجسديّة بل آذان قلبنا لأن الجسديّة تسمع لكن الآذان القلبيّة لا تلبّي . لماذا لا نثق بالرسول القائل :

« من يثبت في المحبّة يثبت في الله » (١ يو ٤:١٦)

أرجوكم إذًا أنتم قطيع المسيح المختار ، لنكن ساهرين طالما الوقت متوفّر لنضبط أنفسنا طالما الفرصة متوفّرة . ربّما تأتي فجأة تلك الساعة الرهيبة فنحزن بمرارة . نندم لكن بدون فائدة . لنكن ساهرين حتى لا نلقى ذلك الخزيَ الكبير أمام الله والملائكة والبشر . لنوقف الخصامات خاصة نحن الذين في سنّ الرشد . تواضعوا بقدر استطاعتكم . في زمن آبائنا كانت الرفاهية شائعة ومع ذلك كانت حياتهم دقيقةً في اتباع الوصايا . **كان لديهم تواضع كبير وبساطة وانسحاق .** اليوم أيضًا الحرب كبيرة فلا تكونوا غير مبالين ولا تعتبروا أنكم أدركتم الكمال . أنتم بحاجة إلى كثير من التعب ومن الوقت لكي تخلصوا .

لذلك أرجو منكم أن تتواضعوا عن طريق الطاعة ، والمحبة والبساطة وإذلال

النفس والانسحاق . بها تخضعون بعضكم لبعض وتضبطوا أنفسكم متسلّحين بالصوم، بالصلاة والسهر.

لا تتجبّروا بالخصام وتتعالوا بالترتيل. لا تكونوا ساهرين في أفكاركم ونظراتكم كالوحوش المفترسة بينما تنعسون في الصلاة وتُغلقون العينين (متى ١٥:١٣ أع ٢٧:٢٨ مرا ٤٥:٣ أش ٥:٦، ١٠:٢٩). لا تكونوا مقتدرين في الثرثرة كالثيران وفي تمجيد الله خسعين كالثعالب. لا تكونوا في الجدل غالبين وفي الروحيّات ضعفاء. لا تكونوا مغبوطين في المزاح وعابسين عندما تُنصحون. لا تكونوا أصحّاء في النهار في شراهة البطن ومرضى وكسالى في الصلاة الليليّة. لا تكونوا شجعانًا في الحديث مع الآخرين وضعفاء في العمل والتطبيق. لا تكونوا مقتدرين فيما أنتم تأمرون ومُحبطين فيما أنتم تؤمرون. لا تكونوا مسرورين في إخضاع الآخرين ونافرين في الخضوع للآخرين. لا تكونوا قساة في أوامركم ومتذمّرين لأوامر الآخرين ... لا تكونوا مسرعين إلى الموائد ومتكاسلين في الأشغال. لا تكونوا أقوياء في كثرة المآكل وضعفاء في الصوم. لا تكونوا متهلّلين في شرب الخمر ومتحفّظين لشرب الماء. لا تكونوا ساهرين تراقبون ما حولكم بينما ذهنكم مُظلَم لا يُميّز الصلاح. لا تكونوا مهذبين أمام النساء ومتوحشين أمام الأخوة.

على العكس من ذلك أرجوكم يا أبناء الله الأحبّاء، توقوا إلى الأعمال الصالحة إلى كل ما هو للبنيان كل ما له صيت حسن (في ٨:٤) **فوق كلّ شيء اسعوا وراء التواضع، المحبّة، الصلاح والوداعة**. تنازلوا لبعضكم البعض ولا تتخاصموا. اتعبوا في الصوم والصلاة كي تستطيعوا أن تتغلّبوا على الأهواء الجسدية حتى لا نُحرم من مثل هذه الخيرات الكبيرة بداعي الأهواء الهزيلة. فلا نخسرنّ المجد الأبدي ساعين وراء المجد العابر. لنسرع أرجوكم طالما نحن في الجسد لنعمل ما يُرضي الرب (أف ١٠:٥). لنسرع ونغصب أنفسنا لأن العاصفة آتية فلا نكوننّ غير مبالين. صراعنا ليس ضدّ الناس المنظورين لأن

محاربنا غير منظور. لذلك الخطر كبير على المتهاملين أمّا الغالبون فلهم ثواب عظيم.

لا تعتقدوا أنه في اللباس الأسود والزنّار تكمن الحياة الرهبانية. كما أن الأيادي النظيفة لا تخلّص **ولا البراعة في تفسير الكتاب هي الكمال**. لا في حلق الرأس (عادة الرهبان قديمًا) ولا في ترتيب الشعر بل في اكتساب الفضائل المناسبة. لا أقول هذا كلّه لأقلّل من أهمية الإسكيم الرهباني حاشا. لكي أؤكّد أنه علينا أن نتجانس معه عن طريق حياتنا وأعمالنا. **الإسكيم بدون الأعمال لا نفعَ له**. فلا تكونوا لا مبالين وكسالى إنكم تحتاجون إلى تعب كثير لتلجموا أهواء الجسد. ان كان كلامي هذا لا يسرّكم فلا بأس من ذلك لأني أريد أن أستخدم الكيّ حتى تتحرّروا من الجرح البليغ. لا تعتقدوا أن الله يجهل أهواءكم الخفيّة. إني أخجل في وصف ما تفعلون في السرّ. إن ذكرت ذلك لا تحتملون بل تهربون بعيدًا.

لنحارب عدوّنا بفنّ وحكمة. إن دعانا إلى الشراهة فلنحاربه بالإمساك. إن أثار فينا شهوة الزنى فلنضبط أنفسنا ونصبر فيتبخّر. إن دفعنا إلى الغضب فلنتسلّح بالوداعة والصلاح. إن أشعل فينا الكراهية فلنلتصق بالمحبّة. ان دفعنا إلى طلب الإكرام فلنظهر له انسحاقنا. إن حرّضنا على طلب المجد فلنرتدِ البساطة. إن جعلنا نلجأ إلى الكبرياء فلنتفكّر بتواضع الربّ. إن جرّنا إلى حسد أخينا فلنتفكّر بما آل به قاين (تك ٤:١١) إن دفعنا إلى النميمة فلنتذكّر هلاك عيسو (تك ٢٥:٣٤... عب ١٢:١٦-١٧). إن جعلنا نتكلّم شرًّا فلنصُن أنفسنا بالصمت. هكذا إن قاومناه يهرب ولن يثبت أمامنا. فتعود إلينا النعمة الإلهيّة من جديد.

ثق يا أخي أني أخطأت في كلّ ما نصحتك به. كونوا أنتم على الأقل أنقياء لأني قد تمرّغت كثيرًا في حمأة الخطيئة. اهتمّوا عن طريق التوبة الصادقة

بتحريري أنا أيضًا . ثقوا أني لم أتبع ولا واحدة من تلك النصائح . لكن أنتم زيّنوا كلامي بالعمل . أني واثق أنكم تصيرون بلا عيب . أمّا أنا فسأدان عمّا أقول ولا أفعل .

لذا لا نتهامل من أجل خلاصنا . لا تعتبروا أقوالي خياليّة . لم أُضف شيئًا جديدًا عمّا هو مكتوب في الكتب المقدّسة ولم أكذب فيما قلته . طوبى للذي يتقبّل بذار الكلمة كالأرض الصالحة ويثمر . الواحد ثلاثين والآخر ستين والآخر مئة (متى ١٣:٨-٩) . هكذا مزيّنين بالثمار ، منوّرين بالفضائل تسرّون ربنا يسوع المسيح . وهو بدوره يُبهجكم في راحة ملكوته إلى أبد الدهور آمين .

خوف النفس

أنا أفرام الخاطئ، الكسول المتهامل في الجهاد الروحي. لكن يا اخوتي المجاهدين محبّي الله أريد أن أبوح بهذا الذي يغلبني على الدوام بسبب رداءة أفكاري. أريد أن أنقل لكم يا أحبّائي الخوفَ الكبير ورعبَ النفس الذي اعتراني ذات يوم أنا الشقي غير المستقرّ.

كنتُ جالسًا في مكان هادئ أفكر وأتأمّل في طبائع الحياة هذه أعني ما فيها من هموم، من ضياع ومن ضجيج. فبكيتُ وقلتُ في نفسي:

كيف تعبر الحياة هذه كالظلّ «فإنّا نحن بنو أمسٍ ولا علمَ لنا. إنما أيامنا ظلٌّ على الأرض» (أيّوب ٨:٩). تذبل كالعشب وكزهر الحقل؟ (مز ١٠٥:١٥). «صوتُ قائل نادِ فقال ماذا أنادي كلُّ بشر عشبٌ وكلّ مجده كزهر الحقل» (أش ٦:٤٠).

وكنتُ أقول بحزن وتنهّدات: لا نعرف كيف يمضي الزمان هذا ونحن مأخوذون بأفكار وهموم باطلة بداعي كسلنا.

كنت أتأمّل في هذا كلّه وفجأة رفعتُ عينيّ إلى السماء ووجدتُ نفسي كما في رؤيا فاعتراني خوفٌ كبير **فرأيتُ بعينيْ نفسي الربَّ جالسًا بمجد عظيم** فسمعتُ في نفسي ما يلي:

لماذا تزدرين يا نفسي بخدرك السماوي المليء بالنور والمجد؟ لماذا تزدرين لعروسك الطاهر والأزلي؟ لماذا يا نفسي تزدرين بالخيرات التي أعددتُها لكِ في حياة نيّرة؟ لماذا تبتعدين عنّي بالهموم والأفكار غير اللائقة؟ لماذا يا نفسي لا تسعيْن أن تكوني في حضرتي على الدوام؟ لماذا لا تحملين مصباحَك منتظرة

الصوتَ القائل « ها الختن قد أتى فاخرجن إلى لقائه بفرح ! » ؟ لماذا لا تهيّئين اللباسَ اللائق للعرس (متى ٢٢:١٢) ؟ لماذا يا نفسي تزدرين بي أنا الصالحَ الذي حرّرتُ حياتك من الموت ؟ أنا تكبّدتُ من أجلك الموتَ لكي أجعلك متّحدة بي كعروس. أنا يا نفسُ قد منحتك ملكوتي ميراثًا لكِ وبوفرة. منحتكِ خيراتي. صرتُ إنسانًا من أجلكِ لأني أردتُ أن أعتقَ حياتك من الفساد. أنا يا نفسُ أكرمتُ وجودَك أكثر من المخلوقات كلّها. هيّأتُ لكِ خدرًا سماويًّا وعيّنتُ ملائكة في سبيل خدمتك حتى تدخلي إليه بفرح.

مع كلّ ذلك ازدريتِ بي أنا الختن السماوي كما ازدريتِ بالخيرات التي هيّأتُها لكِ. تُرى من هو المرغوبُ فيه أكثر مني أنا الذي خلّصتُ العالمَ كلّه برأفتي ؟ أيّ أبٍ يبذل حياتَه مثلي ؟ مع ذلك كلّه هجرتني يا نفسُ ورغبتِ في الغريب الرديء.

***

شعرتُ أيّها الإخوة بخوف كبير في تلك الساعة مصغيًا بعَيْني ذهني إلى أقوال الربّ الرهيبة وناظرًا إلى خزي نفسي الكبير. خجلتُ وارتعدتُ. حزنتُ من خوفي وخجلي الكبير. كنتُ أفكّر إلى أين أختبئ لأني لم أحتمل حقارةَ خجلي. فقلتُ:

« تعالي أيتها الجبال وغطّني أنا الخاطئَ الأثيم ». رفعتُ صوتي وبكيتُ حانيًا رأسي إلى أسفل بداعي الخجل نائحًا على نفسي وقائلًا:

« ترى لماذا خرجتُ أنا من بطن أمّي ألأُغضب الربَّ القدّوس الصالحَ والمتحنّن ؟ لقد نبذتُ الحبلَ بي في بطن أمّي ونموَّ جسدي. كما نبذتُ العطايا السماوية وأشفيةَ نعمتك المقدّسة ».

لكن بينما كنتُ أبكي سقطتُ على الأرض أتوسّل إليه بألم ووجع قلبي

وصرخت بدموع قائلًا :

« استمع يا ربّ إلى بكائي وتقبّل كلمات تضرّعي التي أقدّمها إليك أنا الخاطئ من خجلي يا طويلَ الأناة أيها الرحيم والرؤوف . لا تكافئني وفقًا لأعمالي ولا تذكرْ خطاياي الرديئة التي بها أغضبتُ نعمتك . أيها السيّد الصالح . بل على العكس من ذلك امنحني أنا الخاطئ وقتًا قليلًا للتوبة . لقد صبرت نعمتُك على خطايا شبابي الكثيرة لتصبر الآن على عصيان شيخوختي ، على وقاحتها وسخطها . أنا أعلم يا طويل الأناة وعدَك القائل :

« لا أريد موتَ الخاطئ بل على العكس أودّ خلاصَه من كلّ الخطايا التي اقترفها » (حزقيال ٣٣:١١) .

أيها السيّد الرؤوف الصالح والمحبّ للبشر ترأف عليّ أنا الخاطئ وارحمني . سامحني ولا تحسب جسارةَ وعودي[1] أنت الذي يفحص قلوبَ البشر ونيّاتهم (مز ٧:١٠ إرميا ١١:٢٠) وأفكارهم أيضًا . أنت يا ربّ تعرف أني أتجاسر أمامك بهذه الأقوال من مرارة آلام نفسي . أنظرْ أيّها المسيح المخلّص إلى ينابيع دموعي وانسحاق وتنهّدات نفسي غيرِ المستحقّة . وليأتِ أمرك ويحفظني قبل أن يدوّي الصوتُ الرهيب ويجدني غيرَ مستعد . بل على العكس **لتمنحْني نعمتُك وقتًا قليلًا في سبيل توبة حقيقية** . لا يمكن أيها الجزيل التحنن أن تصرف وجهك عن عبدك الخاطئ الذي يسكب الدموع . أنت تمنح نعمتك المخلّصة لكلّ نفس تتوسّل إليك . فتغفر الخطايا التي اقترفتْها » .

إستجاب الله الصالح القدّوس لصوتي ورحمني . وقلتُ :

« والآن اسمحْ لي يا طويلَ الأناة أن أصنع ثمارًا للتوبة . لذلك أرجوك أن تمنحني زمنًا آخر للتوبة » .

---

(١) أوان المعمودية أو عند النذور الرهبانية (الإسكيم) .

هذا ما يذكّرني به المسيح المخلّص على الدوام ويجذبني إليه في حياتي لكي أخلص .

* * *

عندما أتذكّر ذلك اليوم وتلك الساعة التي فيها اعتراني ذلك الخوفُ المفاجئ ، أجزع وأسكب دموعًا مع تنهّدات . لكن أنسى للحال كلَّ ذلك معًا : التضرّع ، الدموع ، الخوف وزمنَ التوبة المُعطى لي بنعمة الله . لماذا يحصل لي كلّ ذلك : القساوة ، التهاون والنسيان ؟ فأُصبح فجأة بلا خوف ، متكبّرًا غضوبًا دون أن يكون لي ، أمام عينيّ ، أيُّ جزع من الدينونة الآتية . هل الله غيرُ عادل إن أراد أن يفحص أعمالي ؟ حاشا لن يكون ذلك أبدًا .

أتوسّل إليكم يا أصدقائي محبّي الله . تشفّعوا بي أنا الخاطئَ المُعدم ، إلى الإله الرحيم المحبّ البشر . لقد ذكرتُ ما جرى لي في سبيل أن أجدَ رحمةً عند الله . أعرف جيّدًا أنه لو أردتم لتوسّتطم من أجلي إلى الله بالصلوات والطلبات . أنا أعلم أن صلوات الكثيرين يمكن أن تحرّر حتى الرسلَ من السلاسل ومن الموت . (أع ١٢:٥) . فكم بالأحرى أنتم تستطيعون أن تخلّصوا خاطئًا من الموت ؟ اجتمعوا كلكم يا خائفي الربّ **وارفعوا بوفرة صلواتكم إلى الله من أجل خلاصي** حتى تسطعَ في نفسي النعمةُ الإلهيّة وتنيرَ ذهني الذي أظلم حتى أصيرَ بمعونة صلواتكم أهلًا للتوبة . فتتحلّى مرارة نفسي بمجيء النعمة . **لأن حضورَ النعمة يجلب إلى النفس الحلاوةَ والهدوء والتخشّع** . وفي قلبي تأتي أمواجُ نعمة الروح القدس تنيره وتُدخل إليه العذوبةَ فتنْسى نفسي للحال الأرضيّات والأهواءَ والجسديّات وكلَّ ما يؤذي . من هنا ولاحقًا تُدفئ أمواجُ النعمة الذهنَ والنفس . إنها تشبه بستانًا ملوكيًا مليئًا بأثمار متنوّعة الأشكال ونباتات زاهرة لها مذاقات طيّبة منوّعة وروائح زكيّة تفرّح برؤيتها وهي عذبة للفم وللشم . **هكذا هي أمواجُ النعمة تنير ، تحلّي وتبهج .**

طوبى لأعمال تلك النفس التي فيها أمواج النعمة . تستنير تتحلّى تبتهج . تمتلئ رؤى روحية ورائحة زكيّة . وأيضًا أقول طوبى للنفس التي تملك تلك المواهب . نفسٌ كهذه لا ترى شيئًا ممّا على الأرض لأنها مأسورةٌ بالله لأن حلاوةَ الختن ونعمته لا تدعها تتشتّت .

أيضًا أنزل وأجثو أمام أقدام الربّ وأقول له :

« سامحني يا طويل الأناة على خطاياي » لأنه يوافق عبدك أن لا يهرب من أيدي ربّه عندما يُخطئ إليه بل الأولى أن يبقى في خدمته بكلّ تواضع قلب . لأن الناسَ هكذا يعتادون مسامحة عبيدهم على خطاياهم . ان كان الناسُ على الرغم من كونهم مائتين وأشرار يسامحون زملاءَهم العبيد ، كم بالحري السيّد القدّوس الصالح الخالق وربّنا الكثير التحنن والرؤوف الطويل الأناة والكثير الرحمة يسامح الخطأة الذين يتوسّلون إليه على الدوام ويمحو آثامهم؟ هذا لأنّ كنزَ الرحمة نفسه يطلب استعدادًا ولو قليلًا ليُغني بوفرة أولئك الذين يطلبونه بتواضع قلب . يشبه الكنز هذا نبعًا مليئًا يتدفّق بغزارة ويَروي كلّ الذين يقبلون إلى مياهه . هذا ما يشبه رأفات الله . لأنه كما أن النبعَ لا يمنع الذي يودّ أن يستقي ماءً ، كذلك كنزُ النعمة الإلهيّة لا يمنع أي انسان أن يكون مشاركًا له . إذًا هل هناك إرادة للإنسان أن يكتسب النعمة الإلهيّة ؟ ان كان الواحد يريد أن يحصل ولو قليلًا على النعمة الإلهيّة ، يربح للحال كنزَها المطلوب كلّه . استقوا أيها الأحبّاءُ من مياه الخلاص السماويّة المتدفّقة بغزارة . لأنه سوف يأتي وقتٌ ويوم لن يعودُ أحدٌ يستطيع أن يشرب من ذلك النبع .

لذلك أيها السيّد القدّوس نتوسّل إلى محبّتك للبشر التي لا قياسَ لها . **أعطنا زمنًا للتوبة وغفرانًا لخطايانا** حتى نخدمَك بقلب نقيّ كل أيام حياتنا فنرضيك بأعمالنا الحسنة فنعبر حياتَنا الحاضرة وندخل إلى نعيمك الأبدي الذي هيّأته لجميع قدّيسيك الذين أرضوك منذ الدهر .

اذكروني يا إخوتي في المسيح يا ورثاءَ الله . توسّلوا إلى المخلّص من أجلي حتى أخلصَ بمعونة المسيح من الذي يحاربني كلّ يوم لأن المجد يليق للثالوث القدّوس إلى دهر الداهرين . آمين .

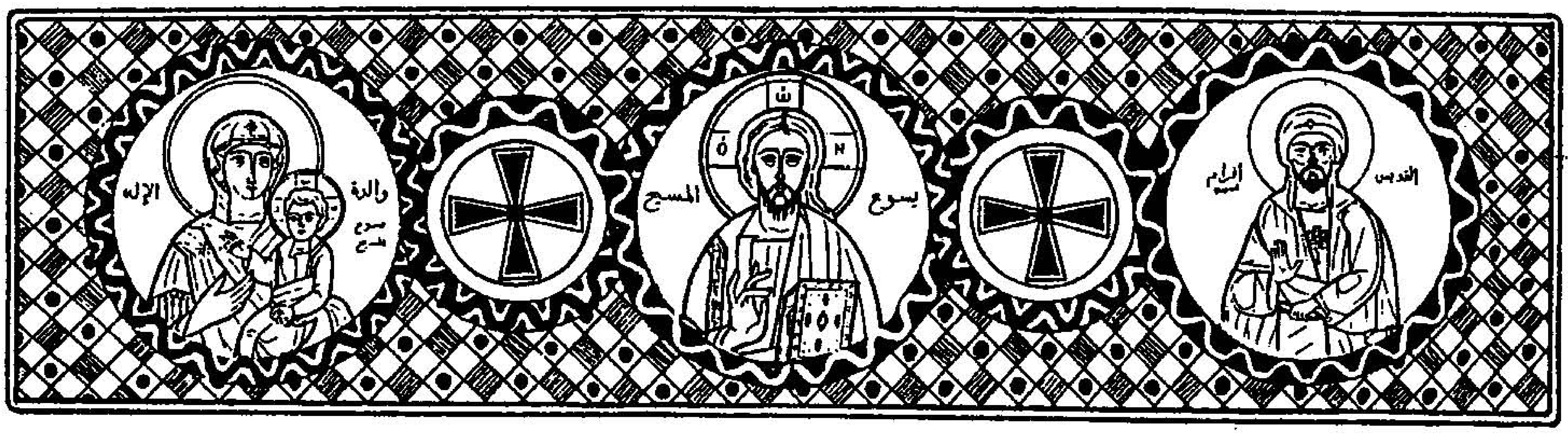

في الأهواء

أيها المسيح المخلّص أودّ اليوم أن أعترفَ أمام مجدك بقساوتي كلّها ، بخبثي كلّه ، وبعدم تعقّلي . سوف أعترف أيضًا بفرحي كلّه ، ما أطيبَ محبّتك للبشر . من بطن أمّي أعضبتك ، جحدتُ نعمتك ولم أُبدِ عزمًا نحو الصلاح . لكن أنتَ أيّها السيّد أعرضتَ عن خبثي كلّه بداعي رأفاتك الكثيرة يا ابنَ الله . لقد ارتفع رأسي بنعمتك الإلهيّة يا سيّد بينما أدنو إلى أسفل كلّ يوم بسبب خطاياي .

أيضًا تجذبني نعمتك في الحياة وأنا أميل بازدياد إلى الموت هذا لأن عادة الكسل السيئة تشدّني إليها وأنا أسير وراءها . **إن عادة الأهواء لسيئةٌ جدًّا لأنها تأسر الفكرَ كما في سلسلة لا تنحلّ** . وأنا أرغب على الدوام أن اتخذَها . هذا بإرادتي . إني مقيّد بسلسلة عادات مكائد الشرّير وأتهلّل بأسري ، غارقًا في العمق المرّ ومع ذلك أشعر بالإمتنان . في كلّ يوم يجدّد العدوّ مكائده لأنه يراني أتهلّل وسط سلاسلي المتنوّعة . إن عدوّي لفنّان حاذقٌ جدًّا . يأسرني بسلاسل لا أودّها بدءًا لأنه يقدّم لي جوقًا مختارًا من المكائد بطريقة أتقبّلها بامتنان كلّي . يعرف بالضبط أن هذه كلّها أقوى مني فيختار للوقت السلسلةَ الفعّالة التي يريد .

الأمر هذا يدعو إلى الترثّي والإشفاق أعني أن أكونَ مقيّدًا بمشيئات العدوّ بإرادتي . لأنه بينما باستطاعتي أن أقطّع السلاسل مرّة واحدة وأتحرّر من المكائد

كلّها ، لا أفعل ذلك لأن التهامل يسود عليّ وأنا مستعبد بأهوائي وشهواتي ، أسير وراءها فتصبح عادة مستمرّة . هذا هو الأمر الرهيب . هذا هو الأمر المشين : إني مقيّد بمشيئات العدوّ ، مأسور بسلاسله ، أُمات بالأهواء ممّا يجعله يغتبط .

تُرى ! لماذا بالرغم من استطاعتي أن أقطّع السلاسل لا أريد أن أفعل ذلك ؟ بالرغم من استطاعتي الهربَ من المكائد ، أُسرع إلى السقوط فيها ؟ أيوجد أمرٌ من ذلك ؟ أيوجد أرهبَ من هذا الخزي ؟ أقولها صراحةً لا يوجد أمرٌ من هذا العيب : أن ينفّذ الإنسانُ مشيئات العدوّ . إنّي أعرف سلاسلي ، أُخفيها في كلّ لحظة تحت مظهر التقوى عن كلّ الذين يرونني . يوبّخني ضميري عندما أفعل ذلك قائلًا في كلّ يوم :

« لماذا لا تنتبه أيها الشقي ؟ أو إنك لا تعرف أن يومَ الدينونة الرهيب قد أقبل ، فَفيه ينكشف كلّ شيء ؟ إنهض إلى العلاء كإنسان قويّ ، حطّم سلاسلَك ، في يدك قدرةٌ أن تتحرّر أو أن تبقى مأسورًا » .

هذا ما يقوله لي ضميري باستمرار ويوبّخني عليه . لكن لا أريد أن أتحرّر . كلّ يوم أبكي وأتنهّد ، ومع ذلك أبقى مقيّدًا بالأهواء نفسها ، أنا الشقي والمتهامل . لأني لا أتقدّم في ما ينفع نفسي ولا أخشى من كوني في وسط فخاخ الموت . يرتدي جسدي لباسَ التقوى الجميل بينما نفسي مقيّدة وسط الأفكار غير اللائقة . **للذين يرونني أظهر تقيًا عازمًا لكن في داخلي أنا شبه وحش مفترس** . ألطّف صوتي عندما أتكلّم مع الناس وأبقى في ذاتي قاسيًا شرّيرًا من حيث استعداد نفسي . ماذا أفعل إذًا في يوم الدينونة عندما سيكشف الله عن كلّ شيء أمام منبره الإلهي ؟ أنا أعلم أني سوف أعاقب هناك ان لم أستغث بدموع أمام القاضي الرحوم . لأن غضبي لا يحول دون رأفته كونه ينتظر دائمًا عودتي . لا يريد رؤيةَ أحد يحترق في نار الهلاك بل يودّ أن يدخل الكلّ إلى الحياة الأبدية .

إذًا استمدّ شجاعةً من تحننك يا ربّ ، يا ابن الله . أجثو لك متوسّلًا : تطلّع إليّ بمحبّتك . أَخرجْ نفسي من سجن آثامي وليُضئْ في ذهني شعاعُ النور قبل أن أذهب إلى الدينونة الرهيبة التي تنتظرني حيث لا تُوجد إمكانيةٌ للتوبة .

أرى أني « محصور من الاثنين » (في ١:٢٣) . إمَّا أن أهربَ من جسدي وأن لا أعود أُخطئ فيما بعد . وأيضًا يسود الخوف عليّ أنا الشقي ، كيف أذهب إلى الدينونة وأنا عارٍ من الفضائل . خوف كبير يعتريني ويعذّب قلبي أن أبقى على الدوام في جسدي أو أن أذهب وأهرب من الجسد ؟ (٢ كور ٥:٦-٩) . لا أعرف إلى أي من الاثنين أتنازل . كوني أرى نفسي غيرَ مستعدّ للصلاح . أن أعيشَ هذه الحياة في الجسد يجلب عليّ الخوف والجزع . كلّ يوم أمشي بين الفخاخ وأشبه تاجرًا كسولًا شرّيرًا يخسر في كلّ لحظة البيع مع الربح . بالطريقة نفسها أخسر الخيرات السماوية وسط التجارب الكثيرة التي تجرّني إلى عمل الشرّ .

أعلم جيّدًا كيف يُضحَك عليّ في كلّ لحظة فأعمل أعمالًا لا أريدها بل أُبغضها . يُدهشني إبداعُ الله : كيف هو حسنٌ على الدوام بينما فكري غيرُ لائق وسط هذا الجمال . كلّ يوم يفاجئني ضعفُ نفسي وضعفُ قدرتي على مواجهة الشدائد والأحزان فأسقط وأُخطئ وبطرق متنوّعة . كيف لا تستطيع توبتي أن تَبني لها أساسًا متينًا ؟ أضع كلّ يوم أساسًا جديدًا وكلُّ تعبي يذهب باطلًا . هذا لأن توبتي لم تجد بعد أساسًا طيّبًا . لذلك لم ينتهِ بعد إهمالي المثلّث الشقاوة .

أنا مستعبد للكسل والتهاون ، لإرادة العدوّ ، لذلك أنفّذ سريعًا رغباته كلّها . ترى ! من يستطيع أن يَنضح رأسي بالماء الغزير لكي يُندّيني ، ويمنحَ عيوني ينابيعَ مياه (إرميا ٩:١) لكي تَفيض بالدموع المستمرّة فأبكي وأنوح بدون توقّف للإله الرحوم لكي يُرسل لي نعمته الإلهيّة وينتشلني أنا الخاطئَ من البحر الهائج بأمواج الخطيئة التي تعذّب نفسي كلَّ ساعة بعواصفها ؟ لقد أضحت تمشيئاتي الرديئة أقوى من جراحاتي فلم تعد تتقبّل علاجًا موافقًا .

رجائي الوحيد هو في توبتي . لكن وعدي غير المجدي يضحك علي ، أني سوف أتوب عندما أقرب نهاية الحياة هذه . أعد دائمًا بالتوبة وأنا لا أتوب أبدًا . **بالكلام أتوب بسرعة أمّا بالفعل فالتوبة بعيدةٌ عنّي** . عندما أستريح أنسى ذاتي البشريّة لكن عندما أغوص في الشدائد أتحوّل وأتذمّر .

الآباء القدّيسون في محبّتهم لله أصبحوا أقوياء في التجارب في وسط الأحزان وتقبّلوا من الله السماوي إكليلًا لا يذبل مع المجد والمدائح . اكتسبوا إسمًا مباركًا بفضل الشدائد فأصبحوا نموذجًا للأجيال الآتية . ألاحظ دومًا مثال الآباء القدّيسين ، مثالَ يوسف العفيف المجيد (تك ٣٧:٢...) الممتلئ حسنًا سماويًّا ومحبّة خالصة لله . كم اكتسب صبرًا طويلًا في التجارب . ذلك ان حسدَ اخوته لم يستطع أن يؤذي جمالَ نفسه حتى الحيّة الرهيبة (تك ٣٩:٧) في حجرها لم تستطع أن تشوّه حسن شبابه اليافع . كانت ترصد باستمرار زهرةَ شباب يوسف الحكيم لكي تسكبَ فيه سمّها القاتل بعد أن سادت عليها الشهوة نحوه . ولا السجن ولا القيود استطاعت أن تجعل عظمة شبابه تذبل بداعي محبّته لله الجزيلة . . .

* * *

● صلاة

لقد اختبرتُ يا ربّ رأفاتكَ الغزيرة التي لا توصف . فأتوسّل إلى رحمتك الكثيرة . امنح عبدك رغباته الصالحة من ذخيرة تحننك حتى تفيض نعمتك كينبوع في القلب والفم ، لكي يُصبحَ قلبي هيكلًا طاهرًا لنعمتك الإلهيّة ، يتقبّله الملك السماوي فلا يكون وكرًا للأفكار الشرّيرة ومغارةً للّصوص العقليّة الرديئة . لكن **فليحرّك لساني دائمًا إصبعُ نعمتك الإلهيّة** كوتر عود من أجل تمجيدك يا محبّ البشر . فأسبحك بشوق بالقلب والفم كلّ أيّام حياتي .

فإنّ الذي بخبث يهرب من التسبيح والتمجيد يا سيّد ، يتغرّب عن الحياة الأبديّة .

أيها المسيح المخلّص امنح قلبي ما يشتهيه من الأمور الصالحة حتى يكون لساني قيثارة لنعمتك الإلهيّة . فأتخلّص ولو من بعض الخطايا التي تعيق نذوري وهناك في الحياة المستقبلة أخلص تحت جناحيك بينما ترتعد كلّ نفس من مجدك الرهيب . نعم يا ربّ أيها الابنِ الوحيد أصغِ إليّ ، تقبّل كهدية طلبة عبدك . إني خاطئ لكن أطلب نعمتك الإلهيّة . أنت الذي تخلّص الخاطئ برحمتك . فلك يليق المجد إلى الدهور . آمين .

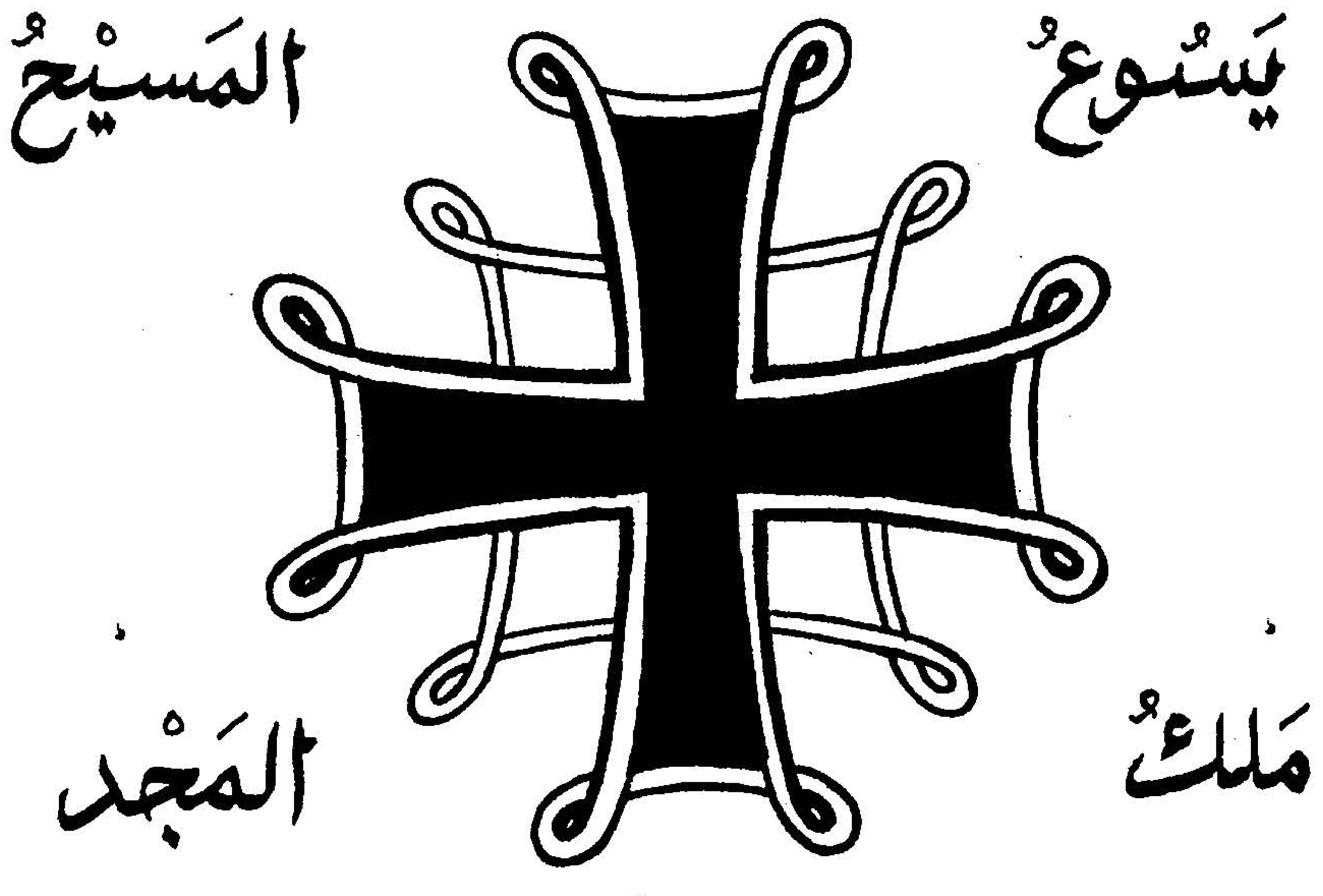

مقال نُصحيّ

إنتبه إلى نفسك أيّها الشاب الراغب في الحياة النسكيّة لئلّا تعبر أيامُ حياتك في التشتت . لا تتقبّل الأفكارَ الشرّيرة حتى لا تضعف قدرتك على محاربة العدوّ . عليك أن تفكّر دائمًا بربّك الحلو ، حتى تتكلّل طريقُ نسكك بإكليل الغلبة . أسرع إلى جهاد نسكك أيها الشاب . لأن النهار قد مضى واقترب الوقتُ الذي فيه يُكلّل الذين تعبوا ويندم الذين تكاسلوا . اكتسبْ فضيلة طالما لديك مجالٌ بعد . اكتسبْ تخشّعًا في نظراتك ، صدقًا في مسامعك ، كلماتِ حياة على لسانك ، افتقادَ المرضى في خطواتك ، أيقونةَ ربّك داخل قلبك ، إنجازات العفّة في أعضاء جسدك حتى تُكرّمَ شخصيًّا أمام الملائكة والبشر . هناك من يكرّمون خشبةً غيرَ متنفّسة لأنها تحمل صورةَ ملك مائت وكم بالأحرى تكرّم **النفسُ التي تحوي الله في داخلها** ، في الحياة الحاضرة والمستقبلة . انتبه إلى نفسك أيّها الحبيب . الشهوة ميتة أمّا الجسد فحيٌّ . انتبه إذًا كثيرًا لئلّا يُعطي الجسدُ حياةً للميت . إن قدّمتَ حياةً لها (أي للشهوة) فسوف تقتلك .

يا له من أمر يُرثى له إن عاش الميت وقتل الذي أحياه تعلّم بدقّة **ماهيةَ الشهوة** التي هي ميتة بدون الجسد . عندما يقارب هيجانُ الشهوة الجسدَ ، عندها تتحرّك الشهوةُ ويُدير الذهنُ انتباهَه إلى حلاوتها ويكتشف أن الجسد الحيَّ يموت وسط الميتة الشهوانية . لذلك انتبه كثيرًا إلى نفسك من هذا العنصر الميت . **عندما تشتعل شهوةُ الجسد تفكّر في النار التي لا تُطفأ** والدود الذي لا ينام (مر ٩:٤٤ و٤٦ و٤٨) وللوقت تنطفئ شعلةُ أعضاء جسدك . انتبه ألّا تنغلب بسبب التهاون فتسود عليك نارُ الحزن والتهاون تعتاد على الخطيئة والكسل . اكتسبْ

من البداية موقفًا صارمًا أمام كلّ شهوة حتى لا تُغلب وتعتاد على الانحدار في الحرب **لأن العادة طبيعةٌ ثانية**، لاسيّما عادة التهاون التي لا تُكسبك جدّيةً على الإطلاق. تبني وتهدم على الدوام، تُخطئ وتندم باستمرار.

أيها الحبيب إن اعتدتَ على التهاون في أوان التجربة فسوف تلحقك الإدانة إلى دهر الداهرين. كلّ من اعتاد أن يُغلب في شهوة ما يوبّخه ضميره على الدوام ويكون حزينًا. يلقى الذين يرونه بوجه التخشّع والفرح بينما هو حزين في الداخل لأن ضميره يوبّخه. هذا ما يرافق الشهوة عادة. لأنها تفرز حزنًا أليمًا للذين يمارسونها. انتبه إذًا بكل نفسك وضعْ الله دائمًا نصب عينيك. لأن **المسيح هو العريس غير المائت بالنسبة إلى النفس**. لا تتركْ إذًا عريسَك الحقيقي حتى لا يتركك هو فتبتعد عنه وتلتصق بعريس غريب أي بالعدوّ الماكر. لأن هذا الأخيرَ يحبّ بمكر لوقت قليل وللحال يترك الإنسان. هو في الحقيقة مثل زانية دنسة لأنه عندما يستهلك قدرةَ الواحد يُظهر كراهيته. من لا يرثي لهذه الحال؟ يستهلك العدوُّ قوّتنا ووقتنا في أعماله الدنسة والشهوات الضارة وبعدها يبتعد عنّا بداعي كراهيته لنا؟ . . .

* * *

تعالوا اقتربوا يا أبناءَ النور اسمعوا الصوتَ المبارك والمغبوط، صوتَ مخلّصنا القائل:

«تعالوا يا مبارَكي أبي رثوا ملكوتَ السموات» (متى ٢٥:٣٤) انتبهوا يا أحبّائي ألّا تُحرموا من ذاك الميراث المغبوط. إنه قريبٌ جدًّا منّا. نور من نور، نزل وجاء إلينا وأعادنا إلى النور. نزل **وجاء إلينا ليصيرَ مثلنا لكي نصير نحن أيضًا مثله**. عديمُ الموت، جاء إلى المائتين وبعدها جعلهم عديمي الموت. صعد من جديد وذهب إلى الآب. الآن يأتي بمجد الآب المبارك ليدين الأحياءَ والأموات.

لقد أصبح لنا طريقَ حياة مليئًا بالنور والمجد حتى نمشي نحن أيضًا في النور ونسير نحو الآب .

تعالوا أيها الأحبّاء لنمشِ في الطريق التي أظهرها لنا الربُّ حتى نصلَ إلى ملكوته . لنأخذ إذًا زادًا وزيتًا في آنيتنا (متى ٢٥:٨) لأن الطريق طويل . لنشدّ أوساطنا بزنّار الصدق والحق (أف ٦:١٤، ١ بطرس ١:١٣) كأناس ينتظرون ربّهم . لنُشعل مصابيحَنا ونسهرْ بشجاعة . لأننا ننتظر ربّنا الآتي من السماوات . فلا ننعسنّ حتى لا تنطفئ مشاعلنا لأن ذلك الصوتَ سوف يدوّي فجأة :

« هوذا الختن اخرجوا للقائه أنتم الذين أحببتموه . تهيّأوا لرؤيته آتيًا في المجد » لأنه سوف يُبهج في ذلك العرس الأبدي كلَّ الذين رغبوا فيه .

انتبهوا إذًا أيّها الأصدقاء عندما يُسمع ذلك الصوت ، ربّما يجد الواحدُ منكم مصباحه منطفئًا دون زيت لابسًا لباسًا رثًا فيُحكم عليه في الظلمة الخارجيّة ، في ذلك العقاب الأبدي حيث البكاء وصريرُ الأسنان . لنحفظْ أنفسَنا إذًا أيها الأحبّاء لأننا لا نعرف متى يأتي ربّنا (١ تسا ٥:٢ و٤، ٢ بطر ٣:١٠، رؤيا ٣:٣ و١٦:١٥، متى ٢٤:٢٧) . لأن ذلك اليومَ يوم الدينونة الرهيب يأتي كالفخ وكالسارق في الليل . كبرق عابر يكون حضورُ الربّ . لأن البوق يدوّي والأموات يقومون . الأرض ترتعد من أساساتها والسماوات بقوّاتها السماوية تتزعزع .

الويل أيها الأحبّاء للحاضر في تلك الساعة . كلّ نفس حيّة سوف ترتعد . لكنّ نعمة المخلّص تقوّي وتفرّح قلوبَ الصدّيقين فيُحفظون على السحب ليذهبوا للقائه (١ تسا ٤:١٧) . أمّا أولئك الكسالى واللامبالون مثلي فسوف يبقون على الأرض مرتعدين .

إذًا لنرتفعْ قليلًا أيها الأحبّاء عن الأرض ، عندها نَصعد بسهولة إلى السماء . ماذا ينفعنا العالم طالما نرتبط باهتماماته . ماذا نربح من جمال ملابسنا سوى نار

الهلاك ؟ ماذا ينفعنا التعلّق بالمآكل الشهيّة سوى الهلاك الأبدي ؟ ألا تعلمون أيها الأحبّاء أنه إن لم نجاهدْ في زمن هذه الحياة القصير فسوف نندم ونشقى أبديًّا . أيها الأحباء لماذا نحن لا مبالون ؟ لماذا نتكاسل ؟ لماذا لا ننتبه إلى أنفسنا ؟ ها إن يومَ الرب العظيم الرهيب قد أدركنا ! لماذا لا نبعد عنّا كلّ اهتمام باطل ونريح أنفسَنا من ثقل الأمور الأرضيّة ؟ ألا تعلمون أن الباب ضيّقٌ ومليءٌ بالشدائد (متى ٧:١٣ لوقا ١٣:٢٤) . ولا يمكن أن يسلكه أيُّ غنيّ (متى ١٩:٢٣ مر ١٠:٢٥، لوقا ١٨:٢٥) لأن الباب هذا يودّ الفقراءَ والذين وضعوا أنفسهم في شدائد طوعيّة من أجل المسيح عائشين حياةً تقشّفية بالسهر والقساوة مهتمّين باستقبال الختن عديم الموت آتيًا بمجد . هؤلاء سوف يرثون ملكوت السماوات .

أيها الأحبّاء . الباب هذا يصرخ إلينا « تعالوا إليّ » وأمّنا أورشليم تقول لنا بشوق : « تعالوا إليّ يا أولادي تعالوا إليّ ! ليكثرْ عددُكم . . . أودّ أن أراكم ممتلئين مجدًا وجمالًا فرحًا وبهجةً . تشوّقوا إليّ كما أنا أشتاق إليكم . لا تملكوا شيئًا على الأرض ولا تهتمّوا . اجتهدوا أن تعيشوا في تعب . ها ان الختن عتيد أن يحضر على السحب بمجد الآب المبارك وأن ينادي كلَّ واحد منكم باسمه ويرتّبه في مصف القدّيسين وسط النور الذي لا يوصف ، في الحياة الأبدية غير المائتة وفقًا لأتعابه حيث ينتفي الوجع والحزن والتنهّد .

* * *

نحن نعرف كلّ ذلك ، لذا يا أبنائي الأحبّاء أرجوكم أن تُظهروا حماسًا في وقتنا الحاضر القصير . فلا نتباطأْ في هذه الحياة حتى لا نندم في الدهور التي لا نهاية لها ، حيث لا تنفعنا الدموع والتنهدات ، **وحيث لا يوجد توبة فيما بعد** . إن أبديتم حماسًا أيها الأحبّاء فسوف تفرح الملائكة ورؤساءُ الملائكة أمّا إذا تهاونتم يفرح العدوّ . أظهروا حماسًا أرجوكم ، أظهروا عزمًا طيّبًا حتى أفرح أنا أيضًا من أجلكم وتفرحوا أنتم في الحياة الدهريّة .

أجثو وأتوسّل إليك أيها الربّ يسوع المسيح يا ابنَ الله الحي امنحني بمثابة هديّة وامنح الذين يحبّونك أن نشاهد وجهَك بمجد وفرح في ملكوتك ، أن نرثَ خيراتك مع الذين يشتهونك ويحبّونك .

أيها الأحبّاء إن أظهرنا تهاونًا في هذه الحياة ، فلن يكون لنا جوابٌ في يوم الدينونة الرهيب . لأننا سوف نجد تبريرًا لخطايانا . لقد نزل ربّنا ومخلّصنا من السماء وجاء إلينا ومحا كلَّ تبرير لنا . لأنه منحنا الحياةَ الأبديّة :

كنّا أعداءَ فصالحنا (رو ٥:١٠) . كنّا أرضيين فأصبحنا سماويّين (١ كور ١٥:٤٧-٤٩) . كنا مائتين فأصبحنا أزليين . كنّا أولادَ الظلام فأصبحنا أولادَ النور (أف ٥:٨) . كنّا أسرى عبيدًا للخطيئة فتحرّرنا (رو ٦:١٧-١٨) . كنّا ضائعين مشتّتين فجُمعنا (أش ١١:١٢) . كنّا مرضى فشُفينا (١ بطر ٢:٢٤) . كنّا محرومين من الرحمة فرُحمنا (١ بطر ٢:١٠) . كنّا خطأة فخلصنا . كنّا أرضًا ورمادًا (تك ١٨:٢٧، حكمة سيراخ ١٧:٣٢) فأصبحنا أبناءَ الله (يو ١:١٢ غلا ٣:٢٦) . كنّا عراةً فستر عريَنا وصرنا وارثين لابن الله (رو ٨:١٧) . قد منحنا ربّنا كلّ ذلك بعد أن نزل إلى الأرض وتجسّد من أجلنا . فبماذا نكافئ الربَّ عن كلّ ما أعطانا ؟ هو الذي تقبّل البصاق والجلدَ ، الذي صُلب ولُطم (متى ٢٦ مر ١٤) الذي هزأ به المستهزئون وعابرو الناموس والخطأة الأشقياء . الويل لنا إن تهاملنا وكنّا لا مبالين لأنه لن يكون لنا جواب في يوم الدينونة .

تعالوا إذًا أيّها الأحبّاء لنطرحْ عنّا كلَّ اهتمام دنيويّ في هذه الحياة العابرة وبعزم كبير وحماس نخدمه كعبيد أمناء كونه ربَّنا وسيّدنا . ها إن يومَ الدينونة قد اقترب وحضورَه وشيك . تعالوا أيها الأصدقاء نهيّئ أنفسنا ، نسهر منتظرين ربّنا العريسَ غير المائت . ها هو قد أشرق . ها اليوم قد حضر . الليلُ مضى والنهارُ اقترب (رو ١٣:١٢) . يا أبناء النور تقدّموا إلى النور (يو ١:٩) اخرجوا بفرح لتلاقوا نورَ ربّنا . أظهروا له فضائلكم . قدّموا له جهادكم ودموعَكم وكلَّ

الشدائد التي صبرتم عليها بشوق ومحبّة له . لا تتخاذلوا ولا تتكاسلوا . اصبروا قليلًا . لا يتطلّعن أحدٌ إلى الوراء بل ليوجّه نظره عاليًا إلى الجمال السماوي ، إلى فرح العريس السماوي حتى تشبعَ أنفُسنا من مجد رؤيته وبهاء جماله .

فلا يخشينّ العفيفُ لأن مائدةَ الملكوت تنتظره . والذي يعطش ليبقَ ثابتًا في إيمانه لأن نعيمَ الملك قد تهيأ له . وليأخذ قوّةً ذاك الذي يسهر ويرتّل ويُصلّي ويبكي لأن نعمة الخدر الإلهي ، خدر ربّنا سوف تعزّيه .

نعلم كلَّ ذلك أيّها الأحبّاء فلا نمتلكنّ شيئًا على هذه الأرض لأن كلَّ واحد منا سوف يُظهر في ذلك اليوم أيّةَ فضيلة اكتسب أية أتعاب أيَّ نسك وأي سهر .

تُرى أيها الأحبّاء عندما سيُظهِر الشهداءُ جراحات آلامهم وعذاباتهم والنساكُ نسكهم وإمساكهم وصبرَهم والشدائد والفقر والدموع بأيّ شيء يفتخر الكسالى المتهاونون الذين أضاعوا حياتهم باطلًا . **الويل لهم بالحقيقة لأنهم تهاونوا . . .**

تعالوا أيها الأصدقاء لنسرعْ . لنلتجئ ساجدين لرحمته . لننحْ ونبكِ أمامه ليلَ نهارٍ بدون تردّد في صلاتنا وفي ترتيلنا لكي يمنحنا استنارةَ النفس لكي نفقهَ المكائدَ التي يستخدمها العدوّ والشيطانُ المقاوم ماقتُ الخير . يَرمي أمامنا فرصًا للسقوط ، للعثرات وللأذيّات ، للامتلاك والتشتت في هذه الحياة ، للّذة الجسديّة للخوف من الجهاد والكسل في الصلوات والنعاس في الترتيل والراحة الجسدية . يحاربنا ونحن نتهامل بالرغم من معرفتنا أن أيّامنا تقصر وأن الوقت قد حضر وربّ المجد سوف يأتي بعظمة مجده وبقدرة ملكه الرهيبة ليجازي كلَّ واحد حسب أعماله . أخشى أيها الأحبّاء أن يتمّ فينا قول الربّ :

« وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتّكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات وأمّا بنو الملكوت فيُطرحون إلى الخارج » (متى ٨:١١ لوقا ١٣:٢٨-٢٩) .

أتوسّل إليك إذًا أيّها المسيح نور الحق، ابن الآب المبارك ختم أقنومه الأبويّ (عب ١:٣) الجالسُ عن يمين عظمته، ابن الله غير المدرك، أيها المسيح غير الموصوف، فخرُ وفرحُ الذين يشتهونه ويحبّونه، ابتهاج الذين ينتظرونه أيها المسيح يا حياتي خلّصني أنا الخاطئ أنت يا ربّ نوري. العاملُ الذي يتعب ينتظر أجرته الويل لي لأن لساني يتعب في الترتيل ولكن أنت لا تجازني بحسب أعمالي ولا تغضبْ عليّ وفقًا لما فعلتُ بل خلّصني بداعي محبّتك وارثِ لي بداعي رأفتك لأنك مباركٌ مع أبيك المبارك وروحك المعزي القدّوس والمحيي الآن وكل أوان وإلى الدهور. آمين.

عن الفضيلة – إلى ناسك شاب

أربعة فصول

المقدّمة :

أمرَنا الربّ الذي جاء إلى العالم من أجل خلاص البشر أن نحبَّ بعضنا بعضًا (يو ١٣:٣٤، ١٥:١٢) وأيضًا أن نحثّ بعضنا بعضًا على ذلك بمخافة الله . وبما أن تقواكم سمحت لي أنا الحقير أن أكلّمكم كلامًا روحيًا ، بادرت بنشاط إلى الطاعة لأصير مساهمًا في عمل نعمة المسيح .

وأنتَ إن وجدتَ أمرًا مفيدًا في هذه المواضيع فثبّته في فكرك لكي أحصلَ أنا أيضًا على أجرٍ من جرّاء نصحي لك وذلك عندما تثمر أنت في الرب . ثم أرجوك ألّا تنتظر منّي ، أنا الراهب ، أدبًا راقيًا وتفنّنًا في العبارة ولا زخرفةً في الكلمات ، بل أمورنا كتبناها بدافع محبّتنا ببساطة واخلاص وصدق وهي لا تخلو من الركاكة في التعبير . تقبّلها منّا بمحبّة ، ونمّها في حياتك الشخصيّة حيث أنك تمتلك القدرة على ذلك . كأنكَ أخذت بذارًا وإرشادات عن مختلف الظروف من أجل إنماء حقل فكرك . فمن واجبك بالتالي أن تثمر ثمرًا مضاعفًا .

فما قلناه بشكل عابر وباختصار ، قدّمْه بالفعل وبقوّة للذين يعيشون معك ، يا عاشقًا للعلم غيورًا وانصحهم أن يحفظوا أنفسهم من جهلنا لأننا لم نُتقن فنّ الكلام والخطابة . المحبةُ وحدها هي التي تدفعنا لتبليغك هذه المعلومات . لقد طلبتَ منّا أن تتعلّم أمورَ الفضيلة والآن أيضًا نضع أنفسنا بتصرّفك بمعونة النعمة لكي تعلّمَ أنت أيضًا الآخرين بكلّ غيرة بحسب النعمة المعطاة لك من الربّ . هكذا لا يعود الأخوة ينْخدعون بضلال الخطيئة ومتاهاتها .

* * *

النصيحة الأولى

إن أقمت منفردًا في البرّية ، أدرسْ بتمعّن نُسكَ وتقدّمَ النسّاك المنفردين الكاملين . أمّا إذا عشتَ في دير شركة فلا تزدرِ بالقوانين الديريّة . لأن كلًّا من الأمرين عندما يصونهما المرء بضمير نقيّ ، مهما كان شكلُ الحياة الرهبانية ، سيكون مرضيًّا لدى الله .

إذًا إن عشتَ منفردًا متوحّدًا فلا تُشوّه قدوات المتوحّدين وأئمّتهم الذين كانت سيرتهم في تقدّم مطّرد باستقامة ، بل أبرز نفسك كقدوة صالحة ، فاحصًا كلّ حين كلامَ الرسول ومتأمّلًا به : « كلّ شيء يحقّ لي ولكن ليس كلّ شيء يوافق ، كلّ شيء يحق لي ولكن ليس كلّ شيء يبني » (١ كور ١٠:٢٣) .

لئلّا يزعزعك العدوّ من مكانك ، بداعي تبريرك لنفسك .

أمّا إذا أقمتَ في دير شركة فلا تبتعد عن القانون الرسولي والنظامي ، لأن ما يبدو أنه من الهفوات الصغيرة ، يُحدث ضررًا كبيرًا . لذلك فإنه جميل ، بل رائع ، أن لا يتكبّر الإنسان ولا يضع نفسه تحت دينونة عندما يقوم بأعمال صالحة .

إذًا من الصواب أن يوجد المرءُ مع الإخوة المماثلين له في لقاء ، في سهرانية ، في عمل يدويّ وفي أعمال أخرى ، الأمر الذي يُعتبر مثالًا مهمًّا في التواضع . **وأيضًا أن يوجد المرءُ على المائدة الجماعيّة ، إلّا إذا كان مريضًا** ، وأن لا تسود عليه مشيئاتُه ، ممّا يعني بالتالي أن لا يسود عليه المجدُ الباطلُ .

يجب على كلّ واحد أن يكمّل ، **بكلّ تواضع وصبر** ، عملَه الذي بدأ بإنشائه . أمّا أن يكون المرء متقلقلًا في طريقةِ عيشه وأن يطوف بفكره من مكان

إلى آخر، ويتنقّل من عمل إلى آخر، فهذا يجعل ثمره غيرَ ناضج، هذا طبعًا إن كان ممكنًا أن يثمر أخٌ كهذا.

إنّ العدوّ لا يجلب على الأخ في كل الأماكن التجاربَ نفسَها. هنا (في حياة التوحُّد) ينصح الأخ بتفضيل السيرة الرهبانيّة الصارمة الشاقّة، من أجل تزكية تبريراته الذاتية، وهناك (في حياة الشركة) يحرّضه على الهروب من الأماكن المفيدة، بعلّة صعوبة بل استحالة التنازل للاخوة الضعفاء. وهكذا يُبعد أفكارَ الأخ عن الصواب، ويُفسد نفسه بخبث ولؤم: عندما يكون في الدير يحلّي له تخيّل البرّية بما أنه يوجد هدوء كبير في ذلك المكان. لكنه عندما يقيم في البرّية يُشير عليه بمغادرتها، بداعي أن هذه الأماكن جافّة، قاحلة، خالية من كلّ تعزية. وهكذا مرارًا وتكرارًا يحرّضه على هذه الأمور ليقلقل الأخ ويسخر منه في كلّ الأحوال، وبالتالي يُعيقه عن إتمام أية فضيلة. لأنه كما يحدث بالضبط عندما يبدأ الواحد بإنشاء برج ما، ويُبدي لا مبالاةً في البناء ويقول «الأفضل أن أبني رواقًا» وبعدما يبدأ بحفر الأساسات يعود ويقول: «من الأفضل أن أبني قلّايةً» وإن ترك هذا العمل نصف منتهٍ، فما قصده سيكون بالنتيجة بلا فائدة. هكذا الراهب أيضًا، إن لم يلبث صابرًا وبفهم روحي في مكان واحد، لا يمكنه أن يُعطي ثمرًا كاملًا ناضجًا.

لذلك إن عشت في دير فاتّبع نظامه بكلّ جدّية وبمخافة الله. حتى ولو كان مرسومًا أن تأكل مرّتين في اليوم فكُلْ ممّا يُقدّم لك شاكرًا الله، وكلٌّ ما ترى الاخوة الأكثر تقوى يفعلون، فافعلهُ أنْت أيضًا بضمير نقي فتتقدّم كثيرًا بنعمة الرب. أمّا إن أزعجك فكرُك بأن يُقدّم على المائدة طعامٌ كثير، فلنفكّر بأنّ إعداد الطعام لم يتم بتوصيتنا نحن، وإن كان ما تيسّر تقديمُه في الدير قليلًا، فقيرًا، وتذمّر فكرنا من هذا الأمر، ففكّر بأن الربّ عندما انحدر من مجده وصار إنسانًا، لم يتأخّر عن تناول خبز الشعير.

يجب علينا إذًا أن نواجه العدوّ بفكر وإحساس روحيّين بكل الطرق والظروف لكي نصدَّ ألاعيبَه الخبيثة بالقوّة التي يؤمّنها صليبه الكريم .

إن كان الراهبُ يمارس الامساك بمبالغة ، كما يحلو له ، لا يكون الأمر ممدوحًا . وإن أهمل الإمساكَ الواجب فلن يستفيد أيضًا . لأنه كما أن الابتعاد فترة طويلة عن الأطعمة المحدّدة يُحدث انحلالاً وعجزًا وخللًا في المشاركة في الصلاة الجماعيّة . هكذا أيضًا ان يطفح الحلق بالأطعمة هو أمرٌ يستحق الإدانة دون أي شك . لأن الربّ يقول « الويل لكم أيّها الشباعى الآن لأنكم ستجوعون » (لوقا ٦:٢٥) .

وإن وقع أيضًا في الفوضى وعدم الانضباط ، يسقط لا محالة في اللذات الجسدانيّة . يجب علينا إذًا أن نتحكّم بجسدنا بكل تقوى وبطريقة سليمة . عندما تقيم في البرّية متوحّدًا فعليك أن تمارس بدقّة الفضائل الملائمة : التفكير المتواضع السليم ، التيقّظ والرجولة ، عدم الهمّ ، مقت الفضّة ، القداسة الكاملة التحمّل والجلد في الأتعاب ، استعدادك لتعزية الجميع والدقة في طول الأناة ، ثبات الفكر اللائق بالله ، الأمر الذي يؤدّي إلى الشفاء من الأهواء واضطهاد الشياطين ، **عدم الخوف من المرض الجسدي أو حضور الموت** . بل على العكس من ذلك أن تنتظر بفرح كبير الخروجَ من هذا العالم ، كما لو أنهم مزمعون أن يستدعوك من عمل إجباري شاق في مناجم المعادن أو من المنفى ، وأن يُدخلوك إلى ملكوت السماوات ، حسب قول الرسول :

« أتوق لأن أموت لأكون مع المسيح » [1] .

على الذي يعيش في دير شركة أن يسعى لما يلي : أن يكون مطيعًا بحسب مشيئة الله وبدون أيّة مجادلة . يكون هدفه أن يقتني تعاطفًا مع القريب [2] وأن

---

(١) فيلبي ١:٢٣

(٢) تعاطف مع القريب .

يكون منزّهًا عن المجد الباطل. أن لا يحبّ المناصب وأن لا يسعى وراء التكريمات. أن يكون نشيطًا في السهرانيّات والصلوات الجماعيّة. أن يكون صبورًا في الجهاد والأعمال اليدويّة الأخرى. أن يتجنّب الناس وأن لا يتكلّم كثيرًا معهم بل **أن يعيش في هدوء**. أن يهرب من جهة من الهراطقة والناس المؤذين، ومن جهة أخرى أن لا يقول ما هو ممنوع وغير محبَّذ لدى الله، أن يطلب السكينةَ بعيدًا عن التشوّش والاضطراب والهمّ المعيشي. أن لا يجول من قلّاية إلى قلّاية، أن لا يكون عثرة لأخوته[٣]، أن لا يتكلّم بطيش وغباوة. يجب أيضًا أن لا يكون مستعبدًا للغضب والحنق، أن لا يتزيّن بارتداء ألبسة جميلة، أن لا يدلّل جسده ليُظهر جماله، أن لا يطلق عينيه بلا ضابط، لينتبه أن يكون صاحيًا على الدوام، لئلّا يسقط في المجد الباطل الذي يسبّب التلذّذ والغضب والحزن. وأكثر من ذلك عليه أن يهتمّ بأن يكون **بسيطًا بعيدًا عن الخبث**. وليعتنِ بأن يحفظ جسده طاهرًا بعيدًا عن الخطيئة لئلّا يظهر كاذبًا أمام الخالق. لأننا قدّمنا أنفسنا ذبيحةً للربّ، ولسنا بعدُ أسيادًا على أجسادنا. فانه إن كان الناس يضايقوننا أو يحاربوننا إلّا انه لا يمكن استرجاع العطيّة لكي نستخدمها بحسب رغبتنا. فانه كما لو قدّم الواحد نذرًا أو هديّة للربّ، فيتناولها الكاهن ويخصّصها للهيكل. فإن حدث وغيّر رأيه فيما بعد، لا يحقّ له أن يستعيدها. أمّا إن همّ بسرقتها خلسةً فلن ينجو من الدينونة. بل سيُعاقب كمدنِّس للقدسات.

هكذا يحدث أيضًا مع الذين نذروا أنفسهم للربّ، لا سلطان لهم على أجسادهم. طوبى للذين يحافظون على هذه الطريق ويكرّمون التقوى. لأنهم بفرح وبتسبيح الربّ سيدخلون ملكوت السموات. عسانا نتمتّع جميعنا بهذا الملكوت بنعمة ربّنا يسوع المسيح له يليق المجد إلى دهر الداهرين. آمين.

---

(٣) رو ١٤: ١٣.

النصيحة الثانية

يجب أن ننتبه لأنفسنا من المشورة الرديئة لأن واقع الحال هو بالضبط كالتالي: كما لو أنه هناك إنسانان يرتديان ثيابًا فاخرة، ويتمشّيان معًا في السوق فتعثّر أحدهما بسبب عدم انتباهه، وسقط في الوحل وأتلف حلّته البهيّة كليًا. ثم حرّكه الجسد لأن يرمي قريبه في الحمأة، لئلّا يكون وحده فقط ذا ثياب غير لائقة وقذرة. هكذا أيضًا كلّ الذين فقدوا الفضيلة يحاولون أن يوقعوا الآخرين أيضًا، لئلّا يصيروا هم وحدهم في الهوان والخزي. يتكلّمون بتواضع ويجيبون بطريقة حلوة محبّبة لكي يُبعِدوا سامعيهم عن العفّة والتعقّل ويفرّقوهم في الخطايا. ولا يستحقون من قيامهم بالأعمال الشائنة بل على العكس من ذلك يحثّون قريبهم قائلين له على سبيل المثال: « لماذا تحوّل نظرك عنّا؟ لعلّك تديننا لأننا خطأة؟ ألعلّ فلانًا وفلانًا، مِنْ ذوي السمعة الحسنة، لا يفعلون هذه الأمور بعينها؟ ألا تعلم أن الأمورَ تجري بشكل « أسقط وانهضْ »؟ نعم إنهم لا يستحون من قول هذه الأمور. تسألوني لماذا؟ لأنهم هم أنفسهم سقطوا ولا يريدون أن ينهضوا. لكنهم على العكس من ذلك يحدثون عثرات للكثيرين سقوطًا وهلاكًا. وهكذا يستعملهم الشيطان كطعم في صنّارته. وأحيانًا يلجأون إلى تحريف أقوال الأنبياء القدّيسين لكي يخدعوا النفوسَ المتقلقلة ويضلّلوها.

قلوب مثل هؤلاء البشر، قلوبٌ معوجّة فاسدة. فمهم ممتلئٌ غشًا وخبثًا (مز ٩:٢٨)، حنجرتهم قبرٌ مفتوح (مز ٥:١٠، ٣:١٣) مهيأ لإهلاك من يسقط فيه، وبعدلٍ أُسلموا إلى الأهواء المهينة (رو ١:٢٦) لأنهم رفضوا معرفةَ الله. لذلك سيطردهم الله من ملكوته، بسبب شرورهم الكثيرة (مز ٥:١١) وعدم

مخافتهم له وعدم تقديرهم واحترامهم لتقوى المسيحيّين بتضليلهم نفوس الشبيبة .

لذلك عليك أن تتحفّظ منهم أيّها الحبيب لئلّا تكويك نيرانُ أقوالهم الممالقة الصادرة عن رياء وغشّ . تجنّب معاشرتهم ، لكي لا تسبّب لنفسك الحزنَ المرير وتسقط على سيف مرهف ذي حدّين ، كما يعلّم سليمان (أم ٥:٤) وبينما الواجبُ الطبيعي لكلّ إنسان أن يهتمّ بخلاص قريبه ، إن رآه قد انزلقَ وسقط ، فيبذل ما في وسعه لإنهاضه وأيضًا يعضد ذاك الواقف لئلّا يسقط . إلّا أننا نرى أولئك المفسدين ، يسعون إلى إسقاط الواقفين بالطرق الممكنة كلّها ، أمّا الذين سقطوا منطرحين فيقضون عليهم بجعلهم ييأسون . وبدلًا أن يقولوا لهم : « انتبه لنفسك أيها الحبيب ، لا شيء أسمى من مخافة الله ، لا شيء أثمن من الحياة الفاضلة . إن أخطأتَ فلا تُضف خطيئةً أخرى ، بل تضرّع إلى الله من أجل خطاياك السالفة . الآن نحن معًا وبعد قليل سينفصل أحدنا عن الآخر . فإن أسأنا إلى قريبنا سيُدِيننا بتنهّدات قائلًا : بما أن لقاء هذا الإنسان قد أساء إليّ ، ليتني لم أكن قد عرفته ، لأنه أعثرني . كم من الشرور تأتّت بسبب معاشرته ! » . أمّا إن أفدنا قريبنا كي يتقدّم في الفضيلة ، فسيذكرنا بالخير ويقول : « أعن يا ربّ ذاك الأخ الذي ساعدني من أجل اسمك وثبّت نفسي في مخافتك . فإنني بينما كنت معرّضًا لخطر الضياع أنقذني بمعونة نعمتك » .

إلّا أن هؤلاء ، بما أنهم يفكّرون بشكل مخالف للحق ، يضلّلون النفوس . فإنهم لا يعملون فقط هذه الأمورَ الرديئة بل ويُسرّون بالذين يعملونها (رو ٣٢:١) . وعندما يرون أحدًا يتجنّب عملًا مشينًا ، يأتون بجملة من المبرّرات اللامنطقيّة قائلين على سبيل المثال : « لدى فلان مزاج بارد » إلّا أنهم يوبّخون على ذلك ثمّ ينكشف أمرهم إذْ لا يقولون هذا عن نيّة صالحة . فلو كان هذا يوافق قصدهم لما وجب على الرسول أن يقول :

« وكلّ مجاهد يضبط نفسه في كلّ شيء » (١ كور ٢٥:٩) .

بل كان يجب أن يقول : « كل من يجاهد ولديه طبعٌ حار ، يضبط نفسه في كلّ شيء » إن كان البعض يحتاج إلى الإمساك والبعض الآخر لا يحتاج إليه فمن ذا الذي لا يدين مثل هذا الإدعاء الأحمق ؟ أو من يا ترى يكون بمنأى عن تجارب العدوّ رجلًا كان أم امرأة ؟ إذًا **لا بدّ من عمل الإمساك لجميع الناس** ولا بدّ أن يُرافَق بأفكار صالحة تقويّة .

فلننتبه إذًا لكي لا نسبّب لأنفسنا كثيرًا من الإدانة ، أثناء وجودنا في هذه الحياة ، وبعد مغادرتنا إيّاها أيضًا . لأن ما هو جميل اليوم ، سيكون بشعًا غدًا ، طالما أن هذا الجسدَ يرتدي ضعفات كثيرة . إذًا كل الذين تاقوا إلى حياة فاضلة ، لن يُمدحوا فقط عندما يكونون في زهرة شبابهم حينما حافظوا فيها على عفّة الجسد ، بل في شيخوختهم أيضًا فيتعجّب منهم العالم التعجّب كلّه .

لأن الثمر الصالح يُنشئ شكرًا وانشراحًا لدى المشاهدين ، ليس فقط عندما يكون السّهل مخضرًّا ، بل أيضًا عندما تبيضّ الحقول ، وتصير جاهزة للحصاد ، فيها السنابل منحنية مائلة نحو الأرض . بالفعل كلّ من يراها يُسرّ وينشرح صدرُه كلّ الانشراح .

فالحياة الفاضلة إذًا هي قنيةٌ عظيمة القيمة بالحقيقة . لذلك انتبه لئلّا يغويك الناسُ محبّو اللذّات ، الذين يلوّثون جسدَهم فيما هم مغلوبون من الأهواء المختلفة ، كما يقول الرسول : « لأن الأمور الحادثة منهم سرًّا من القبيح ذكرها » (أف ٥:١٢) . بالإضافة إلى ذلك فصاحب الأمثال يؤنّب الأفعال المخالفة للناموس قائلًا : « كذلك طريق المرأة الزانية ، أكلت ومسحت فمها وقالت ما عملتُ إثمًا » (أم ٣٠:٢٠) . هكذا هؤلاء أيضًا باعتيادهم على الخطايا رغم أنهم يقومون بأعمال شائنة ، يُبدون لا مبالاة ويظنون أنهم لم يفعلوا أي سوء ، جاعلين كلّ إهتمامهم مركّزًا على الشهوة الشيطانيّة ، وبخاصّة عندما يسخرون من الكتب المقدّسة وكأنها أضاحيك .

كلّ الذين يفعلون هذه الأمور يستحقون الدينونة (رو ٣:‏٨) . هؤلاء يقضون وقتهم في الملاهي ، في شرب الخمر حتى السكر . لهذا فهم يمقتون التقوى والعفّة . ليس هذا فحسب بل انهم جسورون عديمو الحياء أكثر من العلمانيين الذين يعيشون ويسلكون بأسوأ الطرق . بالحقيقة إن هذا الأمر يستحق النوح والرثاء ، لأننا بلغنا بالفضيلة المجيدة إلى حالة مزرية كهذه . فليت الله العظيم والمحبّ البشر الغنيّ بالرحمة والقدير بالأعمال ، يساعدنا نحن الضعفاء ، ويسحق الشيطان تحت أقدامنا ، ويُعطينا القدرة والفهم الروحي ، لكي نعيشَ بقيةَ زمان حياتنا في حقيقة الإيمان ، لنجد نعمة من الربّ في ذلك اليوم ، ويوم الدينونة العظيم الرهيب . لأنه به يليق التمجيد والقدرة والسلطان في كلّ الأجيال وإلى دهر الداهرين . آمين .

كنْ إذًا عاقلًا كالحيّة وديعًا وبلا عيب كالحمام ، فإنك تعيش بين ذئاب (متى ١٠:‏١٦) . افهم ما أقول لك أيها الحبيب . **لا تخفْ أن تموتَ من أَجل المسيح** . وإن هدّدوك بالشنق ، أو توعّدوك بالذبح ، أو رموك في جبّ أو في مجرى النهر أو في قاع البحر ، فلا تتخلَّ عن العفة والتعقّل بسبب الخوف من البشر ، الذي سيؤول بعد قليل إلى غبار . لا تزدرِ بالوصيّة الإلهيّة فإنه وإن لم يكن الديّانُ حاضرًا إلّا أنه لا أحد ينجو من يد الربّ الذي أنصف هابيل (تك ٤:‏١١) . إذًا إن كنتَ تعيش في دير أو في البرّية متوحّدًا ، لا تزدرِ بالطهارة والعفّة . لأن الربّ قال :

« **كونوا قدّيسين لأنّي أنا قدّوس** » (١ بطر ١:‏١٦) وكذلك قال : « كلّ من يواضع نفسه سيرتفع » (لو ١٤:‏١١) .

أمّا المتواضع فهو ذاك الذي يكرز بالفضيلة بأعماله (لا بالكلام فقط) . إن الذي يحفظ هذه الأمور بالأفعال ، سيكون متواضعًا في الحقيقة ، وبما يوافق مشيئة الربّ .

إني أريد أن أقول لك كلمتين عن هذه الفضيلة ، لكي تعرف شيئًا عن قدرتها بنعمة الله . فالمتواضع لا يمجّد نفسه باطلًا ، لا يتكبّر على أساس أنه يخدم الربّ ، وذلك بسبب مهابته له . المتواضع لا يُظهر مشيئته ، مجادلًا في ما هو حق ، بل يقتنع بالحق . المتواضع لا يغار من تقدّم قريبه ، ولا يفرح بهلاك الآخر ، بل على العكس يفرح مع الفرحين ويحزن مع الحزانى (رو ١٢:١٥) . لا يتواضع فقط عندما يكون في العوز والضيق ، ثم يتصرّف بكبرياء عندما يوجد في يسر ومجد وهناء . لكنه على الدوام يبقى ثابتًا في الفضيلة عينها . **المتواضع** لا يشي بأخ لآخر ممّا يشكّل عملًا شيطانيًا ، بل هو **صانع سلام** ، لا يقابل الشرَّ بالشرّ .

المتواضع لا يكرّم فقط من هم أعلى منه ، بل يكرّم الأدنى أيضًا . يطلب المتواضع التقوى بكلّ ما أوتي من قوّة . لا ينقاد المتواضع للغضب ، لا يُهين الآخرين ، ولا يصيح ، بل في كلّ حال يخشى لتقواه من أن يُخطئ (أم ١٤:٢٨) . لا يتصرّف المتواضع بشكل غير لائق وغير محتشم ، ولا يتكاسل ، وحتى لو دعي في منتصف الليل إلى عمل ما . لأنه دائمًا مستعدّ ليقدّمَ نفسه كمطيع لوصايا الله . لا يعرف المتواضع التكدُّرَ والغضبَ والاحتيال ، بل يخدم الربّ ببساطة وبراءة وفي قداسة وسلام وفرح روحيّ . لا يسكر المتواضع بالخمر ولا يواظب على الشراهة ، لأنه يخشى وصيّة الربّ . إن سمع المتواضع كلمة تحقير لا يتأفف ولا يتذمّر . لا يتضايق ان تلقّى اللطمة . لأنه تلميذ المسيح الذي صبر على الصليب (عب ١٢:٢) من أجل خلاصنا . المتواضع يُبغض محبّةَ الذات والأنانيّة . لذلك لا يسعى أن يكون أوّلًا . بل يعتبر نفسه في هذه الحياة كمسافر في سفينة . يحبّ سماع الأقوال الروحيّة ، ولا يُبعد فكره عن وصايا العليّ لأنه أنكر نفسه من أجل رجائه بربّنا يسوع المسيح . حقيقةً ، طوبى لهؤلاء المسيحيّين ، لأن الربّ سيقول لهم :

« لن أدعوكم عبيدًا في ما بعدُ بل أحبّاء (يو ١٥:١٥) وإخوة » به يليق المجد إلى الدهور . آمين .

النصيحة الثالثة

أمّا بشأن الأفكار التي في ذهنك والتي كلّمتني عنها، فإني لم أنسَها. فأنا أيضًا بنفسي أعاني من الأهواء عينها. وإني لا أُخفي عليك ضعفي. انه من الواجب علينا **أن نصلّي بلا انقطاع**، لكي يخلّصنا الربّ من هجوم الشياطين. فإنهم لا يثيرون الحزنَ فينا فقط عندما نكون في الهدوء والوحدة، بل هم يحاربوننا بضراوة أيضًا عندما نجتمع في بيت الربّ، ويحثّوننا على ملاحظة أجساد الرجال بنظرة دنيئة وقحة، يقود الشيطان خيالنا حتى إلى الفعل المشين بعينه، ويزرع في الخفاء أفكارًا دنيئة غيرَ لائقة لكي يحطّمَ صلاة الأخ، حتى لا ينتبه بفكر نقي إلى أسرار إلهنا ومخلّصنا الطاهرة.

إلّا أنَّ الامساك وضبطَ النفس **سيغلبان الشيطانَ بحفظ العينين وبالصلاة الذهنيّة**، بمعونة النعمة الإلهيّة.

يجب علينا إذًا أن نحرسَ قلبنا ومشاعرنا بكلّ الطرق الممكنة. لأننا ونحن قائمون في هذه الحياة، نواجه حربًا عظيمة وعدوّنا يحارب بضراوة وهَوَسٍ. لكن يجب علينا أَن لا نترك الجهاد بل على العكس، فلنغلب بجسدنا الأضاليلَ التي يأتي بها ولنجعلْه يفزر وينشقّ من شرّه، لأن الربّ يعرف كم يحاول الشيطان المجرّب أن يأتي بنعرات وعثرات مخيفة بواسطة الأفكار. فالله لا يرى كإنسان. لأن الإنسان يرى حسب الظاهر، في حين أن اللَّه ينظر إلى قلب الانسان (امل ١٦:٧). من المعروف أن عادةَ الملاكمين أن يتجنّبوا ضربات الخصم، أمّا الذي يتصالح مع الأهواء ويتقبّلها، فكيف إذًا له أن يحاربَها، طالما أنه جعل من نفسه عبدًا للذّات كلّها ويدفع الضريبة بحماسة وعن طيبة خاطر

للطاغية ؟ فإنه حيث توجد عداوة ، هناك توجد حرب . وحيث توجد حرب ، يوجد جهاد أيضًا . والجهاد بدوره يقود إلى الأكاليل . إن أراد أحدٌ بالفعل أن يتحرّر من العبوديّة المرّة ، فليعلنْ الحربَ على الشيطان . فينتصر كما انتصر القدّيسون في هذه الحرب واستحقّوا أن يتمتّعوا بالخيرات السماويّة .

إلّا أنه قد يأتينا أحدهم قائلًا : « إن كان حيث تُوجد عداوة ضدّ الأهواء ، فهناك توجد حربٌ بشكل طبيعي ، كيف نرى محبّي اللذة تحاربهم الأهواء الرديئة بفظاعة ولا يقبلون أن يتوبوا ؟ » لا أظن أيها الحبيب ، أن هذه الحرب هي من أجل الفضيلة ومقارعة الطاغية ، بل هي هوى وألم بسبب التعبّد للأهواء ومحبّة اللذة . لذلك فهم لا يختلفون عن العدوّ في القصد والعزم . لأن هؤلاء الذين يحاربون لا يمكن أن يكون في ما بينهم اتفاق أو اهتمام ودّي ، كما يقول غريبُ الجنس الفلسطيني لشاول : « أحضروا لي مقاتلًا لنتبارز ، فإن قتلني سنصبح عبيدًا لكم . أمّا إن قتلتُه أنا ، فستصبحون أنتم عبيدًا لنا » (امل ١٧:٨-٩) .

فبما أن هؤلاء قد أصبحوا عبيدًا لمشيئات العدوّ ولذّاته ، فكيف يمكن أن تُعتبر طريقة حياتهم حربًا ؟ أمّا كونهم يحارَبون فهم لا يحاربون لأنهم يطلبون الفضيلة ، بل لكونهم لا يدرون كيف يمكن لهم أن يتجاوبوا مع وفاقهم اللاشرعي مع الأهواء . لذلك فكلّ الذين يحوّلون اهتمامهم بجملته إلى أشياء رديئة كهذه ، يلقون بأنفسهم فيها . وعندما يريدون أن يرضى عليهم يقدّمون هدايا ويُعطون أجرة ، لكي يتمّموا مشيئةَ ذاك الذي أضلّهم . لهذا السبب بعد أن يطبّقوا فعلَ الشرّ ، لا يبقى لهم أيّ خلاف مع الشرّ أو إمساك عنه .

أمّا **حرب القدّيسين وجهادهم** فلا تكون هكذا . لأنه حين يحاربهم الشيطان ، يحاربونه هم بدورهم وعندما يُكوَوْن من الشهوة الجسديّة ، يلجأون إلى الامساك وعندما يحزنون ، يصبرون . وعندما تكون مادة التجربة حاضرة بذاتها أمامهم ، يتحوّلون عنها بداعي مخافتهم للربّ . أمّا أولئك فعلى

العكس، يحارَبون ليس لأنهم يفكّرون بما يضاد الطاغية، بل يعيدون دفعَ الضرائب المعتادة التي عليهم، ولكي لا يرفضوا خدمات الرغبات الرديئة، كونهم تعلّقوا بها. لأن الهوى الذي يُغلب منه المرء يُستعبد به (٢ بط ٢:١٩). أمّا إن حدث وأُسر أحدُ المجاهدين وسقط، فإنه ينهض بسرعة. لأن الذين سباهم البرابرة وجعلوهم عبيدًا لطغاة مضطهدين، لا يشعرون بالشكر والامتنان من عبودية أولئك الذين سبوهم بل فقط الذين يريدون أن يسرقوا ويقتلوا الذين يقابلونهم. فقط هؤلاء تتسلّط عليهم الأهواء، ويقيمون بفرح من دون حدود وتحفُّظات وسهر، ولهذا السبب يحارِبون من أجل البرابرة ويصيرون جواسيس وأعوانًا لهم ضدّ إخوتهم في البشريّة، بما أنهم قد ارتبطوا بعادة السوء. أمّا الذين يحزنون من السبي ومن إبادة مواطنيهم، ينوحون بسبب ضياع نفوسهم، فيتحرّقون للفرار، لأنهم لا يستطيعون أن يرتاحوا ويسرّوا من طريقة الحياة المخالفة للناموس، ويترقّبون الفرصةَ لاسترجاع تلك الحرّية التي كانوا يفرحون بها، ولا يقدّمون أيّةَ خدمة للأعداء. لهذا السبب حالما يتخلّصون من أيديهم، سيكونون مناهضين للأشرار وخصومًا لهم، بصيرورتهم مناضلين عن التقوى والفضيلة.

من أجل هذا، فالوقت الحالي هو وقت توبة. فكلّ من يرغب بالتخلّص من هذا الفكر وهذه الرداءة، وبالتحرّر من العبوديّة المرّة، عليه أن يتحرّر عن مشيئات الطاغية مُضْطهِدِه ويحاربه، بداعي محبّته للخالق. حينها يحصل بالفعل على خبرة من جرّاء جهاده في عمل الفضيلة، ساكبًا على الأرض أعراقَه عندما يقول للطاغي، ليس فقط بالشفاه بل من عمق استعداده القلبي:

«إعلم يا إبليسُ أنني لن أستمع لصوتك ولن أتعبّدَ لملذّاتك».

ويجب طبعًا في وقت الجهاد أن نتوجّه بالصلوات إلى الله مع هؤلاء القائلين: «إن الذين يتّكلون عليك لا يخزون والآن إنّا نتبعك بكل قلوبنا ونتّقيك ونبتغي وجهك فلا تُخزنا، بل عاملنا بحسب وداعتك وبحسب كثرة رحمتك.

أنقذنا بحسب عجائبك وأعطِ مجدًا لاسمك يا ربّ . وليخجل جميعُ الذين أروا عبيدك المساوئ وليخزوا عن كلّ اقتدارهم ولتتحطّم قوّتهم وليعلموا أنك أنت الربّ الإله وحدك المجيد على كلّ المسكونة » (دانيال ٣:١٧-٢١ التسبحة السابعة للفتية الثلاثة) . وإن اغتاظ الطاغية وجُنّ جنونه وأشعل أتّونَ الملذّات سبعةَ أضعاف ممّا كان ، فليتحلّ إذًا المتّكلون على الربّ بالشجاعة ، لأنه بعد قليل سيتحوّل الأتّون إلى رطوبة ، أمّا الطاغية الذي كانوا يخافونه سابقًا ، فسيرتعد هو نفسه من ظلّهم بسبب المعونة التي سينالونها من السماء .

فإذًا طوبى للذين يصونون القداسة بالتواضع والرأفة ، لأن أعضاء جسدهم ستتمتّع عميقًا بالسلام ، كما أن نفسهم ستُسرّ في وسط الفرح الذي يهبه الروح القدس . ولكن لا أحد عليه أن يترجّى أنه سيجد راحةً وأمانًا طالما أنه يُطيع مشيئات العدوّ . لأن الطاغية سيستعملهم كمسبّبين محوّلًا اهتمامهم إلى كلّ عمل مشين ، ومفسدًا أجسادَ البعض في أفعال صادوميّة (نسبة إلى صادوم وعمورة) ، ومدنّسًا إياها بقباحة . وحيث أنهم لم يعرفوا امرأةً ، يجعلهم يدّعون اقتناءهم الطهارةَ رغم كون جسدهم مدنّسًا بكليته . وبينما هم في هذه الحالة يجعلهم العدوّ يتفاخرون أنهم أحرار من الخطيئة ، مفعمًا قلبهم بالمرارة كعنب العلقم وعنقود مرارة (تث ٣٢:٣٢) .

يا لها من حرب رهيبة ! يا لها من حرب قاسية أو بكم من الطرق المتنوّعة يجعلنا صيّادُ النفوس المخيف نُغضب الربّ ! طوبى للذين لا يسقطون في أحابيله . وإن حدثْ وسقطوا ، يمزّقون فخاخه ويقفزون خارجًا عنها ويهربون بعيدًا عنه ، كالسمكة التي نجت من الشبكة . لأن السمكة الموجودة في المياه إن علقت بالشبكة ثمّ مزّقتها والتجأت إلى العمق ، تخلص . أمّا إن حدث أن جُرّت إلى اليابسة ، فلا يبقى بمقدورها مساعدة نفسها . هكذا يحصل معنا أيضًا . طالما نحن موجودون في هذه الحياة ، فعندنا قوّة من الله تمكننا من تحطيم أربطة مشيئات العدوّ بذواتنا ، وأن نلقي عن عاتقنا حملَ الخطايا الثقيل **بالتوبة** ، وأن

نخلص إلى ملكوت السموات . أمّا إن أدركَنا ذاك القضاءُ المحتوم ، **وخرجت النفس من الجسد** ، ووضعوا الجسد في القبر ، فلن تبقى لدينا القدرة على أن نساعد أنفسنا ، كالسمكة عندما تُسحب من المياه ويغلق عليها في الوعاء ، حيث تفقد القدرةَ على مساعدة نفسها .

فلنهتم إذًا أيها الأحبّاء بأن نتجنّب حبائلَ العدوّ بالأعمال الصالحة قبل أن يأتي ذلك اليوم العظيم ، الذي فيه سينكشف ما عملناه في الخفاء وفي الظلمة . فلا نؤجّلنّ أمرنا إذًا حتى لحظة مجيء الموت لكي لا نخجل ونخزى في قيامة الأموات . حين سيرتدي القدّيسون الحلّةَ البهيّة التي هيّأوها لأنفسهم بأعمالهم الصالحة ، فإن حدث حينها أن رأينا أنفسنا ليس فقط عارين من المجد اللامع المُبهر ولكن أيضًا مسوّدين ومفعمين نتانة ، فأي خزي يا ترى سيستحوذ علينا ؟ فلنفهم جيّدًا عمل الشهوة الرديئة لكي ننتصر باعتبار هذا أمرًا بسيطًا وعثرة صغيرة من أجل اقتناء التقوى ولا نظهرنّ عاجزين في أمر صغير كهذا .

عمل الخطيئة غرق مهلك فظيع . فلنجاهد إذًا لئلّا نسقط في خطر كبير كهذا . لأننا بسبب تهاوننا تتسلّط علينا الأهواء . طالما أننا نريد أن نعيش بلا أتعاب ، نبتكر تبريرات في غير أوانها . فيقول الواحد « منذ عمر الطفولة وأنا أقيم في دير ولهذا السبب فإنّ وقْعَ الأهواء عليّ كبير » ليسمع هذا الشخص أن كثيرًا من القدّيسين جاهدوا الجهادَ الحسن منذ شبابهم ، وهكذا تغلّبوا على الملذّات . وينبري آخر ويدّعي قائلًا : « إني قد بلغت عمرًا كبيرًا وأنا في العالم ، واختبرتُ شرورًا عديدة ، لهذا السبب تدفعني العادة إلى إشباع رغباتي وشهواتي » . ليسمع هذا أيضًا أن قدّيسين كثيرين عاشوا حياةً أسوأ من أردأ الخطأة ، وفي النهاية غيّروا حياتهم وتابوا وأصبحوا أناسًا فاضلين وهكذا أبهجوا الله بسيرتهم . لأنهم من كلّ أنفسهم أطاعوا داود القائل :

« لا تغرْ من الأشرار ولا تحسد عمّالَ الاثم فإنهم مثل الحشيش سريعًا

يُقطعون ومثل العشب سريعًا يذبلون » (مز ٣٦:١-٢) . يخدعنا الشرّير الخبيث فيحرّضنا على القيام بكلّ الأعمال المضرّة لكي يجعلنا نزدري بمخافة الله . أمّا نحن فلنتصدّ لسمّه بوسائل أقوى وبالاستعانة بنعمة ربّنا يسوع المسيح الذي به يليق المجد والسلطان إلى دهر الداهرين . آمين .

النصيحة الرابعة

قال أحد القدّيسين: « أدرس وتفكّر بالصالحات لئلّا تتفكّر بالسيّئات لأن الذهن لا يحتمل أن يبقى عاطلًا عن العمل » . إذًا فلنسلّم ذهننا لدراسة كلمات الله والصلاة والأفكار الصالحة. لأن دراسة الأمور الباطلة، والتفكير بها تولّد أعمالًا باطلة لا نفعَ منها. بينما الدراسة الصالحة تقدّم بالمقابل ثمارًا صالحة. لننتبه أيضًا إلى ما يلي: إن طغاة كثيرين قد استولوا على بلاد وقلاع، إلّا أن مجدهم زال بالكلّية، وكأنه لم يكن. كم من ملوك حكموا أممًا ونصبوا تماثيلَ وأعمدة تذكاريّة، ظانين أنهم بهذا سيخلّدون اسمهم بعد موتهم. إلّا أنّ آخرين أتوا بعدهم، كسّروا التماثيلَ وجعلوا من النُّصب حطامًا، وبعد أن قطعوا رؤوسَ أولئك، وضعوا تماثيل خاصة بهم (هذه كانت عادةَ الأباطرة الرومان). إلّا أن تماثيل هؤلاء الملوك سيهدمها آخرون أيضًا.

آخرون هيّأوا لأنفسهم قبورًا فخمة ذائعةَ الصيت، معتقدين أنّهم سيثبّتون أسماءهم أبديًّا. ثم نحتوا صورهم على القبر. إلّا أنه مع مجيء الجيل القادم صار القبر ملكًا لآخرين. وهؤلاء بطبيعة الحال، عندما أرادوا تنظيف القسم العلويّ من القبر، نقلوا العظام مثل الحجارة. فماذا أفادهم هذا الهرم أو الضريح الباهظ التكاليف؟

كلّ الأعمال الباطلة تؤول إذًا إلى لا شيء. أمّا الذين يقتنون غنًى يُسرّ به الله، وقد مجّدهم الله، فلا يبلغون هذه النهاية. لأن حياةً أبديّةً ومجدًا غير فاسد بانتظارهم. فإنه كما ان الشمسَ والقمر وجموعَ الكواكب المضيئة لم تفقد إشراق أنوارها حتى الآن ولا فقدت بريقها منذ زمن خلقها حتى الآن. ومثل كل

جيل من أجيال البشر تُجمع كقمح ناضج يحصدونه في الوقت المناسب، بينما نور الشمس والقمر والنجوم يبقى شابًا مشرقًا حيويًا، بسبب الناموس الذي وضعه الخالق، والذي حدّد به لها دورًا في سيادة النهار والليل (تك ١:١٦-١٧؛ مز ١٣٥:٧-٩).

هكذا حدّد للذين يحبّونه ملكوت السموات كمكافأة مع فرح غير فاسد وكما أنه في حالة الأجرام السماوية هو غير كاذب، هكذا هو أيضًا بخصوص الذين يحبّونه، صادق في الحقيقة. أمّا هذه الأجسام السماوية فستزول، عندما يشاء الخالق، غيرَ أن مجد القدّيسين لن يكون له نهاية. فلنهتم إذًا بصنع ثمار التوبة لئلا نُحرم ذلك الفرح ونُقاد إلى أرض الظلمة والقتام، إلى أرض العتمة الأبدية (١ يو ١٠:٢١). إذهب إن أردتَ إلى مخدعك واغلق الأبواب جيّدًا وأقفل النوافذ، واجلس في داخلها، فسترى بعينيك كم الظلمة مؤلمة ومغمّة رغم انك تجلس بلا عذابات وألم وبمقدورك أن تفتح وتخرج عندما تريد. أي حزن تظن إذًا أنك ستعاني هناك في الظلمة البرّانية، حيث النواح وصريف الأسنان؟ (متى ٨:١٢؛ لو ١٣:٢٨) أنظر في مداخن موقدك ثم ارفع ناظريك إلى مشارق الشمس وانظر الفرق وتجنّب أعمالَ الظلمة. **الشرّ ظلمة هو، بينما الفضيلة نور هي**. كلّ من يبحث عن الشرّ وينشغل به، يصبح مظلمًا. بينما الفضيلة تجعل الذين يمارسونها ويقتنوها منيرين مشرقين.

لا تظن أيها الحبيب أنك وحدك بين الآخرين الذي يتعرّض للضيقات والأحزان. فإن كلّ إنسان يعاني من الألم، وقلبه يتعرّض للأسى. وكما أنه من المستحيل على إنسان يعيش على الأرض، أن يتجنّب هذا الهواء، هكذا من المستحيل على الإنسان ألّا يعاني أحزانًا ويُجرّب بآلام، طالما هو موجود في هذه الحياة. وكلّ الذين يهتمّون بالأرضيّات، سيعانون أحزانًا منها، أمّا الذين يطلبون الروحيّات، فيتعبون في الروحيّات هؤلاء سيكونون مطوّبين لأن ثمرهم سيكون كثيرًا بنعمة الله. أصبر صبرًا كاملًا في العمل الذي دعاك الربّ إليه. اربط

المراسي والحبال بشكل جيّد لئلّا تُسحب سفينتك قليلًا قليلًا إلى وسط المحيط. حينها ستعلّمك الخبرة أيّة سكينة وأيّ هدوء كنت تقتني عندما كنت في وسط الميناء. فالعالم يشبه محيطًا والحياة النسكيّة الهادئة تشبه الميناء.

لا تحبّن التطواف والتجوال. بل فضّل بالأحرى أن تستعمل الصبر كوسيلة لتجنّب العثرات التي تدفعك إلى الابتعاد عن مكان النسك. دعني أقول لك هذا أيضًا: عندما نجول العالم كلّه ألا تنتظرنا قلّايتنا في النهاية إذا كنّا نريد أن نخلص؟ إذا كنّا لا نقيم في دير الشركة بصبر وتحمّل وان كنّا وحدنا لا نهدأ ونصفو، فأين سنجد إذًا ملجأً لنا؟ هذا يشبه من يقول إنه لا يحتمل حَدَّ الشمس ولا يطيق الظل. فحينها أين سنقف؟ أخاف أخيرًا أن يتقبّلنا أتّونُ الجحيم. فلنتحرّر إذًا من التضجّر ومحبّة الخمول والهرب من الألم.

إن كنّا مرتبطين بالله مخلّصنا، فلا نستحينّ بسلسلة آلامنا (٢ تيمو ١:١٨ و١٢) بل فلنحتملها بفرح، راجين مجيئه من السماء لكي يضمّنا إلى بلد القدّيسين. لأن كلَّ الذين أصبحوا شركاء في معاناته وآلامه، سيشاركون أيضًا في التعزية التي يهبها (٢ كور ١:٧).

فإن كان أحد ما يتضايق من تعب الشغل، فليفكّر كم من الناس في هذا العالم يعانون ويتألمون من أيديهم وأرجلهم، أناس أغنياء ذوو خدّام كثيرين، ومع هذا لا يجدون راحة وتعزية لا في الليل ولا في النهار. وبمعاناتهم هذه من الآلام يبدون وكأنهم مربطون بسلاسل ما وقيود. فلنقتنِ إذًا ألمًا طوعيًا وصبرًا إراديًا ذاتيًا صادرًا عن مخافة الله، ولا نتهاونّ بالصبر والتواضع والامساك والرأفة. ولا أقصد بالرأفة أن تتعاون مع قريبك لفعل الشرّ بل أن تساعد أخاك في الروحيّات حتى يقتني خشوعًا مع دموع. وإن لم توجد الدموع الظاهرة، ليبقَ على الأقلّ انسحاقُ القلب لأنه هناك أنواع متعددة للدموع. طوبى بالفعل لذاك الذي ينظر الربَّ في نفسه ويسكب تماجيده بنحيب أمام صلاح الله، لأن صلاته ستُستجاب.

سأعطيك أيضًا نصيحةً أخرى بالربّ، كونك انسانَ الله، انسانًا يريد أن يخلص. عندما تنهض من مائدة دسمة غنية، لا تطُفْ على القلالي بل أقِمْ بهدوء في قلّايتك الخاصة. لأن الشيطان قد أضلّ كثيرين بواسطة الخمر. لهذا إذًا، زيارتك لقلّاية أخرى، هي علامة فقدانك لمخافة الله وأن قلبك قد انحرف وضلّ. فإنه ستنشأ من مجالسات كهذه سقطات نفوس كثيرة وخاصة عندما لا تعمل عصا الرئيس ولا تُعاقِب. لأن الذين لا يريدون أن يلجموا عقلهم بالخوف الإلهي، هم بحاجة إلى الخوف من البشر لكي يتجنّبوا الأمورَ العديمة الفائدة، فيُجبرون بهذا الخوف البشري كالعبد الذي يفهم مشيئةَ سيّده فقط عندما يقسو عليه ويكون صارمًا معه.

انتبه إذًا لنفسك ولا تكن مستهترًا، لأنك عندما تدّعي الحكمة في ساعة شربك الخمر، لن تفيد أحدًا ولن تستفيد. ان كنتَ قد تعلّمت الكتابَ المقدّس كلّه عن ظهر قلب، انتبه لئلّا ترفعك أفكارك إلى الكبرياء. لأن كل الكتاب الملهم من الله يكرز بالتواضع ويعلّمه. أما الذي يرتأي أو يصنع عكس هذا التعليم فيجعلَ من نفسه متعدّيًا لهذا الحدّ. إن أزعجك روحُ الكبرياء أو محبة السلطة والغنى فلا تُجذب إليه بل اصمدْ بشجاعة، لكي تواجه الشرير والروح المضلّ. تأمل متفكّرًا في الأبنية القديمة العريقة والتماثيل والأنصبة العموديّة التي يأكلها الصدأ، وفكّر وانظر أين هم الذين صنعوا ما ذكرت وتفنّنوا بها، واهتمّ بأن ترضي الربّ لكي يحكم لك باستحقاق ملكوت السموات. لأن جميع الناس هم كالعشب وكل مجد البشر كزهر الحقل الذي لا يلبث أن يذبل (١ بطرس ١:٢٤؛ اش ٤٠:٦).

ماذا هناك أعظم وأكثر مجدًا من سلطان الملك، السلطان الذي رغب به البعض واقتنوه ولكن بسبب المشاكل والأفكار والصعوبات المرافقة له ازدروا بالمجد وصنعوا شرًا بأنفسهم كونهم فضّلوا الموت بدل الحياة، لأنهم لم يطلبوا معونة الله ولا حتى رجوا الخلاص الذي يمنحه هو. أمّا الذين يُحكم لهم بالتأهّل للملكوت

السموات ، فلن يعانوا أيًّا من هذه الاضطرابات والمشاكل لأنهم يعيشون في السماء مع الملائكة بسلام وفي حبور وسعادة بلا ألم ولا وجع ولا تنهّد ويسبّحون ويرفعون ويعظّمون ملكَ السماوات وربّ كلّ الأرض الذي به يليق التسبيح والمجد والعظمة إلى الدهور التي لا نهاية لها . آمين .

"الصِّدِّيقُ كالنَّخلةِ يُزهِرُ، وكالأرزِ الذي في لُبنانَ يَنمُو"

عشرة فصول حول الفضيلة

مقدّمة :

رأيتُ أيها العزيز أنه مما لا غنى عنه أن أدوّنَ هذه الرسالةَ هنا والرسائل التالية[1] حتى يتضرّع هذا الذي يقرأها إلى الرب من أجلي أنا الخاطئ المخزيّ من أعمالي ، وأن يَهبني غفرانَ الخطايا وهكذا أصنع ثمرًا حَسَنَ القبول لديه ؛ قبل أن يأتي قضاءُ الله المخوف الآمرُ بأن يأخذوا نفسي من جسدي ، وعندها سيتهشّم كلُ رداء بشريّ .

واحسرتاه حينها على ذاك الذي عاند الربَّ إلهنا ولم يتُبْ ، لأنه عندها سيطلب أن يجد الوقتَ الذي أضاعه بسبب التهاون ولن يجدْهُ .

دعنا نبكِ إذًا أمام الربّ الهنا لكي نجدَ الرّحمة منه . طالما لدينا وقتٌ ، دعنا نتحسّر على أنفسنا ونسترحم الرب .

إن جهادَنا لا يصير من أجل الأموال ، التي إن فقدها أحدٌ ما يقدر أن يكسَبَ بدلًا عنها من جديد . الخطر يكون على نفَسِنا التي ان خسرناها فلا نقدرُ من بعدُ أن نجدَها ثانية وفقًا لما قد كُتب : « لأنه ماذا سينفع الانسانُ لو ربح العالم كلّهُ وخسر نفسه ؟ أو ماذا سيُعطي الانسانُ فديةً عن نفسه ؟ لأن ابنَ الإنسان سيأتي بكل مجده وعندها سيجازي كلَّ واحد حسب أعماله »[2] . إذًا بما أنه يوجد مجازاة ولا يمكن لأي عمل من أعمالنا أن يمرَّ مخفيًا عن الله ، فلأي

---

(١) تمَّ تأليف المقالات « عشرة فصول حول الفضيلة » كما يبدو من مقدّمتها على الأرجح كملحق للرسالة التي أرسلها البار « إلى ناسك شاب » .

(٢) متى ١٦:٢٦-٢٧.

سبب إذًا لا نعمل الصلاحَ لكي يمنحنا صلاحَه بالمقابل؟ ولِمَ لا نتجنّب السوء لئلّا تتسلّط علينا الأسواء، كما كُتب: «تجنَّبي الظلمَ وعندها لن تخافي والرُّعبُ لن يقتربَ منكِ»(٣).

أخجل أن أتكلّم ولكن أيضًا لا أستطيع أن أصمتَ، عمّا يتعلّق بتهاوني وتهاون الكسالى مماثلي.

لأن جنودَ السلطة بحسب العالم وإن كانوا يأخذون هدايا مجّانية من الملك فإنهم يخاطرون للدفاع عنه برحابة صدر حتى الموت. فكم بالحري نحن الذين لنا مواعيدُ من الربّ كهذه، واجبٌ علينا ألَّا نهملَ عملَ البر، لكي نخلصَ من المحاكمة المستقبليّة.

دعنا لا نتعامل مع نفسنا كعدو، تلك التي يطلبها الله، دعنا نفكّر أنه إذا كنّا لا نستطيع احتمالَ لهيب الشمس واشتداد الحمى، فعندها كيف نستخفّ بنار الجحيم غيرِ المنطفئة؟

بل فليَقْتَدْنا الله وفقًا لمشيئته وليَسْتُرنا بيده القديرة إلى الدهور التي لا نهاية لها، آمين.

فصلٌ أوّل

● **فضيلة الرئيس:**

طوبى للمدينة التي يسودها ملوكٌ حسنو العبادة، وللسفينة التي يسوسها قوّاد مَهَرَة، وللشِرْكة (الدير) الذي يقوده رؤساء مُمسكون أعفّاء.

لكن واحسرتاه على المدينة التي يسودها الأشرارُ والسفينة التي يسوسُها عديمو

---

(٣) أش ١٤:٥٤.

الخبرة ، والديرِ الذي يقوده محبّو اللّذة .

هكذا بالطبع سيتسلّط البرابرةُ الأعداءُ على المدينة بسبب كُفر رؤسائها والسفينةُ ستصبحُ حُطامًا من جرّاء عدم خبرةِ سائسها ، والديرُ سوف يقفرُ بسبب فتور الذين يقودونه .

فصلٌ ثانٍ

● الطاعة :

لا يظهر ثباتُ إيمانك إذا كنتَ في طاعة الآباء الروحيين وهم يُلاطفونك وأنت تسمع كلماتِ الممالقة ، لكنّ الثباتَ يظهر عندما تمارسُ الصبرَ في تلك الساعة التي فيها يضربونك ويدفعونك !

ذلك أن الوحشَ أيضًا يستأنس ويهدأ عندما يلاطَف حسنًا . فلا تتمرّدْ إذًا على ذاك الذي يُربّيك ، طبعًا إن كنتَ تريد أن تصير « إناءً مختارًا »(٤) ، لكن اعرف تقدّمَ الطاعة من أجل الربّ والتواضع أيضًا ، لأنه لهذا الهدف تركتَ العالم ، طبعًا إن كُنتَ اخترتَ لنفسك هذه الطاعة بما أنك تعرف مجدها جيدًا .

يا أخي إن حياة القدّيسين تمجّدت وسُرَّت ضمنه هذه الطاعة ، لأن موسى عبدَ الربِّ وإن كان لم يتعلّم اعتقادات يثرون لكنه عمِل بالطاعة له وخدمَهُ كعبدٍ(٥) مع أنه عندما كانٓ في مصر تربّى كما وجب .

ويشوع بن نون بالطاعة اعتُبر مستحقًّا لعطيةٍ عظيمة جدًّا حتى أن يصيرَ خليفةَ موسى .(٦)

---

(٤) أع ٩:١٥.

(٥) خر ٣:١+١٨:٢٤.

(٦) تث ٣٤:٩.

وصموئيل عاملًا بالطاعة لعالي الكاهن أُهّل لسماع صوت الله.(٧)

وأليشع من أجل طاعته، تقبّل فروَةَ ونعمةَ معلّمه.(٨)

ولكنني لماذا أتكلّم عن أناس من نفس الطبيعة الضعيفة؟ كلمةُ اللهِ بالذات عندما صار إنسانًا عَبَر حياته بالتواضع والطاعة كما يعلّمنا الانجيلي لوقا قائلًا: «وكان طائعًا لهما».(٩)

والرسول بولس قال أيضًا: «واضَعَ نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب».(١٠)

ولكن في الحياة أيضًا الذين لا يريدون أن يحتملوا التربيةَ الحسنةَ من والديهم يتعرّضون لخطر كبير، لأن أكثريَّةَ هؤلاء الذين يعاقبهم وسط المدن الحكّام يتعذّبون لعدم طاعتهم وعصيانهم وعنادهم.

ومثل شابّات لا يُطِعْنَ النصائحَ الطيّبة، يخسرنَ عفّتهنّ حتى أنهنّ يصِرنَ عواهر في الساحات والشوارع ويُفضحنَ عارًا، لكن اللواتي يتعبْنَ في أشغالهنّ ويتكرّسن للهدوء والعفّة، فسوف يكرّمهنّ الناسُ ويمجّدهنّ الربُّ.

هل عملتَ بدايةَ النصيب الصالح؟ عندها ابقَ ثابتًا في اختيارك هذا لكي يمجّدك الرب في ملكوت السماوات مع الودعاء والمتواضعين.

---

(٧) ١ مل ٣.

(٨) ٤ مل ٢:١٣.

(٩) لو ٢:٥١.

(١٠) في ٢:٨.

فصلٌ ثالث

● الحكمة في المعاملة :

إذا وصل أخوك إلى منتصف عمل ما ، من دون أن يُنهيَه ، وحدثَ أن مرضَ وأخذ يتوسّلُ إليك أن تساعدَه في عمله ، تعهّده واهتمّ وكُدْ معه بكل تواضع .

لكن عندما يستعيدُ صحّتَهُ ، لا تتعلّقْ نفسُك بعمل أخيك ، فربما تُسبّب لنفسك الدينونةَ من الله والبشر .

لكن الفكرَ قد يقول لكَ : « قد صار تدبير بهذا أن ذاك مرضَ وأنا أتعهّدُ هذه المهمة » . لماذا لا تتخذ عندئذٍ الفكر الحسن الآخر والقائل : « قد صار هذا التدبير لكي تظهر من أنت ، بحسب إرادتك ، أأنت محبٌّ لأخيك أم لنفسك ؟ » ولكن بعد تماثلِهِ للشفاء إن توسّل إليك بحرارة ، تمسّك بعمله بضمير نقي ، ما دام يسمح بذلك الأبُ الرئيس لكي يكونَ لك شهادةٌ حسنة من الذين هم في الخارج .(١١)

لأن التقوى بحاجة إلى العدل ، فقد كُتب عن سمعان البار الذي تقبّل المخلص على ساعديه ، أنه كان بارًا وتقيًا .(١٢)

فصلٌ رابع

● عند التهاون :

دعنا نمتلك يا عزيزي قلبًا ثابتًا ، وذلك لأن التهاونَ يتعارض مع الفضيلة ،

---

(١١) ١ تيم ٣:٧.
(١٢) لو ٢:٢٥.

دعنا إذًا لا نُصغِّر نفوسَنا عندما يُصيبُنا تهاونٌ بسيط ، بل فلنجبرْ نفوسَنا كالمسافر الجَلود ، لأن مسافرًا كهذا عندما يحدث له وَهنٌ ما يُعارض مسيرةُ لا يتخلّى عن هدفه بسبب كِبَر المسافة ، بل يحثّ نفسه قائلًا : « أيضًا قليلًا وستصل إلى نزلٍ وسترتاح » .

والربُّ الناظرُ هذا الإجبار الذي يغصب به نفسه يُعطيه قوةً مخففًا الصعوبة ، لأن التهاون والبلادة يجلُبان الفقرَ ليسَ فقط في المواهب الروحية بل وفي الضرورات الجسديّة أيضًا .

فصلٌ خامس

● الحكمة في الحرب :

إذا ذهبْتَ قبل الجميع إلى خدمات الصلاة وبقيت حتى نهايتها ، في هذه الحالة أيضًا يجب أن لا يسببَ لك فكرك التعالي والتكبّر ، لأن الصُّناع أيضًا في أعمالهم يُبدون انسجامًا كبيرًا ويسهرون كثيرًا ، فليس المهم أن تُحضِرَ إلى الرب جسدَك فقط ، بل أن تركّز أفكارك بقلب متواضع .

لأن الترفّعَ يشبه عُشًا يحبُّ التنين(١٣) أن يقيم فيه ويقتل الذين يقتربون . وهكذا بالنسبة إلى هروب السّكير من الشُرب أو الهروب من معاشرة النساء وأعتقد أنه من غير الضروري أن أذكر لك ذلك كلّه بما أنك إنسانٌ يحبُّ الله ، فواضح للجميع أن هذه الأمورَ غريبةٌ عن الفضيلة ، هذا يعني إذًا أنه من المحتّم أن ينتبه الواحد منّا لهجومات الشياطين ليس فقط بالنسبة إلى هذه الناحية ، بل أن لا يتبادل مع الرجال الأحاديثَ بما يتعلّق باللّذة والنساء ، مما يقود النفس إلى الخراب ، لأننا لا نرفض اللقاءَ بالنساء كونهنَّ بحدّ ذاتهنّ شرّيرات ، بل لأنه من

(١٣) التنين هنا بمعنى الثعبان القديم ، الشيطان.

السّهل على العدو، بالتقاء ومعاشرة النساء، أن يهدمنا وأن يقودنا إلى معصية الوصيّة الإلهيّة.

يجب علينا إذًا أن ننتبه من كل هجومات الأرواح الشرّيرة، ممتلكين الشجاعة بقوة ومتسلّحين بأسلحة الروح القدس.

لأن ذاك الذي يغلق على العدو بوّابةً واحدة، ولكنه يفتح على نفسه بوّابتين ويعتقد بذلك أنه آمِنٌ، فهو يخدع نفسه.

انه من الضروري إذًا أن نؤمّن على أنفسنا من كل الجوانب ولا نعطي فرصةً لأولئك الذين يطلبون فرصة، لأن الله لا يُسخر منه(١٤) وانه لرهيب أن يقع أحدٌ بين يديّ الله الحيّ(١٥) الذي به يليق المجد والقدرة إلى الدهور. آمين.

فصلٌ سادس

● الطّاعةُ والإنفراد:

أحدُ الإخوة موجودٌ في طاعةِ الآباء الروحيين، اقترب إلى أخٍ آخرَ وقال له: «أريد أن أبتعدَ عن آبائي الروحيين وأن أنسُكَ هادئًا وحدي» لكن ذاك أجابه: «إنسان ما، كان عنده ابنٌ أخذهُ وأمّنَ عليه بين يديّ أحد الخبراء الفنّيين لكي يُعلّمهُ مهارةً أو صنعة ما، لكن الصبيُّ لم يكن منتبهًا في العمل، وبعد أيام جاء الشابُ إلى أبيه وقال له: أيها الأبُ خذني من معلّمي هذا، لأني أستطيع أن أتعلّم هذه الصنعة بشكل أفضل لوحدي. فأجابه أبوه: طالما أنه بتوجيهات وإرشادات الآخرين لم تتعلّم شيئًا فماذا تستطيع أن تعمل لوحدِكَ يا بنيّ، من دون أن تصيرَ تلميذًا أوّلًا وبدون أن تخضعَ للطاعة كما يجب؟ أراك يا بنيّ غيرَ

(١٤) غلا ٦:٧.
(١٥) عب ١٠:٣١.

مبالٍ بتعلّم صنعتك وأخاف أن أكونَ قد تعبتُ باطلًا من أجلك ، فتمسّكْ إذًا بعملك كما يليق ، أيها الابنُ ، لكي تصبحَ صانعًا ماهرًا وتقتني راحةً ويُسرًا في حياتك ، لأن أولئك الذين لم يتعلّموا أيّةَ صنعة يلاقيهم الموت »[١٦] .

هكذا نحن أيضًا أيها العزيز ، دعنا لا نسارعَ بإلقاء نير الطاعة في المسيح عنّا ، فربما يصدف أن هذا لا يُرضي الله ، ويحدث أن نسقط في تجربة الأفكار وأن لا نجدَ ذاك الذي سيساعدنا .

فإنه عندما غادرتْ هاجرُ أَمَةُ سارة وابتعدت عن سيّدتها ، وجدها ملاكٌ مُرسلٌ من الله وقال لها : « إرجعي إلى سيّدتك وتواضعي أمامها »[١٧] .

فهاجر هذه عملتْ كما قال الملاك ، وعندما حلَّ وقتها المناسب تُرِكَتْ حُرّةً بصحبة ابنها مع مؤونة ، حيث تاهت في الصحراء وأزمعت أن تموتَ من العطش مع إبنها اسماعيل لكن الله لم يتغافل عنها »[١٨] .

يجب علينا نحن أيضًا أن نصبر على الضيقات بطول الأناة وبالفكر القائل ، إننا نخدم الربَّ لا الناسَ .

عندما نوجد في الطاعة دعنا لا نقومنَّ بأعمال العصيان والتمرُّد لئلّا نعاني نحن أيضًا ممّا عاناه جيحزي خادم النبي أليشع[١٩] بمعاكسته للطاعة الفاضلة بل دعنا نؤدِّ الثمر الناضج ، لربنا يسوع المسيح الذي به يليق المجد والقدرة إلى الدهور آمين .

---

(١٦) أمث ٢٤: ٨.

(١٧) تك ١٦: ٦-٩.

(١٨) تك ٢١: ١٤+١٩.

(١٩) ٤ مل ٥: ٢٣+٢٧.

فصلٌ سابع

● الصداقة والقَسَم :

إذا اقترب إليك أحدُهم وقال لك بخفر : « نتعاهد في أن يكون بيننا محبّةٌ واتفاق في الرأي بحيث أنه إذا قلتُ لك شيئًا ما ، تسمعني بدون أيّ اعتراض » .

ولاحقًا بعد القَسَم أراد أن يستدرجَك إلى ارتكاب خطيئة ، فلا تمتثلنَّ له ، حتى ولو أحضر لك الإنجيلَ وانطرح أرضًا متضرّعًا إليك أن تنقضَ وصيّة الله . فلا تفضّلنَّ إرضاء وجهِ إنسان مُضرًّا بنفسك[٢٠] لأن الشيطان ، لا يعرف فقط أن يصنع هذا بل ويقدّم إثباتاتٍ من الكتاب ويتعلّل بعجزِ الجسد ويخترعَ أمورًا أخرى غيرها ، لدرجة أنه يجعل الإنسانَ ناقضًا لوصايا الله من أجل أن يقتني تباهيًا ما تجاهَهُ .

لكننا ونحن آخذون دروسًا من ممالقته وعبثِهِ ، دعنا نصيرُ أُناسًا محدّقين بثبات في الصلاح .

لأن أولئك[٢١] الذين يريدون أن يعملوا بمشيئتهم ، والأفضل أن أقول بمشيئة الشيطان الذي يعمل في داخلهم ، يُظهرون مداهنةً عظيمة وفنًا وصناعةً ، لئلّا يفشلوا في هدفهم ، فكم بالأحرى يجب أن يكون أولئك الذين اقتبلوا أن يعيشوا الحياة الروحية ، عاقلين ومنتبهين لئلّا يكون للشيطان أن يتباهى ضدّهم ؟

كان يجب إذًا ألّا تحلف إطلاقًا ، من أجل أن تصون وصيّةَ الإله مخلّصنا[٢٢] لكن الآن وان كُنتَ قد جُررتَ إلى الوعد الذي أعطيتهُ ، فلا تُبدِ استخفافًا لأنك قد وقفتَ في يديّ صانع المساوئ ، من أجل صديقك .

---

(٢٠) حك سي ٤:٢٢.
(٢١) أين حاشيتها؟؟
(٢٢) متى ٥:٣٤.

لا تُعطِ نومًا لعينيك ولا نعاسًا لأجفانك لكي تنجو كالأيّل البرّي من الفخ وكالعصفور من المصيدة[٢٣].

وعلاوةً على هذا لا تفقدْ شجاعتك ولا تضطرب، لأنه من الممكن إصلاح الأمر، إن كنتَ من الآن فصاعدًا تضعُ الربَّ أمام عينيك[٢٤].

إذًا انتبه لنفسك، لأنك لن تُدان بسبب قَسَمك الذي قطعْتَهُ إذا أبعدْتَ ذاتك عن الشر، بما أن السيد نفسه، الذي من محبّته للبشر اللانهائيّة قد كرز بالإنجيل في العالم، هو نفسهُ أعطى وصيّةً للبشر بأن يتوبوا[٢٥] وأن يهربوا من كل خطيئة[٢٦].

إنتبه إذًا، فربّما ونحن طالبون أن نُشبع لذّاتنا، نأتي بالقَسَم كعُذرٍ، لأنه من الوارد حينها أننا لن نستطيع فيما بعد أن نتخلّص من حبائل العدو. الله لا يُسخر منه (غلا ٦:٧).

فأولئك الذين يريدون أن يخلصوا، يبسط لهم يده ليخلّصهم. فابتعد إذًا عن الشرّ واصنع الخير (مز ٣٣:١٥) وحينها ستكون قد حقّقت كلامَ الكتاب انسجامًا مع داود النبي القائل: «أبعدتُ قدميّ عن كلّ طريق خبيث، لكي أحفظ وصاياك» (مز ١١٨:١٠١). لكن إن أردتَ أن أعلّمك أخيرًا أنك لم تكن مذنبًا من أجل الوعد الذي قطعته، طالما أنك تتجنّب الشرّ وتفعل الخير، وتبعد نفسك عن كلّ إنسان يعيش حياةً طائشة (٢ تسا ٣:٦)، فاسمع هذا المثل أو بالأحرى هذا الأنموذج:

إنسان ما كان عنده ابنٌ وكان هذا الإبن يكرّم أباه كثيرًا ويهتمّ بأن يتمّم كلَّ وصاياه. وكان يخدم أباه في كلّ شيء.

---

(٢٣) أم ٦:٣-٥.

(٢٤) مز ١٥:٨.

(٢٥) متى ٤:١٧.

(٢٦) أنظر يو ٥:١٤+٨:١١.

وشخص آخر وقد حرّكه الحسد بسبب تقدّم الشاب اقترب منه بخفر وقال له : « أعطني قسمًا باسم أبيك أنك ستفعل ما أقوله لك وأنك ستتمّمه بدون أية مجادلة » فالشاب متصرّفًا بقلّة فطنة أعطاه القسمَ باسم أبيه .

فيما بعد قال له ذاك الإنسان « اذهبْ واشتمْ أباك واضربه بلا شفقة ، ولا تبدِ فيما بعد خجلًا أمامه . وكل ما أعطاك من وصايا بأن لا تعمل كذا وكذا فاعملها . بما أنّك قد أعطيتني قسمًا ولا تقدر أن تتعدّى كل ما وعدتني به » .

وأنا أتساءل هل سيحتمل الإبن حماقةً كبيرة كهذه ، أو بالأحرى جحودًا كبيرًا كهذا ؟ ألن يزدري هذه المشورةَ الآثمة من هذا الإنسان وذلك من أجل حفظ طاعته لأبيه ؟

ألن يُجيب ذاك الإنسان قائلًا له : أرى أنك لستَ إنسانًا مخلصًا بل أنت عدوٌّ لأبي وإنسان يفكّر بالسوء لنفسي لذلك لن تخدعني كما خدعت الحيّة حوّاء بمكرها (٢ كور ١١:٣) ولن تُغلق عليّ في العصيان باحتيالك الخبيث هذا . إني واثقٌ بأن أبي لن يلومني من أجل أني لم أُصغِ لقلّة احترامك . إني أحتقر مشورَتك المخالفة الناموس من أجل الطاعة تجاه أبي وخلاص نفسي وأصمّ أذنيّ بعلامة الصليب لئلّا يدخلَ بالكلّية سمّ أقوالك إليّ . سأتجنّب أيضًا بشكل خاص مخالطتك بسبب مكرك . فالرسول أيضًا يوصينا أن نتجنّب بشكل خاص كلّ أخٍ يعيش حياةً بلا ترتيب (٢ تسا ٣:٦) بما أن الله لا يُعبد بأعمالٍ شرّيرة » .

إذًا لا يغرّنّك الناس الخطأة أيها العزيز لئلا تسخط أباك الذي في السموات . وتقوم بأعمال مخالفة لوصاياه . فلن تجد حجّة في يوم الدينونة . لأن مخالفة وصايا الإنجيل المقدّس تُسخط الله .

انتبه لنفسك متعلّمًا من النبي فحوى الكلام لأنه يقول :

« حلفتُ وعقدتُ عزمي على حفظ وصاياك وكل أحكام عدلك » (مز ١١٨:١٠٦) . وأيضًا يقول :

«أبغضتُ الإثمَ ومقتّه لكنني أحببتُ ناموسك» (مز ١١٨:١٦٣) وبهذه الطريقة ستتجنّب برحمة الله تجاربَ وشدائد كثيرة. لكن على ذاك سيأتي ما قد كُتب:

«يرتدّ عناؤه على رأسه ويسقط شرّه على هامته» (مز ٧:١٦).

من أجل هذا إذًا **اقتنِ المحبّةَ والصداقة** لا هذه التي تنشأ عن الاضطرار عبر القَسَم والممالقة وما إلى ذلك، مما هي ممنوعات بل تلك التي تكون **محبّةً منسجمة مع مشيئة الله** والتي نتمكّن منها عن طريق استعداد النفس الداخلي. لأنه في هذه لا يتوسّط أيّ إثم أو فعل اضطراري وسترافقك نعمةُ ربّنا يسوع المسيح الذي يليق به المجد والقدرة إلى الدهور آمين.

فصلٌ ثامن

● الهراطقة ومحبّو اللذّة:

أرفض أيها الأخ معاشرة الهراطقة ومحبّي اللذة، الذين لا يتبادلون حديثًا روحيًّا. فإن أقوالهم تجرّح القلوب كالنبال. رأيت بعضهم يحرّفون النفوسَ عن الصواب بأقوالهم. من المرجّح أن الكتابَ يلمّح إلى هؤلاء الناس ويسمّيهم: مرضى السيلان والبرص لأنه بالضبط كما أن المصابَ بالسيلان، وفقًا للناموس الموسويّ (لاو ١٥:٤ و٨) يدنّس المكانَ الذي يصدف أن يجلسَ أو يبصق فيه. هكذا هؤلاء أيضًا بالجريان الدّنس لنفوسهم الممتلئة أهواءً وما يعبّرون به من كلام يدنّس كلَّ من يتقبّلهم.

نعم قد يكون من الواجب أن نشبّه امتلاءَ نفوسهم بالأهواء كما قلنا مُسبقًا كذاك الذي يجلب حوله خطر اللمس بسبب البرص. وبالطبع كان لدى كل

مصف القدّيسين حزامٌ يطوّق الوسط بشدّة والذي يدلّ على ثبات طريقة الحياة، لأنهم حصلوا على سلاح الروح القدس وكانوا مسوّرين من كلّ جهة بقوّة الروح القدس، لكننا نرى أن أولئك الهراطقة ومحبّي اللذة مجرّدون من هذه الموهبة، بسبب تهاونهم وأن وسطهم غيرُ مزنّر بشدّة بالفكر المتّزن. بل كلّ أمورهم تسير بالخمول والترف إن كان ذلك في عاداتهم أو أقوالهم أم أعمالهم. إن المريضَ في إيمانه يقول بشكل طبيعي:

« بماذا يتضرّر أحدٌ ما إن كان يعاشر كلّ إنسان أكان مستقيمًا أم وخيمَ الرأي طالما نحن نسلك في طريق الإيمان الصحيح؟ ».

وأيضًا سيُضيف أولئك المنهمكون بلذّاتهم الجسديّة وبطونهم قائلين:

« ماذا سيضرّ أحدهم ان أكل وشرب أو سُرّ بلذّاته؟ إن السيّءَ هو الشهوة الجسديّة أو أن يشتهي أحدهم أغراضَ غيره أو أن يسرق » وعندما يثبتون ويحققون عملَ هذه يقولون:

« إنه بسبب الضرورة الماسّة قد فعلتُ هذا، لقد سرقتُ لكي أُشبعَ نفسي لأني جعتُ ».

ما هو الأقذر من هذا الكلام؟ وما الأقرف من هذا البرص؟ لهذا فالقول الكتابي لا يسمح بأن تبقى هذه الأفكارُ الكفريّة في مجمع النفوس المقدّسة، بالضبط كما لا يسمح الناموسُ الموسوي لأولئك الحاملين في جسدهم ضربات البرص، أن ينصبوا خيمةً ضمن محلّة الإسرائيليين (لاو ١٣:٤٦). لأنه فعلًا لقبيحٌ جدًا أن توجد الأفكارُ الدّنسة فيما بين الأفكار المنيرة والمقدّسة وحتى ان نسمحَ لها بالتغلغل فيها.

والله قاصدًا بشكل خاص خمولهم وقبحهم وتقلقلَ أعمالهم ووقاحة قصدهم وعجزَ دفاعهم عن أعمالهم يقول:

« والأبرص الذي فيه الضربة تكون ثيابه مشقوقةً ورأسه يكون مكشوفًا

ويغطي شاربيه وينادي : نجسٌ نجسٌ ، كلّ الأيّام التي تكون الضربة فيه يكون نجسًا ، إنه نجسٌ يقيم وحده ، خارج المحلّة يكون مقامُه » (لاو ١٣:٤٥-٤٦) .

من هؤلاء يأتي أولئك القائلون : « فلنأكل ولنشرب لأننا غدًا سنموت » (١ كور ١٥:٣٢، أشعيا ٢٢:١٣) . هذه الأقوال بالتحديد هي أقوال أناس قد ضلّوا بعيدًا عن الحقيقة بل أيضًا أناس مبتدعون بما يخصّ العقيدة أيضًا . لأن الهراطقة وهم طالبون أن يعرضوا ضلالهم ، يحاولون الإتيانَ بنصوص ومشاهد من الكتب المقدّسة لكي يُضلّوا قلوبَ أولئك المستجيبين لهم .

تكلّم أحدُ القدّيسين (هذا يُذكر في مؤلّف **للقدّيس إيريناوس أسقف ليون**) متوجّهًا إليهم بقصد مبين وقوّة ، معلّمًا هكذا وقائلًا : « هكذا هي تعاليمهم التي لا الأنبياء كرزوا بها ولا الربّ علّمها ولا الرسل سلّموها ، وهم يفتخرون بها في كلّ شيء . انهم يعرفونها أكثر من الباقين وهي مقروءة من الكتب غير المكتوبة وانسجامًا مع المثل القائل « جاهدينَ أن يصنعوا حبلًا من رمل » .

يحاولون أن يكيّفوا التعاليم الجديدة بالثقة وفقًا لأقوالهم المضلّة . أعني بها أمثالَ الربّ أو الكلمات النبويّة أو الأقوال الرسوليّة لئلا يظهر أن صناعتهم بدون شهادات وأنهم يفعلون هذا من مخالفة ما للترتيب أو الترابط الكتابي المقدّس أيضًا ، وبقدر ما يتعلّقون بهذه بقدر ما يَشلّون أعضاءَ الحقيقة .

من جهة أخرى يحرّفون ويُزوّرون الحقيقةَ أيضًا ، مصنّعين غيرَها من غيرها . ويخدعون أناسًا كثيرين بالصورة الخاطئة المؤلّفة من أقوال الرب المزوّرة . كما في صورة الملك التي قد صنعها فنّان ماهر وبطريقة مبدعة وبكلّ عناية بحجارة فسيفساء مختارة .

إن حصل وخرّب أحدهم الهيئة البشريّة الموجودة في هذه الصورة وحرّك هذه الحجارة وأعاد تجميعها مكوّنًا هيئةَ كلب أو ثعلب . لقد كوّنها كيفما اتفق

ومع ذلك يصرّح باستمرار ويقول : إن هذه الهيئة هي نفس تلك الصورة الرائعة للملك التي صنعها الفنّان الماهر . يعمل هذا مُظهرًا حجارة الفسيفساء التي بطريقة رائعة قد استعملت في صورة الملك من قبل الفنّان الأوّل . لكن بطريقة سيّئة حُوّلت ورُكّبت بصورة كلب من قبل الفنّان الثاني .

والمظهر الخارجي للحجارة خدع العديمي الخبرة الذين ليس لديهم فكرة عن الهيئة الملوكيّة وأقنعهم أن هذه الهيئة الشقيّة للثعلب هي نفسها تلك الصورة الجميلة لذاك الملك .

إذًا بنفس الطريقة هؤلاء أيضًا يجمعون بين الخرافات الملفّقة كهذر العجائز منتزعين عبارات وأمثال وكلمات من هنا وهناك . يطلبون أن يُغيّروا ويوفّقوا أقوالَ الله بحسب هذرهم » .

من أجل ذلك إذًا ونحن متعلّمون من هذا المثل كما يجب **دعنا نهرب من أقوال الهراطقة الرديئة** ومن مشابهة أولئك الذين يعيشون في التبذير ، ولو ظهر أنهم يوردون شواهدَ من الكتب المقدّسة . حتى إذا كنّا أصحّاء في الإيمان وفي العمل ، نؤدّي الثمارَ الناضجة لربّنا يسوع المسيح الذي به يليق المجد إلى الدهور . آمين .

فصلٌ تاسع

● معاني الإسكيم الرهباني

أيها الراهب المتواضع انتبه إلى سمعتك الرهبانية (الاسكيم) التي ترتديها وانظر كم يوجد من الفرق بينها وبين السمة الدنيويّة ، تبصّر في فكرك وافحص ما معناها : إنّها تشير إلى رفض العادات والأشياء العالمية وتُذكّر بالعمل الروحي .

فلا تكن غيرَ مبالٍ بالفضيلة . لكن بكلّ قوّتك اهتمّ بتقديسك . لأنه لهذا السبب قد خرجتَ من العالم . إذًا **اقتنِ الطهارةَ لكي يسكنَ فيك الروح القدس .**

اسمع أيها العزيز النصيحةَ البنّاءة التي تُقال لك من أجل الرب . ولا تزدرِ بها لكي تجدَ الأمانَ في داخلك . لا تُعطِ انتباهًا للرغبات القذرةِ والمحادثات الباطلة غير المفيدة ولا يسخرنّ أحدٌ منك بأقوال لا طائلَ لها . ولا تغارنّ من الشرور ولا تراقبنّ زلّات الآخرين . بل **اضبط نفسَك طاهرًا (١ تيمو ٥:٢٢) .**

وإن أخذتْ تتعالى في داخلك شعلةُ الخطيئة ، فأطفئها كليًّا بواسطة الدموع ، **دموع التوبة** ، لأن الربّ يخلّص كلَّ الذين يعودون إليه . هذا إذًا ما عليك أن تطلبه من الربّ من أجل نفسك ، لأن الربّ يحبّ أولئك الذين يعملون من أجله بقداسة .

إن الطهارةَ مصحوبةً بفكر قويم لهي مكسب جزيل الثمن

إن أحببتَ هذه الطهارة سيمجّدك الربُّ ويوفقك في كلّ الأمور . أيضًا اسمع هذا انتبه لئلّا يكون الخبيثُ قد أغلق لك عيونَ الذهن بأفكار باطلة لأن ذاك لن يساعدَك عندما تسلبك الشياطين الأشرار ، بما أنه ولا نفسه يستطيع أن يساعدها .

لأن واقع الحال أن جحيم النار قد أُعدّ له ولملائكته (متى ٢٥:٤١) بينما قد هُيِّء لك فرحُ الفردوس إن أبعدتَ ذاتك عن أعماله .

يفرح الشرير عندما تعيش أنت كما لا يليق لكنّه ينتحبُ عندما يراك تتقدّم بأعمال صالحة .

لا تحتقرنّ إذًا الفضيلة التي ذكرتها لكَ وذلك كونك تتعب قليلًا لإنجازها بل اقتنِ شجاعة لأنك بسرعة ستأكل من ثمارها . لكنكَ إن تجاهلتَ النصائح النافعة فانك ستقدّم عنها توبةً في النهاية عند فناء لحوم جسدك ، وستقول حينها :

« كيف كرهتُ التأديبَ ورذل قلبي التوبة ؟ وكيف لم أُصغِ لصوت مرشدي ومعلّمي ولم أدنِ أذنيّ إلى التعاليم ، قليلًا وأنا وصلتُ إلى كلّ شرّ أمام عيون الشعب المحتشد والجماعة » (أمثال ٥:١١-١٤) .

إذًا لا نهملنّ خلاصنا أيها العزيز ولا نغارنّ من أولئك العائشين في التبذير والكبرياء وبغنًى عن مخافة الله . لأن الخجل والعار في الحقيقة يُغشّي الذين يُبغضون الربّ . أيام حياتنا تجري ونهايتنا تقترب **فدعنا نبكِ أمام الرب** إلهنا قبل أن يُغلِقَ علينا في الظلمة الخارجية . كيف نطلب هذه الأيام بالدموع الكثيرة إذا كنا نسلك في وسط الأعمال الرديئة وبذلك لا نستفيدُ أبدًا ؟

هوذا الآن وقتٌ مقبول مناسب ، هوذا الآن يوم خلاص (٢ كور ٦:٢) طوبى للمنتبهين لأنهم سيتوّجون بالبهجة .

طوبى لمن يبكون الآن بقدر المستطاع لأنّهم سوف يُعزّون (متى ٥:٤ - لوقا ٦:٢١) . مع مختاري الله .

طوبى لمن يتعبون بالرب قدر المستطاع لأن لذّة الفردوس تنتظرهم . ليتنا جميعًا نحظى بهذه اللذّة بشفاعات كل الذين أرضوا ربّنا يسوع المسيح الذي به يليق المجد إلى دهر الدهور . آمين .

فصلٌ عاشر

● الحياة الروحية

أيّها العزيز **دعنا نسعَ وراء الحياة الروحيّة** بحيث يتآزر العملُ مع الإيمان ويوجد الإنسان هكذا كاملًا في كليهما . حينها نصبح مستعدّين للتكلّم لاهوتيًا . وعندما نتغلّب على الأهواء ونطرد عنّا بعيدًا كلّ ميل رديء في

اتجاه الأمور المعيشيّة ولا نحتفظ في فكرنا بأيّ تذكّر خاطئ، حينها بالفعل، **نعمةُ الروح القدس**، بعدما تجد راحةً فينا، ستحكّم وتُنير قلوبنا كقنديل مهيّأ ممتلئ من الزيت وطافح به، حاوٍ في وسطه النار التي ما إن تحتضن المادة التي تصادفها حتى تُشعل الفتيلَ ناشرة ضوءًا غزيرًا ومنيرةً الحاضرين.

ولكن إن تسلّطت الأهواءُ في داخلنا ونحن متمرّغون في وسطها ونحاول أن نفوز بالمراكز مبالغين في المخاطرة عندها نشبه القنديل الذي لا يحوي زيتًا ولا فتيلًا والذي لا يستطيع ولو قليلًا أن يحافظَ على الحرارة وقوّة النار. يجب إذًا قبل كلّ شيء أن نعتني باستعدادنا لكي نستقبلَ النور العقليّ حتى نصيرَ مستحقّين للمواهب الروحيّة.

دعنا نسعَ وراء الحياة الروحيّة بحيث يدور فكرنا في نطاق الروح القدس، يتقدّس وفي الوقت نفسه يتقدّس الجسد بشركة الروح. فلنطلبْ يوميًا من الربّ دموعَ تخشّعٍ حتى إنه ونحن باكون على خطايانا تُزهر نفوسنا من جرّاء ذبول الخطايا. فلا نهملنّ نفوسنا. دعنا ننقّب من حولها واضعين سمادًا لكي بعد أن تنتعش وتسخن تُنتج ثمرًا مفيدًا من أجل الربّ.

فلنقتنِ بدل المعول ذي الحدّين العهدَ القديم والعهد الجديد وبدل السماد حرارةَ الروح القدس. بهذه دعنا نزيّن أنفسنا ساقين إياها بالدموع بحيث تكون مفلوحةً ومسقيّة فتصنع ثمرَ البرّ لكي لا نتهامل ونقول في ساعة الإنفصال بخوف ورعدة كملك العماليق:

«ألهذا الحدّ مرٌّ هو الموت؟» (١ ملوك ١٥:٣٢).

وبما أن حزقيّا لم يتهاون بعمل الصلاح في زمن صحته، وجد التعزية من الله في زمن الضيق والموت. لأنه عندما أُعلم بواسطة النبي بحكم موته أدار وجهه إلى الحائط وصلّى إلى الربّ قائلًا:

«أذكرني يا ربّ لأني سرت أمامك بالأمانة وبقلب صادق وصنعت أمامك

ما هو مرضيّ لديك » (٤ ملوك ٢٠:٢-٣) . وقد بكى حزقيّا كثيرًا جدًّا .

فماذا فعل له الربّ المتحنّن؟ مباشرة في تلك اللحظة أرسل إليه جوابًا مع النبي قائلًا : « سمعت صوتَ صلاتك ورأيت دموعك وها قد أضفت لفترة حياتك خمسةَ عشر عامًا . وسأخلّصك من أيدي ملك الأشوريين » (٤ ملوك ٢٠:٥-٦) . وما إلى ذلك . . .

ترى كم هو أمر حسن **ألَّا نعيش في اللامبالاة** بل أن نضع دائمًا نصب أعيننا مخافة الربّ ؟ خوف عظيم ورهبة تنتظرنا ، فدعنا نهتمّ بأن نعملَ أعمالًا صالحةً لكي نملكَ الربّ مدافعًا عنّا في وقت الحاجة وفي الأحزان . لا تكن ناسيًا لما ذكرتُ أيها الحبيب انتبه لذاتك . احفظ نفسك كثيرًا جدًّا . لكي تجد الجوهرة التي تطلبها (متى ١٣:٤٦) . أحبب التقوى والإمساك من أجل أن تنتفع كثيرًا جدًّا .

إن بدأتَ تُبدي شيئًا من اللامبالاة عائشًا وسط المجون والسكر ، ستضمحلّ مع أولئك المستسلمين للذّات . وفي البداية ستبتعد عنك نعمةُ الله وفيما بعد سيحكم عليك من يرونك في هذه الحالة ، من دون أن تخجل . وفي النهاية أيّ عمل يدويّ لا يكفي ليغطّي مثل هذا الاسراف الكبير .

من هذه إذًا تخلق الملاهي والفضوليّات والإفتراءات والمظالم والترحال والممالقات تجاه الرؤساء وكلّ ما شابه ذلك . لهذا **فالتقوى والإمساك هما خيرٌ عظيم** . فإن الشراهة من جهّتها تدمّر ومن جهة أخرى الإمساك يبني . هذان يتضادّان كثيرًا فيما بينهما ولا يرتبط الواحد بالآخر .

إن أحببتَ **البرَّ والإمساك** بفكر صحيح ستسمُ من الجهات كلّها لأن البرّ يعلّم أن يبقى الواحد منّا وحيدًا ولا أن يضيّع وقته ماكثًا كثيرًا خارج قلّايته ولا أن يعاشرَ من ينصحون بالأعمال العديمة المنفعة ، بل يعيش في الهدوء . فلا بالثوب الزاهي ستهتم ولا تستهلك أثوابًا كثيرة .

وفيما أنت عائشٌ في **الإمساك** بشكل خاص اسعَ ألّا تنفق كثيرًا مكتفيًا بما تملك لأنه بثلاث قطع أو أربع أو خمس من الخبز الجاف وقليلًا من العدس أو الحبوب الأخرى أو الخضار ستغطي احتياجاتك . وبعد كلّ هذه سيكون لديك معونةَ الرب ومؤازرته الذي سينمّي قدرات نفسك بالرجاء الصالح .

لكن كلّ الذين ينجرّون وراء شهواتهم الدنسة ، يعيشون كلّ حياتهم بالإهتمامات وينسون حتى ذكر الله ، هذا الإهمال الذي لا يوجد أمر أكثر سوءًا ولا رهبة منه . لأنه **بالذكر المستمرّ للربّ تبتعد عن النفس الأهواء الرديئة** . تمامًا كفاعلي الإثم عندما يظهر الشرطي ، وتصبح عندها النفس مسكنًا طاهرًا للروح القدس . لكن حيثما لا يوجد ذكرُ الله فهناك تسود الظلمةُ والنتانة ويتمّم كلَّ عملٍ لا أخلاقي .

أفكّر أيضًا أن هناك يوجد درجات ما في الحياة الجسدانيّة كما في مسلك الفضيلة أيضًا . وأن الشرير مبتدعَ السوء الذي يفرح بهلاكنا جميعًا يُهيّء النفسَ لكي ترتضي الأشياءَ الجسدية جارًّا إيّاها قليلًا قليلًا نحو السفليّات ومدهورًا وطارحًا كل من لا ينتبه كفاية ، إلى أن يرميهم إلى قعر الجحيم . جاعلًا إيّاهم غرباءَ ومنفصلين عن ملكوت السموات .

لهذا السبب فالرسول كمن يحصي بعض الدرجات التي تقود إلى الهاوية يقول :

« إن الأعمالَ الجسدانية ظاهرة وهي الزنى والدعارة والفجور وعبادةُ الأوثان والسحر والعداوات والخصام والحسد والسخط والمنازعات والشقاق والتشيّع والحسد والسكر والبطر وما شابه » (**غلا ٥: ١٩-٢١**) ونهايتها يُظهِرُها الرسول متكلّمًا بقسوة وقائلًا :

« وأنبّهكم كما نبّهتكم من قبل ، ان الذين يعملون مثل هذه الأعمال لا يرثون ملكوت الله » (**غلا ٥: ٢١**) .

لهذا فإنه مما لا غنى عنه أن نرفع فكرنا كلّه إلى فوق وألّا نتركه يميل إلى أسفل إلى ما يستحقّ الدينونة .

ولكن إن حصل ورمانا العدوّ أسفل بواسطة إحدى هذه المساوئ ، فلننهض بسرعة لئلّا يستدرجنا إلى الأعمال الأخرى محدرًا إيّانا قليلًا قليلًا قائدًا إيانا من سقوط إلى آخر . وفي النهاية يلقينا في قعر الضياع واليأس . وإن قادنا العدوّ أيضًا إلى كلّ الممنوعات فلا نبقينّ فيها ولا نيأسنّ من أنفسنا ، لأنه من الممكن أن ننتصر على هذه الأمور كلها بالتوبة وأن نقف منتصبين في ميدان البرّ نفسه . فحينها إذ يرى الربّ تحولنا وتوبتنا الصادقة واشتهاءنا له نفسه فقط وبكل قلوبنا ، وعَمَلَنا بما يطيب له . فلن يتكلّم إلينا كعبيد بل سيقودنا كأصدقاء أصيلين إلى الفضائل الأكثر كمالًا وسموًّا قائلًا :

« أيها الصديق ارتفع إلى أعلى » (لو ١٤:١٠) .

فإنه في الارتقاء الجميل الذي يرفع نحو السموات الدرجات هي : الإيمان والرجاء والمحبّة وبقيّة ثمار الروح . وعندما نصبح مواطني أورشليم العليا ، سيفرح قلبنا ولن ينزع أيٌّ كان فرحنا منّا (يو ١٦:٢٢) .

أتمنّى أن يقودنا الربّ الإله الضابط الكلّ وسط مشيئته وأن يقينا بيده العزيزة .

لأنه غضب وهلاكٌ ينتظران الإنسانَ الذي لن يكون الربّ عونًا له . بما أنه لا يوجد معينٌ آخر غير الله الحيّ لأنه هو الربّ نفسه في السماء والأرض وكل ما شاء يصنع كما في السماء من فوق كذلك على الأرض أسفل (مز ١٣٤:٦) . وفي وسط البحر وفي العمق . ولن يوجد أحد ما يتصدّى لمشيئته . به يليق المجد والعظمة والجلال إلى دهر الدهور . آمين .

نصائح من أجل الحياة الروحيّة

إلى الراهب نيوفيتوس

(٩٦ مقطع)

١- مدحتُ إيمانك وغيرتك. ذلك أنك طلبتَ أن تُصغي إلى إنسان خاطئ الأمر الذي يفيد نذورَك الرهبانيّة. لقد أتيتَ إليّ أكثر من مرّتين فهذا دليل على فضيلة النفس. لكن من جهتي أرتبكُ في الإجابة بسبب أعمالي الرديئة غير المحتملة. على الرغم من ذلك تراجعتُ وأطعمتك طالما أنّ عندك مثل هذه الرغبة الشديدة لسماع كلمة حول مخافة الله.

الذين يهتمّون بالحياة الروحيّة يشعرون بالامتنان للكلمات التي تُروّض الإنسانَ على الفضيلة. أمّا الذين ينزعون إلى الحياة الباطلة فأولئك لا يحتملون سماعَ الأمور الروحيّة بل على العكس من ذلك يهزأون بها وينفرون من الذين يذكرونها. في حين نسمعهم يتكلّمون على الشهوات والملذّات دون أن يشبعوا بل على العكس من ذلك يحرمون أنفسَهم الأكلَ والنوم لكي يستمرّوا في الثرثرة.

٢- **أمّا أنت فثابر على العمل الروحي** حتى يظلَّ عندك ذكرُ الله وتهربَ

من الأقوال غيرِ النافعة لأنه من المستحيل أن توجد الرائحة الطيّبة مع الكريهة .

٣- كن دقيقًا في مسألة التنازل أو التساهل إن حدث وكنتَ في الطريق ، في المركب ، في القلّاية أم عشتَ مع أخ أكبر منك أم أصغر . لتكن أعمالك بحكمة وتمييز حتى لا تخسرَ جهاداتِك السابقة .

٤- تناول مآكلَ خفيفةً وضروريّةً حتى لا يتعلّق فكرك بالسكر والاهتمامات الدنيويّة (لوقا ٢١:٣٤) لأن الذين جذبهم مثلُ هذا الهوى لا يعتبرون الزنى زنًى ولا يختلفون عن الوثنيين بل يعملون كلَّ شيء بلا مخافة فيشبهون الخنازيرَ المتمرّغة في الحمأة . لا يذكرون الناموسَ والأنبياء ولا حتى الربَّ الذي صار إنسانًا لكي يقضيَ على الخطيئة الشنيعة . يتمسّكون بالأحرى بالتقوى الخارجيّة ويجاهدون في سبيل ذلك . لقد أظلم فكرهم بداعي إهمالهم وعدم مخافتهم لله . لا تشتهِ إذًا المآكلَ الدسمة والشربَ حتى لا تجعلَ فكرَك غيرَ قابل للمواهب الروحيّة .

٥- إن جادلت أخًا بسبب الأفكار وزلّ لسانك عمّا هو لائق فتعلّقتْ نفسك بالملذّات ، انتبه حينئذٍ ربّما حاولتَ أن تُخفي ذنبك باستخدام الضحك والهزء هاربًا من توبيخ قريبك . لن تُقنعه طبعًا بتصرّفك هكذا في حين تُسلّم نفسَك للشيطان اللعين . إذًا إلجأ بالأحرى إلى الصلاة والهدوء ، فتعود إليك نعمةُ الروح القدس فتتجنّب ضياعَ الفكر .

٦- ان ارتبطتَ براهب مبتدئ فلا تُظهر له عطفًا كبيرًا . بل اطلب العونَ من الخالق في حال عدم اهتمامه بنير المسيح حتى لا تجري وراءه . فإنه ينبغي علينا ، عند سقوط المركب في البحر ، أن لا نُهمل السفينةَ برمّتها .

٧- لتكن أعمالك بمعرفة الربّ . عندها لن تسقط في مكائد الشرّير . لأن هذا الأخير من عادته فعلُ الشرّ عن طريق الصلاح .

٨- إن حدث وطُرد أخٌ من الدير بسبب أذيّته للشركة الأخويّة ، لا تحاولْ

أن تُقنعَ الرئيسَ أباكَ الروحي من أجل إعادته . دعْ الأمرَ لمشيئة الله . ربّما لم يعِ الأخُ بعدُ جهالتَه فيؤذي الشركة من جديد . فإن شرارةً واحدة في الحصاد تَقضي على تعب السنة كلّه .

٩- ينبغي على كلّ واحد أن يساندَ قريبه واضعًا رجاءَه على الله . لكن الويل لمن يسانده الآخرون ولا يشعر ولا يعترف بالجميل .

١٠- من يسكن البرّيةَ يبتعد عن حروب ثلاثة : النظر ، السمع والثرثرة . أمّا الذي يسكن دَير شركة فيبتعد أيضًا عن ثلاثة : البيع ، الشراء وهجمة اللصوص . ينبغي إذًا على كلّ واحد أن يحفظ ضميره .

١١- إن تكلّمت مع شاب جميل الطلعة ، احرصْ على نظراتك لئلّا تقع في الهوى . تتكلّم بالشفتين وتجامل في نفسك مأخوذًا بالهوى . عند حدوث مثل ذلك اختصر الحديث والجأ إلى الصمت لأن الكتاب يقول : « سيق إلى الضلال من كثرة الكلام » (مثل ٧ : ٢١) . . .

١٢- كلّما قطع الواحدُ مشيئته كلّما أحرز تقدّمًا في حياته . أمّا إذا أصرّ الواحد على رأيه فيجلب الأذى لنفسه . لا تكن عبدًا لمشيئتك بل استسلم لمشيئة الله .

١٣- إن تهامل راهب في حياته وانحرف عن طريقه ، يدفعه العدوّ إلى الوقاحة حتى لا يتواضع ويقبل التوبيخ فيعود إلى الطريق القويم ويصطلح .

١٤- لا تملْ عن الطاعة في المسيح لأن ثمرها مضمون .

١٥- إن سقط واحد من النسّاك ولم يتخلّ عن محبّة الآخرين ، فلن يتركه الربّ بل سوف يمدّ له يدَ العون لينهضَ من جديد هذا لأنه لم يبتعد عن المحبّة . أمّا الذي يعتبر نفسه صالحاً ويتكبّر ويزدري ، فلن يثبتَ على حاله لأن الكراهية تظلم عينيه ولا يستطيع تاليًا أن يميّزَ طريقه .

١٦- إن وقفتَ في بيت الربّ كُنْ نشيطًا في الترتيل. إن صَمتَّ أنتَ، صَمتُّ أنا أيضًا وكذلك القريب. بهذه الطريقة يتوقّف التسبيح. لا تجعل الأمورَ تسير على هذا النحو. لأن الذين يُنشدون للملك على المسرح، إن وجدوا إنسانًا بقربهم لا يشترك معهم بنشاط في الإنشاد يُبعدونه معتبرين إيّاه غيرَ كفوء لمثل هذا المكان. لذلك علينا أن لا نمارس الترتيلَ بتهامل.

١٧- **الويل للظالم، الويل لمحبّ اللذّة، الويل للمتكبّر**(١) لأن الخبرة خبرة الحياة، ستبرهن لمثل هؤلاء، عند معاناتهم شدّةَ الحزن ورهبةَ الموت، أنه ليس من شيء أسمى من خوف الله.

١٨- أحبّ الرفقةَ الصالحة واجتنب الرديئة. فإن اللصَ والمضلّ ونابش القبور لم يولدوا هكذا بل اكتسبوا العادةَ السيئة من معاشرة من أفسدهم الشيطان. هذا لأن الله قد أبدع كلّ شيء حسنًا (تك ١:٣١).

١٩- لا يجذبنّك نعيمُ الرفاهية، والمآدب ومظهرُ اللحوم الشهيّة لئلّا تقع في أخطار وخطايا لا تقدر على التفلّت منها.

٢٠- اكتسبْ سيرةً فاضلة يواكبها إيمانٌ مستقيم فمن ذا الذي لا يطوّب مثلَ هذا الإنسان؟

٢١- عندما تخرج من قلّايتك لخدمة ما أو لمقابلة أناس، انتبه إلى نظراتك وركّز قلبك على فكر صالح وقلْ لنفسك: «هل خرجتُ كرسّام لأصوّر الناسَ وأحدّق في وجوههم؟». انتبه إذًا لنفسك. كيف يمكن أن تفكّر بالأمور غيرِ المنظورة وتتمتّع بذكر الله في اللحظة التي فيها ترتبط بالحسّيات؟

٢٢- لا تبحثْ مطوّلًا في شرور الآخرين حتى لا يتلطّخ فكرك الصافي.

٢٣- اسعَ وراء الصَمت. فهذا يبعدك عن التشتّت. تذكّر دائمًا شقاءَ الخطأة لئلّا تُحسب وقتًا ما من أتباعهم.

---

(١) الرذائل الكبرى الثلاث: السلطة، اللذة - التكبّر والبعض يضيف محبّة المال.

٢٤- ألم تدخل مرّة بيتًا حزينًا وترى ما في داخله من شدّة ونوح فتخرج منه سريعًا ؟ هكذا من خلال الوقتيّات تُعرف الباقيات . يقول سليمان الحكيم « أعطِ فرصة للحكيم فيصيرَ أحكم » (مثل ٩:٩) .

٢٥- إن جاءك بدون إرادة منك فكرُ الابتعاد عن مكان جهادكِ ، وزارك واحد يشاطرك الفكرَ نفسَه ويبرّره فلا ترضخْ لمشورته . لكن إن جاءك آخر يوبّخك على فكرك بشدّة ويحثّك على البقاء هذا فاتبعه لأنه أفضلُ من الأوّل كونه يهتمّ بخلاص نفسك .

٢٦- ٢٧- يولّد الحزنُ واليأس أفكارًا سلبيّة لدى النسّاك . عندما تتعلّق النفس بالأمور الأرضيّة ، تبتعد عن التأمّل بالخيرات السماوية المستقبلة . فتلتصق بالحسّيات مفتّشة عن التمتّع الناتج عن مثل هذه الأشياء ومستعبدةً للفساد والشرّ .

٢٨- الويل لي ماذا أفعل أنا الشقي ؟ إن ضعفي كبير . الوحدةُ تضغط عليّ وكذلك الفقر فتنحلّ قواي . لا أستطيع أن أشتغل وأخجل من الاستعطاء . أغترب عن ثروَتي . كان يمكن لي أن أعيش بارتياح لكنني سقطت في الشقاء . الذين كانوا يطوّبونني في السابق الآن يعيّرونني . الحزن يضغط على قلبي بداعي الكرب الذي يحيط بي . لا يوجد أحدٌ لإغاثتي . لا أحد يشاركني ألمي . لقد وقعت في ازدراء كبير . الواحد أصبح كاهنًا والآخر رئيسًا بينما بقيتُ أنا عاريًا من كلّ مجد ، مُزدرى به . لا أحد يرثي لي أنا الواقع في العوز والمرض . الواحد صار غنيًّا والآخر يُحسب كذلك . يأكلان مع الرؤساء في حين صِرتُ أنا بلا اعتبار أفتقر إلى الطعام اليومي . أولئك يخرجون من بيوتهم لابسين لباسًا برّاقًا في حين لا أملك اللباسَ الضروري . عندما يكمّلون أيّامهم في الخيرات ويغادرون هذه الحياة ، يُرتَّب لهم جنازةٌ فاخرة مع طيوب ويُدفنون في قبور جديدة فيُكتب عليها اسمُهم إلى الدهر . أمّا أنا عند موتي فلن تكون لي مثلُ هذه المراسيم بل يُضحي قبري قلّايتي لأنه لا زائر يزورني وعيناي ضعفتا من التحديق في باب

قلّايتي. لا أحد يقرعها وأنا حزين ولا معزٍّ. تمضي أيّامي هكذا في الحزن والشقاء[٢].

٢٩– قلْ لنفسك أيّها الانسان «إلى متى أنتِ حزينة يا نفسي، إلى متى تنزعجين؟ اعتمدي على الربّ». هكذا تبتعد عنك الأفكارُ السلبيّة. لقد وقعتَ في مثل هذه الشباك لأنك كنت تفكّر بالأرضيّات. **فكلّ إنسان**، إن كان في وضع رفيع أم وضيع، **إن عاش وفق مشيئة الله لن يُترك أبدًا وحده**. لكن عندما يرغب في الأرضيّات ويسعى وراء اللذّة هذه يُحرم من تعزية الصدّيقين.

٣٠– إن جاهدتَ في سبيل ذلك الفرح، لا تعطي مجالًا للأفكار السلبيّة التي تبعدك عن الله لأن الربّ قال وهو غير كاذب:

«كلّ من أضاع حياته من أجلي يجدها» (متى ١٠:٣٩) والرسول يقول: «لأنكم قد متّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أظهر المسيحُ حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضًا معه في المجد» (كولسي ٣:٣-٤).

٣١– لماذا إذًا تركض وراء الوقتيّات التي تعبر كمياه النهر؟ ماذا ينفع الدفنُ الفاخر والقبرُ الجديد والمدائح الباطلة للإنسان العائش في عدم الإيمان وعدم التقوى وهو في النهاية لن يجدَ راحة؟

٣٢– ماذا ينتفع ذاك الذي يسكن الغرفَ المزيّنةُ جدرانها بالذهب وهو يتعذّب من جرّاء أهوائه فتلذعه الحيّة وتأكل جسده؟ ماذا ينفع النفسَ المنفصلة عن الجسد عندما يكون الاهتمام بالجسديّات والمديح لا يأتي من الربّ؟ لا تعجب بالوقتيّات التي تذبل. أولئك يعاشرون الأغنياء أمّا أنت فتُكلّم الملكَ السماوي عن طريق الصلاة. تأكل جسد ابنه وتشرب دمه. ابتهج وتهلّل لأنه أهّلك لأن تصيرَ هيكله.

---

(٢) في هذا المقطع ٢٨ يعرض القدّيس الأفكارَ السيّئة التي تعتري أحدَ النسّاك ويقابلها في الفصول التالية ٢٩-٣٤ مجيبًا عنها.

٣٣- لا تحزن إذًا عندما تجد نفسك بلا اعتبار، **مريضًا**، متروكًا في **شيخوخة** عميقة أو في فقر لأن الذي يُطعم طيورَ السماء لن يتركك وحدك، دون أن يُظهر لك عنايته. أراك تقلق فربّما تزعجك صعوبة البصر.

لكن أعرف أن هذا ما عانى منه الصدّيقون. لذلك كان اسحق يقول ليعقوب عندما كان هذا الأخير يأخذ البركة «اقترب منّي حتى ألمسَك يا ولدي وأتأكّد أنك ابني عيسو» (تك ٢٧:٢١) مع ذلك كلّه **استنارت عيون ذهنهم لأنها كانت خاليةً من الشرّ**. أنت أيضًا طهّر عيونك من الشرّ ولا تهتمّ كثيرًا بالمرض الجسدي لأن الله يتدبّره.

«ملقين كلّ همّكم عليه لأنه هو يعتني بكم» (١ بطرس ٥:٧).

إن حُرمتَ من الضروريّات تفكّر بهيرودس كيف كان يعيش في الغنى والرفاهية بينما كان السابق أسيرًا في السجن كمجرم وعدوّ. لأن الربّ غير الكاذب قال: «**في العالم يكون لكم حزن والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يؤول إلى فرح**» (**يو ١٦:٢٠**).

٣٤- ربّما تقول: أمضيتُ عمري في الشقاء ولم يكن لي اعتبار عاريًا من المجد وبعد الموت لن يذكرني أحد. هذا الكلام كلّه لا معنى له وهو مرض النفس المُحبّةِ للمجد الباطل. كم من الذين اضطُهدوا قديمًا بداعي إيمانهم بالله مخلّصنا وبقوا حتى الآن مجهولين؟ هل الذين ماتوا في الجبال والمغاور وثقوب الأرض ولم يذكرهم الناس أضاع عملُهم وهلكوا؟ طبعًا لا. لأن أسماءَهم مكتوبةٌ في السماء (مز ١٣٨:١٦). تفكّر بما هو فوق لا بالأمور الأرضيّة (كولسي ٣:٢) لأن وطن الصدّيقين هو في السماء (في ٣:٢٠). لا تهرب من الأتعاب لأننا نحن الذين على الأرض نطوّب أولئك الذين وفق مشيئة الربّ تميّزوا بالأتعاب والصعوبات. إن كنتَ ترغب أنت في أن تكون وارثًا للصدّيقين فلا تزدرِ بالتواضع ولا تهربْ من العذاب بل واظب على الصبر لكي تفوز بالحياة الأبدية

بالفرح والمجد. لأن الرسولَ يقول: «فإني أحسبُ أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا» (رو ٨:١٨).

لا تدع العدوّ يخدعك في أي شيء. ثق أن كلَّ ما تعمل وتفكّر به لا يخفى على الله. إن شككت في معرفة الله للأحداث خذْ مثلَ النبي أليشع عندما نشبت الحرب بين ملوك اسرائيل وسوريا. عندها تشاور ملك سوريا مع ضبّاطه وقال: «في هذا المكان سوف أضع معسكري» فأرسل أليشع رسولًا إلى ملك اسرائيل قائلًا: «إنتبه ألَّا تمرّ بذلك المكان لأن السوريّين نازلون هناك ويكيدون لك فخًا». فأرسل ملك اسرائيل رجالًا إلى ذلك المكان وتحاشاه دائمًا. فاضطربت نفس ملك سوريا من هذا الحدث ودعا ضبّاطه وقال لهم «من الذي سلّمني إلى ملك اسرائيل». فقال واحد من الرجال «سيّدي الملك لم يسلّمك أحد بل إن أليشع النبي أخبر ملكَ اسرائيل ما تتكلّم به في غرفة نومك» (٤ مل ٦:٨-١٢).

إن لم يخفَ على النبي ما قيل في الخفية كيف يمكن لأي حدث أن يخفى عن معرفة الخالق؟ لذلك في الحقيقة أُعطيت لنا الوصيّة لنصلّي في الغرفة الأكثر عزلة كما قال ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح:

«أمّا أنت فإذا صلّيت فادخل حجرتك وأغلق عليك بابها وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفية وأبوك الذي في الخفية يجازيك» (متى ٦:٦).

لذلك لنُبعد عنّا كلّ فكر شرّير لئلّا نضلّ الطريق (عب ٢:١) لأن الجحيم نفسه عارٍ أمام الله ولا غطاء يستر موضعَ الهلاك. لا تتخلّ عن شجاعتك ولا تشك لأننا شئنا أم أبينا نحن أمام أعين الله. إفرحْ في الشدائد لأن الأكاليل تُحبك من أشواك متعدّدة والصدّيقون يعبرون شدائدَ كثيرة ليدخلوا إلى فرح ربّهم.

٣٥- لا ترغب في التسلّط على النفوس، خشية أن لا تكون بعد قد وصلتَ إلى اللاهوى وخوفًا من أن تؤذي نفسَك والذين يتبعونك. لكن إن

اضطرّوك بدون إرادة منك ، فاسعَ في أن لا تعمل مشيئاتك بل مشيئةَ الله الذي ائتمنك على الاهتمام بالخراف الناطقة . لأن الله يقول عن طريق النبي حزقيال :

« قال السيّدُ الربُّ للرعاة : **ويلٌ لرعاة اسرائيل الذين كانوا يرعون أنفسهم** . ألا يرعى الرعاةُ الغنم . تأكلون الشحمَ وتلبسون الصوفَ وتذبحون السمينَ ولا ترعَوْن الغنمَ . المريضُ لم تقوّوه والمجروحُ لم تعصبوه والمكسور لم تجبّروه والمطرودُ لم تستردّوه والضالُ لم تطلبوه بل بشدّة وبعنف تسلّطتم عليهم . فتشتّتت بلا راعٍ وصارت مأكلًا لجميع وحوش الحقل وتشتّتت ضلّت غنمي في كلّ الجبال وعلى كلّ تلٍّ عالٍ . وعلى كلّ وجه الأرض تشتّتتْ غنمي ولم يكن من يسأل أو يفتّش .

فلذلك أيها الرعاةُ اسمعوا كلامَ الربّ . حيّ أنا يقول السيّد الرب من حيث إن غنمي صارت غنيمة وصارت غنمي مأكلًا لكلّ وحش الحقل إذ لم يكن راعٍ ولا سأل رعاتي عن غنمي ورعى الرعاةُ أنفسهم ولم يرعوا غنمي . فلذلك أيها الرعاة اسمعوا كلامَ الرب . هكذا قال السيّد الربّ هأنذا على الرعاة وأطلب غنمي من يدهم وأكفّهم عن رعي الغنم ولا يرعى الرعاةُ أنفسهم بعدُ فأخلّص غنمي من أفواههم فلا تكون لهم مأكلًا » **(حزقيال ٣٤:٢-١٠)** .

٣٦- لنفكّر جيّدًا هكذا : كم من الخطر يعانيه ذاك الذي يواجه تلاميذه بازدراء وعدم اهتمام . على **الرئيس** إذًا أن يكون ذا معرفة واسعة ، ساهرًا على خلاص تلاميذه ، أن ينتبه على كلّ خطوة يخطونها ، كلّ حركة ، على لباسهم والأمور الأخرى غير اللائقة . أن يوبّخهم على ذلك إن اقتضى الأمر ويوجّه خطاهم نحو الأفضل . المعلّم لا ينقل فقط لتلميذه معلومات نظريةً بل يشرح له أيضًا كلّ الخطوات بدقّة وتمييز . هكذا فإن الرئيسَ عليه أن يعلّم الاخوة كلَّ ما يساهم في خلاصهم . كما عليه أن يحذّر الكسالى بتأديب الرّبّ الذي يحفظ هكذا خرافه الناطقة ، بفضل اهتمام الراعي ، من هجمات الذئاب .

٣٧- لا شيءَ يقود النفسَ إلى الخلاص ويخفّف من ثقل أتعابها أكثر من أن ترشدَها **عن طريق الأعمال** وفقًا لما جاء في الكتاب :

« **أنظروا إليّ وافعلوا كذلك** » (**قضاء ٧ : ١٧**) .

٣٨- علينا نحن أيضًا ، العارفين والمعلّمين ، أن لا نعصى الأوامرَ ونعترض بل أن نتصرّف بتواضع أمام الله والناس . إن حدث وكرز المعلّم بالفضيلة عن طريق الكلام دون تطبيقه فلا نعطِ مجالًا للعدوّ ليُفسدَ أنفسنا بل لنتذكّر الربَّ الذي قال :

على كرسي موسى جلس الكتبة والفرّيسيون . كلّ ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون » (متى ٢٣ : ٢-٣) .

٣٩- احفظ نفسك دائمًا حتى لا تُصبح عثرةً لقريبك خاشيًا تحذير الله :

« ويلٌ لمن يَسقي صاحبه مُسكرًا إيّاه ليزعزع فكره ويشوّهه » (حبقوق ٢ : ١٥) وأيضًا :

« قال السيّد الربّ هأنذا أحكم بين شاةٍ وشاةٍ بين كباش وتيوس أهو صغير عندكم أن ترعوا المرعى الجيّد وبقيّة مراعيكم تدوسونها بأرجلكم وأن تشربوا من المياه العميقة والبقيّةُ تكدّرونها بأقدامكم . وغنمي ترعى من دوسِ أقدامكم وتشرب من كدر أرجلكم .

لذلك هكذا قال السيّد الربّ لهم : « هأنذا أحكم بين الشاة السمينة والشاة الهزيلة . لأنكم دفعتم بالجنب والكتف ونطحتم المريضة بقرونكم حتى شتّتموها إلى خارج » . (**حزقيال ٣٤ : ١٧-٢١**) .

فلا نكن إذًا محبّين لأنفسنا فإنه من الأنانية تنبت الفروع التي هي الشرور . المحبّة تقضي على الأنانية لأنها تجذب الكلَّ إلى الوفاق والتواصل المتبادل بينهم .

المحبّة كسبٌ عظيم وجزيل الثمن . فجاهد لاكتسابها . إذا كنا نسعى من أجل خلاصنا فعلينا أن نهتمّ بأعضاء الجسد الواحد فنصبح لقريبنا مثالًا في الإيمان والمحبّة والصبر والطهارة والطاعة والتواضع ومخافة الله . دون أن نسير وراء شهوات مشيئاتنا بل نجاهد وسط أتعاب روحيّة ، لأن التنعّم والراحة يناقضان العيشَ بالفضيلة .

٤٠ – لنسرْ في الطريق الضيّق محبّين انسحاقَ القلب حتى يبقى لدينا **ذكرُ الموت** وننجو من الهلاك لأن الربّ يقول : « الويل للضاحكين لأنهم سيبكون وينوحون (لوقا ٦:٢٥) ، طوبى للباكين الآن لأنهم سيُعزّون » (متى ٥:٤) . لننحنِ قليلًا أمام أحد القبور ونعاين أسرارَ الطبيعة البشريّة : التابوت المحتوي عظامًا ممتزجة بالتراب ، الجمجمة العارية من اللحم والعظام الأخرى . عندما نفحص كلّ ذلك نرى فيها أنفسَنا . أين جمال زهرة الشباب ، أين الوجه الجميل المظهر ؟ عندما نفكّر بكلّ ذلك لنهربْ من الشهوات الجسديّة حتى لا نخزى في يوم قيامة الأموات . اذكروني أنا أيضًا أنا الضعيفَ في الإيمان في صلواتكم ، دون أن تُهملوا أنفسكم ، حتى يذكرني الربُّ الإله أنا الدودةَ المنتن ، فينجّيني من العذابات المهيّأة للخطأة ويؤهّلني لنعيم الفردوس لأن صلاحه وعدله ورأفاته ترافق كلَّ أعماله آمين .

٤١ – روى أحدُ الاخوة حادثةً سمعها من أخ آخر :

« وُجد إنسان في إحدى المدن وكان لهذا خادمٌ أجير ائتمنه على كلّ أمواله . جاء إلى هذا الأخير فكرُ الانصراف إلى الحياة الرهبانية . فعمل سيّدُه كلَّ شيء ليُثنيه عن هدفه هذا لأنه كان يدبّر أعمالَه حسنًا ، لكنه لم ينجح . ترك الشابُ العالم والتحق بدير شركة رهبانية . لكن بعد قليل من الوقت أتته تجربةُ الرجوع إلى العالم . فترك قلّايته ليعود إلى سيّده ويزوره . فتقبّله هذا الأخير مرّة ومرّتين . في المرّة الثالثة كشف الشابُ عمّا يجول في داخله قائلًا : لا أعود

أحتمل نيرَ الحياة الرهبانية . أرجوك يا سيّدي أن تقبلني عندك من جديد . فأدبّر أعمالك أكثر من قبلُ . وقد سمعتُ أنك مزمعٌ أن تعطيني ابنتك زوجةً لي . فأجابه السيّدُ إن كنتَ لم تستطع أن تحفظ ضميرك أمام الله فكيف تستطيع أن تحفظه أمامي ؟ تقبّل الشابُ الصفعةَ هذه عن طريق كلمات السيّد ورجع إلى قلّايته » .

لذلك لا نخسرنّ شجاعتنا الأولى صابرين على الأتعاب لأنه مكتوب « كلّ من زرع بالدموع حصد بالفرح » (مز ١٢٥:٥) .

٤٢- كن بريئًا لتتقبّل وصايا الله . وكن ذكيًا حكيمًا لكي تُبعدَ عنك مكائدَ الشرّير .

٤٣- إقطع عنك بحكمة اللقاءات المؤذيةَ ليجد إنسانك الداخلي الراحة .

٤٤- لا تكن مرائيًا قاسيًا في نواياك حتى لا تقع في حين أنك تظنّ نفسك واقفًا .

٤٥- اجتهد في اكتساب اللاغضب حتى لا تسكر بدون خمر وتتزعزع من ثقل الشرّ والغضب .

٤٦- لا تكن محبًا للّذة والكراهية حتى لا يجدّف على الربّ بسببك .

٤٧- لا ترافقْ الممثّلين في المسارح حتى لا تُفسد أفكارك لأن حديثهم يؤذي كثيرًا .

٤٨- أهرب من مشوراة الناس الأشرار لأنهم عبيد للشراهة والأهواء الجسديّة .

٤٩- لا يستطيع الزاني أن يُحبّ رافضَ الزنى ولا السارقُ أن يهضم من يكره الظلم . كل واحد يحبّ شبيهه ويتبعه .

٥٠- إنتبه ألّا تسقيك اللذّة حلاوةً حتى لا تذوق المرَّ من عذاباتها .

٥١- **تهيَّأ كلّ يوم لخروجك من الحياة** وللرحلة الأبدية . لأن الأمرَ الرهيبَ يأتي في ساعة لا تنتظرها والويل لغير المستعدّ .

التخشّع حسنٌ لمداواة النفوس البشريّة .

٥٢- الانسانُ الذي يبكي لا يُخطئ أبدًا . والإنسان المتخشّع المتواضع لا يفكّر بالشرّ . يأتي البكاءُ من التخشّع ووسط البكاء ابتعاد عن الشرور .

٥٣- اسعَ لكي تجدَ سبيلَ التغلّب على اللذّات . **هذا ينفعك في عملك** .

٥٤- السبيل الأوّل لإبعاد اللذّات هو **الصلاة المستمرّة الواعية** . ثم ضبط الفكر والحفاظ عليه نقيًّا . أن لا نتفوّه بكلام غيرِ لائق لأن الربَّ حاكم عادل . نباهةُ الفكر وذكر الدينونة العادلة يُعدان الشهوة الداخليّة ويضعفانها ، فتبقى النفسُ هادئةً .

٥٥- اصبرْ في ديرك مقاومًا التهامل . **لأن أهواءك لن تتغيّر مع المكان** بل مع نباهةِ الذهن . **نحن بحاجة إلى الصبر** حتى إذا عملنا مشيئةَ الله تتحقّق وعوده (عب ١٠:٣٦) . الذي يتنقّل مرافقًا بالضجر يبتعد عن الصبر كالمريض البعيد عن الصحّة . الفضيلةُ لا تظهر في وسط الضجر بل في وسط الصبر . كلّما جدّد الانسان صبره كلّما درس ذهنُه الخيرات المنتظرة يتغذّى الذهنُ من هناك ويتقوّى كما يأخذ الجسد قوّةً من الطعام . لكن عندما يخسر الذهن نورَ النعمة يُصبح فقيرًا وبلا قوّة . عندما تنزع عنك الارتباطَ بالشهوات المادية يفكّر ذهنك بالإلهيّات ولا تحتاج إلى التنقّل من مكان إلى آخر وتقطع أعمالك بغير سبب هام وبركةَ الرؤساء لأن ملكوت السماوات في داخلك (لوقا ١٧:٢١) .

٥٦- في المكان الذي تسكن فيه احفظ نفسك حتى لا تثقّل على الآخرين بل كن بلا عيب حتى تتقدّم في الربّ . إن كنتَ تزدري بالآخرين فاحذر من الأعمال الشرّيرة التي تقود إلى الهلاك .

٥٧- علامة الكمال في أن يفرحَ الواحدُ لتقدّم قريبه. وعلامةُ النيّة السيّئة أن يحزنَ الواحد لتقدّم رفيقه.

٥٨- لماذا تنزعج لتقدّم الآخر؟ هل تعتقد أنك تخلص بفشله أو تدخل الملكوت عندما يكون الكلّ خارجًا؟ هل هُيّء فرحُ الفردوس والملكوت لك فقط؟ ألهذا السبب تنزعج؟ هل تنبذ الأعمالَ الصالحة والسلوك اللائق بالله بالكراهية وقساوة القلب؟ فلا يخدعنّك أحدٌ لا إنسان ولا شيطان ولا فكرٌ مخفي في القلب. لأنه من المستحيل أن يصل الواحدُ إلى كمالِ الفضيلة بدون محبّة. لأنّه: «إن كان لي كلُّ علم وكلّ إيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لي محبّة فلست شيئًا». (١ كور ١٣:٢). فأجد نفسي بعيدًا عن الطريق المؤدّي إلى المساكن السماويّة.

لذلك نحتاج إلى دموع كثيرة حتى نتحرّر من قيود الكراهية والحسد والتكبّر وكلّ شرّ شيطاني. لأن الذي ينزعج من شجاعة المتقدّم في الفضيلة، هذا تقوده الإرادة الشيطانيّة. لأن كراهية الشياطين تجعلهم يتمنّون هلاكَ الجميع. أمّا القدّيسون المتشبّهون بالرب سيّدِهم فهم يطلبون خلاصَ الناس كلّهم ومعرفتهم للحق. لأنهم عندما أدركوا المحبّة أحبّوا قريبهم كنفسهم (متى ٢٢:٣٩).

٥٩- إن كنت صوّامًا فلا تتكبّر من أجل صومك بل توسّل إلى الربّ بتواضع حتى يحفظك إلى النهاية. لأنه في كثير من الأحيان لحظة واحدة كانت كافية لهجمة الوحوش البرّية للقضاء على الكرم وثماره بسبب تهامل الحارس.

٦٠- إن كنت غنيًا فلا تتكبّر من أجل ذلك. لأنك لم تتحرّر بعد من المخاطر والهجمات. ولأن التمتّع بالغنى غيرُ مضمون بسبب التحوّل السريع غير المتوقّع كما هو مكتوب: «قد رأيتُ عبيدًا على الخيل ورؤساءَ ماشين على الأرض كالعبيد» (الجامعة ١٠:٧).

٦١- ان كنت تشعر بالنشاط المتزايد فيك فلا تفتخر بسبب قوّة جسدك،

بل بالأحرى تفكّر بما يتعرّض له هذا الجسد. الذين يعانون من أمراض لا شفاء لها، المقطوعة أعضاءُ جسدهم، المحاربون من الأرواح النجسة، هؤلاء كلّهم لم يولدوا من بطن أمّهم هكذا بل غالبًا ما وُجدوا في هذه الحالة بصورة مفاجئة. هناك من كان أمس في زهرة شبابه ثم ذبل معذّبًا من أمراض صعبة. إنتبه إذًا لنفسك ربّما توجد بعد قليل في مثل هذه الحالة لأن لك الطبيعة البشريّة نفسها.

عندما نشاهد عند الآخرين مثلَ هذه الأمور البشعة لنرَ من خلالها أنفسَنا كما في مرآة، لأننا لا نعرف ماذا يأتي بنا النهار الآتي (أم ٢٧:١) فإن الجسد مليء بالحزن الكثير والآلام. إذ نعرف ضعفَ طبيعتنا فلا نكن متعجرفين وبلا شفقة بل نسترحم عن طريق الصلاة خالقَنا القادرَ على السماح بالألم والشفاء منه وعلى أن ينزلنا إلى الجحيم ويُصعدنا منه (طوبيا ١٣:٢). ربّما كان جسدنا قويًّا لبرهة لكننا لا نعلم ماذا يأتي بنا الغد.

٦٢- لا تتكبّرن على الذي أخطأ ولا تجرّن أحدًا إلى الخطأ لأن الأمرين مؤذيان وخطران. إن أردتَ أن تكون نافعًا كن للاثنين مثالًا عن طريق الأعمال الصالحة، ساكبًا دموعًا كثيرة أمام الربّ بحيث ينشل الربّ ذاك الذي سقط ولا يدع القائم يقع هو أيضًا في الخطيئة. القاضي واحد يستطيع أن يُخلّص أو أن يُهلك (يع ٤:١٢).

٦٣- لا تزعج النسّاك في تسبيحهم للربّ مدفوعًا بتعالي أفكارك حتى لا يقع عليك التأديب الإلهي. لأن الخطيئة أمام الله لرهيبة ولا تُغفر...

٦٤- عندما تكون شابًا مارس الصمت والعمل. لأن هذا الأخير يجعلك غيرَ مثقّل على الآخرين. **الصمت أيضًا يحفظ ضياءَ النفس غيرَ منطفئ ولا يدع الشرّ يُظلم نوره.**

٦٥- ليرافقك التواضع أنّى ذهبتَ ومهما فعلتَ. لأنه كما أن الجسد يحتاج إلى اللباس في الحرّ وفي البرد، كذلك النفس تحتاج بصورة مستمرّة إلى لباس

التواضع. التواضع مكسبٌ ثمين يعرفه الذين اقتنوه. **الأفضل لك أن تمشي عريانًا على أن تتعرّى من هذه الفضيلة**. فإن الذين يحبّونه يحفظهم الربّ من كلّ وقيعة.

٦٦- كما لا يستطيع المسافرون في البحر أن يبقوا باستمرار في المركب وكما يضطر نازل الفندق إلى مغادرته وقتًا ما، كذلك نحن ملزمون بمغادرة هذه الحياة العابرة. لذلك نسمّي أولئك مسافرين ونحن أيضًا مسافرون غرباء (١ بطرس ٢:١١). إن كنّا نلاحظ ذلك بانتباه **نتهيأ على الدوام للرحيل من هذه الحياة**.

٦٧- عندما ترى نفسك مليئًا بالفضائل وقد وصلتَ إلى القمة، عندها تحتاج إلى تواضع كثير حتى إذا بقي الأساسُ غيرَ متزعزع تظلّ البنايةُ ثابتة هي أيضًا. فيكون ثمرك كبير جدًا.

٦٨- كلّ من حفر حفرةً لأخيه وقع فيها. والذي ينصب فخًا لمعلّمه هو إنسان جاحدٌ لا يتبع الوصايا الإلهيّة. لذلك يُدان مع يهوذا الذي سلّم معلّمه إلى الأثمة.

٦٩- اللباس والشعر لا يجعلان الإنسانَ علمانيًا، بل تصرّفه وممارسته للملذّات الدنيويّة. بهذه الأخيرة تتدنّس النفس.

٧٠- الاسكيم وحده لا يُعطي الراهبَ قيمته بل رغبته في السماويّات وسيرته المرضية لله لأن الفضيلة تظهر من خلال هذه الأخيرة.

٧١- لا تعتبر نفسَك ذا أهمية لأن التجربة عندما تأتي تغلب حتى الذين يعتقدون أنفسَهم ثابتين.

٧٢- أعتقد أنك لا تعرف نفسك جيّدًا قبل أن تُجرَّب كما لا تعرف أيّة قوّة لديك. عليك أن تصونَ فكرَك وتكون منتبهًا لهجمات العدوّ.

٧٣- كما أن النار في البوتقة تمتحن الذهبَ والفضة من حيث الأصالة والنقاوة كذلك التجاربُ تمتحن نفوسَ البشر مستعينين بالله.

٧٤- لا نجزعنّ من التجارب بل لنتقدّم بشجاعة إلى جائزة الدعوة السماويّة

التي صارت إلينا بالمسيح (في ١٤:٣) لأن الربّ الغالب يكلّل كلّ الذين يحبّونه .

٧٥- أستر أعضاءَ جسدك حتى لا تظهر عاريةً لأحد وانتبه أنت أيضًا ألّا تشاهد عريةَ أحد آخر ما خلا عند الحاجة والمرض حتى لا تأتي لذهنك أفكارٌ غيرُ لائقة .

٧٦- إن عملتَ بمحبّة ودهنت المريضَ بزيت انتبه إلى نظراتك إلى يديك ولسانك حتى لا يتخطّوا حدودَ العفّة لأن كلّ هذا له علاقة بالتقوى .

٧٧- ضع يديك على أعضاء الآخر كما تلمس المذبحَ نفسه . لأنه هيكلُ الله القدّوس وعجيبٌ في عدالته . يقول الرسول :

« أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم . ان كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأن هيكلَ الله مقدّس الذي أنتم هو » (**١ كور ١٦:٣-١٧**) . لنحفظ إذًا قلبنا بكلّ انتباه .

٧٨- احفظ نفسك من معاشرة الأولاد حتى تبقى عديمَ الهوى . لأن كثيرين أفسدوا أنفسهم عن طريق الصبيان . فرذلوا وأضحوا مرضى بالكلّية .

٧٩- عندما تريد أن تنام لا تسترخِ أكثر ممّا هو لازم لأن الطبيعة مع الراحة يمكن أن تثير جسدك وتُشعل نار اللذّة .

٨٠- الذين ينامون على فرش منعّمة ومزيّنة يطوّبون أولئك الذين أمضوا حياتهم في التعب والتقشّف دون أن يجرأوا على التشبّه بهم .

٨١- إعمل كلَّ شيء وفكّر بكلّ شيء بما يرضي الله . لأنك إن فقدت مثل هذا الفكر تخسر أجرة أعمالك .

٨٢- أصبر على الأتعاب في هذه الحياة العَابرة حتى تجد الراحةَ في الدهور الآتية . لأنك سوف تمضي إلى هناك ويبقى عملك .

٨٣– ان كنتَ تعمل بموجب وصايا الله فلا تحزن لخروجك إلى هناك لأن الذين يعودون إلى أوطانهم لا يحزنون أبدًا .

٨٤– لا تضع جارك في موقع صعب بسبب الحاجة المادية حتى لا تقع في الخطيئة بسبب ذلك . تفكّر بالأحرى بما كتب «لا تعتبر نفسك حكيمًا لأن الظالمين لا يرثون ملكوت السموات» (رو ١٢:١٦ ١ كور ٦:٩) .

٨٥– لا تمدّ يدك للأخذ بل مدّها بالأحرى للعطاء (أع ٢٠:٣٥) .

٨٦– هل أنتَ طويلُ الأناة ؟ كن أيضًا متعقّلًا . فإن طول الأناة هبة عظيمة لأنها تطرد الغضب بعيدًا وتخلق في النفس حالةً سلامية .

٨٧– إن كنت تأتي من جنديّة كانت توفّر لك مجدًا عابرًا يذبل كزهر الحقل ثم أنكرتَ المجد الباطل ، أصبر على أتعابك حتى النهاية ربّما يجدِّف على الله بسببك ويقول غير المؤمنين : حتى الله لم يخلّصه لكن الربّ قال :

«فليُضئ نوركم هكذا قدّام الناس ليروا أعمالكم الصالحة ويمجّدوا أباكم الذي في السموات» (متى ٥:١٦) .

الذين يتجنّدون من أجل ملك أرضي يسعون وراء الجهادات ضدّ العدوّ ليحصلوا على الهبات الكبيرة . وما هي ؟ المجد الباطل وإشباع لذّة البطن . لكن الذين يتغلّبون على الأرواح الشرّيرة ويُعدّون في ما بين مواطني الملكوت لن يكون لفرحهم انتهاء لأنهم سيكونون في السماء كالملائكة .

٨٨– إن كنتَ تسكن في دير شركة أو في منسك هدوئي لا تُهمل سعيك وراء اكتساب قلب نقيّ وروح منسحق من جرّاء التوبة (مز ٥٠:١٢ و١٩) . فإن الذي اكتسب مثل هذه الفضائل لن يزدريه الله . لكن إن حدث وازدرينا بها يُصبح الخطر علينا كثيرًا .

٨٩– لا تتكبّر من أجل موهبة كلامك ، بل اسعَ بالأحرى أن تعلّم البسطاء

والأمّيين عن طريق أعمالك هكذا تكون تلميذًا لرسل الربّ . لا يُسمح لنا نحن المسيحيين أن نفتخر من أجل حكمتنا العالميّة . من يفتخر فليفتخر بالربّ (١ كور ١:٣١) .

٩٠- لا تفتخر بجمال لباسك متذكّرًا رداء إيليا ومسح أشعيا كما هو مكتوب :

« إذهب واحلل المسحَ عن حقويك واخلع نعلك من قدميك » (أش ٢٠:٢) لا تنسَ أيضًا لباس المعمدان حتى يضيء نورك أمام الناس من جرّاء أعمالك الحسنة هكذا يعلّم الرب (متى ٥:١٦) .

٩١- عندما تكلّم الآخرين عن الإيمان تفكّر هل قمتَ أنت بأعمال الإيمان ؟ أمّا إن كنت ترغب بمجرّد الكلام والسماع دون العمل فسوف يقول لك الكتاب :

« هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميتٌ » (يع ٢:٢٠) . لأنه في الواقع كلّ الذين اعترفوا بالله وأنكروه بأعمالهم يكونون كما يقول الرسول :

« رجسين غير طائعين ومن جهة كلّ عمل صالح مرفوضين » (تيطس ١:١٦) أمّا أنت فكن متواضعًا حتى لا ترتفع إلى علوّ خطر وتسقط سقوطًا رهيبًا . توسّل كلّ يوم إلى الله صارخًا :

« إجعل يا ربّ حارسًا لفمي وبابًا حصينًا على شفتيّ . لا تُمل قلبي إلى كلام الشر فيتعلّل بعلل الخطايا » (مز ١٤٠:٣-٤) . لأن اللسانَ عضوٌ صغير في الجسد ويفتخر متعظّمًا (يع ٣:٥) .

٩٢- إن العذابات وتهديدات الموت قد زعزعت الكثيرين . فسقطوا بداعي حبّهم للفضّة . لكن البعض الآخر قد كُلّل عن طريق الآلام . غيرهم بداعي حبّ المجد ازدروا بالحقيقة أو بسبب حبّ اللذة سقطوا في الإثم . الذين وحدهم تغلّبوا

على الشيطان الذي له سلطة الموت **هم الحائزون على الربّ في داخلهم لأن غلبتنا (على الموت) هي الربُّ نفسه.**

إن تقدّمتَ في الأعمال الصالحة فلا تتكبّر من أجل ذلك. وإن دنتَ نفسك على خطايا كثيرة فلا تيأسْ من خلاصك لأن المطوّب ليس الذي وضع لنفسه مبدأً صالحًا بل من وصل إلى آخر المطاف بلا عيب. فلا تستسلم إلى البطالة اليوم كلّه بل اعمل حتى في الساعة الحادية عشرة فتستحق الدينار من يد الربّ (متى ٢٠: ٦ و٩).

٩٣- ان كان لديك تلميذ ابتعد عن التقوى بسبب التهامل، لا تستغرب ولا تتسرّع في التأنيب دون إفادته بل تذكّر خادم أليشع. أمّا إذا سقط في خطيئة كبيرة، (٤ مل ٥: ٢٠-٢٧) تذكّر الرسول الذي أصبح مسلّمًا للسيّد (متى ٢٦: ٤٧-٤٩). ترى من الذي يظهر جاحدًا إلى حد يعيد سببَ سقطته إلى معلّمه وينسبه إلى نيّته الشرّيرة؟ خلق الله الإنسان حرًّا. المجاهدون ينتظرون المكافأة أمّا الجاحدون فينتظرهم العقاب والعذاب لأن هناك خطيئة تقود إلى الموت . . .

٩٤- عندما ترى نفسك تستثقل الأقوال الإلهيّة في القراءة وتهرب من النصائح الروحية إعرف أنها وقعت في مرض رهيب. لأن هذه هي بداية الجهالة التي منها مرض الكثيرون وحصدوا ثمر الموت.

٩٥- الذين يتعاطون الصناعة النحاسيّة لا يهربون من غبارها، ولا من صوت المطرقة ولا من النار بل بالأحرى يأخذون عودًا حديديًّا ويصنعون منه آنية نافعة. لذلك لا نبتعدنّ عن حث بعضنا بعضًا لكي نُخرجَ شيئًا ثمينًا من شيء لا نفع له فنستحق الاسم والمجدَ الإلهي لأنه كُتِب:

«ان أخرجت النفيس من الخسيس كنت كفمي» (إر ١٥: ١٩). وأيضًا «طوبى للذي عنده نار في صهيون وتنوّر في أورشليم» (أش ٣١: ٩).

٩٦- إسقِ نفسك بمياه إلهيّة حتى تمتلئ من الأزهار وتثمر ثمر العدل . علينا نحن أيضًا أن نسعى وراء منفعة أنفسنا على مثال الحيوانات الطالبة العشب الطري . فإن كانت النفس سليمة ، تضبط الجسدَ من أجل أعمال صالحة . أما ان كانت متعبة بالأفكار النجسة فيفسد الجسد هو أيضًا من الشرّ .

لذلك مغبوط الذي يسلك في حياته سلوكًا مستقيمًا ، بما يناسب حياته لأنه يمضي بذلك غنيًا نحو الحياة الخالدة التي نرتجيها بشفاعات الذين أرضوا ربنا يسوع المسيح . آمين .

انتبه إلى نفسك

بارك يا أب

● المقدّمة

ينبغي لنا أيّها الأحبّاء أن ننصحَ ونشجّعَ بعضنا بعضًا وفقًا لقول الرسول « من يعرف ان يعمل حسنًا ولا يعمل فذلك خطيئة له » (يعقوب ٤:١٧) . إسمعوا أيضًا قولَ النبي « لم أُغلقْ شفتيّ » (مز ٣٩:٩) . أرجوكم إذًا أن تتقبّلوا إرشادي أنا الحقير . إن كنتُ أزلّ بكلامي سامحوني على ذلك كوني إنسانًا خاطئًا لا معرفةَ له . أما إذا جاءت الأقوالُ صحيحةً يكون ذلك من عمل النعمة . عندما تهبُ لنا النعمةُ كلامًا يجب علينا أن لا نمنعَ أفواهنا عنه **لأن الرب في حكمه أقرن الكسلَ بالشرّ** قائلًا : **أيّها العبد الشريرُ والكسول** كان ينبغي أن تضع فضتي عند الصيارفة فعند مجيئي كنت آخذ الذي لي مع ربًا » **(متى ٢٥:٢٦–٢٧)** عسى أن يعطيَنا الربّ نحن الذين تقبّلنا هذا الكلام أن نصنعَ ثمارًا مرضيّة لله الذي يليق له المجد إلى الأبد آمين .

* * *

١- الجهاد من أجل الرب

١- إسمع أيها الحبيب لقد جئتَ لتصبحَ راهبًا وآثرتَ إنكارَ العالم. إن كنتَ تحقق فعلًا وعدك يفرح بك لا الناسُ فقط بل الملائكة أيضًا حسب ما هو مكتوب: «هكذا يكون فرحٌ في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين صدّيقين لا يحتاجون إلى توبة» (**لوقا ١٥:٧**). لذلك جئتَ بطريقة شرعيّة فتمم عملك شرعيًا. قبل أن تلبسَ الإسكيم إعلم **انك جئتَ من أجل الجهاد والحرب** هي ضدّ من؟ إسمع الرسولَ بولس يقول:

«فإن مصارعتنا ليست ضدّ لحم ودم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم عالم الظلمة، مع أجناد الشر الروحية في السماويات. لذلك احملوا سلاحَ الله الكامل لكي تستطيعوا أن تقاوموا في اليوم الشرير» (**أفسس ٦:١٢-١٣**).

إذًا لا تتوانَ في السباق إلى أن تحصل على الجائزة. لقد ازدريتَ بالعالم فازدرِ أيضًا بتعظّم العالم. لقد رفضتَ الغنى العابرَ فارفض أيضًا تكبّر الثروة. لقد ابتعدتَ عن أهلكَ فاثبت في الطاعة محتملًا بشجاعة أتعابَ الفضائل. لأن انكارَ العالم لا ينفع ليوم واحد بل يستمرّ حتى الموت. ان كنتَ تودّ الغلبة في النهاية فتعلّم أن تحتمل بشجاعة أتعابَ الفضائل بوداعة الحكمة.

مثلًا إنْ تهجّم عليك من كان أصغرَ منك فلا تغضبْ. إن ازدروا بك فاحتملْ. **إن ضربوك فاصبر**. إن تجنّوا عليك فبرهن عن طول أناة. ان حُرمتَ فاشكر. أرأيتَ مواطنك لعازر الفقير كم من الصبر والتعب والاحتمال عانى من أجل الرب لأنه كان ينظر إلى المكافأة كما كتب «إن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا» (رو ٨:١٨).

وأنت إذًا أيها الحبيب ان رغبتَ في التمتّع بتطويب الربّ سرْ على درب التواضع فيجازِك الربّ بإكليل الحياة الذي وعده للذين يحبّونه (يعقوب ١:١٢) لأن له المجد إلى الدهور آمين.

٢ـ مَثَل :

رجلان يسيران إلى المدينة التي تبعد ثلاثين ميلًا . بعد عبور ميلين أو ثلاثة التقوا في الطريق بمكان حيث هناك عشبٌ وأشجار كثيفة وظليلة ومياه جارية والمكان يحوي على متعة كبيرة . بعد أن رأيا ذلك كلّه ، كان الأوّلُ مستعجلًا للوصول إلى المدينة فعبر المكان على عجل . الآخر أدار طرفه لكي يفحص المكان جيّدًا فبقي إلى الوراء . بعدها أراد أن يخرج من ظلال الشجر فخاف من حرارة الشمس وبينما تأخّر في ذلك المكان وكان مشغولًا بمتعته خرج وحشٌ كان قاطنًا في الغابة فخطفه وجرّه إلى حجرته .

أمّا الآخر الذي لم يترك نفسه تؤخذ بجمال الأشجار والمكان فوصل إلى المدينة .

بعد عرض هذا المثل قال الأخ المستمع : أريد أن أتعلّم تفسيرَ هذا المثل طالما أنا لا أفهم ماذا يجري وما معنى كلّ ذلك . فقلتُ له اسمعْ إذًا الجواب بمعونة النعمة الإلهيّة :

● تفسير المثل

الرجلان هما اللذان بدآ يسيران ويجاهدان في طريق التقوى فأراد العدوّ أن يُعيقَ طريقهما فوضع فيهما أفكارًا شيطانيّة : محبّةً للمجد الباطل ، للسلطة ، للتكبّر وكل ما يشبه ذلك . كان الأوّل مستعجلًا للحصول على الجائزة جائزة دعوته السماويّة عن طريق المسيح . لم يتعثّر من جرّاء هذه الأفكار كلّها . أمّا الآخر فقد انشغل بجمال الأشجار والمكان . ممّا أطاح فكره عن الأمور السماويّة غير المنظورة إلى الأمور الأرضيّة المنظورة . **حرارةُ الشمس هي تعب الفضائل .**

كونه يسير في ذلك المكان ويواجه الوحش الخارج من الغابة يعني ذلك ان

الفكر ينشغل برغبة الأرضيّات التي منها تخرج **الخطيئة كوحش رهيب** فتخطفه كما كُتب :

« بعد أن تحبل الشهوة تلد الخطيئة والخطيئة تلد الموت » (**يعقوب ١:١٥**)
لذلك أيّها الأحبّاء لنهرب من الشهوات الدنيويّة لكي لا نصبح عبيدًا للخطيئة ذلك أن المخلّص يقول :

« الحق أقول لكم كل من يصنع الخطيئة هو عبد للخطيئة » (يو ٨:٣٤)
لنعمل إذًا بما يُرضي الله الذي حرّرنا ولا نجزعنّ من آلام الفساد ولا نهتمنّ بجمال اللباس وبالكوكولي أي اللاطية بالزنار بالكتفية . بل لنسعَ إلى ما هو متواضع كما يليق بالقدّيسين لأنه من غير اللائق للذين غلبوا الأمورَ الكبرى أن تغلبهم الأمورُ الصغرى . بل ليكن عملكم دائمًا هكذا :

أن يكون داخلنا مرضيًا للذي يفحص القلوبَ والكلى ولنزدرِ بما هو غير مفيد . لأن لا أحد يستطيع أن يخدم سيدين حسب قول الرب . من يريد أن يقتني التواضعَ لا يهتمّ بالمجد الباطل والذي يبغي السماويّات يزدري بالأرضيّات أمّا الرب فليمنحنا قوّةً لكي نصنعَ ونفكّر بما يرضيه لأن له يليق المجد إلى الدهر . آمين .

* * *

٣ـ عن حرب الجسد

ان كان حربُ الجسد يُزعجك فلا تخفْ ولا **تستسلمْ لأفكارِك** ربّما تُشجّع هكذا العدوَّ ضدّك وتزرع في نفسك معانيه التي هي التالية :
« لا يمكن أن تمنع عنك الفسادَ ان لم تتمّم رغبتَك » هو يحاول أن يجرّحك فيضحك منك عن طريق عدم رجولتك (جبنك) ويدفعك إلى اليأس . أمّا أنت

فانتظر الربَّ بصبر واسكب أمام صلاحه تضرّعَك ببكاء ودموع . هو سوف يتقبّل تضرّعَك ويُخرجك من بحر تعاسة أفكارك الرديئة . ومن وحل خيالات العدوّ ويثبّت قدميك على صخرة القداسة فتشاهد على عجل المعونة المُرسلة إليك .

فقط اصبر ولا تضعف من جرّاء فكرك ولا تتعب كل مرّة من اخراج الماء من البئر لأن مرفأ الحياة قربٌ وبينما أنت تتكلّم سوف تسمعه يقول لك « ها أنذا » (**أشعيا ٥٨ : ٩**) كنت أنتظر لأرى جهادَك ان كنتَ مستعدًا لمحاربة الخطيئة حتى الموت . فلا تُضعف نفسك لأنه لن يتركك هو يرى جهادك وجوق الملائكة القدّيسين وجمهور الشياطين . الملائكةُ من جهة توزّع الأكاليلَ للغالب والشياطين تجلب الخزيَ للمغلوب .

كبيرٌ هو جهاد الملائكة من أجلك وكذلك الشياطين ضدّك . انتبه إذًا ألّا تُحزن الأوّلين أي الملائكة وتفرّح الآخرين أي الشياطين . لا يوجد مكان خفيّ عن عيون الله أيها الحبيب وليس هناك ظلمة أمام نظراته . فلا يخدعنّك إذًا العدوّ لأنك واقف أمام قدمي الله فلا تزدرِ بذلك لأنه مكتوب :

« السماء هي عرشي والأرض موطئ قدميّ » (أشعيا ٦٦ : ١) إسمع داودَ النبيّ يقول : « كل الأمم أحاطت بي وباسم الرب قهرتها . أحاطت مثل الشهد بالعسل وأشعلت نارًا كما في الأشواك وباسم الرب قهرتها وكنت أوشك أن أسقط ولكن الرب عضدني . قوّتي ومدحي هو الربّ الذي خلّصني » (مز ١١٧ : ١٠-١٤) .

فاصبر مجاهدًا لكي تصبحَ مختبرًا وتحصل على اكليل الحياة الذي وعده الرب للذين يحبّونه . لأننا عندما نحارب أهواءنا نصبح مختبرين ونكتسب فنّ الحرب . لأنه ان لم نحارَب سوف ندين المحارَبين لأننا غير مختبَرين في الجهاد ونسقط في التكبّر . لأن الشرّ ليس في محاربة الأهواء بل في السقوط كسالى

في أيدي الأعداء. الاستسلام إلى العدوّ. **لذلك على العكس قاومْ دائمًا الرغبةَ الجامحة** حتى تهربَ من اللهيب الذي لا ينطفئ لأن الأهواء إذا ما غلبتنا لا تبتعد عنا بل بالأحرى تتجرأ أكثر ضدّنا.

إسمع سليمان يقول: «إن شفتيّ الزانية تقطران شهدًا وحنكها أليَنُ من الزيت لكن عاقبتها مرّة مثل العلقم حادةٌ كسيف ذي حدّين» (**أمثال ٥:٣-٤**). إنتبه لئلّا تُحرم من مجد وجه الله لأنه مكتوب: «اتبعوا السلامَ مع الجميع والقداسةَ التي بدونها لن يرى أحدٌ (وجهَ) الرب» (**عب ١٢:١٤**) الذي يليق له المجد إلى دهر الدهور آمين.

***

٤- الهرب من المشورة الرديئة

لا تسمع مشورةَ الذين يفكّرون خطأً قائلين: **طالما سوف أموت فماذا أنتظر؟** يقولون ذلك لكي يغضبوا الرب الإله الذي سوف يدين الأحياء والأموات. ويلٌ للنفس التي تخضع لمثل هذه الأقوال! ويل للإنسان الذي يتصرّف هكذا! هذه المشورة سوف تقود الواثقين بها إلى مساكن الموت. هذه المشورة تبعد الإنسانَ عن الله وتجذبه نحو الشيطان. أنت أيها المؤمن اهرب من تلك المشورة الرديئة «ولا تكن غير مؤمنٍ بل مؤمنًا» (يوحنا ٢٠:٢٧) لأننا نؤمن انه بعد الموت تأتي الدينونة والمجازاة. لأن الذي وعد بذلك أمينٌ. ليس الله بظالم لكي ينسى أجرة الذين خدموه بصدق وحقّ. لأنّه مكتوب:

«ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطرْ على بال إنسان ما أعدّه الله للذين يحبّونه» (**١ كور ٢:٩**).

أتريد أن تعرف قوّة الكلمة؟ أنظر إلى كم من المجد يكتنفُ القدّيسين على

الأرض لأنه مكتوب: «تذكار الصدّيقين يكون بالمديح واسمُ المنافقين يمّحي» (**أمثال ١٠:٧**). أنت ثِقْ بالذي دُوّن في الكتب الإلهيّة واهرب من أقوال غير المؤمنين لأن ذهنَهم (nous) وضميرَهم مدنّسان (تيطس ١:١٥). يقولون انهم يعرفون الله لكنهم يُنكرونه بأعمالهم. أنظر إلى هيرودس «كان يلبس الحلّةَ الملكية ويجلس على كرسي الملك ويخاطب الشعب. لم يعطِ مجدًا لله لذلك ضربه ملاك الرب فصار يأكله الدود فمات» (**أعمال ١٢:٢١-٢٤**).

ان صرتَ متعلّقًا بالفضيلة وأثار الشريرُ البعض لكي يزعجوك فلا تخف ولا تتخلَّ عن إيمانك بداعي الخوف لأنه «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحيّ» (عب ١٠:٣١). اسمع ما يقوله المخلّص «إن كانوا قد اضطهدوني فسوف يضطهدونكم أنتم أيضًا» (يو ١٥:٢٠).

لذلك يجب علينا أن نهربَ من الأقوال المفسدة الصادرة عن أناس أردياء. فلا تنظر إلى المظهر الخارجي ولا إلى الشعر الأبيض بل إلى تصرّف الإنسان وفكره. لأنه يصحّ فيهم قول الرسول بولس:

«لهم صورة التقوى لكنهم منكرون قوّتها» (٢ تيمو ٣:٥). ربّما تتنازل لأقوالهم الكاذبة وتتخلّى عن الطريق الضيّق الكرب فتسمع ذلك الصوت المرّ الذي لا تعزية فيه المليء بالحزن والدموع المرّة وأنت تحترق في النار التي لا تطفأ «يا ابني أذكر أنك استوفيتَ خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلايا. والآن هو يتعزّى وأنت تتعذّب» (لوقا ١٦:٢٥).

إجعل هدفك عند الله وحده لكي تعبر حياةً فاضلة وتفرح نفسك في الدهر الآتي مع الصدّيقين فلن يُنزع منك ذلك الفرح لأنه لله يليق المجد إلى دهر الداهرين. آمين.

* * *

٥- الحزن بحسب الله وبحسب العالم - الاسترشاد

هناك حزنان يختلط بهما كل إنسان. الأوّل بحسب الله والثاني بحسب العالم. ولا يمكننا بدون أحدهما أن نعبر الحياة الحاضرة أي إمّا بالحزن بحسب الله وإمّا بالحزن بحسب العالم. حزن العالم صعب وبدون أجر أمّا الحزن بحسب الله فله رجاءُ الحياة الأبديّة. أنت إذًا أيها الحكيم أنظر إلى الحزن الذي ارتضيته ولا تتّبع أفكارك لأن التشتّت لن يفيدك. **عندما يزعجك حزن ما تضرّع إلى الله وارجع إلى مشورة إنسان يخاف الله**. لأنه ان لم تصغِ إلى أناس يخافون الرب تُضحي مدينةً بلا أسوار فيأتي العدوّ البربري يدخل ويَسْبيها. لأنه مكتوب: «سلْ أباك يُنبئك وأشياخك يحدثوك» (**تث ٣٢:٧**). أمّا الحكيم فسوف يتقبّل المشورة.

● أتعاب الحياة:

لنهرب من السكر. لنهرب قدر المستطاع من معاشرة النساء لأن كلام المرأة هو كالفخ في القلب يقود الذي يتقبّله إلى مخالطة مخزية.

ان اعتراك **مرض جسدي** لا تكن ضعيفَ النفس بل اصبر عليه بشكر لأن الرسول يقول: «**حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قويّ**» (**٢ كور ١٢: ١٠**). ويقول في موضع آخر: «طوبى للانسان الذي تؤدّبه يا ربّ ومن ناموسك تعلّمه» (مز ٩٣:١٢). لنُلقِ إذًا همّنا على الرب لأنه يتدبّر أمرنا.

أمّا بالنسبة **لتأمين عيشنا**، القويّ فليعمل وعندما تضعف قوانا ويهملنا الرؤساء، هذا الذي لا أعتقده عادة، سوف يُرسل الله لنا عونًا بدون شك لأنه مكتوب: «لأن أبي وأمي هجراني. أمّا الرب فأغاثني» (مز ٢٦: ١٠). شرط أن نعبدَه بضمير نقيّ فيُمل قلوب الرؤساء إلينا ويجعلنا نستحق غبطته.

لا تتذمّر من **التعب** لأن كثيرين من الذين لا يشتغلون تضايقوا من البطالة

والضجر . لذلك تعلّم كيف تكون عاملًا نشيطًا بدل أن تتعلّم كيف تصبح معوزًا . فلا تُظهر لا مبالاةً في العمل لأنه مكتوب : « الرب قريبٌ لأنه سوف يجازي الذين يتعبون وفقًا لمشيئته فلا تهتمّوا بشيء » (فيلبي ٤:٥-٦) . انتظر الرب حتى تُستأهل لراحة الصدّيقين حيث لا تعبٌ ، لا مرض ولا اشتهاء رديء أو ما شابه ذلك . بل فرحٌ ، سلامٌ وابتهاج بالروح القدس . لأن العدوّ يكون قد رُمي في جهنّم النار مع ملائكته ومكائده لذلك تستريح من أعماله . ليؤهّلْنا الرب جميعًا لمثل ذلك الفرح غير الموصوف لأن له يليق المجد إلى دهر الداهرين . آمين .

***

٦- الكشف عن الأهواء ومعالجتها

إسمع أيها الحبيب : إن الأهواء الصعبة لا تُقتلع بدون أدوية محرقة . وأنت لا تغضبْ عند سماعك الحقيقة . ان تذمرتَ أمام طبيبك ، تبرهن بوضوح انك لا تريد الشفاء ، لا تريد أن تتحرّر من أهوائك بل تودّ أن تبقى تابعًا في الشرور لأنه إن أخفينا الحقيقة وأرشدناك إلى الهوى واللذة لا نفترق حينئذ عن الأنبياء الكذبة الذين كانوا يضلّون الشعب قائلين له كلّ ما يرضيه . أمّا أنبياء الله فقد كرزوا بالحقيقة لذلك كانوا يكرهونهم ويقتلونهم .

لا بدّ أن أقول لكم هذا لا لأني أصنّف نفسي فيما بين الأنبياء . بل لأني شبيه بالكلب الذي يتبع خراف سيّده وعندما يرى الذئب آتيًا لا يهدأ ، ينبح بأعلى صوته . فيسمع الرعاة ويسرعون إلى طرد المفسد والمخرّب وينقذ هكذا الخراف .

● الاستقامة والتقوى :

لماذا نهمل خلاصنا أيها الأحباء ؟ لماذا نتجاوب مع رغبات الإنسان العتيق .

نزيّن انساننا الخارجي بالظواهر أمّا الداخليّ فنشوّهه بأعمالنا . **لا نصبحنّ قساة** القلوب (خر ٧:٩) على مثال فرعون حتى لا نحصد مصيره ، ولا قساة الرقاب (أعمال ٥١:٧) مثل بعض أبناء اسرائيل حتى لا نحرم من أرض الميعاد .

لنزدرينّ بسلوك الناس الجهلاء لأن طريقهم ليست بدون خطر لأنه مكتوب « انهم قوم لا فهمَ لهم وليس فيهم معرفة » (تثنية ٢٨:٣٢) . كان النبي أرميا يقول : « إني لم أجلس في جماعة الباطل والشر بل من أجل يدك وقوّتك جلست منفردًا فقد امتلأت نفسي مرارةً » LXX (إرميا ١٧:١٥) . اسمع أيضًا النبي ميخا كيف يرثي لجيلنا قائلًا : ويلٌ لي فقد هلك التقي من الأرض **وليس في البشر مستقيم** . جميعهم يقضون بالدماء كل منهم يصطاد أخاه بشرك ويمد يديه (استعدادًا) لإتمام الشرّ » (**ميخا ٢:٧**) .

لنحبّ التقوى لا نتركنّها حتى وان عيّروننا وعذّبوننا . لأنها كنز مليء بالخيرات ، مليء بالفضائل ، تدفع الله لكي يميل إلينا ويُدفق بخيراته على الإنسان التقي لأنه مكتوب : « لكن إلى من أنظر ، إلى الوديع المتواضع القلب والمرتعد من كلمتي » LXX (أشعيا ٢:٢٦) **وطوبى للذي يزدري بكل شيء من أجل الحصول على التقوى** .

انتبه إذًا أيها الحبيب إلى نفسك ولا تهمل خلاصك . لا تصغِ إلى المتهاملين بل أنصت إلى ذوي الحميّة والاستعداد الطيّب . لا إلى الغارقين في (أهوائهم) بل إلى المخلّصين . إلى متى تصبر على الذين يضطرّونك على السوء . لا تكن عبدًا لأهوائهم بل بالأحرى حرًّا منها . لا بدّ لك من غيرة قويّة . انك موجود في المعركة فلا تتخاذلْ . ان العدوّ قائم ضدّك كما هو مكتوب « ان ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسًا من يبتلعه هو » (**١ بطرس ٨:٥**) . ألاحظت مثل هذه الشراسة أو الوحشيّة التي للعدوّ : لن يرضَى بترك أحد نصف ميت بل يسعى لابتلاع كل من لا يسهر على نفسه .

● صلاة :

إذًا جاهدْ طالما لديك الوقت . لأنه ان خسرنا وقتنا بالاهمال ، لن نستعيض عنه بوقت آخر . كم من الأجيال البشريّة ولدت من آدم حتى اليوم ؟ أين هي ؟ ومن يدري عددها ؟ وحده الرب إلهنا الذي جبلنا الذي أخرج عالمه بالعدد بعدد من الكواكب يعرفها كلها ويسمّيها باسمها . هو وحده يعرف كل واحد منا وكلًا من أعماله . الحكيم وحده الصالح القدير . الرهيب الذي لا يحقد . الكثير الرحمة الذي يفتش عن الضائع الذي يرحم العائدين إليه ويشفق على التائبين .

نسجد لك يا رب . يا إلهنا الذي جبلتنا . لك نقدّم المجد والاكرام لأنك تحتمل مني أنا الرذيل أن أسبّحك . لأن تحننك عظيمٌ علينا ومحبتك للبشر كذلك . لقد دعوتنا نحن غير المستحقين وأنت لا تبعد عنك التائبين إليك ، لا تتغاضَ عن الحزانى ولا تتخلَّ عن ضعيفي النفس .

طوبى مثلّثة للنفس التي تشتهيك وحدك ، لأنها تشتهيك وتتبع أوامرك . لماذا نحن نزدري بخلاصنا ؟ لنفهم من العابرات الباقيات الأبدية . كم من الاهتمام يبديه ذاك الذي يريد أن يؤدّي درسه المعيّن له وكم من الاهتمام يبديه ذاك الذي يريد أن يؤدّي حسابًا عن عمله لسيّده ؟

وأيضًا عندما يوجد الواحد في موسم شتاء أو في قلاية غريبة ويستعجل للعودة إلى بيته لأن المساء قريب ، أي اهتمام يبديه بسبب الظلام وبسبب رداءة الطقس ؟ وكيف نحن نزدري بالطريق الواجب ؟ ترى ما الذي سوف ينتظرنا بعد الانفصال عن الجسد ؟

لنتنبه إذًا إلى أنفسنا أيها الأحبّاء حتى نفرح ببرّ الصدّيقين . لأن الذي يستسلم إلى الضلال يقع في مأساة حتى في الحياة الحاضرة . اليوم يأكل ، يشرب ، يتمّم مشيئاته طالما يقوى على ذلك فرحًا لهلاك نفسه ولكن في يوم آخر ان لم يتمتّع كفاية بملذّاته يحزن . أما الذي يسعى لمسلك صالح لن يغادره فرحه

من تلك الطريق. لن يضعف رجاؤه بالخيرات الآتية. كما هو مكتوب: «تذكرت الله ففرحت».

صلّوا من أجلي أنا الشقي. أتوسّل إلى الرب الذي يليق به المجد إلى دهر الداهرين. آمين.

***

٧- إنتبه:

لا تتصرّف سوءًا بإرادتك ويصير سيطك عاطلًا فتخضع للخطيئة وتصبح من جراها رذالةً. إصغِ بالأحرى لعدالة الله ممّا يجعلك واحدًا من الممجّدين.

لا تكن عن قصد عثرةً لنفوس الآخرين بل إنتبه إلى نفسك من أجل إفادتهم. نعم يا مختارَ الله انتبه لكي تبني أيضًا آخرين. لا تنوِ شرًا حتى لا تتوجّع في آخرتك. ألا تسمع ما يقوله الكتاب: «ضربات على الوجه وكسرُ عظام هذا ما يلقاه الأشرار في حياتهم» (أمثال ٢٠:٣٠) دون أن ينالوا أجرًا على آلامهم.

أمّا أنت فتحمّل أتعابَ الفضائل من أجل الرب لكي تحظى بالاكليل. لقد دعاك الرب إلى العرس فلا تكن منكرًا للجميل غير شكور.

بل ارتدِ لباسَ العرس حتى تبتهج في خدره ولا تسمع بسبب اهمالك القولَ: «يا صاحبُ كيف دخلتَ إلى هنا وليس عليك لباسُ العرس؟» (متى ٢٢:١٢). وعندها سوف تربط رجلاك ويداك وتُطرح في الظلمة الخارجيّة حيث يكون البكاء وصرير الأسنان. عندما تسمع أيها الحبيب القول: «لباس العرس» لا تعتقد أن الكلام يدور حول الثياب بل حول الأعمال الصالحة.

● فضائل الراهب :

وأنت أيها الحبيب اذ أهّلتَ أن تلتحق بطغمة الرهبان اجتهد أن تقدّم للناس فضيلة عملك حتى لا تُضحي مرفوضًا . إذًا لا تكن قاسيًا محبًّا للّذة ، غضوبًا ساخطًا ، مخاصمًا غيرَ منضبط ومخذولًا . بل على العكس كنْ وديعًا ، تقيًّا ، متواضعًا ، منضبطًا ، حكيمًا ، هادئًا ، سلاميًّا ، عاقلًا حافظًا طهارةَ جسدك كما وعدتَ المسيح . حتى إذا سألنا في ذلك اليوم ، يوم الدينونة : « لماذا لم تفتقدوا الأرامل والأيتام في شدتهم ؟ » يمكننا أن ندافع عن أنفسنا قائلين :

« **يا ربّ لكي نخدمك كعبيد لك دون تشتّت وسط هدوء الحياة الرهبانية** » وان قال لنا :

« لماذا لم تحفظوا أنفسكم أنقياءَ من العالم ؟ » (**يعقوب ١ : ٢٧**) ماذا نجيبه ان كنّا قد تدنّسنا ؟ أليس من الفضيلة أن يهرب الواحد من الأعمال الدنسة ومن دفع الآخرين على عمل الأهواء ؟ لأنه مكتوب :

« تحب الرب إلهك . . . وقريبك كنفسك » (متى ٢٢:٣٧-٣٩) .

أهرب من الأقوال الباطلة حتى لا تقع في أفكار مضرّة . لأنه كما أن الأقوال الصالحة تفيد النفس كذلك الأقوال الباطلة تُفسدها حسب قول الرسول :

« إن المعاشرات الرديئة تُفسد الأخلاق الجيّدة » (١ كور ١٥:٣٣) ويقول أيضًا :

« لا تخرجْ كلمة رديئة من أفواهكم بل كل ما كان صالحًا للبنيان حسب الحاجة كي يُعطي نعمةً للسامعين . ولا تحزنوا روحَ الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء » (**أف ٤:٢٩-٣٠**) .

لا تُدعى غيرَ مطيع ، قاسيًا ، فخورًا بنفسك ، مُفسدًا غاشًا ، نمّامًا بلا رأفة ، مُبغضًا لاخوتك ، عدوّ الفضيلة ، بل بالأحرى تَسمّ طائعًا ، صادقًا ، حكيمًا ،

رجل الصمت ، نشيطًا ، رؤوفًا ، منتبهًا ، محبًّا للاخوة مضيفًا للغرباء ، محبًّا للفضيلة ، معزّيًا تقيًا ، كل هذه حسنات مفيدة للبشر.

فلا نتكبّرنّ إذًا بل لنتواضع. ما هي قوّتنا حتى نتكبّر؟ ألا نلاحظ أن وجعًا صغيرًا يرمينا إلى الحضيض؟ لنحبّ التواضع كي يرفعنا الرب إلى فوق.

إنتبه إذًا ألّا يسودك الغضب والكراهية حتى لا تعيش حياةً مضطربة وغير مستقرّة. بل حاول أن تكتسب طول الأناة، الوداعة، عدم الشر وكل ما يلزم للمسيحيين لكي تعيش حياةً هادئة سلامية.

جبالُ أرارات عالية وسهول الصحراء واسعة. والجليد سائد في بقعة الشمال أمّا حرّ الشمس فيسود في الجنوب. الأعظم فيما بين طيور السماء هو النسر وفيما بين وحوش البرّ هو الأسد أما الأكبر فيما بين البشر **فهو الإنسان الذي يخاف الله**.

عظيم هو الرب الهنا وجدير بكل تسبيح الذي خلق كلّ شيء ويرفع الذين يخافونه. له يليق المجد إلى الدهور. آمين.

* * *

٨– الصدّيق:

بينما تعمل عمل الرب بتواضع وتخشّع يسلّح العدوّ ضدّك أناسًا بطّالين جدًا وادًّا بهذا أن يقطع أمامك الدربَ السويَ. فلا تخفْ ولا تجزعْ. لا تملْ عن الطريق المستقيم لأن الرسول بولس يقول:

«مكتئبين في كل شيء لكن غير متضايقين. متحيّرين لكن غير يائسين. مضطهَدين لكن غير متروكين. مطروحين لكن غير هالكين. حاملين في الجسد كل حين اماتةَ الرب يسوع» (**٢ كور ٤:٨–١٠**).

إنتظر الربَّ بصبر يا مختارَ الله . حتى يندهش لخلاصك العجيب أولئك الذين يحزنونك الآن ، كما هو مكتوب :

« إن الصدّيقَ إذا أدركته الوفاة يكون في الراحة . لأن الشيخوخةَ المكرّمة ليست هي الطويلة الزمان ، ولا هي تقدّر بعدد السنين . والشيب في الناس هو الفطنة وسنّ الشيخوخة هي الحياة المنزّهة عن الدنس . انه كان مرضيًا لله فأحبّه وكان يعيش بين الخطأة فنقله . خطفه لكي لا تغيّر الرذيلة عقلَه ولا يُطغي الغشُّ نفسه . لأن حسدَ الرداءة يُغشّي الحسنات ودُوار الشهوة يُطيش العقلَ السليم . فإن قضى أجله في زمان قليل يكون مستوفيًا سنين طوالًا . فإن نفسه كانت مرضيّةً للرب . لذلك أسرع خارجًا من بين الشرور . أمّا الشعوب فأبصروا ولم يفقهوا ولم يجعلوا هذا في قلوبهم . إن النعمة والرحمة في أبراره والافتقاد في مختاريه » (**الحكمة ٤:٧-١٥**) .

« لكن الصدّيق الذي مات يحكم على المنافقين الباقين بعده والشبيبة التي بلغت الكمال تحكم على شيخوخة الأثيم الكثيرة السنين . فانهم يبصرون موت الحكيم ولا يفقهون ماذا أراد الرب به ولماذا يجعلهم في أمانته . يبصرون ويزدرون والرب يستهزئ بهم . سيسقطون من بعد سقوطًا مهينًا ويكونون عارًا بين الأموات مدى الدهور . لأن الرب يحطّمهم وهم صامتون مطرقون برؤوسهم ويقتلعهم من الأسس ويتم خرابهم فيكونون في العذاب وذكرهم يهلك . يتقدّمون فزعين من تذكّر خطاياهم وآثامهم تتّهمهم في وجوههم » (**الحكمة ٤:١٦-٢٠**) .

« حينئذ يقوم الصدّيق بجرأة عظيمة في وجوه الذين ضايقوه وجعلوا أتعابه باطلة . فاذا رأوه يضطربون من شدّة الجزع وينذهلون من خلاصٍ لم يكونوا يظنونه . ويقولون في أنفسهمّ نادمين وهم ينوحون من ضيق صدورهم : هذا الذي كنّا حينًا نتّخذه سخريةً ومثلًا للعار وكنّا نحن الجهّال نحسب حياته جنونًا

وموته هوانًا فكيف أصبح معدودًا في بني الله وحظّه بين القدّيسين. لقد ضللنا عن طريق الحق ولم يضئ لنا نور البرّ ولم تشرق علينا الشمس. شبعنا في سبل الاثم والهلاك وهِمنا في متاية لا طريقَ فيها ولم نعلمْ طريق الرب» (**الحكمة ٥: ١-٧**).

«فماذا نفعتنا الكبرياء وماذا أفادنا افتخارنا بالأموال. قد مضى ذلك كلّه كالظلّ وكالخبر السائر. أو كالسفينة الجارية على الماء المتموّج التي بعد مرورها لا تجد أثرها ولا خط بدنها في الأمواج. أو كطائر يطير في الجوّ فلا يبقى دليلٌ على مسيره. يضرب الريحَ الخفيفة بقوادمه ويشقّ الهواء بشدّة سرعته وبرفرفة جناحيه يعبر ثم لا تجد لمروره من علامة. أو كسهم يُرمى إلى الهدف فيُخرقُ به الهواءُ ولوقته يعود إلى حاله حتى لا يُعرفُ ممرُّ السهم. كذلك نحن وُلدنا ثم اضمحللنا ولم يكن لنا أن نبديَ علامةَ فضيلة بل فنينا في رذيلتنا. كذا قال الخطأة في الجحيم. لأن رجاءَ المنافق كغبار تذهبُ به الريح وكزبدٍ رقيق تطارده الزوبعة وكدخان تبدّده الريح وكذكر ضيفٍ نزل يومًا ثمّ ارتحل.

أمّا الصدّيقون فسيحيَوْن إلى الأبد وعند الرب ثوابُهم ولهم عنايةٌ من لدن العليّ. فلذلك سينالون مُلكَ الكرامة وتاجَ الجمال من يدي الرب لأنه يسترهم بيمينه وبذراعه يَقيهم» (**الحكمة ٥: ٨-١٧**).

لا تبغضْ أحدًا في قلبكَ ولا تقابلِ الشرَّ بالشرّ بل على العكس اكتسب المحبّة في داخلك، تلك المحبةَ التي رفعها الكتاب المقدّس فوق كل فضيلة. لأنه شبّهها بسيّد الكل نفسه قائلًا: «الله محبّة» (١ يو ٤: ١٦).

● إنتبه إلى نفسك

حدث مرّةً لراهب في دير شركة وزار أحدَ الشيوخ فقالَ له الشيخُ: «تُشبه أديارُ الشركة مدرسةً لأن البعض يُدركون قصرَ الملك والبعض الآخر يصلونَ إلى

الهلاك » . فاستفاد الأخُ من كلام الشيخ وفعل له سجدةً (مطانية) . لذلك فلنستخدم حياتّنا كمشغلٍ للأعمال الصالحة حتى لا نُضحي بدون فائدة بطّالين ، ونُطرح خارج ملكوت السماوات ونُقاد إلى أتون النار .

عندما ترى أولئك الذين شاخوا يتهاملون في حياتهم الرهبانية عليك أن تنتبهَ جدًا حتى لا تتشبّهَ بهم وتتابع الطريقَ نفسه . أو ربّما بعد أن اكتسبتَ فضيلة الامساك أو العفة تتعالى أمامهم وهذا من رذيلة التكبّر . إسمع الذي يقول : « إحترسْ لنفسك وتحفّظ في كل شيء » (تثنية ٤ :٩) . لأننا لن نتبرّرَ من جرّاء أعمال الآخرين كما ولن يُدانَ أحدٌ من جرّاء أعمالنا . لأنه عندما سنمثل أمام القاضي عراةً لكي نعطي جوابًا عمّا فعلنا ، لن يُدينَ أحدٌ الآخر « لأن كل واحد سوف يحملُ حملَ نفسه » (**غلا ٦ :٥**) .

● الاعتراف :

إن اعترف لك أحدٌ بأفكاره لا تبحث كثيرًا في قضيته لأنه إن كان ذهنُك (النوس) مريضًا سوف تنزعج أنت أيضًا من الأهواءِ نفسها وتصبح كالقبطان الذي يقع في عاصفة كبيرة . إذًا يجب علينا عندما نسمع بدايةَ الكلام أن نستنتجَ ما يليه وهكذا نُغذّي الآخرَ المحزونَ باسطين أمامه خبرةَ الآباء القدّيسين وخبرتنا الخاصة . لأنه ليس من مشيئة الرب أن يقع الواحد في المهوار بسبب الآخر بحجّة ان الرب يريد أن يخلصَ الجميع (١ تيمو ٢ :٤) .

أمّا أنت أيّها الحبيب فلا تكشف أفكارَك لكل إنسان بل للذين قد اختبرتهم وعرفتهم أناسًا روحيّين ، لأن مكائدَ الشيطان عديدةٌ . المسيح مخلّصنا قال :

« احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئابٌ خاطفة . من ثمارهم تعرفونهم » (**متى ٧ :١٥-١٦**) .

أمّا الآباء الروحيّون فلا تخفِ عنهم أفكارَك ، ربّما يجد العدوّ زاويةً مظلمة

فيعشّش فيها . أمّا الناس الجسدانيّون فلا تعاشرْ لأن محبّي اللّذة يجرّون لأنفسهم الخطايا كل يوم قائلين : هذه خطيئة واحدة محسوبة عليّ .

في حين أن النبي أشعيا يترحّم عليهم قائلًا : « ويلٌ للذين يجرّون الاثمَ لأنفسهم بحبال الباطل والخطيئةَ بمثل أمراس العَجَلَة » (**أشعيا ٥:١٨**) لذلك علينا أن نهربَ من الكلام الباطل ولا نعاشر أولئك الذين لا يخافون الربَّ لأنهم لا يقولون شيئًا يفيدُ يبني ولا يفعلون ما له صلة بالفضيلة ، بالتقوى أو حتى بالوقار .

كلامهم فخاخٌ للموت . مشورتهم لجّةُ جحيم عميقة معاشرتهم تجلب الدالةَ والضحك ، السكر وهلاكَ النفس الحيّة الرهيبة تتكلّم عن فمهم .

● اعتراف الراهب وجهاده

أمّا أنت يا رجلَ الله عليك أن تجتنب كل هذا وتلحق بالبرّ ، بالتقوى ، بالإيمان ، بالمحبّة ، بالصبر وبالوداعة . أن تجاهد جهاد الإيمان الحسن . تمسّك بالحياة الأبديّة التي دعاك إليها الله والتي من أجلها اعترفتَ الاعترافَ الحسن أمام كثير من الشهود .

إنتبه أيها الحبيب يا عبد الرب ومخلّصنا يسوع المسيح أن لا تتيه وسط هذه الحياة العابرة حتى لا تُحرم من الحياة الأبدية . إنتبه جيّدًا . دُعيتَ تاجرًا . انتبه ألّا تخسر اللؤلؤة (متى ١٣:٤٥-٤٦) ربّما يأتي العدوّ ويخطف كنزك ربّما يغرّق المركب مع حمولته فتعود إلى بيتك فارغ اليدين . يعرف العدوّ أي مجد سوف ينال من الله ذاك الذي يحفظ نفسه طاهرًا من كل ما يدنّس الجسد لذلك يحاربنا بالأفكار وبشدّة هادفًا جرّ الإنسان إلى المهوار حتى لا يدرك المجد الآتي . وإن وجد نفسًا قد أبعدت الأفكار الباطلة ، لا يعود يزورها كثيرًا لكنه لا يتركها كلّيًا . يذهب بالأحرى إلى الذين يفتحون له مباشرة عند أوّل قرعة باب ،

ويدنّس الجسد بالشهوات الدنيئة وكذلك نفس كل من يقاومه. وفي النهاية يتزيّ بالمرشد الصالح قائلًا:

«الأفضل لك أن تذهب إلى العالم، أن تتزوّج بدل أن تحطّم هكذا جسدك».

لكن الذي ينتبه إلى نفسه يبقى بعيدًا عن كل هذا.

● انتبه أيضًا لنفسك

حتى لا يسود عليك شرّ. لذلك عليك أن تتجنّب الدالة وأعود وأقول **أهرب من الدالة** ربما تكتنفك الميوعة وتؤسرك وتسلّمك عبدًا للخطيئة. عندها سوف تبدأ بالقول «هبطت إلى أعماق البحر والعاصفة غمرتني» (مز ٦٨:٢) وأيضًا «غرقت في حمأة عميقة لا مستقرّ فيها لي» (مز ٦٨:١).

لذلك يجب أن تتجنّب معاشرة الناس الأردياء لا لأنّك تكرههم بل لأنك تريد أن تهرب من أذيّتهم.

إن كنتَ قد ارتبطت مسبقًا مع المتهاملين انتبه إلى نفسك حتى تربحهم لطريق الحياة القويم دون أن تخسر نفسك.

لا تجعل نفسك تثق بأولئك الذين يقولون أقوالًا باطلة ويدّعون بتعليم الحكمة لأن المخلّص قال:

«من فضلة القلب يتكلّم الفم» (متى ١٢:٣٢). لذلك احفظ نفسك من التصرّف الطفيلي ومزاح الناس حتى لا تُعصي قولَ الرسول:

«أهرب من الرغائب الصبيانيّة» (٢ تيمو ٢:٢٢). «لا تعاشر انسانًا على حساب نفسك» (سيراخ ٤:٢٢) لا انسانًا بسيطًا ولا هامًا ولا رئيسًا. لأنه لا يستطيع أحد أن ينقذك من النار التي لا تُطفأ «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه» (متى ١٦:٢٦).

لا تخسر دالتك أمام الله لا لاكرام ولا لمجد بشري لا لطعام ولا للباس لأن كل ذلك يفسد وينحلّ. أمّا أعمال كل واحد حسنة أم سيّئة فهي التي تسجّل وتبقى.

تفكّر بالخيرات السماويّة لا الأرضيّة حتى تحظى باتمام وعود الله. الآب الذي في السماوات وتُعدّ من بين مختاري الابن ويباركك الروح القدس مع كل القدّيسين لأن له يليق المجد إلى الدهور. آمين.

* * *

٩- انتبه من أجل الأعمال الصالحة

أيها الحبيب انتبه إلى نفسك ربّما تدفعك الحيّة إلى أن تتشبّه بأولئك الذين يزدرون بخلاصهم وتقول: «لست أفضل من الذين سقطوا في الأهواء». أما أنت فافهم ما هو مكتوب:

«ولكن في بيت كبير ليس آنية من ذهب وفضّة فقط بل من خشب وخزف أيضًا وتلك للكرامة وهذه للهوان» (**٢ تيمو ٢: ٢٠-٢١**).

إن عصيت الرب متمّمًا أعمال الخطيئة ستكون آنية للهوان وإن أتممت أعمال الرب سوف تكون إناءً مختارًا مكرّمًا مقدّسًا يستخدمها السيّد المسيح، إناءً مناسبًا لكل عمل صالح.

أرجو أن تنتبه إلى نفسك حتى تجد رحمةً لدى الربّ في هذه الحياة وفي الآخرة. إن لم تنتبه إلى نفسك ستشقى ههنا ولن تجد هناك راحةً. كلّ ما يحصل خارج الطريق السويّ لا يعطي سوى الدينونة والندامة. لا تحسد إذًا أولئك الذين يزدرون بخلاصهم ويهتمّون فقط بالظاهر حتى لا تكون مثل الجندي الذي أسره الأعداء وهو يحمل خاتم الملك، لأن الرب غير كاذب إذ يقول:

«الحق أقول لكم كل من يخطئ هو عبد للخطيئة» **(يو ٨:٣٤)** لأن الشكل الظاهر يشبه الأوراق بينما الأعمال تشبه الأثمار. جنود الملك الأرضي يسكبون دماءهم لكي يرضوا ملكهم، أمّا أنتَ فلا تحتاج إلى إهراق دمك بل إلى أن لا تغلبك الخطيئة وتصنع خطيئة للموت.

أيها الحبيب عليك أن تكون يقظًا وأن تحتمل الأتعاب لأن الله عادلٌ ولا ينسى تعبك. بل على العكس في ظلمة قلّايتك حيث تجلس وتتعب وتصبر هناك سيُضيء لك نورَ الحقيقة كما هو مكتوب:

«النور يُشرق في الظلام للأبرار» (مز ١١١:٤).

عليك أن تجاهد الجهاد الحسن، أن تغلب العدوّ وتعبد ملك المجد بلا خجل، لأن الربّ سوف يكلّل فقط أولئك الذين ماتوا بالسيف واستشهدوا أمام الطغاة **وكذلك الذين تقدّموا في النسك والمحبّة**. لأنه كما أن أولئك كابدوا العذابات من أجل الرب كذلك احتمل الآخرون الهوان وتعب النسك من أجل الرب.

● انتبه إلى الأفكار الشريرة:

انتبه إلى نفسك ألّا يظهر في قلبك فكرٌ شرّير. لا توافقه. هذا ما حصل مع أحد القدماء الذي خبّأ الغنيمة في خيمته (يشوع ٧:٢٠-٢٥) ومع جيحزي خادم النبي أليشع (٤ مل ٥:٢٠-٢٧). لم يبقيا مخفيّين عن الله ولا عن الناس، لأنه بالرغم من عمل الشر بالخفية نالا الجزاء علانية. الأوّل (عاكان) رجمه الشعب مع عائلته والثاني نال البرص مع ورثته مدى حياتهم. لأن الرسول غير كاذب في قوله:

«الله لا يُشمخ عليه. فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا» (غلا ٦:٧).

تعلّم أن تعيش صبورًا حتى تتجنّب الأذيّات التي يواجهها أولئك الذين لا يعيشون في الهدوء. اسمع الذي يقول:

«إن كنت حكيمًا لنفسك تكون حكيمًا لقريبك. أمّا إن كنتَ سيّئًا تذخر السوء لنفسك فقط» (أمثال ٩:١٢).

تسأل لماذا يغلبنا العدوّ؟ لماذا تزداد أهواؤنا؟ لأننا عند التعليم لا ننتبه. وعندما يوبّخوننا في سبيل الإصلاح نرفض التوبيخ. نستهزئ بالناس ونزدري بالله. لا يقنعنا الربّ في قوله: «الحق أقول لكم إن سكت هؤلاء تصرخ الحجارة» (لوقا ١٩:٤٠).

الحيّة الرهيبة تحبك لنا في السرّ حبائل لنغلب بالحجج أولئك الذين يريدون إصلاحنا وهكذا تزداد الخطيئة لعدم وجود مقاوم.

ينهبكِ العدوّ وأنتِ يا نفسي لا تبصري. ينفّذ فيكِ رغباته وأنتِ تقبلين. أهربْ يا بنيّ من مشوراتهِ. تذكّر ما وعدتَ الله وانتبه إلى قداستك حتى تجدَ نعمةً أمام الرب. اسمع الرسول يقول:

«أهربْ من الزنى» (١ كور ٦:١٨). هل تريد أن تعلم مدى خطورة الزنى؟ أولئك الذين لم تستطع لسعات الحيّات أن تميتهم في البرّية (**عد ٢١:٦–٩**) أرداهم الزنى أرضًا مائتين في مدين، وعن طريق الزنى فضلوا أن يأكلوا من ضحايا الأوثان فوُجدوا قتلى في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفًا (عدد ٢٥:١–٩).

● الهرب من الزنى – حفظ الحواس

لا تكن غير مبالٍ بخلاصك

إن سقطت في مثل هذه الخطيئة لا تبقى واقعًا أسفل. ولا تزدرِ بطول أناة الله وصبره. تذكّر أن الموت لن يتأخّر. (سيراخ ١٤:١٢). تذكّر أنك لن

تستطيع أن تهرب من أيدي الله . لا تكن غير مبالٍ بل تبْ ، اسكب دموعًا ، تنهّد لأنّ الشيطان قد استهزأ بك . لأنه إن حصل ونسينا زلّتنا إلّا أن الله الذي جبلنا يعرف تمامًا عملَ كل واحد . لا تتهاملْ لا تكن غيرَ مبالٍ بل قف بشجاعة أمام المعادي وسدَّ النافذة التي منها يسرقك العدوّ عادةً ، فيرجع عندئذ خاويًا لأنه لم يجد المدخل المناسب .

إغلاق النافذة هو حفظ حواسنا التي منها يتسرّب في النفس الخير أو الشر : **النظر ، السمع ، الشم ، اللمس ، الذوق** ولا ندعْ أفكارنا تتشتّت باطلًا بما لا يليق .

تفكّر بالجبابرة (**تك ٦:٤**)[1] الذين خرّبوا الأرض في عهد سلطتهم . كيف أفناهم الرب من الأرض في لحظة واحدة عن طريق الطوفان ولم يستفيدوا شيئًا من قوّتهم . تفكّر أيضًا بأرض صادوم وعمورة ، كيف خربت بداعي خطايا سكانها (**تك ١٨:٢٠ وما يلي و١٩:٢٤-٢٥**) لأنهم لم يستفيدوا شيئًا من الحياة الفاسدة والتشامخ .

إن كنّا أيها الأحبّاء **غيرَ مهتمّين بخلاصنا** ربّما تفاجئنا نهايتنا ونخرج من هذه الحياة في الوقت الذي فيه نُدان . ماذا نظن عن هذا الذي مات ؟ هل يعود بعد إلى بيته ؟ بعد سنة ، بعد مئة أو ألف سنة ؟ لماذا نطالب بأشياء لا تبقى ونزدري بأمور باقية ؟ قلْ للذي يريد أن يُخضعك للرغبات الدنسة :

« يا عدوّ الحقيقة هل أخجل منك وأتمّم رغباتك ؟ إذهبْ عني إلى من يشبهك من أناس دنسين . إتبع غرائز الخنازير واغرق معهم (متى ٨:٣١-٣٢) . لن تراني بعد عبدًا منصاعًا إليك ، متممًا رغباتك . كفى الوقت الذي عبر

---

(١) الجبابرة هم الناس الذين اشتهروا لا فقط بسبب قامتهم وقوّتهم الجسدية بل أيضًا بسبب عدم تقواهم وتشامخهم فأخذوا في صنع كلّ شرّ . وُجدوا في الأجيال كلّها وازدادوا بعد اختلاط أجيال قاين وشيت .

باطلًا . من الآن فصاعدًا سأهتمّ بالحقيقة . سوف أبتهل إلى الله لكي ينجّيني من أعمالك . لقد منحني الروح القدس وأنا أُغضبه . لقد أعطاني نفسًا وجسدًا تقيّين وأنا دنّستهما » هكذا قلْ أيها الحبيب لذاك الذي يحاول أن يوقعك في الأهواء المهلكة .

● إنتبه إلى عدم الطهارة

قال أحد القدّيسين : **يشبه الزنى كلبًا إن داعبته تعلّق بك وإن طردته هرب** . اسمع داود يقول :

« وأكون على انفراد إلى أن أعبر » (مز ١٤٠ : ١٠) أي على كل واحد أن ينتبه إلى نفسه إلى حين خروجه من هذه الحياة .

أرجوك انتبه إلى نفسك ولا تتهامل في سلوك حياتك . لا تخسر أثمار أتعابك بسبب تمتّع صغير ، لا تسلّم بداعي عدم الطهارة أجرة عملك ، أجرة الهدوء والسهر والإمساك والفضائل الباقية . لا تخسرها بسبب عدم الطهارة وتتشبّه بذاك الذي يضع أجرته كلّها داخل كيسٍ فاسد . قليل من الخمير يخمّر العجين كلّه (١ كور ٥ : ٦) . أمّا أنت فاحفظ نفسك من كل شيء بمخافة الله .

● في حياة الهدوء

إسمع ما أقول : في العالم الإنسان العذب اللسان يُعتبر رجلًا كبيرًا ، أمّا في **الحياة الرهبانية الذي يحبّ الهدوء** هو كبير أمام الله . كذلك منْ يسعى في العالم وراء زينة جسده ويبدّل ثيابه مرارًا يكتسب مجدًا بشريًّا ، أمّا في حالتك كل من يزدري بالزينة الخارجيّة ويكترث فقط لحاجات جسده الضروريّة يضمن لنفسه مجدًا سماويًا . وفقًا لما قال الرسول :

« فإن كان لنا قوتٌ وكسوة فلنكتف بهما » (١ تيمو ٦ : ٨) . كذلك في

الحياة العالميّة كل من يفتخر بقوّة جسده وبغناه، يعتبر كبيرًا فيما بين الناس، أمّا في حياة التوحّد الذي يحبّ التواضع بالحقيقة يمجّده الرب كما هو مكتوب:

«اختار الله جهّال العالم ليُخزيَ الحكماء. واختار الله ضعفاء العالم ليُخزي الأقوياء. واختار الله أدنياءَ العالم والمزدرى بهم وغيرَ الموجود ليُبطل الوجود. لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه» (**١ كور ١:٢٧-٢٩**).

فلنحبّ ما يُرضي الله كعبيد صالحين وشاكرين. حتى وإن طاردنا الأشرار وتغلّبوا علينا وباعونا كعبيد، لا نيأس من خلاصنا كما هو مكتوب:

«من وسط الضيق دعوتُ الرب فاستجاب بي ورحّب لي» (مز ١١٧:٥).

لنعمل ذلك كلّه ذاكرين ان الأنبياء اقتيدوا إلى الأسر وعانوا العبودية والشقاء في دار الغربة لكن فكرهم لم يؤسر أبدًا ولم يبتعد عن الله، هذا لأن بيع الإنسان الخارجي أو عدم بيعه لا يعود إلينا، أمّا اكتساب الإنسان الداخلي عدمَ التقوى أم لا فهذا يعود إلينا. لأجل ذلك رأينا القدّيسين يوبّخون الرؤساء ويزدرون بتهديدات الموت لأنهم كانوا يسعون وراء الفضيلة.

نحن تلاميذ الأنبياء فلنسِرْ أيها الأحبّاء على خطاهم ولنكتسب إيمانهم حتى النهاية كما هو مكتوب:

«أنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا في إيمانهم» (عب ١٣:٧). حتى ندخل معهم ملكوت السماوات حيث لا وجع ولا حزن ولا تنهّد (أش ٣٥:١٠). لنسهرْ في الصلاة حتى لا نقع في تجربةٍ (متى ٢٦:٤١) لندرس كلمات الروح القدس فنعكف بحماس إلى قراءة الكتاب المقدّس ونحفظ في فكرنا أقوال الله.

● الإعتراف والإرشاد

إن كشف لك أحدٌ عن أفكاره وأظهر لك ضعفاته لا تزدرِ به في فكرك كونه ارتكب مثل هذه الأشياء بل إعجب بالأحرى بتغيّر سيرته. إن كشف أحد

بإرادته عن خطاياه لأناس روحيين يعبّر عن نيّة إصلاح سيرة حياته أمّا إن خبّأها تكون الأهواء سائدة على نفسه . لأن كل من عمل مع السارقين والزناة لا يفضحهم كونه مشاركًا لأهوائهم .

عليك أن تصلح بروح الوداعة ذاك الذي كشف لك عن أفكاره ناظرًا إلى نفسك كما هو مكتوب لئلّا تُجرّب أنت أيضًا (**غلا ٦:١**) . لأن الرب يقول مع النبي حزقيال « وأنت يا ابن آدم فقلْ لبني شعبك : إن برّ البار لا ينجّيه في يوم معصيته والشرير لا يعثر بشرّه في يوم رجوعه عن شرّه » (حز ٣٣:١٢) .

ليعطنا الرب أن نسير في الطريق السويّ حتى نهاية حياتنا الطريق الضيّق والمليء بالشدائد حتى يُسدّ فم الشيطان الظالم ولا يقل لنا شيئًا مضرًّا لأن لله يليق المجد إلى الدهور . آمين .

* * *

١٠- سيرة القدّيس أنطونيوس

لننتبه إلى أنفسنا أيها الأحبّاء لأن عندنا أعداء ألدّاء لا يرحمون بل يفرحون لسقوط الإنسان . هذا هو فرحهم الوحيد . كان الآباء القدّيسون يعرفون جيّدًا مكائد الأعداء ضدّهم ، لذلك لم يتهاملوا ، لم يتشتّتوا بل كانوا ينتبهون إلى أنفسهم ويرضون الله ويحثّون الآخرين على عمل الخير عبر حياتهم .

هكذا كان **القدّيس أنطونيوس** كما جاء في سيرة حياته كتبها تلميذه القديس أثناسيوس . كان يعيش حياة نسكيّة منتظمة ، يصوم على الدوام ويلبس المسح شعرًا من الداخل وجلدًا من الخارج وقد لازم نسكه هذا حتى آخر حياته ، دون أن يلمس جسمه أو رجلاه الماءَ إلّا في وقت الضرورة القسوى . لم يره أحد عريانًا إلّا عند الموت حين دفنه .

قال **القدّيس أثناسيوس** في كتابه :

« إن كان ذلك كلّه قليلًا بالنسبة إلى فضيلة أنطونيوس إلّا أن هذه الأشياء تجعلنا نتأمّل في مسلك حياة هذا القدّيس : من الطفولة حتى الشيخوخة حافظ بدون كلل على حماسه في النسك . لم يتراجع في شيخوخته عن نبذ رفاهية الطعام ولم يبدّل بسبب ضعف جسده لباسه ورغم هذا النسك الشديد بقيت صحّته جيّدة . كانت عيناه في الشيخوخة صحيحتين لأنه بقي يرى رؤية واضحة » .

لنختصر بقولنا إنه بالرغم من ضعفه ، كان ألمع وأنشط من كل الذين يستخدمون الطعام الجيّد والاستحمام واللباس المرفّه . أمّا نحن الذين نبتكر ما ينعّم الجسد ، لا ندرك مدى خطورة هذه الأمور . لذلك أعداؤنا أنفسهم عندما يرون عدم انتباهنا يسرعون ويصوّبون ضدّنا سهام الخلاعة .

لنسهر إذًا على أنفسنا لكي يحمينا الله من خطتهم العدائيّة . أقول هذا لا لأني حصلت أنا على حياة نقيّة لأنه إن كشف الله عن خطاياي قبل ذهابي إلى الهلاك يرافقني الخجل في الجحيم من أعمالي الرديئة . قلت لكم هذا كلّه بمعونة النعمة الإلهيّة حتى تستفيدوا من المشورة الحسنة . لأنه إن دفع أحد بعض النفوس إلى الخراب يشترك معهم في الهلاك . كذلك إن دفعهم إلى الصلاح يعطيه الرب حصّة جيّدة مع تعهّده بالابتعاد هو نفسه عن الأعمال الرديئة .

● في الإرشاد :

إن صادقتَ أحد الإخوة وأوحى لك ضميرك أنك تتأذّى من معاشرته ابتعد عنه . فقد قال أحد القدّيسين : « **أحبب الجميع وتحفّظ من الجميع** » . أقول هذا لا لكي تكره الآخرين بل لتكره الخطيئة . لأنه مكتوب :

« إن لامتنا قلوبنا فالله أعظم من قلوبنا ويعلم كل شيء . أيها الأحبّاء إن لم

تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله . ومهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه » (١ يو ٣: ٢٠-٢٢) .

كان أحد الاخوة يرشد أخاه إلى الحياة بحسب الله . فمرّ بهما أخٌ ثالث فقال الأوّل : « إني أرشد أخي ولا يريد أن يسمع » فأجابه الأخ الثالث : « عليه أن يسمع ويعمل به فرحًا » . قال الأوّل : « ليس الأمر كذلك ، بل ليختبر كلامي ويرَ إن كان يتّفق مع إرادة الله . إن كان الكلام لا يوافق مشيئة الله فلا يسمعنّ لكلامي ولا حتى لكلام نبيّ . لأن الرسول يقول :

« ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاكٌ من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما » (غلا ١ :٨) . ترى من كانوا أولئك الذين هاجموا سوسنّة في بابل (**دانيال ١٣**) ، ألم يكونوا شيوخًا بل وقضاةً ورؤساء للشعب ؟ هذا حصل معهم لأنهم لم ينتبهوا إلى أنفسهم فسقطوا ولم ينفعهم منصبهم البتة » .

● توصيات عمليّة

لنهتمّ أيّها الاخوة **بالحق** لأن الحق سوف يصوننا ويحرّرنا لأنه في هذه الحياة إن فعل أحد شرًّا وأدانه رئيسه ربما يخلص بهربه إلى مكان آخر لكن من وجه الله كيف نهرب وفقًا لما جاء في المزمور :

« أين أذهب من روحك ؟ أم أين أهرب من وجهك ؟ إن أنا صعدتُ إلى السماء فأنت هناك . أم إن أنا هبطت إلى الجحيم فأنت حاضر. إن نشرت جناحيّ عند انبلاج الفجر وسكنت في أقاصي البحر فما من مفرّ. لأنه هناك أيضًا تهديني يدك وتمسكني يمينك » (مز ١٣٨: ٧-١٠) .

لنحبّ الهدوء لكي نهرب من التشتّت . لنحبّ الإمساك المقرون بمحبّة الله وأيضًا الطهارة والتواضع . لنكن مقبولين عند الصغار والكبّار لكي نهرب من المجد الباطل ومكائد الشيطان كلّها . لنكره السكر والضحك والكلام الباطل الصادر

عن أناس جهلة . يفعلون ذلك كلّه ويخترعونه حتى لا يتوقّفوا عن تمتّعاتهم . أما أنت أيها الحبيب فاهرب من كل ذلك طالما وعدتَ بإرضاء الله . إعمل كلَ ذلك وفقًا لمشيئة الله . « لأن الله لا يُستهزأ به » . فقد قال الرسول :

« فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا . لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسادًا ومن يزرع للروح يحصد حياةً أبديّة » (غلا ٦:٧-٨) .

لا تنشغل **بالأفكار الدنسة** ربّما تجرّك إلى العمل العدائي بل بالأحرى أمقتها وابتعد عنها حتى يرتاح ذهنك . توسّل إلى الرب لكي ينير أعين قلبك . لأن ما هو غير مستطاع عند الناس مستطاع عند الله (لوقا ١٨:٢٧) .

عندما تقف للصلاة لا تترك ذهنك يَشرد حتى لا تُصبح إنسانًا مزدرى به . انتبه إلى نفسك أيها الحبيب عندما ترى أولئك الذين يغتنون في الحياة الحاضرة ويغتذون كالحيوانات . لا تغبّطهم من أجل تمتّع وقتي . لأن الروح القدس لم يطوّب الغني ولا محبّ اللذة ولا الملك بل أولئك الذين يخافون الرب كما هو مكتوب :

« طوبى للرجل الذي يخاف الرب » (مز ١:١١١) .

« وطوبى لجميع الذين يخافون الرب » (مز ١:١٢٧) .

● السلام

إن جعلوك رئيسًا كن **رئيس السلام** حتى تنفتح لك أبواب ملكوت السماوات وتدخل إليها مع الذين يخدمون السلام . لأن الروح القدس يقول :

« افتحوا الأبواب ولتدخل الأمّة الصديقة الحافظة للحق » تحفظ الحق وترعى السلام (أش ٢٦:٢-٣) . لذلك كان أحد القدّيسين يقول : « ليملك السلام والعدل طيل أيام حياتك » .

لنصغ أيضًا إلى القديس يعقوب يقول :

«من هو حكيم وعالم بينكم فلير أعماله بالتصرّف الحسن في وداعة الحكمة. ولكن إن كان لكم غيرة مرّة وتحزّب في قلوبكم فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق. ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هي أرضيّة نفسانيّة شيطانيّة لأنه حيث الغيرة والتحزّب هناك التشويش وكل أمر رديء وأمّا الحكمة التي من فوق فهي أوّلًا طاهرة ثم مسالمة مترفّقة مذعنة مملوّة رحمة وأثمارًا صالحة عديمة الريب والرّياء. وثمر البرّ يُزرع في السلام من الذين يفعلون السلام» (**يعقوب ٣:١٣-١٨**).

ليعطك الرب الوفاق وفقًا لمشيئته. صلّوا من أجلي أنا الشقي لكي ينير الرب عينيّ الخفيتين لأن له الملك والمجد إلى مدى الدهور. آمين.

* * *

١١- جهاد القلّاية وتوصيات أخرى

أيها الاخوة لا نتراجعنّ عن خدمة بعضنا البعض من أجل الرب. لقد عشق الكثيرون فتيات ففضّلوا العيشَ عبيدًا من أجلهنّ. أمّا نحن لِما لا نخدم بعضنا بعضًا بمحبّة الربّ؟ لنتيقّظ أيّها الأحبّاء في الوقت الذي نجلس فيه في قلّايتنا متذكّرين الشهداء القدّيسين الذين كانوا مغلقًا عليهم برباطات حديديّة وصبروا على عذابات كثيرة. فلا نهربنّ من ضيق القلّاية.

لا نتضايقنّ في أوان العمل ذاكرين أن كثيرين من القدّيسين أُرسلوا إلى أعمال إلزاميّة من أجل الربّ. ترى لو كنّا في عهدهم أكنّا سلّمنا حياتنا بسبب العذابات؟ لنتذكّر أيها الاخوة الأحبّاء إحسانات الرب إلهنا الذي جبلنا وأنمانا ويغذّينا ويصوننا من كل شيء. الذي يُخرج الرياح من خزائنه من أجل خدمتنا «الذي يصعد السحب من أقصى الأرض» (مز ١٣٤:٧) من أجل خدمتنا الذي

يكثر الطيور والبهائم والحيوانات المائيّة لخدمة جنس البشر. الذي خلق الشمس لإضاءة النهار والقمر والنجوم لإضاءة الليل (مز ١٣٥: ٨-٩) لخدمة جنسنا والذي خلّصنا بسرّ صليبه الكريم.

لنخدمْه بخوف كبير ورعدة، برجاء حسن، لأننا غرباء في هذه الحياة وعابرون وفقًا لما جاء في المزامير:

«لأني نزيل في الأرض وغريب كما كان جميع آبائي» (مز ٣٨: ١٢).

أرجوكم أنا الحقير المديون بعشرة آلاف وزنة (متى ١٨: ٢٤) الذي أخطأ أكثر من كل خاطئ أن تتقبّلوا مشورتي الحسنة. إحفظوا أنفسكم من كل أمر مضرّ حتى لا تلاقوا أيّ خجل. إن وجد أحد نفسه مذنبًا في موضوع ما ليصلح نفسه ويحفظها من كل تهمة حتى لا يجد الشيطانُ ماقت الإنسان وعدوّ الخير، أيّ شيء سيّء يقوله عنّا. هو يفرح لسقوطنا. لكنه غيرُ قادر أن يفعل شيئًا للذين يخدمون الرب حقيقة، الشيطان الذي يدوسه كل من يتمم مشيئة الله الذي يليق له المجد والعظمة إلى كل الدهور. آمين.

* * *

١٢- إبقَ أيها الحبيب ثابتًا في دعوتك الإلهيّة (١ كور ٧: ٢٠) أعطِ مجدًا لله لأنه أهّلك أن تُعدّ مع خراف رعيّته كي تتغذّى من مرعى خرافه. أصبر حتى النهاية لكي تخلّص نفسك لأنه مكتوب: «بصبركم تقتنون نفوسكم» (لوقا ٢١: ١٩). كن إنسانًا يريد أن يتعلّم من خبرة حياته. اسمع سليمان يقول:

«يا بنيّ إن كان قلبك حكيمًا يفرح قلبي أنا أيضًا» (أمثال ٢٣: ١٥) لا تتسرّع في كلامك ولا توبّخ إخاك بقسوة بل ليعرف صوتك التواضع الكلّي ومخافة الله. لن نشتري الكلمة الطيّبة بمال، بل بإرادتنا لأن الرب قد قدّم لنا الطريقين حتى يختبر استعداد كل واحد.

لنجاوب بعضنا بعضًا يا مختاري الله كما يجيب العبد المؤمن سيّده لأن الرب غير كاذب إذ قال :

« كل من يرفع نفسه يتّضع ومن يضع نفسه يرتفع » (لوقا ١٤ :١١) .

إن تحدّثنا مع بعضنا البعض فلا نتمادين في الأمور الدنيويّة وذلك من أجل إفادة النفس من أجل بنيان الواحد للآخر ، لكلّ إنجاز روحيّ وعمل خيّر . حتى كما هو مكتوب :

« لا تخرج كلمة رديئة من أفواهكم بل كل ما كان صالحًا للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمةً للسامعين . لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء » (أف ٤ :٢٩-٣٠) .

لأن له يليق المجد إلى الدهور . آمين .

أنه يجب علينا أن لا نضحك وأن لا نتشتت بل بالأحرى علينا أن نبكي ونحزن على أنفسنا

بدء خراب نفس الراهب الضحك والدالة. عندما ترى أيها الراهب نفسك مأخوذةً بذلك إعلم أنك قد وصلتَ إلى أعماق الشرور. لا تتوقّف عن التوسّل إلى الله لكي يُنقذَك من مثل هذا الموت. الضحك والدالة يُلقيان الراهبَ في أهواء عدائيّة. ليس فقط المبتدئين بل وأيضًا الشيوخ. الضحك والدالة يحطّمان الراهب.

قال أحدُ القدّيسين عن الدالة: «تُشبه الدالةُ ريحًا مُحرقةً تقضي على ثمار الراهب».

وعن الضحك اسمع ما يلي: يطرد الضحك غبطةَ النوح ويهدم ما كنّا بنيناه. الضحك يُحزن الروحَ القدس. لا يفيد النفس بل يحطّم الجسد. الضحك يطرد الفضائل، ليس عنده ذكرُ الموت ولا التفكير بالدينونة.

أبعدْ يا ربُّ الضحكَ عنّي وامنحني بكاءً ونوحًا أي ما تطلبه مني يا إلهي.

بدءُ النوح أن تعرفَ نفسَك. لا يكنْ نوحُنا بحسب البشر لا من أجل أن يرانا الناس، بل بحسب الله الذي يعرف خفايا قلوبنا لكي يطوّبنا ليشرقْ إذًا وجهنا من الفرح عندما نبتهج بنعمة الروح القدس من أجل عطايا الربّ في اللحظة التي نبكي فيها وننوح بحسب الفكر متوسّلين إلى الله لكي يحفظنا من كلّ شرّ حتى لا نُحرم من ملكوت السموات ومن الخيرات التي يهيّؤها الله للذين يرضونه.

النوح ينفع ويحفظ. يَغسل النفس بالدموع ويجدّد نقاءها. يُطهّر من جديد، النوح يبعد الملذّات، يُكسب الفضائل. ماذا أقول أيضًا؟ النوح يطوّبه الله (متى ٥:٤) وكذلك الملائكة. لذلك كان أحدُ تلاميذ الربّ يقول: «ليتحوّلْ ضحككم إلى نوح وفرحُكم إلى غمّ. اتّضعوا قدام الربّ فيرفعكم» (يعقوب ٤:٩-١٠).

***

لكن ماذا أفعل أنا الذي لا ينوح ولا يبكي على نفسه بتخشّع؟ أقول ولا أفعل. الويل لي كيف أزدري؟ الويل لي كيف أُهملُ خلاصي؟ الويل لي لأني أُخطئ بمعرفتي. أعرف الشرّ في الساعة التي فيها أعمله، ومع ذلك لا أبتعد عنه. الويل لي لأني مذنبٌ بلا دفاع. بالأقوال أعتبر نفسي مع الذين عن اليمين (متى ٢٥:٣٣) وبالأعمال أجلس على اليسار. لك يا ربّ أنت الصالح وعديم الشرّ وحدك، أعترف بخطيئتي. فإنّي إن كنتُ أصمتُ إلّا أنك أنت يا ربّ تعرف كلّ شيء ولا يوجد شيء مخفيًّا لديك أو غيرَ مُلاحَظ منك. لكنك قلتَ مع النبيّ:

«أذكر أنت أوّلًا خطاياك فتتبرّر» (أشعيا ٤٣:٢٦)

لقد خطئتُ يا ربّ خطئتُ ولست مستحقًّا أن أنظرَ إلى علوّ السماء من كثرة خطاياي. لأنه من أجل لذّة قصيرة ازدريتُ بالنار الأبديّة ولم أسعَ وراء ملكوتك.

ماذا أفعل إذًا أنا الأكثر حزنًا من الناس كلّهم؟ لأبكِ على نفسي ليلًا ونهارًا إلى حين يتقبّل الله دموعي. **أعطني يا ربّ دموعَ تخشّعٍ** أنت الصالح الرحوم وحدك، لكي عن طريق الدموع أتوسّل إليك فتطهّر دنسَ قلبي. الويلُ لي ماذا أفعل مع جهنّم النار، مع الظلمة الخارجيّة حيث البكاء وصرير الأسنان؟ (متى

١٣:٢٢، ٢٤:٥١، لوقا ١٣:٢٨) . الويل لي ماذا أفعل باللّجة الحالكة المظلمة ، بالعذابات التي لا نهاية لها ، بالدود الذي لا ينام ؟ الويل لي ماذا أفعل مع تهديد الملائكة الذين يُشرفون على العقوبات لأنهم رهيبون وبلا شفقة ؟ من يقدّم ماءً لرأسي وينبوع دموع لعينيّ ؟ حتى أجلس وأبكي ليلًا نهارًا (إرميا ٩:١) فأتوسّل إلى الله الذي أغضبتُه فيرحمَني .

* * *

لقد أخطأتِ يا نفسي فتوبي لأنكِ تعلمين أن أيّامنا تمضي كالظلّ . قليلًا بعد وتنتقلين من الحياة هذه . سوف تعبرين يا نفسي أماكنَ رهيبة . لا تؤجّلي يومًا بعد يوم توبتك ، عودتَك إلى الربّ . الويلُ لكِ يا نفسُ لأنك أبعدتِ عنكِ رحمةَ الله بالأعمال الدنسة . لا تَدَعي نفسَك تستريح ولا تتوقّف عيناك عن التطلّع إلى الربّ الصالح المحبّ البشر لكي يمنحَك من السماء نعمةً وراحةً .

بعد قليل أيها الإخوة ينبغي لنا أن نجتازَ أماكن رهيبة مُرعبة . يستحيلُ علينا أن لا نعبرَ ذلك الطريق . لا أحد من الذين هاهنا سوف يرافقنا ويساعدنا في الطريق : لا الأهل ولا الإخوة ولا الأصدقاء ولا الأقارب ولا الممتلكات ولا شيء من هذا القبيل . فلا نهملنّ إذًا الأعمالَ الحسنة التي سوف نجدها نافعة عند الحاجة . لنكن ساهرين في الحياة الحاضرة حتى لا يتسلّط علينا رؤساء الظلمة بعد انفصالنا عن الجسد . ترى من يساعدنا آنذاك ومن يخلّصنا من أيديهم ؟ إن وُجدنا في تلك الساعة عراةً من حراسة الله ، نُسلّم إلى رؤساء الظلام بقسوة وبلا شفقة . إنهم لا يهابون الملك ولا الرؤساء سوى الذي عاش بخوف الله ، الذي ما زال حتى آخر نسمة من حياته يعمل الصالحات . بحضور مثل هذا الإنسان يرعبون ، أمامه يرحلون مرتعدينَ تاركين مُرغمين المكانَ لكي يعبرَ بأمان كما كُتب :

« هذا لأن النعة والرحمة تُعطيان لمختاري الله والحراسةَ لأبراره » (الحكمة ٣:٩) . وأيضًا يقول :

« نفوس الصدّيقين في يد الربّ . فلا يمسّها العذاب » (الحكمة ٣:١) .

لأن العدالةَ سوف تتقدّمهم ومجدَ الله يحيط بهم . بصلاتهم سوف يصرخون والله سوف يسمعهم . وبينما هم يصلّون يقول لهم : « ها أنذا حاضر » (أشعيا ٥٨:٨-٩) لأن الله الذي وعد سوف يتمسّك بكلامه (عب ١٠:٢٣) .

طوبى للإنسان الذي في ساعة الانفصال يوجد متحرّرًا من العالم هذا .

إذًا لا نتهاملنّ أيها الإخوة الأحبّاء ولا نجذبنّ إلينا ما هو فاسدٌ وغريب عنّا . سوف يبعد عنّا هذا الطريقُ كلَّ ذلك . لأنه عندما تأتي ساعةُ الفراق عن الجسد تذبلُ اللذّات ، ينقطع التنعّم والمجدُ الباطل ويختفي الغنى وحبّ السلطة .

عندما تأتي ساعةُ الموت ينحلّ كلُّ ذلك وما شابهه .

يا ربّ عندما أفكر بتلك الساعة ، أخرّ ساجدًا وأتوسّل إلى صلاحك حتى لا أُسلّم إلى الذين سوف يعذّبونني . فلا يفتخرنّ أعداؤك على عبدك أيها الربّ الصالح مصرّين بأسنانهم ومرعبين نفسي الخاطئة . فيقولون :

« لقد سقطتَ في أيدينا وأُسلمتَ إلينا . هذا هو اليوم بالضبط الذي ننتظره » .

صلاة :

لا تنسَ يا ربّ رحمتك . لا تحاسبني يا ربّ وفق آثامي ولا تصرف وجهك عنّي مجرّبًا إياي ولا تقل :

« الحق الحق أقول لك لا أعرفك » (متى ٢٥:١٢ لوقا ١٣:٢٧) أنتَ يا ربّ

أدّبتني لكن فليكن ذلك برأفتك فلا يشمت بي عدوّي (مز ٤٠ : ١١) . ضعْ حدًّا لتهديده . إقضِ على نشاطه وامنحني طريقًا لا عيبَ فيه ولا خطر حتى أسلكه نحوك . إستمع إلى توسّلي أيها الربُّ الصالح لا من أجل أعمالي العادلة . بل بداعي رحمتك وصلاحك الجزيل . خلّص من الموت نفسًا حزينةً . تذكّر أيها الربّ الصالح أنه بالرغم من خطيئتي وجراحها حتى الموت ، **لم ألتجئ إلى طبيب آخر** ولم أبسطْ يديّ متوسّلًا إلى إله غريب (مز ٤٣ : ٢١) بل إلى صلاحك فقط . لأنك أنت سيّدُ العالم كلّه . تسود على كل نسمة . أنتَ قلتَ يا ربّ اطلبوا تجدوا إقرعوا يُفتح لكم (متى ٧ : ٧) .

طهّرني يا ربّ من كلّ خطيئة قبل نهاية حياتي . لا تُنكر طلبتي أيها الربّ الصالح . إن فمًا غيرَ مستحق يصرخ إليك متوسّلًا إليك وهو مدنّس بالخطايا . استمع لي يا ربّ من أجل صلاحك لأنك لا ترفض طلبةَ الذين يتوبون حقًّا . ليست توبتي صافيةً : أتوب ساعةً وأُغضبك ساعتين . شدّد قلبي أيها الربّ الصالح ، في مخافتك . ضعْ قدميّ في لجّة التوبة . ليغلبْ يا ربّ صلاحُك شرّي ، ليغلبْ يا ربّ نورُ نعمتك الإلهيّة الظلمةَ التي في داخلي . يا ربّ أنت فتحتَ أعينَ الأعمى (مر ٨ : ٢٥ و١٠ : ٥٢، لوقا ١٨ : ٤١-٤٣، يو ٩ : ٧) افتح أعينَ قلبي المظلمة . أنتَ طهّرتَ البرصَ بكلمتك (لوقا ١٧ : ١٢-١٤) طهّر أدناس نفسي . لتكن يا ربّ نعمتك كالنار التي تُحرق بلهيبها أفكاري الدنسة التي في داخلي . لأنك أنت وحدك صالحٌ ، أنت النورُ الذي يفوق كلّ نور ، أنت الفرح الذي يفوق كلّ فرح ، أنت الراحة التي تفوق كلَّ راحةٍ . أنتَ الحياةُ الحقيقية (يو ١١ : ٢٥) أنت الخلاص الذي يبقى على الدهر .

أجثو لك أيها الصالح وحدك وأتوسّل أنا الذي يستحق كلّ عقاب ، الذي يستحق كلّ هلاك . أتوسّل إليكِ أيها المخلّص حتى لا يسود علي العدوّ المقاوم . بل أنتَ يا ربّ كصالح وعديم الشرّ ورحوم قوّم أعضائي التي حطّمتها الخطيئة إمنح حياةً لنفسي التي أماتها الإثم . أنزْ قلبي الذي غرّقته الشهوةُ الرديئة في

الظلمة وخلّصني من كلّ عمل شرّير وضعْ فيّ محبّتك الكاملة أيها الربّ يسوع المسيح مخلّص العالم واكتبْ اسمَ عبدك في سفر الحياة (رؤيا ٢٠:١٥) مانحًا إياي آخرةً صالحة حتى إذا تغلّبت على العدوّ أسجد أمام عرش ملكك مع كلّ الصدّيقين لأنه ينبغي لك المجد إلى الدهور آمين .

أرجوكم أيها الإخوة الأحبّاء مختارو الله أن تتوسّلوا إلى الربّ من أجلي أنا الخاطئ كما فعل التلاميذ من أجل الكنعانيّة افعلوا أيضًا أنتم المستحقين من أجلي أنا غير المستحق ، أنتم المشهورين من أجلي أنا عديم الشهرة والأهميّة حتى تدخلَ طلبتي إلى أمام الله مع طلباتكم المقبولة لأنه له ينبغي القدرة والعظمة والمجد للآب والابن والروح القدس من الأزل ، الآن وإلى الدهور التي لا نهاية لها . آمين .

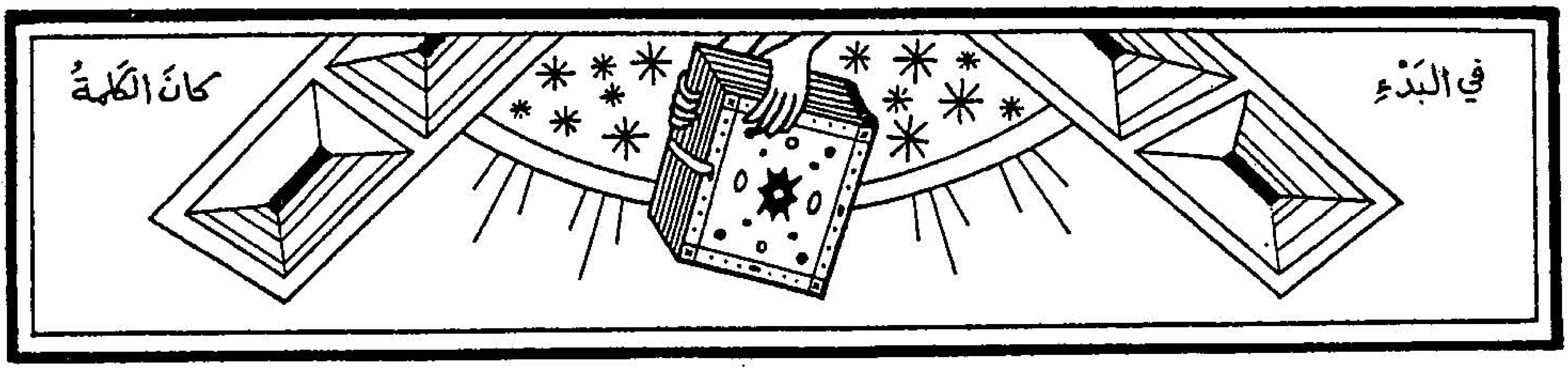

التطوبيات

بارك يا أب !

١- طوبى للذي تحرّر كاملًا بالربّ من ترابية هذه الحياة الارضية الباطلة وأحبّ الله الصالح والشفوق وحده .

٢- طوبى للذي أضحى فلاحَ الفضائل وقدّم للربّ باقةَ أثمارٍ كأرض مخصبة .

٣- طوبى للذي أضحى فلاحًا لحسن الفضائل ، وغرس كرمةً روحية ، وحصد فملأ أجاجينه من أثمار الحياة في الربّ .

٤- طوبى للذي يقدّم لاخوته فرحًا روحيًا من ثمرة الفضائل التي اجتناها بتعبه لكي يقدّم ثمرةَ الحياة للربّ .

٥- طوبى للذي يقف في الخدمة **وفي الصلاة** مثل ملاك سماوي حافظًا أفكاره في كل آن طاهرة ولم يُعطِ للشرير سبيلًا يأسرُ نفسه عن الرب المخلّص .

٦- طوبى للذي **يشتهي النوح** بمعرفة ويُهرق الدموعَ على الأرض بتخشع مثل درر كريمة أمام الرب .

٧- طوبى للذي **يحبّ القداسة** مثل النور ولم يدنس جسدَه بالأعمال الشريرة المظلمة أمام الرب .

٨- طوبى للذي يحفظ جسده مقدّسًا للمخلّص ولم يعيّب نفسه بأعمال قبيحة ، بل بقي مرضيًا أمام الرب .

٩- طوبى للذي يكره كلَ عمل دنسٍ كلّه قباحة مقدّمًا نفسه ذبيحة حيّة مرضية أمام الرب .

١٠- طوبى للذي يملك في نفسه ذكرَ الله ، لأن هذا سوف يُصبح كلّه ملاكًا سماويًا على الأرض خادمًا للربّ بخوف ومحبّة .

١١- طوبى **لعاشق التوبة** القادرة ان تخلّص الخطأة . انه لا يفكّر بعمل الشرّ ، ولا يُنكر النعمة أمام الرب المخلّص .

١٢- طوبى للصامد أمام الرب جنديًا شجاعًا كانزًا كنزًا ملوكيًا ، أعني جسدَه ونفسه غير مدّنسين أمام الرب .

١٣- طوبى للقابع في قلّايته كملاك في السماء ، حافظًا أفكارًا طاهرة ، يُنشد بفمه تسابيح للذي عنده سلطان على كل نسمة .

١٤- طوبى للذي أصبح مشابهًا للشاروبيم والسارافيم ، ولا يتوانى في الخدم الروحية ، بل يمجّد الرب على الدوام .

١٥- طوبى للممتلئ فرحًا روحيًا على الدوام . لا يتكاسل بل يحمل نيرَ الرب الصالح لانه سوف يُكلل بمجد .

١٦- طوبى للذي ينقّي نفسه من كل دنس الخطايا ، لكي يتقبّل بدالة في نفسه ملكَ المجد ربنا يسوع المسيح .

١٧- طوبى للذي يتقدّم من الأسرار الطاهرة (أسرار) المخلّص بخوف ورعدة ويعرف انه يتقبّل حياةً أبديةً .

١٨- طوبى للذي يتأمّل الموت في كلّ ساعة ويَمحي الأهواء العدائيّة المعشّشة في قلبه، لأن هذا سوف يتعزّى في لحظة انفصال جسده عن روحه.

١٩- طوبى للذي يتذكر عذابَ جهنّم بصورة مستمرّة، ويسرع بدموع وتنّهدات ليتوب توبة صادقة امام الرب، لأن هذا سوف يتحرّر من الشقاء الابدي.

٢٠- طوبى للذي يتّضع بصورة متواصلة اختياريًا، لأنه سوف يكلّله ذاك الذي وضع نفسه طوعًا من أجلنا.

٢١- طوبى للذي يجلس في قلّايته بكل ورع كما فعلت مريم عند قدميّ يسوع وكما أسرعت مرتا (لو ١٠:٣٠-٣٨) لدى استقبال الرب والمخلّص نفسه.

٢٢- طوبى للذي يوقد نفسه بمخافة الله محافظًا فيها دائمًا على حرارة الروح القدس ومحرقًا أشواك الأفكار الشريرة.

٢٣- طوبى للذي لم يدنّس يديه بأعمال رديئة لأن هذه سوف تُدان في اليوم الرهيب أمام الرب.

٢٤- طوبى للذي يبذر أفكارًا صالحة جيّدة في كل آن، ويتغلّب بالرجاء على رذيلة الكسل الرديئة التي يحاربها على الدوام نسّاك الربّ.

٢٥- طوبى للذي أصبح كمحارب شجاع في عمل الرب منهضًا المتهاملين ومحرّكًا المتوانين في طريق الربّ.

٢٦- طوبى للذي أصبح مثمرًا في الرب حتى يتّخذ الملائكة القدّيسين حرّاسًا له كما يكون الزارع نفسه حارسًا للشجرة المثمرة.

٢٧- طوبى للذي يحبّ الوداعة بحكمة روحية ولا تطعنه الحيّة الشريرة، متّخذًا الله الصالح والشفوق رجاءً له.

٢٨- طوبى للذي يكرّم القدّيسين ويحبّ القريب ويطرد الحسد من نفسه الخاصة ، هذا الذي اصبح قايين بسببه قاتلًا أخاه .

٢٩- طوبى للذي يزدري الظالم عمليًا ، ولا يتخاذل أمام وجه لهيب اللذات ، لأن نفسه سوف ينديها ندى الروح القدس .

٣٠- طوبى للذي لم يدع غشاوة الظلام الشيطانية تعشّش في فكره فتحرمه من النور اللذيذ ومن فرح الصدّيقين .

٣١- طوبى للذي استنارت عينا قلبه ليشاهد الرب دائمًا كفي مرآة ، لأن مثل هذا يستريح من الأهواء ومن الأفكار الشريرة .

٣٢- طوبى للذي يحبّ الأقوال الصالحة ويمقت الاقوال العدائية الفاسدة لأنه لن يصير أسيرًا للشرير .

٣٣- طوبى للذي ينصح القريب في مخافة الله ولا يُضلّ نفسه خاشيًا في كل لحظة عصا الراعي الكبير الحديديّة .

٣٤- طوبى للذي يطيع القريب بحسب الله ويصبر على الشدائد بشكر . لأن مثل هذا سوف يُكلّل بسبب اعترافه بالرب .

٣٥- طوبى للذي لا يسيطر عليه هوى الكسل كفاقد الرجولة ، بل اتّخذ الصبر كاملًا ، هذا الذي بواسطته فاز القدّيسون بالأكاليل .

٣٦- طوبى للذي يحبّ الإمساك بمرضاة الله ولا يُدان بسبب بطنه كمتنعّم ومدنّس ، لأن مثل هذا سوف يعظّمه الله .

٣٧- طوبى للذي لا يسكر بالخمر كالابن الشاطر ، بل يبتهج في كل حين بذكر الرب الذي يبتهج به القدّيسون بتواصل .

٣٨- طوبى للذي يدبّر بمرضاة الله ممتلكاته ولا يُدان من الله المخلّص كمحبّ للفضّة وعديم الشفقة على القريب .

٣٩- طوبى للذي يسهر في الصلوات والقراءات والعمل الصالح، لأن مثل هذا سوف يستنير ولا ينام الى الموت.

٤٠- طوبى للذي أصبح شبكة روحية صالحة يتصيّد كثيرين للسيّد الصالح، لأن مثل هذا سوف يمدحه كثيرًا الربّ.

٤١- طوبى للذي أصبح نموذجًا حسنًا للقريب دون أن يصدم ضميره فاعلًا ما لا يحلّ فعله، لأن مثل هذا سوف يباركه الربّ.

٤٢- طوبى للذي أضحى طويل الأناة وشفوقًا ولم يستعبده الغضب البربريّ والعداوة الشرّيرة، لأن مثل هذا سوف يرفعه الرب.

٤٣- طوبى للذي ارتفع بمحبّة صائرًا مثل مدينة موضوعة على جبل التي منها تراجع العدوّ بخوف مرتعدًا من صمودها في الرب.

٤٤- طوبى للذي أشرق بايمانه بالرب كمصباح منير موضوع على منارة عالية ينير نفوسًا مظلمة اتّبعت بدعة الجاحدين غير المؤمنين.

٤٥- طوبى للذي يحبّ الحقيقة باستمرار، ولم يسمح ان يستخدم فمه للتجديف، لأنه يخاف من أمر الرب لكل كلمة بطالة[١].

٤٦- طوبى للذي لا يحكم على قريبه كعديم الحكمة، بل بحصافة روحانية جاهد لكي يخرج الخشبة من عينه الخاصة.

٤٧- طوبى للذي أزهر قلبه كالنخل بايمان مستقيم ولم تستعبده بدعة الجاحدين غير المؤمنين كما من الأشواك.

٤٨- طوبى للذي أصبح سيّدًا على عينيه ولم يغوه لا عقليًا ولا حسّيًا جلد البشرة الذي سوف يذبل سريعًا:

---

(١) متى ١٢:٣٦.

٤٩- **طوبى للذي عنده أمام عينيه ساعة الموت** ويزدري الكبرياء قبل ان يظهر فساد طبعيتنا في القبر ونتانتها .

٥٠- طوبى للذي يفكّر بالساكنين في القبور بالجملة ويبعد كل شهوة ضارة ، لأنه سوف يقوم بمجد عندما يُنفخ بالبوق السماوي موقظًا أبناء البشر كلّهم .

٥١- طوبى للذي يتأمل بحكمة روحية حلقة النجوم الساطعة بمجد وجمال السماء ويرغب في رؤية صانع الكلّ .

٥٢- طوبى للذي يملك في ذهنه النار التي نزلت على جبل سينا وأصوات الابواق وموسى المنتصب في الوسط بخوف ورعدة ولا يتراخى في سبيل خلاصه .

٥٣- طوبى للذي لا يضع رجاءه على البشر بل على الرب الآتي بمجد كبير لكي يدين المسكونة كلّها بعدل ، لأنه سوف يصير كشجرة مثمرة على مجاري المياه .

٥٤- طوبى لذاك الذي أصبح ذهنه بنعمة الله كسحابة مليئة بالمطر وأروى نفوسًا مائتة لتنمية ثمار الحياة ، لأن نعمته سوف تؤول الى فخر أبديّ .

٥٥- طوبى للذين يسهرون باستمرار بمرضاة الله لأن الله سوف يحفظهم في يوم الدينونة ويصبحون أبناء العريس ويشاهدونه بابتهاج وسرور ، بينما أنا والذين على شبهي المتهاملون ومحبّو اللذّة سوف يبكون وينوحون عندما يرون اخوتهم في المجد غير المدرك وهم يتعذّبون .

تطوبيات أخرى

بارك يا رب !

١- طوبى للذي ازدرى ذلك العيش البشري وتركه ، وفي الله وحده وجد اهتمامًا ومعنى لحياته .

٢- طوبى للذي مقت الخطيئة ورذلها حبًّا بالله الصالح والمحبّ البشر وحده .

٣- طوبى للذي أصبح على الارض ملاكًا سماويًا متشبّهًا بالسارافيم . لديه في كل حين أفكار طاهرة .

٤- طوبى للذي أصبح أمام الله ، قدّيسًا ومعتقًا من كل العيوب ومن كل الافكار والاعمال الشريرة .

٥- طوبى للذي أصبح كله حرًّا في الرب من كل أمور هذه الحياة الباطلة .

٦- طوبى للذي يملك في فكره ذاك اليوم الآتي الرهيب ويجتهد في معالجة جروح نفسه بالدموع .

٧- طوبى للذي أصبح كلّه سحابة دموع وأطفأ بدموعه المتواصلة لهيب أهوائه الشريرة .

٨- طوبى للذي يسير في طريق وصايا الرب صانعًا في كل يومٍ مسكنًا بصدق عن طريق الايمان والمحبة .

٩- طوبى للذي يتقدم في أعمال النسك الصالحة راجيًا أن ينال من الله الملكوت السماوي.

١٠- طوبى للذي يخاف من حكم الرب الرهيب بسبب الكلام البطال ويجعل حارسًا لفمه حتى لا يخالف الوصية[١].

١١- طوبى لذاك الذي أصبحت نفسه شجرة فتية عنده دموع متواصلة بحسب مشيئة الله مثل فيضان الماء.

١٢- طوبى للذي يزرع زرعًا جيّدًا في نفسه الخاصة أي الفضائل وحياة القدّيسين.

١٣- طوبى للذي يزرع زرعه ويسقيه متقدّمًا بدموع حتى يأتي زرعه مرضيًا ومثمرًا نحو الرب.

١٤- طوبى للذي احترق بمحبة الرب كمن النار وأحرق كل فكر دنس وورم نفسه.

١٥- طوبى للذي أصبح طوعًا أرضًا صالحة جيّدة مثمرًا ثمرًا حسنًا في كل حين ويعطي ستين وثلاثين.

١٦- طوبى للذي صار من جهة استعداد قلبه[٢] زرعًا صالحًا في الحقل بذره السيّد في حقله الخاص[٣].

١٧- طوبى للذي وجد لؤلؤة مختارة سماوية، وبعد أن باع كل ما كان يملك على الأرض اشتراها وحدها[٤].

---

(١) متى ١٢: ٣٦ «ولكن أقول لكم إن كل كلمة بطّالة يتكلّم بها الناس سوف يعطون عنها حسابًا يوم الدين».

(٢) نيّة - استعداد داخلي.

(٣) متى ١٣: ٢٤.

(٤) متى ١٣: ٤٦.

١٨- طوبى للذي وجد الكنز المخفي في الحقل فازدرى كل شيء بسبب فرحه واقتناه[٥].

١٩- طوبى للذي يتذكّر باستمرار **ساعة الموت**، ويجتهد ان يكون في ذلك الوقت مستعدًا غير خائف.

٢٠- طوبى للذي يقتني دالةً في ساعة انتقاله من هذا العالم عندما تنفصل النفس بخوف ووجع، لأن الملائكة تأتي وتفصل النفس عن الجسد، فتمثل أمام المنبر الرهيب الازلي.

* * *

● توصيات

في ساعة الموت سوف يعترينا خوفٌ شديدٌ عندما تنفصل النفس بخوف ورعدةٍ. لأنه في ساعة الانفصال هذه تكشف أمام النفس أعمالها كلها، التي عملتها في الليل والنهار، الصالحة والرديئة، والملائكة يسرعون لاخراجها من الجسد. لكن النفس تنظر إلى أعمالها هذه وتخشى الخروج. **إن نفس الخاطئ تخرج بخوف من الجسد**، وتذهب برعدة للمثول أمام منبر الحاكم الرهيب. وعندما تضطر للخروج من الجسد وتشاهد أعمالها تقول بخوف: «أعطوني مجالًا، ساعةً واحدةً، قبل أن أغادرَ الجسد»، ولكن أعمالَها تجيب: «أنتِ فعلتنا، لنرحل اذًا معك إلى الله».

لنزدرِ، أيها الأخوة الأحبّاء، ذلك العيشَ الباطل ولنشتهِ المسيحَ القدوس وحده مخلصَ نفوسنا، ذلك لأننا لا نعرف أية ساعة يأتينا الموت ولا يعرف أحدٌ ساعةَ خروجه من هذه الدنيا. فجأةً بينما نحن نسير، بينما نحن نتنعّم بلا همّ

---

(٥) متى ١٣:٤٤.

على هذه الأرض، يُدركنا الأمرُ الرهيب لكي تؤخذَ النفس من الجسد وتذهب في ساعة ويوم لا تنتظرهما وهي بلا جواب عن خطاياها كلها. لذلك أرجوكم أيها الأحباء، لنتحرّر من هذا العيش الوقتي الباطل، فلا نُستعبد له. إنه مليءٌ بالعثرات والفخاخ. لنجنّح نفسنا حتى تطيرَ وتستريح من هذه العثرات والفخاخ. في كلّ وقت ينصُبُ الشريرُ فخاخًا أمام نفسنا لكي يعثرها أولًا ويقودها بالتالي إلى الهلاك الأبدي.

نحن نسير أيها الأحباء وسط العثرات فلنتنبّه إذًا لئلا نسقط في فخاخ الموت. إن فخاخ الشرير مليئةٌ بالعذوبة الظاهرة أعني الاهتمام بالأمور الدنيويّة، بالأموال، بالأفكار والأعمال الشريرة. فلا تتحلَّ أنت اذًا يا أخي، بحلاوة فخاخ الموت، ولا تتهامل، ولا تستسلمْ إلى الأفكار الشرّيرة. إن وجد الفكر الشرير مدخلًا إلى النفس، تستلذ النفس بالهذيذ بالشرّ فيوقعها في الفخ ويُميتها، هذا اذا لم يُطرَد بالصلاة، بالدموع، بالإمساك والسهر. كن صاحيًا متحررًا من كل الأرضيات حتى تفرَّ من الأعمال والأفكار الشرّيرة. لا تستسلمْ ولو للحظة واحدة لاتّباع فكر شرير. لا تسمح للفكر السّيء أن يدخلَ إلى نفسك. إلتجئْ دائمًا إلى الله **بالصلاة**، **بالصوم**، **وبالدموع** حتى تتحررَ من العثرات كلها، من الفخاخ والأهواء.

* * *

● توصيات أخرى

لا تعتقد، يا أخي، أنك سوف تعيش وقتًا طويلًا على الأرض. ولا تنصرفْ إلى حياكة الأفكار والأعمال الشريرة. سوف يأتي أمرُ الرب بغتةِ فيجدك تخطأ.

ولا تلقى وقتًا للتوبة وللغفران. ماذا تقول للموت، يا اخي، في ساعة

الانفصال ؟ آنذاك لن يُسمح لك بلحظة واحدة . لقد اعتقد الكثيرون أنهم سوف يعيشون طويلًا على الأرض ، فوفد الموت بغتةً ، فوجد رجلًا خاطئًا غنيًا يحسب انه سوف يعيش طويلًا ، وفي راحة لسنين كثيرة ، فيعدّ ثروته بالانامل معتبرًا أياها كافية لسنين طوال . أتى الموتُ في لحظة واحدة واختفى كلُّ حساب ، كلّ غنى ، وكلُّ اهتمام بالزمن الباطل .

من جهة أخرى ، جاء الموت أيضًا فوجد رجلًا صالحًا يجمع كنزًا جيّدًا سماويًا بالصلاة والصوم وهو **يتطلّع إلى الموت دائمًا أمام عينيه** ، لا يخاف من مجيئه ومن انفصال الجسد .

هكذا توقع أنت أيضًا الموت في كلّ يوم ، وكن حكيمًا وروحانيًا . توقع في كلّ يوم انفصالك عن هذا العالم ومثولك أمام منبر الرب . هيّء في كل يوم مشعلك ، وكن مستعدًا حاذقًا . لا تدعه ينطفئ بل أوقده دائمًا بالصلوات والدموع . جاهد في كلّ مناسبة لأنه **سوف يأتي زمنُ الالحاد** ، زمنُ التهامل والكسل ، زمنُ القساوة ، والأمرُ الذي يحجب عنك التفكير بالصالحات وذلك بسبب ضلاله .

انظروا ، أيها الأحباء ، كيف أن الشرور كلها تزداد يومًا بعد يوم . يُقبل الشر علامةً للضيق الكبير الذي سيعمّ المسكونة كلها . **كلّ هذا يتمّ بسبب خطايانا** . تزداد الشرور على الأرض بسبب تهاملنا . فلنكن ساهرين ، محبين لله ومجاهدين لكي نظفر في الحرب على الشرير . لنتدرّبْ على فنون الحرب اللامنظورة ، فأهمّها التعرّي من الأرضيات . إن كنّا نتوقع الموت أمام أعيننا في كلّ يوم ، فلن نفشل أبدًا ، لنتعرَّ إذًا ، من الاهتمامات الدنيويّة ، لنزدرِ الأرضيّات كشيء عابر . آنذاك أيها الحبيب سوف تنال إكليل الظفر . الأرضيات تجذب الإنسان إلى أسفل ، **والأهواء تُظلم عيني القلب** أثناء المصارعة . لذلك ينتصر علينا الشرّيرُ نحن المهتمّين بالبشرة العابدين أهواءَنا . لأننا نحبّ ما هو جسدي ، يلتصق فكرنا بكلّ ما هو أرضي وذلك بسبب تهاوننا .

إن النهار مال إلى الغروب والزمن الحاضر يمضي . أما نحن ، فبسبب عدم إيماننا نعتقد أننا بعد في الصباح . ها إن ملكوت السماوات على الأبواب ونحن لا نريد أن نسمع شيئًا عن العلاقات والحوادث التي أحدثها الله من أجلنا(٦) . لقد حصل جوع ، زلازل ، حروب وتهديدات وتحركات للأمم . كلّ ذلك نحسبه فيما بيننا كالحلم . لا يُخيفنا صداه ولا حتى حضوره . إن الأخيار يتجمعون قبل مجيء الشدة حتى لا يروا الخراب الآتي إلى هذا العالم الظالم . لقد اقترب الحصاد ومعه نهاية الدهر الحاضر . الملائكة يُمسكون المناجل وينتظرون الاشارة السانحة .

فلنخف ، أيها الأحباء ! لقد أتت الساعة الحادية عشرة والطريق ما زال طويلًا . لنجتهد حتى نظلّ سائرين في الطريق . لنتيقظ ونحفظ أنفسنا من نوم الكسل متشبهين بالذين لا ينامون . لا نعرف في اية ساعة يأتي سيدُ الأرض كلِّها . لنُعتق أنفسنا من ثقل الأمور الأرضية وهمها « لا تهتموا أبدًا بما على الأرض(٧) يقول الرب : علينا أن نحب بدون تمييز(٨) . هذه كانت وصيته لنا . أما نحن فنطرد المحبّة لتغيبَ عن الارض . تكثرُ الخطايا . الظلمُ يعمّ كلَّ شيء بدون استثناء . كلّ واحد يلتمس بشدّة ما هو ارضي ويزدري السماويات . لا أحد منا يتوق إلى الخيرات المستقبلة . هل أنت ترغب في أن تكون إنسانًا سماويًا ؟ فازدرِ ما هو أسفل واسعَ إلى ما هو أسمى . اجتهد أن تكون كاملًا واطلب ملكوت السماوات .

لا تفكر هكذا ، ايها الراهب ، فتقول : «إن تعبَ النسك كبير وأنا لا أستطيع التحمّل ، لا أستطيع أن أجاهد » . انتبه إلى أقوال وصيتي الحسنة . تعلّم جيّدًا ما أقوله لك ، يا أخي الحبيب ومحب المسيح : إن أردتَ أن تذهب إلى بلد

---

(٦) متى ٢٤:٦-٧.

(٧) متى ٦:٢٥.

(٨) يو ١٥:١٢.

بعيد آخر لا تستطيع أن تجتاز المسافة في لحظة واحدة ، لكن في يوم تنتقل من محطة إلى أخرى . وبعد وقت وتعب تُدرك البلدَ المطلوب . هكذا يكون ملكوتُ السماوات وفردوس النعيم. كلّ واحد يصل إلى هناك عن طريق الأصوام والامساك والأسهار. **الامساك ، الدموع والصلاة ، السهر والمحبة هذه هي المحطات التي توصلنا إلى السماء** . لا تخشَ شيئًا في وضع أساس للطريق الذي يؤدّي إلى الحياة . إن شئت ان تقطع الطريق وحدك وكنت نشيطًا في سعيك ، يصير الطريق سهلًا سويًا تحت قدميك ،فتسيرُ بفرح وتقطع بشكر المحطات كلّها . شدّد في كلّ يوم خطى نفسك في كلّ محطة ، فلا تجد صعوبة في الطريق المؤدي إلى السماء. إن الرب السماوي قد أصبح بنفسه طريقَ الحياة(٩) لكلّ الذين يريدون أن يذهبوا بفرح إلى أبي الأنوار(١٠).

* * *

● تضرّع

أيها المسيحُ المخلّص ، لقد صرتَ من أجلي طريقَ الحياة التي تقود إلى الآب . هذا هو الفرحُ وحده ونهاية الطريق هي ملكوت السماوات. لقد صرتَ من أجلي ، ايها الرب يسوع يا ابن الله ، طريقَ الحياة واستنارةً ، فغرفْتُ مواهبَ من ينبوعك وذلك بكلّ قواي وبشوق كبير. فأصبحتْ نعمتُك في نفس عبدك نورًا وفرحًا أحلى من العسل في فم خادمك. لقد اصبحتْ نعمتُك في نفس عبدك مثل كنز أغنى فقري وطرد منّي الحرمان والشقاوة. صارتْ نعمتُك ملجأً وقوّة لعبدك ، معونةً ، مدحًا ، فخرًا وغذاءً للحياة كلّها. كيف يستطيع عبدك ، ايها السيّد ، أن يصمتَ أمام عذوبة محبتك الغزيرة ونعمتك ؟ لذلك فتحتَ فمي غير

---

(٩) يو ١٤:٦.

(١٠) يعقوب ١:١٧.

المستحق. كيف يستطيع لساني بسبب نعمتك أن يسبّح ويمجّد مانحَ الخيرات؟ وكيف أتجرّأ أيضًا أن أوقفَ أمواج نعمتك التي تتدفق في قلب خاطئ تملؤه عذوبةٌ لا توصف؟ سأرنم تمجيدًا لسيّد السماوات الذي أعطى عبده مواهبه السماوية بغزارة. سأمجّد نعمتك، أيها المسيحُ المخلص، لأنه بهذا أتمجّد أنا أيضًا. لا أتوقّف عن تسبيح نعمتك، أيها السيّد، ولن تتوقف قيثارتي عن إنشاد ترانيمَ روحية. إن شوقك يجذبني اليك، يا مخلص. أنت فخر حياتي. نعمتك تحلّي ذهني فيتبعك. ليصر قلبي أرضًا خصبة تتقبل الزرعَ الجيد ولتُسقط فيها نعمتك ندى الحياة الأبدية. ولتحصدْ نعمتك من أرضِ قلبي باقات جيّدة أعني **التخشّعَ، السجودَ، التقديس**، كلَّ ما يرضيك دائمًا. أعدْ نفسي إلى حظيرة فردوس النعيم مع الخروف الضال الذي وجدته. هلّا توجد نفسي داخل النور. ذاك الخروف الضال، لما وجدتَه رفعته على منكبيك[11]. أما هذه النفس الشقيةُ فامسكْها بيدك، وقدّمها للآب الطاهر الازلي حتى أقولَ في نعيم الفردوس مع جميع القدّيسين: «المجد للآب الازلي، السجود للذي منح مواهب سماوية لعديم الذكر لكي يقدّم هذا الأخير ثمرَ تمجيد لملك الكلّ إلى الدهر آمين».

(١١) لوقا ١٥:٥.

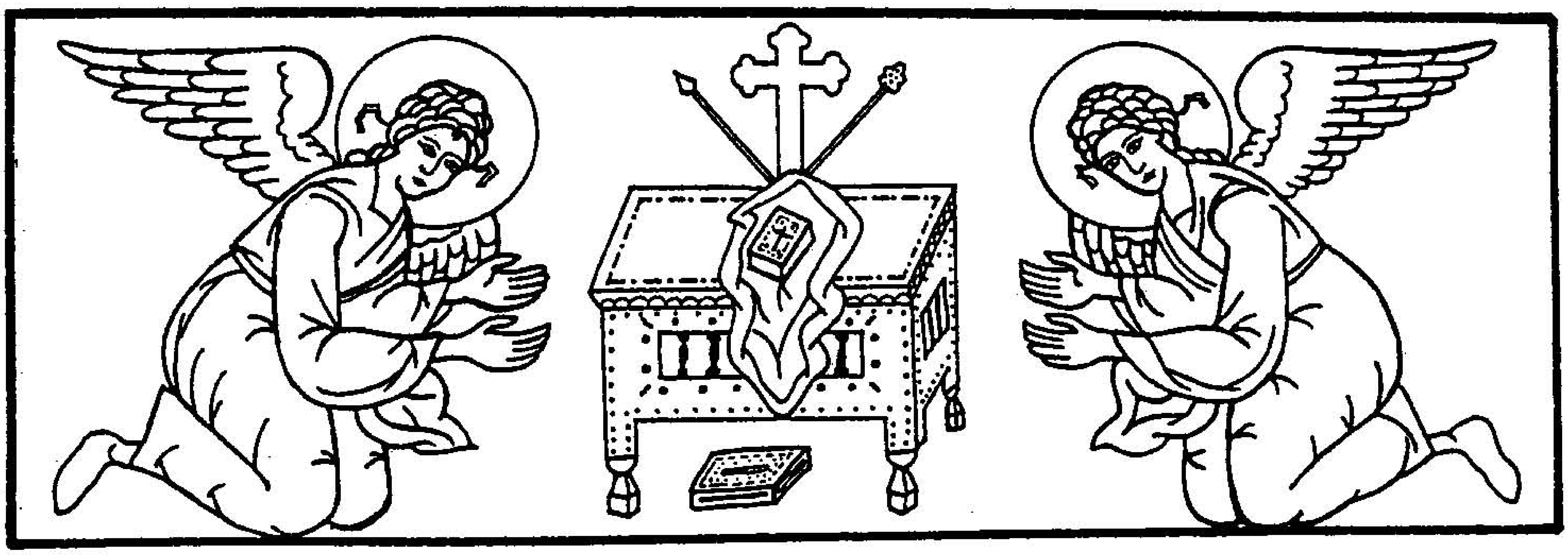

الميمر الخامس والسادس

مئة فصل (*)

كيف يكتسب الانسان التواضع

مئة نبذة تشتمل على أخبار وأحاديث وتعليم ووعظ وكيف يُقتنى التواضع وعدمُ الكبرياء .

١ – بدءُ الثمرة هو الزهرة ، وبدءُ التواضع هو الطاعةُ في الرب . ثمرُ الطاعة هو طولُ الروح ، وطولُ الروح هو ثمر المحبة . **والمحبة هي رباطُ الكمال (كول ٣ : ١٤)** . والكمالُ هو حفظُ وصايا المسيح . ووصيةُ المسيح منيرةٌ تُضيء العيون . والعيونُ المستنيرة تهرب من طرق معاندي الشريعة . ليكن لك التواضعُ مجلسًا ، ولتكن كلماتٌ بهية لكي تكونَ كاملًا في محبّة المسيح ، لأن المخلّصَ قد قال : « كونوا كاملين كما ان أباكم السماوي هو كاملٌ » (متى ٥ : ٤٨) .

من اين يتولّد استعلاءُ الذهن؟ انما يتولد من عدم الطاعة والخضوع

(*) يقول القديس فوتيوس الكبير حول هذه الفصول المفيدة : يستقي منها الإنسان نعمةً وقدرةً وبهذه الفصول المئة حول التواضع يتسلّح MIGNE P.G. 103 660 B.

والاذعان ، ومن انقياد الانسان لرأي نفسه . أمّا المتواضعُ فهو مطيعٌ سريعٌ الاذعان وديع يكرّم الصغار والكبار . وإني اثق أن من أحرزه ينال من الرب الثواب الجزيل والحياةَ الأبدية .

٢- ان سكنتما اثنان في حجرة واحدة فانتبها الى ذاتكما بيقظة عالمينْ ان الرب هو بينكما لأنه قال : « حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فأنا أكون هناك فيما بينهم » (متى ١٨ :١٩) . واذا كنا لا نُبصره -لاننا غيرُ مستحقّين - فهو بما أنه إله قد عرف ونظر افكارَ كل واحد وعمله .

٣- إن كل خبز لذيذٌ عند الرجل الفاسق[١] ، ولا يُرجعه عن عادته حتى الوفاة . الرجل الذي يَطفُر من سريره يقول في داخله : من يُبصرني ومن أخشى ؟ فحيطانُ بيتي تسترني ، والعليُّ لا يذكر خطاياي . فهذا لا يعلمُ أن عينيّ الرب مضيئتان أكثر من الشمس بربوات الأضعاف ، وناظرتان جميعَ طرق الناس ، وفاحصتان النواحي المكتومة . فلذلك يُنتقم منه في أسواق المدينة من حيث لا يعلم .

● التقوى

٤- ان اخترتَ لذاتك التقوى فاحذر أن يلقيَ الخبيثُ في ذهنك تحت ستار الورع فكرًا غريبًا أي المجدَ الباطل والكبرياء . فإذا كنت لا تؤثر أن تتعب مع اخوتك فاعمل كما يعمل اخوتك ونظراء نفسك ، واحفظ الورع . لان التراخي يُلغي التقوى ويجلب التعييرَ على صاحبه . أقرنْ بالورع الحرص[٢] والمعرفة فتكون تقيًا حقيقيًا .

(١) راجع حكمة سيراخ حيث يُشار رمزيًّا إلى الجسد . (سيراخ ٢٣:١٧-٢١) (أو ٢٤-٣١) .

(٢) الحرصُ أي : بحيطة واجتهاد واحتراس . قال يسوع : « كونوا حكماءَ كالحيّات » (متى ١٠:١٦) . فالحياة الروحية بحاجة إلى نباهة وسعي حثيث وبطولة لا إلى السذاجة والبلادة والتواني . هي حلبةُ مصارعين لا حلبةُ تنابل .

٥- اذا اقتنيتَ تواضعًا جدًا لئلا يحتال عليك العدوّ ويقودك الى طريق غريبة وذلك بأن يلقي في ذهنك خواطرَه كما تقول الحكمة : لا تقل « إني أختفي من الرب ، ومن يسمعني من العلاء ؟ لستُ أُذكرُ في شعب كثير . لأن ما هي نفسي بين الناس الذين لا يُحصون » (سيراخ ١٦:٦١-١٧) . ولكن سيراخ الحكيم يعقب على ذلك بقوله : «الجبالُ واساسُ الأرض تزلزلت مرتعدةً من نظره اليها[٣] » فينبغي اذًا ان نقرن بالتواضع الايمانَ ، لنشقَّ اتلامَ (أي خطوط الفلاحة) التواضع مستقيمةً .

● الصبر على الهوان

٦- دخل أخ الى دير لكي يترّهبُ فأُسلم الى شيخ كبير في حجرته واتفق بعد أيام ان حاربته الافكار فقال : لا أرتاح في وجودي مع هذا الشيخ ، فوعظه أخ آخر قائلًا له : لو وقعتَ بين ايدي البربر ، ودُفعتَ إليه عبدًا أكنتَ تقول : لا اشاء أن أكون مع هذا ؟ فلما سمع الأخ هذه الأقوال تخشع ، وسجد سجدةً ، وقال : اغفر لي وزاد قائلًا : من اراد ان يترهب ولا يصبر على السّبِ والهوان والخسارة لا يستطيعُ ان يكون راهبًا .

● الاستعلاء بالفكر

٧- أذا أقبل أحدٌ الى السيرة الرهبانية نشيطًا بفكره يحتال العدوّ عليه بأن يُضرِمَ فيه الدالةَ والوقاحة . فإذا انتهى أمره في الرهبانية الى إحراز التقوى وكان شابًا بعد ، يمنحه نشاطًا في النسك أكثر من قدرته على تتميمه . فالمحبّ والخائف الرب حقيقةً لا ينقاد للفكر الأوّل والثاني . وان وقع في خديعة الشياطين فمخافة الرب الذي أحبّه في الحقيقة تُضيء قلبَه ليسلكَ في الطريق المستقيم ، فإن الوقح

---

(٣) حكمة سيراخ (١٦:١٨-١٩) .

والفاقد الخجل لا يوقن بالدينونة . وكذلك المتصلّف والمتعظم ، لأنه يحسب ذاته عظيمًا . هذا هو الاعتداد بالنفس .

● هوى الاعتداد بالنفس

فقلْ للذي يحاربك : أبعدْ عني ايها الفكر الخبيث فمن أنا ، وايةُ فضيلة قد أتقنتُها حتى تلقيَ في قلبي الخواطر ؟ القدّيسون بعضهم رُجموا وبعضهم نُشروا وبعضهم امتحنوا ... حتى ان سيّد الجميع نفسَه سُمِّر من أجلنا على الصليب واستُخِفَ بالخزي (عب ٢:٢١) . فأنا السالك في الخطايا كل زمان حياتي ، بماذا اعتذرُ يوم الدينونة ؟

هذا يطرد عنك الاستعلاء بالفكر . وان كنتَ تقوّمت فافهم يقينًا ان ذلك لم يكن بقوّتك ، بل كما يقول القائل : « لا انا ، بل نعمة الله التي معي » (كور ١٥:١٠) . ان آذتك الوقاحة تفكر في أعمالك وقلْ مرددًا : أنا مساهم في مساوئ كهذه ، فكيف أجترئ على فتح فمي ، بينما الرب يقول : « ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس يُعطون عنها جوابًا في يوم الدين » (متى ١٢:٣٦) . فيجب ان تسجد للرب على حسب ما يعلّم قائلًا :

« أيها الرب الضابط الكلّ ، إله آبائنا ابراهيم واسحق ويعقوب ونسلهم الصدّيق ، الصانع السماء والأرض وكل رتبهما . يا من قيّدتَ البحرَ بكلمتك ، يا من أقفلتَ اللجة وختمتها باسمك المرهوب المجيد ، يا من يرتجف الجميع ويرتعدون أمام قدرتك لان جلالَ مجدك العظيم القدوس لا يُواجه ، وسخطك بالوعيد على الخطأة لا قرارَ له ، ورحمة موعدك لا حدّ لها ولا يُستقصى أثرها لأنك أنتَ الرب العالي المتحنن الطويل الاناة الجزيل الرحمة التواب على خطايانا ومساوئ الناس . أنت ، يا رب ، على قدر غزارة صلاحك وعدت الذين يخطأون اليك بالتوبة وغفران الذنوب . وبكثرة رأفتك حددتَ توبة للخطأة من

أجل الخلاص . فأنت ، يا رب ، يا إله القوّات ، لم تدع التوبةَ للصّديقين ابراهيم واسحق ويعقوب الذين لم يخطأوا اليك ، بل جعلتَ لي التوبة انا الخاطئ . لأني خطئتُ اليك اكثر من عدد رمل البحر . قد تكاثرت آثامي ، يا رب قد تكاثرت آثامي . ولست بأهلٍ أن ألتفتَ وأنظرَ الى علوّ السماء من كثرة ظلمي ...»[٤].

ولك لكيما يطردَ عنك الابتهالُ هذا والخوفُ الوقاحةَ هذه .

٨- حاربَ فكرٌ غريب أخًا رغمَ أنه قد اقتنى شيئًا من الفضائل ، فأراد أن يغلب فكرَ الاستعلاء بالرأي ، فأدنى يده من اسفل المرجل (الدست) المتوقّد نارًا وقال في ذاته : ها أنتَ تحترقُ فلا يترفعْ عقلك فيما بعد . فها نحن نرى الفتيانَ الثلاثة في وسط اللهيب المضطرم ولا يترفع أحدهم بقلبه ، بل باتضاع عقل عظيم سبحوا الله ممجدين في وسط الأتون وقائلين : « لكن اقبلنا لانسحاق نفوسنا وتواضع أرواحنا » (دانيال ٢:٣٩) . وبهذه الطريقة غلبَ شيطانَ التكبر بالفكر .

٩- اذا وُجد انسانٌ روحانيٌ حريص ومحبٌ عظيم في اتقان الفضائل فلا يحتقره أحدٌ بل يجب أن تعضدوا أمثال هذا ، لانهم مُرضون لله ومفيدون للجماعة . واعتبروا أمرَ الذين سقطوا في عمق البحر كيف خلصوا بسبب الصدّيق الذي بينهم كما كتب : « لا تخفْ ، يا بولسُ ، فانه لا بدَ لك أن تقف أمام قيصر . وها ان الله قد وهبك جميعَ السائرين معك » (أعمال ٢٧:٢٤) . وكذلك بنو اسرائيل تغلبوا على الفلسطينيين وجبّارهم جليات بداود النبي .

١٠- بعد أن ارتدى أخٌ اللباسَ الرهباني في دير ، حوربَ بأن يخرجَ من ديره . فألقتِ الافكارُ في ذهنه هذا الرأيَ : إعتبرْ غراسَ البستان وانظر كيف انها

---

(٤) هذه صلاة منسّى ملك اليهودية وقد وردت في كتاب ترتيب الأجيال العبراني . أنظر إلى العهد القديم ٢ أخبار الأيام ٣٣:١٣ و١٨ تُتلى في صلاة النوم الكبرى . وهي في الحقيقة ليست من تأليف منسّى ، بل منشأة في القرن الثاني . سفر الملوك يتهم كثيرًا منسّى . سفر أخبار الأيام يلمح إلى توبة ما . مسيحيًا ، عبارة « الذين لم يخطأوا إليك » لا تتفق مع كلام بولس : « الجميع خطئوا واعوزهم مجد الله » (رو ٣:٢٣) .

لا تنمو ان لم يقْلعها البستاني من المغرِس (المشتل) فسائلَ وينصبها في موضع آخر. فميّز الاخ الفكرَ وقال: هل يقتلعُ البستانيُ الغراسَ باسرها ولا يتركُ منها ما يستطيعُ انماءَه في مكانه؟ ومع هذا فالفسائل التي تُقتلع لا تُصان من التلف كالباقية في المغرس. فصِرْ أنت اذًا واحدًا من الذين لم يُقتلعوا. وبهذا غلب الفكر بمؤازرة النعمة.

١١- ان آثرت ان تسكنَ في دير مشترك فاحذرْ أن يلقنكَ الفكرُ مكرًا لتدبير المؤامرات الكثيرة قائلًا: إنني أتعب لكنَ طعامي قليلٌ فلا تُنقصْ عملَ الله من أجل الطعام. لأنك اذا فكرتَ في هذا لا تكون متبّعًا المحبة والاجدرُ بنا ان نسمع الصوتَ الخلاصيَ القائل: «من ترى الوكيلُ الامينُ الفطن[٥] الذي أقامه سيّده على خدمِه ليعطيهم مكيالَ القمح في حينه. طوبى لذلك العبد الذي اذا اتى سيّده وجده يعمل هكذا. في الحقيقة أقول لكم انه يقيمه على جميع ما هو له ولكن ان قال ذلك العبد في قلبه إن سيدي يُبطئ في قدومه فجعل يضربُ العبيدَ والاماءَ ويأكل ويشربُ ويسكر، يأتي سيدُ ذلك العبد في يوم لا ينتظره وساعة لا يعلمها ويفصله ويجعل نصيبه مع الكافرين» (لوقا ١٢:٤٢-٤٦) أو (متى ٢٤:٤٢-٥١). هناك يكون البكاء وصريف الاسنان (متى ٨:١٢). فلنفوّض الى الرب كلّ شيء، ولا نطالب نظيرَنا في العبودية بشيء.

١٢- سمعتُ الرسولَ يقول للمتقدم الى الكهنوت: «تأمل في ذلك. لا يستهنْ أحدٌ بفتوتك» (١ تيمو ٤:١٢) فاحذر ان تستعملَ الوصية بهوى، فقد قيل في فصل آخر: «إدعوا رعيةَ الله لا كمن يتسلّط على ميراث الله، بل كمن يكون مثالًا للرعية وحين يظهر رئيسُ الرعاة تحصلون على إكليل المجد الذي لا يبلى» (١ بطرس ٥:٢-٤). وقال الرسول بولس: «اقتدوا بي كما أقتدي انا

(٥) اللفظة اليونانيّة تعني مدركًا حاذقًا فهيمًا. لفظة «فَطِن» تجمع هذه المعاني وهي عكس الغبي الساذج.

بالمسيح » (١ كور ١١:١) . فإن الكبرياءَ غريبة على المؤمنين وذلك على حسب قول الرسول بطرس : « ان الله يقاوم المستكبرين ويؤتي المتواضعين نعمة » (١ بطرس ٥:٥ ويعقوب ٦:٤) .

١٣ – إنْ آذاك **روح الضجر** فلا تنقد لهذا الفكر ، بل اثبت في المكان الذي نصبك الله فيه مكررًا الهذيذ في شوقك الى الله حين أتيتَ في الابتداء الى باب الدير . وتمسّك بهذا الشوق الى النهاية ، لئلا يتمّ فيك المقولُ : « فكان يأكل ويسحق ويدوس الباقي برجليه » (دانيال ٧:٧) . واصطبرْ للرب فيما بعد كمجاهد ظافر بصبره على الذين يضربونه .

« فإنّ الذي يصبر الى المنتهى فذاك يخلص » (متى ١٠:٢٢) .

١٤ – كان أخ يتدرج في الدير المشترك وكان دائمًا صامتًا ليقطعَ من ذاته الدالة . فقال فيه المبتدئون رفقاؤه : ترى ، أيتكلم عن تقوى أم أنه لا يحسن التكلّم ؟ وآخرون قالوا : ان فيه شيطانًا . واما هو فكان يسمع هذه الاقوال ولا يجاوبهم ، بل كان يعطي مجدًا لله في قلبه .

١٥ – قال أخ : إني سألتُ الرب أن يمنحني **كلمة التواضع** لكي اقولَ لفكري اذا فعل أخي امرًا ما (أي اذا امرني ان أفعل شيئًا ما) : هذا هو ربُّك فاسمعه وإذا فعله آخرون (أي اذا أمرني آخر) هذا هو أخو ربك . واذا أمرني ثالث : اسمع ابنَ ربك . فأقاوم بذلك الافكارَ الخبيثة . وهكذا كان يعملُ عمله بلا قلق تؤازرهُ النعمة في ذلك .

١٦ – بينما كان الاخوة يعملون في الليل عملًا اضافيًا علاوةً على فريضة العمل تأذّى أحدهم من البرد فعاد الى حجرته . فتذمّر منه آخرُ ، فأرسلوا اليه أخًا يناديه . ولما أتاه الاخ المُرسل وجده يتألمُ بشدّة ، فقال له : الاخوة يسألونك عن حالك كيف أنت ؟ ويقولون لك : لا تبالِ بعملك فنحن نعمل ذلك . فقال : سأذكرُ محبتكم . أنا أتيتُ لأتعبَ معكم فمنعني مرضي . فذهب الرسولُ الى

مرسليه وقال لهم : ان الأخ منهوكُ القوى كافة وقد قال : إني كنتُ أريد أن أتعبَ معكم .

١٧- تدرّجَ أخ في دير مشترك فحاربته الافكارُ لجهة التعب فأجابها قائلًا : أيها العبدُ الرديء ، قد بعت[٦] فماذا يمكنك أن تصنع بعد ؟ فمنحه الله تعزية .

١٨- كان الاخوةُ يومًا يأكلون ، فقام أخ ليسقيهم . فتناول منه أحد الشيوخ ، فإذا بالماء حارّ جدًا ، فقال له الشيخ : أحرقني ، يا ولدي . فمضى الاخ الى حجرته وضرب ذاته قائلًا : ترى لو كنتَ عبدًا لانسان شرس الخلق وصنعت هذا ، أما كان يُثخن لحينه جسدك بالجراح ؟ فلا تتوانَ .

١٩- مغبوط الراهب الحافظ وصايا الرب والمهتم لهذه الثلاث :

١- **المواظبة على الصلاة** (كولسي ٤:٢ ورومية ١٢:١٢) والاشتغال بها .
٢- العمل . ٣- الدراسة . فإنه قد كتب : « كفّوا إذنْ واعلموا اني انا هو الله »[٧] (مزمور ٤٥:١٠) . وأيضًا « امّا أنا فمسكينٌ وفقير وفي الشقاء منذ حداثتي » (مزمور ٦٩:٥ ومزمور ٨٧:١٥) وأيضًا « وفي شريعته يهذّ نهارًا وليلًا » (مز ١:٢) .

٢٠- اذا رأيت أخًا متهاونًا في أمر خلاصه فلا تعثرْ بتوانيه ولا تُضارعْه في الكسل ، بل احفظ ذاتك نقيًا . فكيف نريد ان نجدَ رحمةً عند الله ان يحملْ بعضُنا أثقالَ بعضٍ ، (غلا ٦:٢) . فلنحرصْ على ان لا نصنعَ عثرةً أو شكًا . فإن من لا يُغوي أخاه بأي وجه من الوجوه سيُدعى بالحقيقة عظيمًا في ملكوت السماوات .

٢١- لا تتوانَ في أمرِ خلاصك أينما أقمتَ ، لانه كُتب في ناموس

(٦) أي أنت صرت مبيعًا (مبيوعًا بالعامية) .
(٧) أي دعوا الاهتمامات الدنيويّة .

موسى : « اذا ابتعت عبدًا عبرانيًا فليخدمْك ستَ سنوات وفي السابعة يخرج حرًا مجانًا . وان قال العبدُ قد أحببت مولاي وزوجتي وَبنيَّ لا أخرج حرًا .. يثقب مولاه أذنه بالمثقب فيخدمه الى الأبد » . (خروج ٢١:٥-٦) . ايها الراهبُ ، قد زهدتَ في الدنيا أو في العالم ، وصرتَ محررًا لأن المسيح قد حررك (يو ٣٦:٨) . فلا تحب من جديد التعبدَ للعالم الباطل لئلا تصيرَ أواخرك شرًا من اوائلك » (٢ بطرس ٢:٢٠) . بل فلنعبدِ المسيحَ الذي حرّرنا .

٢٢- اذا اقمتَ في مكان شهير الاسم ، فاحذرْ ان يتسلّط عليك تكبّرُ العقل . فلا ترذلْ بذهنك الاخوة كانهم من جماعةٍ حقيرةٍ لان الرب وحده يعرف خفايا القلوب ، وذلك لئلّا تكونَ أنت متباهيًا بالورق واولئك حاصلين على الثمر . الأولى بك ان تضعَ نفسَك بقدر ما تطيق فتجد نعمةً لدى الرب ، لأن قدرة الرب عظيمةٌ ، ولأن المتواضعين يُعظمونه ويمجدونه .

٢٣- اذا أقمتَ في طاعة أب روحي فلا تضعْ حدودًا لنفسك قائلًا : لا يمكنني أن أعمل هذا أو ذاك . فإنك ان لم تعملْ فلن تفلت من دينوينةِ المعصية ، فأنت تحتاجُ منذ الآن الى ان تصونَ نفسك بحسن تدبير ، اذ ان هذه الافكار لا تثبتُ في النفس . واذا اتفق ان أُمرت بما يفوق الطاعة فلا تقاوم ترتيبَ الرئيس بغضب ، بل بتواضع وتوسّل . فبصوت منخفض تعرف الرئيسَ بالأمر الذي يفوق طاقتنا . ولنقاومْ حتى الدم في مجاهدتنا الخطيئة (عبرانين ١٢:٤) .

٢٤- قال أخ تضرعتُ الى الله لكي يُحلَّ بركتَه ونعمتَه على عمل يدي حتى أقومَ بتهيئةِ الطعام لأهلِ الدير كافةً ، دون ان يكون لي فضلٌ في ذلك .

٢٥- على المتقدّمين (أي الرؤساء) أن يراعوا استطاعةَ كل واحدٍ من المطيعين متذكرين الربَ القائلَ : فأَعطى ثمرًا الواحد مئة والآخر ستين والآخر ثلاثين (متى ١٣:٨) ، وذلك لكي يَرضى كلٌّ في مرتبته .

٢٦- اذا خرجتَ من الدير المشترك فأقمتَ منفردًا ثم عدتَ بعد مدةٍ طويلة

الى المكان الذي خرجت منه ، فكّر كأنك تبدأ الآن بالسيرة الرهبانية ، فتنالَ راحة . ولا تكنْ لك (في البدء) تقوى ثم تصير بعد ايام بلا ورعٍ . بل فليقهرْك التواضعُ في كل حين فتمجدُ نعمة الله .

٢٧- قد يتّفقُ أن ينجح أحد الأخوة في التقوى ، فيجنّدُ العدوّ عليه أحدَ الاخوة المتوانين جدًا لكي يزعجَه . فيعرضُ أن يتجنّبه الأوّل بحسب جهله . وقد يحدثُ بعد إصلاحِ ذاتِ البين ان تثورَ الافكارُ المضادة عليه[٨] فيقول : أهلكتَ التقوى . ها قد انفضحتَ أمام اخوتك ، فماذا تنتظرُ . استعملِ الصراحةَ لئلا يُسيئوا استعمال بساطتك كضعيف وذليل لأنه قد كُتب : « مع المعوج تبدو ملتويًا » (مز ١٧:٢٦) ، ولا تتذلّلْ لرجلٍ أحمق .

وليس معنى هذا كذلك وإلّا فتماثلُ فاعلي الاثم لان الرسولَ يقولُ : لا تنغلبْ للشر بل أغلب الشرَ بالخير (رومية ١٢:٢١) . والربُ يوصي قائلًا : « من لطمك على خدك الايمن فحوّل له الآخر » (متى ٥:٣٩) . على هذا المنوال ينبغي ان نبدو ملتوين مع المعوج ، غيرَ خاضعين للخطيئة لأنه قد كُتب : « الحق الحقَ اقول لكم إنَّ كل من يعمل الخطيئة هو عبدٌ للخطيئة » (يوحنا ٨:٣٤) . فإن لم يقاوم الأخُ بهذه الخواطر ويجاهد المضادين ، فلا يَدعونَه يثبتُ في طريق الفضيلة بل يُصيّرونه عضوبًا . وساخطًا ومقرّعًا ، فظّ الاخلاق لا يَجني نفعًا لذاته ، بل يُعطي النفوسَ الاخرى فرصةً للارتداد[٩] . أما اذا سلك في السيرة الشريفة بتعقّل فيُصبح أوفرَ حكمةً في المصارعة بما أنه يكون قد اختبر المضرّة وعرفها .

٢٨- كان أخوان يحلّان أثناء السهرة عقدَ خيوط الكتان الملفوفة . فكان خيط الكبب ينقطع دائمًا . فطفق احدُ الاخوين يغتاظ في فكره على الآخر . ثم شاء[١٠] أن يغلبَ الغضبَ ولا يُغمّ أخاه فلجأ الى الحيلة التالية : ألا وهي انه اخذ

---

(٨) على الأول التقيّ .

(٩) أي يُفسد الآخرين . الارتداد هو الرجوع عن الدين أو المذهب أو الطريقة .

(١٠) هذا الآخر .

يقطع خيوط كتّانه هو حين كان أخوه يمدّ كتانه. وهكذا وُجدتْ الكبتان معقدتين. فانطلقا ولم يُحزن أحدهُما الآخر ولم يعلم الأخ ما صنع أخوه.

٢٩- كان أخ يقرأ الميمر في السهرة فآثر أن يتمم الفصلَ، فاستمرّ قليلًا في القراءة، فطفق راهبٌ آخر يتذمر منه قائلًا: قد سمعَ. قفْ فلم يقفْ. فقال له آخر: تُرى لو أمرنا الرئيسُ ونحن نتغدّى بأن نشرب قدحًا إضافيًا اما كنا نقبل ذلك بسرور؟ فلما سمع الاخ ذلك سجد سجدة قائلًا: إغفرْ لي.

٣٠- قال أخ لاخيه: لماذا ترفع الفضارة (أي الصحن الكبير) بسرعة ولا تدعنا نأكل؟ فأجابه: أنا عبدٌ. وما يأمرني به الذين هم أكبر مني فإياه أفعل. فلما سمع الاخ ذلك قال: إغفرْ لي.

٣١- أنا أعتقد انه من المفيد للاخوة ان يأخذَ الرئيسُ المتقدم على ذاته كلَ اهتمام المطيع[١١] ويجعل الاخ بلا همّ وبدون أن تغلبه الاشياء التي تتجاذبُ ذهنَه، وخاصة بدون أن يدعها تعوقه بالاهتمام بالزائرين العالمين، وذلك لكي يشتغلَ فكرُ الاخ بالصلاة وحدها، فيبادر مرتقيًا الى سموّ الفضائل كالنحلة التي تعمل بحرص، فإن الرسول يقول «ان العشرةَ الرديئة تفسد الاخلاق السليمة» (١ كور ١٥:٣٣). فإن غرقًا عظيمًا يغش النفوس في المكان الذي لا يراعي السلوك فيه القوانين والتدابير الروحية.

٣٢- أيها الراهبُ، اذا زارك أخ راهبٌ أو عالمي فلا تقفْ على ضيافة فوق طاقتك لئلا تندم بعد انصرافه على الأشياء التي أنفقتها، بل قدّم الشيء الذي يسّره الرب فانه من الافضل ان تقدّمَ مسلوقات بمحبة من ان تقدم مسمّنات ببغض فالرب يحبّ الراحمَ الباش (رو ١٢:٨).

٣٣- أيها الاخوة لم أبتغِ من هذا ان أزيل منكم الغرباء بل أن يكونَ قربانُكم حسنَ القبول بلا عيب على حسب ما يعلم القائل: «كونوا مضيفين

(١١) أي الراهب الخاضع لطاعته.

بعضكم لبعض من دون تذمر » (١ بطرس ٤:٩) . وأنتم لا تحتاجون الى أن أكتب اليكم في محبة الضيافة لانكم قد علمتم ان ضيافة الغرباء هي افضل من فضائلَ عديدة اذا أضاف ابراهيم بها ملائكة (عب ١٣:٢) وبسببها لم يهلك لوط مع الصدوميين[١٢] . وكذلك لم تهلك راحاب الزانية مع العصاة حين قبلت الجاسوسَين بسلام (يشوع ٢:١) فإن المسيح يقول : « كنت غريبًا فأويتموني » (متى ٢٥:٣٥) ، « وطوبى للرحماء فانهم يُرحمون » (متى ٥:٧) .

٣٤- اذا زارك أخٌ ووقفتما تقيمان الصلاة المعتادة ، فأمرتَ الأخَ ان يتلو شيئًا يسيرًا مم قد حفظه ، فاستعفى للمرّة الأولى والثانية والثالثة فلا تكرهه ، فإنه يوجد كثيرون لا يعرفون ان يكرزوا بالفضيلة بالقول بل بالعمل . وبهذا تسرّ قلب أخيك لأن الخصومة لا تكون أبدًا طريقًا الى الفضيلة ، بل من طبعها ان تنشئ غضبًا .

٣٥- اذا تعهدتَ مريضًا فاحرص على الّا يزرع العدوُ بينكما كلامًا لغوًا ووقيعة (أي ذكرُ معايب الناس) ، لئلا تخسر ثوابك فإن للمحال مثلَ هذه العادة وذلك يجعل الواحدَ يخسر بالسمع والآخرَ بالنطق . وانما عليك ان تعزّي المريضَ بأقوال الكتب الإلهية وبآلام المخلّص .

٣٦- اذا زارك أخ غريب فأعنه على قدر طاقتك لتكونَ مساعدًا لمحبة الضيافة فيمهّدُ الرب طرقَك .

٣٧- اذا خرجتَ الى العمل مع اخوتك فساعدْ أضعفهم قوَةً على قدر الاستطاعة التي وهبك اياها الله متيقنًا أنك تأخذ من الله ثوابَ التعب والترثي . واذا كنتَ خائرَ القوة وسقيمًا فلا ترغبْ في التكلّم كثيرًا ، ولا تأمر وترتب الوجائب مجترئًا ، بل اخترِ الصمت والهدوء . فإذا رأى الربُ تواضعك يُقنع قلوبَ اخوتك بأن لا يضعوا عليك ثقلًا .

---

(١٢) تكوين ١:١٩-٣ و١٥.

٣٨- المتوحدون يُطوبون الذين في الأديرة المشتركة لانهم يسيرون سيرة يغلبون فيها. والذين في الاديرة المشتركة يطوبون المتوحدين ولاسيما منهم[١٣] اولئك الذين يسلكون بتوانٍ والمثقلون بالضجر[١٤] أمّا الكامل الرأي فينفر بسهولة من فخاخ العدو لأن هوى حب المال هو كليّ الرداءة حتى انه أصلُ كل شر (١ تي ٦:١٠). فعلينا أن نعرف بماذا يُقتلع أصله أي بأن يكون «اتكال الانسان على الله بكل قلبه ونفسه» (أم ٣:٥).

٣٩- اذا كنتَ نشيطًا في عملك وصانع الامور العظيمة فلا تتشامخ بهذا، ولا تحتقر الاخوة الذين هم أضعف منك قوة فانّك لا تتم بذلك الفضيلة بل الاحرى بك ان تكرم الله وتتقيه ليرزقَك القوة حتى النهاية. فالمتوكلون على قوتهم هم جهّال (ام ٢٨:٢٦) والمفتخرُ فليفتخرْ بالرب (١ كور ١:٣١).

٤٠- يجب ان لا نحسدَ الأخ على نجاحه لأننا جسد المسيح نحن (١ كور ١٢:٢٧). أيها الراهبُ، اذا شكاك رئيسُك أو من يُفوض اليك العمل مريدًا تحسين العمل فلا تقبل التوبيخ بتثاقل، بل الأولى بنا ان نُجيد العمل بصورة أكمل وبضمير صالح لكي يشكر الله من يبيع السلعة ومن يبتاعها. ولنقل للذهن: تُرى، لو ذهبنا في اليوم التالي نبيع أو نشتري، أما يُصيب الكدرُ والاغلالُ ذهنَنا بسبب الغشّ وعدم الاتقان.

* * *

٥٢- اذا أصابَك مرضٌ فلا تكاتبْ باستمرار والديك الجسديين، ولا تلجأ الى معونة زائلة وعناية بشرية، بل الجدير بنا ان نطيلَ اناتنا منتظرين رحمة الرب

(١٣) أي من سكان الأديرة المشتركة.

(١٤) تجربة شيطانية تنفّر المتوحّد من توحّده وراهب الدير من الحياة المشتركة مع الرهبان. والضجر عدوّ الإنسان من المهد إلى اللحد. النصر عليه مستحيل إلّا بيسوع وتدريب المدرّبين بين الروحيين الحاذقين.

لكي يُدبر أمرنا في كل شيء فإنه قد يكون الوقت زمانًا يحتاج فيه الجسدُ الى التأديب . فلنرضِ الله في كل النوائب ، فإنه هو المعتني بنا (١ بط ٥:٧) .

٥٣- مرض أخ مرة فجسمَ نفسه عناءَ العمل (أي غصب نفسه على العمل) وبكى على انفراد في حجرته متضرّعًا الى الرب لكي يمنحه عافية . ثم قال في نفسه : يا ويلي أنا المتواني في حقّ نفسي في كل حين ولا أهتم بصحتها ، بينما طلبت الى الرب بدموع شفاءَ جسدي . ثم لما تألم يسيرًا قال : ايها الرب يسوع المسيح ، اشفِ نفسي وجسدي لئلا أكون عبئًا على الاخوة . ولا اقول هذا ، يا رب ، معتقدًا ان الانسان يقتات من قوته فانك إن لم ترزقه ، ايها السيّد ، حاجاته والاشياء التي تكفيه فهو ليس بشيء . بل ، يا سيّدي ، هب الصحة لعبدك البطال ، فانك أنت هو الله اله التائبين وبي توضح كلّ صلاحك لأني غيرُ مستحق .

فبرئَ وهو بعد ينجز عمله ، وقال ما جاء في كلام بولس الرسول : « متى ضعفتُ فحينئذ أنا قوي » (٢ كور ١٢:١٠) . فإنه في الحقيقة اذا مرض الانسان تصير نفسه ملحّة إلحاحًا لا يوصف . حسنٌ هو التأديب اذا شكر المؤدب . ومن نال هذا فليقل : « **أنقبل الخيرَ من الله ولا نقبل منه الشر؟ (ايوب ٢:١٠)** . « ليكن اسم الرب مباركًا (أيوب ١:٢١) .

٥٤- اذا جلستَ بعد تنفيذ القانون فلا تدع الضجرَ يغلبك بايحائه اليك ان تكفَّ عن العمل في اليوم الثاني أو الثالث من الاسبوع . فهذا يطرأ على البعض في الأديرة المشتركة ، لانه يلقي في ذهن الراهب أن يرتاحَ اليومين الثاني والثالث من الاسبوع ، ويدعه يتلوّى بأفكاره حتى نجاز العمل في باقي ايام الاسبوع . فأنت تشدّد في كل أمر كيلا يجد المقاوم ما يفعله . جاهد في النهار ، ولا تُوثق عقلك بالاوهام والحزن ، فيشتغلَ بالصلاة .

٥٥- اذا زهد أحد في العالم ، وخرج الى الأخوة ، وطفق يتدرّب وهو

مبتدئ بعد يُلقي الخبيثُ في نفسه شهوةَ الحظوى بارتداء اللباس الرهباني (الاسكيم) قبل الزمان المعيّن له، وذلك كيلا يحتمل الاخ كبر الشهوة فيهرب من الميدان (من الجهاد).

وإن صبر ولبس الاسكيم. يوحي اليه أن يخرج من الدير المشترك ويقيم متوحدًا موردًا له هذه الاسباب: اخرج من هنا واسكن متوحدًا واعمل قليلًا، انك ضعيف ولا يمكنك احتمال تعب هذا العمل. واذا خرج الاخ غيرَ محتمل بشهامة تعب النسك يجد اتعابًا تتكاثر بوفرة واذا اتفق اصابه مرض يندم أيضًا على تركه مكانه.

٥٦- قد يتفق ان يمدَّ الخبيثُ اخًا بنشاط في النسك وتقشف في السيرة حتى حدّ الافراط. ثم يورد له بعد زمانٍ يسير طولَ المدّة وخطرَ الاصابة بمرض الجسم من جراء التعب المضني الذي يقاسيه الى أقصى حدّ. فإن كانت نفسُ الاخ ظامئة الى الخلاص فلا يثق بالافكار الخداعة، بل يُذعن لإرشاد الناس المختبرين والمتّقين للرب ومشورتهم، فيصدّ عنه هجوم الافكار. واذا كان لا يسلك طريق الفضيلة يجني عليه الهوى فيرتبط بالنسك غيرَ مؤثر ان يكون في المكان مع الاخوة نظرائه، وذلك لكي يستعملَ الشهوة كما يشاء. لكن أمثالَ هؤلاء يتردّون في حفرة السقوط لانهم انما باشروا عملَ الفضيلة لارضاء الناس، ولأن أساسهم لم يكن على الصخر بل على الرمل (متى ٧:٢٥-٢٦). ولذلك حين نزلت الامطار وجرت الانهار وهبّت الرياح وصدمت ذلك البيت بالافكار سقط (متى ٧:٢٧). فقد توهّموا انهم قد حازوا الفضيلة، فصاروا متشامخين. ولما سقطوا ألقوا بذواتهم في وهدة اليأس الذي لا يجوز الجنوح اليه. فانه قد كُتب: «اذا عثر الرجلُ فلا ينصرعُ» (مز ٣٦:٢٤). «وليست مرضاتي بموت المنافق لكن بتوبة المنافق عن طريقه فيحيا» (حز ٣٣:١١). أما السالك بما يُرضي الله فإذا أجرى كل فضيلة فلا يتشامخ ولا يترفع، بل يواظب على التفكير في عظمة الرب وكيف انه «وضع نفسه وصار يُطيع حتى الموت، موت الصليب»

(في ٢:٨)، وينذهل من خشية الموت كما يعلم القائل: أحسب ذاتي ترابًا ورمادًا (تك ١٨:٢٧).

إن من يريد أن ينسك بحسب ما يشاء الله لا يفوض أمرَه إلى سقطةٍ رديئة. وإذا ما جنحت نفسه إلى هفوة ما - بما أنه إنسان - فإذ قد علم الرب فقدان الشر من قلبه يثبّت نفسَه ويعضدها بعظات عبيده. أما من يوعظ فيجاوب انما يشبه فرسًا شموسًا لا يرهبُ اللجامَ حتى يؤدي براكبه، لان القاسي القلب يسقط في المساوئ.

٥٧- من يتوانَ في أمر خلاصه وفي العمل في الدير المشترك يصرْ مثالَ توانٍ لاخوة كثيرين. أمّا المهتم بخلاصه فيؤهّل لشرف عظيم في السماوات، لأنه صار مثالًا صالحًا في العالم الحاضر، وأثار نشاط الإخوة المتوانين الى مباشرة الفضائل. فكما ان المحارب الاوّل في الصفوف أثناء الحرب يحظى بكرامة لدى الجميع هكذا يكرّمُ الله من يتيقظ في عمله.

● فضيلة الراهب:

٥٨- أيها الراهب، اذا خطئتَ وفعلتَ ما لا يجب، فلا يخادعْك الفكرُ، فتتعظّم وتقول: ان الراهبَ أفضل من الإنسان العالمي ولو فعل شرورًا كثيرة. فإنه قد كُتِبَ: «ليس من وصّى بنفسه هو المزكى بل من وصّى به الربّ» (٢ كور ١٠:٢٨). فأنت إفحص أعمالك أولًا إن كنت قد نهجتَ بالحقيقة سيرة زاهدٍ، لتعلمَ ما اذا كنت قد رفعتَ ذاتك أو غلبتَ الشهوة، وأحببتَ المسكنة، أو أبغضتَ النميمة ولم تحبب الباطل أو مقتَ الخطيئة، ورفضتَ اللذة وغلبتَ العالم ولم تؤذِ أحدًا، أو اذا لم تسخط حين شُتمتَ، ولا تترفع اذا مُدِحتَ أو إذا كنتَ قد أحببتَ الرب بكل قدرتك وقلبك وقريبك كنفسك (لو ١٠:٢٧). فإن كنا لا نحفظ هذه فلا نتعظمنَّ بكلامنا، اذ يجب علينا ان نبكي أمام صلاحه لكي يشفي قساوة قلبنا، ويجعلنا مستحقين لان نسيرَ السيرةَ الضيّقة الفاضلة. الويل للراهب الذي أضاع الورع وتمادى بجسارة في شرب الخمر. فإن لم يتيقظ

فسوف يضطرّ في نهاية حياته الى ان يذوق المرّ، بينما الذي يحفظ طرقه بمعونة الرب سوف يرث مجدًا أبديًا.

يجب أن لا نضع قانونًا على المبتدئين حتى لا ينتقلوا من شيخ الى آخر. هذا اذا كان الانتقال مستحسنًا لأن مكائد الشيطان عديدة.

ويجب أن لا يسمح لمن هو فتى ان يدلّ (أي ان تكون له دالة) على الاخوة، بل الأليق ان يكون في سكون وطاعة.

وينبغي ان لا يشكك المتقدمون الاطفال ويصيروا لهم قدوة سيئة لأنه كتب: «ويل لمن يسقي صاحبه ويسكب عليه مرارته» (حبقوق ٢:١٥) بل يجب ان نصير قدوة للمؤمنين. وليس لمن يريد الخلاص ان يلتفت الى هفوات الآخرين، بل ان ينتبه الى ذاته لانه قد كُتب: «لذلك نحرص أيضًا ... ان نكون مرضيّين عنده. لأنه لا بدّ اننا جميعًا نُظهر أمام كرسي المسيح لينالَ كل واحد على حسب ما صنع بالجسد خيرًا كان أو شرًا» (٢ كور ٥:٩-١٠).

ان كان أحدٌ لا يطيع من هو أكبر منه كما يجب فليحتمل هذا (أي الأكبر) وهنَ المبتدئ. فإن هذا التعب نفسه يصون اتعاب الزمن الذي عبر اذ ان الرسول يقول: «يجب علينا نحن الأقوياء ان نحتمل وهن الضعفاء ولا نرضي أنفسنا. فليرضِ كل واحد منا القريب للخير» (رو ١٥:١-٢).

٥٩- لا يثبت الراهب في مكان ما ولا يجد راحةً ان لم يحبّ الصمت والامساك أوّلًا لأن الصمت يعلّم الهدوء والصلاة المستمرة، ولان الامساك يجعل الذهن غيرَ مغلوب وغير مشتت. وأخيرًا إن السلام يتبع ذاك الذي يتمسك بالصمت والامساك[١٥].

---

(١٥) الصمت يعمّق الحياة الداخلية فينفق الصامت طاقاته في الصلاة المستمرة والهذيذ بالله هذيذًا ساكتًا هادئًا لا تغتاله الثرثرة والكلامُ البطال. أمّا الامساك فيفرّغ الذهن من الهموم الباطلة فلا يغلبه الفكر العالمي ولا تتجاذبه أمواج العمر. والعقبة هي إزالة التمزّق الداخلي بين قوى النفس التي قطّعتها الخطيئة ألف قطعة. آنذاك يحلّ السلام الداخلي.

● **أثناء التجربة :**

٦٠- في أوان التجربة تُعرف دربةُ المؤمن . فيجب ألا نضجر[١٦] في أوان المحنة ، بل ان نتيقّظ في الصلوات ونصنع الصدقة . ان الذين يركبون البحر يتيقظون اذا داهمهم الشتاء القاسي ويغالون في السهر ويستغيثون بالرب كما كتب في سفر يونان النبي : فأشرفت السفينة على الإنكسار فخاف الملاحون وصرخوا كلٌّ الى إلهه والقوا الأمتعة التي في السفينة الى البحر ليخففوا عنهم (يونان ١:٤-٥) . وهذا الامر هو نموذج الزهد في الأمور الأرضية لأنه يجب ان نستهين بالامور الارضية العالمية ونستعيض عنها بما هو للحياة الأبدية ، وان لا نيأس من ذواتنا اذا طرأت علينا محنة . فإننا نرى النبي غيرَ يائس من خلاصه وهو في بطن الحوت ، بل ثابتًا مصلّيًا وقائلًا : «إلى الرب صرختُ في ضيقي فاستجاب لي . من جوف الجحيم استغثت فسمعتَ صوتي (يونان ٢:٣) ، لأن الرب لم يُعرض عن المستغيثين به بالحق .

فنحن الآن فصاعدًا ، اذا نزل بنا ضيق فلنلجأ الى الرب على حسب ما يأمر للقائل : « انهم في ضيقتهم قد التمسوك » (أشعيا ٢٦:١٦) . ولا يمكن ان نجتاز بحر هذا العمر الحاضر بدون محنة . فإذا تمسّكنا بالايمان بالرب فسوف يُدخلنا الى ميناء الحياة فلنخلع عنا التعب ونلمس الحياة وعدم البلى .

٦١- اذا داهمك الضجر فلا تسقط ، بل تضرّع الى الرب فيمنحك طول الروح . وبعد الصلاة اجلس واجمع شمل أفكارك وعزّ نفسك على حسب ما يأمر القائل : « لماذا تكتئبين يا نفس وتقلقين[١٧] فيّ ؟ ارتجي الله فإني سأعود

---

(١٦) الضجر هنا يهدّم الرجاء والصبر وضبط النفس . اليقظة في الصلاة موضوع رئيسي في كلام ايسيخيوس دير العلّيقة بسيناء عن صلاة يسوع . أمّا الصدقة الطاهرة فهي عمل أبينا الرحمن (لو ٦:٣٦) .

(١٧) ترجمة دار المشرق عن العبرية : « لماذا تكتئبين يا نفسي وعليّ تنوحين ؟ ارتجي الله فاني سأعود أحمده وهو خلاص وجهي وإلهي » .

أعترف له وهو خلاص وجهي والهي » (مومور ٤١ : ١١) وقل : لماذا تسأمين يا نفس ؟ هل ينبغي ان تكون سكنانا دائمًا في هذا العالم ؟ واسمع القائل : « انا في الارض غريب (مزمور ١١٨ : ١٩) ، مثل آبائي . تذكر الذين سبقوا فأقاموا في الدير الذي أنت فيه وتأمل واعلم انه كما انصرف اولئك من هذا الدهر هكذا بلا ريب سنرحل وننصرف نحن بمشيئة الله . أمّا حياة الصدّيقين فهي كائنة بعد الوفاة . لذا لما اشتاق النبي الى الحياة الآتية هتف قائلًا : « كما يشتاق الأيل الى مجاري المياه كذلك تشتاق نفسي اليك يا الله . ظمئت نفسي الى الله ، الى الآله الحي ، متى آتي وأحضر أمام الله » (مزمور ٤١ : ١-٢) ، فإن القدّيسين كانوا يحسبون هذا العمر الحاضر حبسًا (مزمور ١٤١ : ٨) . ولذلك قيل في سفر آخر : « الآن تطلق عبدك ايها السيد على حسب قولك بسلام » (لو ٢ : ٢٩) . وعلى هذا المنوال رغب الرسول في « أن ينحلّ فيكون مع المسيح » (في ١ : ٢٣) .

٦٢- حنق شيخان على شيخ آخر فاتفق ان مرض أحدهما فمضى أحد الاخوة ليفتقده ، فتضرّع الى الاخ قائلًا : بيني وبين الشيخ فلان خصومة وأودّ أن أعزّيه وأستعطفه لكي نتصادق من جديد . فقال الأخ : إن تأمرني ، يا معلّم ، فأنا أمضي وأعزّيه . فمضى الاخ وافتكر في ذاته قائلًا : لعل الشيخ لا يقبل التضرّع والتعزية فيزداد النفور . وبتدبير من الله أتاه أحد الاخوة بخمس تينات وقليل من التوت . فاختار الاخ تينة واحدة وقليلًا من التوت وحملها الى حجرة الشيخ ، وقال له : هذه البركة اهداها انسان الى الشيخ فلان (أي الشيخ المريض) ، فقال هذا لي : خذها فأعطها للشيخ : فبهت الشيخ إذ سمع هذه الكلمات ، وقال للأخ : أهو ارسل هذه الي ؟ فأجابه الاخ : نعم . فاستلمها قائلًا للأخ : « نِعْم القدوم قدومك » ولما انصرف الاخ من لدن الشيخ أتى الى حجرته وأخذ تينًا وقليلًا من التوت أيضًا وحمله الى الشيخ المريض ، وسجد سجدة وقال : اقبل هذه ، يا معلّم ، فقد أرسلها اليك الشيخ فلان . فساله العلّنا قد تصادقنا ؟ فأجابه الأخ : نعم ، يا معلّم . فقال له الشيخ : « المجد لله » . وتصادق ، بنعمة الله ،

الشيخان، وعادا الى المسالمة بثلاث تينات وقليل من التوت ولم يعلما بما فعله الاخ[١٨].

٦٣- احتيج في دير مشترك الى أحد الاخوة ليتسلم منصب الخولي (أي وكالة الانفاق). فاختار الرئيس بحسب ايثاره أخًا يقوم على هذه الخدمة فلما عزم الأخ أن يغادر حجرته أودع آنيتها عند أخ آخر قائلًا له: ان اتفق ان اعتزلت منصب الخولية فعليك ان تردّها اليّ. فعاهده الاخ على ردها. وبعد قليل من الزمان تنّحى الاخ عن وظيفته قائلًا: ردَّ الي الآنية التي أودعتك إياها. فأبى أن يردها. ولما رأى الاخ الأول ان الاخير قد احتدّ ولا يريد أن يُعيد إليه شيئًا مما له سكت. فتضرع اليه أخ آخر قائلًا: اصنع فعل محبة. ان كان الاخ قد أودعك شيئًا فلا تحرمه من متاعه لئلا يطرحك الحكم العادل خارجًا. فقال لهذا: لا شيء له في ذمتي. وبعد خمسة ايام أو أكثر اضطربت أفكار الاخ الذي أخذ الاواني وخرج من الدير بحزن كبير. فإن الرئيس وعظه كثيرًا ألّا يخرج من الدير، فشتمه وخرج. وأمّا المدبّر ففتح حجرته بأمر الرئيس ووزع الأواني التي فيها على الاخوة. ثم حدث بعد أيام قليلة ان ندم الاخ وعاد الى موضعه فوجد حجرته مفتوحةً والعدّة التي كانت فيها قد وُزّعَت. فحزن جدًا ولم يلبث ان استوفى أجر ما فعل بالأخ.

٦٤- سأل أخ آخر قائلًا: إن المعلّم قد أقامني على وظيفة صنع الخبز فأصنعه للأخوة. والفعلة عالميّون يتفوّهون بألفاظ غير لائقة، فلا انتفع اذا سمعتُها. فماذا

(١٨) سخر القديس باسيليوس الكبير من أخيه القديس غريغوريوس النيصصي واتهمه بالسذاجة لارتكابه كذبة مماثلة. لله ردُّه. الكذب هو الكذب. وهو عدوّ الحق والحق هو يسوع، بينما الشيطان هو أبو الكذابين. (يو ٨).
القصة نفسها يرويها القديس كاسيانوس: لا ذكاء ولا دهاء ولا حذف ولا «خَربقة» في الكذب بل الخبث والاعوجاج والانحراف و«الشيطنة». كان الأفضل أن يعلم الشيخ المريض بسعاه، وأن يعرض على الشيخ الآخر مسعاه.

افعل ؟ فأجابه قائلًا : أما رأيت كيف ان الصبيان يتعلّمون الكتابة بين الكثرة (من الناس) ، وكل واحد منهم يدرس امثولته لا ما تعلّم رفيقه ، عالمًا انه سيتلو عن ظهر القلب على المعلم ما قد كتبَ له لا ما قد أملي على رفيقه . اذا كان الهوى يغلبك فاسمع للقائل : « امتحنوا كل شيء وتمسكوا بما هو حسن » (١ تس ٥:٢١) . من يهذر بين الكثيرين بسبب الخصومات العديدة والمقت لنفسه . من لا يشفق على شفتيه فهو يُحَبُّ . مخافة الله عونٌ عظيم للنفس ، تطرد منها الظلمة وتجعلها صافية نقية .

٦٥- لنجدّ في العمل بروح الصلاة[١٩] ، لأننا سننال ثوابًا إن أتممنا العمل بلا غش . فمن يتوانى في عمله عن مماحكة او محبة ذات أو محبة فضة فسيسمع المكتوب : « أعطِهم مثل صنع أيديهم » (مز ٢٧:٤) . ومن يعمل بضمير صالح كأنه يخدم الله لا الناس (١ كور ٣:٢٣) ، يُؤهّل لذلك الصوت المبارك : « أحسنتَ ايها العبد الصالح الأمين ، قد وُجدتَ أمينًا في القليل فسأقيمك على الكثير ادخل الى فرح ربك » (متى ٢٥:٢١) .

إذا انطلقت من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك (تك ١٢:١) واراحك الرب إلهك في المكان الذي أنت عازم على الإقامة فيه فلا تودّ أن يشتهر اسمك في المكان فيما بعد ولو كنت رئيسًا وعظيمًا جدًا في أرضك ، بل قل لذهنك ما قاله النبي : « أنا بائس ومسكين فأسرع اللهمّ إليّ » (مز ٦٩:٦) لكي يعضدك الله ويرفع شأنك[٢٠] .

٦٦- لماذا تضعف نفس الاخ في قلايته ؟ متى كانتْ النفس تتخيّل الأمور

---

(١٩) قاعدة رائعة . أفرام هو القائل : « الصلاة أم الفضائل » هي أمّ الصوم النقي ، والعمل البار ، والصدقة الطاهرة ، والقراءات الروحية الممزوجة بالروح القدس .

(٢٠) سخر باسيليوس من عضو في مجلس الشيوخ صار راهبًا دون التواضع : « ضحّيت بالشيخ (أي عضو مجلس الشيوخ) سنكليترس ولم تصر راهبًا » (المؤسسات الرهبانية الكتاب ٧ الفصل ١٩) .

الأرضية وتلاطف شهوات هذا العالم واللذات الباطلة النافذة الى النفس تُشلّ قوّتُها . فمن هنا ينشأ سأم الاخ اذا جلس في قلّايته . أمّا اذا مقت هذا العالم وطغيانه ونذر ذاته وعبدَ الربّ بكل قلبه وبكل نفسه فلا يقوى عليه صغرُ النفس ، فيعمل عملَه براحة بعد ذلك ، ويكافح المجد الباطل . فعبد الرب يطرد المجد الباطل بتفكّره المستمرّ في ضعف طبيعته . ولمنْ هي الموهبة كما يعلّم القائل : « أي شيء لك لم تنله ؟ فإن كنتَ قد نلته فلماذا تفتخر كأنك لم تنله » (١ كور ٤:٧) . هذه المصارعة هي مع ضعف البشرية . وعبد الرب لا ينذهل ولا يفصل ذاته عن محبة الله ، بل يقول مع القائل : « من يفصلني عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم جوع أم عري أم خطر أم اضطهاد أم سيف ؟ » (رو ٨:٣٥و٣٩) ... الاهواء كافة تتبع روح الزنى ، فاهرب من الأقوال الرديئة تهرب الأفكار الدنسة . اذا أمرنا المتقدمون أن نمضي الى العمل مع الاخوة فلنبادر الى ذلك بنشاط وبدون مماحكة المتوانين . فمن كان قادرًا على العمل ولم يعمل يخسر ذاته من عدة وجوه : أوّلها هو أنّه يفقد ثوابه . وثانيها هو أنه أعطى سببًا للتذكّر والاغتياب متبعًا محبة الذات . فعلى الحريص ان لا يلتفت الى أفكار التواني والاضطجاع . كل واحد يجمع طعامًا لنفسه ولدوابه على قدر ما يسمح له الوقت بذلك ليبقى غيرَ محتاج فإذا كان الحرص في الامور البشرية شديدًا هكذا أمَا يجب أن يكون أشدّ في الروحانيات ؟

٦٧– انه لأمرٌ محموذ أن نقدّم الاكرام للشيوخ ولَعملٌ محمود أن نتألم مع المرضى والضُعفاء لأن الشيوخ الحكماء يدرّبون الاخوة على ثبات النفس . بدء الكبرياء هو ان لا يشاطر الانسان اخوته التعب على قدر طاقته . اذا خرجنا الى العمل فلا نكثر الكلام ، بل فلنكن حريصين على الأمر الذي خرجنا لأجله .

- عدم التقوى ينشىء الكبرياء والكبرياء هي أم عدم الخضوع . والتواضع والوداعة ينجيان من يحرزهما بمخافة الله كأسطوانة مثبّتة في هيكل الله .

٦٨- لا يليق بالراهب ان يكون مرتبطًا بصداقة مع امرأة . وأمّا من بتولة فلا تدن أبدًا اذا كان فيك اهتمام جسداني . فإن الراهب الذي يعاقر الخمر مع النساء لا يختلف في شيء عمن يلقي بنفسه في النار . ومن يهرب من محادثتهن ينجُ كالغزال من الفخ وكالطائر من الشرك .

٦٩- أعمل في زمان فتوتك كيلا تندم في أواخرك . لا يغزْ قلبك من الناس الخطأة لأنه كتب : « لا تغزْ من الاشرار ولا تحسد صانعي الاثم ، فإنهم يُقطعون سريعًا كالخضر ويذبلون كطري العشب . فتوكلْ على الرب واصنع الخير » (مز ٣٦:١-٣) .

٧٠- ان سار أخوك سيرة رديئة فعظه قائلًا : ارجع عن غيّك فهذه السيرة لا تليق بك . واذكر له نموذجًا واحدًا من الذين سقطوا لا كمن يعيّر بهفوة ، بل لتفيد الحاضر حتى اذا ما لاحظ العطب اللاحق يهرب من السقطة .

واذكر الذين أرضوا الرب ، وقابل بين مجازاة الفريقين . فإن سمع لك فقد ربحت أخاك (متى ١٨:١٥) . وأن أصرّ على عزمه ذاك ووعظه آخرون أيضًا ولم يذعن بل استمرّ في ارتكاب افعال التهاون فاحفظ أنت نفسك منه وابتهل الى الرب من أجله على حسب ما يأمل القائل : « ان كان أحد لا يطيع ما نوصي به في الرسالة فلاحظوة ولا تخالطوه لكي يخجل ولا تنزلوه منزلة عدو بل عظوه وعظ أخ » (٢ تسا ٣:١٤-١٥) .

٧١- من هو الذي رأى إنسانًا يجتاز طريقًا فسقط فيها سقطةً أفضت الى الموت ولا يهرب من تلك الطريق لكي لا يتردّى هو أيضًا في تلك الهوة نفسها ؟

● الطهارة

٧٢- لا يغرّنك شبع البطن و« لا تسكروا من الخمر التي فيها الدعارة » (أفسس ٥:١٨) . فما لك من فائدة في ذلك ، وإنّما في ان تعمل مشيئة الرب

(يو ٤:٣٤) . **احفظ طهارة الجسد** ، فإن حفظتها بمحبة المسيح تستطيع ان تباشر بسهولة كل فضيلة ، لان الروح القدس الساكن فيك يُسرّ بك بما أنك تبخّر هيكل الرب بالطهارة والنية القويمة . ولاجل هذا يعضدك في كل عمل صالح . هذه الثلاثة هي أدوات لاجراء افعال الفضائل : امساك البطن ، وصيانة اللسان ، ولجم العينين . إذا حفظت الاثنتين ولم تصن ناظريك عن التحرّق فلست ضابطًا الطهارة بصورة خالصة . والعينان المحترقتان تُهلكان العقل العفيف .

اذا برزتْ في نفسك شهوة الطعام فقل لذهنك : لو تمتعت أمس بهذا الطعام اما تكون اليوم في صوم ؟ فإن جرّتك خواطرك لتبحثَ عن كلام غير مفيد ، فقلْ لذهنك : احسبْ انك قد سُئلت عنه منذ هنيهة وأجبت عليه (فاصمتْ اذًا) . واذا القي في نفسك اشتهاء التنزّه فقل لذهنك : أنت أتيت الى ههنا كيلا تتأمل جمالًا غريبًا . اصغِ الى ذاتك لكي يصبح ذهنك مسمّرًا بمخافة الله على حسب ما يطلب القائل : « اقشعر جسمي من خشيتك وخفت من أحكامك » (مز ١١٨:١٢٠) .

● لباس الراهب

٧٣- أرى انه لا يليق بالراهب ان يخرج من قلايته غير مرتد جبة أو لباسًا آخر ، فهذا يمنحه وقارًا وهيبة . فمن يخلع عنه لباس المراسيم الرهبانية ويمشي كالصبيان يسبب لذاته خزيًا عظيمًا لانه قد كتب : « تمنطق واشدّد نعليك . البس ثوبك واتبعني » (أع ١٢:٨) .

● غسل الجسم

٧٤- لا يليق بالراهب ان يولع بغسل جسمه او رجليه . فالاناني يقتنص لنفسه اللذات بعنايته بنظافة الجسم والثياب[٢١]. أما المجاهد في الدين البهي فيقاوم أولئك المضادين .

(٢١) الأناقة ضدّ التقشّف والنسك والزهد. الفارغ داخليًا يتأنّق خارجيًا. الممتلئ داخليًا

٧٥- يجب أن لا يُعمل شيء ليظهر للناس لكن، بما ان الله عارف المكتومات والخفيات فليُعمل كل شيء بقلب نقي فمنه وحده نوال المكافأة.

٧٦- ينبغي ان لا نسوق حديثًا غريبًا، ولاسيّما أثناء الصلاة العامة لئلا نفسح للآخرين مجالًا للعدول عن التسبيح. فها اخوتنا يعملون ونحن بطالون. اولئك اذا سمعوا الكتب الإلهية يسقون بها قلوبهم كأنها أرض ظامئة الى المطر، بينما نكون نحن شاردين وافكارنا تسعى خارجًا. اولئك يسهرون في الصلوات (كولسي ٤:٢)، ونحن متقاعسون[٢٢]. أولئك أرضوا الرب ونحن أرضينا العالم. فلنتيقظ منذ الآن، لأن كل من يسأل يعطى ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له (متى ٧:٨). فإنّ الرب صالح للجميع ورأفاته على براياه بأسرها.

● المحبة

٧٧- اتق الله واحفظ وصاياه (أم ١٣:١٢) فتعاين محتقريك قد صاروا وراءك سريعًا. واذا لم يكن ذلك ههنا فسيكون هناك. احفظ المحبّة مثل حدقتي عينيك، فإنّ فيها النور والحياة. احفظها فانها سرور جميع مقتنيها. وهي مقتنى الهي ومرتبة ملائكية. احفظها فانك ان احببتها تجدد حياتك كتجدد النسر. اذا حفظتها فستبتهج امام الله. ان احببتها فتتيسّر طرقك في اعمالك جميعها. ان احببتها تسكن فيك نعمة الله وتكون النعمة ينبوع أشفية للناس وبطيب نسمتها ينتعش قلبك، فإنها هي قاعدة الفضائل جميعًا. لا حزن على موت فيها. تعلّم العدل والشجاعة، الصبر والسلام. الرب نفسه هو يعطينا اياها وأثمارها.

وروحيًا يزهد في الخارج والمظاهر والبهرجة. يقتصد ويعتدل في طعامه ولباسه ونظافته قدر المستطاع. الروحانية الأرثوذكسية رهبانية. إذًا: هي عدو الفاخر والأنيق في جميع ميادين الحياة الشخصية، وضد الانفاق على الكماليات الفارغة والبذخ الشيطاني.

(٢٢) وقد أوثقنا ذواتنا بالنوم والكسل. أولئك قد أخذوا الاكليل ونحن قد بقينا في ونيتنا (مصدر ونى. وني ونية: فتر وضعف وكلّ واعيا فهو وانٍ وهي وانية).

٧٨- فليحبَّ بعضنا بعضًا ليخزى عدوّنا ، لأنه لا يزال ينفث غيرةً وحسدًا . على عبيد الله ، ولان تابعي مشورة العدوّ اذ رأوا بينهم أخًا يخدم الرب في صميم نفسه ويرضيه ، فلا يُسرُّون ، بل ينسجون له الحيل ليطردوه ويفعلون ذلك خشية نجاحه في التقوى الخالصة فيضحي اقوى منهم . فاذا طرد هذا وانصرف يكون مبررًا من تبعة الانفصال . اما الذين تسبَّبوا له في ذلك فلن يكونوا أبرياء .

● مثل يوسف

٧٩- بيع يوسف عبدًا لمصر . أما الإله الذي فيه فلم يعرض عنه ، بل أولاه نعمة في نظر فرعون ملك مصر . فأقامه مدبرًا على بيته وعلى جميع أرض مصر (تك ٤١ : ٣٩-٤٣) . والذين يئسوا منه مضوا ليسجدوا له مقدّمين الهدايا ، لا لأنه ملك كل شعب مصر وسيده (تك ٤٢) . فإنه قد كتب : « الرب يبطل مشورة الامم وينسخ آراء الشعوب ، اما مشورة الرب فتدوم الى الأبد وآراء قلبه الى جيل فجيل » (مز ٣٢ : ١٠-١١) . وايضًا : « الرب عوني فلا أخشى . ماذا يصنع بي الانسان ؟ » (عب ١٣ : ٦) .

● الصغار

٨٠- فلنصنْ أنفسنا من اعثار أحد هؤلاء الصغار ، اذ ان ربنا ومخلصنا يسوع المسيح يقول : « من شككَ أحد هؤلاء المؤمنين الصغار فأجدر له لو علّق في عنقه حجر الرحى وزجّ في لجة البحر » (متى ١٨ : ٦) . « واحذروا ان تحتقروا احد هؤلاء الصغار ، فإني اقول لكم ان ملائكتهم في السماوات كل حين يعاينون وجه أبي الذي في السماوات » (متى ١٨ : ١٠).

٨١- ليحبَّ بعضنا بعضًا ؛ حتى اذا ما رأى الرب ايماننا ومودّتنا بعضنا لبعض في مخافته يفرح بنا على حسب ما كتب : « ليفرح الرب بأعماله » (مز

٣١:١٠٣) . تيقظ واحذر ، لأن حيلَ المحال عديدة . فإذا رأى أحدًا يريد ان يتيقظ يثير عليه أخًا من المتوانين جدًا لكي يستولي عليه . فإذا ارتبطا بصداقة يُنمّي بينهما المودة والدالة ، لا للفضيلة بل ليلقي الكدر في افكارهما بتأثير هذه الصداقة الحميمة ويلقحها بلذة الهوى . فيقع شرّ عظيم . وبعد العمل هذا تشتد البغضاء بمقدار ما كان بينهما منذ هنيهة من المحبة غير اللائقة . أما المتقي الرب فلا يحبّ أحدًا محبة خالية من الحكمة العلوية أي طاهرة ثم سلامية وما يلي ذلك[٢٣].

٨٢- اذا سكنت مع اخوة فلا تتعود أن تأمر ، بل الاولى ان تصير لهم مثالًا للاعمال الصالحة (تي ٢:٧) ، مطيعًا لما يقوله لك الآخرون . واذا اقتضى الحال ان تتكلم فكن كمن يشير (أي يتكلم بالاشارة) . وان جاوب أخ وقاوم ما قلت فلا تدع ذهنك يُغلَب بالغيظ ، بل اطرح مشيئتك من اجل المحبة والسلام . فإن طردت الغضب الشيطاني بالوداعة ، فلن يتسلّط عليك . وقل فيما بعد للذي قاوم أقوالك : ايها الاخ المبارك انا تكلمت بما يليق ، وهذا هو قصدي . فاغفر لي . وليكن الامر كما قلت أنت . وبهذا تكون قد عدت أدراجك مخزيًا المحال منشئ الهياج لان من يخاصم ويتشبث بمشيئته يثير بلبلة وغضبًا لا يشفى . والغضب يستريح في أحضان المنافقين[٢٤] .

---

(٢٣) المحبة الروحية ثمرة جهاد مرير في الروح القدس. فتحترق ناره الإلهية ما في محبتنا الطبيعية من مخاطر الأهواء الجسدية. المحبة الروحية تصدر عن كياننا كعمق شخصي ممتزج بذبيحة الصليب لا كحساسية عاطفيّة فتندسّ إليها أهواء الجسد. الروح القدس يحوّل عاطفتنا فيحبّ الأبوان ابنهما لا لأنه ابن فقط بل لأجل يسوع بدم يسوع المطهِّر. والابن يحب والديه وهكذا.

(٢٤) مكرر بالحقيقة رحابة الصدر فضيلة جديرة بأقصى الاهتمام. فيها من الحلم ما يجعل الصدر أرحب من السماوات لاحتمال الآخرين والصبر عليهم والتأني والرفق بهم. تدفن الغضب في هذه لينمو العطف والحنان على الآخرين. هي توأم المحبة وزينتها هي شرط أساسي لطهارة التعامل السليم مع الناس بانفتاح بريء من العيوب والتشنّج والنفاق والغش.

فالرسول يوصي قائلًا : « وعبد الرب يجب عليه ان لا يشاجر بل يكون ذا رفق نحو الجميع » (٢ تيمو ٢:٢٤) ويأمر أن تهرب طهارتنا من الزنى (١ كور ٦:١٨) فإن جهادًا لا يستهان به قائم بين الطهارة والنجاسة . فأصحاب النجاسة يقولون : لا يبصرك أحد فممن تخاف ؟ وأما أصحاب الطهارة فيجيبونهم : الله يرى وملائكته ينظرون ، فكيف تقول أنت : من يبصرك ؟ والمجرب يقول : حتى الآن لا يرى أحد ما ههنا . فإنه قد كتب : ان رذيلتهم قد أعمت عيونهم فلم يعرفوا أسرار الله . ان النبي يقول « افطنوا أيها الجهال في الشعب ، ويا أغبياء متى تعقلون ؟ الذي غرس الأذن أفلا يسمع أم الذي جبل العين افلا يبصر ؟ » (مز ٩٣:٨-٩) . ويقول في مزمور آخر : « يا رب ، قد فحصتني فعلمتني ، علمت جلوسي وقيامي . فطنت لأفكاري من بعيد اختبرت سعيي وسكوني ، واطّلعت على جميع طرقي قبل أن يكون كلامي على لساني . أنت ، يا رب ، عالم به كله . من وراء ومن قدّام أحطت بي وجعلت علي يدك » (مز ١:٥) . والرسول يقول « أنّا به نحيا ونتحرّك ونوجد » (أع ١٧:٢٨) . فكيف تقول : انه لا يبصرك أحد ؟ الرب نفسه يقول : «ان سكت هؤلاء هتفت الحجارة » (لوقا ١٩:٤٠) .

٨٣- تذكّر هذه بذهنك فلا تستولي عليك خطيئة ولا يدركك حزن ، بل يعمك السرور والسلام بالروح القدس . فإنّ الخطيئة يلتقي بها ويتبعها حزن مظلم يتهافت على الذين يفعلونها . أما الطهارة فيتبعها الفرح والسلام حتى ان المستقر في قلايته بهدوء تفرح نفسه بالروح القدس فرح الطفل بثدي أمه . وبعد ورود الفرح تدعه الطهارة ينوح ويبكي على ذكر خطاياه السالفة . فلكيلا يطّرب بسبب فرط السرور ينتحب فتستنير نفسه بدموعه وتزهو وهو يتصوّر الأشياء السماوية على قدر موهبة الرب[٢٥] .

(٢٥) تناوب الاستنارة والنوح موضوع هام جدًا لدى مكاريوس المتنحل وسمعان اللاهوتي الحديث . يتجلى المرء ثم يغادره النور فيشقى ويولول لكي يعود إليه النور .

● الطهارة

٨٤- إنّ الطهارة بمحبة المسيح موهبة عظيمة . فإنّ الرب يقول : «طوبى لاطهار القلوب فانهم يشاهدون الله » (متى ٥:٨) . والرب نفسه منهض المهشمين ومخلّص اليائسين يجدّد بالتوبة الأعضاء التي تعتّقت بالخطيئة (٣٣) ويحفظ أجسادكم ونفوسكم وأرواحكم بلا دنس (أفسس ٥:٢٣) .

٨٥- اذا قام راهب على الصمت في قلايته ينجو من مزعجات كثيرة . اما المتصابي بأفكاره فإن اقترب من الجموع فلا ينتفع شيئًا . أما التام الراي فيبتغي المنفعة .

اذا مشى الاخ في المدينة يصطدم بجلبة الناس وهرجهم فيرى واحدًا يضحك وآخر يبكي وثالثًا يحلف بالإيمان المغلظّة ورابعًا يحدّث الأحاديث البذيئة . اذا رأى الأخ هذه فإن كان ناقص العقل تذكر الفريسي القائل : « اللهم اني اشكرك لأني لست كسائر الناس » . (لو ١٨:١١) ، أو ربما خرج من هناك سقيم الذهن . ولذا فالسكوت موافق ولا سيّما للضعفاء .

٨٦- أمّا التام الرأي فإذا رأى الاشكال المتقدّم ذكرها ينتهي الى الانذهال من طول اناة الله ، قائلًا في ذاته : « ما أعظم وأطول أناة الله ! يُذم ويُثلب فيحتمل بأناة ولا يسخط . يُستهان به فيحلم (أي يكون حليمًا) ولا يسحقنا حقدًا بل يمنحنا كل الخيرات بغزارة . للتمتّع بالمجد يؤدّب ويرحم مريدًا ان ينقذنا باقتيادنا جميعًا بصلاحه العميم الى التوبة . فماذا أصنع انا الخاطئ بما أني « تراب ورماد » (تك ١٨:٢٧) وأنا لا استطيع أن أحتمل شيئًا حتى ولا كلمة من أخي ؟ لاني أغتاظ ان لم أكرم . واذا استرضيت أتشامخ . ويلي ويلي انا الخاطئ ؛ وهكذا يتشجع الاخ بهذه التاملات ويمضي ممجدًا الله قائلًا : المجد لك يا رب . اللهم ، أسبّحك . المجد لك ، أيها الصالح وحدك » .

● الافكار

٨٧- اذا هاجت علينا الافكار النجسة وقتًا ما فلا نيأس من ذواتنا، بل لنتذكّر رأفات الله. ربّان السفينة يشكو أبدًا من فعل مالكها قائلًا: لماذا تركت الأمواج تصدم سفينتي؟ بل يحاجّه صاحبها قائلًا له: «أيها الربّان، لماذا توانيت ولم تقاوم الامواج؟ ولماذا لم تخشَ الامواج فتهرب ملتجئًا الى الميناء أعني رأفة الله؟».

٨٨- إذا أثار العدوّ علينا هياج الافكار الدنسة بصورة شديدة لا توصف فانه يأخذ يلقي في أذهاننا ما يلي: لقد أضعتَ كل شيء وليس لك رجاء خلاص وهو يريد بذلك أن يزجنا في اليأس. أما أنت فلا تصدّق ما يقوله حتى لا يجتاح ذهنَك باليأس. لكن بمقدار ما يجعل الاعداء النفسَ ثقيلة باليأس بهذا المقدار فلنجعل ذواتنا نحن نشيطة بواسطة تأمل الخيرات المنتظرة متذكرين رأفات الله حتى لا تشتدّ وطأة المضادّين علينا ولا يعوقوا النفس بالافكار.

٨٩- وفي حين قولها لنا: «ها قد هلكتَ ولا تستطيع أن تخلص البتة» فلنقل لهم: «لنا اله متحنن وطويل الاناة. فلن نيأس من خلاصنا لأن الذي قال: لا الى سبع مرات «تغفر لأخيك» بل «الى سبعين مرّة سبع مرّات» (متى ١٨:٢١-٢٢) هو أحرى بأن يصفح عن الخطايا للمنتظرين خلاصه.

٩٠- واذا سقط أولئك من هذه الجهة يفاجئهم الأعداء من أخرى قائلين: بما ان لكم الهًا متحننًا وطويل الأناة وغافرًا للخطايا، فلماذا لا تتمتعون أكثر بملذات العالم ثم تتوبون؟ أما نحن فنقول لهم: ما فعلناه فقد فعلناه. واذا كان الكتاب المقدس يحذرنا الآن ويناشدنا القول: «هذه هي الساعة الأخيرة» (١ يوحنا ٢:١٨) فإلى أي ساعة أو اي يوم ننتظر إن أهملنا خلاصنا (عب ٢:٣) بارتكابنا الشر أمام الله إلهنا؟».

٩١- قاتل الشياطين هكذا فتُبلي بلاء حسنًا في القتال. فانك تشبه إنسانًا

جالسًا تحت شجرة ، حين تجتمع عليه الوحوش البريّة يتسلق الشجرة فلا تصيبه الوحوش بأذى . واحسب ان الشجرة هي مخافة الله فتؤازرك النعمة في جميع مناهجك التي تنهجها وتصدع أعداءك . وعلى المؤمنين أن يسلكوا في العمل الحاضر هكذا : حين يوافينا الفرح لنجاح أحرزناه أو موهبة نلناها فلنتخيّل ان الحزن قد ابتعد عنا . وحين يوافينا حزنٌ فلننتظر الفرح كأنه دانٍ منا ولنعتبر السالكين البحر : ان دهمتهم شدة الرياح والشتاء القاسي لا ييأسون من خلاصهم ، بل يقاومون الامواج منتظرين زمان الصحو . وان كانوا في الهدوء والسكون يتوقعون تلاطم الامواج . لهذا تراهم يتيقظون على الدوام لئلا تعصف الرياح بغتة فتصادفهم غير متأهبين فتودي بهم الى التهلكة في البحر .

٩٢- وهكذا نحن محتاجون الى أن نترقب الحالَين لان المتوقع لأمر لا يستغربه حين وقوعه بما انه لم يكن غير متهيء . فمتى نزل بنا حزن أو ضيق فلنتوقع راحة من الله ومعونة توافينا لئلا نصير أمواتًا بسبب تمادي الزمن وفقدان الامل بالخلاص ، وكذلك ، متى أتانا الفرح فلننتظر الحزن لئلا ننسى النوح بسبب الفرح .

٩٣- اذا تألمتَ لأجل أخ فمضيت تستعطف من أجله ، فقبل أن تخاطب من تريد أن تستعطفه عليه وتسأله قل لذهنك : « ان لم يستجبك فلا تغضب ولا تضطرب لئلا تصير وساطتك سبب مضرة فتتعلل بالاخ . ان جئت اليه واستمعك هان الامر . وان لم يقتنع الانسان بما تقوله فلا تسخط لان ثواب الترثّي والتوجع وضبط الغضب ستناله من الله الذي أعدّه لك ، والذي من أجل اسمه صنعتَ أنت ذلك .

٩٤- تشتهي الكنز السماوي . فهل تتمنى ان تصير مستحقًا للرب ؟ اسمع اذًا القائل : « اذهب وبع كل شيء لك وأعطه للمساكين فيكون لك كنز في السماء » (متى ١٩ : ٢١) ثم « تعال فاتبعني » . « من أحب أبًا وأمًا أكثر مني فلا

يستحقّني ؛ ومن أحب ابنًا أو بنتًا أكثر مني فلا يستحقّني ؛ ومن لا يحمل صليبه ويتبعني فلن يستحقّني » (متى ١٠:٣٧-٣٨) .

اذًا : بدون حمل الصليب لا يمكن أن يُتبع الرب لأنه بعد ان قال : « اذهب وبع كل شيء لك وأعطه للمساكين فيكون لك كنز في السماء » (متى ١٩:٢١) عقب : « تعال اتبعني » . فانه لم يقل « يكون لك كنز في السماء » ، ثم ارقد واسترح بل قال « تعال اتبعني »[٢٦].

٩٥- فلا تذكر الزهد وحده بل الرضى باحتمال الاتعاب والآلام الطارئة ، لانه في ذلك الحين يحمى وطيس الجهاد ومصارعة المضادّ . فإن تمكّن من ان يسلخ الذهن عن الافكار السماوية وينقل المسيرة منها الى سواها فتصير لهم الاواخر شرًا من الأوائل (٢ بط ٢:٢٠) . أفيرضي الانسان الذي بدّد مقتنياته جميعها بسخاء وطيبة خاطر وسماحة ان يكتسب ما هو أحقر وأدنى بكثير؟ ويحرص المضاد على أن يجعل من قد كفر بالزواج واستعفى منه هائمًا بالزنى والفسق . فلذلك نحن محتاجون الى يقظة وحذر حتى نخرج من الجسد ومن ميدان الجهاد ظافرين .

٩٦- اذا انتهيت الى جماعة من النساك ووددت أن تخدم الرب معهم فكن متواضع الفكر في جميع الاشياء لكي تهذّب سيرتك . فإنّ الذين قصدوا ذلك المكان فرارًا من سيرة مذمومة يستحثّون أنفسهم على إجراء أعمال الفضيلة .

(٢٦) الخطيئة تجعلنا نهترئ ، فنحتاج في كل لحظة إلى توبة تجدّدنا . القربان ترياق يومي ضد وباء الخطيئة الفتاك .
حفظ شريعة موسى خطوة . لم يكتفِ بها يسوع . طلب من الغني أن يبيع ممتلكاته ويوزعها على الفقراء ليكون له كنز . ولكن هناك خطوة أعلى في سلّم الكمال : الالتحاق بيسوع حاملًا صليبه كل يوم كما في لوقا . بذلك أضحت شريعة موسى إلى الوراء كثيرًا . المسيحي هو المصلوب مع يسوع وفي يسوع وبيسوع وليسوع طيلة العمر ليقوم معه .

٩٧- اذا أمرنا المتقدمون علينا بأن نمضي الى العمل مع الاخوة فلنمضِ بنشاط .

٩٨- وإن قلت ان جسمي لا يحتمل التعب كأجسام الفلاحين فالامر واضح ان الاخوة لا يستطيعون ان يحملوا الثقل بنسبة واحدة . أمّا أن يكون الانسان مطيعًا وحسنَ النية فهذا قد أعطي للجميع . فأظهر اذًا حسن نيتك بصورة حقيقية . فلا محالة انهم يخففون الثقل عنك الى أقصى حدّ . لذا تضرّع اليهم قائلًا : « اني اشاء أن يكون لي نصيب معكم . وحينئذ شاطرهم التعب على قدر القوّة التي وهبك الرب اياها . فإن العارف القلوب الذي خلقنا ومنحنا الحياة يعرف كل واحد والقوة التي وهبها . وان كنا نعمل بوصايا الله بعد زوال الأشياء المضادة لنا فقد صار الأمر باطلًا .

١٠٠- احذر ان يأتي العدوّ فيزرع في ذهنك اشتهاء الامور السالفة . ولا تخطر في خلدك مثل هذه الأفكار . ولا تحتمل مناجاتها . اذ إنّ ذكر الامور القديمة ينتج استعلاءَ الذهن عند الذين يتذكرونها تذكرًا بهيميًا . وبما انها لا تمنحهم فسحة من الوقت ليكوّنوا لأنفسهم رأيًا ساميًا في العمر الحاضر فتدفعهم الى العزم الرديء العادة . وأنت تعرف ما هي العادة الرديئة .

انها داء خبيث سيمحقه الرب الذي له المجد الى أبد الدهور . آمين .

نصائح إلى المجاهدين (١)

بارك يا أب

● النصيحة الأولى

المجد لك يا الله المجد لك. وأيضًا أقول المجد لك يا الله الفائق التسبيح، والفائق الرفعة إلى الأبد. ينبغي علينا أن نشكرَ الله، أيها الأحبّاء، دائمًا لأنه أهّلنا أن نكون تحت نيره اللطيف (متى ١١: ٣٠) وخلّصنا من الوقتيّات والفاسدات. أريد أن أقولَ أقوالًا أوحت بها إليَّ النعمة. أريد أن أتكلّمَ لا بأقوال فلسفيّة لأني أنا أيضًا إنسانٌ أمّيّ وحقير. ولأن الأقوالَ الفصيحةَ المفلسفة لا تكون واضحةً للجميع بخاصّة لأولئك الذين لم يتعلّموا الفلسفةَ العالميّة. لذلك يجب عليّ أن أتكلّمَ بوضوح حتى يستطيعَ القرّاءُ أن يفهموا لأن الرسولَ بولس يقول: «إن كنتُ لا أعرف معنى الأقوال أكون عند المتكلّم أعجميًّا والمتكلّمُ أعجميًّا عندي»

(١) هذه نصائح موجّهة إلى رهبان مصر. هناك عنوان آخر يرد في مخطوطة أخرى علي الشكل التالي: أقوال نصائحية إلى النسّاك نجد في هذه النصائح نفعًا كبيرًا لكلّ المسيحين العائشين في العالم. إذ تتوجّه هذه الإرشادات من أجل ضبط الأهواء ومحاربتها ومعالجة الشعفات الكائنة في كلّ البشر بخاصّة في بدء حياتهم الروحيّة.

(١ كور ١٤: ١١) . بإمكان الكلام الروحي أن يُقنعَ المؤمنين دون أن يستخدمَ فنَّ اللغة والخطابة .

تبارك الله الذي يمنح كلَّ شيء للكل . ويُنير كلَّ واحد بحسب منفعته . هذا ما يفوقُ طاقتي ولا أجهل ذلك ، لكنه مكتوب : « هناك وقتٌ للصمت وهناكَ وقت للكلام » (جامعة ٣: ٧) . ما هو إذًا جوابنا في يوم الدينونة إن لم نساعدْ بقدر استطاعتنا أولئك الذين يعانون من عدم الخبرة خصوصًا في هذه الأوقات ، الذين يضطربون من جرّاء التعليم الكاذب والمشورة الرديئة ؟ لأن الأسدَ الزائر (١ بطرس ٥: ٨) عدوٌّ الحقيقة لا ينفكّ يخدعُ الذين لا ينتبهون كثيرًا . يريد لا أن يأكلَ لحمًا بشريًا بل بالأحرى أن يقودَ النفوس إلى جهنّم . كم تظنّون من الذين ، بعد ابتعادهم عن العالم ، أخضعهم للأهواء الشنيعة ؟ كم من الذين عاشوا مع الإخوة جعلهم جاحدين وناكرين للإسكيم الرهباني ؟ لذلك يجب عليكم أن لا تضلّوا الطريقَ بل أن تساعدوا بعضكم بعضًا لكي لا تقعوا في مكائد الشيطان . نحن نقول مع الرسول : « ليس لنا كفاءةٌ من أنفسنا أن نفتكرَ شيئًا كأنه من أنفسنا بل كفاءتنا من الله الذي جعلنا كفاءةً لأن نكون خدّامًا له نحن غيرَ المستحقّين » (٢ كور ٣: ٥-٦) .

ليعطنا الربّ في كلامنا أن ننال أضعافًا ثمرَ البرّ الذي في المسيح مخلّصِنا الذي يليقُ له المجد إلى الأبد . آمين .

* * *

النصيحة الثانية

من أجل خوف الله

أيها الحبيبُ، أنتَ مسيحيٌ. بنعمة الله إحفظْ وصايا ربّنا يسوعَ المسيح فتخلصَ[٢]، لأنه مكتوب: «بالحق أنا أجد أن اللهَ لا يحابي الوجوه بل الذي يتّقيه ويصنعُ البرَّ مقبولٌ عنده» (**أعمال ١٠: ٣٤-٣٥**).

إن شئتَ أن تنضمَّ إلى حياة الرهبان الصحيحة من أجل التمتّع بالخيرات السامية لا بدَّ لك أن تضعَ في فكرك أنك قد ابتعدتَ عن حياة الدنيا ولا تهتمّ بهذا العالم ومجده كونَه مظلّةً خربةً. إن لم تفعلْ ذلك لا تستطيعُ أن تتغلّبَ على الأهواء الأرضيّة وعلى الشهوات العالمية التي تغرّق الناسَ في حمأة الجسد والهلاك. لأنه غيرُ كاذب من قال: «من أراد أن يتبعني فلينكرْ نفسه ويحملْ صليبه ويتبعني. فإن من أراد أن يخلّصَ نفسه يُهلكها. ومن يُهلك نفسَه من أجلي يخلّصها. لأنه ماذا ينتفع الإنسانُ لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه أو ماذا يُعطي الانسانُ فداءً عن نفسه؟» (متى ١٦: ٢٤-٢٦).

لأن التعبَ ليس في وضع الأساس بل في إتمام البناء. لأن كلّما ارتفع البناء كلّما استوجب مشقّةً أكبر من البنّاء من أجل إتمام العمل. لنصغِ للصوت الخلاصي يقول لنا: «من منكم وهو يريد أن يبنيَ برجًا لا يجلس أوّلًا ويحسبُ النفقة هل عنده ما يلزمُ لكماله لئلا يضع الأساسَ ولا يقدر أن يكمّل. فيبتدئ

(٢) بالنسبة إلى البار أفرام الطريق الوحيد المضمون وغير المضِلّ للتجاوب مع محبّة الله هو اتّباعُ الوصايا.

جميعُ الناظرين يهزأون به قائلين : هذا الإنسانُ ابتدأ يبني ولم يقدر أن يكمّل » **(لوقا ١٤ :٢٨- ٣٠)** .

إن كانت حربُ الجنود طويلةً **فصراعُ الراهب يدوم حتى رحيله إلى الرب** . لذلك يجب أن نبدأ العملَ بكل جدّية وانتباه وصبر . إن أردتَ أيها الحبيبُ أن تقضيَ على الأسد امسكهُ جيّدًا حتى لا يحطِّم عظامك كمثل إناء خزفي . إن سقطتَ في البحر لا تضعفنّ نفسُك إلى أن تخرجَ إلي اليابسة . **إن شئتَ أن تجاهدَ فكن متعفّفًا**[٣] ربّما يتغلّب عليك العدوّ ويضحك لسقوطك فبدل الاكليل تنال الهلاك .

كلُّ من يريد أن يصبح راهبًا له أن يضعَ في ذهنه ما يلي : **أن يصبرَ بشجاعة** حتى إذا دخل الديرَ لا يقول أنا كنت أجهل ما يحصل الآن لي . ها أنذا أُلفتُ نظرك من قبلُ حتى تهيّءَ فكرك وتعلمَ أن في هذا الامتحان استحقاقَك . تفكّرْ في ذلك أيها الحبيب ربّما قلتَ اليوم ، وأنتَ في بداية الطريق ، **أصبرُ على كلّ شيء** وغدًا تُنكرُ بأقوالك وأفعالك لأن ملائكةَ الله حاضرون يسمعون كلَّ ما يخرجُ من فمك .

انتبه أيها الحبيب لا أحدٌ يُغصبك . إحفظ عهدك لأن الربَّ عازمٌ أن يُهلك كلَّ من يتكلّم بالكذب .

هذا ما يحصل للذي يُقبل إلى الله : أوّلًا التجربةُ ثم الحزن ، التعب ، الإهمال ، التعرّي ، الأهواء ، القلق والإنحلال . في كلّ ذلك يُمتحن الصبرُ ويظهر بناءُ المؤمنين . **كلُّ من يسلّم نفسه من كلّ القلب لتدبير الله ويُطيع مشيئته هذا يتغلّب على هذه التجارب كلّها** . الله يطلب منا استعدادًا كاملًا وهو يمنحنا القوّة وكذلك الغلبة كما هو مكتوب : « هو نصيرُ جميع المتوكّلين عليه » (مزمور ١٧ :٣٠) . وأيضًا يقول : « الربّ قَريبٌ من جميع المستغيثين به .

---

(٣) أي ممسكًا عن الأهواء.

من جميع المستغيثين به بالحق . ويتمّم بغيةَ خائفيه ويسمع نضرّعَهم ويخلّصهم »
(مزمور ١٤٤: ١٨-١٩) .

صلّوا من أجلنا حتى نستطيعَ أن نقولَ بلا عيب ما نودّه بنعمة الربّ . نحن نُسدي الإرشادَ لا لأننا وصلنا إلى مثل هذه المرتبة بل نودُّ أن نتوسّلَ إلى ربّنا يسوعَ المسيح لكي يُنير ظلمةَ أقوالنا بحيث نُفيدُ ونستفيد .

إن المختصّين في علم النبات يبحثون عن الجذور وعن الأعشاب ويؤلّفون الكتبَ الطبّية هذا لكي يَظهر تدبيرُ الله من أجل تعزية المرضى بحسب الجسد . ألم نكن نحن أيضًا مُعوزين لكشف كنز النعمة بحسب عطيّته ؟ هذا لأن العبدَ الشرّير لم يظلْ بدون عقاب لأنه أخفى وزنةَ الربّ عن خبث (متى ٢٥: ٣٠) .

تُرى من يستطيع أن يَرثي لحالي أنا الحاملَ كذبًا الاسكيمَ الرهباني ؟ من يستطيع أن يبكي عليّ أنا الذي فقدتُ التخشّعَ والصبر ؟ ماذا أصنعُ عندما يفتقدني المسيح سيّدي ؟ لذلك أيها الأحبّاء أتوسّل إليكم أن تتشفعوا من أجلي أنا العبدَ البطّال لكي أنجوَ من هذا العصر الحاضر الشرّير ولكي تفتحَ لي نعمتُه الشفاهَ لتمجيد الثالوث الأقدس المتساوي الجوهر الآب والابن والروح القدس لأننا واقعون مع أقوالنا في يديه هو الذي يعلّم الإنسانَ العلمَ وله المجد إلى الأبد . آمين .

* * *

النصيحة الثالثة

إلى المبتدئين

أيها الحبيب ، إن أنكرتَ العالم ودخلت إلى دير فيه إخوة عائشون حياةَ شركة وأردتَ أن تَخلُصَ معهم وتخدمَ ربّنا يسوعَ المسيح ، فرأيتَ بعضَ الإخوة يسيرون سيرةً غيرَ منتظمة أو يتكلّمون بما لا يُرضي الله ، أنت من جهتك لا تنظرْ إليهم ولا إلى أقوالهم بل **دعْهم يتكلّمون لأنفسهم**. لأن الذين يتكلّمون بما لا يُرضي الله ويتصرّفون بإهمال لا يخافون الربَّ وفمُهم يتكلّم دائمًا بالكبرياء. أمّا أنت فاجعل الله دائمًا نُصبَ عينيك لأنه مكتوبٌ في سفر المزامير : « جعلتُ الربَّ دائمًا أمام عينيّ لأنه هو عن يميني لكي لا أتزعزع » (مز ١٥:٨). فلا تخدعنّك الحيّةُ الرهيبةُ بقولها : هؤلاء الشيوخ يعيشون رديئًا فماذا يبقى لي أن أعملَ أنا الشابَ المبتدئ ؟ اسمع ما يقوله الربّ : « المدعوّون كثيرون والمختارون قليلون » (متى ٢٠:١٦). أحببْ إذًا أن تخلصَ حتى تكونَ من المختارين.

لأن الذين يفعلون الشرَّ أكانوا في حياة الشركة أم في أي مكان آخر ، هؤلاء هم أبناءُ الشرّير ، يُشبهون الزؤانَ (متى ١٣:٣٨) في وسط القمح. كنْ أنت مثلَ القمح حتى تُجمعَ في اهراءات الربّ ولا تكن زؤانًا حتى لا تُحرقَ في النار التي لا تنطفئ. ولا تدينَنّ أحدًا إن رأيناه يضحك أو يتكلّم عبثًا لأننا لا نعرف كيف يتصرّفُ في قلّايته أو أيّ وجع عنده نحو الله. **لذلك ينبغي على كلّ واحد أن ينتبهَ لنفسه** لأنه سوف يُعطي جوابًا عن نفسِه فقط.

إنتبه من كلّ قلبك إلى تلاوة الكتب الإلهيّة واشربْ من عصيرها الدسم الذي ينساب إلى النفس كما يحصل مع الطفل الذي يغتذي من ثديِ أمّه. لأنه

سوف تتعلّم من هذه الكتب جوائزَ الفضائل فتعرف نفسُك الفرحَ والتهليل.

كنْ وديعًا طائعًا وحكيمًا.

وديعًا لكي، إن سخّرك صبيّ، تتمّمَ عمله. وبعدها تعود إلى قلّايتك مصلّيًا في قلبك. **طائعًا** حتى تحفظ طهارةَ جسدك وفقًا لمشيئة الربّ مثل لؤلؤة جزيلة الثمن. لا تتزيّنْ بالملابس ولا تفتخرْ بغنى أهلك. «وأمّا من افتخر فليفتخرْ بالرب» (٢ كور ١٠:١٧). «لأن كلَّ إنسان كالعشب ومجدَ الإنسان كزهر الحقل يذبل ويسقط زهرُه أمّا كلام الربّ فيبقى إلى الأبد» (أشعيا ٤٠:٦-٨). اجعل نظرك إلى أسفل ونفسَك عاليًا. لا يكوننّ لكم دالةٌ مع شاب فتيّ ولا مع امرأة بالطبع. لا تُطلْ الكلامَ مع الأولاد ولا تعايشِ السكارى والفوضويّين والضاحكين بل دعْ نفسَك في مخافة الله طول النهار كما يقول الرسول: «فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء مفتدين الوقت لأن الأيّامَ شرّيرة. من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هي مشيئة الربّ ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح» (أفسس ٥:١٥-١٨). وكذلك «لكي يُخزى المضادُ إذ ليس له شيء رديءٌ يقوله عنكم».

* * *

النصيحة الرابعة

إلى المبتدئين أيضًا

أيها الحبيب دعْني أسلّمك وصيةً أخرى في الربّ. إن حفظتها جلبتَ إليك الفرحَ تاليًا. إن حدث وزهدت من العيش الباطل وذهبتَ إلى دير شركة فيه

أخوة كثيرون ، راغبًا في أن تُصبحَ راهبًا ، اجتهد أن لا يخدعك العدوّ وتخرجَ من الدير قبل أن ترتدي اللباسَ الرهباني . ولا بعدها أن تخرج من الدير لأنك سوف تندم بمرارة . بل على العكس عليك أن تبقى فيه وأن تصبرَ واضعًا قاعدة سليمة بكل تواضعٍ .

لا تخفْ من تجارب العدوّ ضدّك بل اصبر عليها حتى تستحقَّ التطويبَ لأنه مكتوب :

« **طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة** لأنه إذا تزكّى ينال اكليلَ الحياة الذي وعد به الربّ للذين يحبّونه » (**يعقوب ١:١٢**) .

هل تريد أن لا تسود عليك التجربة ؟ إقطع كلَّ إرادة لك . لكن إن اعتقدتَ أن هذا هو حسنٌ ولا يعتبره الربّ حسنًا فافعل ما يريده الربُّ لأن الذي لا يُطيع بل يتبع إرادته يساهم في خراب نفسه . لأن المبتدئَ الذي يَعصى يجلب لنفسه الأذيّة . يقول المزمور :

« اعبدوا الربَّ بخشية وهلّلوا له برعدة إلزموا الأدب لئلّا يغضبَ الربّ فتضلّوا عن طريق الحق » (**مز ٢:١١-١٢**) .

من يحبّ العدالة لن يهلكَ أمّا الذي يكره الأدبَ فيؤذي نفسه . كما أنه لا يستطيع الإنسان أن يضع في القربة نفسها خمرًا وخلًّا كذلك لا يمكن لفضيلة الحياة الرهبانية أن تتواجد مع عدم الأدب . يقول الرسول :

« أيّةُ خلطة للبرّ والإثم وأيّةُ شركة للنور مع الظلمة » (٢ كور ٦:١٤) **أحبب إذًا الحكمة والتعقّل** بلا حدود لكي يسكن فيك روحُ الله . وعندما تتأهل لارتداء لباس الحياة الرهبانية ، لا تتوافق مع الأفكار إن كانت تدعوك للانفصال عن الإخوة ربّما يجعلك ذلك ضائعًا وغيرَ ثابت في سِنّ مبكّر .

إنتبه **ألّا تخسر التقوى** التي كانت معك في البداية بل تمسّك بها حتى النهاية . وكما يليق بالقدّيسين لا تتكلّم بالسوء ولا تحلف بشفتيك . بل كن

إنسانًا متواضعًا . لكلّ جواب تقول « أغفر لي » حتى تختفيَ عنك عاداتُ العالم الباطلة وتعيشَ بمرضاة الرب ومديحه . عندما تأتي إلى الحياة الرهبانية لا تحتاجُ لا إلى ذهب ولا إلى فضة ولا إلى لباس ، بل على العكس بعد إرسال كلّ ذلك إلى السماء وفقًا لوصية مخلّصنا يسوع المسيح (متى ١٩:٢١) جاهدْ لتمتلكَ ما يلي :

الإيمانَ ، العفافَ ، الصبرَ ، التواضعَ وما تبقّى مما يقدّمه لك الله بداعي صلاحه له ينبغي المجد إلى دهر الدهور . آمين .

* * *

النصيحة الخامسة

من أجل أن لا تتكبّر

إن أقبل أحدٌ على الحياة الرهبانيّة وفي نفسه اعتبارٌ كبير لذاته من العالم فلينتبه كثيرًا من شيطان الكبرياء حتى لا يسقطَ في روح التكبّر وعدم الطاعة ويؤذيَ نفسه .

أيها الحبيب لا تخجلْ في أن تكون مطيعًا في الربّ وتعمل الخير بيديك الخاصة . **لأن هذا الضيقَ الصغير أو الحزنَ القليل الذي تصبرُ عليه من أجل الربّ هو الذي يجلبُ لك الحياة الأبديّة .**

ما أقوله أيضًا **مثل الذي يستبدل قرشًا واحدًا بقدر كبير من الذهب** هكذا يكون كلُّ ضيق نَصبر عليه في الحياة الرهبانية ، مقابل الشقاء الأبدي الذي ينتظر أولئك الذين يعملون السيّئات . أنت تُقدّم القليلَ ويُمنحُ لك الكثير . انتبه أيها

الحبيب على مثال الجندي الصالح . لا تهمل الموهبةَ التي أُعطيتَ إيّاها (١ تيمو ٤:١٤) لئلّا يحصلَ معك شيئان : أن تُحزنَ الناسَ أعني أقرباءك بحسب الجسد ولا تُرضي الله .

جاهد بالأحرى لكي إذا شاهدك الناس يمجّدون الله من أجل سلوك حياتك الحسن لأنه مكتوب :

« الذين يخافون الربَّ يبصرونني ويفرحون » (مز ١١٨:٧٤) .

« سلام جزيل يسود على الذين يحبّون شريعتك وليس لهم ما يعثرهم » (مز ١١٨:١٦٥) .

لذلك أقول إحفظ نفسك من الكبرياء ويكون الربّ عندها حظّك في الميراث . له ينبغي المجد إلى الدهور . آمين .

* * *

النصيحة السادسة

عدم الكبرياء (تابع) – التواضع

أيها الحبيب إن كنتَ تضع مبادئ حسنة ، فإنك بهذا ستعيش حتى الشيخوخة في هناء وستكون كنجم ساطع ينير الكثيرين في طريق الربّ . لكن إن كنتَ من بطن أمّك رديئًا فإنك ستعيش حياتك كما لا يليق .

ضعْ إذًا أساسًا متينًا لكي يتقدّمَ عملك نحو العلاء . أيها الأخ قبل كلّ شيء اتّقِ الله ومجّده بكلّ قلبك . لكي يمجّدك هو أيضًا مع قدّيسيه .

بدءً من شبابك أسعَ وراء حكمةِ الوداعةِ ولا تتركها حتى الرمق الأخير .

هذه ستقودك إلى طرق البرّ وستصبح أنتَ منذ شبابك إناءً مختارًا (أع ٩:١٥) . وستجعلُ شيخوختك مكرّمة ويمدحك الله وسيمجّد الناسُ الربَّ عن طريقك .

إن أسلمك الرئيسُ لطاعة أحد الإخوة فلا تبدو كمن يقول في فكره : « إني بالطبع ابنُ والدين عظيميْ الشأن ذائعيْ الصيت بينما هذا ابنٌ لأناس عديمي الشأن فقراء أو أحيانًا كثيرة ينحدر من طبقة العبيد فكيف أقدر أنا أن أخضعَ له ؟ إنها إهانة لي إن عملتُ بهذا الأمر » .

لا تفكّر أفكارًا كهذه أيها الحبيب لأنك لا تفعل ذلك بتعقّل فإنّ من يفكّر هكذا لم يخلعْ بعدُ الإنسانَ العتيق الذي فسد من قِبَل الشهوات الخدّاعة (أف ٤:٢٢) .

أمّا نحن أيها العزيز فكأن الله قد أسلمنا لإخوة مماثلين لنا لكي نخدمَهم . دعنا نصبر لكي نُستأهل أن نتمتّعَ بحرّية الصدّيقين متشبّهين بسيّد الكلّ الذي صار فقيرًا من أجلنا بالرغم من أنّه كان غنيًّا وبفقره اغتنينا (٢ كور ٨: ٩) .

ضعْ أيّها الحبيب عنقك تحت نيره لكي تجد راحةً لنفسك فإنه مكتوب « مَكرهةُ الربّ كلُّ متشامخ القلب » (أمث ١٦:٥) فله يليق المجد إلى دهر الداهرين . آمين .

* * *

النصيحة السابعة

في العمل اليدويّ

لا تهملْ عملك اليدويّ ، لأنّه كثيرًا ما يملي الفكر عليك قائلًا إنه « لن

تستطيع أن تتعلّم هذا العمل اليدويّ لأنك ضعيف ومشتّت ولا تستطيع احتمالَ صعوبة هذا الشغل حتى النهاية ، فانظر كيف أن أعضاءك بدأت تعاني من الشقاء لأنك لم تتعوّد على الشقاء والتعب ، إذًا اهربْ واذهبْ إلى حيث أتيت لأنه هناك أيضًا إن أردتَ أن تخاف الله تخلص » .

أمّا أنت فكمؤمن لا تفقدْ شجاعتك تجاه أفكار كهذه بل بصبر انتظر الربّ الذي دعاك إلى ملكوته وفرحه ، لأنه هو نفسه قد قال :

« الحق الحق أقول لكم لو كان لكم إيمان كحبّة الخردل وقلتم لهذا الجبل « انتقل » فسينتقل ولا شيء يستحيل عليكم » (متى ١٧ : ٢٠) . نحن إذًا أيّها الأحبّاء لأننا لم نضع رجاءنا على إنسان لأنه لا يقدر أن يخلّص ، بل على الله الذي يخلّص كلَّ المتكلين عليه كما هو مكتوب : « لأن كلّ الذين يتّكلون على الربّ هم مثل جبل صهيون » (مز ١٢٤ : ١) . والروح القدس يطوّب كلَّ من وضع رجاءه على الله قائلًا :

« يا ربّ يا إله القوّات طوبى للإنسان المتّكل عليك » (مز ٨٣ : ١٣) .

اصبر إذًا يا حبيبَ الله . تُرى إن كنتَ تتعلّم حروفًا ما أفلن تصبر على التعب ؟ وإن كنتَ تتعلّم صنعةً ما دنيويّة أفلن تصبر على الشقاء ؟ ألسنا مضطرّين بالأحرى جدًا **أن نصبرَ على كلّ شيء من أجل الربّ** ؟ لأنه مكتوب :

« أنت تأكل من أثمار أتعابك ، فطوبى لك ويا بشراك » (مز ١٢٧ : ٢) . ويوصي الرسول قائلًا :

اعمل الخيرَ بيديك . لا يأكلنّ العاملُ منه فقط « بل بالحريّ يتعب عاملًا الصالح بيديه ليكون له أن يعطي من له احتياج » (أف ٤ : ٢٨) .

دعنا نبعد رغباتنا كلّها من أجل الخلاص من خطايانا ، لأنّه إن أردنا أن نخلص فسنخلص لأن الربّ نفسه قال :

« إسألوا تُعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له » (متى ٧:٧-٨) لأن الربّ هو الذي منح للعالم كنز التوبة الذي لا ينضب له ينبغي المجد إلى الدهور. آمين.

* * *

النصيحة الثامنة

بالنسبة إلى العثرات الحاصلة نعرف من قال: « لا تدينوا لكي لا تدانوا. لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم » (متى ٧:١-٢). ولمساعدتك في التأمّل، تفكّر كيف أنّ الصدّيق لوط كان يسكن في صادوم، لكن لم يجتذبه تكبّرُ الصادوميّين وفسقُهم. لهذا خلُص كما هو مكتوب: « إذ كان البارّ بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يُعذِّب يومًا فيومًا نفسه البارّة بالأفعال الأثيمة » (٢ بطرس ٢:٧-٨). ولكن ماذا يضيف: « يعلم الربّ أن يُنقذَ الأتقياء من التجربة ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين معاقَبين » (٢ بطرس ٢:٩).

فلا يكون عندنا اليوم إمساك ووداعة، وفي الغد عدمُ عفّة وتكبّر. لا يكون لدينا اليوم هدوءٌ وسهر وتواضع، وفي الغدّ تشتّتٌ وعدمُ طاعة ونومٌ لا يشبع وما شابه ذلك. لا يكون لدينا اليوم رفضٌ للعالم وللأشياء الأرضيّة رفضٌ للوطن والأصدقاء والأهل بالجسد بسبب رجائنا بالربّ، وفي الغد حنينٌ لوطننا وميراثنا بحيث نغرّق أنفسَنا في شرور كثيرة. لأن امرأةَ لوط بالتفاتها إلى الوراء صارت عمودَ ملح (تك ١٩:٢٦). لهذا يعلّم الربّ قائلًا: « ليس أحدٌ يضع يده على المحراث ويتطلّع إلى الوراء » (لوقا ٩:٦٢). فليكن في فكرك دائمًا ذلك اليوم

حين رفضت الكلَّ وخرجتَ من العالم من أجل الربّ ، وذلك الوقت الذي كنتَ فيه ملتهبًا بخوف الله **وحارًّا بالروح من أجل الربّ** . ولتتخذ هذا الهدف حتى النهاية . لأن من يصبر إلى المنتهى يخلص (متى ١٠:٢٢، ٢٤:١٣ مر ١٣:١٣) . لكي تأخذ أجرةَ العمل مع الحياة الأبديّة لأنك أتيت إلى قرب الإله الحقيقي بعد أن ازدريتَ بكلّ شيء لكي تربحَ المسيح (في ٣:٨) . له ينبغي المجد إلى الدهور . آمين .

***

النصيحة التاسعة

في الطاعة وفي طول الأناة والصبر

بالنسبة إلى زمن السيامة لا تضطربْ لأن العدوّ يخلق في البعض رغبةً في أن ينالوا الاسكيمَ الرهباني قبل الوقت (المناسب) حتى يهربَ الأخ من الجهاد غيرَ متحمّل أعباءه .

أمّا أنت أيها الحبيب بما أنك تهتمّ بإرضاء الله ، فأبدِ طولَ أناة لأن الرسول يقول : « حتى وإن استطعتَ أن تصيرَ حرًّا فابقَ بالأحرى على ما أنت عليه » (١ كور ٧:٢١) . حوّل انتباهك نحو الأجيال السالفة **وانظر أن كلّ القدّيسين بطول أناتهم وصبرهم** نجحوا في تحقيق مواعيد الله (عب ١١:٣٣) . فدعنا إذًا نحثّ نفوسَنا كلّ يوم لنصير شركاءَ معهم في ميراث ملكوت السموات .

بالطبع أوّلًا ألم يخدم البطريرك يعقوب من أجل راحيل لابان السوري ١٤ سنة في ما بين النهرين (تك ٢٩:١٨ و٢٧) وسط حرّ النهار وصقيع الليل ؟

فضلًا عن ذلك ألم يكن يوسف الحبيب ولسنوات عديدة عبدًا في بلد غريب ؟ فإنه مكتوب أيضًا : « لما كان يوسف ابنَ سبع عشرة سنة وكان يرعى الغنم مع إخوته » (تك ٣٧:٢) . ويقول الكتاب أيضًا « وكان يوسف ابنَ ثلاثين سنة حين مثل بين يدي فرعون ملك مصر » (تك ٤١:٤٦) . كذلك موسى نفسه خادم الربّ بقي أربعين سنة كغريب في بلاد مدين (خر ٢:١٥) والإسرائيليون أيضًا بعد أربعين سنة دخلوا أرضَ الميعاد (عدد ١٤:٣٣-٣٤) .

كذلك مع دانيال الإنسان الفاضل مع الفتية الثلاثة الذين حوّلوا بإيمانهم الأتون إلى ندى (دانيال ٣:٢٤...) . صبروا على العبودية والأحزان والإهانات في بلد عدوّ ولهذا خلصوا . أمّا نحن فلا نَصبر حتى على إهانة صغيرة . الصبر يبتعد عنّا بسبب عدم إيماننا . بما أنك لهذه الدرجة استسلمت إلى الحزن كأنّك أضعت شيئًا غريبًا أؤتمنتَ على حفظه كأنك سائر إلى السبي . قدّم لنفسك استعدادًا في الربّ وكن شجاعًا . كرجل مؤمن ربّما من شدّة الحزن تخسر قدرةَ النفس وفي النهاية تندم .

فكّر أيّها الحبيب بأولئك المختبَرين في المنفى والمناجم والعبودية المرّة واخضعْ لرئيسك الروحي في الربّ . إن كنتَ تتخيّل نفسك كإنسان يعاني ويصبر على العبوديّة من أجل الربّ ، فكّر إذًا بالعبد الذي أُهين وقتًا ما من أجل دفاعه عن الملك ألم يرى الإهانة له فخرًا ؟

لكنّك سوف تقول مرّات عديدة أن هذا الأمرَ يتطلّب تعبًا . الويل لي أنا الخاطئ والعبد البطّال . إن كنّا لا نملك استعدادًا للصبر على التجارب والمتاعب فلِمَ تركنا العالم ؟

أيها العزيز من هو المطوّب والمستحق أن يتألّم من أجل ذاك الذي تألم من أجلنا ؟ إنكَ أيها العزيز تقدّم الصغائر وتنال العظائم .

ونحن نحتاج إلى الصبر لكي نتمم مشيئةَ الله ونحظى بتحقيق وعده (عب

١٠:٣٦) «لأن من يصبر إلى المنتهى فذاك يخلص» (متى ١٠:٢٢ و٢٤:١٣ مر ١٣:١٣).

***

النصيحة العاشرة

الشجاعة أمام الأفكار المعادية

أيها الأخ لا تفقد شجاعتك بسبب الأفكار المعادية لأنّها بدء الجهاد. استعلِم عن هذا الأمر من جبّ المطر، لأنه عندما تُمطر ويمتلئ الجبّ من بَركة المياه، يكون الماء في البداية معكّرًا لكنّه مع مرور الوقت يصير أنقى. إذًا كن شجاعًا أيّها الحبيب لأنه مكتوب: «سيولُ الإثم روّعتني» (مز ١٧:٥). وفي مزمور آخر يقول: «امتلأتْ من الشرور نفسي ودنت حياتي من الجحيم» (مز ٨٧:٣) وأيضًا: «الربُّ عونٌ لي فلا أخاف ممّا يصنع بي الإنسان» (مز ١١٧:٦).

إذًا عندما يأتي إليك فكرٌ شرّير اصرخْ إلى الربّ بدموع قائلًا: «يا ربُّ تعطّف عليّ أنا الخاطئ وسامحني أيها المحبّ البشر اسحق الشرّيرَ وأبعده عنّا». لأن الله عالمٌ ما في القلوب ويعرف الأفكار الواردة من الرأي الخبيث ويعرف أيضًا الأفكارَ التي تقدّمها لنا الشياطين الشرّيرة. واعرف هذا من جهة أخرى أنه بقدر ما تجاهد وتصبر خادمًا الربّ هكذا وبالأكثر يتنقّى ذهنك وأفكارك لأن ربّنا يسوع المسيح قال: «كلّ غصن يأتي بثمر ينقّيه ليأتي بثمر أكثر» (يوحنا ١٥:٢).

عليك فقط الإرادة في أن تخلص لأن الربّ يحبّ ويساعد الذين يُسرعون لإيجاد الخلاص. اسمع أيضًا هذا المثل على **الأفكار القبيحة**: عندما يُقطف

العنب من الكرم، يرمونه في المعصرة ويدوسونه فيُعطي عصيره ويضعونه في الأوعية. يَفور العصير في البداية بشدّة كبيرة كأنه يُحمّى على نار قويّة جدًا، حتى أن الأوعية المكشوفة التي لا تحتمل الضغط تتصدّع بسبب التوتّر الحاصل. هكذا أيضًا تغْمل الأفكارُ القبيحة عندما يبتعد الناس عن هذه الحياة الباطلة ويتكرّسون للروحيّات، لأن الشياطين بما أنهم لا يستطيعون احتمال النيّة الصالحة، يهيّجون فكرَ الإنسان بطرق مختلفة لأنّهم يريدون أن يسبّبوا له الإرتباكَ الذي يقود إلى الدمار. بحيث إذا وجدوا إناءً هشًّا أعني نفسًا غيرَ مؤمنة ومتردّدة نووا على تحطيمها. لأنّ الشياطين تشبه الذئابَ الخاطفة التي تجول حول قلالي الرهبان طالبة أن تجد بابًا مفتوحًا لكي تقفزَ إلى الداخل وتُميتَ النفس التي تطيعها. لكنها ان وجدت الباب مغلقًا في وجهها ترجع خائبة. هنا طبعًا أتكلّم على النفس المؤسّسة على الإيمان.

فلا تجبنْ ولا تخفْ من شرّها فإنها لا تستطيع أن تؤذيك إن اتخذتَ المسيحَ عونًا لك. فإن الرسول يقول «لم يُعطنا الله روحَ الخوف بل روحَ القوّة والمحبّة والتعقّل» (٢ تيمو ١:٧) لذلك كان الربّ يقول لتلاميذه «رأيتُ الشيطانَ ساقطًا من السماء كالبرق، فإني أعطيكم السلطانَ أن تدوسوا الحيّات والعقارب وأن تتسلّطوا على قوّة العدوّ كلّها ولن يضرّكم شيء» (لوقا ١٠:١٨-١٩).

لهذا كنْ شجاعًا أيّها الحبيب وقويًّا بمعونة إلهك لأن رحمته أبدية. إن كان الشياطين يذكّروننا بالأهل الطبيعيين فلنقلْ لهم (بالنسبة للميراث): «إنه مكتوب يكنز ولا يدري لمن يجمع» (مز ٣٨:٦) وأيضًا «لأن الحكماء يموتون والجهلاء والأغبياء يهلكون جميعًا ويتركون غناهم للغرباء» (مز ٤٨:١٠). بالنتيجة تبقى لديّ الخطايا ويذهب منّي الغنى. إذًا كلّ هذا لن يُفيدني إنه شرّ كبير».

لذلك لم نتعلّم أن نقتني كنوزًا على الأرض حيث تفسدها السوسُ والآكلة

وحيث ينقب السارقون ويسرقونها. ومن جهة أخرى حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك (متى ٦:١٩ و٢١).

فليتبارك الله الذي يعطينا القوّة على مواجهة الأعداء غير المنظورين. به يليق المجد إلى دهور الدهور. آمين.

* * *

النصيحة الحادية عشرة

في الجهاد

أيها الأخ جاهد كجنديّ صالح ليسوع المسيح (٢ تيمو ٢:٣) بقدر ما يبقى لديك من وقت عالمًا بأن جهادك ليس من أجل إكليل يفنى بل من أجل التنقية من الخطايا ومن أجل الحياة الأبديّة. فلتكن لك فضيلةُ التواضع في كلّ أعمالك التي هي أمّ الطاعة. **ألقِ عنك خاصةً ازدواجيّةَ النفس** والبس في كلّ شيء الإيمانَ كرداء. حتى يرى الربّ استعداد نفسك ويشدّدَك في عملك. ابغض كثيرًا الكسلَ والميل إلى الخصام مع كلّ حسد ورأي خبيث، طالما هجرتَ ذويك من أجل الربّ وكذلك الأصدقاء وموجوداتك. لأنه إن سمحت منذ البداية أن تتسلّط عليك الأفكارُ الشرّيرة تجنِ التعبَ والأذى.

إذًا إن حصل في وقت ما أن تعبنا قليلًا من أجل الربّ ولو حتى فوق طاقتنا، فدعنا لا نتذمّر لأن من يتذمّر يُظهر أنه لا يعمل من ذاته. أمّا أنت فكإنسان عاقل لا تخاصم الإخوة المتهاملين ولا تغارنّ ممّن يعيشون بدون خوف الله حاسبًا أن من يسقط يكسر أعضاءه ومن ينتصر يأخذ إكليلَ النصر.

لكن لا تتشاحَنْ مع أخيك لأنك لا تعرف ربّما يزعجه مرض ما تجهله وربّما بسبب هذا المرض يتهاون . عليك بالأولى أن تشاركه الألم وتشجّعه ولا أن تضايقه مشابهًا العديمي الرأفة . أنت بالمقابل جاهد بطريقة صحيحة عارفًا لأية أسباب رحلتَ من العالم . لأنه ها الآن يوجد لديك فرصةٌ مناسبة لتجمع كنزًا لا يفرغ بالخدمة وبالثمار التي تقدّمها للإخوة . لهذا أيّها الحبيب ، ان أخليتَ الحظيرة من الزبل فأخلِ داخلك أيضًا من الرغبات العالميّة . إن نظّفت أيضًا رمادَ المطبخ فاصنع هذا العمل بتواضع كبير متذكّرًا النبي القائل :

« أكلتُ الرمادَ كالخبز وكنتُ أمزج شرابي بدموعي » (مز ١٠١ : ١٠) .

أنظرْ أيضًا أيّها الحبيب في الوقت نفسه إلى النار الفاسدة وقارنها مع اللهيب الأبدي المهيّأ فعلًا لالتهام الخطأة واذرف الدموعَ من أجل الخطايا التي اقترفتَها بل وفي الوقت نفسه من أجلي أنا الخاطئ لكي يمنحني الربّ غفرانَ الخطايا به يليق المجد إلى الدهور . آمين .

* * *

النصيحة الثانية عشرة

توصية من أجل التواضع

أيها الأخ إن تنكّرتَ للحياة الباطلة ودخلتَ إلى دير شركة لإخوة كثيرين وسلّمك الأب الرئيس لراهب آخر لكي يعلّمك جهادات الفضائل ، فلا تعتقد أنه نافع القول أو العمل بعكس ما يقول الأعلى منك . ولا تفكّر بشيء ممّا لا يجب ولا تقل :

«إني في الواقع هجرتُ ثروات، بيوتًا وحقولًا خدّامًا وخادمات واعتبرتها كلّها نفايات لكي أربحَ المسيح (في ٣:٨) في حين أنّ ذاك من دون أن يكون حاصلًا علي أيّة ثروة وصل إلى الدير بسبب الإضطرار. فمن أين لي أن أتواضعَ أمامه وأن أُساقَ إلى مثل هذه الحالة؟ هل جئتُ إلى هنا جائعًا؟»

لا تفكّر هكذا أيّها الحبيب لأن هذه الأقوالَ مُفعمةٌ بالكبرياء. على عكس ذلك فكّر أن المسيح سيّدنا جميعًا واضع نفسَه من أجلنا وصار طائعًا حتى الموت موتِ الصليب (في ٢:٨). إفهم ما أقوله لعلّ الربَّ يُعطيك فهمًا في كلّ شيء (٢ تيمو ٢:٧).

جاء مجاهدان ليتباريا معًا. لبس أحدهما لباسًا برّاقًا أمّا الآخر فلباسًا رثًّا. فهل يقدّم المجاهد ثوبًا برّاقًا في ساعة الجهاد لكي يجابه خصمه مجابهة كاملةً؟ ألا يقدّم بالأحرى الرجولة وفن القتال مع القوّة الجسديّة؟ أم قلْ لي كيف نتجرّأ في طلبنا إلى الربّ من أجل غفران خطايانا السالفة إن كنّا بعدُ لم ننسَ سلوكَنا السابق؟ أم كيف سنرتدي الإنسانَ الجديد الذي خُلق وفقًا لمشيئة الله طالما لم نخلع عنّا الإنسانَ العتيق الذي انفسد برغبات الغاش؟ (أف ٤:٢٤، ٢٢). لأنه من غير الممكن أن يجمع أحدٌ شيئًا قديمًا بآخر جديد كما قال المسيح مخلّصنا:

«لا أحد يضع على ثوب عتيق رقعة من ثوب جديد لأنّ الملءَ سيمزّق الثوب القديم والشقُّ سيصير أكبر» (متى ٩:١٦ مر ٢:٢١ لوقا ٥:٣٦). وأيضًا قال: «لا يضعون خمرًا جديدًا في زقاق قديم بل يجب أن يوضع الخمر الجديد في زقاقٍ جديد وهكذا يُحفظ الإثنان» (متى ٩:١٧ مر ٢:٢٢ لو ٥:٣٧-٣٨).

لا تلعب دورَ الحكيم وفقًا لعقلية الإنسان العتيق، لأنه مكتوب «كلّ من يريد أن يكون حكيمًا في هذه الحياة فليصرْ جاهلًا لكي يصيَرَ حكيمًا لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله» (١ كور ٣:١٨-١٩).

اجعل إذًا التواضعَ معلّقًا دائمًا على صدرك . لأنه مكتوب :

« إنّ المستعلي عند الناس هو رجسٌ قدّام الله » (لوقا ١٦:١٥) حتى إنك عاملًا كلّ شيء حسنًا وباستحقاق تمدحُ أمام الله وترث إكليلَ الحياة الذي وعد به أولئك الذين يحبّونه (يع ١:١٢) به يليق المجد إلى دهور الدهور . آمين .

* * *

النصيحة الثالثة عشرة

عن فضيلة التواضع

يجب على هؤلاء الآتين إلى الحياة الرهبانية من حياة البؤس والشقاء ألّا يترفّعوا ، وألّا يتغطرسوا بل أن يُظهروا كلَّ وداعة وتواضع ، متذكّرين ومماثلين إحسانات الربّ في الوقت عينه . وكم انتشلهم من المسبّبات المحزنة لهذه الحياة . قد يكون ذهنهم تشتت في لحظة ما كناكري الجميل من المُحسن ما قد قيل في المزمور :

« لأن الإنسان وان كان في كرامة ولم يعتبر قيس بالبهائم التي لا عقلَ لها وشبّه بها » (مز ٤٨:١٢) .

لهذا أيّها الأحبّاء دعونا نخدم بتواضع كبير وفي كلّ حياتنا الربَّ الذي أنهض الفقير من التراب والذي يرفع البائسَ من المزبلة (مز ١١٢:٧) لكي يؤهّلنا بعد موتنا أن نتمتّع بمجد الودعاء والمتواضعين لأنّه مكتوب :

« لأن الربَّ يبتغي الحق ويجازي الذين يسلكون بالكبرياء » (مز ٣٠:٢٣) . وأيضًا « يُقاومُ اللهُ المستكبرين وأمّا المتواضعون فيعطيهم نعمةً » (يع ٤:٦، ١ بط ٥:٥، أمث ٣:٣٤) به يليق المجد إلى الدهور . آمين .

النصيحة الرابعة عشرة

لرؤساء الأديار

أيها الأخ هل ائتمنوك على إحدى النفوس؟ زنّر وسطك بالضبط كأحد المحاربين لأنّه قد أتيتَ إلى جهاد عظيم، قد تسلّمتَ أن تهتمّ بالنفوس بكاملها. **فلتكن إذًا صاحيًا إلى الغاية لأن هذا الشأن يتطلّب انتباهًا كبيرًا**. لذلك لا تُبدِ شيئًا من اللامبالاة. بل بالمقابل فلتصر كلُّ معايشة بينكم بكلّ قداسة. ربما في لحظة ما من عدم الإنتباه، يبذر العدوّ بخبث شيئًا من عنديّاته وذلك من خلال طاعة التلميذ. لأنّ الذي يتخطّى حدودَ الطهارة والعفّة ويطلب الطاعة بغية حبّ اللذّة فلن يبقى بدون عقاب لأن كرمه من صادوم وعددَ كرمته من عمورة (تث ٣٢:٣٢) كما يقول الرسول: «المتعدّي لا يتعدّى وصايا الإنسان بل الله الذي يعطي روحه القدّوس لنا» (١ تسا ٤:٨).

ولا من يقبل شيئًا كهذا يمدحه الله لأنه لا يوسف انصاع ولا سوسنة المغبوطة غارت. فإن يوسف وإن كان قد بيع إلى مصريّة كعبد لم تغرّه مماُلقتُها، وتهديداتُ الموت لم تكن تُرعب محبَّ الله (تك ٣٩:٧-١٢) لأنه في ذلك الوقت بالطبع كانت تَعِدُ الشاب مماُلقةً أنها ستهبه عطايا كثيرة. لكن بما أنه لم يقتنع كانت تهدّده مرارًا بالموت والتعذيبات. لكن ذاك ما كان ليفضّل شيئًا أكثر على العفّة وقد كان مطيعًا في كلّ شيء تقريبًا. فقد رفض هذا الأمرَ فقط تاركًا لنا ولعيشنا مثالًا (أي الحياة الرهبانيّة).

كذلك سوسنة المغبوطة عندما فضّلت الموت على أن تُخطِئَ أمام الله. وأيضًا من يشي بالبار يسبّب لنفسه عقابًا كبيرًا. لهذا والرسول يقول: «**اعملوا**

لخلاصكم بخوف ورعدة » (في ٢:١٢). لأن العدوّ يجابه بقوّة أولئك الذين يظفرون بالفضائل لكنه يداس من المؤمنين.

من جهة أخرى يجب على الكبار أن يكونوا قدوةً للصغار في كلّ فضيلة، لئلّا يُعطوا حجّةً لأولئك الطالبين حجّة (٢ كور ١١:١٢). **لأنه إن كنّا نحن غيرَ مطيعين كيف سنعلّم الطاعةَ لمن هو أصغر؟** إن كنّا شرهين أو سكّيرين أو محبّين للفضّة كيف سنعلّم من هم أصغر منّا سنًّا الإمساكَ والصبرَ؟ إن كنّا نحن طائشين أو ثرثارين أو متقلقلين فكيف سنعلّم الأصغر منّا التعقّل والتحمّلَ؟ طالما أن ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح قال:

« من يعمل (الفضائل) ويعلّم يُدعى عظيمًا في ملكوت السموات » (متى ٥:١٩). وكذلك بفم الرسول يقول « كن مثالًا للمؤمنين » (١ تيمو ٤:١٢).

ستسألني إذًا: وان كنتُ أنا لا أعمل بالفضائل، ألن أقولَ لأخي ما يوافقه؟ سأجيبك: ما هي الفائدة أيّها الحبيب إذا كنّا ننصح الآخرين من جهة ونعمل ما يعاكسها من جهة أخرى؟ بينما يقول الربّ بالنبي حزقيال:

« سأدين كلّ واحد منكم وفق حياته يقول الربّ الإله » (حز ١٨:٣٠).

إن كنّا لم نعمل في ما مضى لكن الآن دعنا لا نتهامل في أن نعمل. إن كنّا قد غُلبنا لكن الآن دعنا لا نُغلب. أتهاونّا؟ لكن الآن دعنا لا نتهاون. **وتاليًا دعنا نرجع إلى الربّ.**

هكذا من أجل أن نتعلّم وننصح بعضنا بعضًا عندنا وصيّة من الروح القدس « يقول لأن كلّ من يردّ خاطئًا عن طريق ضلاله، سيخلّص نفسًا من الموت ويستر جمًّا من الخطايا » (يع ٥:٢٠).

هكذا إذًا أيّها الأحبّاء يجب علينا نحن أيضًا أن لا ندين من هم أعلى منّا لأنه مكتوب « لا تدينوا لئلّا تُدانوا » (متى ٧:١). لديكم من جهة أخرى أيّها الإخوة النبي صموئيل مثالًا للتواضع لأنه لم يبدِ ترفّعًا تجاه الكاهن عالي بالرغم

من أنه سمع من الله بدلًا من هذا الإنسان . والرسول بطرس يبشّر قائلًا :

« اخضعوا ليس فقط للصالحين والرؤوفين بل للعنيفين أيضًا لأن هذا له فضل أمام الله . إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزانًا متألمًا ظلمًا ، لأنه أي مجد هو ان كنتم تلطمون مخطئين فتصبرون ؟ بل إن كنتم تتألمون وأنتم تعملون الخير فتصبرون فهذا أفضل أمام الله . لأنكم لهذا دُعيتم ، فإن المسيح أيضًا تألّم من أجلنا تاركًا لنا مثالًا لكي نتبع خطواته ، الذي لم يفعل خطيئة ولا وُجد في فمه مكرٌ الذي إذا شُتم لم يكن يشتم . وإذا تألّم لم يكن يهدّد بل كان يسلّم لمن يقضي بعدلٍ » (١ بط ٢:١٨-٢٣) .

إذًا أيّها الأحبّاء تعالوا ومن أجل خلاصنا ، نصير مستعدّين لنعملَ سجدةَ توبة من أجل كلّ مسبِّب قد نسمعه خاصةً من رئيسنا بالربّ . لأنّه كما أن الماءَ يُطفئ النيران ، هكذا التوبة الصادقة تُطفئ الغضبَ وتطرد الغيظ . وليقنعْك بهذا رئيسُ الخمسين في أيّام إيليّا الذي بتواضعه استرضى النبيّ وتخلّص من الغضب (٤ مل ١:١٣-١٤) . إذًا أيها العزيز ليكن لديك صبرٌ في كلّ شيء بحسب مشيئة الربّ لكي يرى الربُّ نيّةَ قلبك المتواضعة واللّامترفّعة وبالتالي يرفعك . احفظْ أقوالَه دائمًا وسيكون معك ذاك القائل :

« حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي هناك أكون أنا في وسطهم » (متى ١٨:٢٠) به يليق المجد إلى الدهور . آمين .

* * *

النصيحة الخامسة عشرة

فنّ التدريب

تتأسسُ المدينةُ شيئًا فشيئًا وبالتعقّل تُدارُ الحرب . لا يستطيعُ غيرُ المتمرّس أن يحمِلَ قوسًا كالمتمرّس ، ولا يستطيعُ صبيٌّ أن يركضَ مثلَ رجل . إذا وضعتَ على صبيّ حملًا فوق طاقته فستؤذيه ، وإن تهاملتَ في تنشئته فيصيرُ عديمَ النفع . هكذا المبتدئ أيضًا يجب أن تقودَه بتمييز ولا أن تُحمّله ثقلًا بداعي الغرور ولا أن تستخفَّ بنفسه . لكن بالمقابل قارن مع نفسك كإنسان حكيم كيف أطعتَ من كان متقدّمًا عليك وهكذا شيئًا فشيئًا قدّم له التدريبَ .

وأيضًا لا تُجبرْ أخاك على العمل لأن الله علّامُ القلوب ، بل لقّنه جهادات الفضائل وطريقةَ العيش الرزين ، على رجاء أنك ستنال أجرَك من الله .

إن أردت أن تسهرَ وحدك بعد إتمام سهرِك ، وقانونِك المعتاد وأراد تلميذُك أن ينامَ قليلًا ، دعْه يرتاح لأنّ الصبيّ لا يستطيع أن يركضَ كما قلنا على حدّ سواء مع رجلٍ ناضج . وإن كان ضعيفًا بحسب البنية فلا تبعدْه عنكَ بل اتعبْ وإيّاه مُظهرًا طولَ أناةٍ معه . كفلّاح حكيم يشتلُ في حقل شتلَه الصالِح ، حاول كثيرًا على الأخصّ أن تُقدّم جسدَه ذبيحةً حيّةً (رو ١٢:١) . حسنةَ القبول لدى الله لئلّا نُدانَ مع أولئك الذين يؤنّبهم الرسولُ قائلًا : « لهم صورة التقوى ولكنّهم منكرون قوّتها » (٢ تيمو ٣:٥) .

علّم تلميذكَ إذًا كلَّ عمل صالح لأنه مكتوب : « إن كنتَ تُخرِج النفيسَ من الخسيس فستكون كفمي » (إرم ١٥:١٩) . لأنه إن كان معلّمو هذا العالم لا يتجنّبون الصعوبات التي تأتي بها النفوسُ غيرُ الناضجة ولا يرفضون أن

يخالطوا الأولادَ من أجل المكافأة التي سينالونها **كم بالأحرى يجب على الكاملين أن يتقبّلوا الضعفاءَ من أجل الربّ.**

لأنه مكتوب: «هذا ما يقوله الربُّ طوبى لمن لديه معارفُ في صهيونَ وأقاربُ في أورشليم» (أش ٣١:٩).

وهكذا أنت أيضًا أيّها الحبيبُ لا ترفضْ مشورةَ أبيك الروحي الذي ولدك بالربّ لأن الرسولَ يقول: «أطيعوا رؤساءكم واخضعوا لهم لأنهم يسهرون من أجل نفوسكم لأنهم سيعطون حسابًا، لكي يفعلوا ذلك بفرح لا آنين لأن هذا غيرُ نافع لكم» (عب ١٣:١٧). لهذا يقول في المزمور «سيؤدّبني الصديق برفق ويوبّخني أمّا زيتُ الخاطئ فلا يدهنُ به رأسي» (مز ١٤٠:٥). لأنه إن كان المرْضى يجبرون نفوسَهم على إتمام كلّ ما يأمر به الأطباءُ ألا يجب علينا أكثر بكثير أن نطيع أولئك الذين ائتمنّاهم على معالجة نفوسنا؟

فلنطلب أيضًا أن نتعلّم وصايا الروح القدس. لأنه إن كان الباحثون في هذا العالم يدرسون باجتهاد ما هو ليس بالحكمة الحقيقية - لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله - **كم بالأحرى يجب أن ندرسَ ونتعلّم نحن أيضًا أقوالَ الله من أجل خلاصِ نفوسنا** والروح القدس يطوّبُ الباحثين عن شهادات الله قائلًا:

«طوبى للذين يبحثون عن شهاداتِه. وبكلّ قلوبهم يطلبونه» (مز ١١٨:٢) وأيضًا في مزمور آخر يقول:

«طوبى للشعب الذي يُحسنُ التهليلَ لك» (مزمور ٨٨:١٦) إسمع أيضًا الرسولَ قائلًا: «ولكن كل تأديب في الحاضر لا يُرى أنه للفرح بل للحزن وأمّا أخيرًا فيُعطي الذين يتدرّبون عليه ثمرَ برٍّ للسلام» (عب ١٢:١١). له ينبغي المجد إلى الدهور. آمين.

النصيحة السادسة عشرة

تعليميّة : إلى الرهبان الحديثين وحول التواضع

أيها الأخ إن استحققت الثوبَ الرهباني المقدّس، لا تتكبّر على أولئك المنتظرين للعام القادم، لأنها ليست فضيلة أن يظنّ الواحد أنه الأوّل، بل عليه أن يصبرَ حتى النهاية. ولا تحكم أنه حسنٌ أن تقولَ في نفسك، طالما أخذت الإسكيم الرهباني: «أُعفيتُ من التعب». على العكس اتعب الآن في عمل الفضائل أكثر بكثير، لئلّا تؤذي نفسَك. لأنك حتى الآن ومرارًا بسبب الضغط الآتي من الأعلى منك، لم تتهاون بخلاصك. حتى هذه اللحظة بقيتَ في السرداب الخارجي، لكنك الآن دخلتَ إلى السرداب الداخلي. إذًا لا تُهملْ نفسك، لئلا تخسر أتعابك بل لتحصَلْ على أجرتك. من الآن يظهر تعبكَ واستعداد نفسك والنقاوة وجلوسك في القلّاية. من الآن يظهر أيُّ طريق ترغب فيه، إن كنتَ ترغب بالطريق الواسع الرّحب الذي يقود إلى الهلاك، أم الضيّق المليء بالأحزان الذي يقود إلى الحياة الأبديّة (متى ٧:١٣-١٤). وطبعًا في **الطريق الرّحب** يوجد ما يلي:

الطيش واللهو والشراهة والسّكر، والتبذير والفسق والمشاجرة، والغضب والكبرياء والتشويش وما شابه. كلّ ذلك يتبعه اليأس. كلّ واحد يوجد في الطريق بعيدًا عن الحق يصير بنفسه سببًا لهلاكه. أمّا في **الطريق الضيّق** المليء بالأحزان فيوجد ما يلي:

الهدوء والإمساك والعفّة والمحبّة والصبر والفرح والسلام والتواضع وما شابه ذلك والتي تتبعها الحياة الخالدة.

أيّها الحبيب طالما أدركتَ المخفيّات في الطريق الرحب الواسع إذًا ابتعد عنه لكي تربحَ الحياة الأبديّة . لأنّك إن خطوتَ منذ شبابك في طريقِ العدل (البرّ) الضيّق ، سيكون خروجُك من هذه الحياة سلاميًّا . بينما إذا بدأت منذ الآن تعيش باسترخاء فإنك ستحزن بمرارة في النهاية .

إن كنتَ تنظر دائمًا أولئك العائشين بلا مخافة الله وتراهم أقوياء سمينين بحسب الجسد ، فلا تَغِرْ منهم ومن عواقب عدم مخافة الله .

لأنه ما الأفضل ؟ أن يجد الواحدُ متعةً لأيّام قليلة ويرضي شهوات جسده ثم يُحرَمُ من الحياة الأبديّة ، أم أن يعاني المشقّات قليلًا ويتجنّب القضاء الأبدي وصريرَ الأسنان (متى ٨:١٢، لوقا ١٣:٢٨) ويتنعّم بالحياة الأبديّة ؟

احفَظْ نفسك بحرصٍ من الدالة ، لئلّا يأتي حينٌ تُستعبد فيه للثرثرة والوقاحة وتجعل من نفسك باعثًا لفرح الشياطين ممّا يقصيكَ في النهاية عن الأخويّة . فإن الدّواب لا تسحق الحنطة كفايةً بمقدار ما تهدم الدالةُ أتعابَ الرهبان . أَحيِ نفسَك دائمًا بالتقوى (البرّ) بالتواضع والصبر في وسط طول أناة حقيقيّة .

إنصَحْ نفسك وحثّها قائلًا : « بالرغم من حصولي على الإسكيم الرهباني إلّا أني لم أتعلّم بعد مسالكَ الراهب » ضمن هذا إذًا يُحفظُ التواضع . بخاصّة في الوقت الذي تجلس فيه في قلّايتك بهدوء اجمع أفكارَك وقلْ في قلبِكَ :

« أيها الإنسانُ ألم تهجر العالمَ وأهلَك الطبيعيّين وأصدقاءك والمدينة والوطن والثروة، بمعونةِ الرب ؟ فما الفائدة من أنك بينما جئتَ إلى هنا لتتخلص ، تعملُ المضاداتِ ، وتُخطئ تجاه الرب ؟

إنّك فقط قد ارتديتَ إسمًا بلا جدوى وذلك لكي يطوّبَك معارفك قائلين :

مغبوطٌ فلان لأنّه أبغض العالم ومجدَهُ وزيفَه ولم يهتمّ بالأرضيّاتِ فإنه غادر وصار راهبًا . وأنت تعيش هنا ليس براهب » .

أيّ خجل إذًا سوف يتملّكنا إن كان أولئك الذين يطوّبونا الآن يسبقوننا إلى ملكوت السماوات (متى ٢١:٣١).

ترى كم من الخوف والرعب سيلقانا وأيضًا سيستمرّ بكاؤنا المرّ، إن كان أولئك الذين يطوّبونا الآن ويسجدونَ لنا قائلين: «صلّوا من أجلنا نحن الخطأة عبيد المسيح» إن كان هؤلاء في الراحة بينما نحن نوجد في الأسى بسبب خطايانا؟

لهذا أيها الأحبّاء، دعونا نسهر، أرجوكم، جاعلين انتباهنا متّجهًا نحو الرب، بقدر ما لدينا من وقت، ودعونا لا نتشامخ باهتمامات هذه الحياة لأن هذا العالم وشهواتِه كلّها عابرةٌ، أمّا من يعمل مشيئة اللهِ فذاك يدوم إلى الأبد (١ يو ٢:١٧).

إذًا دعونا نزدرِ بكلّ الأمور المعيشيّة التي تفصُل فكرنا عن الله لأن القدرَةَ والحُسنَ يعقبها الهرم والمرض، والمجدُ والغنى يهدِمُه الموتُ والفسادُ إلّا أن الحق والعدلَ يدوم إلى الأبد.

جاهد حسنًا إذًا أيها الحبيب لأن الميدان مفتوح للجميع وواضع الجهاد يقول بفم الرسول:

«اركُضوا هكذا حتى تحصلوا على الجعالة وكلُّ من يجاهدُ يضبط نفسَه في كلّ شيء» (١ كور ٩:٢٤-٢٥) وأيضًا يقول:

«كلّ مَنْ يخدم في الجيش[4] لا ينهمك بالإهتمامات العالميّة. لكي يصيرَ مقبولًا لدى من جنَّدَهُ. وإن شاركَ أحدٌ بالمباريات الرياضيّة لا يأخذ إكليلَ النصر إن لم يجاهد جهادًا شرعيًّا» (٢ تيمو ٢:٤-٥).

إلّا أني أرجو أن الله أبا ربّنا يسوع المسيح يُعطينا روح القدرة والحكمة والصبر لكي نخدُمه كلَّ أيام حياتنا، به يليق المجد إلى الدهور. آمين.

النصيحة السابعة عشرة

حول الأنانيّة وخداع النفس الأحمق

(أو حول محبّي المجد ومريدي اغتصاب الأماكن الأولى)

أيّها الأخ ما الذي يُغويك، تتأثّر من الشيطان وتتوق إلى المناصب التي لن تستفيدَ منها بشيء مُبالغًا في الإكرام بنفسك؟ اسمع الرسول يقول: «ليس من مدح نفسه هو المزكّى بل من يمدحه الرب» (٢ كور ١٠:١٨). اسمع الربّ يقول أيضًا: «كيف تقدرون أن تؤمنوا طالما أنكم تقبلون المجد من الناس ولا تطلبون المجدَ (المدح) الآتي من الله؟» (يو ٥:٤٤).

إرجع إذًا أيها الحبيب إلى نفسك وفكّر لماذا تركتَ العيشَ الباطل. والشيطانَ وكبرياءه، وتوقّفْ عن الإهتمام بالعالميّات. ألا تعرف أنّك إذا احتقرتَ قريبك ترتكب خطيئة الأنانية وخداع النفس الأحمق؟

لكن تأمّل أنك تقدّمتَ إلى الآن وصرتَ رئيسًا متقدّمًا على أخيك وارتقيتَ المناصب العليا بالمخاصمة والأنانية، وبما أنك لا تريد أن تتواضع أمام أخيك فانتبه أيّها الأخ، ربّما وأنت طالب أن تكون رئيسًا على أخيك سوف تُعتبر هناك الأدنى، في الحياة المستقبلة (متى ٥:١٩). حينها تسمع ما سمعه ذاك الغنيّ محبُّ المجد، في الوقت الذي كان يتعذّب في وسط النار التي لا تنطفئ أبدًا: «تذكّر أنك تمتّعتَ بخيراتك في حياتك» (لوقا ١٦:٢٥) لأنه مكتوب:

«إن المستعليَ عند الناس، هو رجسٌ عند الله» (لوقا ١٦:١٥) تُرى هل نسيتَ القائل:

« كلّ منكم يريد أن يكون أوّلًا فليكن للكلّ عبدًا ، وكل من يريد أن يكون عظيمًا فليكن للكلّ خادمًا » ؟ (متى ٢٠:٢٦-٢٧) . فكّر بأنك قد متَّ عن العالم (تعبير يتضمّن الأهواء ، العناية بالجسد ، الاهتمام العالمي) وأن **حياتك مخفيّة في المسيح** . إذًا عندما سيظهر المسيح الذي هو حياتنا عندها ستظهرون أنتم أيضًا في المجد (**كولسي ٣:٣-٤**) .

إذًا لا تحبّ مديحَ الناس لأنّه لا يدوم دهريًّا ، وفقًا لما قاله النبيّ :

« كلّ الناس هم كالعشب وكلّ مجد الناس يشبه زهرَ العشب » (١ بطرس ١:٢٤، أش ٤٠:٦) . مطوّب بخاصة ذاك الإنسان الذي يُحصى مع الكاملين . لأن هذه المرئيّات عابرة بينما تلك التي لا تظهر فهي أبديّة (٢ كور ٤:١٨) .

إن كنتَ لا تزال مستعبدًا للإهتمامات الأرضيّة ، فإنك تتعب باطلًا . لأن أحدًا لا يستطيع أن يكون عبدًا لسيّدين (متى ٦:٢٤) . فارفض إذًا أيّها الحبيب نيرَ العدوّ وكلَّ كبريائه وضع عنقك تحت نير سيّدنا الصالح ، ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح لأنه بذاته قال : « ذاك الذي يواضع نفسه ، يرتفع » (متى ٢٣:١٢) وأيضًا « إن الله يعاند المستكبرين لكنه يعطي المتواضعين نعمته » (يع ٤:٦، ١ بطرس ٥:٥، أمث ٣:٣٤) .

دعونا نخشَ أيّها الأحبّاء ربّما يقول لنا أيضًا : « لقد أحبّوا مجد الناس أكثر من الله » (يو ١٢:٤٣) . له يليق المجد إلى الدهور . آمين .

* * *

النصيحة الثامنة عشرة

في موضوع اليقظة

حين يقرعُ أخوك البابَ في الليل لكي تنهضَ وتمجّدَ المسيح ، استيقظْ للحال حتى أن الذي هو أكسلُ منك ، عندما يرى حماستك ترنو نفسُه إلى اليقظة ، وفقًا لما يقوله داود :

« عيناي سبقتا تباشيرَ السحر لكي ألهجَ بأقوالك » (مز ١١٨ :١٤٨) . وأيضًا : « في نصف الليل نهضتُ لأشكرك على أحكام عدلك » (مز ١١٨ :٦٢) .

إن حدث وغرقتَ في النوم وتسلّطتْ عليك أحلامُ الشياطين ونهضتَ بعد ذلك فلا تتأخرْ عن الخدمة عالمًا أن العائشين بطريقة خاطئة سيُعطون جوابًا ، في يوم الدينونة – عن كلّ خطوة وكلِّ قولٍ بطّال (متى ١٢ :٣٦) . هكذا أيضًا سينال أجرةً عن كلِّ قولٍ صالح وكلِّ خطوةٍ كلُّ من يسعى إلى الصلاح . إذًا لا تُبدِ خمولًا بل انتصب ولا تقلْ في نفسك : « لقد انتهت الآن خدمةُ الصلاة فإلى أين أذهب ؟ » لأن هذا كلام الناس الكسالى . لكن الأفضل أن تنتصب طارحًا فراشَك بعيدًا وللحال تبسط يديك نحو الله وتسجد لعرش نعمته فتفتح بابَ قلّايتك وتسرع إلى الخدمة كمن تلقّى هجومًا مفاجئًا وكما يهرب الأيِّلُ من الفخاخ .

- إن لحقتَ آخِرَ الصلاة ، لا تُبدِ كسلًا بل انتصب لأنك تستطيع بعد نهاية الصلاة أن تطالعَ في قلّايتك المزامير التي لم يتركك حلمك الشيطاني أن تسمعها

ولا تعتبر أيها الحبيب مجيئك في آخر الصلاة باعثًا للكسل بل كُنْ في اليوم التالي أكثرَ استعدادًا ورغبةً في عمل الربّ.

لأنك إن تهاونتَ في خدمة الصلاة بدون سببٍ وبدون علّة، ستسمعُ هذا المكتوبَ في المزمور:

« ناموا وفي رقادهم لم يجدوا شيئًا » (مز ٧٥:٦).

واعرف خاصّةً هذا أيها الحبيب، أنّه **بقدر ما يهتمّ أحد ما بجسده ببشاعة، هكذا بالأكثر تزداد عليه الأهواء**، والنفس أيضًا بعد تحميلها أوزارًا من عادة الجسد السيّئة، تصبح عديمة الثمر. لهذا يقول المخلّص:

« فاحذروا أن يُثقِل قلوبكم السكرُ والقصوفُ وهمومُ الحياة الدنيا » (لوقا ٢١:٣٤) ويقول الرسول أيضًا:

« أقمع جسدي وأعامله كعبدٍ مخافة أن أكون مرفوضًا بعدما بشرتُ الآخرين » (**١ كور ٩:٢٧**).

ولكن إن ضغط أحدٌ ما على نفسه في عمل الربّ، عندها يُصبح الجسدُ أيضًا أقوى وتتلألأ النفس. لأنه كما أنّ رياضيًّا ما يتدرّب ويهتمّ بجسده لكي يطاوعه في جهاده الفنيّ، هكذا أيضًا مجاهد التقوى هو ملزمٌ بأن يروّضَ نفسَه في كلّ عملٍ صالحٍ. طالما أن الرسولَ يقول:

« روّض نفسك على التقوى فإن الرياضة البدنيّة فيها بعض الخير وأمّا التقوى ففيها خيرٌ لكلّ شيء لأن لها موعد الحياة الحاضرة والمستقبلة (**١ تيمو ٤:٧-٨**). لعلّ الربَّ يُصحّي نفوسَنا من النوم ويأتي بها إلى مخافته. له ينبغي المجد إلى الدهور. آمين.

***

النصيحة التاسعة عشرة

كيف يجب على المسيحيّ أن يتصرّفَ في وقت الصلاة

أيّها الأحبّاء، دعونا نماثل أولئك الواقفين أمام ملك أرضيّ وهم يخدمون عرشًا فانيًا. كيف أنهم بانتباه كبير وخوف يقفون أمام ملكهم. ألا يجب علينا نحن أكثر بكثير أن نقف أمام ملكنا السماوي بخوف ورعدة واحترام كبير؟ لهذا أيها الأحبّاء، أعتقد أنه ليس من الحسن أن ترى العينُ العديمةُ الحياء، الأسرار الموضوعة لجسد ودم ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح. ليقنعنا بذلك الكتاب المقدّس الذي يقول:

«وبما أن موسى قد تسلّط عليه الرعب لم يتجاسر أن ينظر» (إلى العلّيقة الملتهبة) (أع ٧:٣٢) لأنه مكتوب: «أما أنا فسأمجّد أولئك الذين يمجّدونني والذين يحتقرونني يصغرون» (١ ملوك ٢:٣٠) لأنك أنت بالطبع كإنسان تنظر لكنه هو كإله يعرف أعماقَ قلبك ويرى من قبلُ أفكارَك. لأنّه لا يوجد أمامه خليقةٌ غيرُ ملاحظة (عب ٤:١٣).

فكيف يتجاسرنّ البعضُ على ترك خدمةِ الصلاة والخروجِ قبل الحلّ عن غيرِ ضرورةٍ ملحّة؟

تُرى إن كنتَ قد دُعيتَ إلى عشاء إنسان غنيّ، هل كنتَ تتجاسر على أن تنهضَ مِنْ بين مجالسيك على المائدة وتذهبَ إلى بيتك؟ ألم تكن تنتظر حتى ينهض الجميع معًا؟ دعونا نرهبُ إذًا أيّها الأحبّاء لأنه مكتوب:

«ملعون كلّ من يعمل عملَ الربّ باسترخاء» (أرميا ٣١:١٠) دعونا نهتمّ

في هذه الحياة القصيرة والشرّيرة أن نكون مَرضيّين لدى الربّ لكي نرثَ الملكوتَ السماوي لأن الربّ هو القدّوسُ الذي يُسرّ بالقدّيسين والذي يُعطي القوّةَ لصغيري النفوس (أشعيا ١٥:٥٧) به يليق المجد إلى دهر الداهرين . آمين .

* * *

النصيحة العشرون

حول أنواع النّعاس

عدم الشبع من النوم ومولوده التهاون

كما يبدو لي أيها الإخوة هناك ثلاثة أنواع من النعاس الذي يزعج الإنسان في الليل ، الأوّل يحدث بأن يأتي إلى الأخ بتحريض من الشيطان عندما يبدأ الأخ بالتسبيح ، إلّا أنه لا يملك أيّةَ قوّة في حال عدم تكاسل الأخ ، وسيزعجه بعنف أكثر إذا كانت معدتُه مُثقّلة بالأطعمة والأشربة .

يأتي النوع الثاني من النعاس على الأخ في وسط الخدمة الصلاتيّة وينتج عن كسله الذاتي ، عندما لا يتعب مع بقيّة الإخوة بحيث يقف حتى آخر القانون ، عندما يريد أن يترك في وسط الخدمة ويذهب إلى فراشه .

والنوع الثالث يحدث بأن يأتي إلى الأخ كنتيجة طبيعيّة ، أي بعد نهاية الخدمة المعتادة ، لهذا يجب أن نُطيلَ أناتنا نحو الإخوة الأكثرِ ضعفًا لئلّا تتمّ مشيئةُ العدوّ .

فأنت أيها الأخ لا تتهاون في الإنتباه على كلّ شيء . ألم تعلمْ أنه بالرغم من أن النبيّ صموئيل قد سمع مرارًا مَنْ يناديه لم يتهاون ولا مرّةً في أن ينهض بالرغم من كونه ولدًا صغيرًا (١ ملوك ٣:٤-١٠) .

عندما تثبت إذًا في خدمة الصلاة مع الإخوة ، وأيضًا وحيدًا لكي تمجّد مخلّصنا يسوع المسيح ويزعجك النعاسُ الأوّل ، فانتبه لهذا الأمر وقاومه ، ربّما في لحظةٍ ما تُبدي تهاونًا ، ويسبّب لك أن تعود إلى فراشك بدون أيّة فائدة . بل

بالعكس اصبر بجلدٍ وإن رماك أيضًا منبطحًا مرّةً ومرّتين ، فلا تغادرْ مكانك ، وستجد فائدةً عظيمةً ، **لأن هوى الذي لا يشبع من النوم يشبه الشراهةُ .**

فإنه ان اعتاد أحدهم على الأكل كثيرًا ، عندها الطبيعة أيضًا ستطلب كثيرًا . ولكن إن اعتاد على الإمساك فعندها لن تطلب كثرةَ المآكل . فكّر بصيّادي السمك ، إنهم يُمضون كلّ الليل ساهرين ويصبرون لكي ينجحوا في تحقيق هدفهم . وبالطبع إن تسلّط النوم على أحدهم من دون أن ينتبه ونام ، عندما يستيقظ يرى أنه لم يلتقط شيئًا من السمك لكن الذين كانوا ساهرين منتبهين قد كوفئوا .

عندها يبدأ يتندّم في نفسه ويقول : « واحسرتاه عليّ أنا الخاطئ المتهاون الكسول ، لأني تهاونتُ ونمتُ ، كنتُ أستطيع أن أصطاد كزملائي وأن أكافأ لكنّي تهاونتُ وها أنا أعود فارغ اليدين إلى بيتي . كما يقول المزمور :

« **ناموا نومهم ولم يجدوا شيئًا** » في أيديهم (مز ٦:٧٥) .

فكّر في الوقت نفسه أيّها الحبيب بالعاملين في صكّ النقود الذين يزاولون فنّ الصناعة النحاسيّة ، تجد هناك تعبًا لا يُحصى وسهرًا وصبرًا كبيرًا جدًا . إلّا أننا نحن الذين لا نُشقي جسدنا بالدخان والغبار ولا نعاني من أمور أخرى كهذه بل نقف في مكان نظيف مقدّس أمام الربّ بوقار وسلام عظيم وفرح روحي ورجاء صالح ، فلأي سبب إذًا نتكاسل أيها الأحبّة ؟ كم هو زماننا على الأرض ؟ ها النبيّ يصرخ :

« **الإنسان يشبه الزائلات وأيّامه تمرّ كالخيال** » (مز ٤:١٤٣) .

لا تؤاخذوني أنا المتهاون ، الفاقد الصبر ، عارفًا بهذا بالضبط أن من ينتبه هو سيربح . ومن يتهاون يخسر . كلّ منّا إذًا سيُعطي حسابًا لدى الربّ (رو ١٢:١٤) . بالتأكيد أعرف أني عديمُ الحجّة بسبب أعمالي **لأنّي بينما أنصح الآخرين لا أزال في تهاوني نفسه .**

لهذا أرجوكم ، أيّها المؤمنون عبيد المخلّص ، أن تطلبوا من أجلي أنا الخاطئ إلى مخلّصنا المسيح وإلى قوّات الملائكة في السماء ، لكي يتجاوز عن كثرة خطاياي بحسب كثرة رأفاته (مز ٥٠ :٣) ، ويخلّصني في ملكوته السماوي .

لا تعتبر النوم وراحةَ الجسد ربحًا . بل الربح والراحة هو أن يُجبر أحدٌ ما نفسه بشكلٍ دائم في عمل الربّ . دعونا إذًا نُجبر أنفسنا أيّها الأحبّة حتى إنه **عندما يأتي الربّ يجدنا ساهرين** ويؤهّلنا لغبطته لأنه بنفسه قال : « طوبى لأولئك العبيد الذين عندما يأتي سيّدهم يجدهم ساهرين » (لو ١٢:٣٧) .

دعونا نحثّ بعضنا بعضًا أيّها الأحبّة وننصح بعضنا بعضًا بأمر مخافة الله . دعونا نؤجّج رغبتنا في تمجيد ربّنا يسوع المسيح حتى يُقيمنا هو أيضًا مع كلّ الذين أحبّوا مجيئه (تيمو ٤:٨) وأن يرتّبنا عن ميامنه (متى ٢٥:٣٣) في ملكوته به يليق المجد إلى الدهور . آمين .

***

النصيحة الحادية والعشرون

حول فضائل تُرشد وتُعلّم

إن أتى أخٌ ما إلى الحياة الرهبانيّة ومهما كان وضعُه ولم يكن منتبهًا ، في الحال يفترسه الشيطانُ لأنّ الخبيثَ يبدأ بإملاء أفكارٍ خبيثة عليه ويقول له : « ماذا تريد الآن باقتنائك للفضائل ، بالتعب والشقاء طالما لا يوجد مُكافأة ؟ هل أتيتَ إلى الحياة الرهبانية بإرادتك ؟ إني أعتقد أنه حدث ذلك بسبب الحاجة لأنه خلافًا لذلك لم يكن من الممكن أن تصيرَ راهبًا . لا ترغبنّ الآن في الشقاء عبثًا لأن الله لا يعتبر ذلك الأمرَ فضيلةً » .

يُملي العدوّ بهذا على الأخ بخبث مريدًا أن يَرميه في غور اليأس . حينها بما أن الأخ لا يميّز في ذاته إحسانَ الله ، يستسلم لليأس بما أن بصيرته قد أُعميت . حينها يبدأ العيش بتهاون وبلا مهابة ، يُحاجج الكبارَ والصغار ويتسلّط عليه عدمُ الشبع من النوم وإن فعل مرّةً شيئًا صالحًا يندم معتبرًا إياه أذىً لنفسه . وبالنتيجة يتذمّر باستمرار ويندب نفسَه وعامّةً يستسلم للضياع . وبدلًا مِنْ أن يفهم أن من المفيد له أن ينشغل أكثر بالفضائل يعمل العكسَ ، غيرَ مميّزٍ في ذاته إحسانات الرب .

بدلًا مِنْ أن يقول في داخله « يا نفسُ كم من الذين استحقّوا بأصوام كثيرة وإحسانات أن يصلوا إلى هذه العيشة ، وأنا الذي كنتُ أعيش كلّ أيّام حياتي بالتهاون ، بالرغم من هذا أهّلني الربّ أن أصلَ إلى هذا التقدّم في الحياة الرهبانيّة الوقورة غير المشتّتة ، ناسيًا خطاياي الكثيرة ! لذلك نحن أيتها النفسُ لنُبدِ استعدادًا حسنًا (حسن نيّة) بأن نعملَ أعمالًا تليق بالتوبة لئلّا نتلقّى إدانةً مضاعفةً من أجلها . وذلك بما أننا ازدرينا بنعمة الله وتغافلنا عن إحساناته » .

إسمع مثلًا عن كلّ ذلك :

كان في إحدى القرى أحد الأغنياء فاشترى لنفسه هناك ملكًا عبر النهر وبعدما دعا عبيده غادر مباشرة إلى بلد آخر ، موزّعًا المُلك عليهم مُعطيًا كلّ واحد حسب مشيئته هو وقائلًا لهم :

« اذهبوا كلّ منكم إلى نصيبه واعملوا به إلى أن أعود فأرى عملكم » .

منهم من كانوا معترفين بالجميل ولديهم محبّة تجاه سيّدهم ولم يعصوا أمر سيّدهم . إلّا أن بعضهم الآخر كانوا عاصين ، قساة الرقاب فعارضوا سيّدهم قائلين : « نحن لن نُصغِ لكلامكِ ولن نعبر النهر ولن نتعب في ملككِ » . لكن رغمًا من كلّ ذلك لم يغضب سيّدهم وفي الحال هيّأ الغنيّ وليمةً لخدّامه وبعدما أسكر العبيد العصاة ، أمر خدّامه الآخرين فأخذوهم عبر النهر ووضعوا كلّ واحدٍ

منهم في حصّته التي أعطاه إياها سيّدهم . بعد هذا عندما استفاق أحدهم واكتشف أنه موجود عبر النهر في القسم الذي أعطاه إيّاه سيّده ، بقي العبد متعجّبًا ممّا حدث وقال في نفسه :

« حقًّا كم أحبّني كثيرًا سيّدي ! فإني بالرغم ممّا أبديته من العصيان له لم يغضب ، بل أطال أناته ومرّرني عبر النهر الكبير الهائج كما في حلم ووضعني في حصّتي من الأرض . لهذا أنا سأتعب بطيبة خاطر في مُلكِه متذكّرًا احساناته » .

وبدأ ذاك العبد بالعمل بحماس حتى يلحق بأولئك الذين بدأوا قبله . وبعد هذه الأمور ، استيقظ العبد الثاني ووجد نفسه عبر النهر في ملك سيّده فبما أنه شرّير وقاسٍ قال في نفسه : « أنظر ! لقد عبّرني النهر الكبير المضطرب كما في حلم إلّا أني سوف أترك حقله عديم الفلاحة (بورًا) وأرى ما سوف يعمل بي » . ثم ما لبث العبد الكسول أن مال ونام . وفي الوقت الذي كان فيه نائمًا كبرت الأشواك والأعشاب البرّية وغطّته بالكلّية . وبعد وقت طويل جاء سيّد أولئك العبيد ليفحص عملَ كلّ واحد وعندما رأى شغلَ الذين بدأوا أوّلًا مدحهم . وفيما بعد جاء أيضًا إلى العبد الذي عبّره النهر بنفسه كما في حلم وعندما رأى عمله الصالح فرح معه ومدحه . وبعدها جاء ليرى العبد الكسول وعمله وعندما اقترب وجده نائمًا وقد تغطى بالأشواك والأعشاب البرّية . وحالما ناداه سيّده قال له متوعّدًا مهدّدًا .

« أيّها العبد الشرّير الكسول لماذا تركتَ حقلي بورًا ؟ ألم تكن تعلم كيف عبّرتك النهر كما في حلم وكيف وضعتكَ في حصّتك ولم احتفظ بالإساءة إليك بالرغم من عصيانك السابق ؟ ألم يكن عليك أن تماثل زميلك في العبوديّة الذي بالطريقة نفسها عبّرته النهر ؟ » عندها لم يجد ذلك العبد أيّ دفاع في اليوم الرهيب . وفي الحال كافأ السيّد عبيده بحسب عمل كلّ واحد منهم .

وأقول إن الغنيّ هو السيّد المسيح والمُلك هو الإيمان والسّكر هو الحالة أو الوضع والنهر الهائج هو الخداع أو الغرور وغنى هذا العالم والعبيد ذوو الاستعداد الحسن هم الصدّيقون وذاك الذي صحا من السّكر واشتغل هو الإنسان الخاطئ التائب الذي عندما يحدث له طارئ يتعرّف من خلاله إلى مراحم الربّ فيصحو من الخطايا الكثيرة ويُقاد إلى البرّ والصلاح عاملًا مشيئة الربّ ، والعبد الكسلان هو الذي ازدرى بنعمة الربّ وتهاون بخلاصه .

فبكلّ هذه فكّر شاول . لأن هذا بعدما أخذ رسائل من رؤساء الكهنة ذهب إلى دمشق ليقبض على كلّ المؤمنين بالربّ وبينما هو خارج لينقض الإيمان ، جيء به هو نفسه كاروزًا للإيمان (أع ٩:٢ و١٤:٢٠-٢٢) لأن مراحم الربّ كثيرة لكلّ الذين يدعونه بالحق به يليق المجد إلى الدهور . آمين .

* * *

النصيحة الثانية والعشرون

حول العمل اليدويّ

يحارب العدوّ الرهبان الجدد الذين في الأديرة بطرق مختلفة . هكذا فهو يحرّض بعضهم على كره عملهم اليدويّ . وتسألون بأيّة طريقة ؟ وأنا بمعونة الله أجيبكم . عندما يصير الصبح ينهض الأخ ليؤدّي الصلاةَ في قلّايته وفيما بعد يبدأ عمله . عندها يأتيه الشرّير مبغض الخير بفكر الضجر . عندما يأتي الضجر ويبقى الأخ يعمل بصبر جاعلًا فكرَه في الروحيّات عندها يطرد عنه الضجر بمعونة النعمة . لكن عندما يأتي الضجر ولا يستعين بالصبر يُغلب . ويبدأ يقول لنفسه :

« اليوم أشعر نفسي في انزعاج وأنا مريض . ماذا يحصل وما الذي أقدر أن أعمله ؟ الأفضل أن لا أعمل اليوم بل أرتاح قليلًا وغدًا أغصب نفسي على الشغل اليدوي فأعمل عملَ يومين » فيبقى الأخ هكذا بطّالًا في اليوم الأوّل ويؤجّل عمل هذا اليوم للغد .

وكذلك في اليوم التالي يأتي الشيطان بفكر الضجر أقوى من الأوّل مقارنًا عمل اليوم التالي باليوم الأوّل . عندها ينهض الأخ ويترك عمله ويبدأ بشغل ليس شغلَه . أو يُخرج العدوّ الأخَ من قلّايته فيلتهي باطلًا . وتجربة الشرّير هذه حاصلة عند كل إهمالٍ لدى الراهب .

يحارب العدوّ أخًا آخر وبطريقة أخرى . إسمع إذًا سببَ حربه وكنْ حكيمًا ومجّد الإله الحكيم وحده . وتعلّم أن تتحفّظ كإنسان تعلّم مكامن العدوّ لئلّا تقع في حبائله . « لأن الشيطان خصمَنا كأسد زائر يحوم طالبًا أن يجد أحدًا ما لكي يلتهمَه . قاوموه إذًا قائمين وثابتين في الإيمان » (**١ بطرس ٥:٨**) .

إذًا يعطي الشيطان آخرَ رغبة في العمل أكثر ممّا يجب . ومن هذا يتولّد هوى محبّة الفضّة . فعندها والنفس مجروحة بهذا الهوى الذي هو جذر كلّ السيئات (١ تيمو ٦:١٠) يجعل الراهب يقضي نهاره كلّه صباحًا ومساءً في العمل ، أكثر ممّا يجب ويجعله في النتيجة يهمل الصلاةَ والخدمةَ في الكنيسة لو أمكن . فينشغل فقط بشغله وذلك بسبب محبّة الفضة . طبعًا عندما يدقّ الجرس لمتابعة الخدْمة في الكنيسة ، يذهب آخِر الجميع ويُهيّئ نفسه قبل الجميع أيضًا لمغادرة الخدمة .

إذ أنت تعلم هذه الأمور ، احترس لنفسك أيها الحبيب لئلّا تنقاد بضلال عديمي التقوى وتسقط خارجًا عن ثباتك (٢ بطرس ٣:١٦) بعد أن يشلّ الشرير أعصابه بمحبّة الفضّة ويُضعف قوّته ، يبدأ بالتالي بإملاء الأفكار على الأخ . عندها بما أن الأخ لا يشعر بالهوى الذي ينتابه ، يبدأ يقول وهو يلوم شغله :

« لسنوات عديدة أشتغل في هذا العمل المبارك إلّا أني لا أرى منه أيّة فائدة

لائقة إلّا تعبًا بلا قياس ». ويقول أيضًا: « الأفضل أن أبقى بطّالًا من أن أشتغل بلا طائل، فلأذهب لأتعلّم صنعة أخرى حيث أستطيع أن أحصل على أجرٍ مريح وأضمن احتياجاتي كلّها بسهولة ». هكذا يجرّبه الشيطان بسبب جهالته.

إلّا أن الرجل العاقل يعمل كلّ شيء بمقياس وكما يجب لكي يتكرّس للصلاة والخدمة في الكنيسة. والصلاة الحاصلة بإيمان تعطيه نعمةً وقوّة في كلّ عمل صالح. فإنه بحجّة العمل لا بدّ من أن يتوغّل في النفس فكرٌ شيطاني فينقاد الإنسان إمّا من فكر محبّة الفضّة والمجد الفارغ أو محبّة الذات والجشع والغضب أو فكر عدم الإيمان والكسل أو الشراهة والسّكر ومحبّة الشهوات الجسدانيّة والتمرّد وما شابه. فإن لم يبذر في النفس أحد هذه الأهواء التي ذكرتها ولم يستعبد الإنسان للأهواء لا يكون عمل ذلك الراهب ثقيلَ الوطأة. وهو إذًا يستهدف ما يتوجّب وما يكفيه لإعالته. ولكن إن عانت النفس من أهواء ما فعندها يصيب الإنسان ما قد كُتب:

« لأن ما انغلب منه إنسان فهو له مستعبدٌ » (٢ بطرس ٢:١٩).

لأنك إن اشتغلت فوق طاقتك وفوق ما يتوجّب ولم تقدّم شيئًا لمن يحتاج فقد غُلبتَ، بل بالأحرى عندما تمتلك فائضًا أعطِ بفرح لمن لا يملك لأن الله « يحبّ المعطي المتهلّل » (٢ كور ٩:٧) وأيضًا « لكي تصير فضالتهم لإعوازكم حتى تحصل المساواة كما هو مكتوب: الذي جمع كثيرًا لم يُفضل والذي جمع قليلًا لم ينقصْ » (٢ كور ٨:١٤-١٥) (خر ١٦:١٨) ليوجّه الربّ قلوبكم نحو خوفه، به يليق المجد إلى دهر الداهرين. آمين.

النصيحة الثالثة والعشرون

عن أخ خرج من الدير وعاد ثانية إليه

إن الذين هم تحت طاعة أب روحيّ يُحاربون بطرق متنوّعة. فإن رأى الشيطان أخًا ما له اهتمامٌ جسديّ، يُملي عليه أفكارًا جسديّة قائلًا: « أخرج من الدير واشتغل بالتجارة واجمع لنفسك ما تحتاج إليه». أمّا للأخ الذي يكون إنسانًا روحانيًا فيأتي إليه الشرير عن طريق الأعمال الفاضلة، مُلقّنًا إياه أفكارًا تلائمه ويقول لقد كنت تأكل وتشتغل في العالم كالحيوانات البهيميّة، ولكن ما المنطق في الفضيلة عندما تشتغل وتأكل؟ لأنّه كما ترى بالأكل تصعّد على نفسك حربَ الفسق؟» وأيضًا يقول إن لم تأكل فلن تعاني من التعب بل الأفضل أن تتقدّم إلى الصحراء الداخليّة وسوف تخلص لأن الأرض وكل ما فيها هي للربّ (مز ٢٣:١) أَحضر معك فقط أداةً حديديّة زراعيّة صغيرة لكي تقتلع الخضراوات وتأكل، واقتدِ بالرهبان القدماء الذين أرضوا الله، فإنه أيّة حاجة أن تبقى هنا حيث توجد العثرات وأقوال الإدانة وغيرها من الأمور التي يجب ألّا يتلفّظ بها أحدٌ؟

وعندما تغادر وتنعتق من كلّ هذه الأمور ستتعلّم فنًّا آخر وستكسب منه أجرة معتبرةً بحيث تعطي من تعبك الفقير أيضًا» أفكارًا كهذه يمليها الشيطان على الأخ.

وحينها يجيب الإنسانُ الشيطانَ المحرّض بأفكار كهذه قائلًا: إني جاهز لكي أغادر من هنا، لكن لا أعرف في أي موضع يجب أن أستقرّ. وأخاف إن غادرتُ ولم أجد مكانًا، أن أعودَ إلى هنا. فيُجيب العدوّ:

« فقط انطلق من هنا وسوف لن تفتقر لمكان لأنه يقول : مَنْ هجره الربُّ حتى يهجرَك ؟ بل أقسمْ على انك لن تعود إلى هنا » . فيجيب الأخ قائلًا : « دعنا ننتظر حتى الوقت الفلاني لأنه الآن ليس وقتٌ مناسب لكي ننتقل من هنا » . فيقول العدوّ : « وكيف تحتمل التجارب الحاصلة في هذا المكان ؟ » وبما أن الأخ يظن أنه ينجذب إلى تقدّم أكبر ، يرضى بالأفكار وهو الأمر الأسوأ من كلّ شيء ، لأنه كسفينة ما في المحيط عندما يُخلق فيها ثقب صغير إن لم يهتمّوا بها بسرعة بسبب هذا الثقب الصغير تغرق بين الأمواج رغم ضخامة حجمها . كذلك وبنفس الطريقة تغرق النفس عندما تتقبّل هجمات الأعداء إن لم تلتفتْ برغبة وتشوّقٍ نحو خالقها .

إننا بحاجة إذًا أيّها الأحبّاء لطهارة وتواضع كبيرين وعلاوةً على ذلك فكلّ شرّ يبطل باقتناء المحبّة الكاملة نحو الله .

وهكذا فإن الأخ بسبب طاعته للأفكار يتضايق منها أكثر ويذهب إلى الرئيس ويقول له :

« يا أبي اعملْ معي محبّةً واتركني من الآن فصاعدًا لأني لا أستطيع أن أبقى أكثر في الدير » .

وعندما يسمع الشيخ الروحي هذه الأقوال ينتابه الحزن والقلق على الأخ « وما السبب في كونك تسمع للشياطين الذين يريدون فصلك عن الإخوة وعن محبّتهم الحلوة ؟ أو هل انك لا تعرف أيها الأخ أن الخروف طالما لا يخرج من الحظيرة لا تطاله الوحوش البرّية ؟ ولكن قلْ لي يا بنيّ ، هل أحزنك أحد الإخوة ؟ قلْ لي وأنا سأخففُ عنك بمعونة الربّ ، وإن كان فعلًا قد أحزنك أحد الإخوة فعليك أن تتقبّله ، لأن الرسول يقول : « احملوا بعضكم أثقال بعض هكذا أتمّوا ناموسَ المسيح » (غلا ٦:٢) . **ثم لماذا تلاحظُ هفوات الآخرين ؟ ما عليك أنت إلّا أن تحفظ نفسك طاهرًا (١ تيمو ٥:٢٢)** .

وإن كنتُ أنا قد أحزنتك فليكن عليّ الربّ شاهدًا وهو علّام القلوب . إني لم أكن قاسيًا عليك بسبب الكره لك إلّا أني أبديتُ اهتمامًا من أجل خلاص نفسك .

وبالرغم ممّا سمع الأخُ بأذنيه ، تبقى الأفكار تقوده حتى إن أخوته أيضًا يحثّونه قائلين « لا تتركنا أيها الأخ » وبنفس الوقت يعملون له سجدةً ، فإن اقتنع الأخ ووجد راحةً بمعونة الربّ ينجو من أفكار كثيرة وأحزان . ولكن إن لم يقتنع يقول للرئيس « كلّا ليس من أجل هذا السبب ولكن أريد أن أتوحّد ناسكًا » . ولئلّا نطيل الكلام ، إن لم يقتنع الأخ ينفصل عن الإخوة وبعدما يغادر الدير حيث مكث ينظر يمينًا وشمالًا ، فإن رغب بالعالم وتجنّب الصحراء يخطو نحو العالم أعمى بحسب الفكر وقائلًا لنفسه « لقد أُعتقتُ من حياة الرهبان المُرهقة » . ويعتقد أن ضلالَه هذا حكمةً ، لأن واحدًا كهذا يشبه إنسانًا تناولَ جرّةً ليستقي ماءً ولم يملأ الجرّة ، بل وهو راجع كسر الوعاء ، هكذا هو الذي يزدري بنعمة الله ويعود ثانية إلى العالم والحياة العالميّة .

ولكن إن تشدّد الأخ بفكر ورعٍ تقدّم إلى الصحراء الأعمق وحدث أن دنا من بعض الشيوخ ، فإنهم تطبيقًا لفضيلة الضيافة يتقبّلون الأخ بفرح ، وفيما بعد يسألونه « من أين أنت أيّها الأخ ؟ » فيجيبهم ذاك : « إني من الدير الفلاني أيها الإخوة وبما أنه في ذلك الدير كان يتسلّط عليّ الضجر فررتُ منه والآن أطلب مكانًا حيث أجلس لأبكي خطاياي » . عندها يبدأ الشيوخ بنصح الأخ قائلين :

« **الأفضل أن تعودَ إلى ديرك** ، أيها الإبن والأفضل أن تجد هناك الهدوء لأنك تنظر بعينيك في أيّة صعوبة نحن قائمين في هذا الموضع ، ثم اننا سمعنا من الآباء قديمًا أن **الأديرة مفيدة قبل كلّ شيء للمبتدئين** » (الشباب) .

فإن اقتنع الشاب وعاد إلى موضعه وهدأ ، ينجو من أحزان خطيرة كثيرة وإن لم يقتنع الأخ من الشيوخ يتقدّم نحو الصحراء الأعمق ، وبعدما يتسلّط عليه الجوع يأخذ بالضغط عليه .

عندما يبدأ الأخ بالتندّم، تثيره الشياطين أكثر بالجبن وتقول له: « لقد كنتَ تقيم حسنًا مع إخوتك، من الذي أقامك ووضعك في هذه الصحراء؟ وأيّة فضيلة معقولة تكون في موتك في هذه الصحراء موتًا شنيعًا؟ » وعندها تأتي الشياطين على الأخ بجبن كبير ورهبة وعلى فكره بمشقّات كثيرة حينها يبدأ الأخ يقول في نفسه تائبًا:

« نِعمَ ما كنتُ مع اخوتي، من الذي ختلني؟ وأيّ شيطان ضلّلني حتى أخرج إلى هذه البرّية المخيفة، حيث يسكن الكثير من الوحوش المرعبة؟ وماذا سأعمل أنا الشقي إن وقعتُ في أيدي البرابرة؟ إني أخاف أن أقع بين لصوص، وربّما يلاقيني وحشٌ ضار، فإن عفاريتَ كثيرة توجد في هذه المواضع فإن المكان كما يُقال هو صحراء برّية وكيف أنا سأقدر أن أسكن وحدي في هذه الصحراء، حيث تتردّد الأرواح الدنسة، وخاصّة أني طالما اعتدتُ أن أعيشَ مع إخوة كثيرين؟ ».

حقًا إن الذي يسكن وحيدًا في الصحراء (إن لم يقتنِ خشوعًا وسلامًا عميقًا) فمن المحتمل أن يفقدَ حتى عقلَه كما أصاب كثيرين آخرين.

لاحقًا بعد هذه الأفكار، يبدأ الأخ بالقول لنفسه « دعنا نذهب لنقيم بجانب إخوة يعيشون في الهدوء متوحّدين ». وبالتالي يأتي إلى أولئك المتوحّدين. يتقبّله الإخوة بسلام ويعطونه قلّاية بينهم ويعاونونه بالربّ مقدّمين له كل ما تستطيع يدهم أن تقدّمه، ويستقرّ الأخ فيما بعد في قلّايته ويقول لنفسه باستمرار: « من المفيد أن نشتغل قليلًا لكي نستطيع أن نقتات » وأيضًا: « ماذا أصنع؟ لم أتعلّم بعد الشغل اليدويّ لهذا المكان ». وبعد عدّة أيّام بعدما تعلّم العمل اليدويّ يأخذ من جديد بالتذمّر لأنه يقيم وحيدًا. لأن **الدير يبدو صعبًا على من اعتاد التوحّد**، كذلك الذي اعتاد على العيش في الدير تبدو له الوحدة صعبةً. كلّ شجرة تُعرف من ثمرها وكلّ مجتهد محبّ للتعب يُعرف منذ سني شبابه،

وبالتالي يبدأ الأخ ، بما أنه يعاني من الإحباطات المتكرّرة ، يتندّم قائلًا :

« أرى أني أنزعج من كلّ جهة ولا أستطيع أن أتمّم حتى خدمتي الصلاتيّة الصغيرة . إنني كلّ يوم أحارب الأفكار . بالمقابل ، عندما كنتُ في الدير ، كنت حرًّا من كلّ هذه الأمور وكلّ اهتمامي كان في خدمتي الصلاتيّة وعملي اليدويّ الصغير . أمّا الآن فماذا أعمل أنا الشقيّ ؟ **لأن هذه كلّها تحصل لي بسبب خطاياي . بما أني لم أصغِ لنصائح أبي الروحي** فإني أرى أحزانًا كثيرة تزعجني **حقًّا إن المعصية لأمر سيّءٌ جدًا** ، فقد طردتْ آدمَ من الفردوس وطردتني أنا من ديري » . وبعد هذه الأقوال يحدث أن يأتي على الأخ فكران : أحدهما صالح والآخر شرّير والفكر الشرّير يوسوس هكذا قائلًا :

« كما ترى فقد عرفتَ ديرَ الشركة واختبرت الصحراء وإن عدتَ إلى الدير فإن هذا عيبٌ عليك وفضيحة . ليس هذا فقط بل في الأديرة أيضًا توجد أحزان عديدة بالإضافة لعثرات كثيرة . ولكن أيضًا في هذه البرّية يوجد خوف وتعب بلا قياس . لهذا فالأفضل أن تأخذ طريقك وتذهب إلى العالم . لأنه هناك أيضًا كما يُقال إن اتّقيت الله تخلصْ . أم أنك تعتقد أن فقط من هم في الصحراء يخلصون ؟ » .

ولكن إن كان الأخ عاقلًا يُجيب الفكرَ قائلًا : « إنْ لم تتركني أرتاح في الصحراء حيث يوجد هدوء وسكينة كبيرين فكم من شرور عظيمة أنت مزمعٌ أن ترسلها عليّ إن ذهبتُ إلى العالم ؟ » إذن هذا ما يمليه العدوّ راغبًا في جعل الأخ يعود كالكلب إلى قيئه ، إن اقتبل الأخُ الفكرَ فعلًا ، في الحال يقوده العدوّ إلى العالم .

وإن كان في نفس الأخِ تشوّقٌ للخلاص الذي يمنحه الربّ فالله يُعطيه فكرًا صالحًا ، لكيّ يسيرَ في طريق وصاياه ، هكذا هي إذن دلائل الفكر الصالح ، ويقول : « كما ترى فإنك عرفتَ الأديرة واختبرتَ البرّية ، لهذا افحصْ فكرك ،

وحيثما ترى أنّ نفسك تحثُّ على الصلاح هناك أقِمْ . ولكن إن أردتَ أن تتنسّك بهدوء في هذه المواضع كالإخوة الآخرين المقيمين هنا من أجل الربّ ، فالربّ يسوع المسيح لن يتغافَلَ عنك بل بالعكس هو بنفسه سوف يهتمّ بكَ . فقط عليك أنتَ أن تتصرّف بمخافة الله . وإن أردتَ أن تعودَ ثانية إلى دير الشركة ، وعندها يكون هذا الأفضل ، فلا تنطق بفكرك قائلًا : « إني أستحي من أن أعود إلى إخوتي ، لأنهم سيظنّون إن عدتُ إليهم ، أني غيرُ مستحقٍ ولم أحتمل تعب البرّية ، بل فررتُ كجنديّ جبان من صفوف المعركة » . إن الأمر ليس كذلك يا أخي ، ليس كذلك ، بل إنّه الأفضل لك كمجاهد قد سبقتَ وعملتَ ما قاله الرسول لأنّ الرسول يقول :

« فاحصين كلّ شيء ، تمسّكوا بالحسن » (١ تسا ٥:٢١) . وانظر إنك قد اختبرتَ الأمرين ، ووجدتَ انه حسنٌ وجميلٌ أن يسكن الاخوة معًا . (مز ١:١٣٢) كما هو مكتوب « أخٌ يساعَد من أخٍ يشبه مدينة حصينة مؤسّسة في مكان عالٍ . وهو قويّ كقصر مؤسّسٍ بمتانة شديدة » (أمثال ١٨:١٩) .

وطالما وصل الأخ إلى التخشّع بهذه الأفكار ، يعود إلى الدير ويتقبّله رئيسُ الدير والإخوة بفرح ، لأن الرسول قال :

« اسندوا الضعفاء » (١ تسا ٥:١٤) . ويُعطيه قلّايةً وبعد أيّام قليلة بينما الأخ هادئ في قلّايته يبدأ الخبيث بإثارة نفس الإزعاجات على الأخ وها هو يملي عليه الأفكارَ ويقول : « هل عدتَ ثانية إلى الأمور القديمة ؟ ألم تكفكَ سكنى وحرّيةُ البرّية حيث لم تكن ترى أمرًا مضرًّا ولا كُنت تتعثّر ولا تتحدّث مع أحد ؟ » .

وتبدأ الشياطين من جديد فتزعج الأخ كثيرًا ، لدرجة أنّه إن أمكن أن يخترق سورَ الدير ويهربَ ، هكذا يضطرب جدًّا من الشيطان الخبيث ، الذي بأفكاره التي يلفّقها يُحدث للأخ تهاونًا في عمله اليدوي البسيط ، طالبًا أن يُبعده من

جديد عن قلّايته، إلّا أن الأخ إن كان فهيمًا، كما هو مكتوب: «كونوا حكماء كالحيّات وبسطاءَ كالحمام» (متى ١٠:١٦). فحينها يصدّهم قائلًا:

«لن تهزؤا بي ثانية يا فاعلي الإثم، لأنّي لستُ أتقبّل مشورتكم، حقًّا إن مشورتكم لمليئة سُمًّا مميتًا، لأني سمعتُ لكم في البداية وهجرتُ الدير لأنّي كنتُ أظنّ أني سأتقدّم، وبالتالي غادرتُ قلّايتي، إلّا أني لم أجد أية فائدة، إلّا ما قد تعلّمته وهو أن كلّ طرقكم هي ظلمةٌ. وأن من يسيرُ فيها يسير في الظلمة، إني بالحقيقة بدءًا من هذه اللحظة بمعونة الله عبدٌ لشخص ما والربّ أتاني وأسلمني إلى رئيس الدير حيث أعيش هذه الحياة العابرةَ فلست مستقلَّ الرأي، وأنا ملتزم شغلي اليدوي البسيط. فلماذا تزعجونني؟ هل أنا أفضل من العلمانيين الذين لا يعملون فقط في النهار بل في الليل أيضًا ويعتنون بنسائهم وبأولادهم وبيوتهم وبأجرتهم؟ أمّا أنا فقد اعتقني المسيح من كلّ هذه الأمور، فإن نيره نافعٌ وحمله خفيف (متى ١١:٣٠) لذلك ابتعدوا عني أنتم أيها المتكلّمون بالشر. وحينها «سأستقصي بأكثر عمق وصايا إلهي» (مز ١١٨:١١٥). لأنه به يليق المجد إلى الدهور. آمين.

***

النصيحة الرابعة والعشرون

في الضجر وصبر الرهبان المسنّين

يوسوس العدوّ للأخ قائلًا: «إن لك سنوات عديدة في هذا الموضع المقدّس تخدم المسيح السيّد، إلّا أنك الآن قد شختَ، ولا تستطيع أن تتحمّل نظام هذا المكان لأن جسمك أصبح عليلًا وليست لديك بعد أيّة قدرة لتعمل شيئًا،

وبالتالي فأنت مقبل على أن يسخر منك الصغار والكبار. لكن بسبب شيخوختك لديك ضرورة للراحة. تقدّم إذًا وغادر من هنا وأقم في مكان آخر فتجد هدوءك بداعي المحبّة أو بأي دافع آخر. سيرسل لك الله قوتك. لأن أيّة حاجة تضطرّك أن تشقى وتُهان من أجل طعامك؟ وما هو طعامك حتى انك تشقى هكذا كلّ يوم كعبد شرّير وتعاني من طاعتك لمن هم أصغر منك سنًّا؟»

هذه الأمور وما شابهها يمليها الخبيث على المسنّ. طالبًا بعد كلّ هذه السنوات العديدة أن يفصله عن الأخويّة وعن المكان الذي شاخ فيه. وأن يأتي به في شيخوخته ليصير إنسانًا عديمَ الصبر. فإن كان المسنّ خفيف العقل، يغيّر رأيه للحال وينقاد للرياح. أمّا إن كان المسنّ عاقلًا فلا تزحزحه من مكان الهدوء ولا تنتصر عليه كمربّط بالسلاسل لأنه لا أقوى من الأفكار التقويّة. بل بالعكس فإن المسنّ يجابهها قائلًا:

«سوف لن تسخروا من شيبتي أيها الشياطين الخبثاء لأننا لا نجهل مخططاتكم الماكرة، لأني وإن كنتُ صبرتُ على الأتعاب في شبابي بجَلدٍ فإني سأصبر عليها الآن بالأكثر. بما أنه اقترب زمن انفصالي عن العالم لكي أكون مع المسيح (٢ تيمو ٤ و٦ في ١:٢٣). وكما أكّدتم لي إني قد شختُ وصار جسمي عليلًا فأين لي أن أذهب؟ لأن ذاك الذي شاخ لا ينتظر أمرًا آخر سوى أن يغادر هذه الحياة. لكنكم في الوقت نفسه تحاولون أن تقنعوني أن أكون مثلًا في الخمول وليس في الصبر لأن الشيخ البار أليعازر بالرغم من كونه يتعذّب بإحراق جسده، لم يغيّر قراره (٤ مل ٦:٢٥-٢٧)[4]. لهذا فالفتية وهم ناظرين إلى صبره ازدروا بالتعذيبات التي كانوا يرونها. وانتصر الفتية السبعة الأبرار على الطاغية المستبدّ (٤ مل ٨:٣) فما يجب عليّ أن أفعل أنا؟».

وبهذه الطريقة يغلب الأفكار الشيطانيّةِ، ان بقي بمعونة النعمة الإلهيّة على العزم نفسه. وهكذا يموت في المكان الذي شاخ فيه نائلًا إكليل الحياة (رؤ ٢:١٠) وسامعًا من الربّ:

« نعمّا أيّها العبد المؤمن الصالح . كنتَ أمينًا على القليل ولذلك سوف أأتمنك على الكثير ، أدخل إلى فرح ربّك » (متى ٢٥ : ٢١ و٢٣) . به يليق المجد إلى دهر الدهور . آمين .

* * *

النصيحة الخامسة والعشرون

في التنقّل من مكان إلى آخر وعدم جدوى رؤية الأماكن المختلفة

الإيمان مولدٌ كلّ عمل صالح . به يحصل الواحد على مواعيد ربّنا وسيّدنا ومخلّصنا يسوع المسيح كما هو مكتوب :

« بدون إيمان لا يمكن لأحد أن يرضي الله » (عب ١١ : ٦) . بالإضافة إلى ذلك فعدم الإيمان هو أرض مثمرة للشيطان الذي يُعتبر مولّدًا لكل عمل شرّير ومنه يولد ازدواج النفس (الإزدواجيّة) والذي هو عدم انتظام وفوضى .

« الإنسان ذو الرأيين كما يقول الكتاب متقلقل في جميع أعماله » (يع ١ : ٨) فإن فررنا إلى البرّية ففيها لا تهدأ أرجلنا وإن ذهبنا إلى مناطق مأهولة نطوّب من ينشدون البرّية . أيّها الإخوة إن لم نبذر فكيف سنحصد ؟ إن لم نقدّم الأثمارَ لواهب الأثمار ، فكيف نقدر أن نصنع أثمارًا ؟ إن لم نصبر على الحزن والأسى فكيف سنجد الراحة ؟ إن لم نمكث بجلادة في البرّية فكيف سننال أجرة إقامتنا فيها ؟ إن لم نصبر على الفقر والمعاناة فكيف سنجد الكنز الحقيقي ؟ إن لم نفرح بالشتائم والأحزان والتحقير فكيف سنقتفي آثار سيّدنا المسيح . حتى متى لا نحتمل أن نكون في طاعة الربّ لمن هم أكبر منّا ونتأرجح من مكان إلى آخر ؟

أوّلًا يجب على الواحد أن يدرك لأي هدف أو لأي سبب يريد أن يهجر المكان الذي هو فيه. هل يستهدف البرّية هروبًا من التعب، كونه يعتقد أنه سيجد مكانًا أكثر راحةً؟ هل الشيطان مبغض الصلاح تسلّط عليه بالحسد أو الغيرة لأنه صدف أن تقدّم أخ آخر في الكرامات بينما هو لم ينجح في نوال الإستحقاق؟ ولهذا السبب يريد أن يغادر مكانه؟ هل أيضًا يريد أن يهرب من معركة الفضائل؟ أو ربّما أنه لم يحتمل أن يكون في الطاعة بالمسيح يستهدف التوحّد؟ هل أيضًا يريد أن يهجر مكانه مستهدفًا ميراثًا أرضيًا، لأن هذه كلّها تُظهرها الأفكار. إذًا إن تفحّصنا الأمور من قبلُ وفتّشنا أفكارنا وعرفنا الهوى الذي يزعجنا ولم نتبعه، فلن نسقط بين أيدي الشياطين الأشرار، في برارٍ ومواضع قاحلة؟

إذًا افحصْ نفسك من قبلُ وبانتباه، إن كان ما يحصل معك موافقًا لمشيئة الله ولا يتمّ بهدف خدّاع. **لأن كل من يعمل أمرًا ما بدون تفكير** يشبه إنسانًا يركض ليلتقط عصافير مستندًا إلى قدميه ومشتغلًا بطيش وعدم تبصّر. إلّا أن **التفكير الحكيم يصون وصايا المسيح.**

وماذا عليّ أن أقول أيضًا علاوةً على هذا الكلام؟ لدينا أيّها الأحبّاء حاجة للتيقّظ. نعم أحيانًا يصطفّ العدوّ تجاه الإخوة مجرّبًا إيّاهم بحجّة حفظ الوصايا. فإن رضي الأخ بالابتعاد عن المكان، يتحرّك العدوّ لكي يوقعه في ذلك المكان الآخر.

إلّا أنه إن طردنا الناس مدفوعين من الحسد الذميم أو إن أُجبرنا على الإشتراك بأعمال كفريّة والتي لا يمكن أن يُسرّ الله بها وفررنا إلى مكان آخر فلنا دالة أمام الله، لأن الربّ إلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح قد قال لتلاميذه «إن طردوكم من مدينة فاهربوا إلى أخرى» (متى ١٠:٢٣).

ولتجنّب التّيهان قال مخلّصنا أيضًا:

« لا تذهبوا من بيت إلى بيت » (لو ١٠:٧) . وأيضًا « إلى أيّة مدينة دخلتم فامكثوا هناك » (متى ١٠:١١) . إلّا أننا إن أردنا أن نعمل مشيئاتنا فأي فضيلة معقولة هي هذه ؟ أمّا إذا كان المسؤولون يُبعدوننا إلى هذا الحدّ فعلينا أن نتراجع ونحارب الشيطانَ بازدياد . هكذا فعل داود بينما كان يحارب الغرباء ، تراجع أمام شاول (١ مل ١٩:٨، ٢، ١٨) .

إن سكنتَ البرّية وأزعجك الفكر لكي تنتقل إلى أماكن مأهولة فقاومه وأحضر أمامك قتالَ العالم وما يحدث في الأماكن المأهولة . وإن سكنتَ حسنًا في دير وأزعجك الفكر بأن تدخل إلى البرّية فحاربه وأحضر أمامك تعب البرّية . وإن سكنتَ حسنًا متوحّدًا وأزعجك الفكر بأن تدخل في جماعة أكبر من الإخوة فحاربه وأحضر أمامك جهاد الأديرة وفي الوقت نفسه المكافأة .

دعنا لا ننجرّ وراء أفكارنا بدون تعقّل لأننا لا نعرف ما يناسبنا كما تقول حكمة سيراخ :

« لا تُعلِّ من شأنك من جرّاء عزائم نفسك لئلّا تُمزّق قوّتك كما يمزّق الثورُ من الوحوش . إن تأكل أوراقَ شجرتك تقضي على الأثمار وتترك نفسك كالخشب اليابس » **(سيراخ ٦:٢-٣)** .

« إلّا أن الخلاص يتحقّق بتعقّل كبير » (أم ١١:١٤) .

الهرب من العثرات والنميمة

مرارًا ترغب في أن تقولَ بسبب العثرات والنميمة تريد أن تغادرَ مكانك . اصبرْ قليلًا وسأعطيك نصيحة . هل تريد أن تهربَ من العثرات والنميمة ؟ **ضَعْ بابًا على فمك** ، بمعونة الرب **وحوّل عينيك إلى مكان آخر** لئلّا ترى ما لا يفيد (مز ١١٨:٣٧) وستهرب من كلا الأمرين .

النميمة بالصمت والعثرات بحفظ العيون . لأننا إن لم نتغلّب على هذه ،

فأينما ذهبنا سنحمل في داخلنا من يحاربوننا . انتصر عليهم أيّها الحبيب وستجد الراحة أينما أقمتَ .

إلَّا أنك مرارًا ترغب في أن تقول : « لقد صار تقلقلي وتهاوني معروفًا لدى جميع الإخوة . لهذا لا أستطيع أن أقيم في هذا الموضع . لأني وإن كنتُ أيضًا أتشوّق للفضيلة إلَّا أن الناس الذين أُقيم معهم هم كما هم نفسهم » .

إسمع إذًا أيّها الحبيب : أنت اصنع الخير وسترى أن الربّ سيداوي ضميرك وضمير إخوتك بما يختصّ بهذه الأمور .

إن بطريقة ما قررتَ أن تهجر المكان لأن الإخوة يتعثّرون ، فانك طبعًا تهرب من تحقير الناس لك وتذهب إلى موضع آخر حيث تكتسب صيتًا حسنًا ولن تتذكّر أبدًا رذائلك السابقة . إلَّا أن النبيّ يقول :

« إن نفسي مستعدّة لتقبّل العار والشقاء » (مز ٦٨:٢١) لأن التحقير أو الإزدراء الحاصل من قبل الناس ، من أجل الرب ، يساعد كثيرًا جدًّا في التطهّر من الخطايا . ودعِ النبي يقنعك حيث يقول :

« لأن الربّ ذكرنا في مذلّتنا وخلّصنا من أعدائنا » (مز ١٣٥:٢٣-٢٤) لذلك حيثما رماك المعاند (أعني الشيطان) ، فهناك انتصب وصارع ضدّ العدوّ ، حتى انه كما صارت رذائلك معروفة لدى البعض ، كذلك تظهر مفخرتك أمامهم . وبهذا تنال من الربّ مجدًا عظيمًا طالما أن ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح قد قال : « وسيصير الأوّلون آخِرين والآخرون أوّلين » (متى ٢٠:١٦) .

فإنه من اللحظة التي يُغسل فيها ثوبك القذر ، لا يُحسب فيما بعد مع الأمور القذرة . إلَّا انه إن كان أحد ، بداعي الحسد أو الغيرة الخبيثة يسمّي النقيّ قذرًا فلن يصير قابلًا للتصديق . لأن مظهرَ الثوبِ سيُظهره كاذبًا لأن أحدهم يقول :

« تَغسلني فأبيضّ أكثر من الثلج » (مز ٥٠:٩) . وبخصوص الذين

يعاكسونك ويريدون أن يأتوا بفكرك ثانية إلى الخطايا القديمة، يقول الكتاب: «ويلٌ لمن يسقي قريبه مازجًا مُسكرك حتى يُسكره لينظر إلى عورته» (حبقوق ٢:١٥).

«الويل للتاركين الطرق المستقيمة لكي يسيروا في طرق الظلام، الويل لمن يفرحون بالشرور ويُسرّون بالإلتواء والكذب الحاصل من الشرّ فإن طرق هؤلاء الناس معوجّة وهم ملتوون في سبلهم. لكي يبعدوك عن الطريق السويّ ويغرّبوك عن التعقّل الفاضل» (أم ٢:١٣-١٦) لهذا يقول النبيّ:

«هؤلاء من غير المزمَع أن يعيشوا سنوات طويلة لأنهم لو كانوا يسلكون في الطريق الصالح لكانوا وجدوا سبل البرّ المنبسطة. الصّالحون سيسكنون الأرض وحسني النيّة سيبقون فيها. أمّا سبل الملحدين فستنقرض من الأرض ومتجاوزي الشريعة سوف يُقصون بعيدًا عنها، **لا تنسَ يا بنيّ أوامري وليحفظْ قلبك أقوالي**» (أم ٢:١٩-٢٢، ٣:١) لأن بالله يليق المجد إلى دهر الدهور. آمين.

***

النصيحة السادسة والعشرون

إن حدث أن غادر أحدُ الإخوة الديرَ لأيّ مبرّر كان، وحدث أن وقع هو نفسه بمرض ما أو عاد تائبًا، فيجب ألّا نتعامى عن الأخ (مهملين إيّاه) بل بالعكس أن نتقبّله بالربّ كعضوٍ من جسدنا، ولو أنه أخطأ. وأنتَ إذ تتصرّف هكذا، لا تعمل هذا لإنسان بل للربّ نفسه الذي قال: «كلّ ما تعملوه لأحد الإخوة الأصاغر بي تعملوه» (متى ٢٥:٤٠) من غير المناسب أن يهتمّ الواحد بما لنفسه فقط، لأن مخلّصنا قد قال «لا تهتمّوا لحياتكم، ما تأكلون ...» (متى

٢٥:٦) لذلك يضيف قائلًا : « فإن هذه كلّها تطلبها الأمم عبدة الأوثان » (متى ٣٢:٦) وأيضًا الرسول يكرز قائلًا :

« فلا يهتمّنّ كلّ واحد بمنفعته الخاصّة ، بل بكلّ ما يفيد الآخر » (فيل ٤:٢) وأيضًا الرسول نفسه يقول :

« وأنا أريكم طريقًا أسمى . وإن تكلّمت بألسنة الناس والملائكة ولم تكن فيّ المحبّة لصرتُ وعاءً نحاسيًّا يطنّ أو صنجًا يرنّ ، وإن امتلكتُ موهبة النبوءة وعرفتُ كلَّ الأسرار وَكلَّ المعرفة وامتلكتُ كلّ الإيمان حتى أنقلَ الجبال ولم أقتنِ محبّة ، فإنّي لستُ بشيء ، وإن وزّعت على المحتاجين كلّ موجوداتي ، وإن أسلمتُ جسدي ليُحرق ولم أمتلكْ محبّة ، فلا أنتفع بتاتًا . المحبّة تتأنى وترفق . المحبّة لا تحسد . المحبّة لا تتفاخر ولا تنتفخ . ولا تقبّح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتدّ ولا تظنّ السوء . ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق . وتحتمل كلّ شيء وترجو كلّ شيء وتصبر على كلّ شيء . **المحبّة لا تسقط أبدًا** » (**١ كور ٣١:١٢ و١٣:١–٨**) .

إن الصلاة حسنة عندما يرافقها الصوم . والإثنان يشدّدهما الإحسان . لأنه يقولُ « أريد محبّة لا ذبيحة » (هوشع ٦:٦) إنتبه إلى النبيّ كيف يخاطب عديمي الشفقة :

« من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمةً بل طرد الإنسان المسكين والفقير والمنسحق القلب ليميته ، فسينقرض من الأرض ذكره » (مز ١٠٨:١٥ و١٦) وأيضًا : « لأنهم اضطهدوا هذا الذي أنتَ ضربتَ وعلى وجع جراحي زادوا » (مز ٦٨:٢٦) لذلك فالمخلّص يطوّب رحماءه قائلًا :

« طوبى للرحماء فإنهم سيُرحمون » (متى ٧:٥) . وأيضًا ماذا يقول الملاك لكورنيليوس ؟ لم يقلْ فقط « صلواتك » بل « وإحساناتك صعدتْ تذكارًا أمام الله » (أع ٤:١٠) . لهذا إذًا تقبّلِ الأخَ الذي تاه ثم تاب ، الأخ الذي قام من بين الأموات من عمق عدم مخافة الله ومن عمق التهاون .

إسمع الرسول القائل: «أُطلبْ أن تمكّن له المحبّة، لئلّا يُبتلعَ مثلُ هذا من الحزن المفرط» (٢ كور ٢:٧-٨). ويقول أيضًا:

«ونطلب إليكم أيّها الإخوة أُنذروا الذين بلا ترتيب، شجّعوا صغارَ النفوس، اسندوا الضعفاء، تأنّوا على الجميع، أنظرْ ألّا يجازي أحدٌ أحدًا عن شرٍّ بشرّ، بل كلّ حين اتّبعوا الخير بعضكم لبعضٍ وللجميع» (١ تسا ٥:١٤-١٥).

لأن الربّ المجيد لم يقصِ الابن الشاطر بل تقبّله كناهض من الأموات، وألبسه الحلّة الأولى وأحذيةً ووهبه خاتمًا وذبح العجل المُسمّن لكي يفرح، لأن الإبن الضائع قد وُجد (لوقا ١٥:٢٠-٢٤) وبما أن الأخ الأكبر قد حزن، أصلحه هو أيضًا بنصيحته قائلًا: «يا بنيّ أنت معي في كلّ حين، وكلّ ما هو لي هو لك، ولكن كان يجب أن نفرح وأن نبتهج لأن أخاك هذا كان ميتًا فعاش، وكان ضالًا فوُجد» (لو ١٥:٣١-٣٢).

يجب على أئمّة (متقدّمي) الأخويّة أن يكونوا شفوقين، أمّا أنت أيّها الأخ، إن رُحمتَ فلا تُبدِ استهتارًا بل على العكس ماثل ذاك الإبنَ الذي عاد: إن ذاك عندما وجد أباه لم يتناسى خطاياه بل بالمقابل ارتمى عند قدميه واعترف له بصراحة وبدون رياء قائلًا:

«أيّها الأبُ، لقد أخطأتُ أمام الله وأمامك ولستُ مستحقًّا بعد أن أُدعى لك ابنًا، اجعلني كأحد أجرائك» (لوقا ١٥:٢١ و١٨-١٩).

تُرى كم كان لديه من الخشوع والألم والتواضع؟ فنحن إذًا أيّها الحبيب دعنا نهتمّ باستعادة البرج الذي تحطّم بسبب تهاوننا، لأنّ من يستخفّ بتهاونه، من المؤكّد أنه لن يحزن على خراب الآخر والنبيّ يقول عنه:

«الويلُ لك يا من تَسقي قريبك وتُسكره لكي تعكّر فكره وتقلبه» (حب ٢:١٥).

فلنخدم الرب بخوف وتواضع ، فكّر بتعقّل بما أقوله لك ، فلا يحصل أن يدوم التواضع والصمت لفترة وبعد قليل يبدأ التذمّر ولا أن تَزدريَ بخدمتك الصلاتيّة بتبرير الشغل . كما يُنمّي المطر البذارَ هكذا تنمّي خدمةُ الصلاة النفوسَ في الفضيلة . فلا نشكرنّ اليوم على الخيرات التي يقدّمونها لنا على المائدة وفي الغد نتذمّر على مَنْ طبخ وهيّأ الخبز . هل الخبزات فاسدة ؟ فلنتذكّر النبيَّ القائلَ :

« أكلتُ الرمادَ بدل الخبز » (مز ١٠١:١٠) هل النبيذُ فاسِدٌ ؟ فلنتذكّر أنّ سيّدنا وربّنا ومخلّصنا أجمعين ذاق خلًّا من أجلنا ممزوجًا بمرارة (متى ٢٧:٣٤) .

لا نبدينّ اليوم إمساكًا وفي الغد نزعج المتقدّمين وذلك من أجل الشراهة لئلّا نسمع :

« لأن إلههم البطن والتباهي » (فيل ٣:١٩) . لا نطلبنّ اليوم الهدوء والتأمّل ، وفي الغد نذهب من قلّاية إلى أخرى لئلّا أقول من قرية إلى قرية ونعيش في المدينة . ولا أن نطاوع تضجّرنا بمبرّر زيارتنا للشيوخ . لأنّه بقدر ما يعيش الواحد في الهدوء أكثر هكذا تصبح أفكاره نقيّة بالأكثر ، وبقدر ما يبتعد عن الهدوء هكذا بالتالي يصبح فكره متوانيًا . هل نتقن فنًّا ما وهو مفيد للشركة ؟ حسنًا لا تتكبّر به لأنك لو كنتَ تعمل من أجل بشرٍ لكان باستطاعتك أن تتكبّر أمّا لكونك تعمل من أجل الله فلا تتكبّرنّ أمام شريكك في العبوديّة بل دع شغلك عند الله ، لأنّ ذاك يُعطي كلَّ واحد حسب أعماله . لهذا فلنواضع أنفسنا أمام الربّ لكي يرفعنا (يع ٤:١٠) . دعنا نرتّب أفكارنا كأننا كلّ يوم نبدأ من جديد لأنّا هكذا سنكون أقوى ، دعنا لا ننجرّ إذًا وراء ملذّات الجسد ، ولا أن نعيش حياتنا بدون مخافة الله ، بل بالعكس فلنهرب من كلّ رغبة صبيانيّة . فقد تقودنا هذه الرغبة إلى طريقة حياتنا السالفة ونسقط في نفس الحالة : بأن نجعل قضاء الله علينا أسوأ حالًا . وربّما نُقطع كالعضو الذي فَسُدَ والذي من أجل صالح بقيّة الأعضاء يُبتَر . بما أن ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح قد قال :

« ها أنت قد برأتَ فلا تخطئ بعد لئلّا يصيبك أمرٌ أسوأ » (يو ٥:١٤) .

لكن ليت الربّ نفسه يعطينا النعمةَ لنرجع ونعمل أعمالًا تليقُ بالتوبة (أع ٢٦:٢٠) حتى ونحن لابسون ثوبَ العرس (متى ٢٢:١١) نلاقيه لأنه به يليق المجد إلى دهر الداهرين . آمين .

* * *

النصيحة السابعة والعشرون

حول عدم مخافة الله والتهاون

قصّ عليّ أحد أصدقائي قائلًا : « كان لديّ أحد الأعمام وهو صائغٌ بحسب الصنعة ، وبعد أن تخلّى عن الحياة في العالم ، صار راهبًا . وفي شيخوخته جاء إليه أحد العلمانيّين وهو اسكندرانيّ الأصل ونحّات بحسب الصنعة طالبًا أن يصير راهبًا ، فاقتبله هذا الشيخ في ديره وبعد وقت قصير نوى الشيخ إعطاء الأخ الإسكيم المقدّس . ولم يَعدْ يطيع الشيخ فيما بعد . وكان قد تنازل له الشيخ عن قلّايتين في ديره . إلّا أن الأخ تصرّف كالجاهل في عمله ، نهارًا ليلًا ناحتًا الأحجار الكريمة . لأن الطلب عليها كان كبيرًا في تلك المنطقة لدرجة أنه لم يعد يهتم بأي شيء آخر ، ولا بالصلاة ولا بالخدمة الصلاتيّة إلّا بشغله فقط بما أنّ محبّة الفضّة قد تسلّطت عليه .

وبالتالي فإن الشيخ التقي حثّ الأخ قائلًا : « أيها الأخُ بلاديوس تعالَ لنعتني بالحقل » إلّا أن ذاك كانَ يجيبه « إذهب أنت وسأجيء » ولم يكن يأتي بل كان يتهاون ، من جديد كان يقول له : « أيّها الأخ بلاديوس هيّا لنقيم خدمة الصلاة »

إلّا أن ذاك كان يجيبه من جديد « اذهب أنت وسأجيء » ولم يكن يأتي بل كان يُبدي ازدراءً.

وقد كان لدى الشيخ في أخويته ثلاثة أخوة: أخّان أعميان والثالث كان ساذجًا. كلّ يوم كان الشيخ يطبخ إذًا بعضَ الطعام، وكان بلاديوس يجلب الخبزَ لنفسه ويأكل معهم ومن ثمّ يذهب من جديد إلى عمله.

لقد كان الشيخ القدّيس يتضرّع إلى الأخ ناصحًا إيّاه ألّا يستهزئ بخلاص نفسه إلّا أن ذاك لم يكن ينقاد إلى نصيحته الصالحة. بل هجره وراح ليسكن وحيدًا بما انه لم يكن ليهاب الله. وبما أنه كان يُبدي تهاونًا كبيرًا في حياته لم يكن يحتمل أن يكون تحت الطاعة، ولا ان يهتمّ بخلاصه عندما يسكن وحيدًا، بل بالعكس بعد أن ابتعد فكره كلّيًا عن المعونة الإلهيّة وعن رجاء القدّيسين في النهاية تسلّط عليه الشيطان كلّيًا حتى فقد عقله ولم يَعدْ يقدر أن يرفع يده إلى فمه، فإن آخرين كانوا يلقّموه الطعام كالأطفال. ولم يكن يتعرّف على إنسان وإن مياهَ أنفه ولعابه كانت تسيل على لحيته ولمّا علمت أخواته بما كان يحدث معه، أتين به إليهنّ، لأنهنّ كنّ راهبات وبعدما أحضرنه أغلقنَ عليه في كنيسة الدير. وكان يجرّ نفسه على مقعد صغير في كلّ أرجاء الكنيسة وعندما كان يأتي الكاهن ليتمّم الخدمة كنّ يترجّينه أن يصلّي من أجله لكي يُظهر الربّ بواسطته تحنّنه. وبعدما بقي وقتًا طويلًا مات وهو في هذه الحال.

أنظر ما هي عواقب عدم مخافة الله، وانظر ما ينتج عن **عدم الطاعة والتهاون**! أنظر إلى أين أوصَلَ العصيان! فلا نستخفّنّ إذًا بمخافة الله بل لنتواضع تحت يده الكلّية القدرة (١ بط ٥:٦) خادمين بعضنا بعضًا بمخافة الله والله سيكون سورَنا والمدافع عنّا من تهديدات العدوّ كما هو مكتوب:

« ملاك الربّ يعسكر حول الذين يخافون الربّ وسوف ينجّيهم » (مز ٣٣:٨). به يليق المجد إلى دهر الدهور. آمين.

النصيحة الثامنة والعشرون

« لأن من له شيء يُزاد فيفيض »

(متى ٢٥ : ٢٩)

لقد كُتب : « من له شيء يزاد فيفيض ومن ليس له يؤخذ منه حتى الذي له » (متى ٢٥ : ٢٩ لوقا ٨ : ١٨) . إذًا ماذا نقول ؟ هل الله ظالمٌ ؟ حاشا (رو ٩ : ١٤) . إسمع هذا المثل :

كان هناك سيّد صاحب ملك وكان له عبدان وثلاثة أزواج من البقر . فأعطى الواحد زوجين والآخر زوجًا واحدًا . وقال لهما اذهبا واعملا حتى أعود إليكما . الذي أخذ الزوجين عمل مع البقر واغتنى كثيرًا وكان يطعم البقر جيّدًا . أمّا العبد الذي أخذ الزوج الواحد فذهب ووضع البقر في المعلف دون أن يكون لها طعام ثم نام .

فجاء سيّد العبدين ليرى عملهما وبعد أن رأى عمل العبد الأوّل وربحه مدحه أمّا الثاني فقد رآه نائمًا والبقر في المعلف بدون ماء ولا طعام . فقال في نفسه :

إن أبقيت بقري مع هذا العبد الكسلان قُضي عليها لذا آخذ البقر منه وأسلّمه للآخر الذي عمل جيّدًا « لأن من له شيء يزاد فيفيض أمّا الذي ليس له فيؤخذ حتى الذي له » (متى ٢٥ : ٢٩ لوقا ٨ : ١٨) .

وقال الربّ أيضًا :

« أنا طبعًا كوني صالحًا دعوته فأعطيته ما يحتاج إليه لكي يعمل الصلاح

ويربح الحياة الأبدية . لكنّه ازدرى بي لذلك سوف يُجرّد من الإكرام لأن الإنسان إذ كان في كرامة ولم يعتبر قيس بالبهائم التي لا عقل لها وشُبّه بها . ولم يستحق المديح لذا ابتعد عنه (راجع مز ٤٨ :١٣ و٢١-١٠٨ :١٧) .

ولماذا تصرّف هكذا ؟ لأنه لم يرد أن يفهم لكي يعمل الصلاح وفي الليل على فراشه كان يخطّط للإثم وكان حاضرًا في كلّ طريق رديء ولم يحد عن الشرّ بالكلّية » (راجع مز ٣٥ :٤-٥) .

إذًا هل الله ظالم؟ حاشا (رو ٩ :١٤) .

لذلك أيها الإخوة لنسعَ أن نكون مرضيّين أمامه مع كلّ القدّيسين لأنه له يليق المجد إلى دهر الداهرين . آمين .

* * *

النصيحة التاسعة والعشرون

الثقة الكاملة بالله

إن حدث لأحد الإخوة الأتقياء ووقع في غيبوبة وسقط أرضًا وهو في الصلاة أو في الطريق ، فلا نتعجبنّ من ذلك ونتفاجأ بل بالأحري علينا أن نتضرّع إلى الله من كلّ قلبنا من أجله ومن أجلنا . لأنه إن خدمناه بصدق القلب وبإخلاص لن يدعنا نُجرّب فوق طاقتنا بل يضع لنا مخرجًا لكلّ تجربة (١ كور ١٠ :١٣) لأنه كُتب :

« لأنك قلت الربّ معتصمي وجعلتَ العليّ لكَ موئلًا . لا يصيبك شرّ ولا تدنو ضربةٌ من خبائك . لأنه يوصي ملائكته بك ليحفظوك في جميع طرقك .

على أيديهم يجعلونك لئلا تصدم بحجر رجلك. تطأ الأسد والأفعى تدوس الشبل والتنين. أنجّيه لأنه تعلّق بي. أرقّيه لأنّه عرف اسمي. يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق فأنقذه وأمجّده. من طول الأيّام أشبعه وأريه خلاصي» (مز ٩٠:٩-١٦).

وأيضًا كُتب:

«الذين يتّكلون على الربّ هم كجبل صهيون غير المتزعزع الثابت إلى الأبد» (مز ١٢٤:١).

وأيضًا كُتب:

«كنت صبيًا وقد شختُ ولم أرَ صدّيقًا مخذولًا ولا ذريّة له تلتمس خبزًا» (مز ٣٦:٢٥).

تنتج هذه الغيبوبة عن غليان مرارة شديدة وسائل يتخطّى الحدود الطبيعيّة. لكن عند البعض تأتي التجربة من ضعف الجسد والشيطان في بعض الأحيان يستغلّ مثل هذا الضعف عندما لا يستطيع عن طريق الأعمال أو الأقوال أن يتغلّب على الإنسان وذلك من أجل إخجاله ودفعه إلى الخزي وبهذه الطريقة يبعده عن الجهاد. لكن الربّ لن يدعه يُجرّب فوق طاقته (١ كور ١٠:١٣) بل يشدّد للحال قلبه. لكن هذه التجربة لا تأتي للإنسان وحدها عن طريق الصدفة بل تنتج عن فكر يتقبّل رياح الغضب.

آخر يسلّم نفسه إلى أيدي العدوّ بسماح من الله بداعي التكبّر أي عندما يثق بأفكار العدوّ المضلّة ويقول له الفكر:

«أنظر لقد أصبحتَ أجدر من الناس كلّهم ولا أحد يشبهك من بين القاطنين على الأرض» وكلام آخر أخطر من ذلك وفي الوقت نفسه يُرجع نجاحاته إلى نفسه ولا يقدّم الشكر والإكرام لله لأنه ساعده. هكذا يستسلم إلى أيدي المجرّب حتى يتأدّب ويعرف ضعفه ولا ينسى طلب معونة الله الذي قال:

«إذا فعلتم كلّ ما أُمرتم به فقولوا : نحن عبيد بطّالون» (لوقا ١٧:١٠) لأن الذي يرفع نفسه يتّضع (لوقا ١٤:١١ و١٨:١٤).

إذًا يحاول الشيطان أن يزعزع الأخَ ويبعث فيه الإضطراب لكنّه لا يملك القوّة للسيطرة عليه وإهلاكه . كما حصل مع أيّوب الذي سُلّم إلى أيدي المجرِّب لكن هذا الأخير لم يجرؤ على الإقتراب منه بداعي حراسة الله بالرغم من سلطته على أن يجرّب أيّوب كما يشاء دون أن يمسّ بحياته (أيّوب ١:١٢) . لأن أيّوب الصدّيق تغلّب على العدوّ بمجرّد شوقه المتّجه نحو الله .

كذلك أُعطيت شوكة للرسول بولس من قبل الشيطان (٢ كور ١٢:٧) لكن الرسول تغلّب عليه بمعونة الربّ يسوع المسيح الذي أحبّه . فكانت محبّة الربّ في قلبه كاملة .

الغلبة ليست في أن يمرض الواحد جسديًّا بل الغلبة من الشيطان هي عندما يكون الواحد في وسط التجارب بدون معونة روحيّة مرافقة . هكذا لم يكن للعدوّ سلطة حتى على الخنازير (مر ٥:١٢) بدون سماح من الله .

لقد رأيت آخر يقف على عمود من أجل الفضيلة . تُرى لو كان للشيطان قدرة على أذيّته ألم يكن باستطاعته أن يرميه من العمود ؟ لذلك لنعلم أن قوّته قد قُضي عليها بقوّة صليب مخلّصنا يسوع المسيح .

فلا تخف يا عبدَ المسيح ولا تضطربْ من جرّاء أفكارك ولا تبتعد عن المكان الذي أحرزت فيه تقدّمًا بمعونة الربّ . لأننا نؤمن بذاك الذي قال : «أمّا أنتم فشعر رؤوسكم نفسه محصى كلّه» (متى ١٠:٣٠) . «وسوف تعطون سلطانًا تدوسون به الحيّات والعقارب وكلّ قوّة للعدوّ ولا يضرّكم شيء» (لوقا ١٠:١٩) .

«لأن ضرباتهم تشبه ضربات نبال الأطفال وألسنتهم فقدت قوّتها» (مز ٦٣:٨-٩) .

إذًا عندما تقع في شدائد متنوّعة لا تتهاون لأن النبي يقول « يا ربّ في الشدّة عرفناك » (أش ٢٦:١٦) .

« وشدائد الصدّيقين كثيرة ومن جميعها ينجّيهم الربّ » (مز ٣٣:٢٠) . وفي مكان آخر يقول :

« أيّها المتّقون للربّ أحبّوه فتستنير قلوبكم . أنظروا إلى الأجيال القديمة وتأمّلوا . هل توكّل أحد على الربّ فخزي ؟ » (**يشوع بن سيراخ ٢:١٠–١١**) .

إن مخافة الله برج قويّ أمام العدوّ (مز ٦٠:٤) . فلا تحطّم البرج وإذ ذاك لن يتسلّط عليك شيء . بل على العكس ليكن فكرك موجّهًا نحو الله المحبّ البشر صارخًا مع النبي في صلاته :

« بك اعتصمتُ يا ربّ فلا أخزى إلى الأبد . بعدلك نجّني . أمِل إليّ مسمعك وأنقذني سريعًا وكن لي صخرةَ حصنٍ وبيت ملجاءٍ لتخلّصني . فانك أنت قوّتي وملجأي ولأجل اسمك تهديني وتعولني . تخرجني من الشبكة التي أخفوها لي لأنك حصني . في يديك استودع روحي ولقد افتديتني أيها الربّ إله الحق » . (مز ٣٠:٢–٦) . هذا لكي يقول لنا ما هو مكتوب :

« كما كنتُ مع موسى أكون معك لا أخذلك ولا أهملك . تشدّد وتشجّع » (يشوع ١:٥–٦) .

ويقول أيضًا :

« لا تفزع من وجوههم . . . لأني أنا معك لأنقذك » (إرميا ١:١٧ و١٩) .

أشكر الله إذًا من أجل محبّته للبشر وأسجد قائلًا :

« لقد دفعوني لكي أسقط لكنّ الربّ نصرني ، الربّ عزّي وتسبيحي . لقد كان لي خلاصًا » (مز ١١٧:١٣–١٤) . له يليق المجد إلى الدهر . آمين .

النصيحة الثلاثون

في التواضع

أيها الأخ الحبيب إن حدث وتقدّمت وأدركت درجة عليا، فلا تنسَ التواضع. لأنه إن حصل وسقطت عن تلك الدرجة تجد مخرجًا ولا تتحطّم بطريقة رهيبة. لأن ذلك يحدث للبعض بسبب عدم شكرانهم إذ إنهم لا يفهمون من الذي وهبهم النعمة. لأنه لو عرفوا بالحقيقة المحسن إليهم لما تخطّوا أوامره. ولو لم يتخطّوا أوامره لما سقطوا. كما هو مكتوب:

« كلّ من رفع نفسه اتّضع وكلّ من وضع نفسه ارتفع » (لوقا ١٤:١١ و١٨:١٤) لذلك يقول في المزمور:

« رأيت المنافق معتزًّا مثل شجرة نضرة في أرضها ثم اجتزتُ فلم يكن والتمسته فلم يوجد. احفظ السلامة وارعَ الاستقامة فإن لصاحب السلام عاقبةً تبقى ». (مز ٣٦:٣٥-٣٧) وأيضًا يقول:

« الله يردّ المتكبّرين وينعم على المتواضعين » (١ بطرس ٥:٥ أمثال ٣:٣٤ يع ٤:٦).

لذلك يعلن الرسول:

« كونوا متّفقين لا تتكبّروا بل اتّضعوا » (رو ١٢:١٦) وفي موضع آخر يقول: « لا تتكبّر حتى لا تقع وتدفع حياتك إلى الخزي. عندها يكشف الربّ عن أعمالك وسوف يجعلك تتّضع أمام جماعة الشعب لأنك لم تدنُ من الربّ بخشية بل كان قلبك مليئًا غشًّا » (سيراخ ١:٣٠).

لذلك أيها الإخوة لنتّضع في نفوسنا أمام الربّ حتى يرفعنا في أوان افتقاده (١ بطر ٥:٦) «لأن الله ينهض المسكين عن التراب ويقيم البائس من المزبلة» (مز ١١٢:٧). لأن الذي لا يريد أن يتّضع بإرادته من جرّاء تقواه يتّضع بدون إرادته. لقد كتب في أيّوب الصدّيق:

«عنده العزّة والحول والمعرفة والحكمة. يرسل المشيرين أسرى ويُسفّه القضاة. يجلس الملوك على العروش ويجعل القيود مناطق على أحقائهم. يرسل الكهنة أسرى وينكّس أقوياءَ الأرض. يقطع ألسنة الثقات ويُعطي حكمة للشيوخ. يصبّ الهوان على الرؤساء ويُرخي مناطق الأقوياء» (أيّوب ١٢:١٦-٢١).

لنحبّ إذًا التواضع أيّها الأحبّاء لأن الربّ قال:

«احملوا نيري وتعلّموا مني تجدوا راحةً لنفوسكم فإني وديع ومتواضع القلب، لأن نيري هيّن وحملي خفيف» (متى ١١:٢٩-٣٠).

نعم أيّها المبارك، أيها الممجّد، نعم أيّها المتحنّن أيها المحبّ البشر الصالح نيرك مفيد جدًّا وحملك خفيف لكلّ الذين يأتون لخدمتك بقلب نقي صادق مخلص. لأنّه يليق لك المجد والقدرة إلى دهر الداهرين. آمين.

* * *

النصيحة الحادية والثلاثون

في أنه يجب على المسيحي أن يكون طويل الأناة ومتسامحًا

إن حدث غمّ ما، فبالطّبع ليس هذا بشرّ كبير، إلّا أن الخطر والرعب يكمن في أن نثبتَ في الإغتمام.

أيّها الأخ إن حدث ، خلال غيابك ، أن ثلبك أحدٌ ، ثم جاء آخر وأخبرك ، أن الأخ الفلاني قد نمّ عليك ، فأنت كإنسان عاقل اعرف جيّدًا من الذي أملى عليه بذلك ولا تنمّ أنت بدورك على أخيك ، بل حارب الذي أخبرك هكذا :

« بالرغم من أنه أهانني ، لكنّه يبقى أخي . ثم اني فعلًا استحقّ الإهانة . فإنه لم يهنّي من ذاته بل حرّكه العدوّ لكي يرمي بالعداوة بيننا . إلّا أن الربّ سيُبطلُ عملَ الشرّير وسيترأف على الأخ وأمّا نحن فلن يتخلّى عنّا » .

وإن حدث العكس وأهانوك وجهًا لوجه فلا تثُرْ لهذا ولا تجعل فكرك يضطرب للحال . فإن كانوا يُهينوننا لشرّ قد عملناه ، فلا نكوننّ قساةَ القلب ، بل الأفضل أن نُصلحَ زلّتنا . وإن حدثت هذه الإهانة من مشورة العدوّ ، فأنت كإنسان عارف بالموضوع ، لا تغضب ضدّ أخيك . لأنّه وإن أهانوك فلا تردّ على الإهانة مؤذيًا بذلك نفسك بشكل مضاعف . لأنك أوّلًا لم تتقبّل الإهانة بطول أناة وثانيًا لأنك تصرّفت بسفاهة ورددتَ على الشتيمة .

إذًا إن حدث وشتمك أحدٌ ما ، فلا ترتفع غضبًا ولكن حالًا بعدما تبتسمْ برزانة ، حوّل غضبَك إلى سلام . ويوجد أيضًا ضحك يصعّد غضب الآخر « لأن الغبيّ كما يقول الكتاب ، يعمل الشرّ ضاحكًا » (أم ١٠ :٢٣) . إلّا أني لا أتكلّم ، أيّها الإخوة ، عن ذاك الضحك ، بل أقول أن تمزج ، كطبيب قدير ماهرٍ دواءَ المحبّة برباط السلام . لأن النار لا تُطفئ النار . فإنه من الواجب ألّا تضحك ، بل بالمحبّة والحشمة وطول الأناة، هدّئ هيجانَ شيطان الغضب لأنه مكتوب :

« لأن غضب الإنسان لا يحقّق عدل الله » (يع ١ :٢٠) وفي مكان آخر يقول : « لأن ثوران غضبه ، يُظهر حالته » (حك سي ١ :٢٢) .

ولكن إن كان أخوك لم يتعلّم من ابتسامتك ، بحيث لا يتسلّط عليه الغضب ، فلنعتنِ بكلّ طريقة لكي نداوي الأخ . لأن ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح قال : « إن قدّمت قربانك على المذبح وتذكّرت هناك أن لأخيك شيئًا عليك ،

فاترك تقدمتك قدّام المذبح واذهب لتتصالح مع أخيك أوّلًا ومن ثمّ تعال وقدّم قربانك » (متى ٥:٢٣-٢٤) . ويكرز الرسول قائلًا :

« أطلبوا السلام مع الجميع وكذلك القداسة ، التي بدونها لا يستطيع أحدٌ أن يرى الربّ » (عب ١٢:١٤) .

ولا تدعنّ الشرّير يعلّمك أن تقول : « إني لا أحزن لأنهم يهينونني بل لأنه أهانني أمام الإخوة » . هل هذا ما يثيرك يا عبدَ الربّ ؟ أين تركت إذًا سلاحك يا جنديَّ المسيح ؟ أعني الصليب وبعبارة أخرى **الصليب هو التواضع** كما هو مكتوب : « **واضع نفسه طائعًا حتى الموت موت الصليب** » (في ٢:٨) .

هل تريد أيّها الأخ أن أُريكَ أنه واجب علينا أن نحتمل بشكر كلّ ما يأتي علينا ، من أجل المسيح ؟ المسيح هو حياتنا وهو خلاص نفوسنا . فإن الذي يعاني من أجل المسيح فهو يعاني من أجل خلاصه وحياته الخاصة . سأريك بشكل خاص مَن مِن الناس الشبيهين بنا كيف أنهم بالتواضع قد أرضوا الله .

أقدّم لك أوّلًا مثلًا من الذين عاشوا دنيويًّا وبعدها أذكر لك أناسًا روحانيين . هل تقبّلتَ إهانةً ؟ فكّر بالملاكمين الذين يتلقّون الضربات القويّة . . .

لكن دعونا نترك العائشين عالميًّا ولنأتِ إلى الأناس الروحانيين . عندما كان داود يهرب من وجه ابنه أبيشالوم ألم يخرج شمعي ويتكلّم بالسوء على الملك داود أمام كلّ التابعين إيّاه ؟ (٢ مل ١٦:٥-٨) هل تكلّم بالسوء على الملك على حدةٍ حتى يقول أحدهم إنه لهذا السبب تحمّل الإهانة بطول أناة ؟ كلّا بل العكس ، ليس فقط تكلّم بالسوء بل ولعن ورمى الملك بالحجارة لدرجة أن أحد أصدقاء الملك المعروفين قال له : « كيف يتجرّأ ويلعن هذا الكلبُ المائتُ سيّدي الملكَ ؟ سأجتاز إلى هناك وسأقطع منه الرأسَ » (٢ مل ١٦:٩) قال له الملك داود : « لماذا تتدخّلون في شؤوني الخاصة ، يا أولاد صيروية ؟ دعوه يلعنني

هكذا ، لأن الربّ قال له أن يلعن داود ، ومن يستطيع أن يقول له لماذا تصرّفتَ هكذا ؟ (٢ مل ١٦: ١٠) وأيضًا قال :

« ربّما ينظر الربّ إلى إهانتي ويجازيني بالصالحات بدل اللعنات التي تفوّه بها في هذا اليوم » (٢ مل ١٦: ١٢) .

أرأيت هكذا كيف أن الأبرار خدموا الربّ بالتواضع ؟ وإن كان داود ملكًا ونبيًّا إلّا أنه أبدى رغبةً كبيرة وتواضعًا . ففي أيّ حال يجب أن نكون نحن الخطأة المعوزين ؟ فكّر أيضًا بنفس الوقت بمسامحة داود لشاول .

أمّا نحن أيّها الإخوة فلنكن طويلي الأناة ، حاملين بعضنا أثقال بعض (غلا ٦: ٢) . فإنه أيّ جندي يرى زميله قد أسره الأعداء ولا يجاهد ويحارب ضدّهم لكي يخلّص زميله من أيدي أعدائه ؟ وعندما لا يقدر أن يخلّصه ، يبدأ بالبكاء والنحيب متذكّرًا رفيقه . أليس لدينا نحن التزام أكبر بكثير لكي نضحّي بحياتنا من أجل بعضنا البعض ؟ بما أن ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح قال : « ليس هناك محبّة أكبر من هذه أعني أن يضحّي أحد ما بحياته من أجل أحبّائه » (يو ١٥: ١٣) .

له ينبغي المجد إلى الدهور . آمين .

* * *

النصيحة الثانية والثلاثون

عن الأهواء

الإنسان الذي يعيش أيّامه بالتهاون ، يضحك على نفسه عندما لا يتأمّل على

الإطلاق بالخيرات التي أعدّها الربّ للصدّيقين، ولا بالدينونة المعدّة للخطأة. بل بالعكس يقود نفسه بدون مهابة لله. على إنسان كهذا يظفر الشيطان بكلّ شهوة جسديّة من دون أن يقدر هو على إدراك ذلك، كما أن بوّابة المدينة لا تستطيع إدراك أولئك الداخلين والخارجين منها. لأن الشهوة التي دخلت فكره قد أغلقت عينيه بالكلّية.

أمّا المجاهدون فيحاربهم العدوّ بطرق مختلفة. وطبعًا قبل أن تتحقّق المعصية فإنه يصغّرها أمامهم كثيرًا جدًّا وبالأخص شهوة الملذّات. إنه يصغّرها إلى أبعد الحدود كمن يسكب كأسَ ماء بارد على التراب. وبالأسلوب نفسه يصغّر العدوّ الخطيئةَ في عيني الأخ قبل أن يتمّمها. إلّا أنه بعد تتميمها، يكبّرها الشرّير إلى درجة كأن لا مثيل لها في الجسامة. ثم يرفع أمامه أمواج عدم الرجاء.

ويعرض أمامه أمثالًا موسوسًا بما يشبه هذه قائلًا له: «ماذا صنعت أيّها الإنسان يا من تتعب باطلًا؟ الآن سأخبرك ماذا يشبه عملك هذا: يشبه إنسانًا غرس لنفسه كرمًا وحوّطه وحفظه إلى أن عمل ثمرًا. وبعدما جناه ملأ الجرار خمرًا. وفيما بعد نهض فجأة وتناول فأسًا وحطّم الجرار». يوحي الشرّير بهذه الأمور للأخ مريدًا أن يرميه في عمق اليأس.

إذًا أيّها الحبيب وأنت عالم سلفًا بحيل العدوّ هذه، اهرب من الخطايا وإن حدث أن انجررتَ إلى معصية ما، فلا تبقَ مقيمًا هناك، بل انهض وارجع إلى الربّ إلهك بكلّ قلبك، لكي تخلّص نفسك. وقل قبل كلّ شيء للفكر الشرّير:

«وإن كنتُ قد حطّمت الجرار وتركت الخمرة تُهراق، إلّا أنّ الكرم لم يزل موجودًا، والسيّد طويل الأناة وكثير التحنّن ورحيم وعادل وأترجّى بمعونة صلاحه: سأعود وأهتمّ بفلاحة الكرم وحفظه وسأملأ جراره كما سبق لأن النبي أشعيا يقول: «وإن كانت خطاياكَ قرمزيّة فسأبيّضها كالثلج، وإن كانت حمراء

كالأرجوان فسأبيّضها كالصوف الأبيض. وإن أردت أن تسمعني فستتمتّع بخيرات الأرض وإن لم ترد أن تسمعني فسيأكلك السيف لأنّه هكذا أعلن فم الربّ» (١:١٨-٢٠)، له يليق المجد إلى دهر الدهور. آمين.

***

النصيحة الثالثة والثلاثون

كيف يجب أن نشدّد صغيري النفس

يبحث أخ عن أخيه فيجده ويقول له: «أين كنتَ أيّها الأخ؟» فأجابه ذاك: «كان لدى الأخ الفلاني شيء من الغمّ وذهبتُ لتشديده». فقال له أخوه: «إن كنت ذهبتَ من أجل الربّ فلك أجرٌ فإن هناك من يعتقدون أنهم يشدّدون الآخرين ويشاركونهم معاناتهم إلّا أنهم لا يعلمون أنهم يحزنون الآخرين بالأكثر ويسبّبون لهم الأذى».

فقال الأخ: «من أي نوع من البشر يكون هذا الذي يشدّد الأخ بهذه الطريقة ويؤذيه؟». فأجابه أخوه: «إن كان الذي يدعم أخاه إنسانٌ روحيّ، فإنه لن يُحدث أذى بل بالعكس فائدة كبيرة أمّا من لديه أفكارٌ جسديّة، فلن يفيد بشيء». فقال الأخ: «كنت أريد أن أستعلم عن أقوال الإثنين فربّما وأنا طالب أن أفيد أخي أسيء إليه. فأجابه أخوه: «لنطلب نحن الإثنين التحنّن من الربّ ليرسل نعمته إلى قلوبنا لأنه بدون نعمته لا يستطيع الإنسان أن يظفر بالفضائل. فاسمع إذًا صاحبَ الأفكار الجسديّة عندما يذهب ليشدّد إخوة. فإنه ينصح بمثل هذه الأمور قائلًا: «ما بك يا أخي؟» فيجيبه ذاك: «لقد طلبت غرضًا ضروريًّا من المدبّر ولم يُعطني إيّاه» أو يذكر أخًا آخر صدف أن أحزنه

ظلمًا. وعندما يسمع الأخُ الذي ذهب صدفةً ليؤاسيه يصرخ قائلًا:

« لماذا يزدري هذا بالإخوة؟ فإنه البارحة قد عمل معي الشيء نفسه وتحامل عليّ، فإننا نكرّمه لكنّه لا يفهم ولا يريد أن يضبط نفسه وبالرغم من هذه الأمور فإن رؤساء الدير يعتقدون أنه فقط هنا يُمكن للواحد أن يخلص. إن كان الواحد فقط هنا يقدر أن يخلص، فعندها لا يستطيع بشر أن يخلص. فلأنسحبنّ وأنا أيضًا من هنا، وأتخلّص من هؤلاء الناس ».

ويسيء بالأكثر إلى الأخ بهذه الأقوال، إن وُجد بشكل خاص آخرون مستعبدون لنفس الفكر فيزيدون فكر الأخ سوءً. لأنه كثيرًا ما يحدث أن يؤتى بالخمر إلى الوسط فلا يتوقّفون عن الشرب والمجادلة فيما بينهم إلى أن يسكروا وقد يحدث في بعض الأحيان أن يتطاولوا بالأيادي على بعضهم وآخرون ينامون في نفس المكان بسبب كثرة شرب الخمر.

يقول الأخ: « كنت أريد أن أستعلم عن أقوال الأشخاص الروحيّين من أجل أن أختار الأفضل لهذا الهدف » يجيب الآخر: « عندما يزمع الإنسان الروحيّ على أن يذهب ليشدّد أخًا ما، قبل كلّ شيء وقبل أن يخرج من قلّايته، يقف ليصلّي، لكي يسهّل الربّ له طريقه. وعندما يصل إلى باب الأخ ليطرقه يعمل سجدة. وبعد أن ينال الإذن يدخل. **ويقف لكي يصلّيا**. وبعد هذه الأمور يجلسان صامتين. بعدها يقول سيّد القلّاية للأخ:

« حمدًا لله على وصولك بالسلامة، لأنك جئت لتباركنا » يجيب الأخ: « أنا من يتبارك بتقواكم، أرجوك إذًا أيّها المبارك من الربّ، ما لديك لتقوله لي؟ » فذاك يتذكّر أفكاره أو أحد الإخوة الذي أحزنه. وبعدما يسمع هذه الأمور يقول:

« أعنّا أيّها الربّ، لأن العدوّ لا يدع أحدًا مرتاحًا ». ثم يتناول حديثه ثانية قائلًا: « ولكن أيّها الحبيب دلّني أين يمكن **ألّا يوجد حزن؟ أين لا يوجد**

تعب ؟ أهل العالم لا يشقون ؟ ألا يخاطر البحّارون مسافرين في البحار ؟ والجنود ألا يتعرّضون للمخاطر في الحروب ؟ ولماذا نحن فقط تصغر نفوسنا ونجبن كأننا وحدنا من يغتمّ ؟ أهل العالم يشقون في أمور العالم والأناس الروحيّون يعانون الأسى في الأمور الروحيّة . إلّا أن الحزن بحسب العالم يؤدّي إلى الموت ، **أمّا الحزن بحسب مشيئة الله فيؤدّي إلى التوبة** (٢ كور ٧ : ١٠) التي تقود إلى الحياة الأبديّة .

أمّا نحن عندما يصيبنا الأسى ، فليت نفوسنا لا تصغر ، لأنه مكتوب « **إن حزنكم سوف يتحوّل إلى فرح** » (**يو ١٦ : ٢٠**) . وأنت تعاني من الأمور نفسها لكنك الآن تنتهي إلى أفكار جسديّة (غلا ٣ : ٣) . تأمّل في أنّك قد رفضت العالم وحتى إرادتك الخاصة ، ولا تتحمّل كلمةً واحدة ! لأنك لهذا أيضًا تريد أن تبتعد عن الدير . أإلى هذه الدرجة سبى العدوّ فكرنا بعيدًا عن التواضع ؟ ! لهذا تثور الأهواء بهيجان علينا ! لا تسخط عليّ لأني أقول لك الحقيقة . إني أقول هذه الأقوال لأنّي أهتمّ من أجلك .

من أين جاء السبب ؟ بالتأكيد إمّا من طعام أو شراب أو من كونك لا تحتمل كلمة .

خسرت كثيرًا واعتبرتها نفاية لكي تربح المسيح (في ٣ : ٨) وتعود ثانية لأن تشقى في أن تغرّق فكرك في الأهواء القديمة . لأننا إن لم نحبّ الإمساك وإن لم نقطع إرادتنا ، فلن يكون لنا دالّة أن نقول :

« ها نحن قد تركنا كلّ شيء وتبعناك » (متى ١٩ : ٢٧ ، مر ١٠ : ٢٨ لوقا ١٨ : ٢٨) .

فكّر أيّ إنسان كنتَ عندما وصلتَ إلى بوّابة الدير . كنتَ حارًّا بالروح وفي خوف الربّ ولكن ربّما تريد أن تقول : « إن هؤلاء الناس قد غيّروا عقلي » . هل تريد أن أريك أيّها الحبيب أنه من رتابتنا وكسلنا تولّدت الحجّة ؟ لقد كان لوط

يسكن في سادوم إلّا أنه لم يضلّ معهم (تك ١٩:٢٩) . وجيحزي كان يخدم النبي أليشع إلّا أنه أخطأ (٤ مل ٥:٢٠-٢٧) . حصل الشيء نفسه مع صموئيل الذي كان يعيش قرب عالي الكاهن وعاشر أولاده الذين سقطوا في الخطيئة وأمّا هو فقد خلص ، لأنّه كان يحبّ الربّ حقًّا (١ مل ٤:١١) .

وأيضًا يهوذا الاسخريوطي الذي كان يتبع الربّ مع بقيّة التلاميذ إلّا أنه سلّم المعلّم والربّ الممجّد إلى أيدي الأثمة (متى ١٠:٤ مر ٣:١٩) .

فدعونا إذًا ألّا نذعننّ لمشورة العدوّ الذي قد يملي علينا بتبريرات منطقيّة بهدف أن يهدّم نفوسنا ، طالما لدينا أمثلة عديدة من الكتب المقدّسة لكي ينتبه كلّ واحد إلى نفسه . فإنه إمّا أن تعاشر الأبرار أو تعاشر الخطأة . فإن سكنّا مع الأبرار فدعنا نحيا ببرّ وتقوى ولكن إن سكنّا مع خطأة ، فلنعتنينّ بأن لا نغار من أعمالهم الشرّيرة . بل فلنجذب أولئك إلينا ، إلى طريق الخلاص ، بمعونة النعمة . وإن أردت أن تقول : « إني مريض وصغير النفس » . فلنسمع الكتب الإلهيّة ولنَغْرُ من لباقة الآباء القدّيسين . لكي تُشفى نفسنا ولا نقتنينّ خشوعًا فقط في اللحظة التي نسمع فيها التعليم وبعد قليل نعمل الأسوأ . فإن من يتقبّل الكلام بهذه الطريقة ، لن يثمر أبدًا . لأن هؤلاء الناس لا جذر أصيل لهم في داخلهم (مر ٤:١٦-١٧) وكلّ شجرة لا تصنع ثمرًا لائقًا يقطعونها من الجذور ويلقونها في النار (متى ٣:١٠) .

بما أننا مرضى فلنسمع مشورة الأناس الخائفي الربّ والذين يقودون النفس إلى الصحّة ، ولا نصيرنّ مشابهين لأولئك الذين يريدون سماع نصائح متوافقة مع مشيئتهم فقط حتى لا نلقى مصاعب من جرّاء التصاقنا بفكر الشرّ .

قال أحد القدّيسين : « إن رأيتَ شابًا صاعدًا إلى السماء بإرادته الخاصّة فعرقله لأن هذا يناسبه » .

احفظ هذا في فكرك كصديق قديم لك ، قديم بحسب الزمن ، جديد بحسب الإدراك والفهم .

فإن سليمان الحكيم يقول في سفر الأمثال : « الناس الجهلاء يعتبرون طرقهم الضالة صحيحة . أمّا الإنسان الحكيم فيتقبّل النصيحة » (أمثال ١٢:١٥) .

فلنسمع أيضًا ذاك القائل : « وأمّا أنتم أيها الشباب فاخضعوا للشيوخ ، وتواضعوا أمام بعضكم البعض برحابة صدر ، لأن الربّ يعاند المستكبرين أمّا للمتواضعين فيعطي نعمته » (١ بطرس ٥:٥) . لأنه يوجد أناس يظنّون أنهم حكماء . ويرون أنه لا داعي لخضوعهم لمن هم حكماء في الحقيقة ولديهم معرفة الله . هؤلاء يسمّيهم الرسول مهذارين وأناسًا يكذبون على أنفسهم قائلًا : « هناك فعلًا كثير من المهذارين عاصين ، مضلّين لأنفسهم » (تيط ١:١٠) .

يوسوس الفكر لآخر ويقول له : « لأيّ سبب هذا التعب ؟ ما زلتَ شابًا ، في شيخوختك سوف تتوب » . وإن لحق وشاخ يعود الفكر ويقترح عليه قائلًا : « ها إنك الآن قد شختَ وأنتَ بحاجة للراحة » .

لهذا أيّها الحبيب ، إن خدمةَ الربّ حاجةٌ لا غنى عنها في كلّ يوم بخوف ورعدة ، لأنه من قال لنا بأننا سنصل إلى الشيخوخة ؟ وإن وصلنا فعلًا إليها من يضمن لنا أننا سنملك فكرًا صالحًا . إن كنّا منذ الآن نتهامل بأمر خلاصنا ؟

دعنا نسمع الربّ القائل : « اسهروا وصلّوا لأنكم لا تعرفون لا اليوم ولا الساعة » (متى ٢٥:١٣) . إلّا أننا بسبب خمولنا ، نرى أن نير الربّ المفيدَ ثقيلٌ .

في العالم أيها الحبيب كم تظن الذين يضعون أولادهم تحت الرهان عندما يوجدون في صعوبات مختلفة ؟ وعدد أولاد الأُسرِ المالكة الآخرين الذين وقعوا في الأسر وبيعوا كعبيد يخدمون الأدنى منهم في بلد غريب ؟ والفقراء الآخرون المتروكون العراة في ساحات وشوارع المدينة الذين يشقون من البرد والحرّ ؟

فبالنسبة إلينا ألا يستحقّ الأمرُ التقدير ، حيث لدينا هذا السقفُ الذي وهبنا إيّاه الربّ وراحةُ البال هذه من الأشياء العالميّة ؟ فلنتذكّر هذه الأمور ولا نرفضنّ نعمةَ الله وإحساناته لأنه أهّلنا لنحمل نيره المفيد الصالح .

فهل طلبنا شيئًا ولم يعطنا إيّاه ؟ ومن لا يعلم أن هذا قد تمّ من أجل منفعتنا ؟ لنذكر هذا الأمر أيضًا : ألم يشعر أحد منّا أنّه خالف الربَّ وبالرغم من أن الربّ رأى معصيته ، أطال أناته عليه ؟

في ما يتعلّق بالرؤساء الروحيّين فلنترك الحكمَ لله . فإنهم كلّهم سيحضرون لدى منبر المسيح (رو ١٤:١٠) . فإن الله لا يحابي الوجوه (غلا ٢:٦) . إنهضْ إذًا ومنطقْ نفسَك ولا تَنجرّنَّ وراء الأفكار . واسمعْ ذاك القائل : « لا تنغلبْ للشرّ ، بل اغلب الشرَّ بالخير » (رو ١٢:٢١) . الويل للخاطئ ، أيّها الحبيب ، كم عانى من أجلنا الربُّ المجيدُ ، فماذا نستطيع أن نقدّم له عوضًا عمّا عانى من الآلام من أجلنا ؟ فلنسجد له إذًا بكلّ فكرنا طالبين من صلاحه ، الصبرَ . وفيما نحن عابرون وسط أحزانٍ كثيرة هكذا يجب أن ندخل ملكوت السماوات (أع ١٤:٢٢) .

لأن المخلّص قال لتلاميذه : « إنكم ستحزنون ، إلّا أنّ حزنكم سيؤول إلى فرح . عندما تلد المرأة ، تعاني لأن ساعتها قد أتتْ ، ولكن عندما يولد الصبيّ ، لا تعد تذكر تلك الآلام من الفرح ، لأنه قد وُلد إنسان في العالم . وأنتم ستحزنون ، إلّا أني سأراكم ثانيةً ، وسيفرح قلبكم ولا أحد سيقدر أن ينزع فرحكم منكم » (يو ١٦:٢٠-٢٢) .

وطالما شدّد الأخ بكلام الحق ، بقدر ما لديه من موهبة النعمة فإن كلًّا منهما يشكر الربّ . وإن حدث أيضًا أن تناولا الطعام معًا ، يأكلان ويشربان بحشمة كبيرة ، لكي يضبطا الجسد بالمراقبة ، ويتجنّبا السكر من الخمر الذي هو الضّلال بعينه (أف ٥:١٨) وبعد أن يقوم بعمل الربّ يعود الأخ إلى قلّايته ممجّدًا الله على تغيّر حالة الأخ الآخر . لأن المجد يليق بالله إلى الدهور . آمين .

* * *

النصيحة الرابعة والثلاثون

يجب على الأخ الذي يقرأ أن يفهم وأن يقرأ برغبة وبإحساس بحضور الله

أيّها الحبيب ، إن أمروك بالتلاوة ، لكي يستمع الإخوة ، انتبه بدقة أين انتهى ذاك الذي بدأ قبلك ، وعندما تتابع الجملة إبدأ مطالعتك لكي تكون كسلسلة منسوجة بالذهب ، لأن من يزدري بعبارة ما ويُخرّب الآيات ، لا يريد أن يتعلّم كما يجب ، ولا يريد أن يتعلّم المستمعون إليه بانتباه ، لأنه استهدف فقط نهاية الكلام ، ومتى سينقضي الكتاب .

أمّا أنت أيها الحبيب فكن منتبهًا ، لكي تستفيد نفسك أيضًا من القراءة بالإضافة إلى السامعين إن أُمرتَ بالقراءة فجأة إبدأ القراءة من البداية من العمود اليمينيّ ، وإن كانت بداية القول ، فقل العنوان ، لأنه هكذا سيصير الفحوى معلومًا .

إن كان لديك أيضًا كتاب حسن الطباعة ، فاحفظه بحالة جيّدة لئلّا تسبّب صعوبة لمن سيقرأه بعدك أو سيعيد نسخه .

* * *

النصيحة الخامسة والثلاثون

حول العذريّة والتعقّل

إن الشرّير يوسوس للأخ أو الأخت قائلًا : « كما ترى إنك تعاني من الفسق في كلّ ساعة ، فإلى أيّ حدّ ستتحمّل التعب وستصبر ؟ »

يُجيب الأخ : « إلى أن يرى الربّ تواضعي وتعبي ويصفح عن جميع خطاياي » (مز ٢٤:١٨) . فيقول الخبيث :

« لكن لئلّا تنهار ، أرضِ لمرّة واحدة رغبتك ، وستتوب ثانية لأن الأمر ليس بشيء عظيم » . يجيب الأخ :

« لست بحاجة أن أتعلّم منك عن التوبة ، لأني أعرف أنها متوفّرة للإنسان حتى آخر نسمة من حياته . هذا بسبب محبّة الله الكبيرة للبشر . وفيما يتعلّق بما قلتَ ، الأمر ليس بشيء مهمّ ، فإن كنتُ بهذا الأمر الصغير أظهر غيرَ مستحق أمام إلهي ، كم بالحري سأبدو غير مستحق ، إذا هاجمني فكرٌ شرّير أكبر من هذا ؟ » .

فيقول الخبيث : « إلّا أن الأمر ليس بشيء لدرجة أنه حاجة طبيعيّة ومن ثمّ تتوب » يجيب الأخ :

« ومن يؤكّد لي إن لوّثت جسدي أنّي سأجد وقتًا للتوبة ولن أنجرّ مع أولئك الفاعلي الأثم ؟ لأن حياتنا على الأرض كالخيال (يع ٨:٩) فإنه ما هذا الأمر سوى أن أتناول سكينًا وأذبح نفسي »

يجيب العدوّ : « إلّا أن أمر الرغبة هذه ليس بشيء ، يدوم ساعة وحالًا يعبر الأمر » فيقول الأخ :

« إسمع يا عدوّ حياتي ومحارب النفوس ، أيّ أجر حدّده الربّ لأولئك

الذين من أجل البرّ، ينتصرون على هذا الأمر الصغير الذي ذكرتَه، وأيّ عقاب وعار قد عيّنه الله لأولئك المغلوبين من هذا الأمر الصغير؟ مثل يوسف العفيف، ألم يُمدح في السماوات والأرض من جيل إلى جيل، بما أنه غلب هذا الهوى (تك ٣٩:١٢) بينما عار المصريّة يُهزأ به دائمًا؟

الأمر نفسه أيضًا في مكان آخر، فان الطوباويّة سوسنّة، ألم تُقرّظ من جيل إلى جيل حتى انقضاء العالم، بما أنها انتصرت على الشهوة؟ فإنها لم تتراجع أمام الخطيئة ولا خافت من التهديد بالموت ولا خانت عفّتها (سوس ٢٣) إلّا أن الكهنة وقضاة الشعب، الذين كانوا يُعتبرون حكّامًا للشعب، بما انهم انغلبوا من هذا الهوى، رُجموا واغتيلوا (سوس ٦٢) لكنهم في الوقت نفسه أيضًا تركوا لنفسهم سمعة سيّئة للأجيال التابعة.

ألا تعلم أيّها الشيطان أنه إذا اعتاد وحشٌ ما على أكل اللحوم فانه باطّراد يطلب أن يرضي **الشهوة**؟ وأنت تملي عليّ قائلًا:

«إنه إذا أرضيتَ رغبتك مرّة واحدة فلن تنزعج منها ثانيةً» إن الربّ الذي منح البشر روحه القدّوس سيوبّخك لأنك تكمن كالأسد طالبًا أن تلتهم نفسي (١ بطر ٥:٨) بواسطة الخطيئة، إلّا أن المسيح مخلّصنا لن يسمح لك بذلك لأنه محبٌّ للبشر ومقتدر رحيم».

فيوسوس الشيطانُ قائلًا: «إن الأمر ليس بشيء بالكلّية، لماذا أنت حزينٌ إلى هذا الحدّ؟».

يجيب الأخ: إني حزين لأنك تضحك على البشر، لأن حلاوتك مرارة، ورأيك كارثة للهلاك، وتقدماتك ممتلئة موتًا وضياعًا لأنك تقول لي أن أرفض نعمة إلهي وأن أُحزن الروح القدس، الذي خُتمتُ به ليوم الإفتداء (أف ٤:٣٠) وتقول لي إن الأمر ليس بشيء؟ وتُملي عليّ أن أسخط الربّ لكي أسمع في ذلك اليوم الرهيب، من القاضي العادل:

«أيها العبد الشرّير والمحبّ اللذّة أكثر من حبّه لله ، لقد لوّثتَ أرضي بأعمالك القذرة وبخطاياك» وتقول لي أن الأمر ليس بشيء ! كما هو مكتوب :

«إن الله لما أخطأ ملائكةٌ ، لم يأسف عليهم ، بل رماهم مصفّدين بالقيود في ظلمات طرطروس وأسلمهم محروسين لكي يعاقبوا في يوم الدينونة العظيم . ولم يأسف أيضًا على العالم القديم ، بل خلّص نوحًا الكارز بالبرّ مع سبعة آخرين عندما أرسل الطوفان على عالم البشر العديمي التقوى ، وحوّل مدينتي صادوم وعمورة الخاطئتين إلى رماد وحكم عليهما بالخراب ، جاعلًا إيّاهما عِبرة لأولئك الذين في المستقبل قد يعيشون في الخطيئة» (٢ بطرس ٢:٤-٦) وأنت تقول لي أن الأمر ليس بشيء ؟

أي إنسان قد أطاعك وصار عبدًا للخطيئة ، عاش حياته وسط الصالحات وورث الملكوت الأبديّ ؟ أمّا ذاك الذي تبع طريقَ المسيح فله دائمًا الفرح والسعادة التي يُعطيها الروح القدس ، منتظرًا أن يأتي الرجاء المغبوط لإلهنا العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح (تيطس ٢:١٣) .

وأعرف أيضًا أنك ان انتصرت فلن أفلت من الغمّ وأنت طبعًا ستفرّ آخذًا الأخبار السارّة لأبيك الشيطان ومشاركًا بالفرح لأجل حالتي التعيسة .

أمّا أنا ان فعلتُ هذا فسأخزى في السماوات . من الأفضل لي إذًا أن تزعجني ككلب أفضل من أن تضحك على حسابي هكذا . إني أتحيّر منك أيها الشرّير الخدّاع ، لأنك تبادر إلى جعل البشر يفضّلون هذه اللّذة الصغيرة على الحياة الأبديّة ، الربّ عضدنا ومعيننا ، الربّ ملجأنا وحامينا ، الربّ هو المدافع عنّا ولذلك لن نخافك» (هذا ما يجيب به الأخ) .

* * *

فجاهد إذًا أيّها الحبيب ، أن تضع أمامه **الخوفَ من الجحيم** ومرارةَ العذابات لئلّا يخدعك بمكره . ولكن قد يقول أحد ما :

« وكيف سأعرف الخوف من الجحيم ؟ » سأحضرُ لك تشبيهًا من الأمور البشريّة . ألم تدخل أبدًا إلى حمام والنار مشتعلة لتسخين الماء ؟ ألم يسبق لك أن رأيتَ أناسًا منحلّين من شدّة الحرارة يرتمون في الماء البارد ؟ إلّا أنه في ذلك اللهيب المنتظر أن يقتبله الخطأة ، لا بركة توجد بالقرب منه ولا باب ولا مخرج ولا إضاءة ولا هواء منعش ، حتى إن صرخ الواحد بقوّة ، بما أنّه يحترق من اللهيب ، لا أحد يوجد ليساعده أو ليعزّيه إن كان قد دِين لأعماله ، لأنه مكتوب :

« إن الدينونة ستكون بلا رحمة لأولئك الذين لم يرحموا (يع ٢:١٣) وأيضًا « لا فرح لعادمي التقوى » (أش ٥٧:٢١) .

ألم يسبق لك أن رأيتَ الأتون أيضًا الذي يشتعل تحت الحمامات ؟ ولكن بدل أن تُشعلَ تلك النيرانُ الحطبَ والأعشاب والقصب تُشعل بلهيب إلهي محرقة عديمي التقوى والخطأة وخطاياهم ترتفع أمامهم جاعلة اللهيب أكثر شدّة تجاههم . لأنه مكتوب :

« غضب وسخط ، ضيق وشدّة على نفس كلّ إنسان يفعل الشرّ أوّلًا على اليهودي وأيضًا على عابد الأوثان . ولكن مجد وإكرام وسلام بانتظار كلّ من يفعل الصلاح اليهودي أوّلًا ثم الوثني ، لأن الله لا يحابي الوجوه » (رو ٢:٨-١١).

لهذا أيها الأحبّاء فليكن فكرنا صاحيًا أمام الربّ بالصلوات وأعمال الرحمة والتواضع الكبير ، طالما لدينا الوقت لكي نخلص من المصيبة التي ذكرتها قبل قليل .

لأن الربّ يريدنا أن نخلص كلّنا (١ تيمو ٢:٤) من أجل صلاحه الفائق لأنه به يليق المجد إلى الدهور . آمين .

النصيحة السادسة والثلاثون

في الطهارة

أيها الأخ الحبيب يمكنك أن تُشبّه الطهارة بشجرة النخيل. لأنّ قلب جذعها أبيض أمّا حولها فهي ممتلئة بالأشواك التي تحافظ على بياض الجذع. يجب إذًا أن نملكَ محبّةً تنبع من قلب طاهر نحو كلّ الناس وخاصة نحو الذين عندهم الإيمان نفسه (١ تيمو ١:٥ وغلا ٦:١٠). أمّا بالنسبة للناس العدائيين ومحبّي اللذة فيجب علينا أن نتّخذ موقفًا حازمًا.

ولكن ضمن هذا الموقف الحازم يجب أن نملك المعرفة والتعقّل والسلام لأن الرسول يقول:

« وعبد الربّ لا يجب أن يخاصم بل يكون مترفّقًا بالجميع صالحًا للتعليم صبورًا على المشقّات، مؤدّبًا بالوداعة المقاومين عسى أن يُعطيهم الله توبةً لمعرفة الحق. فيستفيقوا من فخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته » (٢ تيمو ٢:٢٤-٢٦).

أيتها الطهارة يا من تمقتين تدليل الجسد والتنعّم والإعتناء الزائد به وتزيين الثياب، يا من تكرهين الأطعمة الفاخرة وتتجنّبين السكر!

أيتها الطهارة يا من أنت لجامٌ للعيون وتنقلين الجسد كلّه من الظلمة إلى النور، يا من تربّين الجسد على الخشونة وتستعبدينه وترنين إلى السماويّات!

أيّتها الطهارة يا أمّ المحبّة وسيرة الملائكة، يا من لديكِ القلب النقيّ وأنت لسان حلوّ ووجه مسرور!

أيتها الطهارة يا من رفعتِ يوسفَ محبّ الله في بلد غريب إلى درجة أنه اشترى حتى أولئك الذين اشتروه! (تك ٤٧:١٨-٢١).

أيتها الطهارة يا عطيّة من الله ممتلئة منفعة وتربية ومعرفة ، أيتها الميناء الهادئ الممتلئ سلامًا وأمانًا !

أيّتها الطهارة يا من تجعلين قلب من يقتنيك مسرورًا ، وتعطين أجنحة للنفس لكي تطير إلى السماويّات ، يا من تلدين الفرح الروحي ، وتقضين على الحزن !

أيتها الطهارة يا من تمقتين الشرّ وتلتصقين بالخير ، يا من تلطّفين الأهواء وتُنمّين اللاهوى !

أيّتها الطهارة يا من تنيرين الصدّيقين وتغرّقين الشرّير في الظلمة وتسرعين إلى جائزة الدعوة السماويّة التي هيّأها لنا المسيح (في ٣ : ١٤) !

أيّتها الطهارة يا من تطردين الضجر بعيدًا وترشدين إلى الصبر ، يا حِملًا خفيفًا لا يغرق في الأمواج وكنزًا أبديًّا مُخبّأً في نفس الإنسان المحبّ المسيح الذي سيلقاه في وقت الحاجة من كان قد اقتناه !

أيتها الطهارة يا مُلكًا جميلًا لا تخرّبه الوحوش البرّية ولا تُحرقه النيران ، يا من تحملين في يديك كنزًا لا يندم عليه أحد وتطردين التهاون بعيدًا !

أيتها الطهارة يا عطرًا روحيًّا ، تدفعين إلى الأعالي كلّ من يقتنيك ، يا من تسكنين في نفوس الودعاء والمتواضعين وتصيّرينهم رجالَ الله !

أيّتها الطهارة يا من تزهرين كوردة في النفس والجسد وتملأين كلّ البيت بالعطر ، يا من أنت سابقة ومساكنةٌ للروح القدس !

أيتها الطهارة يا من تستعطفين الله وتتلقّين تحقيق وعوده ولهذا يعترف لك بالجميل كلّ البشر .

هذه قد أحبّها القدّيسون ، أحبّها القدّيس يوحنا الإنجيلي وبما أنه أحبّها استحقّ أن ينحني على صدر الربّ المجيد (يو ١٣ : ٢٥) .

أيّتها الطهارة يا من لم تقتني جائزة فقط لمن بقوا عذارى بل وللمتزوّجين أيضًا !

فلنحبّها نحن أيضًا جميعنا بكلّ قلبنا يا عبيد المخلّص المباركين لكي نجعل روح الله الساكن فينا يفرح . به يليق المجد إلى الدهور . آمين .

***

النصيحة السابعة والثلاثون

لئلّا نُدير أنظارنا هنا وهناك ، بل الأفضل أن نُطرق عيوننا إلى أسفل ولكن نفسنا مرتفعة نحو الربّ

بأية طريقة يُبطلَ شيطان الزنى ؟ ليس فقط بالإبتعاد عن الأطعمة بل أيضًا بتحويل الأعين إلى مكان آخر لئلّا ترى الأباطيل (مز ١١٨:٣٧) لأن الفحشاء توجد في العين غير المنتبهة والتي أدانها الربّ قائلًا :

« الحق أقول لكم كلّ من ينظر إلى امرأة ليشتهيها ، قد أتمّ فعل الزنى في قلبه » (متى ٥:٢٨) .

من يحفظ نظره إلى أسفل يكون قد قلع هذا الزنى من الجذور بل ونفسه أيضًا مشدودة نحو الربّ . **ومن يسود على بطنه يسود على نظره** . لأن العين التي تجول هنا وهناك هي كخائن رهيب . لأنه بالنسبة للأهواء الأخرى يكون ثوران التجربة مؤقتًا ، أمّا حرب النظرات فعندما تغيب التجربة أو تحضر ، يعذّب النفس ملهبًا الفكر بالشهوة . ماذا أعني بذلك أيّها الأحبّاء ؟

سمع أحدٌ نغمًا موسيقيًا ثم سمع لحنًا حزينًا حداديًا ، فالنوح أبطل نغم الموسيقى . بنفس الطريقة تذوّق أحدهم عسَلًا ومن ثمّ تذوّق شيئًا شديد المرارة ، فأبعدت المرارة من حلقه حلاوة العسل ، كذلك أيضًا حاسة الشمّ . اشتمّ أحد

شيئًا ما عطريًّا ثم بالتالي اشتمّ رائحة كريهة فالرائحة الكريهة أخفت عطر الشمّ. فيما بعد أيضًا لمس أحدهم ماءً باردًا ثم لمس ماءً يغلي فحرارة الماء المغليّ عدّلت برودة الماء البارد.

حرب العين التي تجول هنا وهناك تُحرق الذهن بالشهوة، إن كان العدوّ حاضرًا أم غائبًا. وحتى في الأحلام تثير الخيالات. لأن الشياطين ينقلون التجربة إلى العقل ويشغلون الذهن بإحضارهم وجه التجربة أمام عيون الإنسان. لذلك كان النبيّ يتضرّع قائلًا:

حوّلت عينيّ إلى مكان آخر لئلّا أُبصر الأباطيل» (مز ١١٨:٣٧). لأن تيهان العيون في شهوات خاطئة يجعل الفكر البريء شرّيرًا (الحكمة ٤:١٢). لأنه في انحدار العيون أي انغلابها للأهواء تختبئ حبائل الشياطين إن لم يُضبط النظر المهزوم.

إذًا عندما يبدأ الشيطان بإحضار وجه موضوع الفكر الشرّير ويستعرض في فكرك مفاتن امرأة رأيتها سالفًا أو شيئًا مشابهًا، **أحضرْ أمامك خوف الله وتذكّر أولئك الراقدين في القبور**، تأمّل في يوم رحيلك من هذه الحياة، عندما تزمع نفسك أن تنفصل عن الجسد. تفكّر بالصوت الرهيب الفظيع الذي سيسمعه الذين ازدروا بالعدل ولم يحفظوا وصايا المسيح.

« أُبعدوا عني يا فاعليّ الإثم إلى النار الأبديّة، التي أُعدّت للشيطان وملائكته حيث هناك البكاء وصرير الأسنان في الظلمة الخارجيّة» (متى ٢٥:٤١، ٢٢:١٣). تفكّر بالدود الذي لا ينام والعقاب الدائم (مر ٩:٤٤) تأمّل بهذه وتذكّرها وسوف تحرّر ذهنك من شهوة اللذة، كما يذوب الشمع من أمام وجه النار **لأن الشياطين لا تجرؤ على المقاومة أمام خوف الله**.

لأن الذي لا يقاوم ضدّ الشهوة بل يترك عينيه تائهتين بلا ضابط هذا بكلّ تأكيد فكره منجرٌّ نحو الأهواء وإن لم يضبط نفسه خجلًا من الناس، بالتالي

يلوّث جسده أيضًا ، فإن شخصًا كهذا لا يصحو ولا يضع خوف الربّ أمام عينيه . لا يتأخّر عن تلويث جسده أيضًا .

هذا الشيطان يوسوس لك بأن تدير عينيك من هنا إلى هناك ويتبعه شيطان آخر يجعل الإنسان ينفّذ الخطيئة عمليًا بجسده . إن رأى الشيطانُ الثاني الشيطانَ الأوّل قد استطاع أن يجرّ النفس إلى التمتّع بالخيالات ، يبدأ مباشرة بتحريضها على ارتكاب الخطيئة حتى بالجسد .

فإنه يبدأ يوسوس لذاك المنغلب بنظره ويقول له :

« أتنظر لقد أخطأتَ بالنيّة وزنيتَ بالقلب ، وقد أصبحتَ متعدّيًا للوصية ، وخطيئة تعدّي الوصية قد كُتب عليك . إذًا الآن تمّم رغبتك ، لأن الأمر واحد ، إن عملتَ أو فكّرتَ بالخطيئة ، تلذّذ إذًا بشهوتك » .

أمّا أنت فلا تقتنع بحجّته ، لأن الرسول يقول : « إننا لا نجهل أفكاره » (٢ كور ٢ : ١١) لأنه بهذه الأمور يريد أن يقبض على نفسك ، فاسمع أيضًا مثلًا عن هذا :

كان شاب ما في إحدى البلاد فخطب ثلاث فتيات وغادر إلى بلد بعيد ، وبما أنه تأخّر في الرجوع ، إحدى الشابّات تزوّجت ، أمّا الثانية فبعدما افتقرت وقعت في الزنى وصارت حاملًا ، إلّا أن الثالثة قالت في نفسها : « لو لم أستحِ من الناس لكنت تزوّجتُ أنا أيضًا » . وبدأت تفكّر بمثل هذه الأفكار .

وبعد هذه الأمور عاد الشاب إلى ذاكرتها ، هوَ الذي غاب بعيدًا وخطبها مثل بقيّة الشابات الأخريات . وأخذت تبكي نادمةً لأنها قد فكّرت ولو قليلًا خبثًا في قلبها .

إذًا عندما أتى الشاب مَن مِن الشاباتِ الثلاث تكون مقبولة لديه ؟ ألن تكون الأخيرة هي المقبولة ، التي فكّرت بالشرّ ولم تعمل شيئًا موافقًا له ، بل ندمت عن الأفكار الخبيثة ؟ لهذا يجب أن تقول للشيطان ، الذي يحثّك على فعل الخطيئة

اللاشرعيّة أنه : « وإن كنتُ قد أخطأتُ بعيني وزنيتُ بفكر قلبي ، إلَّا أن القلب نفسه الذي قام بالزنى **أسحقه بتنهّدات لا يُعبّر عنها** . والعين التي أخطأت سأغسلها بالدموع ، لأن القلب المنسحق والمتواضع لا يرذله الله (مز ٥٠:١٩) . به يليق المجد إلى دهر الداهرين . آمين .

* * *

النصيحة الثامنة والثلاثون

في الوداعة

أيها الراهب أهكذا تعهّدت أن ترضي المسيح ، أعني دون أن تصبر بشجاعة على الأفكار الشرّيرة والأحزان التي يثيرها عليك الأعداء دون أن تتقبّل التأديب والتعذيبات والنصائح التي يمنحك إيَّاها الرئيس الروحي ؟

يقول الرسول : « إن لم تتقبّلوا التعذيبات التي عانى منها الجميع ، حينها فإنكم أولاد مغشوشون » (عب ١٢:٨) .

هل أثخنوك ضربًا ؟ حسنًا افرحْ لأنك ضُربتَ ، وتقبّلت أيضًا الزلّة . هل ضربوك ظلمًا ؟ إن أجرك سيكون أكبر ، لأن الرسل أيضًا عندما كانوا يكرزون بالخلاص في العالم ، كانوا يُضربون في كلّ مدينة كفاعلي الشرّ ولم يغضبوا ولم يسخطوا بل كان لديهم فرحٌ . لأنهم استحقّوا أن يكابدوا الإهانات من أجل اسم المسيح (أع ٥:٤١) . وأنتَ أيضًا اقتنِ فرحًا لأنك استحققتَ أن تكابد الإهانات من أجل اسمه .

الآن ان أحدَ الإخوة الأكثر تهاونًا قد يقولُ : « إني أحزن لأن هذا قد حصل

معي بعد أتعاب كثيرة » . هل هذا ما يجعلك حزينًا يا عبد الرب ؟ من الآن فصاعدًا عليك أن تعرف نفسك ، لو كنتَ فعلًا خلال سنوات طويلة تغلب الأهواء لكنتَ تفرح بالإهانات التي تلقّيتها ، ولكنتَ لا تترفّع من أجل الإكرام الذي يحصل لك لأن كلّ من يظنّ أنه شيء بينما هو لا شيء يضحك على نفسه (غلا ٦ :٣) . لأن مقدرة القبطان تظهر في وقت العاصفة لأن من يتفاخر ويقول : « إن لي سنوات طويلة في الحياة الرهبانية » غير أنه لم يكن قد أظهر أعمالَ النذور الرهبانيّة ولم يكن قد اقتبل طرق الحياة الشريفة ، هذا يدور هنا وهناك بأدوات لم يتعلّم بعد كيفيّة استخدامها .

هل شختَ في الحياة الرهبانية ؟ بما أنك صاحب خبرة في الحياة التي ذكرناها كن مثالًا للشباب وعديمي الخبرة . أمّا إن كنتَ مبتدئًا فاخضع لمن هم أكبر منك ، لأن جنود الملك الأرضي أيضًا ، يخضعون للقادة طوعًا وإلى رؤسائهم أيضًا .

كم بالأكثر علينا نحن أن نخضع للرؤساء باستمرار ليس فقط خوفًا بل من أجل الضمير أيضًا ؟ فإنه إن كان الذين يحاربون بالجسد ، يظهرون الاستعداد كلّه ليخدموا رؤساءهم كم بالأحرى أنت الذي أنكرت نفسك وحياتك تقبل أن تنجرّ من أهواء كهذه معارضًا ومتّبعًا المعصية ورافضًا التأديب الحاصلَ بالمسيح ؟

نحن نطلب باجتهاد المدائح وصيتَ المتوحّدين بينما نتجنّب الأتعاب التي بواسطتها نقتني الكرامات . لماذا ارتضيت أن تخسر حياة هدوء عظيم وكدّ من أجل يوم أو من أجل ساعة ؟ إن قتلتَ نفسك بنفسك فمن الذي سيتحنّن عليك ؟ أهذا هو فخرك ؟ أهذه هي قيمتك ؟ هل تريد إذًا إن حدث لك حزنٌ طفيف أن ترفض الإسكيم الرهباني والحياة الرهبانية وأن تُعطي أسلحة للعدوّ محاربك عن طريق تراخيك هذا ؟ لا أيها الأخ لا تتراجع أمام الأعداء ، بل قاومهم وحاربهم وسيهربون بعيدًا عنك . لأني أعتقد أن الذي تعهّد الإعتناء

بك ، لا يُسرّ بخزيك بما أنه سيُعطي حسابًا عنك لدى الربّ ، بل سيفرح إن أتى بك كاملًا تامًا لدى الربّ(*) .

إلّا أنك إن لم تحتمل مضايقةً طفيفةً فكيف تحتمل الأكبر منها ؟ إن كنت لا تستطيع أن تغلب ولدًا صغيرًا ، فكيف ستُلقي أرضًا أحد الرجال الأقوياء ؟ وإن لم تحتمل كلمة سوء فكيف ستحتمل ضربةً ؟ وإن لم تحتمل ضربةً أو لطمةً فكيف ستحمل صليبك ؟ وإن لم تحمل صليبك فكيف سترث المجدَ في السماوات مع أولئك القائلين :

« كلّ هذه أتت علينا إلّا أنّنا لم ننسَ ولا نكثنا عهدَك » (مز ٤٣:١٧) وأيضًا « من أجلك نمات كلّ يوم وقد حُسبنا مثل الغنم المعدّة للذبح » (مز ٤٣:٢٣، رو ٨:٣٦) .

كنتُ أريدُ أن أصمتَ من خجلي أيها الحبيب إلّا أن وجع قلبي يجبرني على أن أتكلّم ، نعم أيها الأخ الحبيب . أنسينا كلّ ما عاناه من أجلنا جميعًا سيّدُنا ؟ لقد شُتم ، احتُقِر . سمع « بك شيطان » ولم يغضب أسموه مُضلًّا (متى ٢٦:٦٧، يو ٧:٢٠، متى ٢٧:٦٣) . لُطم، لُكم ، سُمّر على صليب ، ذاق خلًّا ممزوجًا بمرارة ، طُعن بالجنب . (متى ٢٧:٣٤-٣٥، يو ١٩:٣٤) . احتمل هذه الآلام كلّها من أجل خلاصنا . يا حسرتي ، يا حسرتي عليّ أنا البائس !

يا حسرتي عليّ أنا الشقي والخاطئ لأني بلا عذر ! ماذا أقول وبماذا أعترف أمامك يا من تعرف خفايا قلبي ؟ أشفق عليّ يا إلهي أنا غيرَ المستحق حيث لا أريد أن أسمع أيّة شتيمة أو كلمة إهانة من أجلك . يا من عانيتَ كثيرًا من

(*) عذْ إذًا إلى نفسك أيها الحبيب وارجعْ إلى راحتك . تمنطق بدرع الإيمان وضعْ على رأسك خوذة الخلاص وتناول بيدك سيف الروح القدس، أعني كلمة الله (١ تسا ٥:٦ أف ٦:١٧) صِرْ مثالًا في الوداعة لإخوتك المماثلين لك وليتعجّبوا من صبرك حتى هؤلاء الأكبر منك سنًا وليفرح لرجولتك الروح القدس الذي يسكن فيك .

أجلنا . من لا يبكي عليّ أنا من له التقوى سترًا للخبث والسوء؟ لأني بالأقوال راهب لكن بالأعمال أغضب وأثور.

حقًّا لقد بردت محبّة الكثير من النفوس (متى ٢٤:١٢) . أرجوك فلنصحَ إذًا ولنرجع إلى الربّ فإن الربّ لا يرفض من يطلبون الخلاص بل يساعدهم.

فلنقل نحن أيضًا مع النبي : « إرجعي يا نفسُ إلى راحتك لأن الرب قد أحسن إليك لأنه خلّص حياتي من الموت ، وعينيّ من الدموع ورجليّ من الزلق لذلك سأعيش مستريحًا أمام الربّ في هذه الحياة الحاضرة » (مز ١١٤:٧-٩) .

حتى نستحق نحن أيضًا أن نسمع القول : « ابني هذا كان مائتًا فعاش وكان ضالًا فوُجد » (لوقا ١٥:٢٤) .

لأنه بإلهنا يليق المجد إلى الدهور . آمين .

* * *

النصيحة التاسعة والثلاثون

عن العاصين والقيامة وخوف الله وعن الدينونة المستقبلة

أيّها الحبيب إن أتى أحد الإخوة وحثّك قائلًا: «تعالَ معنا وصرْ كما بمشورتنا مساهمًا معنا في الدم (أم ١:١١). دعنا نتّفق على تكوين حزب ودعنا نصدّ كلّ من يعارض. دعنا نثور على الكهنة ولا نحترمنّ الشعر الأبيض، دعنا نضرب المدبّرين ودعنا نضحك على الهادئ، دعنا نمزح مع التّقاة ودعنا نُخضع الجميعَ تحت سيطرتنا دعنا نكتسب شهرةً. وعندما يوبّخوننا دعنا لا نصمت بل نصرخ كلّنا معًا لئلّا يظهر كذبنا.

وعندما ينصحوننا دعنا نتمسّك بكبريائنا. وعندما يحثّوننا على شيء، دعنا نُبدي أنانيتنا ولتكن قوّتنا ناموسًا للعدل، لأن الضعفَ يبدو غيرَ نافع.» (حكمة ٢:١١).

أمّا أنت فلا تمشِ معهم في الطريق، ابتعد عنهم وحوّلْ سيرتك إلى اتجاه آخر. لأنهم لن يُغمضوا عينًا إن لم يفعلوا الشرّ (أم ٤:١٥-١٦) وبالأحرى أجبْ الذي قال لك تلك الأمورَ:

«أنا لا مصلحة لي بذلك، هربتَ أنت من هذه الأمور وتريد أن تعود وتصير عبدًا لها ثانيًا؟ ما المنفعة من التكريس الرهباني؟ أم أي ربح تكسبه من هذه الأمور؟ فلنضعْ في فكرنا أننا غادرنا العالم لنصيرَ رهبانًا. فكيف تريد إذًا أن نُقلق نفوسَ الإخوة؟ عندما تسمع أقوالَ الحق عليك ألّا تغضب لأن الإفادة هي للجميع ألا تفهم ما نرتّل؟ ألا نرتّل هكذا:

« طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الخطأة ولم يجلس في مجلس المستهترين بل في ناموس الربّ هواه وبشريعته يلهج نهارًا وليلًا » (مز ١:١-٢) . وأيضًا يقول :

« لأن الربّ يعرف طريق الأبرار أمّا طريق الأشرار فتبيد » (مز ١:٦) وفي مزمور آخر يقول :

« فإنّه ها كلّ الذين يتعدون عنك يهلكون ، وأنت تبيد كلّ من يفجُر مبتعدًا عنك ، أمّا أنا فخير لي أن ألتصق بالله » (مز ٧٢:٢٧-٢٨) .

وأيضًا يقول :

« أعداء الربّ حالما يمجّدون ويرتفعون سوف يفنون ، كما يختفي الدخان ، أمّا الودعاء فسوف يرثون الأرض وسيتمتّعون بخيراتها بسلام عظيم » (مز ٣٦:٢٠ و١١) ويقول أيضًا في مزمور آخر:

« لماذا تتفاخر بشرّك أيّها القويّ ، فاعلًا الشرّ كلّ النهار » (مز ٥١:٣) وفي مزمور آخر يقول :

« لم يسكن في بيتي إنسان متكبّر ، وإنسان يتكلّم بالظلم لم يقدر أن يقف أمامي » (مز ١٠٠:٧) .

لأن فكر الكبرياء قد وطِئ أناسًا كثيرين ، جاعلًا إيّاهم يتفاخرون باطلًا لأنه مكتوب :

« لا تكونوا متعالين بل عاشروا المتواضعين » (رو ١٢:١٦) .

إذًا أرجوك أن تهدأ ، ربّما تتلذّذ لوقت قصير بهذا الأمر الذي ترغب به ، فتُنهي حياتك بالأسى ، ربّما شرعتَ بفعل الشرّ في مكان مقدّس كما يقول النبي :

« هذا الذي أكل خبزي رفع عليّ عقبه » (مز ٤٠:١٠) .

فلنذهب إلى قلالينا ولنبكِ على خطايانا لكي نُهدّئ سخطَ الله علينا ، الذي من أجله غادرنا العالم الباطل ، فربّما يحفظنا وليس من ينجّنا (مز ٤٩ :٢٢) . فلنفكّر بهذا حسنًا . أعني وإن كنّا الآن آلافًا إلّا أننا في ساعة الموت سنغادر من هنا واحدًا فواحدًا ، فقط أعمال كلّ واحد منّا سترافقه بحسب ما فعل إمّا أمورًا رديئة أو أمورًا صالحة .

أدرسْ هذه الأمور واهتمّ بها لكي تتمكّن من الهروب من الغضب الآتي . لأنه من غير الممكن أن نفلتَ من أيدي الذي خلقنا انسجامًا مع ما يقول النبي :

« أين أذهب بعيدًا عن روحك وإلى أين أهرب من وجهك ؟ » (مز ١٣٨ :٧) .

إذًا فلا يخدعنّ أحد ما نفسه ، لأنه لا بدّ من أن نمثلَ أمام منبر المسيح ، حيث كلّ شيء عارٍ وواضح أمام عينيه (عب ٤ :١٣) حيث سيحضر آلاف الآلاف وربواتٍ ربوات من الملائكة القدّيسين (دا ٧ :١٠) وستضطرب كلّ قوّات السماوات (متى ٢٤ :٢٩ لو ٢١ :٢٦) . فأين ستقف حينها الكبرياء والتفاخر؟ أين سيقف حينها السّكْرُ والغضب ؟ أين سيقف حينها الإسراف والتهديد والمجد الباطل؟ من سيستطيع أن يصمد أمام تهديد ملائكة الله الرهيب ؟

فلنفكّر بأن كلّ الذين بقوا صابرين مع المسيح وأحسنوا صنعًا في هذه الحياة الحاضرة . هؤلاء سيدينوننا ، كما هو مكتوب :

« **ألا تعلمون أنّ القدّيسين سيدينون العالم ؟** » (١ كور ٦ :٢) لأن هؤلاء الذين كانوا في العالم بشرًا مثلنا ، قد أرضوا الله ، إلّا أننا باقترافنا الشرور نثير سخط الله .

إلّا أن أحدهم من ذوي الرأيين قد يقول : « إن الربّ يعرف زلّاتي وسيُبدي تعاطفًا تجاه ضعفاتي » .

الويل الويل ! من لا يبكي على هذه الأمور ، فانه في عمل الربّ نتعلّل ، أمّا في المنازعات وفي الأحزاب والأعمال الشرّيرة فنكون أشدّاء .

لماذا تضحك على نفسك معتقدًا أنك تسخر من الله ؟ لا تبذر المساوئ لئلّا تحصد مثلها (أم ٢٢:٨) اسمع أيّوب القائل :

« من الذي قسّى قلبه أمام الله واستطاع أن يحتمل غضبه ؟ إن الله هو من يُبطل الجبال من دون أن تشعر به ، والذي يدمّرها بداعي سخطه » (أيّوب ٩:٤-٥) . أو الأفضل أن نقول إن قلوبنا قد صارت عديمة الإحساس بسبب الإسراف والسّكر والإهتمامات المعيشيّة (لو ٢١:٣٤) . لهذا فإننا لا نستطيع أن ندرك حالتنا ، لأنه عوض أن يتأمّل كلّ منا بنفسه ويقول لها :

« إني لا أجد الطريق لكي أعود إلى الاتجاه الصحيح ، إلّا أن كلّ ريح توجّهني إلى هنا وهناك . ولأي سبب أثير اضطراب نفوس الآخرين لكي أُدان ؟ **ألم يكن من الأفضل أن أهدأ** بنصيحتي ومشورتي وأيضًا بنصيحة ومشورة أولئك المحاولين إزعاج الآخرين لئلّا أُحرم من التبنّي ؟ لأنه مكتوب :

« طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعون » (متى ٥:٩) .

أمّا الآن فماذا عليّ أن أعمل أنا المتهاون ؟ بماذا سأدافع عن نفسي في يوم الدينونة ، أمام المنبر الرهيب ؟ أم هل سأدافع عن نفسي بخصوص الذين اعثرتُهم مبعدًا إياهم عن طريق الحق ؟ لأن أحدهم ترك أبًا وأمًا والآخر ترك امرأة وأولادًا وأصدقاء وأموالًا من أجل رجائه بالمسيح وفضّل الهدوء . أمّا أنا فلم أتوقّف عن إقلاقهم ومضايقتهم » .

ولكن أنت تعمل عكس هذه الأمور **ولا تهدأ في قلّايتك** بل تدور على قلالي الرهبان مفسدًا نفوس الإخوة مثيرًا الفتنة بين الأخ والآخر ومحدثًا الشكوك الخبيثة بينهم محرّكًا عليهم زوبعةً من الأفكار الشرّيرة ومحدثًا اضطرابًا عامًا في الأخويّة .

قد تعلّمت هذه الجهالات بما أنك صرتَ عبدًا للرغبة الرديئة . لماذا تتصرّف هكذا مع نفسك بدون شفقة ؟ لماذا تِعتبر الإساءة إلى نفسك ربحًا ؟ لماذا تجذب إليك أسواء غريبة ؟

فبالتالي إن لم تعقلْ وتهدأ ، يجب ، بالرغم من اعترافك ، أن تُدان . عندما ستوجد كلّيًا في عمق الشرور حينها أنت أيضًا ستدين أعداء الحقيقة لأنه لا تقوم مشيئة الأشرار انسجامًا مع المزمور القائل :

« الربّ يُبطل مشورات الأمم . . . إلّا أن مشيئة الربّ تدوم إلى الدهر » (مز ٣٢: ١٠-١١) .

نتكبّر أيضًا بالأكثر بسبب قساوة قلبنا ولقوّة جسدنا بما أننا نجهل ما قد قيل أن « الجبّار لا يخلص بقوّته الجسديّة الكبيرة » (مز ٣٢: ١٦) . وأدناه قليلًا يقول :

« ها إن أعين الربّ على الذين يتّقونه لكي ينجّي حياتهم من الموت ، ولكي يُعطيهم الطعام في وقت الجوع » (مز ٣٢: ١٨-١٩) .

لماذا ترفض أن ينصحوك ؟ فإني أرى تصرّفاتك تفوح برائحة حبّ الرئاسة ، لا تنذهلنّ من المجد بل فلتركّز ناظرك نحو الخطر الذي يتبع فإن الرؤساء سيُحاسبون بقسوة (حكمة ٦: ٦) لأننا إن أبدينا شيئًا من التهاون تجاه نفسٍ ائتمننا الربّ عليها وتركناها لتصير جرداء يابسة ، ككرمة مهملة ضمن سياج عندها كيف سيولينا الثقة بالإهتمام بالكرم كلّه ؟ لأن الأمين على القليل هو الأمين على الكثير ومن لا يستحق الثقة بالقليل لا يستحقّ الثقة بالكثير (لوقا ١٦: ١٠) . لهذا فلنصلِّ للنفس التي إئتمننا الله عليها لكي نُعطي عنها جوابًا عندما يدين الربّ جميع المسكونة . لأن خطرًا ليس بقليل يتبع من وضع الله ثقته به للاهتمام بالقطيع إن تصرّف سوءًا مع القطيع مخالفًا مشيئةَ رئيس الرعاة كما ذُكر سابقًا . فإن الرؤساء يدانون بقسوة (حكمة ٦: ٦) .

فلنتنبه إذًا قبل كلّ شيء أن نهربَ إلى حيث لا يوجد ما يُعزّي . هناك

سنرى الودعاء ومتواضعي القلوب موجودين في مجد عظيم، ونحن العصاة نوجد في وسط الأحزان لأننا لا نعمل شيئًا لوجه الله، لا نعمل شيئًا لأجل محبّته. لا نعمل شيئًا بتواضع بل نتمّم كلّ شيء بكبرياء، كلّ شيء من أجل إرضاء الناس وفساد المجد الباطل، كلّنا متكبّرون، كلّنا غضوبون ساخطون، لأنّ كلًّا منا يحسد الآخر، لأنّ كلًّا منا ينهش الآخر.

فلتُدركنا سريعًا مراحمك يا ربّ، لأننا قد وصلنا إلى حالة يُرثى لها. ساعدنا يا الله يا مخلّصنا (مز ٧٨:٨-٩) إسمع الربّ القائل:

«كلّ من ليس معي فهو عليّ وكلّ من لا يجمع معي فهو يفرّق» (متى ١٢:٣٠).

أوَنسيتَ حجر الرحى التي قد عُيّنت للحكم على من يأتون بالعثرات؟ (متى ١٨:٦، مر ٩:٤٢، لو ١٧:٢).

لا تضحك على نفسك أيّها الإنسان، **لأنه من غير الممكن أن تتقدّم بدون مخافة الله وبدون تواضع كبير**. لأن التقدّمات الحاصلة بدون هذه تُحدث أذىً وضررًا. لأنه مكتوب:

«لا أحد يأخذ الإكرام من ذاته، بل ذاك الذي دعاهُ الله» (عب ٥:٤).

لذلك اهربْ واصنع الخيرَ. أطلب السلام واسعَ في ابتغائه لكي تقتنيه لأن أعينَ الربّ ترعى الأبرارَ وبالعكس فإن وجه الربّ غاضبٌ على الذين يعملون الشرّ، لكي يمحو من الأرض ذكرهم (مز ٣٣:١٥-١٧).

دعنا لا ننغرّ بالأمور الإنطباعيّة والمؤثرة وأمجاد هذا العالم لأنها لا تختلف إطلاقًا عن الظلّ (أيوب ٨:٩).

لأنه بينما رقد الكثيرون أغنياء، استفاقوا مُعدمين. ومن هو مترئّس اليوم غدًا يغدو بلا سُلطان. ومن هو ملكٌ اليوم، غدًا يموت. ولكن طوبى للذين بصبر

ينتظرون الربّ ، ويُعْرِضون بغشّ عن هذا العالم الباطل لأنهم بالفعل سيرثون المجد الباقي .

لأن غنيّ ذاك المثل كان يرتدي ألبسةً باهظة الثمن وكان يتلذّذ كلّ يوم بأطعمة فاخرة وقد كان يهنّئه ويغبّطه أهل هذا العالم ولكن ليس ملائكةُ الله ، إلَّا أن لعازر الفقير كان مرميًّا بقرب بوابة الغنيّ الخارجيّة ممتلئًا جروحًا وكان يشتهي أن يشبع من الفتات الذي كان يسقط عن مائدة الغنيّ . وأيضًا كانت تأتي الكلاب لتلحس جراحه . إذًا فإن لعازر لم يكن يشتهي شيئًا ممّا للغني ، ولا من أطعمة مائدته ولا حتى ممّا كان يأكل الغنيّ بل بالعكس كان يشتهي فضلات الطعام التي كانت تأكل منها الكلاب أيضًا وطبعًا بقدر ما كان الغنيّ يُعظّم ويُمجّد من أناس هذا العالم من أجل العزّ الذي كان فيه ، بهذا المقدار كان الفقير يُحتقر منهم ويُرذل .

إلَّا أن ملائكة الله **كانت منذهلةً من صبره** . وعندما حانت نهاية الإثنين حدث أن أخذت الملائكة الفقيرَ إلى أحضان ابراهيم والغني لكي يرموه في الجحيم . وفي جهنّم حيث كان يتعذّب رفع عينيه ونظر من بعيد إبراهيم ولعازَر في حضنه . فصاح الغنيّ وقال :

« يا أبي ابراهيم تحنّن عليّ وأرسل لعازرَ لكي يبلّ طرف إصبعه ويرطّب لساني وسط هذا اللهيب فإني أتعذّب » .

إلَّا أن ابراهيم قد أجابه :

« يا بنيّ تذكّر أنك تمتّعتَ بخيراتك في حياتك كما نال لعازر الشقاء ، لكنّه الآن هنا يتعزّى وأنتَ تتعذّب ، وما عدا هذا كلّه ، يوجد بيننا هوّةٌ عظيمة حتى أن الذين يريدون العبور من هنا إليكم ، لا يستطيعون . ولا الذين هناك يعبرون إلينا » فقال الغنيّ :

« أرجوك إذًا يا أبي أن ترسله إلى بيتي الوالديّ لأن عندي خمسة إخوة لكي

يسبق ويُعلمهم لئلّا يأتوا هم أيضًا إلى هذا اللهيب » . فيجيب ابراهيم :

« عندهم موسى والأنبياء فليسمعوا لهم » فقال الغنيّ :

« لا يا أبي ابراهيم فإنه إن ذهب أحد الأموات إليهم سيتوبون » إلّا ان ابراهيم أجابه :

« إن كانوا لا يسمعون موسى والأنبياء فلن يؤمنوا ولو قام أحدٌ من بين الأموات » (لو ١٦ : ١٩-٣١) .

ماذا نفع ذاك الغنيّ في تلك الساعة ، هل الثروة التي كان يملكها والأطعمة الفاخرة التي كان يتلذّذ بها يوميًّا ؟

لهذا إذًا فلنهتمّ أيّها الإخوة الأحبّاء بأن نفرّ من العقوبات المعدّة للمستهترين والخطأة ، قبل أن نسلّم إلى مكان العذابات هناك ، وحينها سنبكي بمرارة دون أن يوجد من يعزّينا أو من يعضدنا .

وفي الوقت نفسه سنسمع من الذين يعاقبوننا : « تستحقّون عذابات أسوأ من هذه لأنكم أنتم سبّبتم هذا لأنفسكم . كنتم تقدرون أن تنجوا من هذا العقاب خلال فترة زمنيّة صغيرة عن طريق التوبة ، إلّا أنكم تهاونتم وعشتم بالبذخ والإسراف ، أشبعتم شهوات قلوبكم ، كالبهائم ليوم الذبح (يع ٥ : ٥) .

أين هي ملذّات الزمن الذي مضى ؟ أين أضاليله وأضاحيكه ؟ ألم تعبر كلّها كالظلّ ، كضباب خفيف ضربته عاصفة شديدة وكدخان بدّدته الريح ؟ (حكمة ٥ : ٩ و١٤) . فالآن إذًا تلذّذوا كما اشتهيتم لأنكم لم تكتفوا بهذه . لأنكم لم تلقوا فقط أنفسكم في جبّ الشرور بل جررتم معكم آخرين أيضًا . ولم ترضوا بهذا . إنكم تهاونتم بشأن نفوسكم بل أفسدتم نفوسًا أخرى . أية فضيلة إذًا أم أية وصيّة تقدر أن تسترحم الله من أجلكم ؟

لأن نفوسكم كانت ممتلئة بنزعة مرّة نحو الحسد والخصام والغيرة وكلّ

سوء، وأحببتم شراسة الوحوش البرّية. أمّا الآن فقد طوّقتكم كلّ الشرور التي عملتموها خلال الزمن الماضي. كان الله يتكلّم إليكم من خلال الكتب الإلهيّة ومع ذلك أبديتم استهتارًا وسخرتم وتكبّرتم. وبقدر ما كانت طول أناة الله كبيرةً بالقدر نفسه كانت تزداد خطاياكم. كان الربّ يقول:

«لا تحبّوا العالم وما في العالم» (١ يو ٢:١٥) مع ذلك قد جاهدتم من أجل المجد ومحبّة الفضّة. وكان الربّ يقول لكم:

«طوبى للذين يفتقرون الآن لأنهم سيُعزّون، طوبى للمتواضعين لأن لهم ملكوت السماوات» (متى ٥:٤ و٣) ومع ذلك صرتم أنتم متكبّرين وأيضًا متفاخرين وأسلمتم نفسكم للضحك والعبث.

كان الربّ يقول لكم:

«طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض» (متى ٥:٥) ومع ذلك صرتم متوحّشين قساةَ الرقاب.

كان الربّ يقول لكم:

«طوبى للجياع والعطاشى إلى البرّ لأنهم يشبعون» (متى ٥:٦) ومع ذلك أبغضتم البرّ والذين يعيشون بحسبه.

كان الربّ يقول لكم:

«طوبى للرحماء فإنهم يُرحمون» (متى ٥:٧) ومع ذلك تصرّفتم مع البشر المشابهين لكم دون شفقة ولا رأفة.

كان الربّ يقول لكم:

«طوبى لأنقياء القلوب لأنهم يعاينون الله» (متى ٥:٨) ومع ذلك تحوّلت قلوبكم نحو الطمع والشهوات الرديئة.

كان الربّ يقول لكم:

« طوبى للمطرودين من أجل البرّ لأن لهم ملكوت السماوات » (متى ٥:١٠).

أمّا أنتم فقد أسأتم التصرّف مع الأبرار ولم تصونوا الحق. أمّا الآن فلماذا تصيحون؟ لأن وقت التوبة قد عَبَر. هنا تصير المجازاة الآن نال الأبرار إكليلهم. أمّا أنتم فقد أُسلمتم إلى جهنّم النار. الآن ها الأبرار ينيرون في ملكوت السماوات كما يشعّ النور (متى ١٣:٤٣) أمّا أنتم الخطأة فقد أُسلمتم للظلمة الخارجيّة. الآن الأبرار يسبّحون الله مع الملائكة أمّا أنتم الخطأة فتنوحون من أنواع التعذيبات وتصطكّ أسنانكم نادمين لأنكم أضعتم في التهاون وقت توبتكم. ألستم أنتم من فصلتم أنفسكم عن الأبرار وغرتم من أعمال الخطأة؟ أمّا الآن فأنتم وأولئك قد أُسلمتم إلى الهلاك.

يجب إذًا أن تنوحوا بتنهّدات من أجل التعذيبات والعقوبات الآتية عليكم وعليهم.

حينها ونحن أيضًا سنصيح بدموع مرّة متنهّدين بقوّة وقائلين:

« عادلٌ أنت يا ربّ وأحكامك مستقيمة » (طو ٣:٢) لأنه عندما كنّا في الحياة التي عبرتْ أظهرتَ لنا هذه الأمور بالكتب المقدّسة ولم نكن نؤمن إلّا أن قلوبنا كانت متحيّرة متردّدة إلّا أننا نراها الآن بعيوننا كلّية النقاء.

الحسرة علينا لأننا أضعنا أيامنا بالتهاون الكثير.

* * *

إذًا عندما تعرفون هذه الأمور من قبلُ أيها الإخوة الأحبّاء دعونا نهتم بأن نهرب من ذاك العار وذاك الجحيم الأبدي لكي نستحق أن نتمتّع بفرح الصدّيقين.

حتى متى نحمل شهوات إنساننا العتيق من هنا إلى هناك؟ حتى متى سنترك

فكرنا غائصًا في لذّات هذا العالم الباطلة ؟ فلنصحَ إذًا ولنستفق من تأثير سُكر الحياة الدنيويّة كما من تأثير الخمر.

فليكن فكرنا وقلبنا في السماوات حيث الخيرات الروحيّة حيث الحياة الحقيقية والنور الحقيقي . فلنبغض العالم وكلّ ما في العالم ولنستخفّ بالأمور الفاسدة من أجل الأمور غير الفاسدة . دعنا نزدري بالأمور الأرضيّة من أجل السماويّة . ولنحبّ الربّ الذي خلقنا بكلّ قدرتنا ، هو السيّد الصالح والمحبّ البشر.

ولنحبّ بعضنا بعضًا من أجل الربّ . وانتبه إذًا إلى محبّة السيّد للبشر . فإنه قال لتلاميذه : « من هذا سيعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كنتم تحبّون بعضكم بعضًا » (يو ١٣:٣٥) لم يقل :

« إذا ضحيتم لي عجولًا وتيوسًا » بل قال :

« إن كان لكم محبّة فيما بينكم ».

فلنحفظ إذًا المحبّة أيها الإخوة بالإضافة إلى الطهارة والهدوء والتواضع وكلّ ما يليق بالقدّيسين.

دعنا نبغض الوقاحة والثرثرة لأنه مكتوب :

« الإنسان ذو اللسان الشرّير لا يترقّى في الأرض وستصطاد النكباتُ الإنسان الظالم حتى تهلكه . قد تعلّمتُ من خبرتي أن الربّ سيدافع عن الفقراء وسيمنح العدلَ للمزدرى بهم.

ولكن بالرغم من الظلم فإن الأبرار سيمجّدون اسمك والأناس المخلصين الصادقون سيسكنون معك » (مز ١٣٩:١٢-١٤) وأيضًا يقول :

« إلى من أنظر إلّا إلى المتواضع الهادئ وإلى الإنسان الذي يهاب أقوالي » (أش ٦٦:٢).

إلّا أن الله بذاته وأبا ربّنا يسوع المسيح ، الذي يسود على الحياة والموت فليئنر

عينيْ ذهنكم لكي تخدموه بتقوى جميع أيام حياتكم وتجدوا رحمة أمامه في ذلك اليوم .

أرجوكم أن تذكروني باستمرار أنا الخاطئ في صلواتكم لكي يُبدي سيّدُ الجميع تحنّنه عليّ أيضًا أنا غيرَ المستحق .

* * *

النصيحة الأربعون

حول التقوى

أيّها الحبيب انتبه كلّ الإنتباه لئلّا تفقدَ الطريقَ المستقيم وتسلكَ في طرق الظلام . فقد تجد نفسك في نهاية حياتك منحرفَ الأخلاق أمام الله والبشر . لأنه يقول :

« الويل للذين تركوا الطرقَ المستقيمة لكي يسلكوا في طرق الظلمة ، الويل للذين يفرحون بالمساوئ ويسرّون للإلتواء الحاصل من الشرّ . إن طرق هؤلاء الناس شاذةٌ ومسيراتهم مشبوهةٌ لكي يبعدوك عن الطريق القويم ولكي يحرموك عن التعقّل الفضيل » (أمثال ٢:١٣-١٥) .

لهذا يقول :

« إنهم لن يعيشوا سنين طوال على ما يبدو ، لأنهم لو سلكوا في الطريق الصالح لكانوا وجدوا طرقَ البرّ الممهّدة ، الأناس الطيّبون سيسكنون الأرضَ والبسطاء سيمكثون فيها . أمّا طرقُ الأشرار فسوف تبيدُ من الأرض ومتجاوزو الناموس يُقصون بعيدًا عنها » (أمثال ٢:١٩-٢٢) .

إذًا يجب أن تسلكَ في الطريق القويم وفقًا لما يقول سليمان :

« لا تمِلْ يمنةً ولا يُسرةً ، بل أبعد رِجْلك عن طريق الشرّ لأن الربّ يعرف الذين عن طرق الميامن . لهذا فإن طرقَ المياسر ملتوية » (أمثال ٤:٢٧) .

ليكن عندك مخافة الله لأن مخافته تحفظك . إحفظ وصاياه فإن وصاياه ستقودك إلى الطريق القويم . أمّا الوقاحة والإلحاد ، الحسد والكبرياء وما شابه ذلك فلا تبقيَنَّ كلّ هذه ولو قليلًا في قلبك . ولا حتى الشراهة ولا الفحشاء ولا الهذر الفارغ والمزاح وكلّ ما لا يليق (أف ٥:٤) لأن كلّ من يسلك بهذه الأمور قد ابتعد عن طريق الحق ويُرهق رِجليه في المسالك الوعرة . أمّا من يمشي في السبيل القويم فسيقود نفسَه إلى النعيم والراحة .

لا تفقدْ إذًا التقوى الصادقة أيّها الحبيب وإنه من الفضيلة أن تبتعدَ عن صنوف الشرّ كلّها (١ تسا ٥:٢٢) . ولكن إن حدث أن سخروا بنا من أجل عمل صالح ، فدعنا لا نستحي من الإهانة التي حصلت لنا ظلمًا من الناس لئلّا نعمل ما لا يليق لأنه مكتوب :

« يا شعبي ، الذي اسمي محفورٌ في قلبك ، لا تهبْ تحقيرَ الناس لك ولا تنثني منغلبًا من ازدرائهم . فإنها كلّها ستبلى كالثوب بعد أن مرّ عليه زمنٌ طويل وكالصوف من العث ، إلّا أن عدلي يدوم إلى الدهور وخلاصي إلى أجيال الأجيال » (أشعيا ٥١:٧ و٨) وأيضًا يقول :

« أمّا أنا فلم أعصَ ولن أجادِلْ أسلمتُ ظهري للجلْد وفكّيَ للّطمات ولم أحوّلْ وجهي لكي أتجنَّبَ عارَ البصاق إلّا أن الربَ كان معيني لذلك لم يسلّطْ عليّ العارُ بل بالعكس قد ثبّتُ وجهي كصخرةٍ صلدة . وكنتُ أعرف أنّي لن أخزى » (أشعيا ٥٠:٧ و٨) .

فلهذا السبب إن بدا لأولئك أنهم قد حكموا علينا وتسلّطوا فدعنا لا نجبن ولا نتركنّ السبيلَ القويم وفقًا لما يقول صاحب المزامير :

« ولو ثار عليّ جيش بكامله ، فلن يخاف قلبي » (مز ٢٦:٣) ويقول أيضًا :

« تشجّعوا جميعكم أيها المتّكلون على الربّ وليتشدّد قلبكم » (مز ٣٠:٢٥) وأيضًا :

« لا تغر من مجد الخطأة لأنك لا تعرف ما هي نهايته » (الحكمة ٩:١١) .

لأنه من الأفضل أن تعملَ كلَّ شيء وفقًا لمشيئة الله وأن تُمتدح؛ بالربّ من أن تتصرّف كما لا يليق وتقتني صيتًا سيّئًا . لأن الربّ ومخلّصنا يسوع المسيح قال :

« هكذا فليُضئْ نورُكم قدّام الناس لكي يروا أعمالكم الصالحة ويمجّدوا أباكم الذي في السموات » (متى ٥:١٦) .

إذًا لا تتحوّل عن الطريق القويم إلى الطرق الوعرة . فقد يُحدق بك من حولك حشدٌ من الوحوش البرّية أو سيلٌ من مياهٍ كثيرةٍ وحينها ستتندّم وأنت مفعمٌ من الأسى والحزن . فإنّه من الذي يغتمّ؟ ألا يحزن ذاك الذي تحيط به النكبات . وبما أن الله صالح ومحبّ للبشر فهو لا يريد شرًّا لجبلته بحسب القائل : « الله لا يُسرّ بهلاك البشر لأن العدل لا يموت » (الحكمة ١:١٣ و١٥) وفي موضع آخر يقول :

« لا أحد من الذين يعانون الشدائدَ يقول : إن هذه التجربة من الله ، لأن الله لا يمكن أن يُجرَّب بالشرور وهو نفسه لا يُدخلُ أحدًا في تجربة . إلّا أن كلّ واحد يدخل في تجربة بما أنّه انجرّ وخُدع من شهوته ، ثم إن الشهوةَ بعدما تحبل ، تلد الخطيئة ، والخطيئة عندما تكتمل تأتي بالموت » (يع ١:١٣-١٤) .

الشهوة أمّ الخطيئة (تولّد الخطيئة) . هذه طردت حوّاء من الفردوس (تك ٣:٢٣) هذه جعلت قاين قاتلًا لأخيه (تك ٤:٨) . هذه أجبرت المصريّة على أن تخضع للهوى الجارف أمام يوسف العفيف إلّا أن الشاب بما أنه كان يهابُ الله فقد غلبها (تك ٣٩:٧ و٩ و١٢) .

هذه أماتت الشعب في البرّية (عد ١١:٣٣-٣٤ ٢٥ ٥:٢٥ و٩) هذه أفنت سبعَ أممٍ في أرض كنعان (أع ١٣:١٩) . وبما أنه بها أسخطوا خالقهم لهذا قد هلكوا .

هذه أبعدت قلوبَ ذريّةِ إسرائيلَ يعقوب عن الله العليّ . كما هو مكتوب : « صاروا كالبهائم الشغوفة بالإناث ، كلّ واحد منهم ينهق من أجل امرأةِ الآخر » (أر ٥:٨) . هذه خدعت قضاةَ الشعب في بابل (سوسن ٨) .

الشهوةُ الرديئة أمّ للخطيئة . هذه تثير حروبًا واضطرابات على الأرض . هذه حرّكت هيروديّا لتطلب رأسَ السابق المعمدان . وبما أن يهوذا قد أحبّ الشهوةَ سلّم الربَّ المجيد لأيدي عادمي الناموس (متى ٢٦:١٥) بما أنه اشتهى المجوهرات فقدْ فقدَ الحياةَ .

فلنبتعد هاربين من كلّ شهوةٍ رديئة ، أيها الإخوة الأحبّاء . ولنُبعد كلّ شهوة رديئة من قلوبنا ولا نأسفنّ عليها ، لأنها ليست بشجرة مثمرة بل هي من زرع الشيطان . ليست جرحًا جسديًّا ولا ضربةً ولا كُلمًا متقرّحًا . لا نستطيع أن نضع عليه لا ضمادًا ولا زيتًا ولا رباطًا بل هي جرح النفس وكُلْمُ القلب .

هذه تفصلنا عن مجمع القدّيسين . هذه ترمينا تحت السماوات وتربطنا بالأرضيّات . إنها شجرةٌ لها أوراق إلّا أنه لا أثمارَ لها بالكلّية . لها أوراق وأغصان كثيفة وفي وسط الأغصان الكثيفة تحتوي على مواليد الأفعى .

اقطعْ من الجذر شجرةَ الشرّ وازرعْ في نفسك بدلًا عنها **شجرة الحياة الصليب الكريم** ، آمالَ المخلّص ومكابدات موته . لتكن محبّته في وسط قلبك كجزيرة موجودةٍ في البحر تدعو إلى ميناء الحياة كلَّ السفن المعرّضة للخطر في المحيط الواسع .

جاهد كجنديّ أمين لكي تحصلَ على الإكليل . إسمع من يقول :

« إجعلوا أبناء اسرائيلَ صالحين » (لاو ١٥ : ٣١) . عندما تجاهد كما يجب ، عندها ستعرف بالتأكيد عطايا الملك أيضًا . حينها ستعرف كم هو حسن ومفيد وصالح أن تأتيَ إلى المعرفة الحقّة . وانتظر الربّ بصبر وصنْ وصاياه . حينها ستدرك أن الأتعاب قد مضت كما في حلم ، بسبب المجازاة التي ستنالها هنا . كما هو التاج على رأس ملك يجلس على عرشه الملكيّ . هكذا ستشعر بالفرح والسعادة ولا أحدٌ يقدر أن ينتزع فرحك منك (يو ١٦ : ٢٢) .

إني أتمنّى خاصّة أن يؤهّلنا الربّ لأن نجد رحمةً أمام صلاحه كما في الحياة الحاضرة كذلك في المستقبلة . لأنه به يليق المجد إلى الدهور . آمين .

* * *

النصيحة الحادية والأربعون

حول الذين يسقطون من الحياة الرهبانيّة بسبب تهاونهم ويتعلّلون بعلل الخطايا

هل تمنّيت أيها الأخ الحياة الرهبانيّة ؟ إنك تطلب عملًا مباركًا إن حافظت على شوقك هذا حتى النهاية .

إذًا فلتكنْ ساهرًا وانتبه إلى نفسك كحكيم لا كجاهل . كراهب لا كعلماني لأن معركتنا ليست ضدّ بشر من لحم ودمّ بل ضدّ الرئاسات ضدّ السلاطين ضدّ ولاة هذا العالم ضدّ الأرواح الشرّيرة الموجودة بين السماء والأرض (أف ٦ : ١٢) .

إذًا فلتكن ساهرًا حتى النهاية قد يحدث أن تنغلب بسبب تهاونك وعدم انتباهك وأن تقول بغباوة :

«لقد أتيتُ إلى الحياة الرهبانية . إلَّا أني هناك أيضًا لم أجد طريقَ الخلاص» .

لماذا إذًا أيها الأخ نرفض نعمة الله ؟ ولماذا أيضًا تتطاول بالشتائم على السيرة الرهبانية ، طالما لم تُرد أن تستفيد ولا أن تتعبَ من أجل نفسك . بل على ما يبدو انجررتَ وراء شهواتك ولذّات الأفكار؟ ومع هذا تشتكي على الحياة الرهبانية ؟

فإنك لو كنتَ تتبعُ وصايا الربّ ما انجررتَ . لو كنتَ أحببتَ مخافةَ الله لكان هذا الخوف قد صان نفسَك .

أوّلًا أنت لم تحافظ على قانون الحياة الرهبانية ، تهاونت في خدمتك الصلاتيّة ، أحببتَ أن تمشي منحرفًا ، أحببتَ بالأكثر التعالي . ازدريتَ بمن هم أدنى منك مرتبةً . لم تحبّ الإمساك بل أحببت بالأكثر كثرةَ الأطعمة .

لم تحبّ السهر بل أحببتَ بالأكثر النوم الذي لا يُشبع منه .

لم تحبّ الطهارة بل أحببتَ بالأكثرِ الدنس .

لم تحبّ الوداعة والتواضع بل أحببتَ بالأكثر الكبرياء .

لم تُحبّ الطاعة بل أحببتَ بالأكثر العصيان .

لم تزدرِ بالغضب والسخط بل أحببتَ بالأكثر المشاجرة وإضمار الشرّ .

لم تحبّ الصلاة والهدوء بل أحببتَ بالأكثر الصراخ والقسم .

لم تصنْ الرزانةَ والورع بل أحببتَ بالأكثرِ الدالةَ والمزاح .

لم تحبّ الصمتَ والاستقامة لكن أحببتَ بالأكثر الثرثرة وإدانة الآخرين .

لم تحبّ أن تقف في الصلاة بخشوع بل أحببت بالأكثر أن تهيم في الخيالات .

لم تحبّ عدم القنية بل فضّلت بالأكثر محبّة الفضّة.

لم تحبّ النسك والصبرَ على الآلام بل أحببت بالأكثر التلذّذ والإسراف.

لم تحبّ أن تشتغل بيديك بل أحببتَ بالأكثر التجوال.

لم تحبّ المودّة الأخويّة بل أحببتَ بالأكثر أن تفرحَ بإفساد نفوس الإخوة.

لم تحبّ أن تشارك في ألم المعذّبين بل أحببتَ بالأكثر أن تكون قاسيًا وعديمَ الشفقة.

لم تحبّ أن تصبرَ على الضيق والألم والإهانات من أجل الربّ بل أحببتَ بالأكثر الموضعَ المتقدّم والمدائح الباطلة.

لم تحفظ تقوى الله ومحبّته بل أحببت بالأكثر اللامهابة وبغضَ الإخوة.

وما الداعي لأن أتابع؟

لقد أبغضتَ السماويات وأحببتَ الأرضيّات وأيضًا تريد أن تتهجّم على الحياة الرهبانية؟ ألا تعلم أنه مكتوب:

«إن الله سيبيد جميعَ المتكلّمين بالكذب» (مز ٥:٧) وأيضًا:

«لا تقولوا أمام الله أقوالًا بطّالة، لأن الله قاضٍ عادلٌ» (مز ٧٤:٦ و٨).

أترى أيّها الأخ كيف أن العلّةَ تأتي منّا لا من الآخرين؟ هيّا إذًا وعُدْ إلى نفسك وارجع إلى الربّ بكلّ قلبك لأنه لا يُريد موت الخاطئ بقدر ما يريد أن يعوْد ويحيا (حز ٣٣:١١) لأن مشيئة الربّ أن يخلصَ الجميع (١ تيمو ٢:٤) لأنه صالح. قد تجرّحتَ لكن بمقدورك أن تتداوى. سقطتَ فانهضْ إذًا لا تُهملْ نفسك كلّيًا في الضياع لأن المخلّص نفسه قد قال: «إن الأصحاء لا حاجة لهم إلى طبيب بل المرضى» (متى ٩:١٢ مرقس ٢:١٧ لوقا ٥:٣١) وأيضًا:

«لم آتِ لأدعو صدّيقين بل خطأة إلى التوبة» (متى ٩:١٣ مر ٢:١٧ لوقا ٥:٣٢).

لهذا أيها الأخ الحبيب اصبرْ قليلًا وسأعطيك نصيحة: **اجلس في هدوء قلّايتك** وأحضِرْ أمام عينيك خوفَ الربّ وبعد أن تجمع أفكارَك اجلسْ معها كقاضٍ وافحصْ تصرّفَك في الوقت الذي مضى من حيث بدأتَ في الحياة الرهبانية لكي تعرفَ العلّةَ التي أحدثت لك مثل هذه الحالةَ ولاحظ في قلبك الضررَ والمسبّبَ ومن أين دخل خفيةً مسببُ أذى كهذا.

إن سقط أحد التجار بأيدي لصوص، أو حدث أن غرق مركبٌ وأضاع حمولته، فإنه لا ينسَ المكان حيث فقده. وإن حدث أيضًا بعد فترة أن مرّ من ذلك الموضع، يمرّ فيه بكثير من التحفّظ.

فلنصرْ نحن أيضًا مماثلين لأولئك أو بالأحرى فلنصرْ أحكم. أولئك إن خسروا المركبَ، وهو غنى فاسد، لم ينسوا المكان. لكن نحن قد خسرنا غنانا غير الفاسد.

لهذا اجلسْ بهدوء كما قيل سابقًا وركّز أفكارَك وافحص روحَك نهارًا وليلًا لكي تعرفَ علّة خسارةٍ كهذه ونكبة.

ربّما اقتنيتَ من البدء دالةً وهذه الدالةُ زعزعتْ فكرَك الضعيف، أفسدت شخصيّتك وجعلتك عديمَ الخجل وقليلَ الحياء.

ربما دخل الضررُ إليك من كثرة الثرثرة. ربّما صدرت العلّة عن البِطْنة والشراهة. ربّما صدر الضرر عن العصيان. ربّما بسبب التردّد على أماكن مختلفة أو ربّما من قرار خدمة الآخرين والتلهّي الكثير، قد هيّأتَ لنفسك هذا الشرَّ العظيم.

وعندما تعرف العلّةَ اقطعْ الدالةَ والوقاحةَ عن طريق التقوى. لا تخجل من أن تُدعى منافقًا من أولئك الذين يتعدّون وصايا الربّ. لأنه من الواضح أن أولئك لا يستخدمونِ الرياءَ من أجل إصلاح الأخ بل من أجل أن يحيد الأخ عن الطريق القويم ويصير وقحًا وعديمَ الحياءِ وعدوَّ الفكر الفضيل. هذا لأنهم يسمّون الأتقياءَ مرائين. يقول لهم الربّ:

« أيّها المرائي ! أخرجْ أوّلًا الخشبةَ من عينك وحينها سترى بوضوح لكي تُخرج القشّةَ من عين أخيك » (متى ٧:٥) .

أيّها الأخ الحبيب لا تخجل من التحقير ولا تقتني قلّة أدب لأن قليلي الأدب يلاقيهم الموت (أم ٢٤:٨) كما يقول الكتاب المقدّس . وأيضًا يقول :

« إن كانت قلوبكم لا تديننا ، فلنا دالة عند الله » (١ يو ٣:٢١) وفي موضع آخر :

« إن أهانوكم من أجل اسم المسيح فإنكم مطوّبون لأن الروح الإلهي الممجّد قد ارتاح فيكم . لا يعانينَّ أحدٌ منكم من العقوبات بما أنه قاتل أو سارق أو إنسان يتداخل بأمور لا تخصّه . ولكن إن تعرّض للتعذيبات بما أنه مسيحي ، فعليه ألّا يخجل بل أن يمجّد الله لهذا الإسم الذي يحمله . وإن كان البار بالجهد يخلص فماذا سيحلّ بالخاطئ وعديم التقوى ؟ » (١ بط ٤:١٤-١٦ و١٨) .

لذلك إذًا **تجنّب الدالة والضّحك** لأنها لا تنفع نفسَك لأنه أيّ شركة للمؤمنين مع غير المؤمن ؟ (٢ كور ٦:١٥) . بل أيضًا عليك أن تقمع الشراهة بالإمساك ، ومحبّة الفضّة بالنسك واللاقنية ، وكثرة الكلام بالصمت والتنقّل وعدم الثبات بإقامتك في القلّاية ، والتهاون بتذكّر الخيرات المستقبلة ، والعصيان والتمرّد بالتواضع . ولكن أيضًا مع قرار كره الخبث ، هيّأ لك العدوّ الشرّ . فبالتالي إحفظ نفسك باستمرار طاهرة ولا تشارك بخطايا الآخرين . (١ تيمو ٥:٢٢) .

بحسب رأيي أضيف قائلًا : **إن مبدأ كلّ الشرور هو الدالّة** وهي التي جعلتك وقحًا . لهذا يقول سليمان :

« طوبى للإنسان الذي بداعي التقوى يخاف دائمًا إن كان قد أخطأ » (أم ٢٨:١٤) . وأسأل : ماذا يفيدُ العالم ؟ أم أيٌّ خير سيقدّم لمن يحبّونه ؟ هل أخذ أحدهم امرأةً ؟ إنه بداية الهمّ . هل اقتنى ابنًا ؟ إنه اهتمامٌ آخر . هل وُلد ابن آخر ؟ إنه همّ إضافي . هل مات الولد ؟ قد ترك حدادًا لمن ولداه .

إن كان الابنُ الآخر أيضًا قد عاش ولكن أصبح طائشًا ، يحزن لأجله أكثر من ذاك الذي مات .

وعندما تأتي ساعة موت هذا الإنسان ، يرى الحزنَ والأسى أسوأ من الموت ، لأنه يترك امرأته أرملةً وأبناءه يتامى .

لكن أيها الراهب قد حرّرك نير المسيح من كلّ هذه الأمور .

وإني لأتعجّبُ كيف تريد أن ترجع إلى الأمور القديمة . لا تيأسْ من نفسك ولا تقل أبدًا : إني لم أعدْ قادرًا على الخلاص . بالعكس تستطيع أن تخلص وبكلّ تأكيد . أحبب خوفَ الله من كلّ نفسك وهذا سيداوي جراحَك وبالتالي أيضًا سيحفظك سالمًا من الجراح .

فإنه بقدر ما تحبّ نفسُك خوفَ الله ، لن تسقط في حبائل الشرّير بل ستكون كالنسر الذي يطير في الأعالي .

إلّا أنك إن تهاونت بعد هذا بأمور نفسك وازدريتَ بمخافة الله تسقط هاويًا من الأعالي ويضحك عليك الشياطين ، الذين طالما يغطّون عيون النفس بالتمام ، يقودونها إلى الأهواء الرديئة كعجل يرزح تحت نيرٍ .

لذلك أيّها الأخ الحبيب ، دعنا نهتمّ بالحق ، دعنا نهتمّ بخلاصنا ، دعنا نهتمّ بساعة الموت ، دعنا نبغض الأمور العالميّة . إنها كلّها باقية هنا فقط إنها لا تنجّينا في تلك الساعة الحرجة . حينها وإن تندّمنا فلن نستفيد شيئًا . حينها سنتضرّع لكي يسامحونا إلّا أنه لا أحدٌ يمكن أن يخلّصنا .

الويل ، الويل **كم هي مخيفة ساعة الموت** حينما تنفصل النفس عن الجسد . حينها لا الأب يرافق الابنَ ولا الأمّ الابنةَ ، ولا المرأةُ الرجل ولا الأخُ يرافق الأخَ . بل كلّ واحد ترافقه فقط أعماله وفقًا لما قد عمل إن كان خيرًا أم شرًّا . (٢ كور ٥:١٠) .

لهذا فلنرسل إلى هناك من ذي قبل، أعمالًا صالحة من أجل خلاص نفوسنا. حتى أنه عندما نرحل من هذه الحياة يتقبّلوننا في منازل القدّيسين.

إن أردتَ أن تتقدّم فاتخذ لك منذ الآن، صديقًا لك الملكَ بعينه. كم من المجد العظيم تظنّ أنك ستجد، أيها الأخ الحبيب، إن كنت من هنا تتخذ الملكَ المجيدَ صديقًا لك؟ لأنك بمقدار ما تكرّمه هنا بقدر ما يقدّم لك مقامًا لائقًا. وبالمقدار الذي تخدمه به هنا، هكذا سيكرّمك هو بذاته هناك. لأنه مكتوب:

«لأني سأمجّد الذين يمجّدونني وسأزدري بالذين يزدرون بي» (١ مل ٢:٣٠).

إذًا أكرمْ الله من كلّ نفسك، لكي يجعلك مستحقًّا لإكرام القدّيسين ولكن بأية طريقة يجب أن نتّخذه صديقًا؟

قدّم له ذهبًا وفضّةً. إن رأيتَ عريانًا فاكسِه. ولكن إن لم تملك شيئًا من هذه، قدّم له مباشرة ما هو أكرم من الذهب والفضّة، أعني الإيمان، المحبّة، الإمساك، الصبر، طولَ الأناة والتواضع.

اهرب من الإدانة. احفظ عينيك بشكل مستمرّ لئلّا تعاينا أمورًا باطلة (مز ١١٨:٣٧). أبعد قدميك عن الطريق الرديء حثّ المتهاونين على التوبة. أبدِ رأفة بالضعفاء. قدّم كأس ماءٍ بارد لذاك العطشان. أعطِ قطعة خبز للجائع.

مما عندك، مما وهبك إياه نفسه، قدّم له. وبالتأكيد فإن المسيح لم يرفض فلسَيْ الأرملة (مر ١٢:٤٢-٤٤ لو ٢١:٢-٤) إلّا أن إيليا أيضًا ماذا طلب من الأرملة؟ ألم يطلب قليلَ ماءٍ في الجرّة وقطعة خبز صغيرة؟

وقام إيليا وذهب إلى صرفت صيدا واقترب من بوّابة المدينة ورأى امرأة كانت تجمع حطبًا فناداها إيليا وقال لها:

«أحضري لي قليل ماءٍ في الجرّة لكي أشرب» وذهبت لتُحضر فناداها ثانية وقال:

« أحضري لي أيضًا قطعة خبز صغيرة بيدكِ » (٣ مل ١٧:٩-١١) .

أترى أيها الحبيب بماذا اقتات الأنبياء القدّيسون ؟ بقليل من الماء وقطعة خبز . وقد كانوا يجدونها بصعوبة . لأنهم كانوا موجّهين كلّ زخم غيرتهم للصالحات التي كانت مكنوزةً لهم في السماوات .

لنحبّ نحن أيضًا طريقَ القدّيسين أيها الاخوة الأحبّاء بقدر ما لدينا بعدُ من وقت ولنقدّم للربّ ثمرَ التوبة الصالح . ولا نخسرنّ الوقتَ الملائم للتوبة ولا نُبتلعنّ ونؤخذنّ بالمؤثرات العابرة الزائفة لهذا العالم ولا نرتبطنّ مع أناس يقومون بأعمالهم بلا مخافة الله .

ولا نغارنّ من أعمال أولئك الذين يستهترون بأمر خلاصهم . وفقًا لما يقوله الرسول :

« إن المعاشرات الرديئة تُفسد الأخلاق السليمة » (١ كور ١٥:٣٣) وفي موضع آخر يقول الكتاب :

« تمسّك جيّدًا بتأديبي لك ولا تتركه . واحفظه من أجل نفسك لكي تحيا . لا تتبعْ طرقَ الأشرار ولا تحسُد طرقَ متجاوزي الناموس . لا تذهب إلى مكان حيث ينصبون هناك خيامهم بل ابتعد عنهم وحوّل مسيرَك إلى اتجاه آخر . لأنهم لن يناموا إن لم يعملوا الشرّ . . . لأن هؤلاء يأكلون طعام عدم التقوى ويسكرون بالخمر التي حصلوا عليها بتجاوز الناموس .

أمّا طرق الأبرار فتسطع كالنور . يمشون في المقدّمة وينيرون إلى أن يطلع النهار ويُضيء » (أم ٤:١٣-١٨) . ويقول أيضًا :

« لا تعاشر إنسانًا غضوبًا . ولا صديقًا يثور لأبسط الأمور ، لئلّا تقتني عاداته وتقتبل فخاخًا في نفسِك » (أم ٢٢:٢٤-٢٥) وأيضًا في موضع آخر يقول :

« إنهم ينابيع بلا ماء . سحب ضبابيّة تجرّها العاصفة ، الذين حُفظ لهم قتام الظلمة إلى الأبد » .

بقولهم كلمات متكبّرة وباطلة ، يستدرجون كما بطعم ، الشهوةَ الجسديّة وفسق الذين يتجنّبون الأقوال الصادقة ويعيشون في الضلال . ويعدونهم بالحرّية بينما هم أنفسهم عبيدٌ للفساد لأن كلّ ما غُلب منه الإنسان يصير هذا الأخير عبدًا له .

فإن كان الناسُ قد تجنّبوا ملوّثات هذا العالم بمعرفتهم العميقة لربّنا يسوع المسيح ، يتورّطون بها من جديد وينغلبون ، حينها تصير حالتهم الأخيرة شرًّا من الأولى » (٢ بط ٢:١٧-٢٠) .

ويقول أيضًا في موضع آخر :

« من جهة أخرى نترجّاكم أن تنتبهوا من الذين يخلقون العثرات والشقاقات ، بعكس التعليم الذي تسلّمتموه وأن تبتعدوا عنهم لأن مثل هؤلاء الناس لا يخدمون ربّنا يسوع المسيح بل شهواتهم وبكلامهم الجميل المنمّق يخدعون قلوب الأبرياء » .

لنهربْ إذًا من الطريق الواسع الذي يقود إلى الهلاك . ولنرغب على العكس بالطريق الضيّق الذي يقود إلى الملكوت . لنتعب هنا بإرادتنا حتى لا نتعب بغير إرادتنا . لنزدرِ بالعالم الشهواني وبالعيش الشهواني . ونجعلْ طرقنا قويمةً . لنحبّ العزمَ الصالحَ حتى نبقى حارّين أمام الربّ (رو ١٢:١١) . لنبكِ هنا بإرادتنا لكي نسترحم الله حتى يخلّصنا من النار الأبديّ ومن صرير الأسنان . لنحبّ النوح لأنه وصيّة المسيح . وقد قال هو نفسه :

« طوبى للباكين الآن لأنهم سوف يُعزّون » (متى ٥:٤) .

لنفتكر أيّها الأحبّاء بالمسافرين في البحر كم من الأخطار الشديدة يواجهون مجاهدين في أمواج البحر وعواصفه . لكن عندما ينتهي الإنسان من جهاده وتعبه لا يعود يحسب الأخطار التي عاناها لأنه نال أجره كاملًا . بل أصبح عازمًا بازدياد أن يخوض أسفارًا ومشاقًا أخرى . عندما ينتهي سفره حينئذ يبدأ من جديد .

ونحن أيضًا لنسعَ أن نتمّم الجهادَ الذي أمامنا ولن نعود ملزمين باتخاذ الطريق نفسه من جديد .

الجهاد أيها الاخوة هو صغير لكن الأجر عظيم . لنتوغّل إذًا في عمل الربّ بكلّ قلبنا وكلّ قدرتنا طالما عندنا وقتٌ . « لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة » (رو ١١:٢٩) .

هكذا فإن تأديب الربّ هو أيضًا مُهيّأٌ منذ إنشاء العالم . لذلك طوبى للإنسان الذي يخاف الربّ (مز ١١١:١) لأنه سوف يحصل على الإكليل الذي هيّأه الربّ للذين يحبّونه (يع ١:١٢) .

له ينبغي المجد إلى دهر الداهرين . آمين .

* * *

النصيحة الثانية والأربعون

لأخ سقط وعن التوبة

يهمس العدوّ في أذن من هو في طاعة الآباء الروحيين قائلًا : « إبتعد عن هنا وأقم وحيدًا فتكون في هدوء كثير » . وإن وافق الراهب هذه الأفكار ، يغادر الأخوية . وإن رأى العدوّ أن فكر الأخ لم يزل صاحيًا منتبهًا ، يوسوس قائلًا له من جديد « تقدّم إلى الصحراء الأكثر عمقًا » وفيما بعد إن بقي الأخ لوقت قصير في البرّية ، حينها يقدّم له الشيطان مبغض الخير فكر الضجر وطول الوقت وغياب الضروريّات وضعف الشيخوخة وتعب البرّية . وإن تمكّن العدوّ من زعزعة الأخ ، يقلعه من هناك أيضًا والإتيان به إلى جوار قرية أو مدينة . وعندها يثير عليه شهوة

الزنى . أمّا الأخ فيحاول التحفّظ لنفسه من الدخول إلى المدينة وألّا يقترب إلى القرى . حينها عندما يرى العدوّ استعداد نفس الأخ ، يفكّر باجتهادات وحيل ، مريدًا بها أن يرمي الأخ أسفل .

إحدى نشاطاته وحيله هي التالي : في أحد الأيّام وبينما الأخ هادئ في قلّايته ، يحرّض امرأة على أن تطرق بابه بعلّة أنها أضاعت طريقها وأُنهكت من التعب ، أو أنها جاءت لتطلب إحسانًا ، أو تعللت بأنها تطلب أحد معارفها من الرهبان ، فيفتح الراهب بوابته إذًا ويرى المرأة واقفة أمامه في قلّايته . فتقول المرأة : « أين يقيم الراهب الفلاني ؟ » « وطالما قد انقضى النهار اعمل معنا معروفًا واقبلنا في قلّايتك هذه الليلة لئلا نتوه فتأكلنا الوحوش » . وعادة تحضر المرأة شريكة معها . وقد يحملن معهنّ أطعمة ومؤونات يردن بها أن يغرين الأخ . هنا يقع الأخ في حرب من الفكرين ، من اليمين ومن اليسار ، يخاف من مخالفة الوصيّة كعديم الشفقة (متى ٢٥:٣٥) ومن جهة أخرى قد يورّط نفسه بواسطة الخير الذي سيقوم به ، ولئلّا نطيل الكلام تغلبه الرغبة الصالحة وبعد إتمام فعل المعصية ، إن أراد أن يطردها تجيبه قائلة « بعد أن أذللتني تطردني الآن بعيدًا عنك إلى أين أذهب ؟ كيف سأمثل أمام أهلي ؟ هل من الممكن أن يختفي الأمر ؟ فاعلم جيّدًا أيها الراهب أني لن أبتعد عنك إطلاقًا بل سأقيم معك في قلّايتك وتطعمني مما وجدته موافقًا » . حينها يبدأ الراهب بالنوح على نفسه والندم **لأنه فتح قليلًا باب قلّايته .**

إذًا وأنت عالم بهذه الأمور أيّها الراهب ، احفظ نفسك لأنك إن وقعتَ في حبائلها ، فنجاتك ستكون بصعوبة كبيرة ، لأنه كما يقول سليمان ، بالحبائل التي صدرت من شفاهها قادته إلى التهلكة (أم ٧:٢١) . لذلك إذًا وأنت عارف مسبقًا بما ستؤول إليه الخطيئة وكم تسبب من الخجل لأولئك الذين يقترفونها في هذه الأماكن ، أهرب بعيدًا عن محبّة اللذات لأن ثمارها هي ثمار الخزي . وبالطبع قبل اللذة تسبق الرغبة (الصالحة) ، أمّا بعد اللذة فيتبع الحزن والأسى .

أدرك إذًا أن **الحزن يتبع اللذة** واهرب من الخطيئة مفكّرًا بالخجل من الناس أو الأفضل أن تفكّر بخوف الرب . إذًا اطرد عنك بعيدًا الشيطان الذي يريد أن يخدعك وأن يسرق أتعابك التي بذلت للعيش بلا أحزان .

لأن الربّ عارف القلوب يعلم أنك لم تُبعد هذه المرأة بدافع الشر أو بغضًا بالبشر ، بل لئلا تسبب لك شرًا من خلال الصلاح الذي ستقوم به ، وإن قال أحدهم أن إضافة الغرباء أمر صالح فأنا أوافق ، لذلك فالمضيف يجب أن يماثل من يختبر الفضة في الفرن ، أن يأخذ النقي لنفسه وأن يترك جانبًا عديم النفع ، أي أن تحفظ الوصيّة ولكن أيضًا أن تبتعد عن الخطيئة كما من فم الثعبان لأن من قال « كنت غريبًا فآويتموني » (متى ٢٥:٣٥) قال أيضًا « لا تزنِ » (متى ٥:٢٧) .

لتكن صاحيًا في شبابك ، كن صاحيًا لئلّا تتهاون فتجد نفسك عبدًا للأهواء منذ شبابك إلى الشيخوخة ، لأن من يُبحر في المحيط بالرغم من سهره وأتعابه قد تتمكن هجمة الأمواج الكبيرة من التغلّب عليه . أمّا الذي يبحر في الميناء ، يبدو أنه بسبب تهاونه حطّم وغرّق في العمق سفينة سيّده .

أمّا أنت أيّها الراهب فإنك في الميناء ان انتبهت لنفسك . لذلك فلا تنفعنا الاقامة في القرى ولكن ان اضطررت أن تذهب إلى قرية ما ، فلا تضيّع وقتك متحادثًا مع امرأة لأنه كالذي يبتلع طعم الصنّارة هكذا ستنجرّ نفسك ، كن إذًا يقظًا لأن السقطة ليست بعيدة وجاهد بتقواك ومخافتك لله ضدّ التجربة لأن قلّة الحياء هي أمّ الفسق ، إن رأينك تتحدّث بدالة وتتفاخر عليهنّ سيحرّضْنك على التقدّم إلى ما هو أسوأ ويقذْنك إلى السقوط . لكن كن ورعًا ولا تثق بنفسك ، كن صاحيًا منتبهًا ، فربّما بمبرّرات الخشوع والتقوى يغوين فكرك ويخدعْنه بأقوالهنّ لأن أحد القديسين قال :

« هؤلاء النساء يبدأن الأحاديث محاولات أن يثرن الهوى » ولكن لما قال المخلّص : « ها أنا أرسلكم كخراف بين الذئاب كونوا إذًا عقلاء كالحيّات وبسطاء

(في الشر) كالحمام» (متى ١٠:١٦) ويوصي أيضًا بواسطة الرسول قائلًا:

«لا تكونوا جهلاء بل افهموا ما هي مشيئة الربّ، ولا تسكروا بالخمر، فإن هذا تبذير وإسراف» (أف ٥:١٧-١٨).

إذًا اعرف جيّدًا أيها الحبيب أنك وإن كنت في العالم كالذهب النقي ثم أتيت إلى الحياة الرهبانية وأبديت تهاونًا بنفسك فلن تتأخر عن أن تصير كالرصاص. وان أتيت إلى الحياة الرهبانية وأحببت الربّ بصدق وأمانة فلن تتأخّر أن تصير كاللؤلؤة، من دون أن يكون لك لومٌ أو هفوة أو ما شابه، بل ستكون في كلّ شيء بلا عيب (أف ٥:٢٧).

أيضًا أريد أن تعلم هذا، أعني أن من يقترف الخطيئة يحارب أكثر ممن يضبط نفسه، لأنه كما أن الذي يرمي قذارات في مكان ما يزيد النتانة، هكذا الذي لا يضبط نفسه يزيد الهوى. أعرف أنك إن تهاونت في ما يخصّ نفسك، فإنك ستندم في النهاية، لأن الرسول يقول: «الأعزب يهتم بأمور الربّ، أي كيف عليه أن يرضي الربّ، أمّا الذي قد تزوّج فإنه يهتم بأمور العالم، أي كيف عليه أن يرضي امرأته، واهتمامه يكون موزّعًا مقسّمًا» (١ كور ٧:٣٢-٣٤).

أمّا أنت أيها الراهب، فلم تفضّل الاهتمام بالعالم، بل كيف ترضي الربّ. لذلك فقد **خصيتَ نفسك من أجل ملكوت السماوات** (متى ١٩:١٢) أعود وأقول ثانية، إن لم تضبط نفسك، فإنك ستحزن بطرق مختلفة في النهاية، وفقًا لما يقوله الرسول: «هؤلاء الناس سيختبرون الأسى في الجسد» (١ كور ٧:٢٨). لأن من يتزوّج يصير فقيرًا في أعمال الفضيلة، لكون الاهتمامات من أجل البيت والمرأة ومعيشة الأولاد تشغل باله، بينما غير المتزوّج فيعتني بأمور الربّ، أي كيف عليه أن يرضي الربّ.

خصيتَ نفسك من أجل ملكوت السماوات، ليس كونك قطعتَ أعضاءك

الجنسيّة بالسكين ، فإن هذا غريب عن الفضيلة ، بل بتسلّطك على اللذات بالفكر الورع الطاهر ، لذلك فابقَ ثابتًا في التعهدات نفسها لأنه مكتوب : « انه من الأفضل ألّا تعمل . . . من أن تعمله ولا تتمّمه » (جا ٥:٤) .

أجبر نفسك إذًا على الإمساك تقتنِ أفكارًا نقيّة ويكون فكرك كميناء هادئ مفعم بالسكينة والرجاء بالخيرات المستقبلة . هذا سيعزّز قوى نفسك ، كما لو أنها شبعت من الدهن والمآكل الدسمة (مز ٦٢:٦) . لؤهّلنا الرب لهذه الخيرات فهو الديّان العادل . آمين .

لا تلوّث هيكلَ الله ولا تُحزن روحَ الله الذي يسكن فينا ولا الملائكة القدّيسين الذين لديهم الأوامر بأن يحفظونا ليل نهارٍ ويطردوا الشياطين بعيدًا عنّا من دون أن يظهروا يصرّون بأسنانهم علينا . لئلا يصيروا بالتالي قضاتنا في يوم الدينونة ونؤول إلى دينونة وحكم الصادوميّين ، فإنه وان لم تزل الأسوار تحيط بنا والخيمة تغطينا والباب مغلق ، وهناك ظلمة . لكن فلندرك أن ذاك الذي فصل الظلمة عن النور (تك ١:٤) لا يفلت منه أي عمل من أعمالنا (١ يو ٣٤:٢١) . وليقنعْك النبي القائل :

« إفهموا إذًا أيّها الجهلاء في وسط الشعب ، وأيها الأغبياء أدركوا معرفة تامة أغارس الأذن لا يسمع ؟ أجابل العين لا يرى ؟ الذي يدين الأمم ألا يؤدّب ؟ الذي يعلّم الإنسان المعرفة ألا يعلم ؟ إن الرب يعلم أن أفكار الناس باطلة » (مز ٩٣:٨-١١) .

أيها الأخ الحبيب ان الربّ لا يعير اهتمامًا لأعمال الناس فقط بل لأفكارهم أيضًا . أمّا أنت ان وسوس لك العدوّ وقال :

« يوجد هناك توبة لذلك تمتّع بمشيئتك » قل له : « أيّ حاجة لي أيها الخبيث لكي أهدم بيتًا مبنيًّا وأعود وأبنيه ثانية من البداية . بينما يقول الرسول « اعملوا

خلاصكم بمخافة ورهبة » (فيل ٢:١٢) ؟ وحيث الخوف والرهبة لا يوجد هناك أيّة لذّة .

لذلك إذًا **كرّس نفسك لخلاصك**، أيّها الأخ العزيز، وبعدما تقيم في الهدوء إجمع أفكارك وقل لنفسك « أيها الإنسان إن لك زمنًا طويلًا فيما تلبّي رغبات جسدك وأفكارك، ماذا ربحت وماذا استفدت من قيامك بهذا ؟ هل يا ترى أضفت على قامتك ذراعًا واحدًا ؟ (متى ٦:٢٧) أم أنك قد سمنتَ ؟ لم تستطع أن تجمع لنفسك إلّا طعامًا للديدان، فماذا ربحتَ إذًا ؟ هل ملأت الكنز السماوي بالصالحات وأنت عائش هكذا بلا خوف الله ؟ ما هي الفائدة إذًا من كونك خرجت من العالم ؟ » .

واحسرتاه أيتها النفس، لقد وصلتِ إلى حال كهذه، لقد أتيتِ إلى خراب كهذا ! ها هم اخوتي الذين يخافون الربّ بالحقيقة، متسربلون بالفضائل .

بينما أنا سالك في الظلمة باكرًا جدًّا أتوب عمّا فعلتُ وأعمل ما هو أسوأ باستمرار . بما أن الربّ قد منحني قوّة وصحّة فأنا أسخط خالقي واضعًا ثقتي بها .

لماذا تتهاونين يا نفسي؟ لماذا تستهترين بالأمور؟ هل لأنه سيتركك هنا ذاك الذي خلقك من العدم وأتى بك إلى الوجود ؟ هو نفسه سيرسل ملاكه وترحلين من هنا . إعرفي مرضك أيتها النفس إلى متى تعارضين خالقك وأوامره ؟ آه أيها الخبيث إنك قد حقّرتني لدى الملائكة ولدى البشر .

لأني أطعتُ مشورة العدوّ حرّضني قائلًا : « إعمل رغبتك مرّة واحدة، لا تكرّرها ثانية وهذه الغلطة لن تُعرف » . أنظر لقد صارت لي هذه الثغرة الصغيرة فجوة كبيرة ولا أستطيع أن أصمد أمام هذه الرغبات الشرّيرة المتنوّعة . إن الماء قد وجد ثقبًا صغيرًا وخلق فجوة كبيرة مرئيّة لدى الجميع . لأنه حقٌّ أن الاعتياد على الخطايا يقود الذي سقط فيها إلى الأسوأ . فإنك عكّرتَ ذهني بالأفكار الدنسة

ودفعتني إلى حبّ الخطيئة ، ممّن أطلب أن يبكي عليّ ؟ لقد وجدني العدوّ عاريًا بسبب إهمالي . لكني معتمدٌ على رجائي بالله لن أيأس كليًّا من خلاصي .

ماذا أقول للشيطان الخدّاع ؟ لقد أبطل إمساكي بسبب ضعف معدتي وغرّبني عن اليقظة في الصلوات . زرع فيّ محبّة الفضة بحجّة الشيخوخة العميقة . جفّت دموعي ، قسا قلبي ، أبعدني عن طاعة المسيح ووضع فيّ تجارب الأفكار ، جعلني عاصيًا . جعلني إنسانًا بطّالًا ومنشغلًا بأمور تافهة ضارة (٢ تسا ٣:١١) . علّمني أن أكون غضوبًا نمّامًا . لم يتركني أرى الخشبة التي في عيني . لكنّه يُبرز أمام عينيّ القذى الذي في عين أخي (متى ٧:٣. لوقا ٦:٤٢) ينصحني أن أخفي ما في قلبي . وإن سقط أخي في زلّة يشير بالتكلّم عليه باستمرار . صيّرني متكبّرًا غضوبًا ساخطًا . علّمني أن أكون شرهًا سكّيرًا ومحبًّا للّذة . أثار عليّ ما يُغرّ نفسي وكأنها فوائد وصالحات . علّمني أن أكون بليدًا متأففًا ثرثارًا . درّبني على عدم الإنتباه في القراءة والترتيل . أصلّي ولا أدرك ما أقول . أُسبى من دون أن أشعر . بالرغم من أن كثيرين ممن يخافون الربّ نصحوني مرارًا إلّا أني لم أصغِ لمشورتهم الصالحة لأني كنت أتقبّل أقوالهم كأنّها نبال بينما هم يتضرّعون إليّ وأنا أغضب . هذا كلّه كافٍ عليك أيها الشيطان الخبيث .

***

هيّا عودي إذًا يا نفسي إلى ذاتكِ ، بمن تثقين مُسخطة خالقك ؟ إلى متى تبقين في الخطايا نفسها ؟ لا ترفضي نعمة ذاك الذي يحميك . لئلّا يبتعد عنكِ وتسلّمي إلى أيدي أعدائكِ . غادري الشيطان وأعماله لأنه مُبغضٌ للبشر . إنه قاتلٌ للبشر منذ بدء الخليقة (يو ٨:٤٤) . إن دنوتِ منه لن يرثي لضياعكِ . أُتركي الشيطان الخبيث والتصقي بالله المحبّ البشر . إخجلي إذًا أيّتها النفسُ

وتعالي إلى طريق الخلاص. **هل تجرّحتِ؟ لا تيأسي**. لأنه وإن سقط المجاهد مرّات عديدة إلّا أنّه يُقبِل منتصرًا في النهاية. هل سقطتِ انهضي منتصبة، تشجّعي وقولي: «الآن بدأتُ» ولا تبقي في سقطتكِ لئلّا يرمونكِ كالجيفة طعامًا للطيور الكاسرة والوحوش لأن النبي يصيح قائلًا: «لا ترمِ إلى الوحوش نفسًا تحمدك، لا تنسَ نفوس الأناس البائسين إلى النهاية» (مز ٧٣:١٩). ارتمي أمام الملك المجيد، معترفةً بخطاياك لأن تحنّنه لا يُحصى.

كلّ الذين يدنون إلى ملك أرضي، يعرقلهم الحرّاس، يدفعهم الجنود والخدّام. هؤلاء يقدّمون هدايا للرؤساء لكي يفوزوا بمرامهم. أمّا أنتَ فباقترابك من ملك الكلّ لا تخَفْ أحدًا منهم ولست بحاجة إلى الهدايا، لأنه لا أحد هنا ينال هديّة ولا أحد يُعرقل، لأن الملك يحضر في الحال ويقتبلك فانه محبّ للبشر ولا يذكر الشرور ويبدّل قراره لئلّا يدين البشر من أجل خطاياهم (يونان ٤:٢). لكن عندما تدنو من الله، لا تدنُ بمراءاة ولا بقلب مشكّك (سيراخ ١:٢٨) بل بضمير نقي. فإنه قبل أن تقول شيئًا تافهًا كان أم مهمًّا، ينظر ما أنت مزمع أن تتكلّم عنه. بشكل مسبق وقبل أن تحاول أن تفتح فمك، يعرف من قبل ما هو في قلبك. إذًا لا تتردّد ولا تُخفِ أَلَمك. لأنه ليس بطبيب قاسٍ بل متعاطف ومؤآسٍ. **يداوي بالكلمة**: فقط قال وصار ما قاله بالفعل والأحداث بعينها تؤكّد ذلك. قال للمخلّع: «لك أقول قم، احمل سريرك واذهب إلى بيتك» وفي الحال تعافى الإنسان ومشى صحيحًا معافى حاملًا بيديه السرير الذي كان ملقى عليه (مر ٢:١١-١٢) وقال للأبرص: «أريد فاطهر». وللحال طهر من برصه (متى ٨:٣). كذلك أقام الرب لعازر من الأموات بعد أربعة أيام من موته (يو ١١:٣٩ و٤٤). لن نذكر الأشخاص كلّهم لئلا نبدو كمن يطيل كلامه. فإن أعمالهِ لا تُحصى.

كذلك سامح بكلمة المرأة التي غسلت رجليه بالدموع ومسحتها بشعرها صافحًا عن خطاياها وقائلًا: «تشجّعي يا ابنتي إيمانك خلّصك» (لو ٧:٣٨

و٤٨) (لو ٧: ٥٠) لأن الربّ هو نبع التعزية الذي يتدفّق بالأشفية للبشر.

لا تشكّك إذًا، فإن أردتَ أنت أن تخلص فلن يتخلّى عنك ذاك القائل: «فإن كنتم أنتم الأشرار تعرفون أن تُعطوا عطايا صالحة لأولادكم كم بالأكثر أبوكم الذي في السموات سيعطي الصالحات لمن يطلبون منه؟» (متى ٧: ١١).

أُدنُ إذًا من أب التحنّن والاشفاق، معترفًا بخطاياك وقائلًا بدموع «أخطأتُ إلى السماء وإليك أيها الرب الإله الضابط الكل ولست مستحقًّا بعد أن أُدعى ابنًا لك» (لو ١٥: ١٨) ولا أن أتطلّع وأنظر علوّ السماء بسبب كثرة خطاياي ولا أن أتفوّه أنا الخاطئ باسمك المجيد بشفتيّ لأنهما جعلتاني غير مستحقّ لا للسماء ولا للأرض. جعلتاني أُسخط السيّد الصالح.

أرجوك يا ربّ أتضرّع إليك لا تبعدني عن حضرتك (مز ٥٠: ١٣) ولا تبتعد أنتَ عني (مز ٢١: ١٢) لئلّا أهلك ضائعًا. لأنه لو لم تسترني يدك لكنت هلكتُ الآن ولكنتُ صرتُ كالهباء الذي تذرّيه الريح ولكنتُ أمسيتُ مضمحلًّا من هذه الحياة لأنه منذ أن هجرتُ طريقك لم أرَ يومًا صالحًا بل إن اليوم الذي أقضيه في الخطايا رغم ظهوره صالحًا يكون مفعمًا بالمرارة.

إلّا أني أرجو منذ هذه اللحظة، إن قوّتني نعمتك، أن أهتمّ بخلاصي والآن أجثو لك وأتضرّع إليك، ساعدني أنا الذي ضللتُ بعيدًا عن طريق عدلكَ. أسكب عليّ رأفتك الغزيرة. كما سكبتها على الابن الضال. لأني خجلتُ من حياتي مبذّرًا غنى نعمتك (لو ١٥: ١٣). إرحمني وأظهر تسامحًا مع حياتي الرديئة، كما سامحتَ المرأة الخاطئة (لو ٧: ٤٨) والعشّار (لو ١٩: ٩) أشفق عليّ كاللص لأن ذاك عندما كان على الأرض ازدُري من الجميع لكنك قبلته وجعلته مساكنًا الفردوس النعيم (لو ٢٣: ٤٣) **إقبل توبتي أنا عبدك غير المستحق**. بما أني أنا أيضًا قد أُهملتُ مزدرىً من الجميع، فإنك يا ربّ لم تأتِ لتخلّص الصدّيقين بل لتدعو الخطأة إلى التوبة (متى ٩: ١٣، مر ١٢: ١٧، لو ٥: ٣٢).

صلِّ واعترفْ وطبّق لكي تستقم صلاتك متّجهةً نحو الله وستسمع : « أيّها الإنسان عظيم هو إيمانك ليكن كما تشاء » (متى ١٥:٢٨) . واني أصلّي إلى الله مرشد الضالين ومُنهض الواقعين أن يؤهّلنا لأن نعيش الحياة بلا دينونة ويرتّبنا عن يمينه (متى ٢٥:٣) هو الديّان العادل وبه يليق المجد والاكرام والسجود الآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين .

***

النصيحة الثالثة والأربعون

في أنه يجب ألَّا نحلف ولا أن نجدّف

قال ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح : « قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للربّ أقسامك . وأمّا أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتّة . لا بالسماء لأنها كرسيّ الله ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه . ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم . ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء . بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا . وما زاد على ذلك فهو من الشرّير » (**متى ٥:٣٣–٣٧**) .

فكيف إذًا نتجرْأ نحن على تعدّي وصايا خالقنا ؟ كما يقول ذاك : « أمّا سعة فمهم فتصل إلى السماء ورداءة كلامهم تشقّ الأرض » (مز ٧٢:٩) . ثم انك تتجرّأ على فتح فمك بلا تقوى مطلقًا كلماتك نحو السماء ، أي أحلافًا وتجاديفِ ؟ لا تخاف أنه من الممكن أن يحلّ في بيتك المِنجل الناري الذي رآه النبي (زك ٥:١–٤) إلى أن يفنيك عن وجه الأرض بما أنك تتجرأ على فتح فمك تجاه الله الضابط الكلّ الذي لا يتجرأ لا الملائكة ولا رؤساء الملائكة ولا

الشيروبيم أو السيرافيم على التحديق به ، بل تقف أمامه برعدة وخوف مرنّمة لاسمه المكرّم والمجيد والرهيب ؟ كما هو مكتوب :

« جسورون معجبون بأنفسهم لا يرتعبون أن يفتروا على ذوي الأمجاد حيث ملائكةٌ وهم أعظم قوّة وقدرة لا يقدّمون عليهم لدى الرب حكم افتراء . أمّا هؤلاء فكحيوانات غير ناطقة طبيعية مولودة للصيد والهلاك يفترون على ما يجهلون فسيهلكون في فسادهم » (٢ بطرس ٢:١٠-١٢) .

أمّا أنت وفيما أنت انسان ألا تعرف نفسك ؟ أم أنك تعتقد أن هذا الأمر يشكّل إنجازًا بطوليًا ؟ لا . هذا ما أقوله لك . ولكن على العكس من ذلك سينتهي بك الأمر هذا إلى الهلاك والضلال لأنك أيضًا تلوّث نفوس الآخرين بكونك صرتَ شريكًا في عمل الشيطان .

بالرغم من أن الرسول يقول : « معلّمون ومنذرون بعضكم بعضًا بمزامير وتسابيح وأغاني روحيّة بنعمة مترنّمين في قلوبكم للربّ » (كولسي ٣:١٦) . أمّا أنت بالمقابل فإنك تعلّم ما هو ضدّ هذا ، أي التجاديف والأقسام وتجعل من نفسك ومن كلّ من يماثل جهالتك أبناءً للهلاك لأن الفم الذي خلقه الله ليتمجّد هو به ، قد أفعمته أنت بأقوال مريرة .

توقّف إذًا أيّها الإنسان ، فقد يصير الكلام الذي تستخفّ به لهيبًا في فمك فيُحرق لسانك . إن كان انسانٌ في صراعٍ مع آخر ورآه عند حدوث السلام يخجل من المثول أمامه . كيف أنت الموجودُ الآن في العالم وغدًا أنت مزمع أن تحضر لدى منبر المسيح تتجرّأ على التفوّه بهذه الأقوال ولا تخاف من أن تنزل نارٌ من السماء وتُحرقك في اللحظة التي تفتح فيها فمك تجاه الضابط الكل ؟ ولا تخاف من أنه قد تنشقّ الأرض فجأة تحت قدميك وتبتلعك . لا تضحكْ على نفسك أيّها الإنسان ، لأنه من المستحيل أن تنجوَ من أيدي الله الذي جبلنا .

إسمع ذاك القائل: «الذين يجدّفون سوف يعطون حسابًا للذي هو على استعداد أن يدين الأحياء والأموات» (**١ بطرس ٤:٥**).

إلى متى نُسخط الله الذي منحنا هذه الخيرات الوفيرة، الذي خلق الإنسان عندما أخذ ترابًا من الأرض ونفخ فيه روح حياة (تك ٢:٧) وأخضع كلّ شيء تحت سلطانه (حز ٨:٧)؟ عندما ننام يحمينا، وعندما ننهض من النوم يسترنا، وعندما نجوع يطعمنا، وعندما نكون عراة يكسونا وعندما تصغر نفوسنا يشجّعنا مؤدّبًا ومترئفًا هو وابنه الوحيد ضحّى من أجل حياة العالم كلّه (يو ٣:١٦). أمّا نحن فنردّ على إحساناته مخرجين أشواكًا وتبنًا مصيرها النار (عب ٦:٨).

فتعالَ بالتالي إلى الإله المحبّ البشر السموح طالبًا حرّاسًا لفمك وبابًا حول شفتيك لتحصينها (مز ١٤٠:٣) لأنك ترى كيف أن النبي وهو ممتلئ خوفًا ورعدةً يصرّخ متوجّهًا إلى الله بصلاة نقيّة قائلًا: «يا ربّ إني سمعت صوتك ففزعتُ، ورأيت أعمالك فانذهلتُ» (حبق ٣:١-٢) وأيضًا «ترقّبت بانتباه وسقط قلبي من صوت الصلاة التي كانت تردّدها شفتاي وتغلغل الرعبُ في عظامي واضطربت قوتي في عمق كياني» (حبق ٣:١٦).

ولكن إن كنا نصرّ على الازدراء بالقاضي العادل، فلنسمع قولَ الرسول: «أوَ تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك في ذلك يوم الغضبَ واستعلانَ دينونة الله العادلة الذي سيجازي كلّ واحد حسب أعماله» (**رو ٢:٤-٦**).

لهذا يقول في موضع آخر: «إن أخطأ إنسان إلى إنسان آخر يمكن للإخوة أن يصلّوا من أجله إلى الربّ، أمّا إن أخطأ إلى الربّ فمن ذا الذي يستطيع أن يصلّي من أجله؟» (١ مل ٢:٢٥).

إذًا دعونا نتوب أيها الاخوة. إلى متى نبقى عديمي الإرضاء لدى خالقنا؟

إذا فقدنا الميناء فأين نتخلص في أوان الزوبعة والعاصفة البحريّة؟ إذا أسخطنا الربّ إلى من نلجأ في ساعة الضيق والعسر؟ أمّا أنا أيها الإخوة فقد كتبتُ لكم هذه الأمور لأني قد أبديتُ الحقيقة ونصحتكم كأخ. فإنه لو لم يساعدني الربّ لكانت نفسي قد مضت إلى الجحيم (مز ٩٣:١٧). لهذا أتضرّع إليكم أنا الأكثر شقاء بين البشر، أن تطلبوا من أجلي إلى الربّ أن تُمحى خطاياي الكثيرة قبل انقضاء حياتي، لئلا أخجل خائبًا في آمالي وأن يدير نظرته إليّ في ساعة الموت وفقًا لتحنّنه العظيم وأن يقود نفسي الخاطئة بملائكة أمناء منيرين مع نفوسكم أنتم إلى نياح الصدّيقين.

حقًّا، كم تظنون من الرعب والهلع ما تعاني منه النفس في تلك الساعة؟ لأنه إن كان ذاك الذي يغادر إلى بلدة بعيدة، يقف ويتعجّب عندما ينظر شعبًا غريبًا وموضعًا أعجمي اللسان، لم يسبق له أن رآه. في أي رعب إذًا تظنون النفس كائنة عندما تنتقل من هذا العالم إلى المستقبل، ناظرةً حينها ما لم يسبق لها أن رأتْ؟

لهذا أيها الأحبّاء لنهتمنّ بما هناك من كلّ نفسنا وقلبنا، ولنخدم الله بكلّ قوّتنا ولنحفظ وصاياه بكل قدرتنا، دعونا نحبّ اسم الله المرهوب والفائق الكرامة وقريبنا كنفسنا (متى ٢٢:٣٧) لكي نستحق أن نسمع صوته المبارك:

«تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم» (متى ٢٥:٣٤).

تبارك الله الذي يفعمنا بركةً من لدنه لأن رحمته تدوم إلى جميع الدهور. آمين.

* * *

النصيحة الرابعة والأربعون

موجّهة إلى أخ قيل له من الأفضل للمرء أن يتزوّج من أن يتحرّق من الشهوة (١ كور ٧:٩)

إسمع الرسول القائل:

«لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا. لكن كلّ واحد له موهبته الخاصّة من الله. الواحد هكذا والآخر هكذا» (١ كور ٧:٧).

إذًا يقوم الرسول بتمييز بين العلمانيين والنسّاك الراحلين قائلًا: «كل واحد له موهبة خاصة من الله . . .» لا يمنع العلمانيين أن يتزوّجوا قانونيًا ولا يصدّ النسّاك المتوحّدين عن الإمساك كونه يقول: «الواحد هكذا والآخر هكذا» يسمح بالزواج للعلمانيين قائلًا: «ولكن لسبب الزنى ليكن لكلّ واحد امرأته» (١ كور ٧:٢) وأيضًا: «ليكن الزواج مكرّمًا من الجميع. أمّا العاهرون والزناة فسيدينهم الله» (عب ١٣:٤) ثم يشير على النسّاك بالإمساك:

«وكلّ من يجاهد يضبط نفسه في كلّ شيء» (١ كور ٥:٢٩).

حسنًا لقد أبرز الكلامُ جهادين كما قلنا سابقًا. لذلك أنت أيها الراهب اعرف وانظر إلى أي فريق أنت منضمّ وما هو الاسكيم الذي لبسته وما هي الوعود والتعهّدات التي أتممتها مع الله. أطلب الحساب انسجامًا معها كما قال المخلّص: «من كلامك سأدينك» (لو ١٩:٢٢).

إذًا كمَا قلنا سابقًا، سمح الله للعلمانيين بالزواج قانونيًا وأشار على النسّاك بالإمساك. لأنه إن كان كلام الرسول متوجّهًا إلى الجميع بالنصح بأنه «من

المفضّل أن يتزوّجوا من أن يتحرّقوا من الشهوة » (١ كور ٧: ٩) لمّا مارس أحد فضيلة الإمساك لا إيليّا التسبيتي ولا أليشع ولا يوحنا ولا كلّ الذين خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السموات (متى ١٩: ١٢) وحفظوا جسدهم عفيفًا من أجل الربّ . ولكن حتى الرسول بنفسه ما كان ليحفظَ الإمساك لو لم يكن نظره مشدودًا إلى المجازاة . لا يليق بنا أن نظهر قائلين كما يتعلّل البعض : « أولئك كانوا أبرارًا أمّا نحن فخطأة » . هم صاروا أبرارًا لأنهم عاشوا حياتهم ببرّ وقداسة . إذًا هل كان الأبرار عديمي الأجساد أي لم يكونوا مرتدين جسدًا ؟ إسمع الرسول يقول :

« لأننا إن كنا نسلك في الجسد لسنا حسب الجسد نحارب » (٢ كور ١٠: ٣) إذًا من الواضح أنه كان لديهم حربٌ طالما كانوا يملكون جسدًا . لكنهم كانوا يواجهون محاربين بشجاعة . لذلك يقول الرسول أيضًا : « بل أقمع جسدي واستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضًا » (١ كور ٩: ٢٧) وأيضًا « كونوا متمثّلين بي كما أنا أيضًا بالمسيح » (١ كور ١١: ١) .

فلننتبه إذًا أيها الإخوة الأحبّاء ، لئلا فيما نحن نطلب إتمام شهوتنا نرمي العلّة والمبرر على الأمر الرسولي . بما أننا لا نفقه معنى الكلام كما يجب لأنه مكتوب « النفوس الخبيثة تتوه في الخطايا » (أمثال ١٣: ٩) وأيضًا « يُنصب فخّ كبير للانسان المخطئ بتواتر بينما يكون البار دائمًا في وسط الفرح والسرور » (أمثال ٢٩: ٦) .

سمعتَ أنه من الأفضل أن يتزوّج الإنسان من أن يتحرّق من الشهوة (١ كور ٧: ٩) إلّا أنك لم تسمع ذاك الذي يُضيف قائلًا : « الوقت منذ الآن مقصّر لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم . والذين يبكون كأنهم لا يبكون والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون والذين يشترون كأنهم لا يملكون . والذين

يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه . لأن هيئة هذا العالم تزول » (١ كور ٧:٢٩-٣١) .

لهذا أيّها الراهب لا تتنكّر لموهبة النعمة . لا تعصَ من يقول لك بواسطة الرسول « لا تهمل الموهبة التي فيك ، التي أُعطيت لك بموجب الإعلان النبوي وبوضع أيدي الشيوخ (١ تيمو ٤:١٤) لئلا « تجعل من نفسك متعدّيًا بانيًا ثانية ما قد هدمتَ » (غلا ٢:١٨) بل على العكس أتمم نذرك للرب لأنه مكتوب : « من الأفضل ألَّا تتعهّد بنذرٍ من أن تنذر ثم لا توفي بما قد نذرتَ » (جا ٥:٤) .

جاهد إذًا في أن تسلك طريقك كما يجب ليكون لك دالة أن تقول مع الرسول :

« جاهدتُ الجهاد الحسن أكملت السعيَ حفظتُ الإيمان . وأخيرًا قد وُضع لي إكليل البرّ الذي يهبه لي في ذلك اليوم الربّ الديّان العادل وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبّون ظهوره أيضًا » (٢ تيمو ٤:٧-٨) آمين .

* * *

النصيحة الخامسة والأربعون

في مخافة الله

انتبه لنفسك أيّها الحبيب لئلَّا تضيّع وقتك في التهاون والطيش من أجل الربّ ، دعونا ننتبه لما يُقال . هل غرستَ لنفسك كرمة ؟ ضع إذًا سورًا حولها . هل اقتنيت بستانًا ؟ احفظ ثماره بحرص لكي تسرّ في شيخوختك ، ولا تدع خنازيرك تدخل على أتعابك لئلا تفسدها ، لأنه ما الفائدة أيها الاخوة ان كنّا

اليوم نتنسّك في هدوء في قلّايتنا وفي الغد نوجد في المدينة وفي القرى قائمين بأعمال لا تُرضي الله ؟ ما الفائدة أيها الاخوة ان كنا نبني في يوم ونهدم في يومين ؟ إن كنا نعمل بهذه الطريقة فكيف ينتهي العمل ؟ أية شركة بيننا وبين العالم ؟ أية شركة لنا نحن الذين نموت عن العالم ، مع اهتمامات هذه الحياة ؟ هل اهتمامنا محصور في الطعام ؟ تكفي أيدينا لخدمة الجسد ، بمعونة الربّ لنا لأن الرسول يقول :

« لا أحد من الذين يخدمون في الجيش يتورّط منشغلًا بالمتطلّبات المعيشية ليرضي ذاك الذي جنّده » (٢ تيمو ٢ :٤) . وأيضًا « إننا نعمل ليلًا نهارًا لئلا نثقل على أحد » (١ تسا ٢ :٩) .

أية شركة لنا أيها الراهب مع الطريق المؤدّي إلى القرى ؟ لأنه وإن كنّا جالسين في قلّايتنا بهدوء ، لا نستطيع أن نواجه أفكار الأهواء بشجاعة في ظلال الأشياء ، فكيف سنكون أكثر تحصينًا إن تركنا نفوسنا عرضة لسلب أعدائنا ونهبهم ؟ إلّا أنك تريد أن تقول على الأغلب أنه بأمر من الرؤساء وبسبب الضرورة ، نقترب من القرية . إن كنتَ تقوم بهذا بأمرٍ ومن أجل الطاعة فأنت عديم اللوم ، طالما أنك تنفّذ ما أُمرت به بخوف الله . إلّا أنّه يوجد بعض من الذين بحجّة الطاعة وتبريرها ، يريدون أن يُرضوا رغبتهم الذاتيّة أيضًا بما يتوافق مع الإنسان العتيق .

انتبه إذًا كحكيم لئلّا تجيء بحطام من الفخّار والطين بدلًا من الجواهر واللآلئ ، وبدلًا من الطاعة تفعل المعصية . لأنه بماذا استفاد أولئك الذين ذهبوا مع يشوع بن نون ومع كالب لكي يستطلعوا أرض الميعاد ؟ فانهم بعلة الطاعة قاموا بالمعصية بعدم حفظهم للحقيقة وبابتعادهم عن الرب وبتحويل قلوب أبناء اسرائيل مبعدين إياها عن الرب (عد ١٣ :٢٨-٣٤) .

أمّا أنت إذًا ، عندما تُرسَل في خدمة ، فعليك أن تتصرّف بخوف الله

بشعورك أن الله يرى أعمالك كلّ حين. إن ذهبتَ لتخدم المؤمنين واستخففت بالأمر عاملًا ما يعاكس فإنك تستخف بالله وتبذّر مرضيًا شهواتك الخاصة ولا تكون قد قمت بالطاعة بل بالمعصية.

أريد أن تعرف بشكل خاص أنه كما يمجّدون الله بسببك هؤلاء الذين يرونك تتنسّك هادئًا في الدير وتخدم السيّد المسيح، هكذا سيتعثّر بسببك أولئك الذين يرونك تعمل في المدينة والقرية ما لا يُرضي الله. وأية مكافأة ستكون لك إن أردتَ تجريحَ ضميرِ اخوتك البشر؟ ولكن ان قبلتَ نصيحتي بأن تخاف الربّ وتتنسّك في هدوء فسيتمجّد الربّ بسببك وستكون لديك القدرة على اقتناء كلّ فضيلة.

إلّا أنه في مرّات عديدة يشور عليك العدوّ قائلًا: «طالما أنك ما تزال شابًا تمتّع بشهواتك، لأنه كم تعتقد عدد الذين تمتّعوا بملذّات هذا العالم لكنهم في الوقت نفسه لم يُحرموا من الخيرات السماويّة؟ وأنت ما تزال شابًا كل واشرب وتمتّع بملذّات العالم، وفي شيخوختك يمكن أن تتوب. لماذا تريد أن تُشقي جسدك منذ حداثة شبابك؟ انتبه ألّا تقع في مرض...»

عليك أن تجيب الشيطان الذي يوسوس لك هذه الأمور: «إن لاقاني الموت في سنّ الشباب ولم أستطع الوصولَ إلى الشيخوخة، بماذا أجيب أمام عرش المسيح؟ نرى كثيرين يموتون في سنّ الشباب، ونرى شيوخًا يعيشون سنين عديدة، لأن أعمال الربّ لا تفسّر دائمًا. كيف تتجرّأ على أن تخدعني قائلًا أن في شيخوختك ستتوب؟ هل أستطيع أن أقول للقاضي انه «عندما كنت شابًا لاقاني الموت أمّا الآن فاتركني لأتوب»؟ بالطبع سيقول لك: «لقد أعطيتك سنوات عديدة ورغم خطئك مرّات عديدة، كنت أبدي طول أناة عليك ولم أُمتك بل أعطيتك سنوات وفرصًا لكي تتوب، إلّا أنك بذّرت كلّ ذلك في الخطايا واللذات بدل التوبة».

إذًا إعلم جيّدًا أيها الأخ أنك إن ازدريتَ بخوف الله وتركتَ نفسك في الخطيئة ، فإنك ستُحاسب ، لأن **من يسلّم جسده إلى اللذّة ، لن يحزن فقط في الحياة المستقبلة بل وفي الحياة الحاضرة** . إن لم يتبْ بسرعة ، سيماثل خرقةً مرميّةً استعملها الجميع وفي النهاية مقتوها وداسوها . إلّا أنك إن نقّيت نفسك من كلّ هذه الأمور وأردتَ أن تُرضي المسيح حافظًا طهارة جسدك بمخافة الله ، ممّا يشكّل دعامةً لكل الفضائل ، تصير مماثلًا لبرفيرة ملوكيّة وستنير كنجم ساطع في وسط الأخويّة ، وهؤلاء الذين هجموا عليك سيُجبرهم الرب على التراجع لأن خوف الله الذي أحببته ، سيكون لك سورًا وستنال حظوة من قبل الله والناس . كن صاحيًا إذًا وانتبه لنفسك ، واضعًا هذه الريبة أمام عينيك وهي أن العدوّ لا ينسى أن يقتنص حتى من داخل الأقفال والترابيس النفوسَ العائشة بالتهاون .

ولكن قد يقول أحد الجهلاء أيضًا : « إني لستُ قادرًا أن أواجه أحدًا إلّا أنّي بالعكس أنجرّ في الحال وراء الهوى » . لا تفتخر من أجل هذا لأنه ليس علامة تقوى بل علامة رخاوة وجهالة . تقول حكمة سيراخ : « لا تتأثّر من وجه من الوجوه وتُخطئ محمّلًا نفسك عبئًا ولا تخجل أمام الناس وتسقط في زلّة » (سيراخ ٤:٢٢) . ترى ألا تشعر بالسارق الذي يثقب جدار بيتك ؟ هل تحتمل أن تبقى مستلقيًا وهو يسرقك ؟ ألا تنهض وتطرد السارق بعيدًا ؟ هكذا بالتالي كيف لا تهتمّ بطهارة جسدك ؟ وبالعكس تهجر هيكل الله تاركًا إياه للتدنيس ؟ نحن نرى كيف يمجّد الرب أولئك الذين يخدُمونه منذ شبابهم وحتى الشيخوخة . لأن النبي أرميا يقول : « تذكّرت رأفة شبابك ومحبّة سنّ بلوغك حتى انك تبعت آثار اسرائيل القدّوس » (أر ٢:٢) .

أمّا ذاك الذي تبع فكر الضلال منذ شبابه حتى الشيخوخة فقد وبّخه النبي قائلًا : « أيها الإنسان يا من شِختَ في أيام شريرة . الآن تلاقيك خطاياك التي قمتَ بها سالفًا » (سوسن ٥٢) .

لهذا فإن الروح القدس يطوّب أولئك الذين يتّخذون على عاتقهم نير المسيح قائلين : « حسنٌ للانسان أن يحمل النير منذ شبابه » (مرا ٣:٢٧) . فلنصحَ إذًا يا أحبّاء ، فقد تغدو طول أناة الله إدانةً لنا ، طالما أننا لا نريد أن نتوب بل في كل يوم نضيف إلى زلاتنا زلّات أخرى ، من يفكّر إذًا بيوم الدينونة ولا يرتعد ؟

فلنفهم إذًا ما قيل أيها الأحبّاء . عندما يأتي أوان الحصاد والحرّ ، سوف يقول أحدهم « ما يزال شهران آخران وتمضي أيام الحرّ » . ماذا نفعل إذًا أيّها الأحبّاء إن حُكم علينا أن نكون في النار الأبديّة ؟ وعندما يأتي الشتاء يقول أحدهم « ما زال شهران أو ثلاثة ويمضي خطر الصقيع » . لكن ماذا نفعل أيها الاخوة إن حُكم علينا بأن نبقى بعد موتنا في أعماق الأرض السحيقة ؟ ثم إن حدث ومرض أحدهم وغادره النوم في الليل ، يحوّل نظره باستمرار إلى نافذة البيت متشوّقًا لرؤية بزوغ الفجر . لكن ماذا نفعل أيها الاخوة إن حُكم علينا بأن نكون في الظلمة الخارجيّة حيث البكاء وصرير الأسنان (متى ٢٢:١٣) وحيث لا أمل لنا برؤية النور إلى الدهور التي لا نهاية لها ؟

بشكل خاص يعدّ المنفيّ الأيّام والليالي والسنوات منتظرًا انقضاء العقاب . أمّا أولئك الذين أُدينوا في الحياة المستقبلة فلا يستطيعون أن يعدّوا لا أيامًا ولا ليالي ولا شهورًا ولا أوقاتًا لأن الدهور غير محدودة ولا نهاية لها . أمّا أولئك الذين يلبسون الآن ثوب الحِداد وينوحون فسيُعزّون في ذلك الحين (متى ٥:٤) « أمّا النفس التي تعيش وسط الإسراف ، فقد ماتت وان كانت ما تزال عائشة » (١ تيمو ٥:٦) كما يقول الرسول . وكذلك يقول المخلّص « الويل للضاحكين الآن ، لأنهم سيبكون » (لو ٦:٢٥) .

فلنصحَ إذًا يا أحبّاء منذ هذه الحياة ، ولنلبس منذ الآن ثوب الحِداد لكي نتعزّى فيما بعد . فلنتنسّك بهدوء مع تواضع في قلالينا ، لكي ينظر الرب إلى تواضعنا وتعبنا ويصفح لنا عن جميع خطايانا (مز ٢٤:١٨) لأنه مكتوب « لأن

الرب ذكرنا في مذلّتنا » (مز ١٣٥: ٢٣) وأيضًا « كما يتحنن الأب على أبنائه هكذا يتحنن الربّ على الذين يتّقونه » (مز ١٠٢: ١٣) . فيا ليت الربّ يؤهّلنا أن نحيا حياةً بلا عيب لأنه به يليق المجد إلى الدهور . آمين .

* * *

النصيحة السادسة والأربعون

عن المحبّة

أيها الحبيب ، إن استحققتَ أن تنال موهبة المعرفة والتمييز أو موهبة الأشفية انتبه ألّا تندفع مشجّعًا من الموهبة فتصير عادمَ الثمر . لئلا تقول « إرحم » وتسمع مع الذين عن اليسار ، عندما يفصل الملكُ الأبرار عن الخطأة (متى ٢٥: ٣٢) « إني لا أعرفكم » (متى ٢٥: ١٢) لأنه مكتوب « لن يدخل ملكوت السماوات كلّ من يقول لي : يا ربّ يا ربّ ، بل من يعمل مشيئة أبي السماوي ، لأن كثيرين سيقولون لي في ذلك اليوم : يا ربّ يا ربّ ألم نتنبأ باسمك ؟ وألم نخرج شياطين باسمك ؟ وألم نصنع قوّات باسمك ؟ حينها سأقول لهم : إني لم أعرفكم أبدًا . أبعدوا عني يا صانعي الإثم » (متى ٧: ٢١-٢٣) .

لأي سبب إذًا ؟ لأنهم لم يصونوا المحبّة كما هو مكتوب « إن الذي لا يحبّ أخاه الذي يراه ، كيف يستطيع أن يحبّ الله الذي لا يراه ؟ » (١ يو ٤: ٢٠) لأنه مكتوب أيضًا « ذاك العبد الذي عرف مشيئة سيّده ولم يعمل بها سيُعاقب كثيرًا ، أمّا الذي لم يعرفها وقام بأعمال تستحق العقاب فسيُعاقب قليلًا » (لو ١٢: ٤٧-٤٨) ويقول الرسول : « وأنا سأريكم طريقًا أسمى ، إن كنت أنطق بألسنة الناس والملائكة وليست فيّ المحبّة فقد صرت وعاءً نحاسيًّا يطنّ أو صنجًا

يرنّ ، وإن كانت لي موهبة النبوءة وأعرف كلّ الأسرار وكلّ المعرفة وكان لي كلّ الإيمان حتى أنقل جبالًا ، وليست فيّ المحبّة فلستُ بشيء وإن وزعتُ كلّ مالي على الفقراء وإن أسلمتُ جسدي لأن يُحرق ولم تكن فيّ المحبّة فلن يفيدني هذا شيئًا بالكلّية . المحبة هي طول أناة ، ممتلئة صلاحًا ، المحبّة لا تحسد ولا تفتخر ولا ترهب ولا تطلب بأنانية ما يناسبها . لا تحسب المساوئ التي فُعلت بها ، ولا نفرح بالظلم الصائر ، بل تفرح بالحق ، تستر كل شيء ، تصدّق كلّ شيء ، ترجو كلّ شيء ، تحتمل كلّ شيء المحبة لن تسقط أبدًا » (١ كور ١٢:٣١، ١٣:١-٨) .

ها انك أيها الحبيب قد سمعتَ ما تعني المحبة ، هذه اقتنِها لنفسك في جميع أعمالك ، بقدر ما تساق من النعمة حتى تنال المدح من الله . إلّا أني أرجوكم أن تتذكّروني في صلواتكم أنا غير المستحق ، لئلا تصير أقوالي عبثًا عند مجيء ربّنا يسوع المسيح لأن ضميري لا يؤنّبني لكن الدينونة تخيفني والنار التي ستلتهم كلّ المخاصمين (عب ١٠:٢٧) .

ولكن ليؤهّلني الرب أنا غير المستحق معكم أنتم المختارين لأن أدخل إلى ملكوته من أجل تحننه وليمنح الربّ محبّته لقلوب جميعكم لأنه به يليق المجد إلى دهر الدهور . آمين .

***

النصيحة السابعة والأربعون

إلى إفلوجيوس

أيها الأخ إني أكتب إليك بكل اهتمام عمّا أشرتَ به اليّ أعني الحديث عن ثمر التوبة .

إنها بداية حسنة أن يخاف المرءُ الربّ ، فالنفس التي تحبّ المسيح ستقتني شيخوخة صالحة مكرّمة ، إن الذي ينتبه إلى نفسه ، يخلص أينما كان ، أمّا الذي يحبّ اللقاءات مع العلمانيين ، ولم يُبغض العالمَ بعدُ ، لأنه كما أن الذي ينفخ في النار يصعّد اللهيب ، هكذا أيضًا تصعّد المعاشرات العالميّة الأهواء في قلب الراهب . ليت الذين يقابلونك لا يضرّون بنفسك أيها الأخ . إن الذي يحبّ أن يتبادل أطراف الحديث مع النساء ، يثير عليه شيطان الزنى . عندما يسمع ذووك عنك أقوالًا صالحة ، سيفرحون أكثر من فرحهم بكونهم يشربون خمرًا ويسكرون . إن الذي يحبّ **السكر** سيتضرّر كثيرًا لأنه سيقول ويعمل ما لا يجب . فهو نفسه يخطف ثروته ويقدّمها لأعدائه ، كما يفعل الغريب . **فإن السكر قد أظلم فكره** .

صِرْ **تقيًا** اذًا ايها الأخ ، لأن **التقوى** تولّد حالة السلام ، وحالة السلام هذه تولّد **اللاهوى**(٤) . لتكن تقواك متلازمة مع فضيلة التواضع لكي تصبح بالتالي راهبًا حقيقيًا وليكن لك ايضًا نصيب في المحبّة والعفاف .

إعلم ايها الأخ أن الثرثرة تظلم الفكر والفكر المظلم يقود الى قلّة الحياء وقلّة

(٤) حالة اللاهوى هي الحالة التي يصل إليها الإنسان حيث تنضبط الأهواء ويُسيطَر عليها .

الحياء هي امّ الزنى ، أمّا الذي يحبّ **الصمتَ** فيبقى عديم الاضطراب ، بالإضافة الى كونه لا يغضب على قريبه . أمّا الضحك والدالة فيؤذيان المبتدئ كالسم ولا يفيدان الراهب بشيء . لان الربّ يغبّط الذين يبكون الآن ويحزنون (مت ٥ : ٤، لو ٦ : ٢١) . إن الشهرة ضررٌ للراهب . يجب عليك ان تصمت في وقت المائدة . **أحبب الصمتَ** ايها الحبيب ، لكي تستقرّ فيك التقوى . احفظ التقوى بشكل خاص لكي تحفظك من الزنى . إن الذي يجادل الرئيس الروحي (بيروندا) ويعمل المعصية ، لن يتأخر عن السقوط في النكبات .

أمّا الذي يطيع مشورة الاكبر منه ، فسيفرح مع الصدّيقين . الذي يتفاخر بقدرته يُبعد معونة الله عنه ، أمّا من يطلب أن يفتخر فليفتخر بالربّ (٢كو ١٠ : ١٧) .

الذي يحبّ التسلية واللهو ويُبغض الهدوء ، سيعاني أحزانًا كثيرة ، **أمّا الذي يهدأ**[٥] **فسيبتهج بالربّ**. الذي لا يحبّذ الوقوف في الخدمة (الصلاتية) بانضباط ، سيُحدث ضررًا كبير . أمّا الذي يقف بتقوى وصبر فإنّ الربّ سيستجيب له . الذي يثرثر اثناء الخدمة ، سينال دينونة مضاعفة : لأن يعيق من يتكلم معه عن الصلاة والترتيل ، لأنه بنفس الوقت يعثر الذين يقفون إلى جانبه . الذي يحبّ النسك سيصير اقوى أما الآخر فلن يستطيع أن يحتمل ويتعثر . لأن البطالة تعلّم عيوبًا كثيرة . (حك سي ٣٣ : ٢٨) ، أمّا الذي يحبّ الشغل ، فيبقى بلا أحزان . الذي يتفاخر بمؤهلاته العائلية (من غنى ومقام اجتماعي ومناصب) لن ينجح في نيل الاستحقاق ، لأن هذه الامور لا تنفعه في صفوف القتال (الروحي) .

أكرم الصغار والكبار ايها الاخ ، لكي يرفعك الربّ . « لأنّ من يواضع نفسه يرتفع » (لو ١٤ : ١١، ١٨ : ١٤) . أخفض راسك أمام الرئيس (الروحي) وأطع

(٥) يهدأ : بالمعنى الروحي العميق للكلمة . أن يكون الإنسان في انتباه وصلاة وخشوع .

متقدّمي الأخوية بالربّ . لأن **ثمر خوف الربّ هو التواضع** . الّا أن التواضع لا يظهر بكوننا نتواضع أمام من هم أكبر منّا ، بل أن نكرّم من هم أصغر منّا . فإنه مكتوب إني سأمجّد الذين يمجّدونني . أمّا الذين يزدرون بي فسأزدري بهم » (١ مل ٢ : ٣٠) . أمّا نحن فلنمجّد الربَّ لكي يمجّدنا نحن أيضًا مع جميع قدّيسيه . لكن بأية طريقة سنمجده ؟ بأن نحفظ وصاياه ، لأنه مكتوب « ملكوت الله ليس بالكلام بل بالفعل » (١ كور ٤ : ٢٠) وايضًا « ليس كل من يقول لي : يا ربّ ، يا ربّ ، يدخل ملكوت السموات ، لكن الذي يصنع مشيئة أبي الذي في السموات » **(متى ٧ : ٢١)** .

أيها الأخ ، قبل كل شيء ، أحبب الربّ بالحق ، وعندما يثير خوف الربّ عيني فكرك ، **أحبب التواضع** بشكل خاص . لان التواضع المنسجم مع مشيئة الله ، هو سور لا يقتحمه العدوّ . وصخرة تردّ الضربات وتسحق أدوات الشيطان الحربية ، وحِمَمَهُ الملتهبة . ان اتخذت القرار في أن تصبر من أجل الربّ ، على الاهانات والعقوبات والتعيير ، فتصبح مقاتلًا مقدامًا متسلّحًا دائمًا في وجه الخصوم . حينها عندما يرى الأعداء استعدادك ورغبتك الكبيرة يسقطون بحضورك إلّا انك ان أردتَ أن تعدو من دون أن تتعب بالكليّة فما الفائدة من هذا ؟

احفظ عفّة جسدك . المحبة هي أمّ الفضائل . إلّا ان العفة مصباح ودعامة . الهدوء هو منيرها بينما خوف الربّ هو سورها . لنحفظ أيها الأخوة عفة وطهارة جسدنا بمحبّة الله لكي يحصينا الربّ مع ملائكته القدّيسين . فالروح القدس يفرح بمن يحبّ العفة ويمنحه الصبر .

يتمّ اقتناء الطهارة عن طريق الامساك والوداعة والهدوء ربطًا بالمحبّة . لهذا علينا أن نتجنّب كل أخ يتصرّف بلا يقظة وانتباه (٢ تس ٣ : ٦) لئلا نُعطي الناظرين دافعًا للاشتباه والشك . لأن الرسول يقول : « اجتهدوا أن تعملوا كل ما

هو مرضيّ أمام الربّ والبشر (رو ١٢:١٧) . أمّا إن كان أحد يحبّ الخصام فليس لنا نحن عادةٌ مثل هذه ولا لكنائس الله » (١ كور ١١:١٦). اسمع الرسول أيضًا حيث يقول : « إنك تصلّي حسنًا بشكران إلّا أن الآخر لا يُبنى » (١ كور ١٤:١٧) فإنه لأي علّة يقول « تُدان حرّيتي من ضمير الآخر » ؟ (١ كور ١٠:٢٩) . لذا حسنٌ أن نتقبّل مشورة الناس الذين يخافون الربّ وأن لا نعمل ما يطيب لنا (رو ١٥:١) اتفاقًا مع ما يقوله الرسول :

« ليهتم كل منكم كيف يرضي قريبه لكي يبنيه » ٠رو ١٥:٢) . وأيضًا « لكي يخجل العدوّ ويصمت عن اقواله الشريرة » (تيط ٢:٨) لأن الربّ الممجّد قال : « هكذا ليُضِئ نوركم قدّام الناس ، ليروا أعمالكم الصالحة ويمجّدوا أباكم الذي في السموات » (متى ٥:١٦) .

لا نخسرنّ عفّتنا بداعي تقديم مساعدة ما ، لأن العدوّ معتاد على فعل الشر عن طريق الخير . الذي يرتكب الخطيئة ويظن انه يخفي خطيئته ، هذا يضحك على نفسه لأنه هل يوجد شيء خفي لن يُكشف ؟ (مت ١٠:٢٦) . إن حرّضك العدوّ على شهوة جسدية قل له : « **لن أُحزن ابدًا روحَ الله القدّوس** الذي به خُتمت ليوم الفداء » (**أف ٤ : ٣٠**) . لأنه يكفيني الوقت الذي عبر فإنه مكتوب :

« كل خطيئة أخرى يرتكبها الإنسان هي خارج جسده ، أمّا الذي يزني ، فهو يُخطئ الى جسده الخاص » (١ كور ٦:١٨) .

فيما يتعلّق بالحرب العقلية قد تعلّمت بعض الأمور . سأل احد الاخوة أخًا آخر قائلًا : « إنّ الأفكار الدنسة تزعجني » فأجابه ذاك « إن الشيوخ القدّيسين سمحوا للبعض أن يتركوا الأفكار تدخل إليهم لكي يحاربوها في حينه . أمّا للضعفاء فقد أوصوا بأن لا ينشغلوا بالكليّة بالأفكار ، لئلا يقيم الفكر معها وقتًا طويلًا فينتج هوى من الصعب معالجته » . ثم سأل الأخ « وماذا يعني أن يتركوا الافكار تدخل اليهم لكي يحاربوها عند ذلك ؟ » فقال : « اسمع عندما يجلب

العدوّ تذكارًا رديئًا وافكارًا دنسة كأن يُظهر في الحال امرأة ما جميلة أو ما شابه ذلك من أمور تخدعنا وتلوّثنا . فحالما يرى المحارب عقليًا هذه الأمور لا يضطرب إطلاقًا من الأفكار ، بل يقف بشجاعة قبالتها محاربًا إياها بإصرار يسمح لها بالدخول ويحبس عليها في الداخل . وعندما تصبح هذه الأفكار في الداخل مع الوسيلة التي يحاربون بها أيضًا يقول لها « ها هي التي كانت تقف بجانبكم ، التي تزعجونني بسببها كل يوم وأيضًا تجلبون خيالها الى فكري وتجعلون نفسي تضطرب ، أريد أن أعرف اذًا بالضبط ما هي فائدتها ؟ » . ويأمر عقليًا إن يُحضروا له سكّينًا فيتناولها ويفتح بطنها عقليًا قائلًا : « اريد أن أعرف يا ترى ماذا أستطيع أن أجد في هذا البطن ، حُسْنًا أم عفونةً ؟ » وبعدما يفتح بطنها يجد فيه ما يعرفه الجميع ، فتظهر بشاعة الشهوة بطريقة ما وعندما ترى أفكار العدوّ الهزيمة التي لحقت بها تضطرب خوفًا وتُحدث جلبةً وتشويشًا كمن يثير الغبار ، في فكر الاخ من أجل ان تُبطل جهاده في تلك اللحظة ، لأنها تخاف أن يظهر عارها وخزيها . أمّا خصمها المحارب ضدها فيقول : « لماذا تريدون أن تقدّموا لي أمورًا أخرى متنوّعة ؟ إني لن أسمح لكم أن تخرجوا حتى أتفحّص بكل تدقيق ما يتعلّق بالوضع القائم إن كان ما قد رغّبتموني به يستحقّ بالفعل أن أحبّه » . حينها يغلق الاخ على الجثة في الغرفة الداخلية لثلاثة أو اربعة أيام . وبعد ذلك يفتح الباب طالبًا أن يرى الغرفة . وقبل ان يدخل تصادفه تلك الرائحة الكريهة . فيكمّ فمه وأنفه معًا بيده . مظهرًا للافكار الرديئة ولفاعليّ الاثم بالتلميحات ما آلت إليه الحالة . ويقول لهم فيما بعد : « ماذا تجيبون في هذا الشأن ؟ » حينها يتبدّدون كالدخان مفعمين خزيًا ، وهكذا **ينتصر الاخ على الأهواء بمعونة النعمة الإلهية** . ويوجّه الشكران للربّ قائلًا : أشكرك يا ربّي والهي لأنك لم تسلّمني الى أيدي أعدائي ، بل خلّصتني من مكيدتهم التي ارادوا أن يوقعوني بها (مز ٩٠:٣) . ونعمتك يا ربّ انارتني حتى أفهم هذه الأمور ، لأنني لم أنجُ من فخّهم بواسطة حكمتي الخاصة » .

أيها الاخوة ليكن خوف الربّ دائمًا أمام أعيننا لكي يسترنا فإنه من دون ستر الله ، لا يساوي الانسان شيئًا . حقًا ان خبث أعدائنا لعظيم . إلّا أن معونة الله أعظم وهي تحمي الانسان من جميع الجهات . لكن لا يُسمح لنا برؤيتها بأعيننا . فدعونا نحبّ الربّ من كل قدرتنا لأنه يساعدنا ويخلّصنا ، كذلك قريبنا كأنفسنا (مت ٢٢:٣٧-٣٩) . **ضعْ في فكرك دائمًا يومَ موتك** ايها الاخ الحبيب ؟ حينما ستستلقي على بساطك منازعًا ولاقطًا أنفاسك الأخيرة . الويل الويل ايها الاخ الحبيب أية رعدة وخوف تستولي على النفس في تلك الساعة . إن كانت قد عملت أمرًا صالحًا في هذه الحياة التي عاشت فيها عابرةً ، إن كانت صبرت من أجل الرب على الضيق والشتم وعملت ما يرضي أمامه ، فتصعد الى السماء بفرح كبير يقودها الملائكة القدّيسون مثل عامل يتعب ويشتغل طول النهار منتظرًا الساعة الثانية عشرة لكي ينال فيما بعد الراحة وأجرته ويتنيّح . هكذا نفوس الصدّيقين تترقب ذلك اليوم . أمّا نفوس الخطأة فيتسلّط عليها الخوف والرهبة ، كأحد المحكوم عليهم الذي ألقت الشرطة القبض عليه واقتادته الى التعذيبات . هكذا ترتجف نفوس الظالمين في تلك الساعة حيث كل انتباههم مشدود الى التعذيب اللامتناهي للظلمة الأبدية . وإن قال أحد « دعوني اذهب الى ذلك العالم لكي أتوب » فلن يوجد من يطلقه حرًا لأن واحدًا مثل هذا يسمع : عندما كان لديك وقت كاف لم تتب ، والآن تأتي طالبًا التوبة ؟ عندما كان الميدان مفتوحًا للجميع لم تكن تجاهد . الآن تطلب الجهاد حيث الابواب كلّها قد أُغلقت ووقت الجهاد قد مضى ؟ ألم تسمع القائل « **كونوا صاحين لأنكم لا تعرفون ذلك اليوم ولا تلك الساعة** » (متى ٢٥:١٣) ؟»

طالما أنك تعلم هذه الأمور قبل حدوثها أيها الاخ الحبيب ؟ فدعونا نتوب بقدر ما لدينا من وقت لكي ينجّينا الربّ من الغضب الآتي على العصاة من البشر (اف ٥:٦) ولكي يؤهلنا أن نكون في نصيب القدّيسين . صلِّ لي أنا ايضًا الخاطئ لأني أقول ولا أعمل . انه مكتوب : « اعترفوا بخطاياكم ، الواحد

للآخر، وليصلّ كل واحد للآخر لكي تشفوا» (يع ٥:١٦) ولاسم ربنا يسوع المسيح يليق المجد الى الدهور. آمين.

* * *

النصيحة الثامنة والأربعون

لراهب متهاون يقول: سأترك الحياة الرهبانية وأرجع الى العالم.

قال ربّ المجد ادخلوا من الباب الضيّق، لأنه واسع ورحبٌ الطريق المؤدّي الى الهلاك وكثيرون الذين يسلكون فيه. أمّا الطريق المؤدية الى الحياة الأبدية فهي ضيّقة وعسرة وقليلون الذين يجدونها» (مت ٧:١٣-١٤) فمن وجد طريق الحياة ليخبرنا عنها؟ إنهم القدّيسون. إليها أسرع الإناء المختار بولس (أع ٩:١٥) وبعدما أنهى الطريق نال الإكليل. لذلك يخبرنا عن طريقها قائلًا:

« بل في كلّ شيء نُظهر أنفسنا كخدّام الله في صبر كثير في شدائد في ضرورات في ضيقات في ضربات في سجون في اضطرابات في أتعاب في أسهار في أصوام في طهارة في علم في أناة في لطف في الروح القدس في محبة بلا رياء في كلام الحق في قوّة الله بسلاح البرّ لليمين ولليسار. بمجد وهوان، بصيت رديء وبصيت حسن، كمضلّين ونحن صادقون، كمجهولين ونحن معرفون، كمائتين وها نحن أحياء، كمؤدّبين ونحن غير مقتولين، **كحزانى ونحن دائمًا فرحون، كفقراء ونحن نغني كثيرين،** كأن لا شيء لنا ونحن نملك كلّ شيء» (٢ كور ٦:٤-١٠).

« ورجاؤنا من أجلكم ثابت عالمين أنكم كما أنتم شركاء في الآلام كذلك في التعزية أيضًا» (٢ كور ١:٧).

لذلك ونحن أيضًا أيها الاخوة علينا أن نسير في الطريق نفسها الى غايتها التي فيها تجنّدنا. هل أنت ناسك هادئ؟ فكّر بأولئك المحبوسين في السجون. إنهم ليس فقط مغلق عليهم بل وحول أعناقهم طوق حديدي وهم بخاصة مجعولون لضرب العصيّ. هل أنت ناسك في البرّية؟ فكّر برعاة الأغنام كم يعانون من المخاطر في البراري والجبال. انهم يرتجفون من البرد في الشتاء. أمّا في موسم الحصاد في الصيف فهم يحترقون من أشعة الشمس. هل أنت راهب في شركة؟ تذكّر ما هو مكتوب «إن جميع الذين آمنوا كان لهم **قلبٌ واحد ونفس واحدة** ولم يكن أحد يقول إن شيئًا من امواله له. بل **كان عندهم كلّ شيء، مشتركًا**» (أع ٤:٣٢).

هل عملكَ اليدوي في جدل الحبال[٦] فكّر بأولئك الذين يشقون البحر لأنهم في وقت صراعهم مع الأمواج، يمسكون بأيديهم الجبال نفسها. هل عملك اليدوي في السلاسل الصغيرة؟ فكّر بحائك البسط. هل التخطيط عملك اليدوي؟ فكّر بالمهرة المشتغلين بالفسيفساء أو الموزاييك[٧] ولكن لا تزوّر الاقوال الإلهية المكتوبة بإيمان وحق لانه أية خطيئة أكبر من هذه. أعني أن تعمل المرّ حلوًا والحلو مرًّا، الظلمةَ نورًا والنورَ ظلامًا؟ (أشع ٥:٢٠). بهدف أن تسيء الى القارئين. الويل لمن يعمل هذه الامور لأنه يُعثر النفوس. هل النحت عملك اليدوي؟ فكّر بالذين ينشرون صخر الرخام. هل عملك اليدوي في الورق الأحمر؟ فكّر بالذين يقصّون الجلود. هل عملك اليدوي في خيطان أوراق النخل؟ فكّر بالمشتغلين بالقنّب. هل تشتغل في نسج السلال؟ فكّر بالعلمانيين المهتمّين بنفس المهنة. هل عملك اليدوي بالفتائل المشمّعة أو الصوف؟ فكّر

---

(٦) فيما يلي يطرح القدّيس أسئلة متشابهة عن عمل الراهب لكي يفكّر بالذي يعمل عملًا أصعب منه.

(٧) العامل بالموزاييك يكتب كلمات ويرسم أشكالًا بواسطة قطع صغيرة من الأخشاب أو الحجارة الملوّنة.

بالذي يجبل الأوعية الفخارية . هل الكتان عملك اليدوي ؟ فكّر بالذين ينسجون الكتّان . هل عملك اليدوي نسج الكتان ؟ فكّر بعمّال نسج الحرير على أنواعه . هل عيّنوك لتعمل مراقبًا في مستودع الخبز ؟ فكّر بحراس القلاع أو الابراج . هل عيّنوك في الحقل وريّ البساتين ؟ تذكّر المشتغلين في الاقمشة البيضاء كيف يعيشون صيفًا شتاءً مشتغلين وسط المياه . هل عيّنوك في المطبخ ؟ فكّر بالصبّاغين أو بأولئك المشتغلين بالنحاسيات الذين يكدّون في العمل ليل نهار ، مصارعين النيران خاضعين للمشرفين عليهم وبالرغم من كلّ شقائهم يصبرون . وبينما يضغط الرؤساء عليهم تكرارًا ، لا يسأمون من العمل ولا يتهاملون . هل عيّنوك بوابًا ؟ فكّر بخدام الزعماء الأرضيين . هل عيّنوك خادمًا أو مدبّرًا أو رئيسًا لدير ؟ تذكّر الرسول الذي يقول :

« أطلب الى الشيوخ الذين بينكم انا الشيخ رفيقهم والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يُعلن ، ارعوا رعيّة الله التي بينكم نُظّارًا ، لا عن اضطرار بل باختيار . بحسب مشيئة الله . لا كمن يسود على الانصبة بل صائرين أمثلة للرعيّة . ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون اكليل المجد الذي لا يبلى » (١ بط ٥:١-٤).

ولئلّا يبدو اننا نطيل الكلام متكلّمين عن كل أمر بمفرده ، عن كل ما يمكن أن تقوم به . وما سيحمل اليك العدوّ في عملك من تململ وتذمّر استعمل الطريقة المناسبة لمواجهة الخصم في كلّ ما تعمله بالقول أو بالفعل ليكن ضميرك شاهدًا على ان تعمله موافقًا لمشيئة الله وهكذا تخلص .

لكن أرجوك قل لي أنت نفسك ، إذا رفضتَ نعمة الذي دعاك الى ملكوته الابدي ومجده (١ تس ٢:١٢) وأن تسلك في هذا العالم ماذا أنت مزمع أن تقوم به بحسب تلميحات وإشارات فكرك ؟ أو بشكل أفضل أي فكر وضع فيك عدوّ نفوسنا ؟ هل اذا رفضت النعمة المعطاة لك تصير ملكًا ؟ لكن وإن صرت

ملكًا ألن تتعرّض للموت ؟ إن ورثت ثروةً طائلة وجمعت غنىً كثيرًا ألن ترحل من هنا عاريًا تاركًا هذه الامور لآخرين ؟ وفقًا لكلام الرسول :

« لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء » (١ تيمو ٦:٧) . « لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسادًا ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياةً أبديةً » (غلا ٦:٨) .

أتكلّم بحسب الشريعة ، إن رفضتَ نعمة الرب فلن تجد ثانية الكرامة والاعتبار السابقين مما كان لك قبل بدئك بالحياة الرهبانية . بل بالنسبة لذويك واقاربك وجيرانك واصدقائك ستكون متعدّيًا ومخالفًا . لانه من أجبرك على أن تبدأ عملًا لم تستطع أن تتمّه ؟ ألا يقول الناموس هذا ؟ فإنه مكتوب في الناموس « الرجل الخائف والضعيف النفس ، ليذهب ويرجع الى بيته لئلا تذوب قلوب اخوته مثل قلبه » (تث ٢٠:٨).

أمّا الآن فما بدأت به تمّمه . وإن زللتَ ووقعتَ في زلّة ما لا تقمْ في سقطتك بل ارجع الى الرب بصدق ومن القلب . هناك في السماء من يسامح خطايا الراجعين اليه . فقط عليك ألّا ترضى بفكر الخبث والشرّ . فإنه لا تستطيع لا أُسود ولا تنانين وبرابرة أن تؤذي أحدًا بقدر ما **تؤذي الافكار الشرّيرة** أولئك الذين يقبلونها . كثيرون ممن نزعوها عنهم من البداية ولم يرتبطوا بطرقها ، قد كرّمهم البرابرة (أر ٤٧:٤-٥) وخافتهم أسود وتنانين (دا ٦:١٨، ٣١، ٤٠، ٢٧) . لهيب النار لم يقوَ على حرق شعر رؤوسهم (دا ٣:٢٧) . لم يكن فيهم اي عنصر شرّير ، بل على العكس من ذلك كلّ ما هو صالح . قديمًا ذبح التفكيرُ بالشرور عشّاقه بلا رحمة . فإنه لا شرّ من اي نوع كان إلّا والافكار الشريرة هي أمٌّ له .

من الواضح أن محبّة الفضة هي أصل كل الشرور كما يعبّر الرسول . « محبّة المال هي جذر كل الشرور » (١ تيمو ٦:١٠) . هذا الاصل مزروع على

سجية التفكير الشرير بالذات . لان التفكير الشرير ينمّي ويكبّر أغصان الشرور . ماذا يوجد في العالم **أكثر رعبًا من التفكير الشرّير** الذي يسلّم عشّاقه بغدر ويجعلهم منفيين ؟ لان الشرير يذهب رغم ان لا أحد يطرده . اما البار فعنده ثقة كالأسد (أم ٢٨ :١) في شجاعته الكبيرة . أمّا الذي تسلّطت عليه الافكار الشريرة فلن يُحكم عليه من ايدي بربريّة ولا من بلاد غريبة بل سيعاقب هناك حيث ولد وحيث ربّيَ وسوف يسيء اليه ابناء جنسه ولا أحد سوف يتشفّع به ولو فرضت عليه التعذيبات علنًا ، ليس بسبب عمل صالح قام به بل من أجل أفكار شرّيرة . لان الجميع يدينون أولئك الذين سقطوا في زلّات بسبب فكرهم الشرّير . يعتبرهم الجميع مذنبين ومسؤولين . لا أحد يساعدهم . لا أحد ينجّيهم .

إن تبعتَ **الافكار الشريرة**(٨) فانها ستقودك الى قعر الجحيم . إنها تدهور حتى الزعماء وتخرّب أُسرًا بأكملها وتزعزع ملوكًا وتبلغ بهم الى الهاوية . فابتعد عنها أيها الاخ الحبيب لئلا تسلّم وأنت مربّط بها لان اربطتها حديدية وقيودها نحاسية . إنها تُهلك بالتأكيد كل من يحبّها . في هذه الحياة تُحدث سقوطًا مريعًا وبعد الموت تسبب الهلاك . فما اسمها اذًا سوى الافكار الشريرة ؟ إنها تُبغض الحقيقة . تحبّ الكذب . لا تتقبّل التأديب . تفرح بالجهل والرعونة . لا تقبل التأنيب ، ترفض المشورة تغذّي اللذات تزدري بالله وتستحي من البشر .

بدايتها عدم مخافة الله . نهايتها الهلاك ووراثة الضلال . يا رب ، يا رب ، أنت من فتحتَ عيني الاعمى منذ مولده (يو ٩ :١، ٦ و٧) ، افتح أعين ذهننا لئلا نسقط في شباكها . **فلا نرفضنّ أيها الحبيب نعمة الله** . أَوَلَسْتَ تعلم انه يصير فرح في السماء من أجل خاطئ واحد يتوب . أكثر من التسعة والتسعين الذين لم يضلّوا والذين ليس لهم حاجة الى التوبة ؟ (لوقا ١٥ :٧).

---

(٨) التفكير الشرّير أو الأفكار الشريرة .

وما هو حزن هذه الحياة أيها الحبيب وما هو فرحها ؟ انه من الافضل لك ان تصبر على الاحزان الآتية عليك من ان تضلّ وتنخدع لان مجد هذا العالم وخداعه يشبه لهيب نار، رششْنا الحطب بالماء فانطفأ للحال . آلت الى رماد وهشيم . أمّا الذي يصبر على الاحزان من أجل الربّ ، فيشابه من يبني بيته على صخر (لوقا ٦:٤٨) . لذلك يا أخي ليكن انتباهك مشدودًا الى الرب . إني أرجوك لتتذكّر منبر الله الذي لا مهرب منه **والدينونة الابدية** وطبيعتنا الضعيفة . ماذا يوجد أصغر من البعوضة إلّا اننا لا نستطيع احتمال هجماتها . فماذا سنصنع مع الدود السام الذي لا ينام؟ (مر ٩:٤٤) عندما يقبل المساء يقول أحدهم « أشعل القنديل فإنها تظلم » .

فماذا سنصنع بتلك الظلمة والعتمة التي لا قمر فيها ؟ (متى ٨:١٢) عندما يكتوي أحد ما من أشعة الشمس يهرب ليحتمي بالظل فماذا سنفعل مع نار الجحيم غير المنطفئة ؟

لنأخذ يا أحبّة **مثالًا للدينونة المستقبلة** من الامور المنظورة في هذا العالم . إن صنع أحد شرًّا ما وفُضح أمره وسيق الى السجن من حكّام هذا العالم ففي اي خجل وفي ايّ غمّ سيكون ؟ بالرغم من أن اقاربه يخدمونه ويساعدونه باستمرار وأن أصدقائه يعزّونه ومعارفه يزورونه . فطالما هو في هذه الحالة فلن يتركه الحزن بالرغم من كل ما قدّموا له . ولكي نتجنّب كثرة الكلام إمّا بعزاء ومعونة ومؤازرة الاصدقاء أو بتقدمة الاموال قد يكون له رجاء ما عندما يحين الوقت ليتحرّر من الحبس . لكن ذاك الذي حُكم عليه بسبب أعماله . ليس لديه أحد ليعزّيه . لا الأب يساعد ولا الأم تجلس بقربه لتواسيه ولا المرأة تقاسمه ألمه ولا الاصدقاء . ولا هناك خبر سار ولا كلمة مسالمة ولا ضوء ولا تغريد الطيور الحلو ، ولا تبدّل الفصول ولا تغيّر في الزمن ولا أصوات موسيقى وأفراح . إنّ كل هذه الأمور سُلبت من الاشرار وأُعطي نصيب لهم ما يعاكسها . كما هو مكتوب :

« سيمطر الربّ على الخطأة فخاخًا ونارًا وكبريتًا . والريح العاصف سيكون نصيب كأسهم ، لان الربّ عادل ويحبّ الأحكام العادلة . ينظر ببهاء وانشراح الى الأعمال الصالحة العادلة » (مو ١٠:٦-٧).

فلنتضرّع الى الربّ اذًا من كل نفسنا لكي يسترنا لأنه يفرح بالذين يخلصون . لذلك قد أعدّ لهم كل ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على فكر انسان (١ كور ٢:٩) . تذكّر هذه الأمور وارجع الى الرب . لا تصرْ ساطورًا في يد الشيطان وتقطع نباتات مثمرة من جذورها . ولا تصرْ مثل الرياح المحرقة فتهلك أثمارًا طيّبة .

ألا تعلم أيها الحبيب أنه في صفوف القتال ، عندما يخرج أحد المقاتلين ، ويسقط ، يسبّب خوفًا وجبنًا لدى المحاربين معه ؟ أما أنت فافهم ما قد قلته لك ، ولكن إن تسلّح أحدهم بالرجولة امام الاعداء ، هكذا يصعّد حماس الجميع حتى الأكثر بلادةً وجبنًا منهم . ألا تذكر أيها الحبيب أي **تخشع** كان لك من قبل عندما بدأت حياتك الرهبانية ؟ أين هو اذًا ذاك الخشوع الذي كان مملوءً دموعًا مباركة ؟ أين ذاك الشوق السماوي والتقوى الصادقة ؟ أين هو **التواضع** الذي يقود الى السموات ؟ أين هو **الصمت** الذي كان داخله مفعمًا بالصلوات ؟ أين حفظ العيون من المناظر الشريرة الذي يولّد أفكارًا نقية ؟ أين هي **المحبة** التي تسترحم وتستعطف الله ؟ فبعدها كرِهتَ وازدريتَ بهذه الأمور ، ماذا اكتسبتَ بالنتيجة ؟ لقد اكتسبتَ غضبًا وسخطًا وصراخًا وتجديفًا وفسقًا وقلّة حياء وفمًا من دون لجام يضبط . أوّاه كيف انقلب البستان المثمر الى قحط وبور بسبب شرور الساكنين فيه ؟ (مز ١٠٦:٣٤) . أهذه هي النذور التي أبرمتها في أن تخدم الله وأن تمكث بصبر في ما يختصّ بخلاصك ؟ أهذه هي **الصلوات** التي صلّيتها في حزنك (مز ٦٥:١٣-١٤) .

انتبه ايها الحبيب لئلا يصير ما يزعجك ويستعجلك الانقطاع عن الأخوية

الرهبانية ، هو نفسه سبب مرارة وموت شنيع لك . إني أقول الحق ، إني عرفتُ واحدًا واثنين وثلاثة من الاخوة الذين تركوا الدير وعادوا ثانية الى الحياة العلمانية ، ولم يعيشوا سنوات طويلة بل أنهوا حياتهم بموت مرٍّ وشنيع . لهذا فإني اتضرّع إليك ايها الاخ ان لا تتشبّه بهم بل تجنّب الرغبة الرديئة ولا توافق هؤلاء الذين يريدون جعلك مستعبدًا ذليلًا . بل على العكس ايها الاخ الحبيب فليكن فكرنا مشدودًا نحو العلويّات .

لتكن أيدينا مرفوعة مثل موسى (خر ١٧:١١) والربّ سيحاربهم من أجلنا بإعماء أبصارهم . لا تخف اذًا من حضورهم . لانهم كثيرًا ما يحرّكون عليك المرض الجسدي وامتناع شهية الطعام والريبة والشك بمن هو اكبر منك . **والخوف من الاب الرئيس**، والشعور بطول الزمان ، والحياة السالفة ، **وتذكّر الاهل الطبيعيين** . إنهم يثيرون عليك هذه الامور لكي يضيّقوا عليك ويزعجوك . ألا تعتقد انه اذا كان لاحد ما ابنٌ شرير ، فإن النواميس تعاقبه أمام أعين والديه ولا أحد يستطيع أن يخلّصه من أيدي المعاقبين ؟ ألا تظن أنه سيكون خوف اكبر امام المحكمة العتيدة حيث سيحضر الملوك والرؤساء والأغنياء والفقراء والخوف والرعب يسودان عليهم ؟

أرجع اذًا الى نفسك ايها الاخ الحبيب ولا تزدري بالديان العادل الحق المعصوم عن الخطأ ، ولا النار التي لا تنطفئ أبدًا . أمّا إن ازدريتَ بها فجرّب من هاهنا إن كنتَ تستطيع ان تتحمّل لذع النار وعذابها . أشعل قنديلًا وضع عليه طرف إصبعك فإن استطعت احتمال الآلام ، قد تستطيع هناك ان تساعد نفسك ، ولكن إن كان كل جسمك خارج النار ولم تستطع ان تحتمل آلامَ هذا الأمر البسيط فماذا سنفعل هناك حيث كل الجسد مع النفس تُلقي في النار الأبدية ؟ (متى ١٠:٢٨) .

ولكن قد يقول أحد الجهّال لقد أردتُ وحاولتُ أن أصبر لكن ما العمل ؟

إني ضعيف ومتهاون، فلو أراد الله أن أخلصَ لكان أعطاني الصبر.

تعالوا أيها الاخوة وانظروا نفسًا غير مسبيّة من البرابرة أو من السيف بل من التفكير الشرّير. لانها تظنّ ان الله هو علّة تهاونها بينما هو الذي يريد كلّ انسان أن يخلص ويُقبل الى المعرفة العميقة للحق (١ تيمو ٢:٤). هو الذي عانى موت الصليب من أجلنا. فالله نفسه يدعونا قائلًا: «تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والمثقلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني إني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة في أنفسكم. لان نيري ليّن وحملي خفيف» (مت ١١:٢٨-٣٠) ويقول أيضًا: «اسألوا تُعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم، لانه كل مَن يسأل يُعطى والذي يطلب يجد والذي يقرع يُفتح له الباب» (مت ٧:٧-٨) فكيف تقول اذًا «لو أراد الله أن أخلص لكان أعطاني صبرًا»؟ مع أن الشيطان العدوّ يخدعك لماذا تتقبل مشورته؟ لماذا تترك نفسك في أضرار كثيرة، بحيث تخلع حلّة المجد وتفصل نفسك عن حياة الملائكة متمرّغًا في حمأة الأهواء المهينة؟ لماذا هذا العار عليك؟ لماذا هذا الخزي عليك؟ وأن تسمع أنك عاصٍ وأن يقولوا لك «**ها هو الذي رفض نعمة ربّه وإلهه**»؟ لماذا يكون لك هذا الموت؟ وان تشعر نفسك بالتالي مرميًا في الظلمة الخارجية ملتقطًا ثمر الخزي بينما الاخوة الصامدون المتجلّدون في خلاص الربّ، يلبسون الأكاليل ويدخلون الى فرح ربّهم؟ وإلى أين تستطيع أن تهرب من حضور الرب الذي تريد نكرانه؟ لهذا أرجوك أن تصبر لئلا يأتي عليك هذا المكتوب «كان من الأفضل لهؤلاء ان لا يعرفوا طريق العدل، أكثر من كونهم بعدما عرفوه، رجعوا ثانية الى الوراء. مبتعدين عن الوصية المقدّسة التي سلّمت اليهم. فإنه ينطبق عليهم ما يقوله المثل الحق «عاد الكلب الى قيئه والخنزير المغتسل الى التمرّغ بالحمأة» (٢ بط ٢:٢١-٢٢). وفي موضع آخر يقول: «لكنهم ظنوا أنِ حياتنا لعبة وعيشنا احتفال مضاربة» (حك سل ١٥:١٢).

لنفكر اذًا أيها الاخ الحبيب **أننا غرباء وعابرون في هذه الحياة** (١ بط

١١:٢) لأن كثيرين استيقظوا في الصباح واختفوا عند المساء. وآخرون رقدوا عند المساء لم يبلغوا الى الصباح. اسمع المزمور القائل: « انما الانسان كالبخار وأيامه تزول كالخيال » (مز ١٤٣:٤). فأرجوك أن تصبر أيضًا قليلًا أيها الاخ الحبيب لان الذي يصبر الى المنتهى يخلص (مت ١٠:٢٢). لانه لا أحد يعرف ان كان قد حان وقت مغادرتنا من هذا العالم وان كان لهذا السبب تزيد تجاربنا. إذا لا تصغرنّ نفوسنا ولا نرجعنّ الى الأمور القديمة. بل بالأحرى فلننسَ ما هو قديم ولنتقدّم الى ما هو أمامنا (فيل ٣:١٣) لندخل الى العرس مع العريس قبل ان ينغلق الباب (مت ٢٥:١٠) لان الربّ يقول:

« اسهروا وصلّوا لانكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة » (مت ٢٥:١٣) وأيضًا يقول المخلّص « كما حصل في أيام نوح هكذا سيحصل لدى مجيء ابن البشر لانه كما حصل في أيام الطوفان حيث كانوا يأكلون ويشربون، ويتزوّجون ويزوّجون الى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلكهم كلّهم. الأمر نفسه حدث أيضًا في أيام لوط حيث كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويزرعون ويبنون لكن يوم خرج لوط من صادوم، أمطرت نار من السماء وأهلكتهم جميعًا. هكذا سيحصل في يوم مجيء ابن الانسان » (لوقا ١٧:٢٦-٣٠).

فلا نتهاوننّ بخلاصنا أيها الاحباء. ها الكتب المقدّسة تكشف لنا اليوم، بحيث نخلص بالتوبة من الغضب ونرث الحياة الابدية، عاملين ما يرضي الرب. لكن إن أصرّيتَ على تمرّدك السابق وحافظت على فكرك العديم التقوى فاعلم أنك ستُقطع عاجلًا من الجذور. لأنه ليس بكاذب من قال: « ها الفأس قد وُضعت على أصل الأشجار، كل شجرة لا تصنع ثمرًا صالحًا تُقطع من الجذر وتُلقى في النار » (مت ٣:١٠). اسمع ايضًا مثل التينة.

« كان لأحد تينة في حقله. حين ذهب إليها في طلب التين، لم يجد فقال للكرّام لي ثلاث سنوات آتي وأطلب تينًا ولكني لا أجد. فاقطع هذه الشجرة من

أصلها ، لماذا تعطّل الموضع باطلًا ؟ فأجابه الكرّام وقال له اتركها هذه السنة أيضًا لكي أقلبَ التربةَ حولها واضع سمادًا . فإنّ لم تصنع ثمرًا حينها أقطعها فيما بعد » (لوقا ١٣:٦-٩) .

انتبه إذًا أيها الحبيب ، ألّا يكتمل وقت المهلة ولا نجد وقتًا آخر . تعالَ اذًا لنسجد له . لنبكِ أمام الرب الذي خلقنا (مز ٩٤:٦) . ارفع اليه يديك مع قلبك واقترب اليه بدموع صارخًا اليه مع النبي :

« خلّصني من الحمأة لكي لا أغرق فيها . أنقذني من الذين يبغضونني ومن المياه العميقة . لا تدع السيل يغرّقني ولا الغور يبتلعني ولا البئر تُطبق فاها علي . استمع لي يا رب لان رحمتك طيّبة . انظر اليّ حسب كثرة رأفاتك . لا تصرف وجهك عن عبدك لاني حزين . استجب لي سريعًا أسرع الى نفسي وخلّصها . نجّني من أجل أن تهزم أعدائي » (مز ٦٨:١٥-١٩) .

هكذا يقول الرب لك ما هو مكتوب : « تشجّع وليتشدّد قلبك وانتظر الرب بصبر » (مز ٢٦:١٤) . وتقول أنت شاكرًا صلاحه « انتظرتُ الربّ بصبر فأصغى اليّ واستمع الى صوت تضرّعي وأصعدني من وهدة الشقاء ومن طين الحمأة . وأقام على الصخرة رجليّ وسدّد خطواتي ، ووضع في فمي ترتيلة جديدة ، تسبحة لإلهنا . فيرى هذا كثيرون ويخافون وعلى الرب يتّكلون . طوبى للرجل الذي اسم الربّ رجاؤه . ولم يلتفت الى الأباطيل والترّهات الكاذبة (مز ٣٩:١-٤) . تبارك الربّ الذي يعطي قوّة وعزيمة لشعبه (مز ٦٧:٣٦) وليتبارك إلهنا الى دهر الدهور . آمين .

يا إلهي أشفق علينا في خطايانا . لان المجد لك الى دهر الدهور . آمين .

النصيحة التاسعة والأربعون

عن الأخلاق الرديئة[٩]

كما يقطع السيف أعصاب الحصان ويرمي بالفارس أرضًا ؛ هكذا تقطع الأفكار الخبيثة الرديئة قدرات النفس وتسلّمها الى الأحزان . والحزن بدوره يُهلك كلّ من يقع فيه .

أراد أحدهم الذهاب الى مدينة تبعد مسافة ثلاثين طورًا[١٠] . بعدما قطع تسعةً وعشرين ولم ينجز الطور الأخير ، عاد من حيث كان ولم يدخل المدينة التي كان يطلبها .

لنتّعظ مما حصل مع الذي جاء في الساعة الحادية عشرة ونال الأجرة الكاملة كالباقين الذين عانوا من شقاء النهار كلّه (مت ٢٠:٩) . وهذا أيضًا الذي عمل حتى الساعة الحادية عشرة ، لو أخذ في تلك الساعة يقتلع ويهلك المزروعات ، ما كان لينال أجرة . لأن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح قال : « الذي يصبر الى المنتهى يخلص » (مت ١٠:٢٢) وايضًا قال :

« كل من يضع يده على المحراث ويلتفت الى الوراء لا يليق بملكوت السموات » (لوقا ٩:٦٢) .

وبما ان امرأة لوط قد التفتت الى الوراء فتحوّلت الى عمود ملح (تك ١٩:٢٦) . لهذا كان الرسول ينسى الأمور القديمة السالفة ويمتدّ إلى الأمام (في

(٩) كالقنوط وعدم الصبر والتعلّق بالعالم الباطل .
(١٠) الطور Stade وحدة طول تقارب ١٩٢م.

١٣:٣) . أنت أيضًا أيها الحبيب **عليك بالصبر** . لأن هذا العالم عابر مع شهوته ، أما الذي يعمل مشيئة الله ، فسيبقى الى الابد . (١ يو ٢:١٧) . لاننا نسلك كالغرباء في هذه الحياة وإقامتنا مؤقتة فيها فإن عملنا بما لدينا من وقت في هذه الحياة ، بما يرضي الربّ ، فإننا سننال المكافأة لا محالة .

كن صبورًا إذًا ايها الاخ لانه مكتوب : « بصبركم تخلّصون نفوسكم » (لوقا ٢١:١٩) . لقد ارضى نوح الله من بعد مولد ابنه متوشالح مجاهدًا لمدة اثنتي عشر سنة (تك ٥:٢٢) . فكيف نكون نحن غير مبالين خلال وقت قصير كهذا ؟ حارب الافكار الهدّامة ايها الحبيب وقل مع الرسول « لقد صُلبت مع المسيح فلا أحيا أنا فيما بعد بل المسيح يحيا فيّ » (غلا ٢:١٩-٢٠) . وإلّا ماذا سينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ (مت ١٦:٢٦) . فابعدوا عني أذًا ايها الأشرار وحينها أستقصي وصايا الله (مز ١١٨:١١٥) . كذلك ينادي سفر الجامعة بعد إحرازه مجدًا وغنًى عظيمين ويقول :

« باطل الاباطيل ... كل شيء باطل » (جا ١:٢)

لذلك لن أرمي فيما بعد أتعابي وجهودي في البطلان والعبث ، لأنه حينها سينال آخرون الميراث بعد موتي أمّا أنا فسأعاقب منفردًا . بل سأقدّم أثماري الى الإله الصالح المتحنن الذي يمنح الحياة بعد الموت ويهيء للذين يحبّونه ما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على فكر إنسان (١ كور ٢:٩) .

نعم يا حبيب اقتنِ شجاعة وليتشدّد قلبك وانتظر الربّ بصبر (مز ٢٦:١٤) فيكون موتك سلاميًا . هناك سترى الصدّيقين يفرحون من أجل خلاصك . هناك ستعيش في أحضان ابراهيم مع لعازر (لوقا ١٦:٢٢) لأنك فضّلت واخترت الفقر وأبديت صبرًا في الأحزان واحتملت التعييرات ولم تكره الازدراء . لذلك سيتقبلك الأبرار في المساكن الأبدية . حيث انتفى الألم والحزن والتنهّد (أشع ٣٥:١٠) . هناك سترى الحياة والنور الحقيقي ورجاء كل الخليقة ومخلّص نفوسنا يسوع المسيح

الملك المجيد فيفرح قلبك ولا أحد ينتزع فرحك منك (يو ١٦:٢٢) بل الربّ إلهنا نفسه سيحفظنا بلا ملامة ولا عيب لأن له المجد الى الدهور. آمين.

* * *

النصيحة الخمسون

عن تفوّق الحياة الرهبانية على الحياة العالمية

أيها الأخ الحبيب، إذا أنكرتَ الحياة العالمية وأصبحت راهبًا، فانتبه لأن ألاعيب العدوّ الشريرة كثيرة. فقد يجد في لحظة ما فرصة سانحة ليوسوس ويدسّ فيك افكارًا كهذه: «نعم ها إنك قد أنكرت العالم واقاربك ولكن أليس الوحوش أيضًا تهدأ وتسكن في أوكارها؟»[11] أما انت فوبّخه قائلًا: «سيهلكك الربّ أيها الشيطان الخبيث، لأنك شبّهت الإنسان الذي خلقه الله على صورته ومثاله (تك ١:٢٦) شبهته بالوحوش البهيميّة. ألن تكفّ عن تشويه وتعويج السبل المستقيمة؟ (أع ١٣:١٠). أمّا فيما يخصّ الفرق فاسمع قبل كل شيء الذي يريد أن يصير راهبًا يُنكر مشيئاته الخاصة، ويتناول صليبه ويتبع المسيح مخلّصنا. لا يجادل ويخاصم ولا يلعن ولا يحلف ولا يجدّف ولا يبحث متفحّصًا في الأكاذيب المسطّرة بفلسفة حلوة اللسان وكثيرة الكلام. يمسك عن الشهوات ولا يبذّر. يتخذ كل ملائكة الله أصدقاء والشيطان يكون العدوّ. لا يضايق فلّاحًا، لا يضغط على أرملة بإزعاج[12]. لا يسرق أغراض الفقير. لا يضرب يتيمًا ولا يتسلّط عليه هوس

(١١) مما يشير إلى عدم أهمية وعدم منفعة الهدوء والسكينة.
(١٢) عندما الحق يكون بجانبها مثلًا.

اقتناء الثروة . طالما انه يكتفي بالموجود ، لا ينوي على جعل أبنائه أجراء مرتزقة ، ولا يهتم كيف يزوّج بناته . لا يرتبط بالهموم ، بل يقيم في الهدوء منشغلًا بخلاصه . لا يتكبّر بل يتواضع ويكون صالحًا متساهلًا متسامحًا مع الآخرين . يرتّل ولا يغنّي أغاني عالمية . يصلّي ولا يسبح في الأوهام والخيالات . لا يتخبّط مضطربًا بالمستلزمات المعيشية . لا يهتم باقتناء مجد أرضي لنفسه ، بدل الاستماع الى النايات والعيدان وآلالات الموسيقية الاخرى ، يرنّم للرب ويصلّي . يحزن وينوح ويذرف دموعًا في أعماق نفسه طالبًا غفران الخطايا .

عندما يصلّي أيضًا من أجل كل العالم ، لا يذهب ليشاهد مناظر وأمورًا لا فائدة لها ، بل يطلب أناسًا قدّيسين يزور البرّية ومن فيها بدلًا من زيارة البلاط الملكي . يتجنّب الحلفان والأقسام والناس الذين يرتاحون الى هذه الامور . يبسط يديه مساعدًا في العمل وفي قراءة الكتب الإلهية . يرى عدم الاهتمام بالأهل وبالأمور الدنيوية الارضية أمرًا في غاية السهولة . يتفكّر بمواعيد وعهود المخلّص فتنبعث روحه وتنتعش ويطرد الأسى والحزن .

هل أصابه مرض جسداني ؟ يفرح . لأنه قريب من اكليل النصر . هل حلّ به الضجر ؟ يتبع الصبر الذي يعطيه الربّ . هل حلّت به خسارة مادية ؟ حينها يتذكّر يوم موته فإن كل شيء سيبقى هنا ولن يأخذ معه شيئًا من الماديّات . هل أزعجته شهوة الملذات ؟ يتفكّر بكثرة العذابات المهّيأة للخطأة . هل أتته الوشاية والنميمة ؟ يُبدي طول أناة لأن ها الذي سيبرّره وينصفه يدنو منه (أشع ٥٠:٨) . هل تعرّض للتعييرات والاهانات والعذابات ؟ يفكّر بآلام المخلّص فيتعزّى . هل أتته الكبرياء ؟يتأمل بكونه مزمعًا أن يمرّ في وسط النيران (١ كور ٣:١٣-١٥) .

هذه هي عطايا النعمة لأولئك الذين يخدمون الربّ باستقامة ، ويعملون كل ما يمنحهم مع القدّيسين ويليق بهم . امّا انت ايها الشيطان فسيطردك الربّ وأنت عديم الجدوى وفارغ اليدين .

نعم أيها الحبيب أصغِ الى قول الرسول « قاوموا الشرّير فيهرب منكم بعيدًا . وأدنوا الى الله فيقترب منكم » (يع ٤:٧-٨) .

وفي الوقت نفسه صلِّ من أجلي أنا الشقيّ ، لأن معاصيَّ قد تعالت فوق رأسي (مز ٣٧:٥) . صلِّ الى الربّ الصالح والمتحنن لكي يحمينا ويعطينا في ملكوته المجد أيضًا (١ تيمو ٤:١٨) . فانه هو رجاء اليائسين وبه يليق المجد والعزّة والقدرة والمُلك ، بالآب والابن والروح القدس الى دهر الداهرين . آمين .

التجلّي الإلهي

من الكورة يخرج حصاد بهج ومن الكرمة ثمار مطعمة ومن الكتب المقدّسة تعليم محيي. للكورة حصاد في أوانه وكذلك للكرمة قطاف في وقته. أما الكتاب المقدّس فيفيض دائمًا عند التلاوة تعليمًا محييًا. الكورة بعد الحصاد تجف والكرمة بعد القطاف تتّضع. أما الكتاب فهو يحصد كل يوم وسنابل الشراح لا تنقص. يُقطف كل يوم منه ولا يخيب الرجاء من غياب العناقيد. ها نحن نقترب الآن من تلك الكورة ونتمتع باتلامها المحيية ونحصد منها سنابل الحياة أعني أقوال ربنا يسوع المسيح القائل لتلاميذه: «إن من القيام ههنا قومًا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتيًا في مجده» (متى ١٦:٢٨).

«وبعد ستة أيام أخذ يسوع سمعان بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عالٍ وتجلّى قدّامهم فأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور» (متى ١٧:١-٢).

الرجال الذين لا يذوقون الموت حتى يروا عنوان مجيئه هم الذين صعد بهم إلى الجبل واراهم كيف ينبغي أن يأتي في ذلك اليوم الأخير بمجد لاهوته وبجسد ناسوته وكيف سيتمجدون هم أيضًا. أصعدهم إلى الجبل ليريهم مَن هو الابن وابن مَنْ هو. ذلك انه حين سألهم من هو ابن الإنسان قالوا له: «قوم يقولون إيليا وآخرون أرميا أو احد من الأنبياء» (متى ١٦:١٣-١٤). نقلهم اذًا إلى الجبل ليظهر لهم انه ليس إيليا بل إله إيليا، وليس إرميا بل مُقدِّس ارميا في بطن امّه كما انه ليس أحد الأنبياء بل ربّ الأنبياء ومرسلهم. أصعدهم إلى الجبل

ليظهر لهم أنه هو الصانع السماء والأرض. هو **ربّ الأحياء والأموات**. أمر السماء فنزل ايليا وأومأ إلى الأرض فحضر موسى.

أصعدهم إلى الجبل كي يظهر لهم **انه ابن الله**. المولود من الآب قبل كل الدهور، المتجسد من العذراء في آخر الأزمنة، المولود بدون زرع وبحال لا توصف حافظًا البتولية بدون فساد اذ حيث يشاء الله يغلب ناموس الطبيعة. سكن الله الكلمة في حشا البتول ولم تحرق نارُ لاهوته أعضاء جسدها بل حفظها مدة تسعة أشهر. لقد سكن في حشا البتول دون دنس وخرج منها إلهًا متجسدًا من أجل خلاصنا. أصعدهم إلى الجبل ليريهم مجد ألوهته حتى يدركوا أنه مخلّص اسرائيل كما قال الأنبياء وحتى لا يعتريهم الشك حين يشاهدون آلامه الطوعية التي كان مزمعًا أن يكابدها بالجسد من أجلنا.

لقد عرفوه إنسانًا وما علموا انه الله. عرفوه ابنًا لمريم مرافقًا اياهم في العالم وأظهر لهم على الجبل انه ابن الله. شاهدوه يأكل ويشرب. يتعب ويستريح ينعس وينام، يخاف ويعرق الأمر الذي لا يتناسب مع الوهته بل يرتبط فقط بالناسوت، لذا نقلهم إلى الجبل حتى ينادي الآبُ الابنَ ويشير إلى مجده قبل تعييره، إلى كرامته قبل اهانته، حتى اذا ما قُبض عليه وصلب من قبل اليهود، أدركوا انه لم يصلب عن علّة فيه بل بمسرّته وطوعًا من أجل خلاص العالم. أصعدهم إلى الجبل ليريهم قبل قيامته مجد ألوهته حتى إذا ما نهض من الموت بمجد طبيعة ألوهته عرفوا انه لم ينل المجد من جرّاء تعبه (وكأنه في حاجة لأن يتألم) بل بالمجد الذي كان له مع الآبْ قبل الدهور. هذا ما قاله وهو آت إلى الآلام الطوعية: «أيها الآب مجدني بالمجد الذي كان لي من قبلك قبل انشاء العالم» (يوحنا ١٧:٥).

مجد ألوهته المخفي في ناسوته أظهره للرسل على الجبل فانهم قد رأوا وجهه لامعًا كالبرق وثيابه بيضاء كالنور. كان التلاميذ يعاينون شمسين واحدة في

السماء وهي الشمس الطبيعية وأخرى فائقة الطبيعة. الشمس الأولى ظاهرة للتلاميذ وللعالم وهي تشعّ في جلد السماء والثانية تشعّ لهم وحدهم « وثيابه كانت بيضاء كالنور ». لقد أظهر لهم بذلك أن مجد ألوهته كان يفيض من جسده كله والنور يشعّ من أعضائه كلها. ان السيّد لم يماثل موسى حين شعّ جسده ببهاء من الخارج فقط ذلك **ان مجد ألوهته كان يفيض من ذاته**. ان المخلص لم يُظهر لتلاميذه كامل مجده بل أظهر لهم ما يمكن لعيونهم ان تتحمّل.

* * *

● موسى وايليا

شاهد التلاميذ موسى وايليا يتكلمان معه. لقد كانا يعترفان له بالفضل لأن كلامهما أي النبؤات بحضوره (أي بتجسده) تحقق مع كلام سائر الأنبياء. كانا يقدّمان له السجود للخلاص الذي صنعه من أجل خلاص جنس البشر والعالم أجمع. فالسرّ الذي أنبأ عنه هؤلاء الأنبياء جاء المخلّص وحققه بالفعل. لقد كان الصعود إلى الجبل فرحًا للأنبياء والرسل. فرح الرسل لمشاهدتهم مجد ألوهته الذي لم يدركوا حقيقته، فرحوا لسماعهم صوت الآب يشهد للابن. هذا الصوت الذي من خلاله عرفوا سرّ تجسده معرفة حقيقية بعد ان كانت خافية عليهم كما وثبّت إيمانهم بهاءُ جسده الفائض عن الألوهة المتحدة فيه بلا تغيّر ولا امتزاج.

اختتمت شهادتهم (أي رؤياهم) بسماع صوت الآب وذلك بحضور موسى وايليا. بعدها أخذ الرسل والأنبياء يتبادلون النظرات. **هناك التقى زعماء العهد القديم بأقطاب العهد الجديد**. رأى موسى البار سمعان المتقدّس. وليّ الآب شاهد وليّ الابن. الأوّل شق البحر الأحمر ليسير الشعب في وسط اللجج والآخر أقام خيمته لبناء الكنيسة. بتول العهد القديم شاهد بتول العهد الجديد:

ايليا شاهد يوحنا . فالصاعد على مركبة نارية شاهد الذي أحنى رأسه على صدر اللهيب . **لقد أضحى الجبل المقدّس كنيسة** وحّد فيه يسوع العهدين القديم والجديد اللذين قبلتهما الكنيسة ونقلت من خلالهما مجد أعماله .

قال سمعان : « حسن يا ربّ أن نكون ههنا » . ماذا تقول يا سمعان ؟ إن أقمنا ههنا من ذا الذي يتمم كلام الأنبياء ؟ من الذي يتمم أقوال الكارزين وأسرار الصدّيقين . ان اقمنا ههنا بمَنْ يتم القول : « سمّرت يداي ورجلاي » وايضًا « لقد تقاسموا ثيابي فيما بينهم وعلى ردائي اقترعوا »؟ و« وضعوا في طعامي مرارة وفي شرابي سقوني خلًّا »؟ من يؤكّد القول : « حرًّا بين الأموات » ؟ إن أقمنا هنا من ذا الذي يمزّق صك آدم ومن يسدّد دينه ومن يعيد اليه حلّة مجده ؟ ان أقمنا ههنا كيف يتم كل ما قيل لك ؟ الكنيسة من يؤسسها ومفاتيح السماء من يأخذها مني ؟ من ذا الذي سيربط ويحلّ ؟ إن أقمنا ههنا يتأخر تحقيق كل ما ورد على لسان الأنبياء القدّيسين .

قال سمعان أيضًا : « لنصنع هنا ثلاث خيام ، واحدة لك وواحدة لموسى وواحدة لايليا » لقد أرسل سمعان لتأسيس الكنيسة وهو الذي يودّ الآن ان يبقى على الجبل ويصنع خيامًا ... أمّا الرب فقد أظهر له أنّه ليس بحاجة إلى خيام وهو الذي ظلل آباءه في الصحراء بالسحابة « وبينما هو يتكلّم اذا سحابة نيرة ظلّلتهم » . ارأيت يا بطرس خيمة قائمة بلا تعب ؟ خيمة تقي من الحرّ ولا ظلام فيها على الإطلاق ؟ خيمة لامعة ومضيئة معًا ؟

* * *

● شهادة الآب

وأمام ذهول الرسل سُمع صَوت من السماء يقول : « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررتُ فله اسمعوا » (متى ١٧:٥) . وبعد سماع صوت الآب رجع

موسى إلى مكانه وايليا إلى موضعه ، أمّا الرسل فسقطوا أرضًا ويسوع مقيم وحده لأن الصوت كان موجهًا اليه وحده . ذهب الأنبياء والرسل سقطوا أرضًا ذلك ان شهادة الآب لم تتم فيهم : « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » . لقد جعلهم الآب يعلمون ان تدبير موسى قد تم وعليهم الآن ان يسمعوا للابن . إن موسى كان كعبد يتكلّم بما يؤمر ويكرز بما يوصى اليه . وكذلك الأنبياء حتى مجيء يسوع الذي هو ابن وليس من الصحابة . هو ربّ وليس من العبيد ، سيّد وليس من المأمورين . هو الابن المحبوب بالطبيعة الإلهية . ما كان خافيًا على الرسل قد أظهره الآب على الجبل. الكائن يرشد المخلوق والآب يظهر الابن . لهذا الصوت سقط الرسل بوجههم على الأرض . أظهر لهم أن الآب اقترب ثم ناداهم الابن بصوته واقامهم عن الأرض . صوت الآب أسقطهم وصوت الابن بالقدرة الإلهية رفعهم . هذه هي الألوهة الحالّة في الجسد والمتحدة فيه بلا تغيّر .

لم يماثل موسى بجمال خارجي بل لمع بالمجد كإله . لأن موسى بلمعان وجهه جمُل أما يسوع فقد شعّ بمجد لاهوته الفائض من كل جسده كالشمس في اشعتها . والآب صرخ : « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت فله اسمعوا » دون ان يكون مفصولًا عن مجد ألوهة الابن لأن الآب والابن والروح القدس طبيعة واحدة ، قوة واحدة ، جوهر واحد وملك واحد ... إلى الأبد أمين .

***

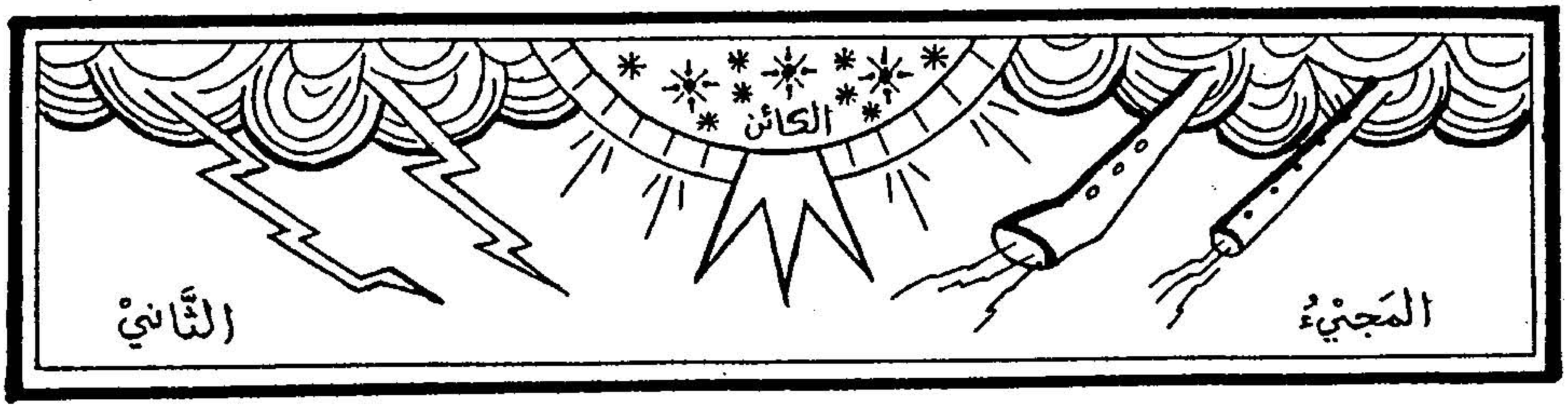

يونان

١- خرج يونان العبراني من البحر وأخذ يبشر في نينوى الوثنيين غير المختونين . دخل النبي المدينة الشهيرة وبصوته الرهيب ألقى الرعب فيها . لقد ألقى ابن أماثي حين جاء يكرز في المدينة الأولى بين الأمم فارتجّت حينئذٍ لصوته كما يرتجّ البحر الهائج . هيّج البحر بنزوله اليه وجعل اليابسة تضطرب بوطئه إيّاها .

٢- لهربه هاج البحر والأرض أرتعدت في كرازته . هدأ البحر بصلاته والأرض ثبتت بتحنن الإله العظيم . في جوف الحوت الكبير كان يصلّي(١) وأهل المدينة الكبيرة نينوى هكذا كانوا يفعلون . الصلاة خلّصت يونان من الحوت والتوسّل أنقذ نينوى من الخراب .

٣- هرب يونان من وجه الله وأهل نينوى من النعيم فأغلق العدل الإلهي عليهم وكأنهم مدينون . قدّموا لله توبة ليعفو عن كلّ زلّاتهم وهكذا يخلصون من حقّ السماء وحكمها . لقد أمر الرب أن يحفظ يونان ويلقى على اليابسة سالماً .

٤- تعلّم يونان من التجربة أنّه من العدل أن يحيا التائبون ذلك أن النعمة قدّمت له من ذاته مثالاً . عندما تاب خرج سالماً من البحر وهكذا يكون حال

(١) أنظر إلى صلاة النبي (يونان ٢:٢-١٠) التسبحة السادسة .

نينوى المدينة الغارقة في الخطايا والتائبة عنها . اضطربت المدينة كما البحر لصوت يونان الخارج من العمق . فتح الصدّيق يونان فمه وارتعدت نينوى لسماع صوته .

٥- العبراني يكرز ناشرًا الموت بين سامعيه والمدينة تضطرب . وقف الطبيب كارزًا بين الجبابرة ومن الخوف الآتي أرتعدوا كالأطفال . لقد جعلوا قلوب الملوك تتقطّع عند سماع صوته ذلك انه دمّر عليهم مدينتهم .

٦- بصوت واحد قطع عليهم كل رجاء فروى المدينة من كأس مملؤ غضبًا . سمع الملوك هذا الصوت وارتبكوا ثم تواضعوا خالعين التيجان عن رؤوسهم رغبة في التوبة . سمع الرؤساء واضطربوا وعوض الثياب البرّاقة لبسوا المسح[٢]. سمع الشيوخ المكرّمون وللحال جعلوا رأسهم في الرماد[٣].

٧- سمع الأغنياء وللحال فتحوا للفقراء خزائنهم . سمع الدائنون وللحال مزّقوا كل ما لديهم من صكوك . سمع المدينون وفكّروا أن يفوا دينهم بالعدل . أسرع كل واحد يتوسّل لله من أجل خلاصه . ما من أحد رضي بأن يخدع الآخر لأنه إنّما كان يريد أن يربح نفسه .

٨- ما إن سمع السارقون صوت يونان حتى أسرعوا يعيدون ما سلبوا من أغراض . أمّا الذين سُرقوا ونُهبوا فتجاهلوا الأمر وتركوا كلّ شيء لسارقيهم . كل واحد كان يدين نفسه ويظهر المحبّة لصديقه .

٩- سمع القتلة صوت يونان فاعترفوا أمام الحكام مزدرين بالخوف . سمع الحكام اعترافهم فعفوا لأنه وسط ذلك الغضب الرهيب لم يستطيعوا المحاكمة . كل واحد كان يحاول زرع المحبة حتى يحصد هو أيضًا المغفرة . سمع الخطأة فاعترفوا بخطاياهم . سمع العبيد فكرّموا أسيادهم . سمع الأغنياء والوجهاء فتنازلوا عن كبريائهم .

---

(٢) المسح هو لباس من الشعر متواضع .
(٣) الرماد علامة للتوبة .

١٠- توبتنا بالنسبة لأهل نينوى هي كحلم أو ظل يتوارى بسرعة لقد قدّم أهل نينوى احسانات كثيرة فهل بمقدورنا نحن أن نضع حدًّا للجشع ؟ كان أهل نينوى يحرّرون عبيدهم ويكرّمونهم أما نحن فلا نجعلنّ المحرَّرين عبيدًا عن ظلم .

١١- عندما أرسل النبي إلى مدينة نينوى الغارقة في الديون (أي الخطايا) لم يسلّحه حكم الله العادل بسيوف ورماح بل سلّحه بالكرازة أرسل يونان كطبيب لكي يداوي جراحاتهم ويشفي أمراضهم بأدوية نافعة إنها أدوية رهيبة وقاسية وفعّالة[٤] . ذلك أن النعمة الإلهية قد ارسلته لا ليدمّر المدينة بل ليعيد إليها السلام .

١٢- لم يدعهم يونان إلى التوبة مظهرًا لهم ان المريض إنما إلى الطبيب يسرع بل أغلق عليهم كل أبواب الرجاء . ذلك انهم كانوا خائفين من قرار الله .

١٣- سمعت نينوى صوت قراره وبأصوام وصلوات عادت إلى الطريق القويم وللحال بدّل الله قراره ذلك أنّ التوسل إليه يقتدر كثيرًا في فعله . لقد مرضوا من خطاياهم فلجأ إلى صوته الرهيب كالسيف يرعبهم ولا يقتلهم بل بمجرّد رؤيتهم إياه يرتدّون عن شرورهم التي تولّد الأمراض .

١٤- طبيبًا كان الذي جاء يشفي السقماء . شهر سيفه أمام المرض . شاهدته المدينة فاضطربت للحال ذلك أنه كان واقفًا خارج المدينة وسيف الغضب في يده . نهض المرضى من اسرّتهم خوفًا وسارعوا إلى التوبة . وكالسيف قطع صوته مناطق كانت عفنة منذ زمن وطهّر الجروح الصعبة الشفاء . وكالطبيب داوى يونان المرضى بعصا قوته .

١٥- عندما يقدّم الأطباء الدواء للمرضى يلجأون أحيانًا إلى التملّق حتى يتقبلوها منهم . أمّا يونان فبعكسِ الأطباء فعل ذلك بصوت قوي وتهديد عظيم

---

(٤) أي أقوال كرازته .

والمرضى عند رؤيتهم عصا كلها غضب ورجز هربوا للحال من أسرّتهم . ومن شدّة الخوف والهلع شفي السقماء من أمراض رغباتهم وتعافوا .

١٦- انقطعت مغريات الملوك المتنوّعة ومعها موائد الرؤساء الفخمة . لماذا آتي على ذكر كل هذا ؟ ذلك أنه إن لم يعد الأطفال يرضعون فكيف يرضون هم بالتنعّم ؟ وإن كانت الحيوانات قد حرمت شرب الماء فمن ذا الذي سيشرب الخمرة حتى الثمالة ؟ إذا كان الملوك قد لبسوا المسح فمن ذا الذي يرضى أن يلبس ثيابًا برّاقة ؟ وإذا كانت النساء العاهرات قد تعقّلن وتعفّفن فمن ذا الذي يفكّر بالزواج ؟ إذا كان المشاغبون قد هدأوا وهم يرتعدون خوفًا فمن ذا الذي يقدر على الضحك ؟ وإذا كان الكل يبكون وينوحون فمن الذي يجد ساعة للهو ؟

١٧- إن أدان السرّاق أنفسهم فمن ذا الذي يطمع بشيء بعد ؟ إن سقطت المدينة فمن الذي يتطلّع للحفاظ على بيته ؟ ألقي الذهب على الارض ولا أحد يلتقطه . كشفت الجواهر ولا أحد يسلبها . أغلق الجهال أعينهم حتى لا يروا محاسن النساء . أسرعت النساء إلى إخفاء محاسنهنّ حتى لا يشكك الناظرون . اجتهد كل واحد في شفاء نفسه وقريبه حتى يخلّص الجميع .

١٨- أخذ كلّ منهم يحثّ قريبه على التضرّع والصلاة والإعتراف حتى غدت المدينة جسدًا واحدًا . لم يطلب أي منهم الخلاص لنفسه وحدها بل أخذ يصلّي من أجل خلاص الجميع . ذلك أن المدينة كلها وكأنسان واحد دعيت لأن تسلّم إلى الخراب والدمار .

١٩- توسّل الصدّيقون من أجل خلاص الخطأة . صرخوا الى الله حتى يستجيب لطلبة الصدّيقين . هيّئ سريعًا ذهنك أيها الحبيب لتعاين كيف كان الجميع في نوح كبير . فبكاء الأطفال أثار الشفقة إلى درجة أنه جعل المدينة كلّها تبكي متوجّعة وصراخ الأبناء ودموعهم مزّق قلوب الوالدين وأحشاءهم .

٢٠- عند صدور ذلك الصوت الرهيب نتف الشيوخ شعرهم وانتحبوا . والشباب عند رؤيتهم الأمر الحاصل رفعوا الصوت وصرخوا . صرخ الجميع صراخًا أليمًا لأنهم رأوا أنفسهم يموتون جميعًا يدفنون ويُدفنون في آن . تمسك الأولاد بأمهاتهم والأمهات جذبن أولادهن لانقاذهم من الموت . أما الأطفال والرضع فاندفعوا يبكون في أحضان أمهاتهم بكاءً أليمًا .

٢١- كانوا يقيسون الأيام التي تنبأ عنها يونان صبحًا ومساءً ليعرفوا كم بقي لهم منها . يمرّ اليوم وهم ينتحبون بالدموع لأن أوان الموعد قريب . أخذ الأبناء يسألون والديهم وهم يذرفون الدمع : يا أباءنا قولوا لنا ، نحن أولادكم الأحبّاء كم انقضى وكم يبقى من تلك الأيام التي تنبأ عنها ابن أماتي العبراني ؟ قولوا لنا ما هي الساعة التي حدّدها لنا لنترك إلى الجحيم أحياء ؟ قولوا لنا متى يأتي دمار المدينة ويوم هلاكنا الذي شاع خبره في المسكونة كلها ؟ قولوا لنا متى سيشاهد العابرون هذا المشهد المرير ؟ ما إن سمع الآباء هذا الكلام حتى اعتراهم الحزن وسكبوا دموعًا مرّة ولم يستطيعوا الجواب لأن الحزن كان قد سدّ أفواههم . ومن أجل تعزية أبنائهم المحبوبين وحتى لا يزيدوا من تعاستهم أمسكوا أحشاءهم(٥) وامتنعوا عن سكب العبرات . كانوا يخشون قول الحقيقة ذلك أن اليوم الذي تنبأ عنه يونان قد غدا قريبًا . وكما أراد إبراهيم أن يعزي أسحق عندما تنبأ دون أن يعلم(٦) هكذا فعل أهل نينوى عندما تنبأوا دون أن يعلموا وذلك من أجل تعزية أولادهم .

٢٣- لقد حاول اسحق الحمل الناطق أن يستعلم من أبيه قال : « يا أبي أين هي الضحيّة » . وإبراهيم لم يجب ولم يكشف عن السرّ حتى لا يحزن اسحق وتتشوّه بالتالي تقدمته(٧) ذلك أنه فكّر في كيفية إقناع ولده(٨) وفي محاولته هذه

---

(٥) أي عاطفتهم وحنانهم .
(٦) عندما قال إن الله سيرسل الضحّية أي المسيح .
(٧) أي الولد الذي سوف يقدّمه لله ضحية .
(٨) بأن الله سوف يرسل الحيوان للتضحية .

تنبأ عن أمور مجهولة انطلاقًا من أمور مجهولة . لم يرد أن يجيب عن السؤال فقال له الحقيقة . كان يخشى أن يقول أنت هو[٩] فتنبأ عن أمور أخرى ذلك أن لسان إبراهيم كان يعلم أكثر من قلبه فتباطأ القلب وتنبأ اللسان .

٢٤ - اعتاد الفم أن يتعلّم من القلب لكن الفم هنا هو الذي علّم إبراهيم الأسرار المستقبلية . قال إبراهيم لخدمه : « سأصعد مع اسحق إلى الجبل وسنعود إليكم . لقد أراد إبراهيم أن يكذب[١٠] (أي أن يخفي الحقيقة) فتنبأوا بالحقيقة . قالوا لأبنائهم وهم يذرفون الدموع يا أحباءنا لا تخافوا بل تشجعوا ! لأن الربّ وهو المحبّ للبشر كثيرًا لن يقضي على صورته الخاصة . فكما يجتهد الرسّام في حفظ الصورة العديمة النسمة التي رسمها ويحرص عليها بكل انتباه كذلك يحفظ الرب صورته الحيّة الناطقة من الشرور .

٢٥ - لن تدمّر مدينتنا فالنبي **إنّما يلجأ إلى التهديد ليدعونا إلى التوبة** . كم من مرّة ضُربتم أيها الأحباء وعرفتم منفعة الضربة ؟ لقد أكتسبتم الحكمة وأصبحتم ورثاء لنا بواسطة التأديب . أمّا الحزن الآتي من الضربات فتحوّل عندكم إلى فرح . هكذا تنظرون إلى الله المحب البشر الذي كأب يؤدب أبناءه ثم يتحنن عليهم . يؤدب ولا يميت بل الأحرى يعيد إلى التوبة .

٢٦ - إن كنا نحن الآباء نؤدب أبناءنا بتهديد الضربات قاصدين تقويم العائلة كذلك يفعل الرب معنا . إنه يؤدبنا كأب ويهدّدنا بعصاه ولكنه يخلّصنا بنعمته ويظهر لنا محبته ويتحنن علينا برأفته .

٢٧ - نحن لا نستطيع أن نحبكم كما أحبّ الله الناس . فتعزّوا إذًا أيها الابناء وكفّوا عن البكاء فالمدينة لن تدمّر والغضب سوف يعبر .

٢٨ - تفوّه أهل نينوى بهذا الكلام ليعزّوا أبناءهم فتنبأوا عن غير إرادة منهم

(٩) أي أنت ستكون الضحية .
(١٠) لكي لا يقول الحقيقة لخدمه .

لأن التوبة جعلت منهم أنبيا . قالوا كل هذا ولم يكفّوا عن البكاء لأنهم وإن كانوا قد تعزّوا إلّا أنهم كانوا يتوجعون من الألم . رهبة التهديد أطالت الصوم والصلاة وجعلتهم يجتهدون في استنفاد الموعد .

٢٩- خرج الملك وأطلّ عليهم فاضطربت المدينة عندما رأته لابسًا المسح . رأى الملك المدينة حزينة لأجله فاغرورقت عيناه بالدموع . بكت المدينة الملك عندما رأت التراب والرماد على رأسه وبكى الملك المدينة عندما رآها نائمة مرتدية المسوح . لقد حزن الكل . توجّعوا إلى درجة أنهم جعلوا الحجارة تشاركهم في المصاب .

٣٠- ترى من ذا الذي صلّى على هذا المنوال ؟ ومن ذا الذي تضرّع بمثل هذا الشكل ؟ من تواضع هكذا أمام الله أم من أعلن هكذا عن أعماله الظاهرة والخفيّة ؟ من ذا الذي سمع صوتًا بسيطًا وتمزّق قلبه على خطاياه ؟ ومن ذا الذي سمع قولًا وتزعزع فكره ؟ من ذا الذي أصغى إلى صوت حزين وتخشع بالموت ؟ **أم من ذا الذي رأى بأم عينيه الإله المحب للبشر عن طريق التوبة** ؟ من ذا الذي رأى الصديق شاهرًا سيفه والمدينة كلها تبكي وتصرخ .

٣١- من ذا الذي كان باستطاعته تحمّل صوت بكاء الشباب والشيوخ والأطفال والنساء ؟ الجميع كانوا ينوحون لأنهم سمعوا أنّ أيّامهم قد انتهت ولا بدّ لهم من أن ينزلوا إلى الجحيم . فتضحي المدينة في حيرة إذ ليس هناك من دافن أو مدفون كون القضاء قد أدرك الجميع . فالشباب المستعدّون للزواج ينتظرون الآن حتفهم المفاجئ .

٣٢- من ذا الذي يحمل أوجاع العرائس ؟ فيما كنّ جالسات في قاعة العرس وعوض أن ينعمن بالفرح المنتظر أغلق عليهن مع عرسانهنّ مطروحين جميعًا للموت . من بإمكانه أن لا يبكي عندما يرى الملك باكيًا ذلك أنه سيبيت في الجحيم عوض أن يتربع في قصره الملكي وسيملك على الذين يموتون معه ويصبحون رمادًا مثله .

٣٣- سمع الملك بدمار المدينة الوشيك وهو الذي اعتاد سماع جلجلة عربته الملكية وأدرك أن الموت سوف يقضي عليه وهو الذي اعتاد الرفاهية والراحة. ذلك ان المدينة إنما دعيت كلّها لتنزل إلى الجحيم.

٣٤- دعا الملك قواته الخاصة وبكوا معًا وفيما أغرورقت عيناه بالدموع قال لهم: في حروب كثيرة كنت منتصرًا وأنتم بشجاعتكم أنتصرتم معي وتمجدتم! أمّا حربنا الآن فليست هي الحرب المأثورة حتى نخرج ونغلب لقد سبق وأنتصرنا على شعوب كثيرة إلّا أن رجلًا عبرانيًا واحدًا قد غلبنا الآن. صوتنا كان يخيف الملوك. أمّا الآن فصوته المحزن قد جعلنا نضطرب جميعًا. لقد كنا نسلب المدن ونسيطر عليها أمّا الآن ففي مدينتنا أجنبي واحد يكبّلنا.

٣٥- ارتعدت مدينتنا نينوى أمّ الحبابرة واللبوة الرهيبة اضطربت كثيرًا في حظيرتها عند رؤيتها يونان العبراني. في كل المسكونة تزأر ويونان القوي يخيفها. ترى هل اضمحلّ نسل نبروت الجبّار الذي شادها؟

٣٦- قدّم الملك لقواته أفضل النصائح قائلًا: لا نتهاملن الآن ولا نهلكن كالأشقياء. عندما يواجه أي منّا تجربة ما بشجاعة ولو غلب يربح ربحًا مزدوجًا. فإن عاش يتمجّد وإن مات يمدح كمجاهد شجاع. فلنقو إذًا ونتشجّع ونجاهد. إن لم نفز نكون على الأقل قد تركنا للآخرين ذكرًا حسنًا. لقد سمعنا بقضاء الله العادل وبمحبّته للبشر. فحكم الله يهدد الأشرار والله ينقذ لأنه صالح ومحبّ للبشر. لنرهب إذًا قضاءه العادل ولنمتلئ من رحمته.

٣٧- إن استنجدنا لقضاء الله العادل غمرتنا رأفاته. وفيما نحن ندرك عميق رأفات الله لنرتدِ الآن السلاح الكامل الجديد مواجهين هذه الحرب الجديدة التي تنتظرنا. فلا نزدرينّ إذًا بيونان ولا نكتفينّ بسماع كرازته. لقد سقطت في حزن عميق واهتمام كبير لأنني سمعت صوته المرعب الرهيب ورأيت مشهده المثير للشفقة.

٣٨- سألته أمام الجميع ممتحنًا كلماته لكنه لم يخف . لم يضطرب ولم يخجل من أقواله . لم يتراجع عن أقواله لأن الحقيقة لا بدّ أن تُقال .

٣٩- لقد أغريته ولم ينفع . أرعبته ولم يلن ، أريته غنى فضحك مني . شهرت أمامه السيف فاستهزأ به . غريبًا كان أمام السيوف والهبات . لم يتراخَ أمام مغريات الهبات ولم يلن أمام السيوف بل ظل على موقفه ثابتًا بشجاعة غير عابئ بالمخالفة والتهديد . رأى السيف فهزئ به . أمام الفضة لم يتراخَ . خرجت من فمه كلمة بسيطة ردعت أعمالنا كلّها .

٤٠- لم يخشَ أبدًا قساوتي ولم يحابي وجه كرامتي . بل نظر إلى ثرواتنا ولم يعبأ بها فهي كالتراب الذي يداس . فهل أتى من أورشليم جاعلًا وجهه من نحاس؟ كلمته كانت مرآة لنا . رأينا الله يسكن فيما هو يهددنا لأعمالنا القبيحة . شاهدنا في المرآة قضاء الله العادل يثور على أفعالنا الشريرة . بواسطته صدر حكم الله على المدينة .

٤١- لو جاء يكرز بالسلام والغلبة لظنناه عدوًا يطمع في هدايا نقدمها له لقاء كلماته الحلوة التي تنبئ بالخيرات المقبلة . **فالطبيب الحق** يدخل على المريض ويعلمه بحقيقة مرضه حتى ولو استوجب المرض الجراحة والكي المرير . ولم يجزع من قول الحقيقة لأنه لا بدّ للضرس من أن يقلع . لم يجزع من الإفصاح عن الآلام للملك حتى ولو أستوجب إعطاءه شرابًا دواءً مرًا .

٤٢- من ذا الذي يستطيع أن يدعوه كاذبًا ذاك الذي كان يكرز بالغضب . لو كان كاذبًا لتكلّم وهو جالس لكنني أراه أكثر استقامة من كل الأطباء لأنه لم يأخذ حتى كسرة خبز لقاء أتعابه . إن كان الصدّيق يونان يصوم فكم علينا بالأحرى نحن الخطأة أن نهتم بالصيام . إن كان وهو بار يتوسّل ويصلي إلى الله فكم علينا بالأحرى نحن الخطأة أن نهتمّ بالصيام . إن كان وهو بار يتوسّل ويصلي إلى الله فكم علينا بالأحرى أن نفرش لأنفسنا المسوح مع الرماد . إن هذا

الصدّيق يصوم ويصلّي حتى لا يظهر للناس كاذبًا . ترى هل يرفع الصوت في خراب مدينتنا حتى نثق بصحة كرازته ؟ علينا أن نواجهه **بالصوم والصلاة** لأن النبي لم يخطئ بل خطايانا الكثيرة هي التي ستوارينا في التراب .

٤٣– ليس العبراني هو الذي يقضي على مدينتنا بل الشر الذي فينا . أيها الأصحاب لنا عدوّ غير منظور وعلينا أن نحارب ذلك العدوّ بضراوة . لقد سمعنا بجهادات أيوب الصدّيق فشجاعته قد ذاع خبرها وتجربته كالبوق بشّرت بالغلبة على الشيطان في كل المسكونة . إن كان الشيطان هكذا يحارب الصدّيقين فكم بالأحرى يعمل ضدّنا نحن الخطأة !؟ فهو الذي خرج عند الطعام ودمّر البيت على أصحابه أبناء أيّوب مازجًا الخمر بالدماء ومحطمًا بلا شفقة عظامهم مع كؤوسهم .

٤٤– لقد انتصرنا نحن في الحرب على الملوك فلنهتمّ الآن بالنصرة على الشيطان في صلوات كثيرة . لتخرج جيوشنا الآن ولنحاربه بقوّة . أخرجوا دروعكم والبسوا المسح . انزعوا الجعبة عنكم والجأوا إلى الصلوات . غلبتنا على الملوك والأعداء ليست بشيء فلنتغلب إذًا على الشيطان فتكون غلبتنا حينئذٍ أعظم من كل الإنتصارات والجهادات التي قمنا بها حتى اليوم . وكما تقدّمتكم في حروب كثيرة أتقدّمكم الآن في هذه الحرب الحاضرة .

٤٥– وقف الملك ونزع عنه البرفير الملكي ولبس المسح . والجنود أيضًا نزعوا عنهم اللباس وارتدوا المسوح . فناح أهل نينوى الذين كانوا دومًا من قبل يرتدون لباسًا فاخرًا وذلك بسبب الآلام الآتية عليهم .

٤٦– خرج الملك مع قواته وتفقّد المدينة . أرسل مبشرين إلى كل ناحية يكرزون للناس بالتوبة ويقولون : ليمقت كل واحد شرّه حتى لا يجرّح في الحرب ويموت قتلًا ، ليسلّم السالب غنائمه ، ليتعقّل الجاهل ، ليصر الغضوب وديعًا وليدخل المتنعّم في صوم . فلا يبغضنّ أحد من بعد ولا يسلبن ولا يكن محزنًا

للآخرين وشاتمًا . فإن غفرنا نحن العبيد لأخوتنا زلاتهم فسوف يغفر لنا الله ما ارتكبنا من زلات . هذه هي شيمة رتبتنا هكذا نغلب فتخلص المدينة .

٤٧- هكذا كان رسل الملك ينشدون في المدينة العظيمة . ويدعون جميع الناس والحيوانات للصوم . وقف الملك كطبيب يداوي مريضته[١١] لقد قدّس بالصوم فرقته وبه أعطاها درعًا للمجد وخوذة للخلاص . أسرع ليكرز فيها بجعبة الوداعة التي منها تخرج السهام وتصل إلى السماء . إنها سهام المحبة والإيمان والرجاء[١٢] . وبعد أن سلّح الملك فرقته بالأصوام والصلوات أخذ يتفقد الجموع رجالًا ونساء وهو يقول : « لنحارب كلنا بشجاعة ومروءة من أجل خلاصنا » . لبس الملك المسح حتى يتسلّح الجميع مثله بالتواضع .

٤٨- إن ابن الجبار الشجاع نبروت بعد أن ترك طرائده أخذ يحارب أهواءه كلها حتى يقتلها . فعوض الوحوش أخذ يذبح الخطيئة العدوّة . لقد ترك الوحوش الظاهرة واجتهد في محو الشر الذي فيه . عوض أن يجلس على مركبة مجده أخذ يسير في المدينة على قدميه داعيًا الكل إلى التوبة . كان الملك يعبر في الساحات كلها ليطهّرها من دنس الخطيئة . كان يسير بتواضع فظهر بذلك سندًا للمدينة المتزعزعة[١٣] وحائلًا بينها وبين السقوط والدمار .

٤٩- رأى يونان كل هذا وتعجّب . لقد أدهشته أبناء الأمم . رأى أعمال أهل نينوى وفضائلهم وبكى نسل إبراهيم . رأى نسل كنعان يتبرّر بالإيمان ونسل إبراهيم يزني مبتعدًا عن الله . رأى قلوب أهل نينوى غير المختونة تختتن فيما المختونون[١٤] يلبثون في قساوة القلب . لقد عرف ملك نينوى مصدر الغضب المكروز به والناتج عن خطاياهم لذلك عمل على إبعاد الشرور .

---

(١١) أي المدينة المريضة نينوى .
(١٢) التي تعمل كالسيوف وتأتي بالفرح .
(١٣) من جرى الخطيئة .
(١٤) أي اليهود العبرانيون .

٥٠- لقد ظهر الملك طبيبًا بالحقيقة إذ رأى بوضوح مصدر سقم المدينة وبعلاج الصوم والمسح والرماد[١٥] شفى المدينة طاردًا عنها الخطيئة . أتى يونان قاضيًا يطالبهم بمسؤولية أعمالهم فرأى صومهم وغفر ذنوبهم .

٥١- اجتمع أهل نينوى ليطلبوا الرحمة من الرب ويهربوا من الموت . عرف أهل نينوى **أن الصوم قادر على إيقاف قرار الموت ومنحهم الحياة** . كان يونان يصوم بدوره خوفًا من أن يخلص أهل نينوى بالصوم ويظهر كاذبًا . لكن التوبة محت قراره . هكذا علم سكان نينوى الحكماء أن الله رؤوف ورحوم ويمنح رحمة كليّة للتائبين إليه .

٥٢- رأى أهل نينوى النبي قاسيًا والله محبًا للبشر . فتركوا الرجل االقاسي ولجأوا إلى الأب الرحوم . لقد قطع يونان عليهم كل رجاء مهددًا إياهم **لكن الصوم زاد في الرجاء ووعد بالحياة** . الجو الذي كان شاحبًا أضحى بفعل توبتهم لامعًا . ارتجفت المدينة بإذلال وتشددت بإحسانات أهلها . بقي الأطفال في أحضان أمهاتهم لأنهم تعلّموا الصوم في أيام المحنة .

٥٣- صرخ الشيوخ لابسين المسح والرماد فمدّدت لهم الحياة كما حصل مع حزقيا . بكى الشباب فحفظ الله بهم لهم أكاليلهم . تقبلت العرائس الحزن فرجعن إلى أخدارهنّ فرحات . حُرمت الحيوانات من شرب الماء فصرخت وأضحت الأصوات زهيبة عند الناس وعند الحيوانات . لكن حكم الله العادل سمع صراخهم فخلّصت نعمته المدينة في يوم الدمار الذي هدّد به يونان .

٥٤- كانوا إذًا يصومون ويتوسلّون باستمرار . لم تجفّ عينهم من دموع التوبة . يتوقف لسانهم عن طلب الرحمة . لم تصغ آذانهم إلى أي صوت آخر لأنها كانت منشغلة بسماع أصوات النحيب والبكاء والتوجّع . ما من أحد يشاهد فرحًا أو ضاحكًا أو لاعبًا لأن الجميع كانوا منشغلين في قرع صدورهم

(١٥) أي بالتواضع .

من الحزن . أما دموعهم المتساقطة فكانت تثير الشفقة . **لقد عرفوا التوبة والصوم والطهارة** وعرف الجميع العفّة رجالًا ونساءً .

٥٥- عندما عاينت نعمة الله هذه الأمور تحنّنت على سكان نينوى وأسبغت عليهم ندى الرأفة والحياة . فالله لا يريد موت الخاطئ إلى ان يعود ويحيا . أراد الله التوبة والخلاص لأنه صالح ومحبّ للبشر ، رحوم وطويل الأناة ، هو الآب مع الأبن والروح القدس الذي له يليق المجد الى دهر الداهرين . آمين . حلّ الوفاق بين الغضوبين والشيوخ تسالموا والشباب تعلّقوا والعذارى يتطهرن . المتجاسرون والعبيد أضحوا ودعاء . تساوى الجميع في الطعام والشراب الأغنياء والفقراء ، الحكام والعبيد ، لأن الكلّ أتخذوا نيرًا واحدًا هو نير التوبة لينالوا به رأفات الله . قام الجميع بعمل واحد ناشدين غفرانًا واحدًا من الله .

٥٦- كانت المدينة ترتجف كالقصب في مهبّ الريح ، وكالعصفور الذي يتمطى على الشوك . لم يعتقدوا أنهم سيدركون ضوء النهار . كانت المدينة مقيمة في أفواه الموت ، تقرع مرتعدة عند أبواب الجحيم . يونان يعدّ الأيام والليالي وأهل نينوى يعدّون خطاياهم . كان يونان يصلّي في مظلّته[١] حتى يخرج بالحقيقة وأهل نينوى في المدينة يتوسلون حتى لا يموتوا ، جزع يونان عند مشاهدته دموعهم لذا أخذَ يراقب ما سيحدث للمدينة . كان يتفيأ بظل اليقطينة التي لم يَنصبْها بنفسه . لكنه كان يحترق وسط لهيب النار لأن المظلّة[١] ييست ويمين العليّ ألقت على أهل نينوى ظلّها .

٥٧- رأى يونان أهل نينوى يرتجفون من غضب الله العادل . رأى رضّعًا يصرخون من صوم وبكاء . رأى أطفالًا ينوحون وحملانًا وخرافًا يصرخون . رأى أحشاء الأمّهات تتمزّق وتبتهل إلى العلّي . رأى شيوخًا يبكون ويلتجئون إلى الله فيما شيوخ إسرائيل غير ثابتين . **رأى نينوى في توبة عظيمة وصهيون[٢] تزني**

---

(١) التي صنعها من أوراق اليقطينة .

(٢) أي أورشليم .

وتتعلّق بالأصنام. رأى نينوى بتوبتها توبّخ أورشليم الثائرة توبيخًا شديدًا. رأى زانيات نينوى يتعقّلن وبنات يعقوب يزنين بوقاحة صريحة. رأى كاذبات نينوى يقلن الحقيقة ونبيات صهيون الكاذبات يمتلئن غشًا.

٥٨- في نينوى حطّمت الأصنام جهارًا وفي أورشليم سُجد لها خفية. لقد أستفاد يونان من الأمم كما أستفاد قبله أنبياء كثيرون ذلك عندما استقبل كاهن الأصنام موسى وأسدى اليه النصح وحين أستقبلت أرملة صرفت إيليا وحين رحّبت القبائل الغريبة بداود بعد أن طرده شاول ملك إسرائيل. **رأى يونان نينوى كنيسة مجتمعه** وجاهدة[٣] في الاعتقاد أن كرازته ليست بصحيحة بينما هيكل الله في أورشليم جعله اليهود هيكل لصوص.

٥٩- أبدى ملك نينوى إحترامًا وإكرامًا للربّ. ثم أخذ أهل نينوى يبكون أحياءهم. ناح الجميع على أبنائهم وأهلهم. نوح كبير وبكاء مرّ. ذلك أنهم جميعًا كانوا يعتقدون أن موعد نزولهم إلى الجحيم قد غدا قريبًا. وكلما انقضت الأيام كلّما ازدادت الدموع حتى خيّل إليهم أنهم ليسوا بعد بموجودين.

٦٠- اليوم الذي تدمر فيه المدينة آتٍ إن لم يتوبوا. لذا بكوا وغرقت المدينة في الدموع حتى أن تراب الأرض المبلّل تحوّل إلى وحول.

٦١- اندفع الآباء والأبناء ينوحون معًا على موتهم المحتم. تأمل الآباء في جمال أبنائهم الذي سيضمحّل وغشيت الظلمة أعينهم حزنًا. ظنوا جميعًا أن الأرض ستتزلزل فرفعوا الصوت بالبكاء إلى أن وصل إلى عنان السماء. ذهب الشيوخ والعجّز إلى القبور يبكون. ذلك انه لن يوجد هناك من يَدفن أو من يُدفن. تراءى الحوت المرّ لعيني كل منهم لذا أخذوا يصرخون من الوجع لأنهم لا يعلمون أي موت كان ينتظرهم.

---

(٣) جاهدة عن طريق التوبة.

٦٢- حين سمعوا الأرض تتشقق تمزّق قلبهم وتحيّروا في الموت الذي كان في النهاية ينتظرهم. تغيّرت سحنة وجوههم عندما فكّروا ان الأرض سوف تنقلب رأسًا على عقب. الملك هو لابس المسح يتألم لأنه لن يوجد في الغد والجميع يأكلون الرماد ويبتهلون إلى الله. يدعون أصحابهم للشبع من رؤيتهم قبل نزولهم إلى الجحيم.

٦٣- عندما دنا المساء وقف الجميع أمام الموت يمسك كل منهم بيد الآخر وينوحون معًا. حلّ الليل الأخير وانتظروا الساعة التي فيها سيسمعون صوت الخراب والدمار. خيّل إليهم أن المدينة ستدمّر في العشاء. جاء وقت العشاء ولم يحدث شيء. فاعتقدوا أن الفوضى والخراب سيحلّان في الليل. حلّ الليل ولم يُسلموا إلى الهلاك. ثم اعتقدوا أن نهايتهم انما تكون في وسط الظلام. تلاشت الظلمة دون أن يصابوا بشيء. ثم فكروا بأن المدينة ستدمّر في الصباح. لاح الصبح وازداد رجاؤهم. **وفي الساعة التي انتظروا فيها هلاكهم أكتنفهم الفرح**، فرح الجميع، الأقرباء والأصدقاء، ومجّدوا الله الذي رحمهم جميعًا.

٦٤- كان يونان يراقب عن بعد كل ما يجري ويخشى أن يظهر كاذبًا. وفي الساعة التي كان ينتظر فيها سقوط المدينة، في هذه الساعة بالذات أنقذت المدينة. فالرب الصالح حين رأى دموعهم تحنّن عليهم. لقد توقّع أهل نينوى الموت فماتوا مسبقًا وكانوا بالتالي أمواتًا غير مدفونين. ذلك أن رهبة الأمور التي كانت تنتظرهم قد أماتتهم وهم بعد أحياء. كان يونان ينتظر أن يصابوا بالجنون والمخاوف من هول الشدائد لأنهم أضحوا كالخيال.

٦٥- لم يقدّر يونان حقّ التقدير شدائد أهل نينوى ولم يرث لحالهم بل طلب أن يهلكوا جميعًا. أمّا الله فقد تحنّن عليهم وحرّرهم من الخوف وأعاد المدينة إلى الحياة. فرح الجميع وامتلكهم أفضل رجاء عندما شاهدوا الغضب يتحوّل إلى رحمة. وخرّوا على ركبهم يصلّون ورفعوا الأيدي شاكرين الله الذي

برحمته خلّصهم من الموت ومنحهم الحياة وهم الذين كانوا يتوقعون الموت الأكيد.

٦٦- عندما رأى يونان أن خلاص أهل نينوى سيظهره كاذبًا اضطرب إلى حدّ كبير. أمّا سكان نينوى فأخذوا يلاطفونه قائلين: لا تحزن يا يونان لأننا من خلال تبشيرك وجدنا حياة جديدة وعرفنا الرب جابل الكلّ وخالقهم! لا تخف! أنت لم تظهر كاذبًا لأن شرّنا كله قد فني وإيماننا قد أرتقى. بك وجدنا التوبة وتزودنا من ذخائر الله(٤).

٦٧- قل لنا يا يونان بماذا كنت ستنتفع لو خربت المدينة ومتنا جميعًا؟ ماذا كنت سيربح يا ابن أماسي لو ابتلعنا الجحيم كافة؟ لماذا تحزن يا من شفيتنا من الشرور؟ إن جمهور شعب نينوى يشكرك على إحساناتك. أتتنهد لأنك لم تودِ بالمدينة إلى الهلاك بل إلى معرفة الله أوصلتها؟ لماذا تنوح على الذين بالتوبة قد خلصوا؟ الآن وقد كلّلت فلتبتهج نفسك لما حدث! لقد ابتهجت الملائكة في العلاء وعليك أنت أن تبتهج على الأرض. فالله مع الملائكة في السماء يفرحون من أجلنا. ليتعظم فكرك أكثر فأكثر لأنّ الجميع قدّموا الإكرام لله. تعزّ إذًا لأن المدينة والملك يخرون لك بإبتهاج!

٦٨- لقد رأيت كيف نجا الرضّع من الموت فتعزّ إذًا وصلّ من أجل حياتهم. أنظر إلى الأطفال كيف حفظوا وضع يدك على رأسهم(٥). بارك المدينة التي أنقذت من غير توقع رجاء. هذه المدينة التي فيها سيلهج بذكرك كبيرًا. أبعد عنك النوح وكفّ عن الصوم وامنحنا يا نبي الله نعمة وبركة.

٦٩- قال أهل نينوى ليونان كل هذا الكلام بل أكثر منه كي يضعوا حدًا لحزنه الظاهر في غير أوانه فيما هو مقيم خارج المدينة. ذهب اليه أهل المدينة

(٤) أي من رحمته ممّا يسدّ حاجتنا إلى الخلاص.
(٥) لكي تباركهم.

وعاينوا مشهدًا مريعًا . رأوا يونان قائمًا وسمعوا أصواتًا تصدر عنه كل منها يدين الآخر . سمعوا يونان يدافع عن نفسه أمام الله ويجيب بنفسه عنه . ذلك أن الروح القدس الذي كان يتكلم من فمه ويحكم كان هو نفسه ينطق من داخله . فبدأ وكأن هناك شخصين . فالله والنبي يتبادلان الحكم .

٧٠- سمع الجمهور يونان يدافع في آن عن نفسه في ما يختصّ باليقطينة وعن المدينة والله معًا . كان يتفوه بكلمات وكأنها صادرة عن شخصين يتكلمان بلسان واحد . فيونان يتكلم مع الله والله يجيب بواسطة يونان نفسه . يا له من محام ! كيف أن لسانه هذا كان يدافع معًا عن نفسه وعن الله ؟ !

٧١- كانت الجموع المحتشدة هناك تسمع كيف كان يونان في حديثه يلتقي مع الله ثم يدافع عن نفسه وهو يقول : يا سيّدي وإلهي لماذا تركتني هكذا أتألم ولماذا جعلتني أبدو كاذبًا ؟ وكأنه لم يكفك يا رب كل هذا بل جعلت اليقطينة التي كانت تحفظني من الحر تيبس والشمس تحرقني . لذا فأنا أطلب الموت ، فخذ روحي يا رب فإني حزين جدًا من أجل اليقطينة .

٧٢- وللحال أجابه الروح القدس من فمه بأن لسانه يدينه . ثم أخذ يحاربه وفمه يوبّخه مبررًا لله . سمعت جموع المدينة من فم يونان دفاع الله عنها . قال الرب : «أنت تحزن من أجل اليقطينة التي لم تربها ولم تتعب من أجلها ، هذه اليقطينة التي نبتت وعند الفجر يبست . فكم أحزن أنا بالتالي من أجل مدينتي . فخذ من مثل اليقطينة التي يبست مثلًا وعبرة . لتكن اليقطينة إذًا لك مرشدًا تتعلم منها الفهم والحكمة وتدرك خلالها عظيم أوقات الله .

٧٣- أنت تحزن من أجل اليقطينة وأنا من أجل المدينة . تطلب المظلّة الواقية لنفسك وهلاك المدينة من جذورها . أين هي حكمة يونان ؟ لماذا تفضل اليقطينة على المدينة ؟ تترأف على يقطينة هزيلة وتقسو على المدينة . كيف عظمت في عينيك إلى هذا الحدّ اليقطينة الفاسدة على أهل نينوى التائبين ، أعليت شأن

الأوراق أكثر من الكائنات العاقلة.

٧٤- ما إن سمع أهل نينوى هذا الكلام حتى مجدوا الله الذي يحكم لصالح مدينتهم. لقد تحنّن الجابل والخالق على خليقته والسيّد على عبيده واصدر من فم يونان حكمًا عادلًا. أما يونان الذي غلب عن غير إرادة منه فأعطى مجدًا لله لقد حكّم في حكمه حكم الحاكم (أيّ عندما أدانه الله صدّق على حكم الله القاضي العادل).

٧٥- لقد أرتضى الله الجزيل الرأفات أن يستخدم صوت يونان المرعب من أجل خلاص المدينة. أمّا يونان فقد دخل في نزاع حاد مع الله حتى تهلك المدينة ولا يظهر بالتالي كاذبًا. ابتهجت الجموع كلّها وهي تسمع وتشاهد يونان مغلوبًا من الله على أمره. لكنهم حين أدركوا أنّ الله يعزّيه أسرعوا يكرّمونه. ازفوه في احضانهم فدخل المدينة كملك وجلس فيها بمجد. اجتمع حينئذٍ التائبون حوله وسجدوا كلّهم له وقدّموا له هدايا وعشورًا وما جمعوه في فترة حزنهم.

٧٦- فتح الملك خزائنه وقدّم له الهدايا الثمينة. كل فم في نينوى مجّد يونان الداخل إليها على عربة ملكية. الحوت جلب يونان من البحر وعلى اليابسة في مدينة نينوى عظمه الملك وجميع الشعب. قاده السمك في البحر وفي عودته إلى أورشليم أرسل الملك رؤساء محترمين ليهيئوا له كل ما كان يحتاج إليه. لقد أرشد الله الحوت وأعلمه أين يتوجه. كذلك أرشد الملك النبي في طريق عودته.

٧٧- عند دخوله المدينة خرج الملك بمجد للقائه. ذاك الذي ارتعد خوفًا من كرازته يتقدم الآن للقائه. لقد قدمت المدينة كلها الإكرام له عند مجيئه. وكان الملك يخشى ألا يدرك يونان ما حصل في المدينة فيعود إلى تخريبها.

٧٨- عندما اقترب يونان من حدود أورشليم أبلغ مرافقيه بأن يعودوا إلى بلادهم. لقد فعل ذلك لأنه خشي أن يروا في أورشليم وثنية وجحودًا كبيرًا. خاف أن يتعلّم التائبون وخائفو الله الجحود من أهل أورشليم فيعودوا إلى ذبائح

الأصنام . كان يخاف من تجدد الجرح الذي كان الله قد عالجه وأوصاهم أن يعودوا إلى نينوى . لكنهم لم يسمعوا له قالوا له : لا تبعدنا عنك أيها النبي ، دعنا ندخل معك أرض إسرائيل ونتعلّم منها الفضائل والشرائع والأعمال الحسنة القويمة والأمثال والأقوال . دعنا ندخل ونشاهد الأرض التي لا تعرف الوثنية بل الإيمان والإستقامة . دعنا نتعرّف على الجذور الصالحة التي منها نبتّ . نتوسّل إليك أيها النبي ، وكأجرة لنا ، أن تسمح لنا بالدخول معك .

٧٩- كانوا يتوفوهون بهذا الكلام ويونان رأسه إلى الأرض يفكّر كيف يستطيع اقناعهم بالعودة . كان يخشى العبرانيين كونهم أشرارًا جاحدين لذلك طلب الموت لنفسه حتى يتحرّر من هذا المأزق .

٨٠- أخذ النبي يتعلّل أمامهم بعلل واهية ويقول : اليوم عيد كبير في بلادنا والغريب لا يستطيع أن يدخل . فأنتم وإن كنتم مؤمنين لا تستطيعون أن تدخلوا ذلك أنكم غير مختونين. عودوا بسلام وفرح إلى وطنكم وإلى الملك الذي أرسلكم وبعد إنتهاء العيد يمكنكم أن تأتوا من جديد .

٨١- حزنوا جدًّا لهذا الكلام وقبّلوه باكين وعادوا . وبعد أن ابتعد النبي رأوا في الموضع الذي كانوا فيه جبلًا عاليًا وفكروا بالصعود إليه ليروا الارض عن بعد . صعدوا إلى قمة الجبل ومن هناك رأوا المنطقة كلّها . وتعجبوا إذ شاهدوا أناسًا يقدمون الذبائح للشياطين . كما شاهدوا التماثيل على المرتفعات والأصنام على الأبواب . يدخل الواحد منهم ، ويقدّم السجود والأحترام للأصنام والآخر يقدّم خروفًا ويهرق دمًا للشياطين . لقد شاهدوا أشياء لا تصدّق . شاهدوا كلّ الألاعيب والفنون الشيطانية .

٨٢- أخذوا يقولون : ربّما نشاهد حلمًا فنحن نرى إسرائيل كصدوم أهؤلاء هم أحفاد إبراهيم حقًا أم أن الشياطين تظهر لنا خيالات ؟ هل هرب الجحود من بلدنا وجاء يستوطن ههنا ؟ هل عادت الأصنام التي حطمناها إلى هنا مقبولة

محترمة؟ تلك الأصنام التي لم تأتِ من بلادنا فقط بل ومن أماكن أخرى لا نعرفها. في بلادنا لا نسجد للحية أمّا هنا فيسجدون للحيات. في بلادنا نريق دم الحيوانات أما هنا فيريقون دماء أبنائهم وبناتهم.

٨٣- وحيث أن الشعب الذي أقتبل ناموس الله على يد موسى يقيم الأصنام ويسجد لها فلنهرب اذًا من هذا الشعب الشرير ولنبتعد عن أعمالهم الرديئة. فأرض إسرائيل التي سيحلّ بها الخراب لا ارض نينوى. تفوهوا بهذا الكلام وقفلوا عائدين إلى وطنهم خائفين وهم يمجّدون الله.

الخلاصة:

٨٤- لنمجّد نحن أيضًا الله الذي **بواسطة أهل نينوى قد منحنا نموذجًا للتوبة** وعربونًا للخلاص. وكما خلص الله أهل نينوى بواسطة يونان هكذا يخلّص دائمًا شعبه بواسطة ابنه الوحيد. ويدين الشعب الإسرائيلي التينة غير المثمرة التي تحجب الخلاص وثمار التوبة عن الأمم باسم ربنا يسوع المسيح الذي له يليق المجد والقوة مع ابيه وروحه القدّوس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

***

الشواهد الكتابية

الفصل :

١- « وأخذ يبشر في نينوى » يونان ٣:٤

١- « وجعل اليابسة تضطرب بوطئه اياها » يونان ٣:٥

٢- « لهربه هاج البحر » يونان ١:٤

٢- « والأرض ارتعدت من كرازته » يونان ٣:٥

٢- « هدأ البحر » يونان ١:١٥

٢- « في جوف الحوت الكبير كان يصلي » يونان ٢:٢

٢- هكذا كانوا يفعلون » يونان ٣:٨

٢- « الصلاة خلّصت يونان من الحوت » يونان ٢:١١

٢- « التوسّل أنقذ نينوى من الشقاء » يونان ٣:١٠

٣- « هرب يونان من وجه الله » يونان ١:٣

٣- « وأهل نينوى من النعيم هربوا » يونان ٣:٧-٨

٣- « وهكذا يخلصان من حق السماء وحكمها » يونانُ يونان ٣:٩

٣- « أمر الرب أن يلقى يونان على اليابسة سالماً » يونان ٢:١١

٤- « عندما تاب » يونان ٢:٨

٤- « وهكذا يكون حال نينوى المدينة الغارقة في الخطايا » يونان ٣:٤-٥

٥- « جعل قلوب الملوك تنقطع عند سماع صوته » يونان ٣:٦

٦- « ارتبكوا ثم تواضعوا ... لبسوا المسح ... جعلوا رأسهم في الرماد » يونان ٣:٦

٧- « ما من أحد رضي بأن يخدع الآخر؟ يونان ٣:٨

١٣- « بأصوام وصلوات عادت إلى الطريق القويم » يونان ٣:٨

١٣- « لأنّ التوسّل إلى الله بدّل قرار الله » يونان ٣:١٠.

١٦- « حرمت الحيوانات من شرب الماء » يونان ٣:٧

٢٢- « كما أراد ابراهيم أن يعزي اسحق تكوين ٢٢:٨

٢٣- « يا ابي أين هي الضحية » تكوبن ٢٢:٥

٢٤- « قال ابراهيم لخدمه » تكوين ٢٢:٥

٢٤- « لن يقضي على صورته الخاصة » تكوين ١:٢٦

٢٥- «الله كأب يؤدّب أبناءه» تثنية ٨:٥

٢٦- « الله يظهر لنا محبته » يوحنا ٣:١٦

٢٧- « كفوا عن البكاء ... الغضب سوف يعبر يونان ٣:٩

٢٩- « خرج الملك ... لابسًا المسح ... الرماد على رأسه » يونان ٣:٦

٢٩- « المدينة مرتدية المسوح » يونان ٣:٨

٣١- « ان ينزلوا إلى الجحيم » تكوين ٣٧:٣٥

٣٢- « يموتون معه ويصبحون رمادًا مثله » أيوب ٣٠:١٩

٣٦- « قضاء الله العادل ومحبته للبشر » يونان ٤:٢

٤٣- « لنا عدوّ غير منظور ١ بطرس ٥:٨

٤٣- « سمعنا بجهادات أيوب » أيوب ٢:١٠

٤٣- « الذي خرج عند الطعام ودمّر البيت » أيوب ١:١٨-١٩

٤٥- « نزع عنه البرفير الملكي ولبس المسح » يونان ٣:٦

٤٦- ليمقت كل واحد شرّه » يونان ٣:٦

٤٦- «ليمقت كل واحد شرّه» يونان ٣:٨

٤٦- «أرسل مبشرين يكرزون للناس بالتوبة» يونان ٣:٧

٤٦- «إن غفرنا لاخوتنا زلّاتهم» متى ٦:١٤

٥٥- «الله لا يريد موت الخاطئ إلى ان يعود ويحيا» ١ تيمو ٢:٤

٥٦- «يونان في مظلته» يونان ٤:٥

٥٦- «كان يتفيأ بظل اليقطينة ... لأن المظلة يبست» يونان ٤:٨-٩

٥٨- «استقبلت أرملة صرفت ايليا» ٣ ملوك ١٧:١٢

٥٨- «استقبل كاهن الأصنام موسى» خروج ٢:١٦-٢١

٥٨- «القبائل الغريبة رحّبت بداود» ١ ملوك ٢٩:٦

٦٤- «الرب تحنن عليهم» يونان ٤:٢

٦٦- «يونان اضطرب إلى حدّ كبير» لوقا ١٥:١٠

٦٩-٧٠-٧١-٧٢* «حوار يونان مع الله» يونان ٤:٢-١١

٧٨- «دعنا نتعرّف على الجذور الصالحة» رومية ١١:١٦

٧٨- «خشي أن يروا في أورشليم وثنية وجحودًا» ٤ ملوك ١٥:٣٥

١٦:٤

٢١:٢-٧

٨١-٨٢- «الجحود الكبير» ٤ ملوك ١٥:١٩

٨٤- و«ويدين الشعب الاسرائيلي التينة غير المثمرة» متى ٢١:٩

***

في مديح الشهداء القدّيسين

رسّام أمّي عطلٌ عديم التعقّل يودّ أن يهيّء أيقونة حسنةً ، برّاقة جميلة لكلّ المشاهدين . يريد أن يعرض لهم إنجازات الشهداء القدّيسين . لكن لا يتوفّر لديه ألوانٌ جديرة بالأيقونة فكيف يتجرّأ الرسّام هذا العطل ، العديمُ الفنّ أن يأتي بمثل هذه الأيقونة التي تفوق قدرته ؟

طبعًا لا يجهل عدم قدرة فنّه ولا ينسى عدميّته . لذلك يجثو على قدميه ويتوسّل بالدموع إلى سيّد الكلّ المسيح الملك الذي منح لشهدائه قوّةً في الجهاد وصبرًا في الشدائد لكي يتغلّبوا على مكائد العدوّ مبغض الخير من أجل أن يفوزوا بالإكليل الذي لا يذبل . يتوسّل إلى الله الصالحِ القدّوس لكي يمنحَ الفنانَ الرديءَ حكمةً كبيرةً لائقةً بانجازات الشهداء القدّيسين . وذلك لكي تشاهدها الأجيالُ الطالعة وتتعرّفَ من خلالها على **الصبر الطويل والصمود العظيم** الذي كان لدى الشهداء اللابسي الجهاد .

لقد كانوا بالحقيقة شجعانًا لذلك يستحقّون المديح . لأنه في زمن الاضطهاد عندما كان الأخوة الآخرون يهربون من الجهاد ولا يعترفون بالمسيح أنه ابن الله ، وقف الشجعانُ بكلّ رجولة ممنطقين أحقاءهم بالإيمان الصادق (راجع أف ٦:١٤) يعترفون ببسالة كبيرة **بالمسيح أنه ابنُ الله** .

كان الإخوة الآخرون يهربون من الجهاد أي يهربون من ملكوت الله السماوي فباتوا غيرَ مستحقين له . بينما وقف الشهداء الشجعان صامدين وصابرين على العذاباتِ بفرح كبير من أجل اسم ابن الله الوحيد مخلّص العالم .

كيف ولا يكون الشهداء المطوّبون شجعانًا ؟ كانوا يشاهدون بأمّ أعينهم

عذابات رهيبةً قائمة أمامهم مع النار المحرقة وكلّ وسائل العذاب . كانوا يشاهدون الدواليب تدور في وسط النار الشاعلة وكذلك الحراب ، السلاسل والرباطات المختلفة . بكلمة واحدة كانوا يرون آلات العذاب كلّها تلك التي ابتكرها العدوّ عدوُّ الحق ضدّ المعترفين باسم المخلّص . كلّها معروضة أمام أعين الشهداء لكي تُثنيهم عن الاعتراف بيسوع المسيح .

لكن ماذا فعل هؤلاء المجاهدون أحبّاءُ الله الكاملون أمام مشهد هذه العذابات الكثيرة المعروضة نصب أعينهم ؟ بعزم ثابت وبدالة كثيرة اعترفوا بالمسيح أمام منبر الرؤساء والقضاة بلا خوف ولا تردّد . لم تخيفهم المشاهد هذه كلّها . . . بل على العكس رفعتهم بإيمان ليزدروا بمكائد العدوّ كلّها .

أرأيتَ شجاعة هؤلاء العبيد المحبّين لله ؟ أرأيتَ عظمة المجاهدين المحبّين للمسيح ؟ أرأيتَ عزم أولئك الذين يشتهون ملكوتَ الله العلويّ ؟ أرأيتَ إيمانهم الكامل ومحبّتهم الكاملة ؟ كيف ازدروا بكلّ شيء كائن على الأرض لكي يعاينوا اللهَ الذي أحبّوه ؟ أرأيتَ الشوق من أجل المسيح ؟ كيف يرفع من الأرض أولئك الذين يريدون أن يرتفعوا ؟ أرأيت كيف أن الفردوس يشتاق لرؤية المجاهدين المكلّلين وسط نوره ؟

اقتربْ وانظر بأعين نفسك أيها الأخ الصادق ، يا وريثَ الشهداء ، عظمةَ الإيمان الذي للمجاهدين الكاملين وفكرَهم الأمين الثابت . كيف لم يستطع عنفُ العذابات أن يكبح فكرَ الصدّيقين والمحبّةَ التي تشدّهم نحو الله بل على العكس عند تعذيبهم كانوا يقتبلون بفرح كبير الجراحَ كمتعة كبيرة ويشكرون الله . لأنهم استحقّوا أن يتألّموا من أجله .

كيف ولا أمدحكم أيها المتوشّحون بالمسيح الكاملون ؟ أو ماذا أسمّيكم أيها المغبوطون المجيدون ؟ من يستطيع أن يسرد قصّة إيمانكم ؟ إن حكمة الخطباء والفلاسفة تعجّبت عندما رأت حوادث عجيبة تحصل لعبيد المسيح . استُنفدت

كلمات الطغاة والقضاة عندما رأوا عزم الشهداء القدّيسين **والصبر الكثير للمجاهدين** ! لأنه عندما كان الخدّام الأثمة يعذّبون أجسادَ الأبرار لم يروهم يحزنون ويعبّسون بسبب العذاب بل رأوهم يفرحون كثيرًا ويجدون راحة وبهجةً في وسط العذابات .

* * *

● يوم الدينونة

لكن نحن أيها الإخوة فأيُّ جواب سيكون لنا في ذلك اليوم الرهيب يوم الدينونة . لأنه بدون اضطهاد وبدون أيّة شدّة أظهرنا لا مبالاة كبيرة من أجل محبّة الله ومن أجل حياتنا ؟

أمّا الشهداء بالرغم من الشدائد ومن مواجهة التجارب والعذابات الرهيبة أحبّوا الله بكلّ نفوسهم لذلك لم تستطع لا التجارب ولا العذابات أن تفصلهم عن محبّته . أمّا نحن على العكس نعيش في الراحة والترف ولا نحبّ الله السيّد الصالح . ماذا نفعل عندما يأتي ذلك اليوم الرهيب ونرى الشهداء اللابسي الجهاد يُظهرون أمام منبر القضاء وبكلّ دالة ، علامات الجراح والعقوبات الرهيبة ؟ نحن إذًا ماذا سنُظهر حينذاك ؟ أية إنجازات ؟ **المحبّة لله والإيمان به ؟ ابتعادنا عن الأرضيّات** أو عدم الهوى ؟ هل نظهر **هدوًا أم وداعةً ؟ رحمة أو مشاركة لآلام الآخرين ؟ الصّلوات النقيّة أو التخشّع الصافي ؟ السهر أو الدموع ؟** مغبوط هو الذي عنده مثل هذه الإنجازات حتى يشتركَ هناك مع الشهداء ولا يُطرد خارج الخدر خدر النور بل يكون له دالة عن طريق إنجازاته أمام المسيح وملائكته .

-أيها الشهداء اللابسو الجهاد لقد عانيتم الشدائد باختياركم محبّةً-بالله والمخلّص . عندكم دالةٌ أمام السيّد نفسه . فتوسّطوا أيها القدّيسون من أجلنا نحن

الكسالى الخطأة الممتلئين تهاونًا لكي تأتي علينا نعمةُ المسيح وتنيرَ قلوبَ المتهاملين كلِّهم فنحبّه. أنتم في الحقيقة مطوَّبون ومجيدون. الملائكة والناس يطوّبونكم لأنه في أوان الشدّة عندما يتصاعد ألمُ العذابات كان الفردوسُ أمام أعينكم وكنتم تقولون:

«لتزداد هنا عذابات الجسد حتى تزدادَ هناك في فردوس النعيم راحتهُ».

وعندما كانت تنطلق عمليّةُ العقوبات كانت تطويبات الله تنتصب أمام أعينكم «طوبى للمضطهَدين من أجل البرّ لأن لهم ملكوت السماوات» (متى ٥:١٠). لأنكم مقتنعون أن الله العليّ غيرُ كاذب عندما أعطى الوعد. لقد كانت أمام أعينكم مثلُ هذه الخيرات المستقبلة. وكنتم متأكدين أنكم سوف تتمتّعون بها بفرح لا نهاية له. لذلك أيها القدّيسون لم تفتر قوّة عزمكم.

إن فرح الخيرات المستقبلة وبهجةَ رجائكم جعلاكم شجعانًا في كلّ ساعة دون أن تشبعوا أبدًا من العقوبات. لقد رآكم العدوّ تقفون في الجهاد بمرؤة بلا خوف دون أن تجذعوا في قلوبكم للعذابات والتجارب فانحلّت قوّة شرّه.

عندما ظفرتم بعذاباته كلّها اعتقد العدوّ أنه سوف يَرمي برجولتكم كلّها بتهديد السيف لكي تُنكروا المسيحَ الذي تتشوّق إليه دائمًا النفوسُ التي تخشاه. إنما لم يعرف الشقيّ أن السيف يُدفق ينابيعَ من الدماء الغزيرة من أعناق القدّيسين البسلاء بطريقة يغرق فيها هو في وسط أمواج دماء القدّيسين البسلاء. كان يقول لقوّاته بخجل:

«إنني أخاف وأخجل من هذا الدم الذي يسيل من أعناق أولئك الذين يُذبَحون من أجل اسم يسوعَ الناصري لأن الواحد كان يحثّ الآخر ليموتَ من أجل المسيح. إن رائحةَ دمهم تسبّب لي دوخةً. لا أستطيع أبدًا أن أقف ولو ساعة واحدة أو حتى لحظة واحدة أمام وفاق تلاميذ المسيح. لقد كان الأفضل لي أن لا أدفع الملوكَ ضدّهم. لأن ها هو دمهم يطردني من كلّ جانب. رائحة

دمهم تشلّ قوّتي لأني لا أستطيع أن أقتربَ من المكان حيث تكمن عظامُ تلاميذ المسيح » .

هذه هي جوائز بسالتكم يا أيّها المجاهدون الكاملون ! ورجوليّة إيمانكم أيها المجاهدون اللابسون المسيح . هذا هو فخر ظفركم أيها المتوشحون بالله ومحبّوه الشجعان . لقد جلب لكم الموتُ حياةً . انتبه الفلاسفة إلى ذبحكم وتعجّبت أذهانهم . بقوا بلا صوت وكانوا يقولون فيما بينهم :

« في الحقيقة عظيمٌ هو إله المسيحيّين الذي آمن به تلاميذُه ! » لقد أصبح في كثيرٍ من الأحيان الجلّادون أنفُسهم ساجدين لله وخائفينه ، كاملين في الإيمان عندما رأوا صبرَ **الشهداء القدّيسين** وتشجيعَهم الواحد للآخر في الجهاد .

أنظروا أيها الإخوة إلى الوفاق الإلهي . أنظروا أيها الأحبّاء إلى المحبّة التي بحسب الله التي تشدّد أعضاءَها في الآلام . لأن أولئك القدّيسين قد شجّع الواحدُ الآخر في الجهاد نفسه وكانوا يشدّدون دائمًا ضعيفي النفس حتى إن العبيدَ أنفسَهم يأخذون بفرح معهم إكليلَ الظفر . في حين أنّنا نحن الأشرار نفسد على بعضنا البعض . يأكل الواحد الآخر وننهش بعضنا بعضًا (راجع غلا ٥:١٥) بسبب قساوة شرّنا .

* * *

هلمّ أنت وصِرْ تلميذًا للشهداء القدّيسين . إن أردتَ أن تتعلّم يُصبحون هم بأنفسهم معلّمين صالحين لك . يعلّمونك اللاهوتَ الصالح ، الإيمانَ الكامل ، محبّةَ الله ، مشاركةَ الآخر بالألم والتشوّقَ إلى الخيرات المستقبلة . لقد تغلّبوا على النارِ الشاعلة بقدرة الله وبالإيمان الكامل . تغلّبْ أنت أيضًا على الرغبة الرديئة التي تشتعل باستمرار . تغلّبَ هؤلاء أيضًا على العذابات بالصبر والرجاء الذي كان لديهم للمسيح . تغلّبْ أنتَ أيضًا بالتعقل والفكر الأمين على كلّ الأهواء

العدائية. تغلّبوا على الطغاة بالوداعة وطول الأناة. تغلّبْ إذًا أنت أيضًا على سلطان الغضب. لقد صار أولئك طبعًا شهداءَ بصراحة. صرْ أنت أيضًا بالخفية في داخلك وباستمرار شاهدًا كاملًا. أولئك جاهدوا جهادَ الدالّة. جاهد أنت أيضًا **الجهادَ الداخلي السرّي** حتى في يوم المجازاة تنالَ الإكليلَ معهم وتوجد في الملكوت وارثًا معهم متمتّعًا بالفرح الأبدي.

توسّطوا الآن أيها القدّيسون إلى الخاطئ الذي ينام في وقت عمله، لكي يجدَ رحمةً في تلك الساعة عندما تظهر خفيّات البشر. لقد صرتُ لكم أيها الشهداء اللابسو الجهاد بمثابة شرّاب خمر لذيذ من الخمر الجيّد لجهادكم. وقدّمتُ منه بشوق إلى الأولاد وإلى إخوة إيمانكم. من مائدة ظفركم التي كانت دائمًا مملوءةً طعامًا. قدّمتُ للآباء، للإخوة ولأقربائكم الآتين دائمًا ليأكلوا ويشربوا من المائدة يوميًّا برغبة القلب. ها هم يرتّلون ويمجّدون بفرح كبير حول بقاياكم المقدّسة لجهاداتكم مريدين أن يتباركوا وينالوا أشفيةَ النفس والجسد.

باركوهم إذًا كتلاميذ صالحين للسيّد الصالح وأنا إذًا بالرغم من عدم قدرتي تقوّيتُ بكم ورتّلتُ بشوق أمام بقاياكم المقدّسة. صيروا وسطاء لي أنا الخاطئ أمام منبر المسيح القضائي حتى أوجدَ هنا مخلّصًا بشفاعاتكم بنعمة ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح الذي ينبغي له المجد مع الآب والروح القدس إلى الدهر. آمين.

عظة عن الصليب الكريم والمحيي

● كيف نعيّدُ

كل عيد ، كل عمل يقوم به الربُ يسوع المسيح خلاص وفخر لنا نحن المؤمنين . لكن الصليب فخرُ المفاخر كلها .

أعظم الأعياد عيدُ الفصح حين ذُبح المسيح من أجل خلاصنا (١ كور ٥:٧) القائم من بين الاموات ، حمل الله الرافع خطيئة العالم (يوحنا ١:٢٩) . هذا العيد هو ملك الاعياد . الاعياد الاخرى مقدّسة وموقّرة ، لكنها تختلف في ما بينها في المجد وبهجة النور الإلهي .

وحده الذي يعيش بموجب وصايا الله يُكرّم هذا العيد ويوقّره . إن عادمي الطهارة والخطأة يبقون بعيدًا عنه ، بل وعن الاعياد كلّها .

لكن العيد المفضّل والاكثر إرضاءً لله هو التوبةُ مع دموع ، هو الابتعاد عن الخطايا ، معرفة الله وكذلك الرغبة في الخيرات الأبدية . حين يفعل ذلك كل واحد منا ، انذاك يكون فرح عظيم في السماوات (لو ١٥:٧) . تفرح الكنيسة وتدعو الصالحين كلّهم قائلة :

« هنيئًا لأن ولدي كان ميتًا من جراء خطاياه المختلفة فحصل على الحياة عن

طريق التوبة » (لو ١٥:٢٤).

إذًا : العيد الحسن والمرضي لله يكون حيثُ يعيّدُ معنا المسيح أي حيث تتمّ الخدمُ الكنسيّة ، حيث تتلى وتكرّمُ الكتبُ المقدّسة.

يعيّد المسيحُ مع الناس المجتمعين باسمه بمحبّة دون أيّة عداوة أو مراياة.

يعيّدُ المسيحُ مع الذين يكرّمون الله بواسطة التراتيل ، الصلوات بالتسابيح الروحية . يجتمع هؤلاء كلّهم باسمه . وقد وعدهم المسيح بانه سوف يكون في وسطهم (متى ١٨:٢٠).

طوبى اذًا للذين يعيّدون بمثل هذه الطريقة حتى وإن لم يكونوا كثيرين ، لأن السيّد في وسطهم ، فلا يتعرّضون لأي شرّ ولا يؤذيهم أحد.

لنكرّم اذًا أعياد الرب بهذه الطريقة وليس بروح عالميّ ، بل بما يفوق العالميّات . فلا نزينن أبوابنا ، بل لنهرب من الأغاني الصاخبة ، ولا نجمّلنّ وجوهنا ، ولا نلطّفنّ سمعنا بآلات الموسيقى ، ولا نلبسنّ الألبسة الناعمة الفاخرة ، ولا نستعملنّ الحلى الذهبية.

فلا تقضِ على عمل الله بسبب المآكل (رو ١٤:٢٠) . لا تضيّع الليتورجيا الالهية من أجل بطنك الذي لا يشبع مهتمًا بتهيئة المآكل . كلنا صغارًا وكبارًا ، رجالًا ونساءً ، رهبانًا وراهبات **لنكرّم أعياد الرب بتقوى** ، بطريقة مسيحية كما تعلّمنا أي بالمزامير ، بالصلوات والتسابيح الروحية . (أفسس ٥:١٩ كولسي ٣:١٦).

لنزيّننّ أبوابنا كمسيحيين لا يستخدمون أشياء يستخدمها اليهود والوثنيون . لقد زالت العادات القديمة وأزهرت الحقيقة كما يقول الرسول : « لقد زال القديم وها كلُ شيء قد أصبح جديدًا » (٢ كور ٥:١٧).

● **الصليب :**

لقد انتفت ضلالة الوثنيين . سُبيت الجحيم ولم يعد فيها أسر . تحطّمت قصور ضلالة الآلهة الكثيرة . تحرّر الانسان وملك الله . الحكم في ابتهاج والصليب سائد . تسجد له الامم كافة مع الشعوب ، القبائل والألسنة كلّها . نحن نفتخر بالصليب مع بولس المغبوط قائلين : « حاشا لنا أن نفتخر إلّا بصليب ربنا يسوع المسيح » (غلا ٦ :١٤) .

لذلك لنرسم الصليب المحيي على جبهتنا ، على عيوننا ، على فمنا ، على صدرنا وعلى أعضاء جسدنا كلّها . لنتسلّح بسلاح المسيحيين غير المغلوب ، بل غالب الموت ، رجاء المؤمنين ، نور الكون الذي فتح الفردوس ، الذي حلّ الهرطقات ، تاييد الايمان القويم ، حارس المؤمنين العظيم ، فخر الكنيسة الخلاصي .

فلا تتركوا الصليب هذا ، أيها المسيحيون في أية ساعة ولحظة . لنحمله معنا في كل مكان ولا نفعلن أي شيء بدونه . حين النوم ، حين القيام ، في العمل ، حين الطعام والشراب ، حين السير في البر والبحر . لنقوّ أعضاءنا كلّها بالصليب المحيي حسب قول المزمور : « لا أخشى من خوف ليلي ولا من سهم يطير في النهار ولا من أي شيء يسلك في الظلمة » .

ان كنت يا أخي تتخذ الصليب معونة لك فلن تقترب منك الشرور ولن تمسّ التجارب جسدك لأن القوات المضادة ترتعد وتنصرف لدى مشاهدتها اياه .

هو الذي قضى على ضلالة الاوثان ، الذي انار المسكونة ، أباد الظلمة وأعاد النور . جمع الصليب الكلّ من المغرب والشمال والجنوب والشرق وربطهم بالمحبة في كنيسة واحدة ، في ايمان واحد ، في مسيرة واحدة . أي فم ، أي لسانٍ يستطيع كما يليق أن يمدح سور الأرثوذكسيين غير المنثلم سلاح المسيح الملك العظيم الظافر ؟

الصليب قيامة الاموات، مشدّد المعوقين، عظمة الملوك، جرأة الرهبان، حراسة الفقراء.

هو الذي أقيم في وسط الكون، غرس في مكان الجمجمة لكي تزهر حالًا كرمة الحياة. بواسطة هذا السلاح المقدّس عَبَرَ المسيح جوفَ الجحيم الكثير الشراهة وسدّ فم الشيطان الكثير الحيل الذي لا يشبع.

لما شاهد الموت الصليب ارتعد وفرّ هاربًا تاركًا كل الذين كان قابضًا عليهم أحرارًا من عهد المجبول أوّلًا.

بالصليب تسلّح الرسل المغبوطون وداسوا قوّة العدوّ جاذبين الامم كلها لكي يسجدوا له.

لقد اتخذ الشهداء جنود المسيح الصليب درعًا، وتغلبوا على مكائد الطغاة كلّها، وكرزوا بالحقيقة بشجاعة.

هناك من حمل الصليب على كتفيه وازدرى العالم من أجل المسيح فسكن البريّة بفرح وابتهاج كبيرين. سكن الجبال، المغاور وثقوب الارض.

يا له من صلاح الله وعطفه! كم من الصالحات أعطاها الصليب لجنس البشر! لذلك ينبغي أن نمجّده نظرًا لمحبته للبشر.

انتبهوا أيها الاحباء، يا صحابة المسيح، كم هي قدرة الله، وكم هي انجازاته، وكم من الخيرات أغدق على حياتنا هذا المدبّر الحسن لأنه بعد أن أعاد السلام لحياتنا أعطانا فرصة وسبيلًا لكي نتمتع بالحياة الآتية الأبدية.

الى الآباء الراقدين

تعطّفوا عليّ أيها الاخوة لأن قلبي يتألم. تعالوا أيها العبيد المباركون واسمعوا: نفسي حزينة والوجع في كليتي. أين هي الدموع بل أين هو التخشع حتى أغسل جسدي بالدموع والتنهدات؟ من يستطيع أن ينقلني إلى مكان قفر حيث لا ضجة تعيق الدموع ولا شغب يمنع العويل.

رفعت صوتي وبكيت إلى الله بدموع مرّة وقلت مع التنهدات: داوني يا ربّ فأتعافى لأن قلبي متوجّع للغاية والتنهدات الصادرة عنه لا تدعني أستريح لحظة واحدة. لأني أعتبر **قدّيسيك يا ربّ بمثابة ذهب خالص مختار تنقّيه في** هذا العالم من أجل الراحة الأبدية. وكما يقطف الفلاح الحكيم بسرعة الثمار عندما تنضج حتى لا تصيبها الحيوانات بضرر ويتأذى من جراء ذلك هكذا أنت أيها المخلّص تجمع المختارين الذين تعبوا في حياتهم البارة. أمّا نحن المتهاملين الاشقياء فقد بقينا في الجفاف لأننا لم نعط أبدًا الثمار في أوانها. لم ندعها تنضج في الأعمال الصالحة فتُقطف ببرّ وتوضع في مخزن الحياة. ليس لثمرنا دموع تساعده على النضوج ولا تخشع يطريه مع سيل الدموع ولا تواضع يظلله من الحرّ الشديد، ولا عدم تملك يقيه من المضادين ولا محبّة لله تسنده ولا ابتعاد عن الامور الأرضية ولا سهر ولا فكر متيقّظ للصلاة. انما له ما يناقض كل ذلك أعني الغضب والسخط الرهيب الذي يقضي على الثمر ويجعله بلا فائدة وكثرة التملك الذي يثقله والتهامل الكبير. فكيف يمكن لهذه الكوارث ان تجعل الثمر ينضج ببرّ فيتناوله الفلاح السماوي أعني السيّد نفسه؟ ويلي يا نفسي! تكلمي واذرفي الدموع لأنك فقدت بسرعة آباء كاملين ونساكًا ابرارًا. أين هم الآباء؟

أين القدّيسون ؟ أين الساهرون ؟ أين المتبهون ؟ أين الودعاء ؟ أين الهادئون ؟ أين ذوو الامساك ؟ أين الاتقياء ؟ أين عديمو القنية ؟ أين المتخشعون الذين يرضون الله ويتنصبون في صلاة نقية أمامه ويبلّون الارض بالدموع الحلوة ؟ أين محبّو الله الممتلئون عشقًا له الذين لم يقتنوا فسادًا بل حملوا صليبهم باستمرار يتبعون المخلّص في الطريق الضيّق ، ينتبهون جيدًا لعدم السقوط في الهاوية في أماكن مقفرة مظلمة جافة بل وعلى العكس يسيرون في الطريق القويم طريق وصايا الله ممتلئين دائمًا بنور معرفة المسيح ، في حسن سيرة خدمة حارّة لله في شدة طوعية وفي بعد عن حياة الباطل . من أجل ذلك أحبّهم الله بصورة فائقة وجمعهم في ميناء الحياة في فرح أبدي ليبتهجوا ابتهاجًا أبديًا ويتنعموا في فردوس النعيم في الخدر السماوي مع العريس العديم الموت .

لقد رحلوا من هنا إلى الآله القدّوس ومعهم المصابيح جاهزة والآن لن تكون لنا فضيلتهم ولا جهادهم ولا امساكهم ولا تقواهم ولا وداعتهم وعدم تملكهم ولا سهرهم ومحبتهم لله . لن نجد بعد اليوم تحننهم للمسيح ولا عطفهم علينا . لقد غدونا الآن كلنا شرسين متوحشين لا نحتمل بعضنا بعضًا . ألسنتنا ما هي الّا سهام ملتهبة موجهة ضد بعضنا البعض . كل منا يفتش عن الإكرام والمجد ومحبّة القنية . كلنا متراخون خاملون عسيرو الاطوار نميل إلى الثرثرة والكسل وكذلك نحن للدوران متحمسون وللسكينة مرضى للتنعّم مستعدون وللامساك عابسون ، في المحبّة باردون وفي الغضب حارّون ، في الصالحات متردّدون وإلى الشرير مسرعون . من لا يرثي اذن لحالنا ويبكي لتقاعسنا الكامل ؟ أولئك الآباء أرضوا الله قبلًا فخلّصوا أنفسهم ولم يكونوا متهاملين إلى هذا الحدّ . أولئك الكاملون لم يراودهم فكران بل فكر واحد كان يشغلهم وهو **كيف يخلصون** . وكانوا مع هذا مرآة لمشاهديهم . وكان الواحد منهم يستطيع أن يتضرّع إلى الله من أجل كثيرين . لقد استطاعوا ان يمثلوا امام الله المحبّ البشر في صلوات بارة ويتوسّلوا اليه من أجل خلاص آلاف البشر .

ويلي يا نفسي ! في أي وقت نحن قائمون ؟ في أيّ جبّ من الشرور أضحينا الآن أيها الأحباء ؟ هذا ما نجهله بإرادتنا لأن عين أنفسنا ليست ساهرة من شدّة العمى والتشتت . لذلك لا نستطيع أن نفهم الشقاء الحاصل . إن الأبرار والصدّيقين يُرصفون الآن ويجمعون في ميناء الحياة حتى لا يروا الشقاء الحال بنا والعثرات التي تكتنفنا بسبب خطايانا . أولئك يختارون ونحن نتغافل . أولئك يختطفون ونحن يجذبنا العالم الباطل . أولئك يجتمعون ونحن نائمون . أولئك يتجهون نحو الله بدالّة ونحن تائهون في الأرض . مجيء المسيح على الأبواب ونحن نتردّد . البوق السماوي جاهز للعمل عند أمر الله ليزعزع الكون بصوته الرهيب ويقيم الموتى فيجازي عندئذ كل واحد بحسب أعماله . قوات السماوات حاضرة مع كل طغماتها لكي تمثل أمام الختن الذي يأتي بمجد في سحب السماء من أجل إدانة الأحياء والأموات . وأمام كل هذا نشك في ايماننا . ترى ماذا سيحصل في تلك الساعة أيها الأحباء ؟ كيف نستطيع أن نجيب الله نحن الذين تهاملنا بشأن خلاصنا ؟ إن لم نجتهد ونبكِ بغزارة تائبين بانسحاق قلب وتواضع في النفس كبير سوف نشقى من شدّة الحزن ونقول نادمين ذارفين العبرات المرّة : « ويلي انا الخاطئ ! ماذا حصل لي فجأة ؟ كيف أمضيت عمري في الكسل ؟ لقد جهلت بالكليّة كيف سرق مني الزمن الذي أمضيته ضالًا في الأفكار الباطلة ؟ أين هي تلك الأيام المطمئنة التي قضيتها في المتاهات بينما كان عليّ أن أتوب بالمسيح والرماد ؟ لا فائدة للكلام بعد اليوم . عندما نرى القدّيسين قائمين في المجد في النور في سحب الهواء لملاقاة المسيح ملك المجد نرى أنفسنا في غاية الشقاوة . ترى من يحتمل مثل هذا الخزي ومثل هذا التوجّع المريع ؟

لنسهر اذًا أيها الأخوة ! لنسهر أيها الأحباء ! لنتنبّه أيها الأبناء المحبّون لله والمحبوبون منه . لنعد إلى أنفسنا ونبعد أفكارنا عن هذا العالم الباطل . لنسجد لله بدموع كثيرة حارّة ونتوسل اليه بشجاعة وهمّة لكي ينقذنا من النار التي لا تطفأ

ومن الهلاك المرّ . فلا ننفصل عنه وهو السيّد الحلو الذي أحبنا وبذل نفسه على الصليب من أجلنا .

أطلب منكم جميعًا وأتضرّع اليكم أنا غير المستحق والخاطئ لكي تسكبوا من أجلي أنا المتهامل دموعًا في الصلاة والطلبة النقيّة حتى أتخشع وأبكي معكم ويستنير قلبي الأعمى ولو قليلًا فأنشد لله القدوس مخلصنا لكي يهب لي بسرعة توبة حارة ما دام الوقت مقبولًا لتقبّل الدموع . وبذلك أخلص معكم أنا غير المستحق للحياة . أتوسّل اليكم ايها الاحباء أن تتقبلوا تضرّع الخاطئ افرام أخيكم المتهامل . ولنجتهد جميعًا في استرحام الهنا القدوس ما دامت الفرصة مؤاتية . ها إن الرب آت بعد قليل للأشراف على نهاية هذا الدهر الباطل .

* * *

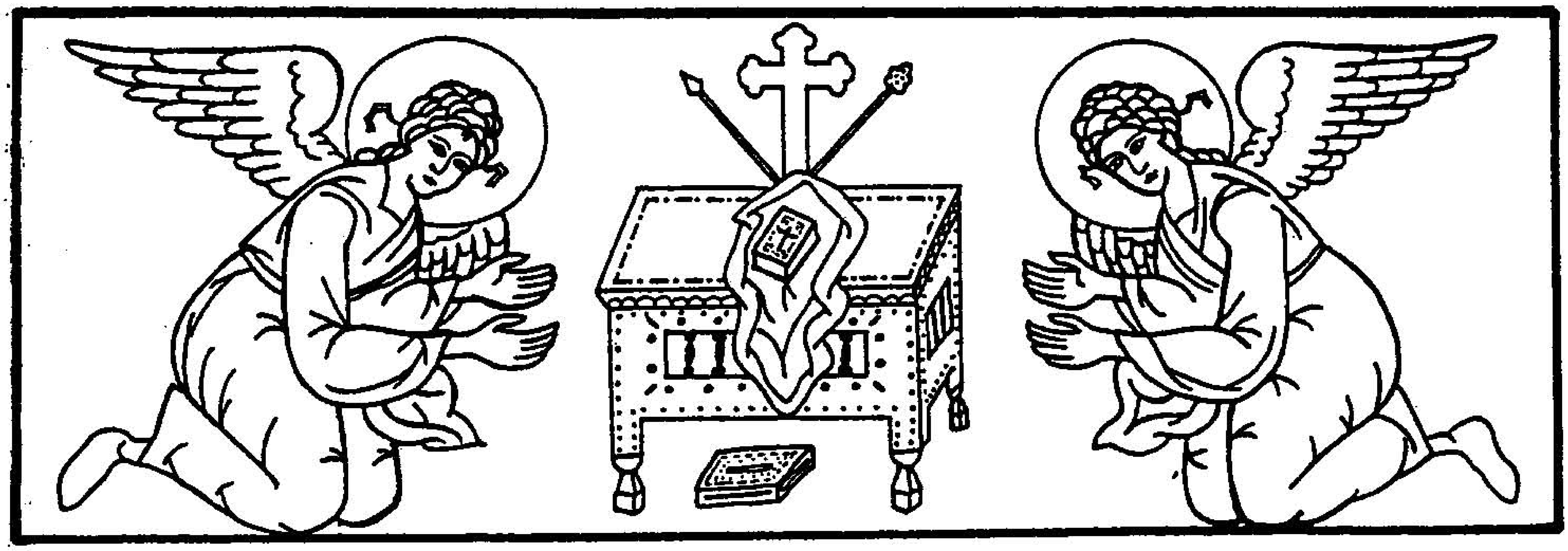

في المجيء الثاني

(تقرأ في أحد مرفع اللحم أو أحد الدينونة)

● **الصورة الرهيبة :**

أيها الأخوة الأحبّاء في الربّ. لقد سمعتمْ عن مجيء ربنا يسوع المسيح الثاني الرهيب. إنني قد تذكّرت تلك الساعة وارتعدت من شدّة الخوف. ففكّر يا أخي بما سيظهر في ذلك الحين. من باستطاعته أن يتكلّم على هذه الأمور كلّها وأي لسان يجرؤ على ذكرها وأية أذن تستطيع احتمال سماعها؟! ذلك حين ينزل ملك الملوك عن عرشه وينحدر إلى جميع المسكونة ليحاسب كلًّا منا مانحًا أجرة صالحة للمستحقين والهلاك الأبدي للخطأة. لأنه هو القاضي العادل الذي لا يحابي الوجوه.

عندما أتذكر كلّ هذا أيها الأخوة يعتريني الخوف ويشلّ جسدي، تدمع عيوني، يختفي صوتي، تتجمّد شفتاي، يرتعد لساني وتتوقّف افكاري. آه! كم أود مضطرًا أن أتكلم من أجل فائدتكم إنّما الخوف يُجبرني على الصمت. ذلك لأنّ هذه الغرائب الكبيرة والرهيبة لم تحصل منذ إنشاء العالم ولن تحصل في الأجيال كلّها.

إن حدث برق شديد في كثير من الأحيان كل منا يخاف ويسقط أرضًا فكيف يمكننا احتمال ما سيحدث وذلك عندما نسمع صوت البوق يدوّي في السماء أشدّ من كل رعد ليوقظ الراقدين منذ الدهر صدّيقين واشرارًا ؟ حينئذٍ عظام البشر في الجحيم تسمع صوت البوق وتسرع لتتجمع باجتهاد ، حينئذٍ كل نفس بشرية من موقعها ومع رفيقاتها الآتيات من أطراف الأرض الأربعة تسير برعدة نحو مركز القضاء . الملك العظيم الذي له السلطة على كل ذي جسد يأمر والأرض للحال تُخرج أمواتها وهي ترتعد . البحر أيضًا ، الجميع سيحضرون أأكلتهم الوحوش أم ابتلعتهم الأسماك أم أحتفظتهم الطيور الكاسرة ، وشعرة واحدة لن تفقد .

كيف يمكننا أن نحتمل كل ذلك أيها الأخوة وخاصة عندما نرى المجرى الناري يتدفق بغزارة كبحر هائج يأكل الجبال والتلال ويحطّم الأرض وكل ما فيها ؟ مع تلك النار يا أحبّة ، تختفي الأنهار والينابيع ، ينحجب القمر وتنطفئ الشمس ، أمّا السماء فتلتفّ على نفسها كدرج كما هو مكتوب **(رؤيا ٦:١٢–١٤)** . عندئذٍ يتراكض الملائكة المرسلون لجمع المختارين من ارياح الأرض الاربعة ومن أقاصي السماوات إلى أقاصيها كما قال الرب وسنرى سماءً جديدة وارضًا جديدة حسب وعده . كيف نحتمل يا أحبّاء المسيح رؤية العرش الرهيب مهيّأً **وعلامة الصليب ظاهرة عليه** والذي سُمّر عليه المسيح باختياره ؟ حين نرى الصولجان المقدّس المخيف والذي للملك العظيم ظاهرًا في الفضاء سيفهم كلّ منّا ويتذكر قول الرب : ستظهر علامة ابن البشر في السماء مشيرة إلى حضور الملك الوشيك .

في تلك الساعة أيها الاخوة ، سيتذكّر كلّ منا أعماله كلّها وهو يفكّر سيجيب عنها . سينظر القاضي في الأعمال الصالحة والرديئة . والرحماء والتائبون حقًّا الذين حافظوا على الوصايا كلّها سيفرحون . سيرى المحبّون الفقراء والمساكين الذين رحموهم ههنا ، يتشفعون من أجلهم ويخبرون عن إحساناتهم أمام الملائكة

والبشر. أمّا الذين تحمّلوا الأتعاب والدموع في سبيل التوبة فسيقفون مبتهجين ممجّدين ينتظرون الرجاء المغبوط وظهور الهنا ومخلصنا يسوع المسيح.

ولماذا لا أذكر باختصار ما هو الأهم؟ عندما سنسمع ذلك الصوت العظيم وذلك الصراخ الرهيب من أعالي السماء يقول: «ها هو الختن يأتي، ها هو الديّان يقترب، ها هو الملك يطلّ، ها هو قاضي القضاة يحضر، ها هو إله الكل يأتي ليدين الأحياء والأموات». عند ذلك الصوت الرهيب، يا أحبّة المسيح، ستتزعزع أساسات الأرض وأحشاؤها والبحر وكلّ الأعماق. حينئذٍ سيمتلك الخوف والقلق والدهشة كل بشري وسيصرخ عند سماعه صوت البوق وهو يرتعد خوفًا لما سيحدث في المسكونة كلّها. قوات السماوات ستتزعزع كما هو مكتوب والملائكة سيتراكضون وسيسرع معهم رؤساء الملائكة والشاروبيم الكثيرو الأعين والسارافيم ذوو الستة الأجنحة وهم يهتفون بقوّة قائلين: «قدوس، قدوس، قدوس، ربّ الصباؤوت الكائن والذي سيكون، الضابط الكلّ» وكل خليقة في السماء وعلى الأرض وما تحت الأرض ستصرخ بقوة ورعدة: «مبارك الآتي باسم الرب» (متى ٢١:٩). ستنشق السماوات وسيظهر ملك الملوك هنا الممجّد كبرق رهيب وهو آت بقدرة عجيبة ومجد لا يدرك حسب ما بشر به يوحنا اللاهوتي القائل: «هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه وتنوح عليه جميع قبائل الأرض» (رؤيا ١:٧).

كيف يمكن للنفوس الموجودة آنذاك أن تصمد وتحتمل عند رؤيتها السماء والأرض هاربة من أمام وجهها؟ ذلك أن القدّيس يوحنا اللاهوتي يقول أيضًا: «ثم رأيت عرشًا عظيمًا أبيض والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع» (رؤيا ٢٠:١١). أشاهدت أبدًا مثل هذا الرعب؟ أعاينت أبدًا مثل هذه الأمور الخارقة الرهيبة؟ السماء والأرض تهربان ومن ذا الذي يستطيع أن يبقى؟ أين نهرب نحن الخطأة عندما نشاهد العروش منتصبة وسيد كل الدهور جالسًا؟ ماذا سنفعل حين نرى طغمات الملائكة التي لا

تحصى واقفة برعدة محيطة بالعرش ؟ حينئذٍ تتم نبوّة دانيال : « كنت أتطلّع حتى نصبت عروش وجلس القديم الأيام . لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وعجلاته نار متّقدة نهر نار جرى وخرج من قدامه ، ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه . فجلس أهل القضاء وفتحت الكتب » (**دانيال ٧:٩-١٠**).

سيعترينا في تلك الساعة ، أيها الأخوة ، خوف عظيم ورعدةٍ ودهش ذلك حين يجلس الديّان الذي لا يحابي الوجوه يقضي بالعدل وتفتح الكتب الرهيبة التي فيها دوّنت أعمالنا واقوالنا فيما نحن نظن قد خدعنا الله وهو الذي « يفحص القلوب والكلى » (مزمور ٧: ١٠) . سوف نحاسب على جميع ما قلناه وفعلناه وكأنه لم يتبادر إلى ذهننا يومًا ما هو مكتوب : « وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة » (متى ١٠:٣٠) أي الأفكار والتذكرات التي سنحاسب عليها أمام القاضي . آه ! كم من الدموع علينا أن نذرف من أجل تلك الساعة الرهيبة ونحن نتهامل ! كم علينا أن ننوح ونتنهّد عند مشاهدتنا عطايا ملك المجد العظيمة التي سيتقبلها الذين جاهدوا حسنا ! سنرى بأعيننا ملكوت السموات الذي لا ينطق به ومن جهة ثانية سنرى أماكن الجحيم الرهيبة . وسنعاين في الوسط القبائل كلها والنفوس البشرية جميعها التي ستنتصب منتظرة الحكم بدءًا من آدم أوّل الجبلة وحتى آخر مولود . والجميع سيحنون الركب برعدة ساجدين على وجوههم كما هو مكتوب : « أنا حيّ يقول الرب ، إنه لي ستجثو كل ركبة وكل لسان سيحمد الله » (رومية ١٤:١١، ٤٥:٢٣).

● **المحاسبة :**

حينئذٍ تكون البشرية كلّها معلّقة بين الملكوت والدينونة ، بين الحياة والموت بين الراحة والعوز . **سيُسأل كل واحد منا عن الإيمان الذي اعترف به وعن عهود معموديته** . هل حافظ على إيمانه غير معاب من أية هرطقة ، وعلى خاتم

معموديته بريئًا من الفساد وعلى لباسه طاهرًا حسب ما هو مكتوب: «كل من أعطى كثيرًا يطالب بأكثر» (لوقا ١٢:٤٨) و«بالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم» (لوقا ٦:٣٨)؟ لقد اعترف كل منا بايمان كنيسته وأخذ الختم المقدّس (أي ختم المسيح في المعمودية والميرون) وأنكر الشيطان باصقًا عليه[1] وقبل المسيح وسجد له. ترى! هل أدركتم قوّة السرّ (**أي سرّ المعمودية**)؟ وإنكاركم للشيطان؟ إنكارنا للشيطان ساعة المعمودية وإن بدا أمرًا بسيطًا إلّا أنه بالحقيقة مهم جدًا ومغبوط كل من يستطيع أن يحافظ عليه.

هذا لأننا بقليل من الكلام أنكرنا كل شرّ وكل ما يمقته الله. يقول المعمّد[2]: «**أرفض الشيطان وكل أعماله**» ما هي هذه الأعمال يا ترى؟ إنها الزنى والفسق، الفساد والكذب والحسد، والسرقة، والسحر، والشعوذة، الغضب، والسخط، التجديف والعداوة، النزاعات والسكر، الثرثرة والتكبّر والكسل. أن ارفض الشيطان يعني أن ارفض مطربات العالم والنشائد الشيطانية والأعمال الطفولية الفاسدة والتعامل مع الأرواح الشريرة والذبائح الوثنية وكل عمل منكر. ولنكتف بالقول: ارفض كل الأعمال المنكرة الحاصلة تحت الشمس والقمر والنجوم والينابيع والأشجار وعلى مفارق الطرق وكل ما يخالف وصايا الرب.

نحن نعلم حق العلم أن كل ما أنكرناه ساعة المعمودية إنما هو من تعاليم الشيطان وأعماله. تعلّمناه بينما كنا في الظلمة وتحت سلطة الشيطان[3]. قبل أن يدركنا النور كنا تحتُ وطأة الخطيئة. وعندما ارتضى الله الرحوم والمحب البشر أن ينقذنا من مثل هذا الضلال افتقدنا المشرق من العلى وأظهر لنا نعمته المخلصة وبذل نفسه فدية عنا واشترانا من ضلالة الأوثان وجددنا بالماء والروح. والآن وقد

(١) أنظر إلى خدمة سرّ المعمودية.
(٢) أو كفيله العرّاب.
(٣) أي قبل المعمودية.

رفضنا كل ما يتعلق بالإنسان القديم وبأعماله ولبسنا الإنسان الجديد (أي المسيح) فكل من يعمل أعمالًا شريرة ويلتصق بالخطيئة في زمن النعمة هذا (أي بعد المعمودية) يسقط من حالة النعمة هذه والمسيح المخلّص لن يعينه.

لقد سمعتم يا أحبّاء المسيح كم من الشرور أنكرتم بكلام قليل فكل واحد منّا سيُطالب في ساعة الدينونة بهذه العهود والاعترافات لأنه مكتوب: «لأنك بكلامك تدان» (متى ١٢:٣٧) و«من فمك أدينك ايها العبد الشرير» (لوقا ١٩:٢٢). من الواضح إذا **ان كلماتنا سوف تبررنا أو تديننا في تلك الساعة**.

قد تتساءل: عن أي شيء سنسأل؟ أقول: سيسأل الرعاة أي الأساقفة عن سلوكهم وعن رعيتهم وعن كل خرافهم الناطقة التي تسلموها فإن حدث وأهملوا واحدًا من الخراف فسيطالبون عنه. سيسأل الكهنة والشمامسة عن أعمال كنيستهم وسيحاسبون. سيسأل كل مؤمن عن بيته وإمرأته وأولاده هل «ربّاهم بتأديب الربّ ووعظه» (**أفسس ٦:٤**) سيسال الملوك والرؤساء، الأغنياء والفقراء، الكبار والصغار عن أعمالهم لأنه مكتوب «لأننا جميعًا سوف نقف أمام كرسي المسيح» (رومية ١٤:١٠) سنسأل جميعًا ونعترف علنًا بما فعلناه خيرًا كان أم شرًا لأنه كتب «ليس من ينقذ من يديّ» (تثنية **٣٢:٣٩**).

***

● الدينونة: اليمين واليسار:

سمع تلاميذ القدّيس أفرام هذا الكلام وقالوا له: «نرجو منك يا أبانا أن تقول لنا ما الذي سيحدث بعد ذلك». فأجابهم البار: «سأتكلم بتوجع قلب ولن تطيقوا سماع ما سيحدث بعد ذلك. فلنتوقف إذًا عن الكلام يا أحبائي». قالوا: أيكون الكلام أشدّ خوفًا مما سمعناه؟».

دمّعت عينا الأب والمعلم البار وقال لهم: «سأواصل الكلام مع الدموع لأنه ما من أحد يستطيع أن يتكلّم على الأيام الأخيرة دون دموع، وحيث أن الرسول قد أوصانا أن نسلّم كل ذلك لأناس مؤمنين (**٢ تيموثاوس ٢:١-٢**) وأنتم يا أحبتي مؤمنون فأنا أسلّمه إليكم وأنتم تعلّمونه للآخرين. إن حزن قلبي وتوجّع بسبب هذه الرواية فاغفروا لي أيها الأخوة المباركون» قال:

بعد فحص الأعمال كلها وإعلانها أمام الملائكة والبشر، وخضوع كل الأعداء تحت قدميه، وتحطيم كل سلطة وقدرة وبعد أن تجثو امام الله كل ركبة سيفصل الراعي الخراف عن الجداء كما هو مكتوب (**متى ٢٥:٣٢**). فأصحاب الأعمال والثمار الصالحة سيفصلون عن الخطأة الذين لا ثمار لهم. بعدها سيضيء الأولون كالشمس لأنهم حفظوا وصايا الله: **هؤلاء هم الرحماء والمحسنون إلى الفقراء واليتامى، محبو الغرباء وكساة العراة، مفتقدو المساجين، معينو الحزانى، خدام المرضى، الحزانى اليوم والفرحون غدًا، المفتقرون إلى غنى الملكوت السماوي. هؤلاء هم المسامحون والحافظون لخاتم الإيمان سالمًا غير مشوّه من أيّة هرطقة أو بدعة**. هؤلاء جميعًا سيقيمهم الرب عن يمينه أمّا الجداء فسيضعهم على اليسار.

إن الذين لا ثمار لهم فهم الذين أغاظوا الراعي الصالح ولم يصغوا إلى صوت رئيس الرعاة. إنهم المتعجرفون الذين لا يقبلون التأديب اللاعبون والمتنعمون في أوان التوبة كالجداء الذين صرفوا كامل العمر في السكر والترف كل ايام حياتهم على مثال ذلك الغني الذي لم يرحم الفقير لعازر (لوقا ١٦). لذلك أدينوا وأرسلوا مع الذين عن اليسار لأنهم عديمو الرحمة والرأفة مجردون من ثمار التوبة ولا زيت في مصابيحهم. أمّا الأولون الذين ابتاعوا زيتًا من الفقراء وملأوا أوعيتهم فسيقفون عن اليمين مبتهجين وممجّدين مع مصابيحهم المضاءة وهم يسمعون ذلك الصوت المغبوط صوت المسيح الرحوم يقول: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعدّ لكم منذ إنشاء العالم» (متى

٣٤:٢٥) أمّا الذين هم على اليسار فسيسمعون ذلك الحكم الرهيب القائل: « اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته » (٤١:٢٥). لم ترحموا لذا لن أرحمكم الآن، لم تسمعوا صوتي لذا لن أسمع صوت أوجاعكم، لم تخدموني ولم تطعموني وأنا جائع، لم تسقوني وأنا عطشان، لم تأووني وأنا بلا مأوى، لم تكسوني وأنا عريان، لم تعودوني وأنا مريض، لم تزوروني وأنا سجين، لقد كنتم عبيدًا أو خدامًا لسيّد آخر وهو الشيطان. لذلك اذهبوا عني يا عمال الاثم والظلم. حينئذٍ يذهب هؤلاء إلى الهلاك الأبدي أمّا الصديقون فإلى الحياة الأبدية. (**متى ٤٦:٢٥**).

● أمكنة العذاب:

سأل التلاميذ معلّمهم البار: « أيوجد مكان واحد للعذاب يا ابانا أم هنالك أمكنة عدّة؟ » أجاب: « توجد أمكنة عدّة كما نقرأ في الإنجيل. هناك الظلمة الخارجية (متى ١٢:٨) ومن البديهي إذًا أن يكون هناك الظلمة الداخلية. جهنم النار هو مكان آخر (متى ٢٢:٥). وصرير الأسنان والدود الذي لا يموت (مر ٤٤:٩). وبحيرة النار (رؤيا ٢٠:١٩). هناك ايضًا النار التي لا تطفأ (متى ١٢:٣) وما تحت الأرض (فيلبي ١٠:٢) ومكان الهلاك (متى ١٣:٧) وأسفل دركات الأرض (افسس ٩:٤). والهاوية حيث يُرمى الخطأة (متى ٢٣:١) واقاصي الأرض المكان المخيف جدًا (أمثال ١٤:٦). في هذه الأماكن كلّها يتوزع الخطأة كل واحد وفقًا لخطاياه كما هو مكتوب: « فإن ابن الإنسان سيأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذٍ يجازي كل واحد حسب أعماله »[٤] (**متى ٢٧:١٦، رؤيا ١٣:٢٠**). والبعض « يُضرب قليلًا » والآخر يُضرب كثيرًا » (لوقا ٤٧:١٢-٤٨) فكما توجد هنا عقوبات مختلفة كذلك سيكون في الدهر الآتي.

(٤) في مخطوطة أخرى نقرأ: « كل واحد سوف يؤخذ بحبائل خطاياه ».

إن اختلف البعض هنا فيما بينهم وحدث أن ماتوا وهم بعد على خلاف سيدانون بلا شك في يوم الحساب وسيرسلون إلى النار الخارجية والظلمة التي لا نهاية لها لأنهم يبغضون بعضهم بعضًا. هؤلاء قد ازدروا بوصية الرب القائل: «أحبّوا بعضكم بعضًا» (يوحنا ١٣:٤٣). و«إلى سبعين مرّة سبع مرّات» (متى ١٨:٢٢) علينا يا أحبّة أن نصفح لاخوتنا، وعلى كل منا ألّا يتهامل وييأس عند سقوطه في الخطيئة لأننا نملك وسيطًا لدى الآب وهو ربنا يسوع المسيح الآله كفارة عن الخطايا. إنه الرب العادل الذي لن يغفر للذين لا يبالون ويرجئون اوان توبتهم ولا للذين يتنعمون ويضحكون بل سيغفر حتمًا للذين ينوحون ويطلبون ليل نهار غفران خطاياهم. هؤلاء هم الذين سيعزيهم الروح القدس. من يخطئ ويتغاضَ عن خطاياه ويمت وهو على هذه الحال سوف يسقط عليه غضب الرب، ذلك الغضب الذي عبّر عنه يوشيا بقوله: «عظيم غضب الربّ الذي اضطرم علينا نحن الخطأة» (٤ ملوك ٢٢:١٣).

● الويلات:

الويل لأولئك الذين يعاقرون الخمرة مع الطبول والأغاني، الذين لا يتطلّعون إلى أعمال الربّ ولا يتذكرون أقواله. الويل لأولئك الذين يجدّفون على الكتب الآلهية. الويل للذين يهملون أوان التوبة وينصرفون إلى التشتت والضحك فإنهم لسوف يحاسبون على الوقت الذي أضاعوه سدى ولن يجدوه. الويل للذين يصغون إلى أرواح الضلال وإلى التعاليم الشيطانية لأنهم عن طريقها سوف يدانون في الحياة الآتية. والذين يتعاطون السحر والشعوذة وما شابه. الويل للذي يحرم الأجير أجرته لأنه يشبه ذاك الذي يسفك دمًا. الويل للظالمين الذين يبررون الأثيم ويحكمون على الصدّيق. الويل للذين **يشوّهون الإيمان بالهرطقة** أو يتعاملون مع الهراطقة. الويل للذين عندهم الهوى الجاهل أعني الحسد والبغض. لماذا لا أتوقف هنا عن الكلام الذي يطول؟ الويل كل الويل للذين يجدون

أنفسهم عن اليسار في يوم الدينونة الرهيب لأنهم سيتحسّرون ويذرفون دموعًا مرّةً حين يسمعون الحكم الموجع : « اذهبوا عني يا ملاعين » (متى ٢٥:٤١) أو يسمعون الحكم المحزن « فليقذف بالخطأة إلى الجحيم » (مز ٩:١٧) أو الحكم القاسي : « الحق أقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم . تباعدوا عني يا جميع فاعلي الاثم » (لوقا ١٣:٢٧) أو الحكم المبرم « خذ الذي لك واذهب » (متى ٢٠:١٤) ترى إلى أين يذهبون ؟ إنهم لسوف يذهبون إلى حيث قيل لهم : « اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية » (متى ٢٥:٤١) أو يسمعون الحكم المحزن « فليقذف بالخطأة إلى الجحيم » (مز ٩:١٧) أو الحكم القاسي : « الحق اقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم . تباعدوا عني يا جميع فاعلي الأثم » (لوقا ١٣:٢٧) أو الحكم المبرم « خذ الذي لك واذهب » (متى ٢٠:١٤) ترى إلى أين يذهبون ؟ إنهم لسوف يذهبون إلى حيث قيل لهم : « اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية » (متى ٢٥:٤١) . وسيسمعون القول : « أربطوا يديه ورجليه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية » (متى ٢٢:٣) . إنهم سيجمعون كالزؤان ويطرحون في أتون النار .

* * *

● ساعة الأنفصال :

كما يوجد طرق عديدة للخلاص توجد كذلك أماكن عدة في ملكوت السماوات . وكما توجد طرق عديدة للخطيئة والأثم توجد كذلك طرق عديدة للعذاب في الجحيم . فمن له دموع وتخشع قلب فليبكِ معي أيها الأخوة المباركون ذلك أني تذكّرت الأنفصال الحزين ولا أقوى على التحمّل . في تلك الساعة الرهيبة سينفصل الكل عن بعضهم بعضًا ويرحلون إلى حيث لا رجوع . فمن الذي تحجّر قلبه إلى حدّ أنه لا يبكي هنا هلعًا من تلك الساعة ؟ عندها

سينفصل الأساقفة والكهنة والشمامسة عن معاونيهم وسيرحل الملوك وهم ينوحون ويجرّون كالعبيد . عندها سيتنهّد الرؤساء والأغنياء العديمو الرحمة يجتهدون بلا جدوى في طلب العون من كل صوب . عندها سيغيب الأغنياء والممالقون ولن يجدوا رحمة لأنهم لم يرحموا ولم يعدّوا أنفسهم بالأعمال الصالحة حتى يجدوها في الآخرة كما يقول النبي : « ناموا نومًا ثقيلًا ثم لم يجدوا في أيديهم شيئًا » (مزمور ٧٥:٥) . حينئذٍ سينفصل الأهل عن أولادهم والأصدقاء عن أحبتهم والأزواج الذين لم يحفظوا مرقدهم بلا عيب . سوف يرحل الذين هم عذارى بحسب الجسد وعديمو الرحمة والشفقة بحسب المسلك والروح « لأن الدينونة لا ترحم الذي لا يرحم » (يعقوب ٢:٣) . الخوف والرعدة يعترياننني عند تفوهي بهذا الكلام لذا اختصر وأقول إنهم سيُطرَدون وتسوقهم الملائكة ويضربون وسيصّرون على أسنانهم متطلعين إلى الصديقين ، إلى الفرح الذي فُصِلوا عنه ، ذلك حين يشاهدون ذلك النور الذي لا ينطق به نور الفردوس وجماله ، ويعاينون هناك أصدقاءهم الصالحين ويشهدون بذلك للعطايا العظيمة التي يحصل عليها أولئك الذين جاهدوا في هذا العالم الجهاد الحسن .

وبعد إنفصالهم عن كل الصديقين وعن أصدقائهم ومعارفهم سيبتعدون حتى عن الله ولا يستطيعون بالتالي أن يعاينوا الفرح وذلك النور الحقيقي . وسيقتربون إذًا من اماكن العذاب ويتوزعون فيها . وسيعرفون حينئذٍ الهجرة الكليّة وفقدان كلّ رجاء . ما من أحد يستطيع أن يساعدهم عن بعد أو أن يتشفع من أجلهم ذلك أن دينونة الله عادلة . سيردّدون وهم يذرفون الدموع المرّة ويتوجّعون : آه ! كم من الوقت أضعنا بالتهامل ! كم خَدعنا الشيطان ! كم استهزأنا بالكتاب المقدّس ! كلّمنا الله بواسطة الكتب ولم نُصغِ إليه وها نحن الآن نصرخ وهو يصرف وجهه عنّا ! ماذا نفعتنا خيرات العالم ؟ اين الأب والأم اللذان ولدانا ؟ أين الأخوة والأولاد والأصدقاء والغنى والممتلكات ؟ أين الملوك المقتدرون ؟ كيف

لا يستطيع أيّ منهم أن يخلصنا ونحن بدورنا لا نستطيع أن نساعد أنفسنا ؟ لقد تركنا الله والقدّيسون بصورة نهائية .

ماذا علينا أن نفعل ؟ **الوقت لم يعد وقت توبة** . التوسل والدموع لا تنفع الآن إذ لا فقراء ومساكين يبيعون زيتًا لأن الأحتفال قد انتهى . حين كان الوقت والقدرة متوفرين والبائعون ينادون بالدموع ابتاعوا منا ! كنا نغلق آذاننا حتى لا نسمع ونشتري . أمّا الآن فنحن نطلب ولا نجد . لم يعد لنا خلاص نحن الأشقياء . لن نجد بعد اليوم من يرحمنا لأننا لا نستحق الرحمة . لن نرى بعد طغمات الملائكة ولا النور الحقيقي . صرنا يتامى تَرَكنا الجميع . ماذا نقول بعد ؟ ابتهجوا أيها الصدّيقون ، ابتهجوا أيها الرسل والأنبياء والشهداء ، ابتهجوا أيها الآباء البطاركة ، ابتهجوا أيها الرهبان ، ابتهج أنت أيها الصليب الكريم المحيي ابتهج يا ملكوت السماوات ، ابتهجي يا أورشليم السماوية أم الأبكار . ابتهج أيها الفردوس ، ابتهجي أنت أيتها السيدة والدة الآله يا أمّ الآله المحب البشر ، ابتهجوا ايها الآباء والأمهات وأيها الأبناء والبنات لأننا لن نشاهدكم بعد الآن . كلّ منّا سيذهب إلى مكان العذاب المعدّ له نتيجة أعماله الرديئة هناك حيث الدود الذي لا ينام والنار التي لا تطفأ (مرقس ٩:٤٨).

***

● شهادة الكتاب :

لقد استجبت لطلبكم ايها الأبناء الأحباء وأعطيتكم الجواب . والآن تعرفون جيّدًا ما الذي ينتظرنا . سمعتم ما الذي يحصل عليه المتهاملون وغير التائبين وعرفتم كيف يُستهزأ بالمستهزئين بوصايا الرب . وأدركتم كيف أن العيش الدنيوي المفسد للنفس يخدع الكثيرين . وعرفتم كيف أيضًا يُسخر من الذين يضحكون من الكتب المقدسة . فلا يضلّن أحد منكم أيها الاخوة ولا يعتقدنّ أن

ما يقال عن الدينونة مجرّد كلام ليثقن حقًا بالرب ذلك انه **حسب الكتاب هناك قيامة ، هناك دينونة وحساب .**

وبعد أن نزدري بالوقتيات غير عابثين بها لنستعدن لساعة الحساب إذ عندها سنمثل أمام المنبر الرهيب . إنها ساعة الرعدة وساعة الحزن والتوجع حيث تفحص حياتنا كلها . لقد سبق الأنبياء والرسل وتكلموا على ذلك اليوم الرهيب (**يوم الرب**) . فالكتاب الإلهي يُعلن عن ذلك اليوم وتلك الساعة . إنه يصرخ وينادي في الكنائس وفي كل مكان : « **احترزوا لأنفسكم ، إسهروا ، صلّوا ، ارحموا ، استعدّوا لأنكم لا تعملون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها الرب .**

لقد كان الآباء المتوشحون بالله يصرخون جميعًا بآلام ودموع مشيرين إلى تلك الساعة الحتميّة . قال النبي أشعيا « يأتي الرب لتدمير الأرض كلّها وإبادة الخطأة منها » (أشعيا ١٣:٩٥) . كما يقول في مكان آخر : « هو الرب يأتي وجزاؤه معه وعمل كل واحد قدّامه » (أشعيا ٤٠:١٠) . ونبي آخر يقول : « هوذا الرب يأتي ومن يستطيع أن يتحمل يوم مجيئه أو من يقوم عند ظهوره ؟» (ملاخي ٣:١-٢) . وآخر يصرخ : « يا ربّ يا ربّ لقد سمعت سماعك ففزعت ودخلت الرعدة إلى عظامي » (حبقوق ٣:١،١٦) وآخر أيضًا يقول : « لي الإنتقام والعقاب لأنه قد دَنا يوم هلاكهم ... أنظروا أنظروا إني أنا هو ولا إله سواي . أنا أُميت وأُحيي ، أجرح وأشفي وليس من يُنقَذ من يدي » (**تثنية ٣٢:٣٥-٣٩**) . يقول داود الإلهي عن ذلك اليوم : « الله إلهنا سيأتي ولا يصمت ، قدامه نار تتوهج وحوله إعصار شديد » (مز ٤٩:٣) والرسول بولس يصرُخ : « في اليوم الذي يدين فيه الله سرائر الناس حسب الإنجيل » (رومية ٢:١٦) . كما يقول أيضًا : « أنظروا كيف تسلكون » (افسس ٥:١٥) « لأنه مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي » (عب ١٠:٣١). القدّيس بطرس المغبوط هامة الرسل يهتف أيضًا ويقول : « **يأتي يوم الربّ كلصّ في الليل** الذي فيه تزول السماوات بضجيج وتنحلّ العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات

التي فيها » (٢ بطرس ٣:١٠) هذا عن الأنبياء والرسل. أما ربنا وسيّدنا نفسه فقد أعلن مسبقًا عن ذلك اليوم الرهيب حين قال: « احترزوا لأنفسكم لئلا تُثقَل قلوبكم في خِمار وسُكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة لأنه كالفخ يأتي على جميع الجالسين على وجه الأرض » (لوقا ٢١:٣٤-٣٥). اسهروا إذًا لأن ابن الإنسان يأتي في ساعة لا تنتظرونها واجتهدوا أن « تدخلوا من الباب الضيّق الذي يؤدي إلى الحياة » (متى ٧:١٣-١٤)[٥].

* * *

● الطريق الضيّق:

أيها الأخوة لنسلك معًا هذا الطريق الضيّق كي نَرِث الحياة الأبدية، ذلك أن من يَسيرُ في هذا الدرب يرث الحياة بلا ريب. فلنسع إذًا أيها الأحباء أن لا نخسر الحياة وأن لا ينقاد واحد منكم خارج هذا الدرب حتى لا يهلك كما يقول النبي: « لئلا يغضب الرب فتضلّوا عن طريق الحق » (مزمور ٢:١٢). لنسمع السيد يقول « أنا هو نور العالم » (يوحنا ٨:١٢)، « أنا هو الحياة » (يوحنا ١١:٢٥)، « أنا هو الباب، إن دخل أحد منه يخلص » (١٠:٩)، « أنا هو الطريق » (١٤،٦)، « من يتبعني فلا يمشي في الظلام بل يكون له نور الحياة » (٨:١٢). لنسلك إذًا هذا الطريق المغبوط الذي سلكه جميع محبي المسيح. درجات هذا الطريق متعبة لكن الراحة بعدئذٍ مغبوطة، درجاته صعبة لكن المجازات مفرّحة، درجاته ضيّقة لكن النهاية فسيحة. **أمّا درجات الطريق فهي: التوبة والصوم، الصلاة والسهر، التواضع والفقر الروحي**، الازدراء بالجسد

(٥) (متى ٧:١٣-١٤): « ادخلوا من الباب الضيق، لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك. وكثيرون هم الذين يدخلون منه. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة. وقليلون هم الذين يجدونه ».

والاهتمام بالنفس، افتراش الأرض وعدم الاستحمام، الطعام الناشف والجوع، العطش والعُري، الرحمة والدموع، النوح والتنهّد، السجود، التعييرات والأضطهادات، الضربات والأتعاب الجسدية، المخاطر والتهديدات، ودرجاته أيضًا أن نجلد ونصبر، أن يزدرى بنا ودون أن نكره الآخرين أن نُظلم ونُحسِن بالمقابل إلى الظالم، أن نسامح كل من خطئ إلينا، أن يبذل الأنسان نفسه عن أحبّائه، وأخيرًا أن يراق دمنا من أجل المسيح عندما يحين الوقت.

من سلك درجات ذلك الباب الضيّق وذلك الطريق المكرب سيُجازى حسنًا إذ انه سينعم بملكوت السماوات الذي لا نهاية له. « فما أوسع الباب وارحب الطريق الذي يؤدّي إلى الهلاك » (متى ٧:١٤). تبدو هذه الدرجات [٦] اليوم مفرحة أما هناك فكانت مكربة. تبدو هنا حلوة لذيذة أما هناك فكانت أشد مرارة من المرارة. تبدو هنا خفيفة أما هناك فكانت ثقيلة موجعة. تبدو هنا صغيرة وعديمة الوجود. أما هناك فتظهر كوحوش بريّة تحيط بالذين يسلكونها هؤلاء الذين لم يتوبوا على حدّ قول النبي: « في يوم السوء يحيط بي إثم الذين يتعقبونني » (مزمور ٤٨:٥) أي إثم العيش على الطريق الرحب.

أمّا هذه الآثام فقد عددها الرسول بقوله: « وأعمال الجسد ظاهرة التي هي الزنى، العَهارة، النجاسة، الدعارة، عبادة الأوثان، السحر، العداوة، الخصام، الغيرة، السخط، التحزّب، الشقاق، البدعة، الحَسَد، القتل، السكر، البطر وأمثال هذه ». (غلاطية ٥:١٩-٢١). وكذلك الضحك، الصراخ، التنعّم، الطرب، الغناء، الرقص، الحمامات، الملابس الناعمة، المآكل الشهية، الفراش الناعم، الشراهة، بغض الاخوة، **وأشرُّها عدم التوبة وعدمُ ذكر ساعة الموت.**

هذه هي أيها الأخوة الأحباء، درجات ذلك الطريق الشقيّ الذي يسلكه

(٦) درجات الطريق الرحب.

كثيرون. لذلك سيجدون النهاية المكربة حقًا. سيجدون الجوع عوض التنعم، والعطش عوض السكر، التوجع عوض الراحة والبكاء عوض الضحك، العويل عوض الطرب والدود عوض لذّة الجسد، السكنى مع الشياطين عوض الرقص والظلمة الخارجية عوض الفضول والسحر والأعمال الشريرة. قلت سيجدون الظلمة الخارجية أعني جهنم النار وما يماثلها من مراع للشيطان حيث يرعى خرافه، وخراف أصدقائه وتلاميذه الذين يسلكون الطريق الرحب حسب قول النبي: «يلقون في الجحيم كالغنم والموت يرعاهم» (مز ٨٤:١٤) أمّا نحن فلنحد عن ذاك الطريق المُهلك ولنسمع الرب يقول: اجتهدوا في الدخول من الباب الضيّق لأن كثيرين يودّون ولن يستطيعوا! والرب يقول في هذا الصدد أقوالًا كثيرة وكذلك الآباء المتوشحون بالله. لقد تذكر الشهداء القدّيسون تلك الساعة لذلك لم يحزنوا على أجسادهم بل جاهدوا واحتملوا أنواع العذابات كلها مبتهجين برجاء التمتّع بالأكليل. والآن نرى الكثيرين يجاهدون بالصوم والعفة في البراري والجبال. **هؤلاء المجاهدون ليسوا رجالًا فقط بل بينهم نساء أيضًا**. والنساء، الجنس الأضعف، يسلكن كالرجال في الطريق الضيّق ويدخلن من الباب الضيّق ويتأهلن للملكوت.

* * *

● حث على التوبة:

ترى! من سيحتمل ذلك العار حين تكلّل النساء في ذلك اليوم ويُخذل الكثيرون من الرجال؟ فهناك **لا فرق بين ذكر وأنثى** بل سينال كل واحد أجرةَ أتعابه. والجهاد غير محصور في ساكني البراري والجبال فحسب ففي المدن والجزر والكنائس مجاهدون أيضًا. هناك يتلألأ كثيرون من المخلّصين لأنهم حفظوا وصايا الله بدقّة كلّ انطلاقًا من وضعه: الأساقفة والكهنة وأصحاب

الرتب الكنسية المختلفة مع الملوك والرؤساء وذوي السلطة. فالله لا يفرّق بين الناس ولا يفضل مكانًا على آخر. لكنه يقول هذا: « حيث يكونون مجتمعين باسمي » أي في البريّة، في الجبال، في المغاور وفي كل مكان سيادته « هناك أكون في وسطهم » (متى ١٨: ٢٠) وسأكون معهم إلى نهاية الدهور (٢٨: ٢٠) وفي الدهر الآتي سأرعاهم إلى أبد الآبدين. لقد كان داود المغبوط يفكّر في تلك المحاكمة الرهيبة وفي ذلك القاضي الذي لا يحابي الوجوه ولا يقبل التملقات، لذا كان يبلّ كل ليلة فراشه بالدموع ويتوسل إلى الله قائلًا(٧): « لا تدخل في المحاكمة مع عبدك لا تسع إلى محاكمتي يا محب البشر لأن عبدك لا يقوى على الدفاع، لذا أتوسل إلى صلاحك فلا تدخل في المحاكمة مع عبدك فإنه لن يتزكّى أمامك أي حي » (مزمور ١٤٢: ٢).

أنظروا يا أخوة، كيف كان المغبوط داود يخشى ذلك اليوم الرهيب وتلك الساعة المخيفة ويستعدّ للدفاع عن نفسه. فهلمّ يا أخوة، قبل أن يأتي ذلك اليوم الرهيب، وقبل أن ينتهي الأحتفال وقبل أن يأتي الربّ فيجدنا غير مستحقين، هلمّ نبادر لرؤية وجهه **بالاعتراف والتوبة**، **بالصلوات والأصوام وبالدموع وضيافة الغرباء**. لا نتوقفنّ يا أخوة عن عمل التوبة وعن التوسّل باجتهاد وبذلك نستعد معًا، رجالًا ونساءً، عبيدًا وأحرارًا، شيوخًا وشبابًا للقاء الرب. أنظروا ألا يقول أحد منكم خطئت كثيرًا ولست أهلًا للمسامحة. من يتفوّه بهذا القول لا يعرف **أن الله هو إله التائبين** وقد جاء إلى العالم لخلاص الخطأة وهو الذي يقول: « لم آت لأدعو صديقين بل خطأة إلى التوبة » (متى ٩: ١٣). **هذه هي التوبة الحقيقية** في أن يترك الأنسان خطيئته، أن يتركها وفقًا للقول: « لقد أبغضت الأثم ورذلته » (مزمور ١١٨: ١٠٦). « وحلفت وعقدت عزمي على حفظ

(٧) القديس أفرام يستشهد بمقاطع من الكتاب المقدّس بتصرّف وبطريقة حرّة مفسّرًا وموسّعًا إياها لتضحي مفهومة. هو يعطينا معنى الآية ولا ينقلها بحرفيتها.

وصاياك » . فالله يتقبل إذًا بفرح كل من يأتي إليه تائبًا .

أنظروا ألّا يتجرّأ أي منكم ويقول : « أنا لم أخطئ » كل من يتفوّه بكلام كهذا أعمى يخدع نفسه ولا يعلم بأن الشيطان متسلّط على أفكاره وأعماله وكلامه وسمعه وبصره . من يمكنه أن يفتخر بنفسه ويقول إنه طاهر قلبًا وحواسًا ؟ ما من أحد بلا خطيئة ما من أحد بلا دنس ما من أحد مستقيم بالكليّة بين الناس إلا ذاك الذي وهو غني قد افتقر من أجلنا . هو وحده بلا خطيئة الحامل خطايا العالم وهو الذي لا يريد موت الخاطئ بل يبغي خلاص الجميع . إنه المحب البشر ، الكلي الرحمة ، الكلي الصلاح ، الكلي القدرة ، مخلّص كل البشر ، اب اليتامى ، قاضي الأرامل ، **إلهُ التائبين ، طبيب النفوس والأجساد** ، رجاء الذين لا رجاء لهم ، ميناء المشتى عليهم ، معين الذين لا معين لهم ، طريق الحياة ، الداعي الكلّ إلى التوبة ، المرحّب بالتائبين . لنلتجئ إليه إذًا لأن كل خاطئ يلجأ إليه يجد الخلاص .

فلا نيأسنّ يا أخوة من خلاصنا . فإن حدث وخطئنا فلنتب . إن خطئنا ألف مرّة فلنتب ألف مرّة . الله يفرح بكل عمل صالح غير أنه يفرح بصورة خاصة بتوبة كل نفس . إنه يتطلّع إليها بحنوّ ويتقبلها بين يديه وهو ينادي قائلًا : « تعالوا يا جميع المتعبين » . (متى ١١:٢٨) و« من يأتي إليّ لا أخرجه خارجًا » (يوحنا ٦:٣٧) و« تعالوا إلي يا جميع المتعبين وأنا أريحكم » **(متى ١١:٢٨)** . استريحوا أيها المتعبون في المدينة العلوية حيث يستريح جميع قدّيسيّ بفرح كبير . هلموا يا أحبتي ، أسرعوا إلى ذلك الفرح الذي لا يوصف ولا يدرك ، وإلى تلك الخيرات التي تشتهيها الملائكة . هلموا أسرعوا إلى حيث طغمات الملائكة وأجواق القدّيسين وأحضان إبراهيم الذي يتقبل كل من صبر على الشدائد كما تقبّل لعازر . هناك ، يا أحبتي ، تفتح ذخائر الصالحات الأبدية . هناك أورشليم العلوية أم الأبكار . هناك أرض الودعاء المغبوطة . « تعالوا إليّ كلّكم وأنا أريحكم ، حيث الهدوء والراحة ، حيث الأنوار ، حيث لا يوجد ظلم ولا طغيان ولا توجد خطيئة

ولا توبة ، حيث هو النور الذي لا يدنى منه والفرح الذي لا يُنطق به » .

● تعالوا إلي وأنا أريحكم :

« طوبى للحزانى » (متى ٥:٤) . احزنوا توبوا ، عودوا إليّ وأنا أريحكم ، هناك حيث لا ألم ولا دموع ولا هم ولا وجع . « ارجعوا إليّ يا أبناء البشر وأنا أريحكم » هناك حيث لا ذكر ولا أنثى ، لا شيطان ، لا موت ، لا صيام ، لا حزن ، لا نزاع ولا حسد ، بل حيث الفرح والسلام والراحة والإبتهاج . « ارجعوا إليّ وأنا أريحكم » هناك حيث ماء الراحة ، مكان الخضرة والكرم المفلوح من إله الكل في أرض الودعاء المغبوطة التي فيها الكرمة الحقيقية . وفلّاحها هو الآب كما تعلمون «**تعالوا إلي يا جميع المتعبين وأنا أريحكم** » (متى ١١:٢٨) هناك حيث الحياة التي لا نهاية لها وبهجة كل صلاح . « تعالوا إليّ يا جميع المتعبين وأنا أريحكم هناك حيث البهاء الفريد والأبتهاج المتواصل ، الفرح الأزلي والنور الذي لا يعروه مساء والشمس التي لا تغيب . « **احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم** » (متى ١١:٢٩) هناك حيث لحن المعيّدين ، حيث نور الحكمة والمعرفة .

تعالوا إليّ جميعكم وأنا أريحكم هناك حيث الهبات العظيمة ، الفرح الذي لا يدرك ، البهجة التي لا تتغيّر ، التسبيح الذي لا حدّ له ، التمجيد الذي لا يصمت ، الشكر الذي لا يتوقّف ، اللاهوت الدائم ، الملك الذي لا نهاية له ، الغنى الجزيل ، الدهور اللامتناهية ؛ عمق الرأفات ، محيط الرحمة والمحبة البشر ، كل ما لا تستطيع الأفواه البشرية أن تنطق به وهناك ربوات الملائكة ، حفلات الأبكار ، عروش الرسل ، كراسي الأنبياء صولجانات البطاركة ، أكاليل الشهداء ومدائح الصدّيقين . هناك تحفظ أجرة كل رئاسة وسلطة وطغمة ويُهيأ لها المكان . « تعالوا إليّ يا جميع الجياع والعطاش إلى البّر وأنا أملأكم بالخيرات . تلك التي اشتهيتموها ، تلك التي لم ترها عين ولا سمعت بها أذن ولا خطرت على بال

إنسان » (١ كور ٢:٩) . هذه الخيرات التي إنّما أعددتها للتائبين ، هيأتها لمحبي السلام وللمضطهدين والمعيَّرين والمُساء إليهم من أجلي . « تعالوا إليّ يا جميع الثقيلي الأحمال » وانزعوا عنكم حمل خطاياكم لأنه ما من أحد يلجأ إليّ ويبقى مثقلًا بالأحمال بل ينزع عنه كل عادة سيئة وينسى فنّ الشيطان اللعين وأنا ألقنه فنًا صالحًا . فالمجوس الذين أتوا إليّ أبعدوا السحر عنهم وتلقنوا المعرفة الإلهية ، والعشارون تركوا مكاتب الصيارفة وحضروا إلى الكنائس ، المضطهدون كفوا عن الاضطهاد وقبلوا أن يُضطهدوا ، الزناة ازدروا بالزنى وأحبّوا العفة . اللصّ تخلّى عن اللصوصية والجرائم واعتنق الإيمان الحقيقي فأصبح مواطنًا في الفردوس . تعالوا إذًا إليّ لأن « الآتي إلي لن أدعه خارجًا » (يوحنا ٦:٣٧).

سمعتم أيها الأحباء بهذه الوعود الصالحة وتناهت إليكم أصوات مخلص نفوسنا اللذيذة ، من منكم رأى مثل هذا الأب الرحوم العطوف الحنون ؟ ومن منكم رأى مثل هذا الطبيب الرائع ؟ تعالوا إذن نسجد له معترفين بخطايانا . فالمجد لمحبته للبشر ! المجد لطول اناته ! المجد لصلاحه وتنازله الذي لا يوصف ! المجد لرأفاته ! المجد لملكه ! المجد والكرامة والسجود لاسمه إلى أبد الدهور . آمين .

أكرر يا أحبائي وأقول : لا نتهاملن ، لا نخجلن ، لا نتوقفن عن الصراع ليلًا ونهارًا بدموع غزيرة لأن الله رحوم وغير كاذب ويستجيب للذين يصرخون إليه ليل نهار ، لأنه هو إله التائبين الآب والأبن والروح القدس الذي له المجد والقوة إلى دهر الداهرين آمين .

* * *

خطاب في مجيء الرب ثانية ونهاية العالم ومجيء المسيح الدجّال (١)

كيف أنا أفرام الخاطئ، الأدنى من الكلّ المليء بالزلات، كيف أستطيع أن أتكلّم على ما يفوق قدرتي. غير أن مخلّصنا الذي بفضل رأفته علّم الحكمة للأمّيّين وبهم أنار المؤمنين قاطبة، هو الذي يشدّد لساني لأستفيد أنا أيضًا وكذلك السامعون كلامي. سأتكلّم بوجع وبتنهّد على نهاية هذا العالم الحاضر وعلى الوحش الرهيب الذي هو مزمع أن يجعلَ المسكونة كلّها تضطرب وأن يبثّ في قلوب البشر الجزع، الإهمالَ والإلحادَ الرهيب، أن يصنعَ عجائبَ ويختلقَ صورًا رهيبة، «ولو استطاع أن يُضلّ حتّى المختارين» (متّى ٢٤:٢٤) فيخدع الجميعَ بصنائعه الكاذبة وخوارقه الخياليّة.

فقد ارتضى الله أن يأخذ الوحشُ سلطة ليخدع البشر، لأنّ **عدم الإيمان قد انتشر في العالم**، وهذا من دون شكّ، يؤدّي إلى شدائد وأحزان في كلّ مكان، وذلك أنّ السيّد العديم العيب يسمح بتجربة العالم وبضلاله لأنّ الناس جحدوا الله وابتعدوا عنه بمحبّة الشرور.

---

(١) مجيء الربّ في الأصل parousia أي الحضور.
المسيح الدجّال في الأصل anti Christ أي ضدّ المسيح.

واعلموا أيّها الإخوة المؤمنون ، كم سيكون الجهادُ كبيرًا في تلك الأزمنة لأن الوحشَ سيُظهر نفسه كإله ويصنعُ عجائب وخوارق بقوّة عظمته ، يطير في الهواء مع ملائكته الأشرار ، يصرخ بقوّة مغيّرًا أشكالَه وجالبًا للناس كلِّهم خوفًا عظيمًا .

تُرى من سيبقى عندها أيها الإخوة بدون رعدة وتزعزع حافظًا في نفسه حضورَ ابن الله المقدّس خصوصًا عندما يعاين ذلك الحزنَ غيرَ الموصوف يخترق كلَّ نفس دون أيّة تعزية أو راحة لا في البرّ ولا في البحر؟ ويرى العالم كلّه يضطرب ويهرب الجميعُ إلى الجبال : يموت البعض من الجوع ويذوب الآخر كالشمع من العطش الرهيب وليس من رحمة . عندما يرى العيون تذرف الدموع وهي تسأل إن كان يوجد بعد على وجه الأرض كلام إلهيّ ، ولن تجد؟ مَنْ يستطيع أن يحتملَ الأيّام ؟ من يصبر على تلك الشدّة عندما تأتي الشعوبُ من أقاصي الأرض لتعاين الطاغي وتسجدَ له صارخة برعدة « أنت مخلّصنا » . البحر يضطرب ويجفّ . السموات لن تمطر بعد والعشب يذبل . من كانوا في الشرق يهربون إلى الغرب والذين في الغرب يهربون إلى الشرق ، وكلّهم مرتعدون . عندها يأخذ الوحش سلطته ويرسل الشياطين إلى الجهات كلّها ليكرزوا بوقاحة : « لقد ظهر الملك العظيم بمجد تعالوا وانظروا واسجدوا له » .

من ستكون له نفسٌ قويّة ليحتمل العثرات كلَّها بشجاعة؟ لأنّني أيّها الإخوة ، يا محبّي المسيح ، **أخشى ذكرَ الوحش** عارفًا بعظمة الشدّة التي سوف يواجهها الناس في تلك الأيام ، كم سيكون الوحشُ قاسيًا على الجنس البشريّ خصوصًا على المؤمنين المالكين قدرةَ التغلّب على خوارقه الخياليّة ، لأنه سوف يظهر كثيرون ممّن يُرضون الله ويلجأون إلى الجبال والأماكن المقفرة مقدّمين طلبات وتضرّعات كثيرة . وأعلم أنّ الله القدّوس عندما يراهم في مثل هذا الشقاء والإيمان الحق سوف يكشف لهم عن رأفته كأب رؤوف ويحفظهم منه في مكان اختبائهم . غيرَ أنّ الوحشَ الرذيل لن يتوقّف عن ملاحقتهم في البرّ

والبحر لأنه يعتبر أنّه أصبحَ ملكَ الأرض وكلُّ شيء يخضع له . ويعتقد الشقيّ أنّه سوف يصمد في تلك الساعة الرهيبة التي يأتي فيها الربُّ من السموات ، الربُّ الذي يعرف ضعفَه وتكبّره الذي كان سببَ سقطته . مع كلّ ذلك يجعل هذا الوحشُ الأرضَ تضطرب ويُرهب الكون بعجائبه السحريّة الكاذبة .

عندما يأتي الوحشُ في تلك الأيّام ، لن يكون سلامٌ ولا راحة على الأرض بل حزنٌ كبير وشدّة ، اضطرابٌ وضياع ، موت وجوع في العالم كلّه . لأنّ ربّنا نفسه بفمه الإلهيّ قال إن هذه العلامات لم تظهر منذ بدء الخليقة .

« لأنه يكون في تلك الأيام ضيق لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة التي خلقها الله إلى الآن ولن يكون » (مرقس ١٣:١٩) .

أمّا نحن الخطأة فكيف نصبر على هذا الضيق الذي يفوق كلَّ حدّ ووصف ؟ فليوجّه إذًا كلّ واحد منّا ذهنه بتدقيق إلى كلمات ربّنا ومخلّصنا المقدّسة . إذ يقول إنه : « بسبب صعوبة الشدّة وعظمتها سوف يختصر تلك الأيّام » (متّى ٢٤:٢٢) وذلك بداعي رأفته حاثًا إيّانا بقوله : « صلّوا لكي لا يكون هربكم في شتاء . ولا في سبت » (متّى ٢٤:٢٠) وأيضًا :

« اسهروا إذًا وتضرّعوا في كلّ حين لكي تُحسبوا أهلًا للنجاة من جميع هذه الضيقات وتقفوا قدّام ابن الإنسان » (لوقا ٢١:٣٦) « لأنّ الوقت قريب » (رؤيا ٢٢:١٠) .

وعلى الرغم من كلّ ذلك نمكث في مثل هذا الشرّ وعدم الإيمان . فبدموع وصلوات نجثو نحن الخطأة على ركبنا أمام الله ليلًا ونهارًا حتّى نخلص . كلّ من عنده دموع وتخشّع فليتوسّل إلى الربّ حتى تعبر « ساعةُ التجربة العتيدة أن تأتي على العالم » (رؤيا ٣:١٠) ولا نسمع تلك الأمور الرهيبة . لأنّه « سوف تكون مجاعات وزلازل في أماكن » (متّى ٢٤:٢٧) . **الذي يريد أن يحافظ على حياته وسط هذه الفضائح والعثرات ينبغي أن تكون له نفسٌ شجاعة .** لأنّ

الإنسانَ إن أهمل نفسه ، ولو قليلًا ، تسود عليه بسهولة ألاعيبُ الشرّ ومعجزات الوحش ، فيُصبح في يوم الدينونة بلا عذر كونه استسلم للطاغي بملء إرادته .

نحن بحاجة ، أيّها الأحبّاء ، إلى صلوات كثيرة حتى نقفَ غيرَ متزعزعين في التجارب . فمعجزات الوحش الخياليّة سوف تكثر . هو يحارب الله لذلك ينوي هلاك الجميع . يستخدم مثل هذه الأساليب حتّى يكون للكلّ ختمُ الوحش عندما يأتي في وقته ليخدع العالم كلّه بالعجائب . بعدها يقدّم الأطعمةَ وكلّ تجارته « لئلّا يقدر أحدٌ على أن يشتري أو يبيع إلّا من له ختمُ السمة أو اسم الوحش أو عدد اسمه » (**رؤيا ١٣:١٧**) . وسوف يعيّن حكامًا ينفّذون أوامره .

انتبهوا يا إخوتي إلى شرّ الوحش الكبير ومكائده الشرّيرة . فإنه يبدأ من البطن فيضطرّ من كان محرومًا من الطعام إلى تقبّل ختمه ليس في أيّ جزء من الجسد بل في يده اليمنى أو على جبهته (رؤيا ١٣:١٦-١٧) ، حتى لا تبقى للإنسان قدرة على رسم إشارة الصليب بيده اليمنى أو على جبهته ولا أن نذكر اسمَ الربّ يسوع القدّوس مخلّصنا . يعرف الشقي أن علامةَ صليب الربّ إن رُسمت تجعل قدرته كلّها مضمحلّة ، لذلك يختم يدَ الإنسان اليمنى التي تختم أعضاءنا كلّها . وأيضًا جبهةَ الإنسان التي هي بمثابة منارة عالية تحتوي النورَ رمزَ مخلّصنا .

أيّها الإخوة إنّ جهادًا كبيرًا ينتظر محبّي المسيح كلّهم حتى لا يجزعوا كما في ساعة الموت ولا يظلّوا غيرَ مبالين **ويرفضوا ختم الوحش** الذي يُعطيه بدلًا من صليب المخلّص لئلا يستخدم أحد اسم الربّ المخوف . فمن لا يتقبّل ذلك الختمَ لم يؤسرَ بألاعيبه الخياليّة ولن يبتعد الربّ عنه بل يُنيره ويجذبه إليه .

علينا أن ندرك أيّها الإخوة ، أنّ ألاعيب العدوّ لن ترحم . غيرَ أن ربّنا سوف يبعّد عنا بسهولة كلّ مكائده . **فإن تمسّكنا بصدق بالإيمان القويم بالمسيح** تتبدّد قوّةُ الطاغي وتنسكب فكرًا ثابتًا ويبتعد عنّا القويّ منهزمًا .

أرجو منكم أيّها الإخوة المحبّين للمسيح، لا تكونوا متهاملين بل كونوا مقتدرين بقوّة الصليب. إن الجهاد الذي لا بدّ منه هو قريب منّا. لنحمل ترسَ الإيمان (أفسس ٦:١٦) ونستعد كعبيد صالحين، فلا نقبلنّ غير المسيح. لأنّ السارق الطاغي المتّخذ عن غير حق ثيابَ الراعي الصالح سوف يأتي أوّلًا مريدًا أن يَسرقَ القطيع المختار ويقتله ويقوده إلى الهلاك (يو ١٠:١٠).

لنتعلّم أيّها الأحباء بأيّ شكل سوف تأتي الحيّة الكثيرة الحيل. أراد المخلّص أن ينقذ الجنس البشريّ كلّه. ولد من العذراء وصار إنسانًا وقهر العدوّ وهو بالجسد بقدرة ألوهيّته المقدّسة. لذلك ارتأى العدوّ أن يأخذ شكلَ حضور الربّ ليخدعنا. لكن ربّنا سوف يأتي على السحب المنيرة كبرق رهيب (متّى ٢٤:١٧). بينما العدوّ لن يأتي بالطريقة ذاتها كونه جاحدًا. ومن جهة أخرى **سوف يولد من فتاة رديئة**. يأتي بشكل سارقٍ ليخدع العالم كلّه: متواضعٍ، مقتدر، يدّعي أنّه يُبغض الظلم، يبتعد عن الأصنام بداعي التقوى، صالح ومحبّ للفقراء، ذو جمال فائق، هادئ فرح مع الجميع، **محبٌّ كثيرًا لجنس اليهود الذين ينتظرونه**. إلى جانب ذلك يخدع العالم بألاعيب رهيبة تتّسم بالقوّة. يحاول أن يُرضي الجميع لكي يحبّه الكثيرون. لا يتكلّم بغضب، لا يظهر عابسًا بل يحاول أن يتصرّف حسنًا. سوف يخدع العالم لكي يملك عليه ويسوده.

عندما تعاين الشعوب والأمم الكثيرة مثلَ هذه الفضائل والعجائب، سوف يتفقون كلّهم على إعلانه ملكًا بحماسٍ كبير قائلين الواحد للآخر: لا يوجد إنسانٌ صالح وعادل مثل هذا الإنسان. ستقوم هكذا مملكته بسرعة فيطرد بشدّة ثلاثة ملوك عظام (**دانيال ٧:٢٤**).

بعدها سوف يتعظّم قلبه ويُظهر الوحش مرارته: يجعل المسكونة تضطرب إلى أقاصي الأرض. ينتشر الضيق وتفسد النفوس. أمّا هو فلا يعود تقيًّا بل

يُصبح قاسيًا تجاه الكلّ، وقحًا، غضوبًا، مرهبًا بشعًا كارهًا هازئًا متوحّشًا مهلكًا مستعدًا أن يُلقي الجنس البشريّ كلّه في مستنقع الإلحاد. تكثر عجائبه الكاذبة في الجمع. ويمدحه النالس بسبب ألاعيبه الخياليّة، ويصرخ أمام هذه الجموع «اعرفوا يا شعوب كلّكم قدرتي وسلطاني. فينقل الجبالَ أمام أعينهم وترتفع الجزر من البحر. كلّ ذلك يصنعه خداعًا حتى يؤمن به الكثيرون ويمجّدونه كإله مقتدر.

نتيجة ذلك سوف تتنهّد كلُّ نفس وتحزن. ويعاني الكلّ من شدّة لا هوادة فيها. لا يجدون طعامًا لشبعهم لأنه يضع في كلّ مكان حكامًا قساة [إن كان لأحد الختم سوف يشتري قليلًا من الطعام المتوفّر. عندها يموت الأطفال على أيدي أمّهاتهم وبعدها الأمّ مع ولدها وكذلك الأب . . . من كل ذلك تصعد رائحة الموت الكريهة الرهيبة]. فيتساءل الجميع متى يطلع النهار فنأخذ شيئًا من الراحة؟ متى ينتهي هذا الضيق؟ إلى أين نذهب، أين نهرب؟ لذلك سبق الربّ وقال:

«إسهروا إذًا وتضرّعوا في كلّ حين لكي تُحسبوا أهلًا للنجاة من جميع هذه المزمعة أن تكون» (لوقا ٢١:٣٦).

[ستكون زلازل ومجاعات واضطرابات في البرّ والبحر. الذهب والفضة والملابس الثمينة لن تنفع في تلك الشدّة . . . فيحاول الجميعُ أن يختبئ، ولكن إلى أين؟ . . . فيرثي الأب ولده والولدُ أباه والأم ابنتها . . . فتذبل وجوه الناس، الرجال والنساء، من الحزن حتى الموت].

عندها الذين تقبّلوا ختم الوحش سوف يسرعون إليه طالبين المعونة وقائلين: أعطنا لنأكل ونشرب لأنّنا نموت كلّنا من شدّة الجوع، وأبعد عنّا الوحوش المفترسة. فلن يستطيع أن يلبّيهم بل يُجيبهم بقساوة «من أين لي أن أطعمكم أيّها الشعوب». فينوحون لأنّهم لا يجدون تعزيةً لشقائهم بل يزيد على حزنهم

حزنًا لأنّهم آمنوا بالطاغي . أمّا هو فلا تكون له الإمكانية أن يساعد حتى نفسَه فكيف يريحهم ؟ . . . كلّ الذين قبلوا الختم وسجدوا للمسيح الدجّال كإله صالح لن يكون لهم ميراث في ملكوت المسيح بل يُطردون مع الوحش إلى الجحيم .

* * *

● أحد مرفع اللحم في صلاة المساء . ذكصا باللحن الثامن

عندما توضع الكراسي وتُفتح الصّحفْ . ويجلسُ الإلهُ للمحاكمةْ . فيا له حينئذ من خوف . إذ تكون الملائكة منتصبين برعبٍ . ونهرُ النار يمتدّ جريُه . فماذا نصنع إذ ذاك نحن البشر . الذين بتنا تحت الجريرة . لخطايانا الكثيرة . وإذ نسمعه يدعو مباركي أبيه إلى ملكوته . ويُرسل الخطأةَ إلى العذاب . من يحتمل ذلك الحكم الهائل . فيا أيها المخلّص المحبّ البشر . وملك الدهور وحدك . تداركني قبل الإنقضاء بالتوبة وارحمني .

* * *

طوبى للذي يبقى في كلّ شيء قدّيسًا وفي كلّ شيء أمينًا . هذا الذي قلبه ملتصق على الدوام بالله . الذي سوف يُجيب بلا خوف عن أسئلة الوحش كلّها مزدريًا بالتعذيبات وبألاعيبه الخياليّة . قبلْ هذه الحوادث كلّها سوف يرسل الربّ الرؤوف إيليا التسبيتي وأنوخ (رؤيا ١١:٣) لكي يعلّما التقوى للناس ويكرزا للكلّ بمعرفة الله ، حتّى لا يؤمنوا بالطاغي ويخافوا منه . فيقولان « أيّها الناس لا تنخدعوا ولا تؤمنوا به . لا تخضعوا لمحارب الله لا تخافوا منه لأنّه سيُقضى عليه سريعًا . ها إنّ الربّ يأتي من السماء ليدين أولئك الذين آمنوا بعجائبه » .

لكن قليلون هم الذين سوف يسمعون كرازة الأنبياء ويؤمنون بها . هذا يفعله المخلّص ليدل على محبّته الكبيرة للبشر . وذلك لأنّه لن يدع شعبه بدون كرازة حتّى في تلك الأيام العصيبة ، لكي لا يكون لأحد عذر في يوم الدينونة .

كثيرون إذًا من المؤمنين عند مجيء الطاغي المسيح الدجّال سوف يسكبون نهرًا من الدموع بتنهّد من أجل الله القدّوس لينجوا من الوحش . يهربون سريعًا إلى البراري ويختبئون في الجبال والمغاور ويعفرون رؤوسهم بالتراب والرماد متوسّلين ليلًا نهارًا بتواضع كثير . فيستجيب لهم الله ويقادون إلى أماكن آمنة وينجون في المغاور وثقوب الأرض دون أن يروا عجائب المسيح الدجّال وأعماله الرهيبة . **فانّهم يميّزون قدومه** سريعًا . أمّا الذين فكرهم في الأشياء الدنيويّة والشهوات الأرضيّة فلا يكون التمييز عندهم سهلًا . لأن الذي يرتبط بالأمور المعيشيّة حتى ولو سمع يبقى غيرَ مؤمن ويتهرّب ممّا يُقال له . يتقوّى المؤمنون **لأنّهم طرحوا عنهم الأمور الدنيويّة** وهموم هذه الحياة .

عندئذ سوف تنوح الأرض والبحر والهواء وأيضًا الحيوانات البريّة وعصافير السماء . ستنوح الجبال والتلال وشجر السهل وكواكب السماء على جنس البشر لأنّهم ابتعدوا عن الله وآمنوا بالخدّاع وأباطيله . قبلوا ختمَ محارب الله بدل صليب المخلّص المحيي . ستنوح الأرض والبحار وتنقطع الترانيم والصلاة من فم البشر . ستنوح كنائسُ المسيح نوحًا كبيرًا ولا تُقام الذبيحة الإلهيّة فيما بعد .

بعد مضي السنوات الثلاث (رؤيا ١٢:١٤) لسلطة الطاغي ونشاطه وعثراته على الأرض (متّى ٢٤:٢٤) سيأتي إلهنا المجيد الرهيب القدّوس بمجد لا يوصف فتسرع أمام مجده طغمات الملائكة ورؤساء الملائكة كلّهم كنار ملتهبة فيجري النهر المليء بالنار : الشاروبيم ونظرهم إلى أسفل والسارافيم يطيرون مخبّئين وجوههم وأرجلهم بالجوانح الناريّة (أشعياء ٦:٢) يصرخون : « استيقظوا أيّها النائمون ها إنّ الختن قد أتى » فتتفتح القبور وتقوم القبائل كلّها ويوجّهون

أنظارهم إلى العريس القدّوس الجميل. ألوف وربوات من الملائكة ورؤساء الملائكة والجنود التي لا عدّ لها يفرحون معًا. القدّيسون والصدّيقون وكلّ الذين لم يتقبّلوا ختمَ الوحش سيفرحون أيضًا. ويقاد الوحش إلى أمام المنبر مقيدًا من الملائكة مع شياطينه وكلّ الذين تقبّلوا الختم والجاحدون والخطأة. **فتجري الدينونة** ويذهبون إلى النار الأبديّة (رؤيا ١٩: ٢٠). أمّا الذين لم يتقبّلوا علامة الوحش فسوف يفرحون مع الختن في الخدر السماويّ الأبديّ مع كلّ القدّيسين إلى دهر الداهرين. آمين.

عظة عن المجيء الثاني

« وبينما كنت أرى ... فجلس القديم الايام ... تخدمه ألوف ألوف ... فجلس أهل القضاء وفتحت الكتب »

(دانيال ٧: ٩-١٠)

● المجيء الثاني

عند المجيء الثاني للمسيح يظهر الصليبُ الكريم أوّلًا لأنه علامة المسيح الملك العظيم ، علامة مكرّمة ومُحيية ، وقورة ومقدّسة حسب كلام السيّد الذي قال : **« حينئذ تظهر علامة ابن الانسان في السماء »** (متى ٢٤: ٣٠).

ينبغي اذًا ان يظهر الصليب أوّلًا في السماء مصفّ الملائكة كلّه في حين مجيء السيّد المسيح ، وأن ينير الارض كلها من أقاصيها الى أقاصيها يلمع أكثر من ضوء الشمس . هذا ما ينبغي أن يحصل في المستقبل . الامر يفوق كلّ قول ، كلّ فكر وكل معنى . الامر يُدهش كلَ سمع . كيف يمكن ، أيها الاخوة الاحباء في المسيح ، أن أروي لكم كل ذلك ؟

تذكرت تلكَ الساعة فارتعدت ، وأردت أن أتوقف عن الكلام بسبب خوفي الكثير ، لكن كيف يتذكر الواحد ما سوف يتراءى فيما وراء الصليب المحيي وينوي روايته ؟ من يتجاسر على وصفه ؟ أي فم يمكن أن يتفوّه بذلك ؟ أي لسان يتكلم به أم أي صوت يمكنه أن يعرضه ؟ أيُ سمع يمكن أن يتقبّله ؟ لأنه عندما تتزعزع قوات السماوات (لو ٢١: ٢٦) من الذي لا يتزعزع ؟ من الذي لا

يخاف ويرتعد ولا يختبئ في تلك الساعة حين ينهض ملك الملوك من مجده وينزل لكي يزور المسكونة كلها ويتكلم مع عبيده ، ويجازي المستحقين ، ويعاقب غير المستحقين لانه عادل ؟

هذه كلها عندما أتذكرها يعتريني الخوف وتُشَلُّ أعضائي كلُّها . تدمع عيوني من الخوف . ينطفئ صوتي . تتجلّد يداي . يلتصق لساني بحلقي ويتوقف تفكيري . لكن رغبتي في إفادتكم تضطّرني الى الكلام . هذه الرغبة تتملّكني وتدفعني أن أصمت لأن الخوف كبير جدًا . لأن مثل هذه الاشياء الكبيرة والمخيفة لم تحصل منذ إنشاء العالم ولن تحصل في الاجيال كلها .

● صوت البوق

كما يحصل الآن في كثير من الاحيان حين يلمع برق مفاجئ أو رعدة قويّة يخاف الناس كلّهم وللحال ينكبّ الوجهُ الى الارض . ان كانت مثل هذه الاشياء الصغيرة تخيفنا فكم بالاحرى صوت البوق الرهيب (١ تسا ٤:١٦) الذي سوف يدوّي في السماء اكثر من كل رعد ويقيم المائتين منذ الدهر كلهم ، الصالحين منهم وغير الصالحين . حينئذ في وسط الجحيم سوف تسمع عظامُ البشر صوت البوق فتتحرّك كلّها بسرعة ، وينتظم كلّ واحد في الحالة التي كان فيها حين أتى الى الحياة .

اذًا حين نرى الناس كلّهم فجأة واقفين ، وراكضين ومن كل أقاصي الارض نحو المحكمة فمن يستطيع ان يهربَ من الرعدة الرهيبة والخوف ؟ فإن الملك العظيم الذي يسود الانسانية كلّها ما ان يأمر حتى تُخرج الارض أمواتها والجحيم أيضًا أمواتها (رؤيا ٢٠:١٣) وكذلك كل من ابتلعته الوحوش ، والاسماك في البحر أو الطيور الكاسرة ، كل ذلك مثل البرق (متى ٢٤:٢٧) يظهر وشعرة واحدة من رؤوسهم لن تسقط .

● النهر الناري

أيها الاخوة ! من يستطيع أن يحتمل رؤية النهر الناري (دانيال ٧ : ٩) كمثل بحر متوحّش يبتلع الجبال والسهول ويُحرق المسكونة كلّها مع جميع أعمالها ؟ حينئذ من تلك النار تتلاشى الانهار وتختفي ينابيع المياه ، ينشف البحر ، تسقط النجوم من السماء ، تظلم الشمس ، والقمر يتحوّل الى دم ، وتلتفّ السماء كالدرج . (رؤيا ٦ : ١٤) .

حين نرى ، أيها الاخوة ، الملائكة المرسَلين يركضون بسرعة ليجمعوا عبيد الله الصالحين من اقاصي الأرض الى أقاصيها ، حين نرى سماء جديدة وارضًا جديدة (٢ بطر ٣ : ١٣) ، حين نرى العرش الرهيب يتهيّأ وابن الانسان المسيح يظهر في السماء والصليب المحيي ينير أقطار الأرض . فسوف يرى الكل في العلاء هذا الصولجان الملكي ، وحينئذ يدركون أن ملك الملوك يطلّ من ورائه .

في تلك الساعة إن تذكّر احدهم أية طريقة سوف يلتقي بها القاضي ، ان تفكّر بخطاياه ، فسوف يقف عريانًا مكشوف الرأس منتظرًا اصدار الحكم .

حين يشاهد كل انسان اعماله مكشوفة أمامه حسنة كانت أم سيئة ، عندئذ يقف بعزم السالكون الطريق الضيّق المحزن ، وجميع الرحماء ومحبّو الغرباء منتظرين بفرح كبير الرجاء المغبوط ، ظهور الاله العظيم مخلصنا يسوع المسيح (تيطس ٢ : ١٣) الذي سوف يأتي لكي يفرّح المجاهدين في الاسهار ، في الصلوات ، في الأصوام وأعمال الرحمة . سوف يأتي ليفرّح المحزونين ، ليفرّح ويرفع الفقراء من اجل اسمه ، الذين لم يحبّوا العالم ومغرياته ، وكذلك الذين تركوا كل شيء وأحبّوه وحده (٢ تيمو ٤ : ٨) وتبعوه .

● مثل البرق

سوف يأتي لا من الارض ، بل من السماء مثل البرق (متى ٢٤ : ٢٧) عندئذ

سوف يسمع صوت عظيم يقول : ها هو ذا العريس يأتي ، هو ذا القاضي يصل ، هو ذا الحاكم يظهر ، هو ذا إله الكل يجيء ليدين المسكونة كلها ويجازي كل واحد حسب أعماله (متى ١٦:١٧ ورو ٢:٦ ورؤيا ٢٢:١٢).

عندئذ ، ايها الأخوة الأحباء ، من ذلك الصوت سوف ترتعد أحشاء الأرض من أقصى الأرض الى أقصاها مع البحر والأودية .

عندئذ يعتري الناس خوف وشدّة من ذلك الصوت ومن لحن البوق اللذين سوف يدوّيان في العالم كلّه .

عندئذ قوّات السماوات ستتحوّل من اساساتها ، يركض جنود الملائكة في الامام ، وتستعدّ اجواق الشاروبيم والسارافيم ، الذين يصرخون عاليًا : « قدوس ، قدّوس قدّوس الكائن الذي كان وسيأتي الضابط الكلّ » **(رؤيا ١:٨)**.

عندئذ كل خليقة في السماء وعلى الأرض وفي جوف الأرض بصوت قويّ تهتف : « مبارك الملك الآتي باسم الرب » (متى ٢١:٩) .

عندئذ تتمزّق السماوات ويظهر ملك الملوك واولئك الذين عذّبوه وسوف تبكي عليه قبائل الامم كافة (رؤ ١:٧ و١٧:١٤ و١٩:١٦) .

● رؤية الله

عندئذ تهرب السماء والأرض كما أنبأ يوحنا : « ثم رأيت عرشًا عظيمًا أبيض والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء » **(رؤيا ٢٠:١١)**.

عندئذ سيجلس على عرش مجده كما سبق فقال وستجتمع امامه أمم الارض كلّها . أي نفس يمكنها ان تحتمل كل ما سوف يحصل عندما توضع العروش ويقام القضاء وتفتح الكتب ؟ **(رؤيا ٢٠:١٢)** .

عندئذ سوف نرى قوات الملائكة الكثيرة العدد تقف حول العرش بخوف . سوف تقرأ أعمال كل انسان امام الله وأمام الناس كلّهم . فتتحقق نبؤة دانيال

القائلة :

« بينما كنت أنا دانيال أرى اذ نُصبت عروش فجلس القديم الايام وكان لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وعجلاته نارًا مضطرمة ومن أمامه يجري ويخرج نهر من نار وتخدمه ألوف الوف وتقف بين يديه ربوات ربوات . **فجلس أهل القضاء وفتحت الكتب** » .

(دانيال ٧:٩–١٠).

● الدينونة

يا أخوة ! سوف يعتري الناس خوف شديد في تلك الساعة وذلك عندما تظهر أعمالهم مكتوبة ، كل ما فعلناه في هذه الحياة واعتقدنا انه قد غاب عن وجه الله الذي يفحص القلوب والكلى ، أي كل شيء ، هو كلّه مسجل : الأفعال والأفكار ، خطايا كانت أم فضائل .

● الإعتراف

كم من الدموع نحن بحاجة اليها في تلك الساعة الرهيبة ونحن نتهاون ؟ فإنه فقط عن طريق الاعتراف والدموع يستطيع الإنسان ان يمحو جرائمه المدوّنة في تلك الكتب . كم علينا ان نتنهد ، ان تدمع عيوننا بحسرة في تلك الساعة عندما ترى أعيننا ملكوت السماوات الذي لا يوصف ؟

حينما نرى بوضوح أمكنة ألوان الهلاك الرهيبة[١] وفي وسطها الناس كلّهم من آدم أوّل الجبلة حتى المولود الأخير يخرّون ساجدين ، حينئذ يتحقق ما هو مكتوب : « حيّ انا يقول الرب : لأنه سوف تسجد لي كل ركبة في السماوات

(١) هي حالات وليست أمكنة مادية بالمعنى الحرفي للكلمة .

وعلى الأرض وما تحت الارض ، كل لسان سوف يعترف بي » (رو ١٤ :١١ وفيل ٢ :٩-١٠ واش ٤٥ :٢٣) .

عندئذ أيها الاخوة الاحباء تقف الانسانية كلّها بين الملكوت والقضاء ، بين الحياة والموت ، بين الفرح والعوز ، سوف يتطلعون كلّهم الى أسفل . سنقف حول المنبر الرهيب نسأل ، ونُفحص بدقة كبيرة وبخاصة منا أولئك الذين عاشوا في الاهمال .

عندما يرى الناس كل ذلك ، ويتذكرون أعمالهم ويبوحون بها امام الله ، حينئذ اولئك الذين لم يتوبوا خلال حياتهم سوف يكونون قائلين : لماذا نحن الاشقياء لم نتعب قليلًا بل أضعنا وقتنا في اللعب ؟ لماذا لم نسهرْ ونساعد الفقراء ، لماذا كرهنا أخانا ، وتشبثنا بالجسد ؟ نعم لقد فعلنا كل ذلك ، ولكن لماذا لم نتب طالما كان وقت للتوبة ؟ بل ضحكنا وتسلّينا وصرفنا عمرنا بلا معنى ؟ ماذا نفعل الآن وقد جاءت الساعة الرهيبة ؟ سمعنا عنها من الناس اخوتنا واستهزأنا بكلامهم . ماذا نعمل الآن نحن الأشقياء عندما تفتح كتب أعمالنا ونُحاكم على كل شيء ؟

وبينما يفتكر عديمو التوبة هكذا ، يسمعون صوت الرب الرهيب قائلًا : « أروا أعمالكم لكي تنالوا أجركم » .

في تلك الساعة تتزعزع مراتب البشر كلّها : رؤساء الكهنة ، الكهنة ، الشمامسة . أوّلًا هؤلاء ثم تأتي بقية المراتب أي من الأكبر حتى أصغر واحد كما قيل : « كل واحد سوف يرفع الى مرتبته لكي يعطي مجدًا لله » .

عندئذ يرتعد خوفًا الحكام والحكماء والاغنياء لأن الساعة قد أتت لكي يظهر عمل كل واحد امام الله والناس وسوف يحصد كل واحد ما قد زرع خلال حياته هذه (غلا ٦ :٧) .

الويل لنا ايها الاخوة . أريد أن أقول ما سوف يحدث بعدها لكن الخوف

يمنعني من ذلك . تنهمر دموعي ويغمى علي لأن روايته رهيبة .

عندئذ ، يا أحبائي ، سوف يفحص الختم ، الختم المسيحي اي حياة كل مسيحي تلك التي أخذها من الكنيسة الارثوذكسية الكاثوليكية الرسولية بواسطة **المعمودية** . يفحص كل واحد ان كان قد حفظ الايمان طاهرًا والختم غير مشوّه ، والجسد غير ملطخ والاعتراف الحسن الذي جاهرنا به امام اناس كثيرين وهو التالي :

« أرفض الشيطان وكل أعماله »

أسمعتم ذلك ، ايها الاخوة ؟ لا عملًا واحدًا رفضتم ، أو اثنين أو خمسة بل أعمال الشيطان كلّها ، هذا العدوّ الكبير . في تلك الساعة ، اذًا ، يفحص ان كنا حافظنا على هذا الرفض الكامل ؛ فطوبى للذي حافظ عليه حسب وعده .

لقد رفضتَ بكلمة واحدة كل عمل شيطاني قبيح ، كل خطيئة اي الزنى ، الدعارة ، القتل ، عدم الطهارة ، الكذب ، الحسد ، السرقة ، الغضب ، الكراهية ، العداوة ، والخصام ، الثرثرة ، التكبّر ، الضحك ، الموسيقى والأغاني المطربة ، الترف ، وقبل كل شيء الوثنية والسحر أي الالتصاق بالارواح الشريرة والقوات المظلمة اللامادية الأخرى .

لقد رفض المسيحي هذه الشرور كلّها لما نال المعمودية في البركة[٢] المقدّسة . أودّ أن أتابع لكن الخوف يعتريني مصحوبًا بوجع . انما اقولها بتنهّد ودموع لأنها رهيبة ولا يستطيع أحد ان يرويها بدون دموع وتنّهد .

عندئذ سوف يجد الواحد نفسه امام الملائكة والناس وتنتفي كل سلطة . يسقط اعداء الله على اقدامهم . حينئذ يقول الرب : « يميّز بعضهم من بعض كما يميّز الراعي الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار » (متى-

(٢) في أيام أفرام ، المعمودية بالتغطيس في بركة .

٢٥:٣٢-٣٣) اي الذين أثمروا ثمارًا جيّدة، الناس الصالحين الذين عرفوا الراعي الصالح، وحافظوا على ختمه غير مشوّه، وتبعوا راعيهم، بل جلسوا مع الهراطقة ودنّسوا الايمان المقدّس، الذين ساروا سيرة غير لائقة فعاشوا في تنعّم الحياة، ورقصوا ومارسوا شرور الحياة، وخرجوا عن القانون الموضوع، وتغرّبوا عن كل عمل صالح فامتلأوا من كل خطيئة: كل ذلك يراه الرب في تلك الساعة، فيصرف نظره عن هؤلاء الناس.

عندئذ يقول للجالسين عن يمينه: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعدّ لكم. تعالوا يا ابناء النور، تعالوا يا وارثي ملكوتي. تعالوا أنتم الذين جعتم وعطشتم من أجلي ولم تحبذوا العالم وما في العالم. تعالوا يا من تركتم العالم وأهلكم وأصدقاءكم... تعالوا يا من سلكتم البراري والجبال والمغاور وثقوب الارض (عب ١١:٣٨)، اسكنوا الآن مع الملائكة في السماوات».

وكذلك يقول للذين عن يساره: «اذهبوا عني أيها الملاعين والمحتقرين لانكم لم ترحموا، بل ازدريتم الاخوة والمسيح. لم ترحموا الفقراء، لذلك لن ترحموا. لم تريدوا سماع أقوال الانجيل وتلاميذي لذا لن أسمعكم. لقد عشتم في الخلاعة وتمتعتم بملذات الحياة، بينما انا أنادي في كل يوم عبر الكتب المقدّسة. سمعتم كل ذلك وضحكتم وأنا أذكّركم به. لذلك اقول لكم الآن: لا أعرفكم. اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الابدية التي أعدّت للشيطان وملائكته». فيذهب هؤلاء الى الهلاك الابدي» (متى ٢٥:٤٦).

● أمكنة العذاب:

الآن سوف اكشف لكم، يا اخوتي عن أمكنة العذاب المختلفة كما يصفها الانجيل: هناك الظلمة الخارجية (متى ٨:١٢). هناك جهنم النار (متى ٥:٢٢)، وهناك صريف الاسنان المختلف عن الأوّل. هناك الدود الذي لا يموت (مر ٩:٤٤)، وهناك النهر الناري (دا ٧:٩). يوزع الخطأة على أماكن العذاب هذه

المختلفة : كل واحد حسب فداحة وكمية خطاياه .

كما يوجد خطايا مختلفة ، هناك أيضًا عقوبات مختلفة أي ان الزاني يعاقب بصورة تختلف عن القاتل والسارق والسكير .

كل من وقع في هرطقة ما سوف يسمع الأمر الرهيب : ليرمِ الجاحد خارجًا لكيلا يرى مجد الرب . كل ذي عداوة لم يسامح خلال حياته سوف يهلك حتمًا . سوف يُرسَل الكارهون اخوتهم الى الظلمة الخارجية لانهم عندما يكرهون اخاهم يكرهون المسيح الذي قال : أحبّوا بعضكم بعضًا واغفروا بعضكم لبعض زلاتهم (يو ١٣:٣٤ ومتى ٦:١٤-١٥).

الويل لمحبي الزنى والسكر ، الويل للسحرة ، للذين يتعاطون المندل ومناجاة الارواح ، للذين يلتذّون بالخمرة وبالرقص والموسيقى المطربة ، الويل للذين يستهزئون بالكتب المقدّسة .

الويل للذين يُضيعون زمن التوبة باللعب والضحك فهم باطلًا سيطلبون ما أضاعوا ، فلن يجدوه . سيصرخون بدموع وتنهدات دون أن يجدوا عطفًا . الويل للذين يخطفون أموال الغير ! ولكي اختصر كلامي : الويل للذين سوف يكونون الى اليسار لأنهم سوف يغمى عليهم ويرتعدون ويصرفون على أسنانهم عندما يسمعون هذه العبارة : « لا أعرفكم » . عندها سوف يطردون من المنبر الرهيب ويسلّمون بخوف كبير الى يدي الموت لكي يرعاهم (مز ٤٨:١٥).

ان ذكر مثل هذه الساعة الرهيبة هو حقًّا مخيف . من يستطيع ان يتكلم عنها ؟ ان شئتم ان تسكبوا دموعًا فتعالوا اسمعوا ما ينتظرنا في ذلك اليوم العظيم .

سوف ينفصل الاساقفة عن اخوتهم الاساقفة ، والكهنة عن اخوتهم الكهنة ، والشمامسة عن الشمامسة الآخرين... سينفصل الملوك عن بعضهم بعضًا ويبكون كالاطفال ويقفون كالحيوانات . سوف يرتعد حكام الشعوب

ويفتشون هنا وهناك دون ان يروا عونًا ، لأن الغنى يتلاشى وكذلك الممالقات. عندئذ يُفصل الرهبان العائشون في الكسل ، لأنهم ابتعدوا عن العالم ولم يفكّروا إلّا عالميًّا. عندئذ سوف يُفصل الأهل عن الأولاد والأصدقاء عن بعضهم بعضًا والاقارب كذلك. سوف ينفصل الأزواج الذين لم يحفظوا مضجعهم طاهرًا (عب ١٣:٤).

يعتريني الخوف عند رواية كل هذا ، فأتوقّف .. حينئذ وهم مطرودون ، مضروبون مدفوعون من قبل ملائكة متشدّدين ، سوف يصرفون على أسنانهم وينتقلون الى الوراء بعد اقترابهم من ذلك المكان الرهيب حيث يرمى كل واحد في مكان عذابه. عندئذ سوف يشاهدون القرار النهائي ، لانه لن يبقى من احد يتوسّل من أجلهم. ولن يكون لهم رجاء في العودة. لذا يبكون ويضربون قائلين :

كم من الوقت خسرنا لاننا عشنا في الكسل والاهمال؟ كم ضحك منا هذا العيش الباطل! بينما شاهدنا الآخرين يجاهدون الجهاد الحسن رفضنا نحن الجهاد ، كنا نسمع قراءة الكتب المقدّسة ونستهزئ بها. هناك كلّمنا الله بواسطة الكتب فلم نُعِرها أي اهتمام. الآن نحن نصرخ وهو يصرف وجهه عنا.

ماذا افادتنا ملذات العالم وتمتعاته؟ أين هو الأب ، أين هي الامّ اللذان ولدانا؟ أين هم الاولاد والأصدقاء والغنى؟ أين الملذات والموائد الفاخرة؟ أين الاهل والأصدقاء ، الملوك والحكام ، أين الحكماء والمعلّمون؟ من كل ذلك لم نجتنِ نحن الاشقياء أية فائدة.

عندئذ نرى هجر الله والقدّيسين لنا فنقول : افرحوا أيها الاصدقاء والاقارب أيها الآباء والامهات ، الاولاد والبنات. افرحوا أيها الرسل والشهداء والأنبياء. افرحي يا طغمة الرهبان. افرحي أنتِ يا والدة الاله السيدة التي توسطت كثيرًا من أجل خلاصنا. لكن نحن لم نرد ان نتوب ونخلص. افرح أيها الصليب

الكريم المحيي . افرح يا فردوس الفرح الذي خلقه الرب . افرحي ، يا أورشليم السماوية امّ الابكار التي لا نهاية لها . افرحي يا ملكة السماوات افرحوا كلكم معًا لاننا ذاهبون الى العذاب الابدي الذي هو بلا عزاء .

إذًا : كل واحد يذهب الى المكان الذي أعدّه بنفسه لنفسه .

ولم يرد ان يتوب وينجو من ذلك الغضب . أسمعتم ، أيها الاخوة ، ماذا ينبغي أن يرث الذين تعبوا وجاهدوا في الحياة الحاضرة ، وكيف سيطرد الى الهلاك الرهيب الذين تهاونوا ولم يتوبوا ؟ سمعتم عن تلك الساعة وذلك اليوم الرهيب .

ان الكتاب المقدّس ، من مشرق الشمس حتى مغاربها ، يهتف بصورة مستمرّة فيقول بواسطة الكنيسة : تعالوا ايها المتعبون والثقيلو الاحمال وأنا أريحكم » (متى ١١:٢٨) . وايضًا « أنا هو الحياة والقيامة والحق » (يوحنا ١١:٢٥ و١٤:٦) .

فلنحب أيها الاخوة ، هذا الطريق وتلك الحقيقة لكي نرث الحياة الأبدية بمعونة المسيح ربنا وإلهنا لانه يليق به المجد والإكرام والسجود مع ابيه الذي لا بدء له وروحه الكلي قدسة الصالح والمحيي الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين . آمين .

وصية القدّيس افرام[١]

(توصياته وتعاليمه الأخيرة)

باسم الرب بارك يا أب

أنا أفرام أموتُ. ليكن معلومًا لديكم جميعًا، يا أبناء الرها[٢]، أترك لكم وصيةً رمزًا للذكرى، تعاليمَ من النعمة، من الهبة التي أخذتها. حتى إنكم بتذكّر الأقوال تذكرونني أنا الذي رأيتموه وعرفتموه.

الويلُ لي! قد أدركتني فخاخُ الموت. إن حياتي قد دنتْ إلى الزوال وتمزّق غلاف جسدي. نُصب الشراع وانقضى أجلي بالكليّة. نفد زيت المصباح الأرضي ووصل الينا رجال إبحار المراكب. لقد قضى الأجير سَنته وغدوتُ غريبًا عابرًا لأن وقتي قد مضى وأنا راحلٌ.

هوذا الرجال قد أحاطوا بي القضاةُ المتشدّدون، ليجعلوا الطوقَ الثقيل على عنقي كما لو كنت لصًا. ماذا أفعل؟ أأبكي؟ لا أحد يُصغي إليّ. أأصرخ؟ من الذي يسمعني؟ الويلُ لي من جرّاء القضاء الرهيب! الويلُ لك، يا أفرامُ، من

(١) أو كتاب «العهد» يعطي فيه تلاميذه وصيته الأخيرة كتبها بتوقّع مسبق لنهاية أجله.
(٢) ايدسا Edessa (أورفه) قديمًا.

جراء يوم الدين . اذا ما وقفت أمام منبر ابن الله حين يحيط بي الجميع فآنذاك سأخجل من أفعالي . هناك يكون الخزيُ الرهيب والويل للمَخْزي آنذاك .

أيها الرب يسوع المسيح ، لا تدخل في المحاكمة مع عبدك ولا تفوّض إلى آخر حكمك عليّ ، بل أهّلني أن أمثل أمام منبرك المجيد ! لأن ذاك الذي سوف يحاكمه الله يستحق الرحمة . أقول هذا إذ إني سمعتُ الرسلَ الحكماء يقولون : إن الذي يشاهد الملك ، ولو خطئ ، فلن يموت .

* * *

الويل لي ايها الأخوة ! ما الذي يرعبني ؟ أبكوا متوجّعين على هلاكي لأنه قد اقترب الذي سوف يضعني في بلدة المائتين منذ الدهر .

إن هوشع بصوته الصَدوح يُدهشني كثيرًا لأنه يصرخ ويوبّخ قائلًا : قد علا الشيبُ أفرام[٣] ولم يخجل ولا يرتدعْ . وفي مكانٍ آخر : « أفرامُ[٣] عجلةٌ جاهلةٌ مروّضة على الكذب والنفاق » (هوشع ١٠:١١) . إن قال أحدٌ إنّ النبي يقصد أفرامَ بنَ يوسف ، من جهتي أعتقدُ ان النبي لم يميّز في رثائه بين أفرام هذا وذاك . لكن داودَ من جهة أخرى يأتي ليقول : « إن أفرام هو قوّة رأسي » . أقول هذا لا لأتكبر ، لأني لا أرغب ان تدنوَ مني مثل هذه الرذيلة . والربّ شاهدٌ على كلامي هذا .

والآن ، أيها الأخوة ، أريدُ أن أُعلن لكم أنني سأموتُ . لذلك أتوسّل إليكم أن تذكروني في صلواتكم . تعالوا الآن وأغمضوا عينيّ لأن روحي قد فنيت وأنا أموت . حياتكم معروفةٌ لديّ وكذلك حياتي لديكم . عن هذا الفراش أنزل من بعدُ ، لأن الأوجاع قد اكتنفتني ولا أستطيع أن أحتمل .

---

(٣) إفرائيم بن يوسف العفيف .

أترك لكم جميعًا ذكري كمرآة لا عيب فيها حتى انكم بالنظر اليها تجتهدون بلا كللٍ في التشبّه بها. طيلة عمري كلّه لم ألعنِ البتّة. علّمتُ وأوصيتُ ووبّختُ الجاحدين في كل أيام حياتي دون أن أحيد عن مشورات القدّيسين.

أتعلمون، أيها الأخوة، أنه لو كان للسيّد كلبٌ يُهمل قطيعه، يشاهد الذئب فيترك الخراف في الحظيرة دون أن ينبح ودون أن يطرده، ضربه سيّده وأخرجه من بيته، لأنه باتَ غيرَ مفيد. إعلموا انه ما من أحد يبغض الرجل الفاضل، أما الجاهل فلا يُحبّه (الناس). إن أحبّ الجاهلُ توجهتْ محبّته إلى من شابهه. أنتم أيها الاخوة لا تذعنوا لمن ازدرى كلامي فإنه بين الرسل الاثني عشر وُجد هناك خائنٌ وهو يهوذا. إعلموا أيضًا أنه أمام الكرمة عادةً تنبت علّيقة وبين الورود تظهر أشواك. أما إيماني الوطيد فإني أؤكّده لكم، أيها الاخوة الصادقون المتحدون بروحٍ واحدٍ، معترفًا بصدق أن إيماني غيرُ متزعزع. لأني أريد أن يتوطّد رأي المؤمنين الرئاسي غيرُ المتقلقل. وأشهد بالذي نزل على جبل سيناء بشكل نار، الذي تكلّم على الصخرة الصمّاء فأخرجت ماءً، الفم الذي تفوّه من أجلنا على الصليب قائلًا: آلهي آلهي! فارتعدتْ أرجاء الأرض كلّها، الذي أسلمه يهوذا، المضروبُ بالسياط في وسط أورشليم، المجد الذي قَبِلَ البصاقَ من الأثمة، القدرة الفائقة الذي قَبلَ على وجهه لطمةً. أشهد بالقدوس النار الثالوثية المجد بقدرة الله الواحدة غير المحدودة، بالاقانيم الثلاثة للشعاع العقلي ذاتِ المشيئة الواحدة: إني لم أشكّكَ أبدًا في ايماني ولم أتزعزعْ في ثقتي بالكنيسة وبقدرة الله. إن كنتُ قد عظمتُ في فكري الله الآب اكثرَ من الابن فلا تنحدرْ عليّ رأفاتُ الله. وإن كنت قد أبعدتُ الروحَ القدسَ عن الله فلأظلَمْ ولا أرى وجهَه. وإن كنتُ قد اعترفتُ في البدء غير ما أعترف به الآن فلؤرمَ في الظلمة الخارجية وإن كنت أقول كلّ هذا الآن عن رياءٍ فليحكمْ عليّ بنار جهنّم. وإن أتكلم عن ممالقة فليُقْصِني الربُ من رحمته.

هي هي حياتي التي صبرتم عليها معي في الحقيقة، أيها التلاميذ! لم يكن

لأفرام كيسٌ أو عصا ، لا ذهبٌ ولا فضة ولا أيّ مُلك اقتناه على الأرض . لأني سمعتُ المعلّمَ الصالح يقول في الأناجيل الإلهية لتلاميذه : « لا تقتنوا شيئًا على الأرض » . لذلك لم أشتهِ من كل ذلك . تعالوا ، أيها الأخوة ، أهدوني السلام الأخير . سامحوني لاني راحلٌ . اذكروني أنا الحقير في صلواتكم المقدّسة المقبولة وفي تضرّعاتكم كلّها . لأني أنهيتُ حياتي في الباطل والخطايا . ثم أطلب منكم أيضًا بخوف ، أيها الرجال الأبرار ساكنو مدينة الرها ، في ايمانكم بالله الأزلي : لا تنسوا توصياتي القليلة ولا تزدروا أقوالي لأن النعمة الآلهية هيَ التي أوصت بها .

إياكم يا تلاميذي أن تدفنوني تحت المذبح أو في الهيكل . إن تجرّأ أحدٌ فوضعني تحت المذبح فلا يشاهدنّ المذبح السماوي . لانه لا يليق بالدود الذي أفرز عفنًا أن يوضع في هيكل الرب القدوس . ولا تضعوني في اي مكان آخر من هيكل الله . وإن عصى أحدٌ هذه الوصية فلا يستحقنَّ ملكوت هيكل السماوات هذا ، لأن المجد لا يفيد انسانًا لا يليق به . قد ولدنا عراةً نحن البشر كلّنا وسوف ننهض عراةً لنعطي جوابًا عمّا فعلناه في حياتنا الحاضرة حين نمثل أمام محكمة المسيح . لماذا اذًا تقدّمون لي الإكرامَ الذي لا أستحقه بسبب أعمالي ؟ **حياة الناس كلّها باطلة حين تذوق المجد الذي لا تستحقه** . يا اخوة ، كل جبلة مخلوقة تؤول الى الفساد كما يقول الله . لذلك أبكي وأقول ، كما تعلمون ، إن هذا الهيكل المصنوع بيدٍ ينحلّ ويتلاشى ليقوم مكانه الهيكلُ الروحاني بغير فساد[٤] (لا الجسدي الوقتي الذي يفسد حسب اشتهاء الجسد) حين يدويّ بوق المسيح لينهضَ الراقدون منذ الدهر . لأن الدينونة لن تكون للهياكل الحجرية ، لن يدين الله الحجر بل الهياكل الجسدية ، أي الإنسان ، حسب أعماله ويعطي جزاءه لكلّ واحد حسب جهاده وتعبه .

(٤) ١ كور ١٥:٤٢-٤٤.

انتبهوا أيها الاخوة ألّا تصنعوا قبرًا لذكرى رفاتي ، لأن عندكم ما تذكرون ، ألا وهو وصيةُ الله مخلّصنا فتحفظونها الى أن يجيء . لماذا تفكّرون مُتعبين بثقل لا يُحتمل ؟ إني لا اريد أن يعرف العالم أين أدفنُ . لستُ أفضل من الرجال الأبرار منذ الدهر . وإلّا فسوف يعاتبني الرب قائلًا : يا أفرامُ ، لقد تبعك الناسُ اكثر مني . إن أرادوا إنشاء قبر خاصٍ بك فلربما لن يتبعوا وصاياي التي تركتها لهم ، لأنهم يفضّلون ذكرك عليّ .

لذا أرجوكم أيها الأحبّاء أن تفضّلوا تعليم المسيح فلا تضعوني مع القدّيسين ، لأني خاطئ وهزيل وأخشى ان اقترب منهم مصحوبًا بحقارتي وجهالتي . فإن المادة الجافة حين تقترب وتتّحد بالنار تحترق كلّها وتفنى . أقول هذا كلّه ، لا اني لا أريد أن أجثو معهم ، بل لأني أرى خطاياي فأرتعد وأخاف . أسمع النبي حزقيال يقول : « حتى ولو صرتم نوح وايّوب ودانيال فلن يخلص أبناؤكم ولا بناتكم » . أمّا داود فيقول : « الأخ لا يفتدي أخاه . الإنسان لا يفتدي أخاه الإنسان » . وسليمان أيضًا : « ولا جيحزي يتجرّد من برصه » . لا تستخدموا المواكب والمظاهر في جنازتي ، بل احملوني على الاكتاف وادفنوني كحقير مخزيّ ، لأن ايامي قد فنيت بالآلام . ولا يمدحني أحدٌ منكم فإني هزيل أمام الرب ومفضوح من جرى أعمالي . أرتعد بالتمام لأن ليس لي دالةٌ أمام الله . من ذا يكشف عن خطاياي ولا يبصق على جهالتي ؟ أية شركة بين البشر والفضيلة ؟ أيّة صلة بين الخاطئ والبار ؟ أيّة علاقة بين النور والظلمة ! إن اشتممتم رائحة أعمالي تهلكون من حمأة خطاياي .

من يضع في جنازتي ثوبًا فاخرًا يُرمَ في الظلمة الخارجية ومن يُطيّبني يُلقَ في نار جهنّم . ادفنوني بقميصي وجبّتي ، بلباسي الاعتيادي ، لأن الزينة لا تليق بالخاطئ المملوء دودًا وعفنًا . لن يزيّن تمجدُ الأحياء الخطأةَ في الأرض . إني خاطئ فلا يغبطني أحدٌ . الله يعرفُ أعمالي كلّها ، وشروري أيضًا التي فعلتها .

أنا مدنّس من جرى آثامي ، مرفوض من جرى خطاياي . أيّ ظلم لم أقترفه ؟ الآثام كلّها مع أعمالي الظالمة كامنة في جسدي هذا المائت .

أيها الذين في مصفّ الآباء والأبناء والاخوة والتلاميذ ، أيها الرجالُ الساكنون مدينة الرها ، إحملوا اليّ أثمار صلاحكم وبرّكم أي ما نويتم أن تكرّسوه مدى الدهر تخليدًا لذكركم ، وأنا أستلمه أمانةً أشتري بها إناءٍ ثمينًا ، وأستأجر عمّالًا يليقون برغبتكم المثمرة ، **أعني الفقراء والايتام ، الاراملَ والمُعوزين** ، الذين لا سقف لهم والجائعين ، المساكينَ كلّهم حتى يصيرَ ذكرُ خلاصكم كاملًا في بلدة الاحياء . هذا كلّه سوف يؤول لخلاصكم من جهة ، ويُعتبر أجرًا طوعيًا لي من جهة أخرى بسبب مشورتي . الأجر الحاصل بالأعمال شيء والاجر بالأقوال شيء آخر . هذا « لأن العطاءَ مغبوطٌ أكثر من الأخذ » كما يقول الربّ (أعمال ٢٠:٣٥) .

إنّي أعاهدكم جميعًا باسم الرب يسوعَ المسيح أن أوزّع عطاياكم كلّها على الفقراء ، لاني أكتفي بمحبتكم التي بذلتموها بشتى الطرق . لستُ مستحقًا لها ، لكن الربّ الذي أكرمتموه عن طريقي سوف يجازيكم جزاءً وافرًا . وكما سمعتم المعلّم الحكيم يقول : « من قبل نبيًا باسمي فأجرَ نبيّ يأخذ » . لذلك سيتقبّل المسيح عطيّتكم بصورة كاملة ، لأنكم أكرمتموني بهذه الهبة من أجل اسمه . تقدمتكم مقبولة على غرار تقدمة نوح وذبيحة ابراهيم . لتكن مدينة الرها مباركة ، لأنها قد تباركت رسميًا من قبل الربّ وعلى فمه بواسطة تلاميذه ورسله . هذا هو الذي حصُل لما شيّد الملك الأبجر المدينة ، فأرسل رسلًا يتوسّل لاستقبال مخلّص العالم السيّدَ المسيح الظاهرَ حديثًا ويقول له : لقد سمعتُ عن أعمالك كلّها ،عن ما عانيت من قبل اليهود الذين ازدروك . تعالَ إليّ ، واسكن معي لأن المدينة هذه تكفي لي ولك » . فقد أعجب الرب بايمانه حين استلامه الرسالة ، فأرسل ملائكةً قدّيسين ليباركوا المدينة ويوطّدوا اساساتها . هذه البركة الحالّة عليها سوف تبقى الى مجيء الرب يسوع المسيح ابن الله ، الإله من الإله .

فلا يهملنّ أحدٌ منكم هدفَه لئلا يغدوَ بلا ثمر. كل من نوى أن يساهم بشيء وتخلّى عنه فليُجازَ موتًا كما حصل مع حنانيا لما أراد أن يجرّب روح الله الكليّ قدسُه (أعمال ٥:٣) فيخدعُ الرسلَ. لكنّه وُبّخ على ذلك فسقط على اقدامهم.

وبينما كان القدّيس يتفوّه بالكلمات هذه مسَّ روح دنس أحدًا من الرجال الواقفين فسقط قرب سرير القدّيس وأخذ يصرخ بصورة يُرثى لها. أمّا القدّيس فقال له: يا رجل، ماذا أصابك؟ فانتصب الرجل للحال وقال: «كنتُ أنوي شراء ثوب فاخر لدفنك، لكنك نبذتَ مثل هذه العطية ففكّرتُ في نفسي وقلتُ لن أشتريه بل أعطي ثمنه للفقراء بحسب الحاجة. فعصيتُ هكذا وصيّتك». فأجابه القدّيس المغبوط: «اذهب وأصلحْ ما نويته». وللحال صلّى عليه واضعًا يده على رأسه فأصبح معافىً وتحرّر من الروح النجس.

وقال القدّيس أيضًا: كلّ من يضيء سراجًا على قبري يحترق بالنار الأبدية. لأنه ماذا تفيد النار الفاسدةُ الانسان الذي سوف يحترق بالنار نفسها؟ لأنه حين تظهر مثل هذه النار الرهيبة يُباد كلُ شيء. يكفي لي ألمي، فلِمَ تضيفون ألمًا آخر عليّ؟! ارثوا لي ايها الأخوة وابكو عليّ لأنّ أيّامي قد فنيت بالآلام، وسقطتُ في الفخ الذي لم أفكر به. لقد جاء القاضي ومعه الرجال الذين سوف يربطونني بحبائلَ ثقيلةٍ ويجرّونني الى أرض الأموات، الى بلدة لا أعرفها. أتوسّل اليك أيها المخلّص الذي جبلتني. لا تعذّبني! لا تحطّمني! فإنك إن فحصتَ بدقة عن استحقاق ما عملتُه لا أنجو من الحكم عليّ. فإني عندما أتذكر أفعالي يعتريني خوف لا يُحتمل وتسيطر عليّ رعدةٌ أليمة ناظرًا الى الدينونة التي تنتظرني في ذلك الدهر.

لذلك أتوسل اليكم ان لا تدفنوني بالطيوب لانه لا يليق بالجاهل مثلُ هذا الإكرام، ولا بالذليل مثلُ هذا المجد. لا تستخدموا أيضًا أية رائحة زكية أخرى

لاني تراب ورماد(*) . قدّموا البخور لهيكل الله أما أنا فرافقوني بصلواتكم . لا تقدّموا لي الطيوب بل لله . اني مجبول بالخطايا فارثوا لي . وبدل الطيوب والرائحة الزكية جاهدوا معي في صلواتكم متذكّرين ايّاي دائمًا بواسطتهما . لأنه ماذا تفيد الرائحة الزكية جسدًا مائتًا لا حسَ فيه ؟ قدّموا بخوركم إلى بيت الله لمجده وتطويبه لأنه هو الذي يسكن فيه . لماذا تلفّ جسدًا فاسدًا بثوب برّاق لن يفيده ؟ دعِ الجسد الأرضيَ لامّه الارض ، لأنه قد أخذ منها بلا نفاسٍ كما ان المجد الباطل لن يُرافقه . الغنى لائق بالرجل المتعظم ، أمّا التواضع فيليق بالفقير . المُلك يليق بالشرفاء أمّا الجندية فتليق بالنفر .

لا تدفنوني بين قبوركم لأن هذا لن يفتديني من أيدي الذين يأسرونني . **لقد وعدتُ الله أن أكون دائمًا بين الغرباء . لقد عاهدتُ إلهي أن أُدفن في مقبرة الغرباء لأني غريبٌ مثلهم** . أريحوني معهم لأن كلَّ إنسان ، يا أخوتي ، يستريح مع شبهه . أعني أن تضعوني حيث يجثو المنسحقو القلوب حتى يأتي ابنُ الله لينهضَهم ويريحَهم ويسامحني أنا أيضًا معهم .

● صلاة

أنظر ، يا ربُّ ، الى بيتي الحقير وترأف عليّ ! سامحني ، يا ابن الله الوحيد ! ولا تجازني حسب أعمالي . لأنك إن فحصت آثامي ، فمن الذي يعودُ يثبت أمامك ؟ وإن جازيتنا حسب عظمتك فَمَنْ الذي يستحق رحمتك أثناء الدينونة ؟ لان الرسول يقول : « كلُّهم سوف يُطبقُ عليه والعالم كلّه يكون مدينًا لله » . إني متجاوز نعمته اذ أتفوّه بكلمات الكتاب . ما الفائدة لدمي إن أرسَلُ الى النار التي لا تنطفئ ؟ ترأف عليّ حسب عادتك فتعرف نفسي رحمةَ طول أناتك . إن دِنت الأرض كلّها على ما يظهر من عظمتك فلن يخلصَ واحدٌ من آلاف ولا

(*) اتركوا وجوه أمواتكم وتأمّلوا وجه الإله الحي .

من ربوات. لماذا يا ترى أقلق نفسي قائلًا هذا كلّه أنا التعيس؟ أطلب أن يتساوى الحكمُ اثناء الدينونة بين الخطأة الظالمين والأبرار المستقمين، بين الودعاء الصالحين والأشرار الخبثاء! هذا أمر يستحيل تحقيقه. **لأن النور يفني الظلمة**. كيف يمكن لهابيل البار أن يُساوى بأخيه قاين الظالم القاتل؟ كيف يمكن للأبرار ان يسكنوا مع الأثمة في مكان واحد؟ أتوسّل اليك يا مخلّصي لا أن تساوي بين الأبرار والأثمة بل أن تُسرَّ فتبسط رأفاتك عليَّ وعلى المشتركين معي، لانني أقول وأردد: **إن لم تبسط رأفاتك علينا فلن يرَ أحدٌ منّا الحياة الأبدية**. يشهد الكتاب انك إله صالح أخذت جسدًا بشريًا.

دعْ، يا أفرامُ، مثل هذه الصلاة، هذا ما يقوله لي الملاك الذي سوف يتسلّمني لن تفيدك تنهداتك المستمرّة لأن القضاة القساة المُرسلون ليسلّموك لا تستعطفهم الهدايا. ثم يضيف أَطبقْ فمك! لن يشترك معك الناسُ كلّهم في الهلاك! يعتقد الخاطئ ان الناس كلّهم يشبهونه وأنت تحذو حذوَه.

● ذكرانيّات:

اقتربوا مني اذًا، يا أخوتي، لأن روحي قد فنيت بالكليّة. واصلوا تقدمات صلواتكم من أجل حقارتي! وبعد ثلاثين يومًا إصنعوا لي تذكارًا(٥) **لأن الاموات تفرحُ وتستريح بصلوات الذكرانيّات التي يقدّمها لهم الأحياء القدّيسون**. عندكم برهان على ذلك من بعض العناصر الطبيعية المخلوقة من الله: من نتاج الكرمة مثلًا عصير الحصرم في الحقل والخمر في الخوابي، لأنه حين ينضج العنب في الكرمة أنذاك تسيل الخمر في الأجاجين. كذلك بالنسبة للبصل حين ينبت زرعه في الحقل ويُطلق براعم أنذاك يفرخ البصل اليابس في البيت.

(٥) Mnimosinon تذكار الأموات. يُصنع عادة بتقدمة ذبيحة إلهية أي قدّاس عن نفسْ الموتى مع خدمة تريصاجيون للراقدين.

إن كانت عناصر الطبيعة المخلوقة تتفاعل فيما بينها بهذه الصورة فكم بالاحرى الموتى يشعرون مع الاحياء عند ذكرهم إيّاهم ؟ إن وثقتم بكلامي هذا عرفتم ان الحاصل في طبيعة المخلوقات يشير الى انك انت الانسان مقدّمةُ خلق الله . فإن لم تقتنع بهذه البراهين لأنك تعتبرها غيرَ قيّمة فاصبر عليّ قليلًا لتستمع الى ما هو مكتوب . ربما يتقبّل ضميرُك ما يقوله الكتاب المقدّس : إن موسى قد بارك رؤبيم الى الجيل الثالث . إن كان الأموات لا يخلصون فلماذا يبارك رؤبيم إلى الجيل الثالث ؟ ! وبالنسبة للقيامة يقول الرسول بولس في رسالته إلى أهل كورنتس : « إن كان الاموات لا يقومون فلماذا يقبلون المعمودية من أجلهم ؟ ! » (١ كور ١٥:٢٩) . فإن أبناء الناموس قبل المسيح ، كما يقول الرسول نفسه في رسالته الى أهل غلاطية بانتظار القيامة كان « مغلقًا عليهم » في السرّ بحراسة الشريعة الى أن يتجلّى الإيمانُ المنتظر إعلانه (غلا ٢٣:٢٣) . إن كان كهنةُ الناموس يطهّرون الخطأة من خطاياهم بواسطة تضرّعاتهم فكم بالأحرى كهنةُ العهد الجديد في المسيح يستطيعون غفران خطايا المنتقلين الى الحياة الأخرى بواسطة تقدماتهم المقدسة وصلواتهم !

حين يأتي ذكري أنظروا يا أخوتي ألا يخطأ أحدٌ في الهيكل . بل اسهروا بانتباه ، بلياقة ، بتواضع ، بعفة وقداسة حتى لا تصبح خطيئة جسدي الرديئة مستحقةً دينونة أكبر . فإنه الى جانب الخطايا المرتبطة بجسدي توجد خطايا أهمّ منها . فممّا يُرثى له أن أعطي ، بدل التذكار والغفران ، جوابًا عن خطاياكم . فيُقال لي في الدينونة : لقد كنت ، يا أفرامُ ، سببَ كل هذه المعاصي ، لأنك أنت الذي جمع مثل هذا الحقل الباطل . لقد كُتب : « سوف يدين الله الزواني والفسّاق » . ونحن ماذا سنقول عندئذ ؟ لقد ذكرتُ قبلًا والخوف يعتريني أن الذي يدينه الله مستحق الرحمة . كما ان الخميرة الصغيرة تخمر العجين كلّه ، وكما ان الصدأ الذي يطرأ على الحديد يفسده ، كذلك الخطيئة المتولّدة من الانسان تحارب الأعضاء السليمة والطرق الوقورة ، كما انها تهدّم الماشين في

طرقها . الذي لا ينفّذ مشيئتها يبتعد مثل المسافر الذي يقضي يومًا واحدًا في بيت ثم يبتعد عنه . فإنَّ الجسد المائت هذا يزول ثم يلبس الجسدَ السماوي غير المائت . بعدما يختبر الفسادَ يقوم كاملًا بلا فساد متطهرًا من كل انحلال . ها هو مصباحُ الكنيسة المضيء بولس الرسول يهتف فيقول مؤكّدًا على أصواتكم الشقية : « يُزرع بالفساد ويقوم بلا فساد » (١ كور ١٥:٢٤).

***

أخيرًا تعالوا ، يا تلاميذي المباركين بقوّة الراعي الصالح ، المعلّم الالهي يسوع المسيح ربّنا الذي هو إله من إله . أنا لستُ اسحق ، ومع ذلك ستُباركون مثل يعقوب . لستُ موسى ومع ذلك ستكونون مثل يشوع بن نون . لستُ ايليا أيضًا ومع ذلك ستتقبّلون الروح مضاعفًا مثل أليشع الذي كان يطلبه . أبتدئ الآن ببركتكم أنتم تلاميذي .

يا ابراهيمُ الرجل العجيبُ ! ليعظم المسيح ذكرك على الأرض . ليكن وجهك شبيهًا بملاك مجد الله ! لتتشبّه بموسى العظيم حتى إن الذين يرونك يُدركون أنك عبد الله المختار . بما أنك التصقت بي ، ليصغِ اليك إله ابراهيم والى صلواتك وتضرّعاتك . ليمتلئ فمك قبل ان تفتحه ، حكمةً وفهمًا كما يقول النبي : « افتحْ فمك لأملأه حكمةً من عندي » .

وأنت ، يا سمعان ، ليصغِ إليك الله حين تتوسّل اليه في صلواتك . ليتك تدخل الى المدينة العلوية وتمتلئ كنيستها ككأس خمرٍ من الشعوب الوادةِ الخلاص .

وأنتَ يا مَارسُ الرجل الجليلي الوديع المستقيم ، المتواضع البار . انه وديعٌ لا بالطبيعة بل بإرادته ، الذي جاهد على رجاء الله واشترك في آلامي . ليعطك الله أجرَك مع الأبرار القدّيسين .

ويا زينوبيوس الرجل الجزاريوس الذي معناه رجل صَيّاد قوي في الحروب، لتكن كلمتك كالنار تُحرق كثرة الآثام وليشتعل فيك اللهيب ليقضي على الغابة كلّها. هكذا فليبتلع علمك أعداءك. وليعطك الله أن تدرك معرفته كلّها. كما أن داود قد ظهر لامعًا متغلبًا على جليات المتعالي هكذا فلتتغلّبْ أنت أيضًا على الضالين وتلبس أسلحة القدّيسين أي الروح القدس. ليكن عمود الله مرافقًا لك والسيّد عونًا مقتدرًا.

أمّا أنت يا پافلونا، فالويل لأمك! الويل للبطن الذي ولدك لأنك أصبحت شريكًا للهرطقات كلّها وسرت على طريق القراصنة. هكذا كانت أعمالك كلها. لقد أُبعدتَ مثل يهوذا الاسخريوطي لأنك صرتَ خائنًا. تركت العمود الاساسي الذي يحمل السماوات وتتوطّد عليه الارض كلّها، فاستندتَ على قضيب وتركت عصا الصليب الذي يقوّي المرْضى ويَشفي أمراض النفوس والاجساد.

وكذلك أنت يا اروانذان الرجل الذي لا يوثق به. لقد أردتَ أن تقضي على كنائس الله المؤسسة بالروح القدس. ليُمحَ ذكرك من الأرض ولا يُكتب في سجل الاحياء. لأنك تركت خمرة الحياة، دمَ المسيح الخبز السماوي جسدَ المسيح وأكلتَ أطعمة الذبائح النجسة وشربتَ من مرارة الخطايا الشنيعة. كلمةُ الله ابن الآب الذي جدّفَ عليه فمُك فليُجازِ معصياتك وهرطقاتك كلّها: من الآريوسيين والمانوينين والطهريين والافتيّين المركيانيّين، الافنوميين، الافخيتيين الكفخيتيين، بفلانيين اوتيليانيين وكل المدنّسين الذين يعبدون الخشب والحجارة، الشمس والقمر. ايونستون وأسترونوس الذين جدّفوا على مجد الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس.

● ضدّ الهراطقة

مبارك ومميّز كلُ من اختار هذه الكنيسة الجامعة، الحظيرةَ التي لم يدركْها

الذئبُ المفترس ، الحمامةَ الطاهرة التي لم يستطع الصقر الوحشي أن يلتقطها ، لأن بيد الرب كأسًا مملوءةً حثالةَ خمر يشربها الجاحدون للثالوث القدّوس غير المختلط وللالوهة التي لا بداية لها . هذه الكأس شربها جنسُ اليهود أعداءُ الحقيقة .

تقيأوا واندفعوا بشراسة ضدّ مخلّصنا يسوع المسيح . ليس هذا بالأمر العجيب لأن الكلبَ المسعورَ عندما يعتريه المرض ينقضّ على سيّده ويعضّه . هكذا اليهودُ المستشيطون غضبًا يجدّفون على سيّدهم .

أمّا نحن فلنمجّد الله المتعالي الذي لا يستطيع خلفاء الرسل أن يقتربوا منه لأنه لو استطاع الخطأةُ أن يجدوا سبيلًا للصعود إلى السماء لانقسموا على أنفسهم وتشتتوا في بيت الله ، في المساكن السماويّة كما جرى قديمًا مع أجدادهم أصحاب البرج الذين تنطّحوا بنشاط نحو السماء فسقطوا من النعمة الإلهية لأن ألسنتهم قد تبلبلت . ان كان هؤلاء قد اصابتهم مثل هذه الماساة لأنهم أرادوا أن يدركوا المواقع السماوية ، فكم بالأحرى ينال عقابًا أشدَّ كل من **يبثّ بذورَ الشقاق والجحود في قلب الناس** والعقائدَ المناهضة لله الأب والابن والروح القدس !!

أدرسوا اذًا تعاليمي ، أيها الأخوة تلاميذي ، ولا تبتدعوا عن الايمان الذي تسلّمتُه منذ طفولتي وحفظته غيرَ مشوّه ، ولا تجحدوه بسبب التردّد والشك . ان سقط أحد بسبب شكّه ووقف ضدّ الله وضدّ كنيسته المقدّسة فلينحدر الى الجحيم حيًا وليرِثِ اللعنة . وكل من شكَ في الروح القدس فلا يحظَ بالرحمة في أوان الدينونة . وكل من ناهض الكنيسة الجامعة فليضربه البرص كما ضرب جيحزي الجاهل .

كل من ترك الايمانَ المستقيم ليُخنَقَ بحبل معصية يهوذا الخائن . لأن الايمان الذي تسلّمه الآباء من الرسل القدّيسين اياه أخذتُ وتعلّمتُ . هذا الذي كُرز به في كل المسكونة .

كل تجديف على الله ينال عقابًا رهيبًا . فاهربوا بنباهة من هذا الطعم ، يا

تلاميذي ، لأن كل من جدّف على الله ووقف ضدّه يزعزع اساس كلمة الإيمان ولا يعود يستطيع ان يرفع رأسه من تحت الثقل الكبير ، لأنه أضحى عبدًا يجرّه جسده المليء بالأهواء .

فلا نضيفنّ خطايا الى آثامنا . تعزيتي أمام الربّ هي الآتية :

طيلة حياتي كلّها لم أجدّف على الرب أبدًا ولم يخرج من شفتي كلام جاهل . لقد ازدريتُ ، يا ربّ ، الذين يزدرونك ورذلتُ اعداءكِ بالكليّة .

تذكّروا ، يا اخوة ، أقوالي واحفروها على ألواح قلوبكم لأني أخذتها من الله . وليكن عملكم كمثل حقل مفلوح لله أعني أن تسهروا دائمًا ، ان ترتّلوا وتصوموا ، أن تؤمنوا وتحبّوا الرجاء منتظرين المسيح سيّد الكلّ ومخلّصنا ، وان تُرفقوا كل ذلك بالاجتهاد في **ضيافة الغرباء لأن الذي يضيف غريبًا يتقبّل المسيح نفسه** . لا تقولوا عنه انه غريب ، بل قولوا انه عضوٌ منكم . كونوا أوّلًا ثابتين في الايمان مصونين من الأعداء أي من عمّال الاثم ، من الثرثارين والبطّالين . لقد تكلّم الرسول عن هؤلاء ولم يتراجع عن القول : « اعلموا انه يأتي بعد رحيلي ذئابٌ خاطفة لا يخافون القطيعَ ، يتكلّمون بالكذب لكي يبدّدوا وراءهم التلاميذ » وفي مكان آخر يقول يسوع : « احذروا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بلباس الحملان وهم ذئاب خاطفة » ، (متى ٧:١٥) الذين في فمهم أقوال عذبة كانت عند الشيطان الحسود . لذلك يبذرون الزؤان ، فاهربوا ، إذًا ، من معاشرتهم بكل انتباه . وها أنا ، أيها الأحباء ، أعطيكم مثلًا : وُجد صيّادٌ في منطقة ملكيّة وقُبض عليه . رأوا أنه لم يفعل شيئًا عاطلًا إلّا أنه دخل منطقة غريبة لذلك عوقب . اذًا : لا تشتركوا في مجالسهم الغريبة الباطلة ولا تقتفوا آثارَ فكرهم . لأن السكن مع الشيطان لا يفترق عن السكن مع رجل جاحد أثيم ، لأن الشيطان باستقسام باسم يسوع يخاف ويهرب ولا يستطيع أن يبقى حيث يُذكر اسم الربّ .

أمّا أنت ، أيها الإنسان ، فتملك جسد المسيح خارجيًا ليتك تحصل على روحه داخليًا فتصبح إنسانًا كاملًا لله . فإن الإنسان الذي لم يحصل على المعمودية يشبه بيتًا معدًّا للملك ، لكن هذا الأخير لم يدخله بعد . ان قرأتَ استقسامات على انسان جاحد أثيم فسوف يستخدم شروره مضاعفًا من الاسهل ان تُقرأ استقسامات على شياطين أشرار من ان يقتنع أبناءُ الاثم ، لأن الشياطين اعترفوا بالمسيح ابن الله قائلين : « أنت هو المسيح ابن الله » ، بينما يبقى هؤلاء الجاحدون في موقفهم الرافض الكريه ! ان رئيس الشياطين يصرخ ويقول : « ما لنا ولك يا ابن الله » (متى ٨:٢٩) بينما هم ينكرونه باستمرار . ان كان باستطاعة غرسة الصفصاف ان تنبت حيث لا ماء ، يستطيع جاحد الايمان ان يفقه شيئًا من معرفة الربّ . ان فكره المتعالي سوف يُسحق كما يكرز النبي أشعيا : « كل جبل وتلّة سوف ينخفض والمعوجّ يتقوّم ووعر الطريق يصير سهلًا » (أشعيا ٤٠:٤) . ان كان باستطاعة الصفصاف ان ينبت في مكان صخري يستطيع القراصنة والأثمة أن يتعلّموا الحقيقة . كما يستحيل على الغراب ان يصبح أبيض كذلك يستحيل ابدًا أن يتنقّى هؤلاء وأن يصبح الشرّ صلاحًا . في الشتاء حين يسقط الثلج يبدو الغراب أبيض بينما كان بالامس أسود لكن ما ان تنفض الثلج عن جناحيه حتى يظهر لونه على حقيقته . كذلك الامر مع الخطأة : حين يحسّون ويرهبون الدينونة الآتية يظهرون علامات توبة عابرة لكن بما أنهم غير ثابتين في حالة التخشع هذه ، ينسون بعد قليل من الزمن كل شيء ويعودون إلى شرّهم السابق .

أصغوا ، يا تلاميذي ، الى توصياتي . تذكّروني دائمًا . لا تبتعدوا عن طريق الحقيقة ، ولا تنحرفوا عن تقاليدكم . حين تسمعون بحروب واضطرابات في العالم اعرفوا ان النهاية قريبة . تمسّكوا برجائكم لأن كل شيء مدوّنٌ في الكتاب سوف يتمّ « السماء والأرض تزولان لكن حرفًا واحدًا من الناموس لا يزول » . قال هذا معلّمنا من هنا نعرف انها حقيقة لا غش فيها . سوف نمثل ، لا محالة ، أمام القاضي . فلنجتهدْ ان نوجد كاملين بأعمالنا الصالحة المنجزة بصبر .

بينما كان القدّيس يتكلم بكل هذا بدموع ، وجمع المدينة واقفًا جاءت امرأة اسمها لمبروتتا Lambrotita ابنة ارستيد الشهير فشقّت طريقها بين الجمع ، وسقطت أمامه ، وقالت : « باسم الله الذي أحببته منذ صغرك . لقد أوصيتنا أن لا نصنعَ لك قبرًا لائقًا . فاسمح لي أنا عبدتك ان أصنع لك صندوقًا يحوي رفاتك » . تقبّل البار توسّلها وقال لها : « اذهبي واصنعي ما طلبتِ ، لكن ، إياك ان تصنعيه من مرمر لأن المجد الباطل لا يفيد ...

ثم أرشدها القدّيس وقال لها مباركًا اياها : « لن يُقطع من نسلك تعليمُ بار الى الدهر وحين مجيء المسيح ليحوّل السماء والارض ليذكُرك في سفر الحياة ، في ملكوت السماوات وليُكلّلكِ سلامُ الله الذي كلّل القدّيسين بأكاليل لا تفنى ، لأن بالله الأب يليق المجد ، والسجود للابن ، والقدرة للروح القدس من قبل الدهور الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين . آمين .

الفهرس

- المقدّمة I
- حياة القدّيس إفرام السرياني ١
- شهادة في القدّيس إفرام السرياني ١٢
- دعوة إلى التخشّع وعدم التهاون ٣٥
- في التخشّع ٤٠
- عن النفس عندما يجرّبها العدوّ ٤٦
- صلاة ابتهاليّة ٥٢
- رسالة إلى يوحنا الراهب في الصبر ٦٢
- توبيخ لذاته اعتراف ٦٩
- أعتراف وتوبيخ النفس ٧٤
- دعوة أخرى إلى التخشّع ٧٩
- ميمر فيه نُبذ في الفضائل والرذائل ٨٤
- في المحبّة ١٠٠
- دعوة إلى التخشّع والتوبة ١٠٣
- في التوبة ١١٢
- في الصبر ١١٩
- في هدم الكبرياء ١٢٥
- في البتولية ١٣٠
- مقالة نسكيّة ١٣٦
- من أجل إصلاح الذين يعيشون ١٦٤

- خوف النفس ١٧٤
- في الأهواء ١٨٠
- مقال نصحي ١٨٥
- عن الفضيلة . . . أربعة فصول ١٩٢
- عشرة فصول حول الفضيلة ٢١٤
- نصائح من أجل الحياة الروحية إلى الراهب نيوفيتوس ٢٣٥
- انتبه إلى نفسك ٢٥٦
- أنه يجب علينا أن لا نضحك ٢٨٨
- التطوبيات ٢٩٤
تطوبيات أخرى ٣٠٠
- مئة فصل كيف يكتسب الإنسان التواضع ٣٠٨
- نصائح للمجاهدين ٣٤١
- التجلّي الإلهي ٥٠١
- يونان ٥٠٦
- في مديح الشهداء القدّيسين ٥٢٩
- عظة عن الصليب الكريم المحيي ٥٣٥
- إلى الآباء الراقدين ٥٣٩
- في المجيء الثاني ٥٤٣
- مجيء الرب الثاني ونهاية العالم ٥٦٢
- عظة عن المجيء الثاني ٥٧٢
- وصية القدّيس أفرام ٥٨٣

فهرس المواضيع

ـ أ ـ

آباء : ١٣٦
إحسان : ٥٨٨
إرشاد : ٢٨٢-٢٨٣
أرواح شريرة : ١٢٠
إسكيم : ١٦٤/١٧٢/٣٥٤
اسم يسوع : ١٥٠
إعتدال : ١٥٤
اعتراف : ٦٩-٧٣/٧٤/٢٨١/٥٧٦
أفكار : ٢٣٧/٢٨٨/٣٩٠/٣٩٥/٤٨٩
ألوهية المسيح : ٥٠٢-٥٠٣
إمساك : ٢٣٣
أهواء : ١٨٠-١٨١/٤٨٣

ـ ب ـ

بتولية : ١٣٠

ـ ت ـ

تاجر روحي : ١٥٠
تجارب : ١١٩-١٢١/٣٢٥/٣٤٨/ ٣٨٥/٤٠٤-٤٠٦
تخشع : ٧٩/٨٢-٨٣
تطويبات : ٥١/١١١/٢٩٤-٢٩٩/ ٣٠٠-٣٠٢
تعاليم قديمة : ١٣٦-١٣٧
تعب : ٢٦٣
تقوى : ٨٥/٢٦٥/٤٤٥
تهاون : ٣٦-٣٧/١٩٠/٤٠١
تواضع : ٦٤/٨١/١٢٥-١٢٩/١٦٧/ ١٧٠-١٧١/١٩٤/٢٠١/٢٠٢/٢٤٩/ ٣٠٨/٣١٤/٣٥٠/٣٦١/٤٠٧-٤٠٨/ ٤١٠/٤٣٨/٤٨١
توبة : ١٩/٥٨-٥٩/٨٠/١٠٢/١٠٤- ١٠٥/١٠٩/١١٢/١١٥/١٣٨/١٧٦/ ١٧٨/١٨٣/٢٠٧/٢٢٩/٥٠٧-٥٠٨/ ٥١١-٥١٢/٥١٨-٥١٩/٥٣٥/٥٥٨- ٥٦٠
توحد : ١٩٦

ـ ج ـ

جاحد : ٥٩٧
جسد «غذاء» : ١٠٩
جهاد : ٣٨/٥٠/٢٠٣/٢٠٥/٢٥٧/ ٢٦٠/٢٧٦/٣٤٤/٤٥٦-٤٥٧/٥٣٤

- ح -

حرب الجسد : ٢٥٩
حزن : ٤١٨/٤١٥/٣٣٨/٢٦٣
حسد : ٩٣-٩٤
حواس : ٢٧٨
حياة روحية : ٢٣٠-٢٣١/٢٣٥

- خ -

خبث : ٩٠-٩١
خطيئة : ٢٥٩
خمر : ١٣٢-١٣٣

- د -

دالة : ٤٥٢/٢٨٨/٢٧٤
دفن : ٥٩٠
دم : ٥٣٢
دموع : ١٩-٢٠/٤٠-٤١/٥٠/١١٤
دواء : ١١٢
دير : ٣٨٦-٣٨٧
دينونة : ٣٥-٣٦/١٠٣-١٠٨/١١٦-١١٨/١٤٨/١٦٢/٥٤٦/٥٤٨-٥٥٤/٥٧٤-٥٨٢

- ذ -

ذكر الله : ٢٣٣
ذكر الموت : ٣٠٢/١١١
ذكرانية : ٥٩١-٥٩٢

- ر -

راهب : ٣٧/٦٤/١٥٥/١٥٩-١٦١/١٦٥-١٦٦/١٩٥/١٩٧/٢٦٨/٣١٠/٣١٥-٣١٦/٣٢٣/٤٤٨-٤٥٥
رئيس : ٣٦٢/٢٤٣/٢١٥
رجاء : ١٢٠
رحمة : ٥١٧
رذائل : ٥٥٧

- ز -

زنى : ٢٧٨-٢٧٩/٤٢٦

- س -

الساعة : ١٤٨
شكر : ٤٧٩
سلام : ٢٨٤
سهر : ٤٤٨/١٤٨
سيراخ : ٣٠٩

- ش -

شرّير : ١٢٠
شركة « دير » : ١٩٤-١٩٨
شهداء : ٥٣٤/٥٣٢/٥٣٠
شهوة : ١٨٥/٤٢١/٤٢٧-٤٢٨/٤٤٧
شيطان « أعماله » : ٥٤٧

- ص -

صبر : ٨٨/١١٩-١٢٣/٢١١/٢٤٧/
٢٥٧/٢٦٠/٣١٠/٣٣٤/٣٥٢/٣٥٤-
٣٥٥/٣٩١

صداقة : ٢٢٥

صدق : ٩١

الصلاة : ١٣٤/١٧٧/٢٣٣/٤١٤/٥١٥

صلاة : ١٦٢/١٨٣/٢٦٦/٢٩١-٢٩٢/
٣٠٦-٣٠٧/٥٩٠-٥٩١

صليب : ٤١٠/٤٤٧/٥٣٧-٥٣٨/
٥٤٤/٥٧٢

صمت : ٤٨٠

صوم : ٩٦-٩٨/٥١٧

صخر : ٣٨١-٣٨٢

- ض -

ضيافة الغرباء : ٥٩٦

- ط -

طاعة : ٩٢/٢١٦/٢٢٠-٢٢١/٢٢٩/
٣٠٨

طبيب : ٥٢٦

طريق «الضيق والرحب» : ٣٦٧/
٥٥٦-٥٥٧

طهارة : ١٣٠-١٣١/١٣٣/٢٧٩/
٣٣٠-٣٣١/٤٢٤-٤٢٥

طوفان : ١٣٨

- ع -

عالم : ١٠٤/٢٨٠

عناية : ٢٤٠

عيد : ٥٣٥-٥٣٦

عين : ٤٢٦-٤٢٧

- غ -

غربة : ٢٥/٥٩٠

غضب : ٨٩

- ف -

فرح : ٣٣٨/٤١٥/٤١٨

فضيلة : ٢٠٠

فلسفة عالميّة : ٣٤١

- ق -

قداسة : ٢٢٩

القدّيس أنطونيوس : ٢٨١-٢٨٢

قدّيسون : ٥٣٩-٥٤٠

قراءة : ٤١٩

قسم : ٢٢٣

قيامة : ٥٩٢-٥٩٣

- ك -

كبرياء : ١٢٥/١٢٧/٣١٠-٣١١/٣٤٩

كتب مقدّسة : ١٤٢

كسل : ٢٥٦

- ل -

لعازر والغني : ٢٣٩-٤٤٠
لامبالاة : ١٥٢/١٤٦
لباس الراهب : ٣٣١

- م -

مبتدأ : ٣٨٦/٣٤٦
مجد الإلهي : ٥٠٢-٥٠٣
مجيء الثاني : ٣٥/١٤٧-١٤٨/١٥٢/
٥٤٣-٥٤٥/٥٦٥/٥٧٠/٥٧٣-٥٧٥
محبة : ٨٦/١٠٠-١٠١/٢٤٨/٣٠٨/
٣٣٢/٣٩٧-٣٩٨/٤٧٧-٤٧٨
محبة الله : ٣٨
مخافة الله : ٨٥
مخافة النفس : ١٧٤-١٧٥
مرض : ٢٤٠/٢٦٣/٣٢١-٣٢٢
مسيح الدجّال : ٥٦٧/٥٧٠
مشورة : ٦٣
مشيئة : ٢٣٧
معمودية : ١٠٦/٥٤٦-٥٤٧/٥٧٧-
٥٧٨
موت : ٢٠٧/٢٦١/٢٩٠-٢٩١/
٣٠٢-٣٠٤/٤٨٤/٥٨٣-٥٨٤/٥٨٩-
٥٩٠

- ن -

نحلة : ١٥١
نساء : ٥٥٨
نسك : ١٤٨/١٥٤/١٩٦/٢٨٢
نعمة : ٤٧/١٥٥/١٧٧-١٧٨
نفس «غذاء» : ١٠٩/١٧٤-١٧٥
النّوح : ٢٨٨-٢٨٩
نوح «البار» : ١٣٨
نوم : ٣٧٦-٣٧٧

- و -

وحش : ٥٦٣-٥٦٨
وداعة : ٩٠/٤٣١
وصية : ٥٨٧
ويلات : ١١٠-١١١/٥٥١/٥٨٠

- هـ -

هدوء : ٣٩٩/٤٣٦
هرطقة : ٢٢٥-٢٢٨/٥٩٥

- ي -

يوم الرب : ٥٥٥-٥٥٦
يونان : ٥٠٨